

مِرَاةُ الْحَرَمَيْنِ

لـ

الرَّصَدَاتُ الْمَجَازِيَّةُ وَالْمَجْهُورَةُ الدَّرَجِيَّةُ

مُحَدَّثَةٌ

بِمَاتِ الصُّورِ السَّيِّئَةِ

تَأْلِيفُ وَرَسْمُ

اللَّوَاءِ

أَبْرَاهِيمُ زَفَعَتِ بَابُ شَيْخَانَا

قَوْمَانِ حَرَسَ الْحَلْفَ فِي ١٣١٨ هـ وَأَمِيرَ الْحَجِّ فِي ١٣٢٢ هـ وَبَيْتَهُ فِي ١٣٢٥ هـ
م ١٩٠٨ م ١٩٠٤ م ١٩٠٣

(حقوق الطبع والرسم محفوظة لل المؤلف)

الجزء الأول

(الطبعة الأولى)

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

BP
187.3
.R5
v.1

(أنظر الفهرس الهجائى فى آخر الجزء)

محتويات الجزء الأول

صحيفة

٣٦	التزاور بمكة
٤٠	غسل الكعبة
٤١	فتح الكعبة
٤٢	السير الى عرفات - وصف الطريق
٤٤	جبل عرفات وما يميده الفسيح
٤٥	الوقوف بعرفات
٤٧	الافاضة الى المزدلفة
	السير الى منى - رمى جمرة العقبة - نحر
	الهدى - السير الى مكة لطواف
	الافاضة والعودة الى منى - رمى
٤٨	الجمار الثلاث
٤٩	الاحتفال بتلاوة فرمان السلطان
٥٢	التمتة بالعيد في منى
	الزينات بمنى - ذبائح منى وسوقها -
٥٣	الرجوع من منى الى مكة
٥٤	الاحتفال بفتح المسافر خانة السلطانية
٥٦	زيارة غار حراء "جبل النور"
٦٠	زيارة غار ثور الذي اختفى فيه النبي (ص)
٦٣	عادات المكئين بعد موسم الحج
٦٤	الشرىف عون الرفيق وسلطته بمكة
٦٥	أجر الجمال والمكوس
٦٩	تاريخ المكوس
٧٠	ضيافات بمكة
٧١	إعانة السكة الحديدية للجمازية

صحيفة

١	مقدمة الكتاب
	الرحلة الأولى سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م
	الأعمال التمهيدية قبل سفر المحل -
٥	ركب المحمل
	صرّة المحمل - الكسوة ووصفها -
٦	نص الاشهاد الشرعى بتسليم الكسوة
٩	الاحتفال بالكسوة
١٢	سفر المحمل وركبه من القاهرة الى جدة
١٥	الإحرام تجاه رابع
	وصول المحمل الى جدة - نقل الأمتعة
	من البانخة الى ساحل جدة - عوائد
١٦	الحجر الصمى وإجازة السفر
١٧	نقل الأمتعة من الساحل الى المعسكر
١٩	الاقامة في جدة
٢٠	تبادل الزيارات بجدة - معارفنا بجدة
	ما يلزم الحاج بجدة - وصف جدة
	بشكلها الحاضر - ترجمة الطبيب
	محمد حسين افندى نائب قنصل إنجلترا
٢١	للعرايا الهنود
	سكان جدة - تجارتها - ابتداء اتخاذ
٢٣	جده ثغرا لمكة
٢٤	السفر من جدة الى مكة - وصف الطريق
	الدخول الى مكة - ثنية كداء - المعلاة
٣٠	وما بها من مقابر السلف
٣٣	طواف القدوم

صفحة

منحراهدى	١٢٧
الانتفاع بالهدى	١٢٨
جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب	
الأربعة	١٢٩
حكم المناسك وأسرارها	١٣١
حكمة استلام الحجر الاسود	١٣٢
حكمة رمى الجمار	١٣٦
حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا	
والمروة	١٣٩
حكمة ذبائح النسك	١٤٠
جملة القول في حكمة الحج والاعتبار به	١٤١

فصل جغرافى موجز

فى وصف بلاد العرب

حدودها - شواطئها	١٤٣
أهمية موقعها - الجو والنبات والحيوان	١٤٤
الوصف الطبوغرافى - بلاد العرب المتصلة	
بالبحر - الحجاز	١٤٥
عسير - اليمن - حضرموت	١٤٦
مهرة - عمان - الاحساء - بلاد	
العرب الداخلية - البادية	١٤٧
نجد - الدهناء - صيد - التقسيم	
السياسى الحاضر	١٤٨
فصل تاريخى موجز فى حال العرب	
قبل الاسلام وقيام الدولة الاسلامية	
وانتشار الدين الاسلامى - الدول	
العربية قبل الاسلام	١٤٩
قيام الدولة الاسلامية وامتداد سلطانها -	
نشأة محمد عليه الصلاة والسلام	١٥٥

صفحة

حبس الحاج بمكة	٧٢
مهرتبات الأشراف والعربان والأهالى	
وطريقة صرفها	٧٣
القسم الدينى	
حجة الوداع	٧٥
فقه المذاهب فى الحج - الجنس الأول -	
معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى	
من يجب ومتى يجب - وجوب	
الحج وشروطه	٩٧
متى يجب الحج - حكم العمرة - الجنس	
الثانى فى أفعال هذه العبادة نوعا نوعا	
والترؤك المشترطة فيها	٩٩
الإحرام وميقاته	١٠٠
محظورات الاحرام	١٠١
أنواع الاحرام	١٠٣
صفة الاحرام	١٠٥
الطواف بالبيت	١٠٧
السعى بين الصفا والمروة	١٠٩
الخروج الى عرفة	١١٠
الوقوف بعرفة	١١١
أفعال المزدلفة - رمى الجمار	١١٣
الجنس الثالث فى الأحكام - الاحصار	١١٥
أحكام جزاء الصيد والنبات	١٦٦
حكم إتيان المحظورات فى الاحرام	١١٩
كفارة المتمتع - مفسدات الحج ومفوتاته	١٢١
الكفارات المسكوت عنها	١٢٤
القول فى الهدى - حكمه	١٢٥
جنسه - سنه - كيفية سوقه - من	
أين يساق	١٢٦

صحيفة

١٧٧	مكة المكرمة
...	أسمائها - موقعها - جبالها - شوارعها -
١٧٨	حاراتها - أقسامها الهامة
...	مبانيها
١٨٢	مستشفى الغرباء
...	التكية المصرية
١٨٥	مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وداره
١٨٦	دار خديجة بنت خويلد
...	دار الأرقم
١٩٣	بستان الشريف عون الرفيق باشا
١٩٥	تأثير السيول في مكة وتاريخها
١٩٧	سكان مكة
٢٠٣	جوق مكة - تجارتها
٢٠٦	نقودها - مياهها - عين زبيدة
٢٠٧	الحرم - المواقيت - الأعلام
٢٢٤	المسجد الحرام
...	وصف عام للمسجد
٢٢٧	أبوابه
...	مآذنه
٢٣٤	توسعته وتاريخ ذلك
٢٣٥	مقام إبراهيم
٢٤٢	مواقف الأئمة
٢٤٨	كيفية الصلاة فيها
٢٥١	المنبر
٢٥٢	بئر زمزم
...	سقاية العباس - الماشى الأربع - المزاويل
٢٥٩	القناديل - الموظفون
٢٦٠	أعمدة المطاف - مصلى النساء
٢٦١	

صحيفة

١٥٦	فتح بلاد العرب - غزوة بدر
...	غزوة أحد - غزوة الخندق - صاحب
١٥٧	الحديبية
...	كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى
١٥٨	المقوقس
...	فتح خيبر - فتح مكة
١٥٩	غزوة حنين - غزوة تبوك - حجة
...	الوداع ووفاته عليه الصلاة والسلام
١٦٠	انتشار الدين الاسلامي - الحرب بين
...	العرب وبين الروم والفرس
١٦١	فتح الشام - واقعة اليرموك
١٦٢	فتح القدس - فتح مصر والنوبة -
...	زحف عمرو على مصر
١٦٣	واقعة عين شمس - أخذ حصن بابلون
...	فتح الاسكندرية
١٦٤	فتح بلاد المغرب - فتح الأندلس
١٦٥	قيام البحرية الاسلامية وفتح أكبر جزائر
...	البحر الابيض المتوسط
١٦٦	فتح العراق - واقعة القادسية
١٦٧	فتح فارس - فتح أواسط آسيا ودخول
...	الاسلام فيها
١٦٩	فتح الهند وانتشار الاسلام فيها
١٧٠	دخول الاسلام في جنوب أوروبا الشرق
١٧١	نمو الدولة التركية
١٧٢	الأقطار التي دخلها الاسلام بمجرد الدعوة
...	ومقدار انتشار الاسلام في الوقت
...	الحاضر - الصحراء الكبرى
١٧٤	السودان - غرب افريقية وشرقها
...	الروسيا
١٧٥	الصين - أرخبيل الملايو
١٧٦	

صحيفة

٣٣١	حکم البناء بمنى - الحصيات بمنى -
٣٣٥	المزدلفة
٣٣٦	عرفرة - ميدانها وجبالها - عرفرة موقف
٣٣٦	مسجد نَمرة
٣٣٧	مسجد الصخرات - سوق عرفرة -
٣٣٧	مناظر الحجاج في عرفات
٣٣٨	الطريق من مكة الى عرفات ومشاعر
٣٣٨	الحج فيه
٣٤١	التنعيم ومساجد عائشة
٣٤٤	الطائف
٣٥٤	أمراء مكة
٣٦٧	جدول المسافات بين مكة وأمهات المدن
٣٦٧	الاسلامية
٣٦٩	الاحتفال بسفر المحمل من مكة
٣٦٩	السفر من مكة الى المدينة من الطريق
٣٦٩	الشرقي
٣٨٣	دخول المدينة المنورة
٣٨٤	وليمة المحافظ - الاحتفال بادخال المحمل
٣٨٤	الى المسجد النبوى
٣٨٥	زيارة شهداء أحد - غزوة أحد
٣٩٠	مسجد سيدنا حمزة بن عبد المطلب
٣٩٤	زيارة مسجد قباء
٣٩٩	اخراج المحمل من المسجد النبوى وزيارة
٤٠٠	محافظ المدينة لنا
٤٠٧	سلطان المكّة والشحر
٤١٤	المدينة المنورة
٤١٤	مساجد المدينة - مسجد القبليتين
٤١٦	مسجد الفتح
٤١٧	مسجد الأجابه - مسجد الراية

صحيفة

الكعبة المشرفة

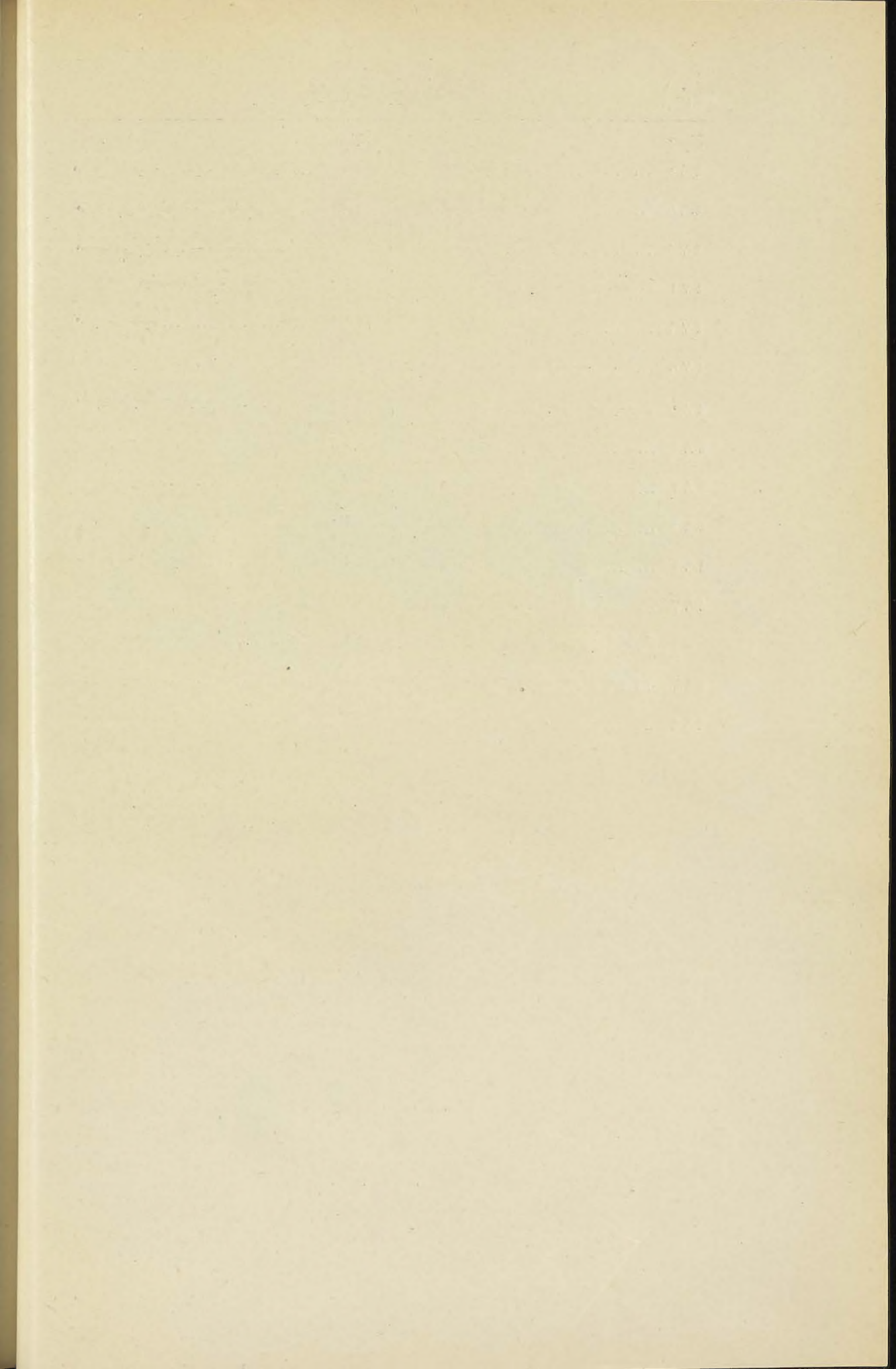
٢٦٢	اسماؤها
٢٦٣	وصف الكعبة الآن ومقاسها
٢٦٦	الخطيم
٢٦٧	الملترم - المعجن
٢٦٨	بناء الكعبة وعمارتها
٢٧٥	الميزاب وتاريخه وما كتب فيه
٢٧٦	باب الكعبة
٢٧٧	تحلية الكعبة
٢٧٨	معاليق الكعبة وما أهدى اليها من الحلى
٢٨١	كسوة الكعبة
٢٨٥	صورة وقفية الكسوة سنة ٩٤٧
٢٩٢	تفصيل أجزاء كسوة الكعبة
٢٩٨	سدانة الكعبة ومفتاحها
٣٠٠	تطيب الكعبة
٣٠٠	صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة
٣٠١	الحجر الأسود
٣٠٥	الخطيم والحجر
٣٠٨	الحج في الجاهلية وما يتبعه
٣٢٠	الصفاء والمروة
٣٢٢	منى - مسجد الخيف
٣٢٥	مسجد الكوثر
٣٢٦	مسجد الكبش
٣٢٧	مسجد البيعة
٣٢٨	مسجد منى - الجمار
٣٢٩	المنحر
٣٣٠	المفجر
٣٣٠	منى موطن توحيد

صحيفة

- ٤٦٠ ... تاريخ المسجد النبوى
٤٦٨ ... محارب المسجد النبوى
٤٧١ ... المنبر النبوى
٤٧٢ ... حجر الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصورة
٤٧٦ ... أبواب المسجد
٤٧٨ ... مآذن المسجد - تيجير المسجد
٤٨٠ ... آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم
٤٨١ ... زيارة القبور
٤٨٢ ... السفر من المدينة فى طريق الوجه
٤٩١ ... السفر من الوجه الى الطور
٤٩٢ ... السفر من الطور الى السويس
٤٩٣ ... السفر من السويس الى القاهرة
... جدول خط السير من مصر الى الحجاز ثم
... الى مصر سنة ١٣١٨ و ١٣١٩
٤٩٤ ... ختام الرحلة الأولى .
٤٩٩ ...

صحيفة

- ٤١٨ ... مسجد السقيا - مسجد الفضيخ
٤١٩ ... مسجد بنى قريظة - مسجد بنى ظفر
... مسجد أبى بن كعب - مسجد المائدة -
٤٢٠ ... مصلى العيد المعروف الآن بمسجد العامة
٤٢٢ ... مكنتات المدينة
٤٢٤ ... تكايا المدينة
٤٢٥ ... مقابر المدينة - البقيع
٤٢٧ ... أراضى المدينة وأوديتها وآبارها وزروعها
٤٣٨ ... أهالى المدينة
٤٤٠ ... التجارة بالمدينة
٤٤٢ ... عادات أهل المدينة
٤٤٥ ... جو المدينة
٤٤٦ ... قرى المدينة وتوابعها
٤٤٧ ... حرم المدينة
٤٤٨ ... المسجد النبوى



فهرس رسوم الجزء الأول

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
٣٠	٢٦	برطوى بمكة	١	١	المؤلف
٣٠	٢٧	طريق الحجون	١٠	٢	كيس مفتاح الكعبة
٣١	٢٨	قبة على قبر السيدة خديجة	١١	٣	جزء من كسوة الكعبة
٣٢	٢٩	قباب على مقابر أجداد النبي صلى الله عليه وسلم	١٣	٤	الاحتفال بالكسوة بالقاهرة
٣٢	٣٠	مقبرة المعلاة	١٤	٥	المحمل بمحطة الاسماعيلية
٣٢	٣١	« » وبها قباب السيدة خديجة والسيدة آمنة وأجداد الرسول	١٦	٦	الاحتفال بانزال المحمل الى البحر في السويس
٣٣	٣٢	مجتمع الحجاج لسماع خطبة يوم التروية	١٦	٧	مرفاً جدة
٣٣	٣٣	الكعبة المعظمة بالمسجد الحرام بمكة المكرمة	١٥	٦٩	رجل وامرأة هنديان محرمان
٣٧	٣٣١	مسق بمنى	١٦	٨	مدينة جدة ومرفاها
	٣٤	محسن باشا وعبد الله باشا باباس عربي	١٨	٩	ديوان المحجر الصحي بجدة
٣٨	٣٥	محسن باشا وعبد الله باشا باباس مكى	١٧	١٠	خطاب المحجر بطاب ٢٣٠ قرش
٣٨	٣٦	محسن باشا وعبد الله باشا وإبراهيم بك مصطفى والمؤلف	٢٠	١١	ساحل جدة وبه الجرك
٣٨	٢٦٧	جنائب (ركائب) أمير مكة	٢٠	١٢	احتفال أهل جدة بالمحمل
٣٩	٣٧	عون الرفيق باشا أمير مكة وجلاسه	٢٠	١٣	مدير البريد والبرق ورئيس المحكمة ومدير الأوقاف بجدة
٤٠	٣٨	الوالى يصاغ الضباط بمكة	٢٠	١٤	سليمان بن عبد الله البسام وأمير الحج محمد حسين الطيب
٤٠	٣٩	« » والشرىف فى العربىة بمكة	٢٢	١٥	منازل جدة القيمة
٤٣	٤٠	خطاب تحديد أول ذى الحجة	٢٢	١٦	منزل السيد عمر السقاف بجدة
٤٤	٤١	جبل عرفات	٢٢	١٧	« » نائب الوالى بجدة
٤٥	٤٢	معسكر الحجاج بعرفات به مسجد الصخرات	٢٢	١٨	ثكنة العساكر العثمانىة بجدة
٤٥	٤٣	مسجد نيرة	٢٢	١٩	قبة قبر حواء المكذوب
٤٦	٤٤	الحجاج بجبل عرفات وبه الشيخ أبو النور طوموم	٢٦	٢٠	ركب المحمل بمحطة بحرة
			٢٦	٢١	منظر بحرة وبها مسجد قديم
			٢٧	٢٢	حدة ومسجدها
			٢٨	٢٣	علما الحرم الشمسى
			٢٨	٢٤	مؤخر الركب وبه أمير الحج بالشمسى

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
١٨٢	٦٨	بيوت مكة وبها سراى الشريف عبد المطلب .	٤٧	٤٥	المحملان المصرى والشامى بموقف عرفات .
١٥	٦٩	رجل وامرأة هنديان محرمان ...	٤٩	٤٦	أمير الحج الشامى حاملا وصية السلطان بالحجاج (الفرمان) .
١٧٩	٧٠	تكية محمد على باشا بمكة ...	٥٠	٤٧	كيس الوصية السابقة (الفرمان) ...
١٨٩	٧١	مولد النبى صلى الله عليه وسلم ...	٥٠	٤٨	وفاء الفرمان (بقجته) ...
١٩٦	٧٢	حديثه الشريف عون الرفيق باشا ...	٥١	٤٩	الفرمان الشاهانى بالعربية ...
١٩٧	٧٣	المشير عثمان باشا نورى العادل ...	٥١	٥٠	عنوان ومقدمة الفرمان ...
٢٠٠	٧٤	الحجاج يجتازون السيل بمكة ...	٥١	٥١	الفرمان الشاهانى بالتركية ...
٢٠٥	٧٥	مسجد السيدة ميمونة ...	٥٥	٥٢	الاحتفال بسفر المحمل من مكة للمدينة .
٢٣٧	٧٦	معسكر الحجاج بعرفات وبه حوض مياه .	٥٦	٥٣	المسافر خانة أو المضيفه المكية ...
٢١٢	٧٩	المفجر وبه آلة بخارية ...	٥٨	٥٤	جبل النور وغار حراء ...
٢٠٨	٧٧	الأحواض بعرفات ...	٦٢	٥٥	جبل ثور وصعوبة مر تقاه ...
٢١١	٧٨	خرية عرفات ...	١٧٨	٦٠	من جبل أبى قيس الى جبل ثور ...
٢١٣	٨٠	مجرى عين زبيدة ...	٦٢	٥٦	غار ثور وبه ناظر التكية ...
٢١٧	٨١	نقش خطبة قايتباى بجبل عرفات ...	٧٦	٥٧	رسم تقريرى للسير فى حجة الوداع ...
٢٢٦	٨٢	خرية المواقيت وأعلام الحرم ...	٨١	٥٨	صلاة الجمعة بالمسجد الحرام وبالرسم باب بنى شبة .
٢٢٨	٨٣	المسجد الحرام بمكة المكرمة ...	٨٢	٥٩	الحجاج حول الكعبة وتقبيلهم الحجر الاسود .
	٨٤	عقود « بواكى » المسجد الحرام ...			
	٨٥	المسجد الحرام من جهة الشمال والغرب والجنوب وبه ٣ مآذن .			
٢٢٩	٨٦	اجتماع الحجاج لصلاة الجمعة ...	١٧٩	٦١	مقياس المياه بمجرول ...
	٨٧	حمام الحى بالمسجد الحرام ...	١٥٨	٣٢٠	كتاب النبى صلى الله عليه للقوقس ...
٢٢٩	٣٢٩	سلم لدخول الكعبة ...	١٧٩	٦٠	خرية مكة ...
٢٣١	٨٨	باب سيدنا على ...	١٧٩	٦٢	بيوت مكة التى على الطراز الحديث
	٨٩	باب الصفا ...		٦٣	» » » » » »
٢٣٣	٩٠	المسجد الحرام من جهة باب ابراهيم	١٧٩	٦٤	مكنة العساكر الشاهانية بجياد ...
٢٣٥	٩١	داخل المسجد الحرام من الجهة الشمالية الغربية وبه ٦ مآذن	١٨٠	٦٥	بيوت مكة الجنوبية الغربية وبالرسم قلعة جياد
٢٥٠	٩٢	الكعبة بالمسجد الحرام ...	١٨١	٦٦	بيوت مكة وبها غار حراء ومثذنة وقبة مولد النبى صلى الله عليه وسلم .
٢٤٦	٩٣	كسوة مقام الخليل ...		٦٧	بيوت مكة من الشرق والشمال ...
٢٥٣	٩٤	منبر المسجد الحرام مصغرا كاملا ...			

رقم الرقم	نوع الرسم	رقم الرقم	نوع الرسم
٣٢٤	١٢٢ ... مسجد الخيف بمبنى مكبرا ...	٢٥٣	٩٥ ... منبر المسجد الحرام مكبرا ...
٣٢٥	١٢٣ « بواكى » مسجد الخيف ...	٢٥٤	٩٦ ... ستارة باب منبر المسجد الحرام ...
٣٢٧	١٢٤ مسجد الكوثر بمبنى وبالرسم عمود البرق	٢٥٥	٩٧ ... صلاة الجمعة بالمسجد الحرام
٣٢٨	٣٢٨ قبة الكباش ...		سنة ١٣٢٠ هـ
٣٢٩	١٢٥ رمى الجمرة الوسطى ...	٢٥٥	٩٨ ... صلاة الجمعة ونصف الكعبة ...
٣٢٩	١٢٦ « جمره العقبة ...		٩٩ ... زمزم يستقى منها الحجاج ...
٣٢٩	١٢٧ « الجمره الصغرى ...	٢٦١	١٠٠ ... الكعبة بالازار الأبيض من الجهة الغربية
٣٣٧	١٢٨ سوق عرفات ...		١٠١ ... قفص النساء بالمسجد الحرام ...
٣٣٣	٣٢٧ خريته المزدلفة ...	٢٦٢	١٠١ ... الكعبة من الجنوب والشرق وبالرسم
٣٣٧	١٢٩ الحجاج وخيامهم بعرفات وبالرسم راكم	٢٦٣	١٠٢ ... بابها وتقيل الركن اليماني .
٣٣٧	١٣٠ معسكر الحجاج بعرفات من الشرق		١٠٣ ... ستارة باب الكعبة ...
٣٤٢	١٣١ خريته مشاعر الحج ...	٢٦٤	١٠٤ ... « التوبة » ...
٣٤٣	١٣٢ عليها الحرم بالتنعيم ...	٢٧٦	١٠٥ ... ميزاب الكعبة وما كتب فيه ...
٣٤٣	١٣٣ مسجد السيدة عائشة وعليها الحرم ...	٢٧٧	١٠٦ ... القسم الأعلى من ستارة باب الكعبة
٣٨٢	١٣٤ معسكر المحمل خارج باب العنبرية		١٠٧ « الأوسط » ...
	بالمدينة سنة ١٣٢٠ هـ		١٠٨ « الأدنى » ...
٣٨٣	١٣٥ محافظ المدينة الفريق عثمان فريد باشا	٢٧٧	١٠٩ ... الكعبة من الجنوب والشرق وبالرسم
٣٨٤	١٣٦ الباب المصرى بالمدينة المنورة ...		بابها وسادن الكعبة .
	١٣٧ منظر المدينة من جهة جبل سلع		١١٠ ... حزام الكعبة القصوى ...
٣٨٩	١٣٨ جبل سلع وبه كتابة كوفية ...	٢٨٤	١١١ ... ستارة باب الكعبة مذهبة ...
	١٣٩ جبل سلع به المؤلف واراھم حمدى		١١٢ ... كسوة الكعبة من الظاهر ...
	خربوطى حافظ مكتبة عارف	٢٩١	١١٣ ... كسوة الكعبة من الداخل باللون
	حكمت بك .		الأحمر كالأصل .
	١٤٠ من جبل سلع الى جبل أحد ...		١١٤ حرف « س » كأصله فى الكسوة ...
٣٩٠	١٤١ ضريح سيدنا حمزة فيه المؤلف	٢٩٨	١١٥ « و » ...
	وسعودى وشيخ الضريح		١١٦ ... ستارة باب الكعبة مكبرة ...
	١٤٢ مشهد سيدنا حمزة بالمدينة ...		١١٧ ... يا الله « أربع مرات » ...
	١٤٣ جبل أحد وفيه ضريح ومسجد	٣٠١	١١٨ ... الحجر الأسود ...
	سيدنا حمزة	٢٦٢ ج	١١٩ ... معسكر الحجاج بمبنى ...
٣٩٣	١٤٤ قبة الثنايا وعندها سيدات مصرات	٣٢٤	١٢١ ... مسجد الخيف مصغرا ...
	١٤٥ « » وعندها الضباط والعسكر ...	٣٢٣	١٢٠ ... خريته مئى ...

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
٤٢٦	١٧٠	بقيع القرد ...	٣٩٣	١٤٦	جبل أحد رسم سعودى افندى ...
	١٧١	البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية ...		١٤٧	داخل مسجد قباء به القبة والشرفات
٤٣٢	٣٣٠	دورق مياه مما فى المسجد النبوى ...	٣٩٧	١٤٨	مسجد قباء به العسكر وإبراهيم بك مصطفى وعلى بك إسماعيل الخ
	١٧٢	معسكر الحمل بالدادية بالمدينة ...		١٤٩	مسجد السيدة فاطمة ويقال له مسجد الشمس بعوالى المدينة .
٤٣٩	١٧٣	اجتماع من أهل المدينة بمنزل السيد الحيشى	٣٩٨		مسجد قباء من الشمال والشرق ...
٤٣٨	٣٢٥	آثار قصر سعيد بن العاص ...		١٥٠	منظر اخراج المياه من بئر الخاتم بقباء ...
	١٧٤	خريطة المسجد النبوى ملونة ...		١٥١	» » » » سواقى المدينة
٤٤٨	١٧٥	« بواكى » المسجد النبوى ...	٣٩٩	١٥٢	ساقية بالبقيع بها بقرتان ينظر اليهما سعودى افندى .
	١٧٦	حمام الحمى بالمسجد النبوى ...		١٥٣	نجل سلطان المكلة والشجر عمر بن عوض القعيطى .
٤٥٠	١٧٧	قسم من المسجد النبوى رسم من الجهة الشمالية		١٥٤	محمد بن غالب نجل ولى عهد المكلة والشجر .
	١٧٩	قسم من المسجد النبوى رسم من الجهة القبلىة وبه درابزين نحاس .	٤٠٢	١٥٥	كتاب نجل سلطان المكلة للولف ...
٤٥١	١٧٨	قبة النبي صلى الله عليه وسلم ومعها المنذنة الرئيسية	٤٠٦	١٥٦	خريطة المدينة وما حولها ...
	١٨٠	الروضة بها النجفة الكبيرة ...	٤٠٨	١٥٧	أكبر فندق بالمدينة ...
٤٦٠	١٨١	أحد الأغوات بالمسجد النبوى ...	٤٠٩	١٥٨	منظر المدينة من الجهة الغربية الجنوبية .
	١٨٢	أغا آخر » » ...	٤٠٨	١٥٩	منظر المدينة من جهة الباب الشامى ...
٤٧٩	١٨٣	قبة النبي صلى الله عليه وسلم وثلاث مآذن	٤١٣	١٦١	خريطة المدينة المتورة ...
٤٦٩	١٨٤	الروضة الشريفة وفيها المحراب النبوى	٤١٢	١٦٠	مسجد القباتين ...
	١٨٥	محراب عثمان بن عفان ...	٤١٤	١٦٢	مسجد عروة ...
٤٧٠	١٨٦	المحراب السليماني العثماني ...		١٦٣	خارج باب قباء ...
٤٧٦	١٨٧	كسوة الحجر النبوية من الداخل ...	٤٢٠	١٦٤	مسجد سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه .
٤٧٥	١٨٨	قسم من الروضة والحجرة به الستائر ...		١٦٥	مسجد سيدنا على رضى الله عنه ...
٤٧٧	١٨٩	باب الرحمة بالمسجد النبوى ...	٤٢٢	١٦٦	مصلى الأعياد بالمناخة بالمدينة ...
	١٩٠	باب السلام بالمسجد النبوى ...		١٦٧	منظر المدينة من فوق تكية محمد على باشا
٤٧٩	١٩١	مآذن المسجد النبوى وبالرسم السور من الجهة الشرقية	٤٢٢	١٦٨	واجهة تكية المدينة المتورة ...
٤٨٥	١٩٢	قصر عبله فى طريق الوجه ...	٤٢٤	١٦٩	



محمد الخامس



Sa Majesté Fouad I.
Roi d'Egypte

تصوير المستر هنري لمان بمصر

تقديم الكتاب

الى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم فؤاد الأول
أيد الله ملكه

مولاي

لقد تسامى عصركم على الأعصار . وزهت مصر في عهدكم على الأقطار فهذه
نهضة العلوم والمعارف قد استوت . وتلك أفنانها قد اهترت وربت . وأكمامها قد
تفتحت فأتت أكلها ضعفين . بهمة مليكها . شبل اسماعيل ومحيي مجد وادي النيل .
وتلك مكة أم القرى . وطيبة مقر الهدى . والبيت المعمور وما اليها من
معاهد . بارك الله حولها . وشاد في القرآن بذكرها . بجعلها مثابة للناس وأمنا .
تلك المعاهد . تسدي اليك يا أبا الفاروق : شكران من حباها جلالته وآباؤه الغر
الميامن بفيض كرمهم وأسبغوا عليها وفيهم نعمهم . ونفروا خفافا لنصرتها فلما جأر
الحجاز : رب أنى مسنى الضر . كان أسرع الأقطار لتأييده واعزازه مصر وما مصر
إلا ماثر آبائك الصيد ومكارم كل غضنفر كبير القلب حديد قد اشترى الله منهم
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الذكر الحميد في اعلاء شأن الاسلام والمسلمين .

فقد يما حمى جدكم الأعلى حمى الحرمين . وعنى بقداسة القبليتين ثم درج
على سنته أبوكم ابراهيم فاذا بتلك الأقطار وقد أمنت مسالكها وسملت مباركها
ومهايعها .

وجاءت رعايتكم السامية في أزمانكم الزاهية مصدقة لما بين يديها من عطف
سام على الحرم الأقدس وعناية ملكية بالأثر الأشرف :

من لكم ولآبائكم خلدات * وأياد على الدهر باقيات

يحفظها لجلالتكم المسلمون بين طيات قلوبهم . ويردها المجيح في عرفة
يوم الحج الأكبر . وينقشها الزمان على جبين الكعبة تفيض نورا وتحدث عن
ما أثركم أضائل وبكورا .

وهذا كتاب حملني على تأليفه حب شغف به قلبي لتلك البقعة المباركة التي أنزل
الله فيها على عبده الكتاب فدرج فيها الدين وأشرق منها شمس الهداية على العالمين
جمعه وأنا أتشرف كل عام بايصال رفد بيتكم بيت اسماعيل وابراهيم الى بيت رفع
قواعده ابراهيم واسماعيل ، وبالسفارة بين موالى وملوكي الأخيار وبين ساكن الروضة
الشريفة المعطار .

وليس فيه إلا كل نقيية من نقائب المجد لديكم ومحمدة تنطق بالثناء عليكم فهو
منكم واليكم والحمد لله ان جاء مرآة صادقة للشاعر الطاهرة وصورة حقيقة برسومه
الوافرة .

وإني أرفعه لسدتكم العلية وأنزله بساحتكم السنية كلاً الله ذاتكم وحاط باليمن
أيامكم ورعى بتوفيقه سمولى العهد المحروس آمين

العبد المخلص المطيع لجلالتكم

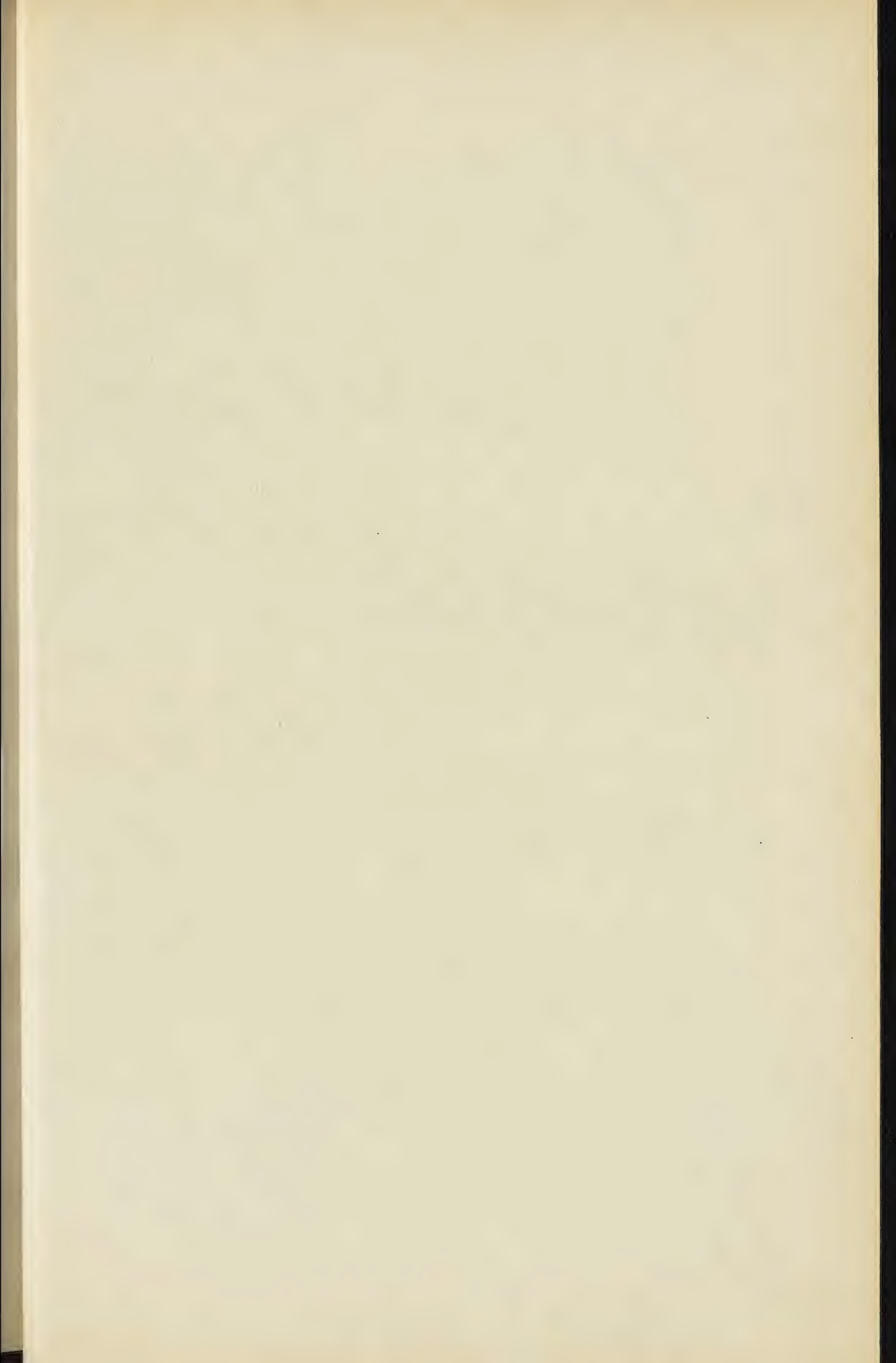
(اللواء) ابراهيم باشا رفعت

مرآة الحرمين

أو

الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية

الجزء الأول







LEWA IBRAHIM REFAAT PACHA

EX O. C. H. H. BODY GUARD
EMIR EL HAGG, YEAR 1325 H.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(١) (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) (البقرة)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (١٣٠) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنِي أَكْثَرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٣١) رَبَّنَا إِنِّي أَتَّكَلْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (١٣٢) (إبراهيم)

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٣٣) وَادْخُلْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (١٣٤) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَوَّلَ الْأَنْعَامِ الْفَقِيرَ (١٣٥) (١٣٦)

(١) أرقام الآيات حسب ما جاء في المصحف الذي تم طبعه في عهد صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر (٢) مكة المكرمة . (٣) أبعدني . (٤) جعلنا مكانه مباءة لإبراهيم ومرجعا يرجع إليه . (٥) وأعلم الناس بالحج . (٦) مشاة جمع راجل . (٧) بعير مهزول اتعبه بعد السفر فبهزله . (٨) طريق بعيد .

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ
حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ... ﴿٣٠﴾ (الحج)

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأُدْعُ إِلَى رَبِّكَ
إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ (الحج)

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا . وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا . وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ آل عمران . (قرآن كريم)

الحمد لله على ما هدى إليه من شعائر الدين ، وسنه من شرائع لإحياء العالمين
ومناسك يصمد إليها الدانون والقاصون ويتداعى إليها الموحدون ، نحمده على بيت
جعله مثابة للناس وأمنا ، وملاذا للاسلام وحصنا ، حيث به الأمة العربية وذاع
صيتها في الأقطار العجمية ، وطهرت به النفوس من أوزارها وضربت فيه إلى ربها
فأفاض عليها من الهدايات الروحية والكمالات الخلقية والمنافع الدنيوية والأخروية ،
ما لا يدخل تحت الضبط ولا يحصره العد . والصلاة والسلام على هادى الأمم من
غوايتها ، ومنقذها من ضلالتها ، والآخذ بها عن اللطم إلى السبيل الأمم محمد بن عبد الله^(٧)
مظهر البيت من الأوثان ، والناشر على ربوعه راية السلام الذى وحد بين المسلمين
في المنسك وسن لهم سنة التعارف على اختلاف أجناسهم ، وتباين لغاتهم وتباعده
أقطارهم ، فكانت بذلك وحدة لا تنقسم العرا ، وألفة لا يدركها البلى ، مادام المسلمون

(١) أى ليزيلوا وينتقم بقص الشارب والاضطفار وتطهير النفوس من أدران المعاصي .

(٢) مبتعدا يقصدون اليه . (٣) مكة . (٤) موضع قيامه وهو بينى البيت .

(٥) يقصد . (٦) الذنوب . (٧) الوسط .

بما هداهم إليه متمسكين، وبجبل الله معتمدين وبسنة رسوله مؤتسين، وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وارتسموا طريقه . (وبعد) فيقول «اللواء إبراهيم باشا رفعت» (في الرسم ١) : كنت ولوعا بالحج شغوفاً بأداء هذا الفرض متضرعاً إلى الله أن يوفّقني لرؤية بيته الحرام وما اكتنفته من المناسك، فنّ على بالإجابة بعد الإجابة^(١) وبارك في دعوتي كما بارك لإبراهيم في دعوته الطيبة التي أحيت أمة إلى يوم القيامة وعمرت قطرها الجذب ونشرت فيه المدنية الصادقة والشرعة القائمة، فعينت في سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) رئيس حرس المحمل (قومندان) فرأيت أن نعمة الله على لا يفي بشكرها إلا تدوين رحلي من أوّل خطوة فيها إلى آخر خطوة وإنراجها للناس لينتفعوا بها وليستضيئوا بنورها إذا حجّوا إلى البيت الحرام أو قصدوا الجزيرة فلم أدع صغيرة ولا كبيرة مما رأيت أو سمعت إلا قيدتها، غير أنني كنت أرى مناظر جميلة وآثاراً ثمينة ومشاهد مهما دققت في وصفها لا أصل بك إلى الحقيقة ولا أدخل من الروعة في نفسك ما تدخله المشاهدة والرؤية وكنت أتمنى مصوراً ماهراً يحبس ما نرى من المناظر وكنت أودّ أن أكون ذلك المصوّر فلما رجعت من حجّتي الأولى تعلمت فن التصوير وجعلته مسلاً في وقت فراغي ونزعت نفسي إلى حجة أخرى أقيد فيها الصور فأنا إلى الله بغيّتي ومنّ على منة أخرى في سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٣ م) إذ عينت أميراً للحج فكتبت على نفسي أن أسلك سبيلي الأوّل في تقييد كل ما أجد وتصوير كل ما يقع عليه النظر حتى أضيف إلى إخبارك — أرشدك الله — المشاهدة فيتمتع السمع والبصر كأنك تشاهد الأماكن المقدسة عن كُشْب . ومنّ على^(٢) بحجة ثالثة في سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) فكنيت فيها أميراً للحج . وغمرني بعد ذلك بحجة رابعة عينت فيها أيضاً أميراً للحج سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٨ م) فتلك حجّات أربع

وإنها لنفحة كبيرة ومنحة جلية تستدعى شكرا جزيلا وثناء عريضا وما ذلك الا بسط ما رأت عيني وسمعت أذنى للناس فى ثوب قشيب ومنظر بهيج فتقدمت الى المسلمين بهذه الرحلات المصورة التى حوى كل منها ما لا يغنى عن الأخرى إذ كان من حسن حظى أنى سلكت كل مرة من مكة إلى المدينة طريقا غير التى كنت أسلكها من قبل فظفرت بمعلومات قيمة عن أرض الحجاز لا أظنك تظفر بجملتها فى كتاب آخر .

ولقد كان من أكبر البواعث على إخراج هذه الرحلات وتكلف النفقات الباهظة فى سبيلها أنها أبين شرح لفرض من فروض الدين وأصدق لسان يصف مهد النبوة ومبعث التشريع وأنها لتكشف لك عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأما كن التى شرفت به حتى كأنك تراها رأى العين .

وقد رأيت أن أذكر الرحل الأربع حسب ترتيبها فى الموضوع ولما كانت السنة الأولى خالية من المناظر رأيت أن أضيف إليها من مناظر السنين الأخرى إذ هى أول ما تقرأ وأوسع ما خط كما رأيت أن أشبع الكلام على كل مكان شهير أو أثر عظيم أو أمر خطير يأتى ذكره فى الرحلة فى فصول مستقلة .

وأسأل الله سبحانه أن يجعل عملى خالصا من الرياء وأن ينفع به المسلمين .
فى مشارق الأرض ومغاربها ﴿هُوَ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .

الرحلة الاولى

سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م

الأعمال التمهيدية قبل سفر المحمل

أمير الحج وقوة المحمل العسكرية - صدرت إرادة سنية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ (٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠) بتعيين إسماعيل صبرى باشا الطوبجى أميرا للحج وصدر أمر عسكرى بتاريخ ٥ ذى القعدة بتعيينى رئيسا (قومندان) لحرس المحمل وأمر آخر فى التاريخ نفسه بتعيين ١٨٠ ضابط وصف ضابط وعسكرى حرسا للمحمل وكان الضباط ستة، هم رئيس المائة (اليوزباشى) عبد الوهاب حبيب افندى من المشاة (البيادة) ورئيس المائة سليمان كامل افندى الطبيب، والملازم الأول ابراهيم أحمد افندى من المشاة، والملازم الأول اسماعيل كامل افندى من المدفعية (الطوبجية) والملازم الأول أحمد كامل افندى من الخيالة، والملازم الثانى محمد كامل افندى من المشاة ومن ضمن العسكر ١٤ موسيقيا .

ركب المحمل - صدرت إرادة سنية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ بتعيين محمد سليمان بك أمينا للصرة وقررت وزارة المالية تعيين الشيخ يوسف المرجاوى إماما للمحمل، وحسن حلمى افندى كاتباً أول للصرة، وسعيد أحمد افندى كاتباً ثانياً وحسن قاسم افندى كاتباً للقسم العسكرى وإمارة الحج، ومحمود يوسف افندى صرافاً للصرة، والسيدة صالحة افندى طبيبة، وجملة من كان فى خدمة المحمل فى هذه السنة ٧٣٣ ما بين ضباط وعسكر وموظفين وتوابعهم وقادة الجمال والخيول وحاملى المصابيح (المشاعل) والسقائين والفراشين والزامرين (الفريحية) ولم يكن مع المحمل أحد من الأهالى غير عماله وأتباعهم .

صرة المحمل — كانت النقود التي أودعت صرة المحمل في سنة ١٣١٨ هـ وسلمت لأمين الصرة بمقتضى إشهاد شرعى رسمى عمل بمحضر ناظر المالية وأمير الحج وأمين الصرة وصرافها وصراف من المالية ومندوب من قبل حضرة صاحب الفضيلة قاضى قضاة مصر كما يأتى :

مليم	جنيه مصرى	وينتو	جنيه مجدى	ريال	بطاقه	ريال	مصرى	قرش	مليم
٥٠٠	١٤٢٧٦	٤٩	٣٥	٣٩٠٠٠	٢٩٧٢	٥٣٢٥	١	٥٩٦	١

وجملة ذلك بالجنيه المصرى والمليم ما يأتى :

١٨٨٩٣ ٢٦٢ ١/٤ — أى ربع مليم واثنان وستون ومائتا مليم وثلاثة وتسعون وثمانمائة وثمانية عشر ألفا من الجنيهات المصرية .

والمبالغ المذكورة تشمل مرتبات رجال المحمل جميعهم مدة ثلاثة شهور وهى المدة المقدرة لسفر المحمل ومرتب أمير مكة والمقدر لأشرافها وللعربان ولتكتي مكة والمدينة وجميع النفقات الأخرى اللازمة من أجرة جمال وثمان علف للدواب الخ — أنظر مالية المحمل فى آخر الكتاب .

الكسوة ووصفها — جرت العادة أن يكتب إشهاد شرعى بتسليم الكسوة من مأمور تشغيلها الى المحمل (من فى عهده المحمل والكسوة) ليوصلها الى البيت الحرام ويذكر فى هذا الإشهاد أجزاء الكسوة وأوصافها وقد رأينا أن ثبت هنا نص الإشهاد الشرعى الذى حرر فى سنة ١٣٣١ اذ هو أثر تاريخى يعرف منه القارئ تفاصيل الكسوة ومادتها وهى لا تختلف فى سنة عنها فى أخرى الا فى جودة ما تصنع منه واليك نص الإشهاد ،

بمحكمة مصر الكبرى الشرعية فى يوم الثلاثاء خامس عشر القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف الموافق ثانى فبراير سنة أربع وتسعمائة وألف أذن فضيلتو قاضى افندى مصر حالا لحضرة العلامة الشيخ محمد ناجى أحد أعضاء المحكمة المذكورة بسماع ما يأتى ذكره فيه ولسكاتيه هما الشيخ محمد سعيد ومحمد مصطفى افندى

الكاتب كلاهما بالحكمة المذكورة بكتابة ما يأتي ذكره فيه فلدى حضرة العضو الموصى اليه بحضور الكاتبين المذكورين بالمجلس المنعقد بمسجد سيدنا ومولانا الامام أبي عبد الله الحسين رضى الله تعالى عنه الكائن بمصر المحروسة بالقرب من خان الخليل والجامع الأزهر بقسم الجمالية فى الساعة العاشرة صباحا من اليوم المرقوم أشهد على نفسه الحاج محمد أحمد المحاملى الساكن بالدرب الأصفر بالقسم المذكور ابن المرحوم أحمد مصطفى بن مصطفى شهوده الإشهاد الشرعى وهو بأكل الأوصاف المعتمدة شرعا أنه قبض واستلم واستوفى ووصل اليه من حضرة عبد الله فائق بك مأمور تشغيل الكسوة الشريفة حالا الساكن بشارع المحجر بقسم الخليفة بمصر ابن المرحوم اسماعيل بك ابن المرحوم ابراهيم الحاضر هو معه بهذا المجلس جميع كسوة بيت الله الحرام المشتملة على ثمانية أحزمة وأربعة رنوكه — أى دوائر — مركبة على حملين من الثمانية أحمال الآتى ذكرها فيه ، مزركشة الثمانية أحزمة والأربعة رنوكه المذكورات بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر المبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن المركبات الثمانية أحزمة المذكورة على ثمانية أحمال حرير أسود مكتوب ومبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن ، اثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما تسعة أثواب كل ثوب منها طوله ستة وعشرون ذراعا بالذراع البلدى طول كل ذراع منهما سبعة وخمسون سانتى متر وكسور من السانتى ، واثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما ثمانية أثواب من الأثواب المذكورة ، والأربعة أحمال باقى الثمانية أحمال المذكورة اثنان منها سبعة أثواب ونصف من الأثواب المذكورة والاثنان الباقيان كل منهما ستة أثواب ونصف من الأثواب المذكورة . وستارة بيت الله الحرام المعبر عنها بالبرقع المزركشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندق الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر المبطنة بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر بها خمسة شراريب حرير أسود وقصب وكتير وخيش وستة أذرة (كذا) فضة مطلية بالبندق الأحمر ، واثنى عشرة شرابة صغيرة حرير أحمر وقصب وكتير واثنى عشرة شمسية

مزر كشة على الحرير الأحمر . وكسوة مقام سيدنا ومولانا ابراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم المبطنة بالفت الأبيض المزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر، بها أربعة شراريب حرير أسود وقصب وكثير وخيش وعشر شمسيات مزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأحمر وعشرة شراريب صغيرة حرير أحمر وقصب وخمسة أذرة فضة مطلية بالبندقى الأحمر بها سيق قطن شبكة بقيطان قطن وأذرة شراريب من قطن هندی أحمر وأصفر وبها تتر أحمر . وكيس مفتاح بيت الله الحرام المزر كش بالخيش الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الأطلس الحرير الأخضر به تتر ملون وكثير أصفر مبطن بالأطلس الحرير الأخضر به شرابتان قصب وكثير وقيطان قصب . وستارة باب سطح بيت الله الحرام المعروف باباب التوبة داخل بيت الله الحرام المزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الأخضر بها تتر . وستارة باب مقصورة سيدنا ومولانا ابراهيم الخليل المشار اليه المزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأخضر والأحمر، بها خمسة أذرة فضة مطلية بالبندقى الأحمر وعشر شمسيات مزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر على الأطلس الحرير الأحمر، بها عشرة شراريب صغيرة حرير وقصب المبطنة بالفت الأبيض والأطلس الحرير الأخضر . وستارة باب منبر الحرم الشريف المكي المزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأخضر المبطنة بالفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر وثلاثة مجاديل — أى حبال قطن — احتياج تعليق الكسوة الشريفة على بيت الله الحرام وإحدى وأربعين عصفورة — أى حبل قطن مجدول — احتياج الحلق وغلايتين من النحاس مغطاتين مملوءتين بماء الورد الباش احتياج غسيل بيت الله الحرام حسب المعتاد قبضا وتسلما واستيفاء ووصولاً شرعيات حسب اعتراف المشهد المذكور بذلك يوم تاريخه بهذا المجلس

بمحضور كل من سعادة إبراهيم رفعت باشا أمير الحج الشريف الساكن بالدويدارى
بقسم الدرب الأحمر ابن المرحوم سويفى بن المرحوم عبد الجواد ، وحضرة أحمد
زكى بك مدير الأموال المقررة بنظارة المالية المصرية حالا وأمين الصرة الشريفة
فى هذا العام الساكن بشارع الظاهر بقسم الأزبكية ابن المرحوم السيد يوسف
الحلبى ابن المرحوم السيد عثمان الحلبي ، وحضرة السيد محمود البلاوى شيخ مسجد
ومقام سيدنا ومولانا أبى عبد الله الحسين رضى الله تبارك وتعالى عنه الساكن بحارة
المناصرة بقسم الموسيقى ابن حضرة العلامة الهمام السيد الشريف على البلاوى شيخ
الجامع الأزهر الشريف حالا نجل المرحوم السيد محمد البلاوى ومحمد عمر افندى
الكاتب وأمين مخزن مصلحة الكسوة الشريفة الساكن بشارع مصر القديمة ابن عمر
ابن محمد العارف كل منهم للشهد المذكور عينا واسما ونسبا وأنه الحاضر بهذا المجلس
واتصافه بالأوصاف المعتمدة شرعا وعلى المشهد المذكور الخروج من عهدة ذلك جميعه
وتسليمه لمن له ولاية تسلم ذلك بمكة المشرفة حسب المعتاد فى ذلك ، صدر ذلك
بمحضور وشهادة من ذكر أعلاه تحريرا فى يوم الأربعاء سادس عشر القعدة المذكور
الموافق ثالث فبراير المرقوم . هـ .

ويعطى لمحرر الاشهاد الذى يتدبده قاضى قضاة مصر ٣ جنيهات و ٢٨٠ مليم
منها ٨٨٠ مليم نقدية و ١٤٠ قرش ثمن فروة و ١٠٠ قرش ثمن فرجية جوخ .

الاحتفال بالكسوة

فى يوم ٢٧ شوال سنة ١٣١٨ (١٦ فبراير سنة ١٩٠١) احتفل فى القاهرة
بكسوة الكعبة المشرفة بالطريقة الآتية :

فى يوم ٢٦ شوال أتى بالمحمل من مقره بوزارة المالية ونقل داخل صناديق
على عجلة الى « وكالة الست » بالجمالية حسب المعتاد من قديم ونقل جزء من
كسوة الكعبة مع أحزمتها الحريرية المزركشة بالقصب ^(١) من مصنعها بالخرنفش الى

(١) خيوط من الفضة طليت بالذهب .

المصطبة بميدان صلاح الدين المعروف بميدان القلعة أو ميدان محمد علي وفي عصر هذا اليوم احتفل رسمياً بنقل كسوة مقام الخليل إبراهيم عليه السلام، والجزء الباقي من كسوة الكعبة من مصنعها بالخرنقش الى ميدان صلاح الدين السابق ، وكان نقل الكسوة على أكتاف الجمالين يحيط بها رجال الشرطة ويتقدمها قسم من الجيش مابين راجل وراكب معهم الموسيقى تصدح بالأغنام المطربة ويصحبه أرباب المزمار البلدى المعينون للسفر بصحبة المحمل ، وكذلك تقدم الكسوة مدير مصنعها — مأمور الكسوة — ممتطيا جواده مرتديا لباسه الرسمي — بذلة التشريف الكبرى — وعلى يديه مبسوطتين كيس مفتاح الكعبة (في الرسم ٢) . ويتلو كسوة الكعبة كسوة مقام الخليل محمولة على الأكتاف أيضا، وسار الموكب بهذا النظام من المصنع الى «سبيل كتحدا» القريب من النحاسين حيث التقى به المحمل بكسوته الخضراء المعتادة آتيا من «وكالة الست» بالجمالية على ظهر جمل ، فسار وراء كسوة المقام وسار الموكب كله الى النحاسين فالغورية فباب زويلة (بوابة المتولى) فالدرب الأحمر فالتبانه فالبحر فميدان صلاح الدين حيث أقيم هناك الاحتفال فوضع المحمل مع الكسوة في المحل المقابل لردهة (الصالة) الاستقبال حتى الصباح ووضعت كسوة المقام وسط الردهة المذكورة التي زينت جدرانها بقطع من كسوة الكعبة وأحزمتها القصبية وكيس مفتاح الكعبة وستارة بابها وباب التوبة ، ووضع حول كسوة المقام أربع مائلات (شمعدانات) من الفضة أحضرت من جامع القلعة ، ووضع بحجرة المحافظ التي بالجهة الغربية من ردهة الاستقبال أربع قطع يقال لها (كرداشيات) (في الرسم ٣) زينت بها جدران الحجر ، وقد أحيت المحافظة الليلة المعقبة لهذا اليوم بتلاوة آي القرآن الكريم وإنشاد المنشدين في مكان شرق مكان الاحتفال ودعت العلماء والكبراء والأعيان لمشاركتها في إحياء الليلة ، ومنهم من دعتهم لتناول طعام العشاء قبل الغروب ، ومنهم من دعى للإحياء بعد صلاة العشاء فحسب كما أنها دعت مشايخ الطرق من الرفاعية والسعدية والأحمدية والإبراهيمية واليومية والقادرية والشاذلية

جزء من كسوة الكعبة فيه البسملة والصلاة



3. A view of a part of the carpet of El Kaaba containing a story from the Koran.



2. The bag containing the key of the Kaaba.



1872-73

حَفْلَةُ تَوَدِّعِ الْمَحْمَلِ لَنَا الْقَائِمِ بِصَرْفِ



بِالْمَحْمَلِ الْمَقَامِ فِي الْقَائِمِ بِصَرْفِ

4. The farewell of the Mahmal at Citadel Square in Cairo.

الْمَحْمَلِ الْمَقَامِ فِي الْقَائِمِ بِصَرْفِ



5. The Mahmal in the Railway Station of the Ismailia.

بِالْمَحْمَلِ الْمَقَامِ فِي الْقَائِمِ بِصَرْفِ

للسير أمام المحمل والكسوتين وللشاركة في إحياء هذه الليلة التي أنفق فيها مائة جنيه مصرى ، واستمرت الحفلة الى ما بعد نصف الليل حيث جمعت قطع الكسوة التي في الردهة وفي حجرة المحافظ مع كسوة المقام ، ووضع كل ذلك مع المحمل في المكان المقابل لردهة الاستقبال .

وفي صباح هذه الليلة احتفل بالكسوة والمحمل إحتفالاً فخماً في ميدان صلاح الدين حضره سمو الخديو والوزراء والعلماء والأعيان ، وأطلق للخديو ساعة حضوره واحد وعشرون مدفعاً وصدحت الموسيقى بسلامه ثلاثاً أعقبها الضباط والعساكر والحضور في كل مرة بالهتاف لسموه (افند من جوق يشا) (يعيش افندينا طويلاً) وكان الخديو والحضور ساعة ذلك رافعي أيديهم الى جباههم بالسلام ثم استراح جنباً مع الحضور قليلاً في بهو (صاله) الاستقبال مشاهداً دورات المحمل السبع المعتادة في الفناء الواسع الذي أمام البهو وكان يقود حمل المحمل مدير مصنع الكسوة الذي قدّم المقود الى سمو الخديو فقبله وناولته قاضى القضاة فقبله أيضاً مع بعض الحضور ثم أعاده الى المأمور الذي ينتظر بالمحمل قبالة الجامع المعروف بالمحمودية بالميدان ريثما يتم استعراض الكسوة ، ثم عرضت الكسوة يحملها الخفراء على سموه وقد وقف خارج الردهة مع الوزراء والحضور، والخفراء يملكون بها من أمامهم حتى إذا ما انتهت استعرض الجيش ثم أطلق واحد وعشرون مدفعاً إيذاناً بانتهاء الحفلة (في الرسم ٤) وانصرف الخديو والحضور ثم سير بالكسوتين والمحمل الى مسجد الحسين رضى الله عنه يصحبها رجال الجيش والشرطة وأرباب الطرق وفي المسجد استقبال الكسوتين أمير الحج وأمين الصرة وكانا قد سبقا الناس الى المسجد وهناك ضمت بالخياطة قطع الكسوة بعضها الى بعض ثم نقلت الى العباسية مع كسوة المقام في صناديقها المعدة لها استعداد السفر بهما الى الحجاز بعد . أما المحمل فسير به من المسجد الحسيني الى مصنع الكسوة بالخرنقش وبقى هنالك الى صبيحة يوم الاحتفال

(١) لا يخفى عليك أن هذه الأعمال ليست من الدين في شيء وربما كان مبرراً لها أنها تهيج النفوس

بمخرج المحمل الى الأقطار المجازية ، ففي صبيحة هذا اليوم احتفل بنقله من المصنع الى ميدان صلاح الدين ولكن من طريق سوق السلاح ، وفي ضحوة ذلك اليوم ١٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٤ مارس سنة ١٩٠١) عمل احتفال بالميدان المذكور كاحتفال السابق وسلم فيه عبد الله فائق بك مدير مصنع الكسوة زمام المحمل الى سمو الخديو وسموه سامه للأمير الحج حيث قاده محفوفاً برجال الشرطة والجيش وأرباب الطرق الى العباسية ليسافر من هنالك الى السويس فمكة مع الكسوتين والروائح العطرية والخرق الحديدية التي تغسل بها الكعبة .

سفر المحمل وركبه من القاهرة الى جدة

قبل سفر المحمل من القاهرة ببضعة أيام دعت مصلحة السكة الحديدية سعادة أمير الحج اسماعيل صبرى باشا الطويحي لتتعرّف منه العربات اللازمة فى قطارى البضاعة والركاب اللذين يقلان المحمل وركبه وأمتعته من القاهرة الى السويس فاتفق معها على أن يكون قطار الأمتعة مؤلفاً من ثمان عربات مغطاة وثلاث مسطحة وخمس مجنبة وسبع للحيوانات وقطار الركاب منظوماً من مركبتين للدرجة الأولى وآخرين للثانية وثمان للثالثة وثلثين للحيوانات .

وفى ليلة الخامس عشر من ذى القعدة سافر قطار البضاعة من العباسية يحمل الكسوتين وما يتبعهما وأمتعة المسافرين بصحبة المحمل من خدام وعسكر وقادة إبل وضوئية وفراشين وسقائين . وقد انتقدت الشحن بأن خدام المحمل أسرعوا بشحن أمتعتهم حينما وصل القطار وشغلوا بها أكثر العربات فلما حضر العسكر لشحن أمتعتهم وجدوا أكثر العربات مشغولاً فاضطروا الى إخراج بعض أمتعة الخدم حتى يخلوا لأمتعتهم عربات خاصة وفى ذلك من المشقة ما لا يخفى فلو أن (القومندان) عين ضابطاً ذا مقدرة ونباهة وفطنة وكياسة لتقسيم العربات بين الخدم والحرس وتمييز عربات كل فريق وتنفيذ ذلك بالدقة لما هرول أولئك الخدم المتمرنون على الشحن

وشغلوا معظم العربات بامتعتهم ، وكذلك ينبغي أن يعمل هذا النظام بالباخرة البحرية فيعين لكل طائفة أماكن خاصة ويراقب الرئيس تنفيذ ذلك فلا يعتدى قوى على ضعيف ولا يسبق المتمرن غيره الى خير الأماكن بل تكون سواسية بين الجميع .

وفي صبيحة يوم ١٥ ذى القعدة (٦ مارس) سافر قطار الركاب في منتصف الساعة الأولى العربية من العباسية يقل المحمل والأمير والموظفين وبقية الحرس وأتباعهم من الأهالى ، وقد وقف القطر بمحطات القاهرة وطوخ وبنها والزقازيق وأبى حماد ونفيسة والاسماعيلية وفيد ، وقد كان الأهالى ومشايخ الطرق وطلبة المدارس بنين وبنات ينتظرون المحمل في محطات الوقوف ومعهم الموسيقى والمزمار البلدى . ومما رأيناه من عادات الأهالى إحضارهم أولادهم الرضع ليروا المحمل ويلمسوه فيبارك لهم في ذريتهم وكانوا اذا لم يستطيعوا لمسه قذفوا بمناديلهم الى خدام المحمل بعد أن يضعوا فيها شيئا من النقود أو يملؤوها باللحوم البيضاء أو الفطير فيأخذ الخدم ذلك منها ويردونها الى أربابها بعد إمرارها على المحمل ، والذي دعا العامة الى ذلك ما يعلمونه من أن المحمل يوضع داخل المسجد الحرام كما يوضع فى المقصورة النحاسية التى حول قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ما دام بالمدينة فيريدون التبرك بمحمل يزور الأماكن المقدسة ، ولما كان التمسح بالقبور منبها عنه فى الشرع كان الاجدر بالناس أن لا يتمسحوا بما يوضع على الأضرحة من باب أولى وخلق بالمسلمين خاصتهم وعامتهم أن تتفق عاداتهم مع آداب دينهم وهاك المحمل فى عربته بالاسماعيلية (فى الرسم ٥) .

وقد وصلنا السويس فى اليوم نفسه فى الساعة السابعة العربية والدقيقة ٤٥ وكانت المحطة غاصة بالنظارة (المتفرجين) ورجال الشرطة مصطفىين على الافريز وفى مقدمة الجميع سعادة المحافظ والموظفون وقد أطلق ساعة وصول القطر ٢١ مدفعا من قلعة السويس وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى وهتف الحضور بالدعاء المعتاد لولى النعم (أفند من جوق يشا) وتقدم سعادة المحافظ الى أمير الحج وأمين الصرة مهتئا لها بالوصول ثم تقرر أن يكون الاحتفال بموكب المحمل فى منتصف

الساعة الحادية عشرة العربية من اليوم نفسه . ولما حان هذا الموعد اصطف حرس المحمل ورجال الشرطة صفين متقابلين بالقرب من المحطة وكذلك العساكر القائمون بمنع تجارة الرقيق اصطفوا بهجانهم صفين وجعل المحمل بينهما ثم سار الموكب بهذا النظام يتقدمه أمير الحج وعلى يمينه المحافظ وعلى يساره أمين الصرة ، والعامه ، وأرباب الطرق من دون ذلك ، وبعد أن طاف بشوارع المدينة كالمعتاد وقف حيث بدأ وإذ ذاك أطلق حرس المحمل ٣١ مدفعا رداً لتحية القُدوم ، وبعد السلام الخديوى انفرط عقد الحفلة وشحن المحمل بقطار السكة الحديدية الى محطة حوض السويس التى بتنا بها الى الصباح وباتت أسر موظفى المحمل بحجر الباخرة .

وفى صباح يوم الخميس ١٦ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٧ مارس سنة ١٩٠١) أنزلت الأمتعة والكسا والمحمل (فى الرسم ٦) الى باخرة النجيلة المخصصة لنقل المحمل وركبه الى جُدّة وقد قام بتفتيش الباخرة سعادة المحافظ ومنسوب من شركة البواخر الخديوية ورئيس الحرس ولما تيقنوا بخلوها من مختبئين لا يحملون جواز سفر صرح للحجاج والحرس بالنزول اليها . ومما لاحظته على الباخرة أن أماكن الدرجة الثالثة بها كانت دون حاجة المسافرين فكان الزحام فيها شديداً ومحل الحيوانات كان رديئاً جداً فان طوله لا يزيد على ١٥ متراً فى عرض الباخرة ، وارتفاعه متران تقريباً ولا يوجد به من النوافذ التى لا يزيد قطرها عن ٣٠ سنتيمتراً إلا نافذتان فى كل جهة ، وكان به ٤ حيوانا بين خيل وبغال وقد بلغ من ازدحام الحيوانات به أن العساكر ما كانت تتمكن من وضع العلف لها إلا بالسير من تحتها وأنها كانت تتصبب عرقاً بل تتساقط على الأرض من شدة الحرارة بالرغم من أننا وضعنا مروحة بحرية (منيعة) لجلب الهواء لها ، وقد تسبب عن ذلك ضعف الخيل وهزلها مع أنها مستريحة غير عاملة . وقد أخذ من كل حاج بالسويس ٣٣ ملياً ضريبة الحجر الصحى بها وقد استنفد ذلك كثيراً من وقت الحجاج ، فلو أن الحكومة أخذت هذه الضريبة مع ضريبة محجر الطور لأراحت الحجاج ووفرت عليهم وقتاً ضيعوه فى الدفع وتسليم الصكوك به . وفى منتصف الساعة التاسعة العربية من يوم الخميس أقلت الباخرة (بسم الله محريها

منظر زوال الحج إلى البحر بالسويس



منظر زوال الحج إلى البحر بالسويس
١٣١٦ هـ

[(6). A view of the Mahmal coming down the Sea in Suez



7. The Port of Gedda,



1871

1872

1873

1874

1875

1876

1877

1878

1879

1880

رجل وامرأة هندیان محرمان



رجل وامرأة هندیان محرمان

69. An Indian man and an Indian woman in pilgrimage (Ihram) Clothes.

ومر ساها) ميممة جدة فوصلتها في صبيحة ١٩ ذى القعدة (١٠ مارس) في الساعة الثانية العربية فنكون قد قطعنا المسافة بين السويس وجدة في ست وستين ساعة وهي ٦٤٦ ميلا. وقد كان البحر هادئا من وقت القيام الى مساء اليوم التالى ثم اشتدت الرياح وهاج البحر واستمر ذلك حتى جدة وقبل الوصول اليها بما يقرب من ست ساعات مررنا برايق على الشاطئ الشرق للبحر الأحمر وهناك أحرم المسافرون بعد أن اغتسلوا وحلقوا وقصوا الأظفار ولبسوا لباس المحرمين (الرسم ٦٩) فرفعوا أصواتهم بالتلبية « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

تجردت لما أن وصلت لرايق * وليت للولى كما حصل النداء
وقلت إلهى عندك الفوز بالمنى * وإنى فقير قد أتيت مجردا

والتلبية مطلوبة عند الاحرام بحج أو عمرة، وكلما علا مرتفعاً أو نزل منخفضاً وكذلك عند تلاقى الركبان ثم من الناس من أحرم بالحج ومنهم من أحرم بالعمرة وهم جميع الركب خلا أربعة وانما أثرنا العمرة لتحلل منها اذا وصلنا الى مكة وطفنا وسعينا بين الصفا والمروة فيحل لنا ما حرم علينا بالاحرام من لبس الخيط وكشف الرأس للرجال وتغطية الوجه للنساء والتطيب والحلق الخ ، وقد جرت العادة بأن السقائين والعكامة والفراشين والضوئية لا يحرمون ولا يؤثرون شيئاً من مناسك الحج فأمرهم الأمير بالاحرام، فأطاعوا مرغمين وأخذوا مما عندنا من « البفتة » ما يرتدون به للأحرام وكانوا قد خرجوا من مصر غير متأهين له دأهم في كل مرة وكذلك اشترت للحرس (بفتة) من القاهرة بنقود دفعوها فاتخذوا منها ملابس الاحرام فكنت ترى ركب المحمل من كبيره الى صغيره محرماً خلاف ما تعودوه في السنين الخالية ، ولهذا كان الناس معجبين بنا هذه المرة إذ رأوا فينا خطة جديدة هي عين ما رسمه الشرع الشريف وندب اليه .

(١) لبيك معناها إجابة بعد إجابة . (٢) طلبت في سنة ١٣٢٠ من المالية أن تشتري للعسكر ملابس الإحرام من مالها الخاص فأجابت .

وصول المحمل الى ميناء جدة

لما وصلت الباخرة مرفأ جدة لم يحضر الحاكم ولا أحد من قبله لتهنئة الأمير بالوصول حسب العادات المتبعة ولا سيما أن الباخرة بها أمير الحج وقسم عسكرى ينبغى احترامه ومساعدته فى نقل أمتعته وإرشاده الى المعسكر الذى ينزل به ، إنما حضر طبيب الحجر الصحى للكشف على راكبي الباخرة وأصحاب السفن الشراعية (السنايك) لينقلوا المسافرين وأمتعهم الى البر، وعند رسو الباخرة أطلقنا سبعة مدافع إيذاناً بالوصول ولم ترد علينا التحية الباخرة العثمانية الحربية الراسية بالميناء باطلاق المدافع كما هو المعتاد ((وَإِذَا حُيِّمَتْ نَحِيَّةٌ خَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها)) فكررنا التحية باطلاق ٢١ مدفعا وعزفت الموسيقى بسلام جلالة السلطان وأعقبته بالدعاء له ثلاثا ثم بسلام الحديد والدعاء له كذلك وبعد تلكؤ ردت التحية باطلاق المدافع من قلعة جدة .

نقل الأمتعة من الباخرة إلى ساحل جدة — الباخرة ترسو بعيدا عن الساحل بنحو ميلين لكثرة الشعب بالمرفأ كما ترى فى (الرسم ٧) وتقوم بنقل الحجاج وأمتعهم إلى البر سفن شراعية تسمى (السنايك أو القطائر) والأجرة المقدرة للسفن التى تحمل موظفى المحمل وأمتعته خمسة جنيهات مصرية وللنجارين (النوتية) الذين ينزلون الأمتعة الى السفن ويخرجونها منها الى البر جنيهان ومثلهما للحمالين الذين ينقلون الأمتعة من الساحل الى المعسكر «نصيبا مفروضا» أما الحجاج التابعون للمحمل فتنفقات النقل عليهم (انظر الميناء والقوارب فى الرسم ٨) .

عوائد الحجر الصحى وإجازة السفر — قضت قوانين الدولة العالية فى جدة بأن يؤخذ من كل حاج ثمانية قروش رسم الحجر الصحى (أنظر ديوان الكورنتينا فى الرسم ٩) وقرشان رسم إجازة السفر (فى سنة ١٣٤٢ هـ كانت الرسوم على كل حاج ٨٩ قرشا — الله يرحم المعداوى القديم) ويعطى لكل حاج صكان بما دفع



(8) Geddah and Harbour.

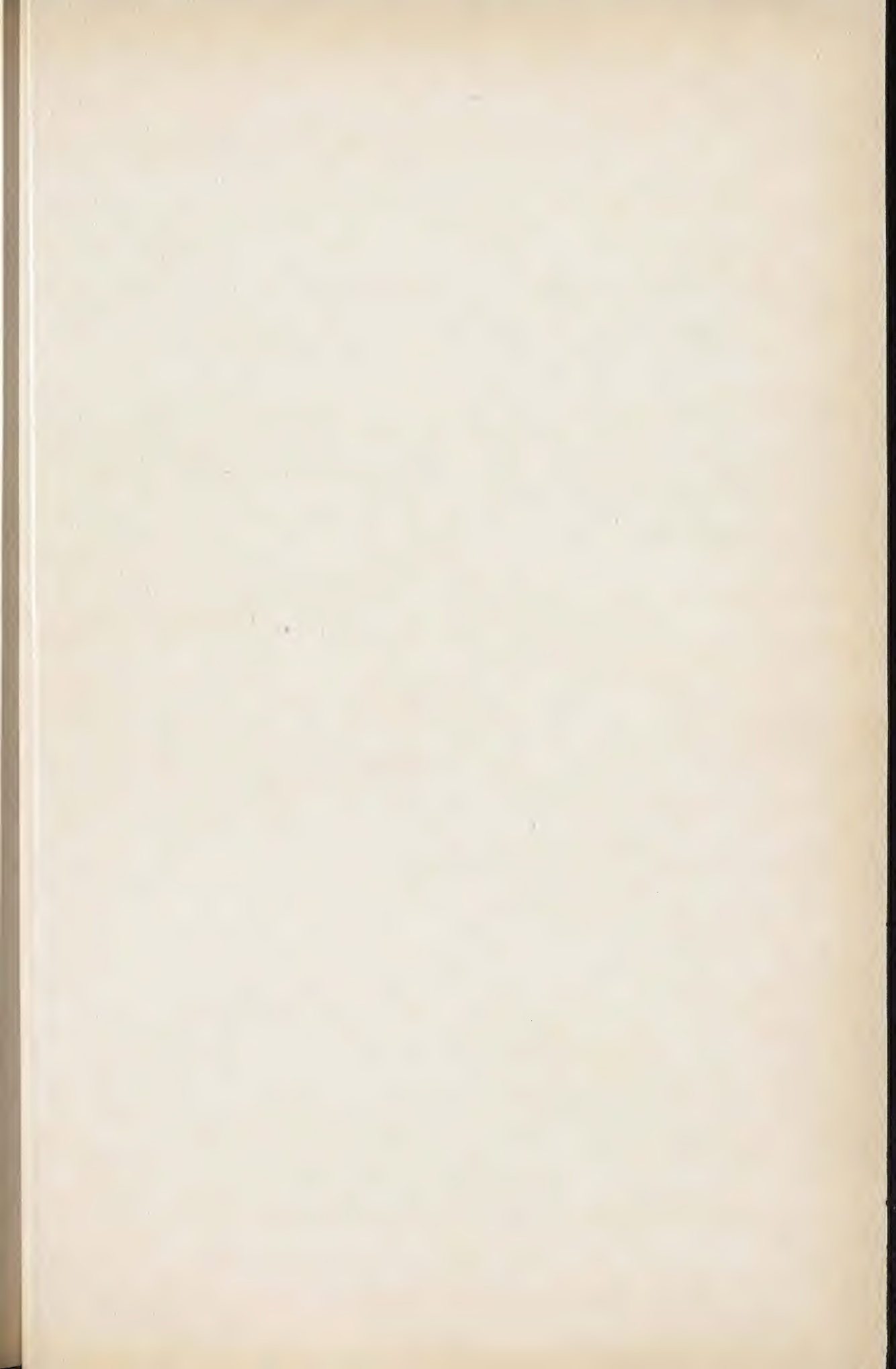
بسم الله الرحمن الرحيم
 في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٦
 منظر ميناء جدة ومينائها

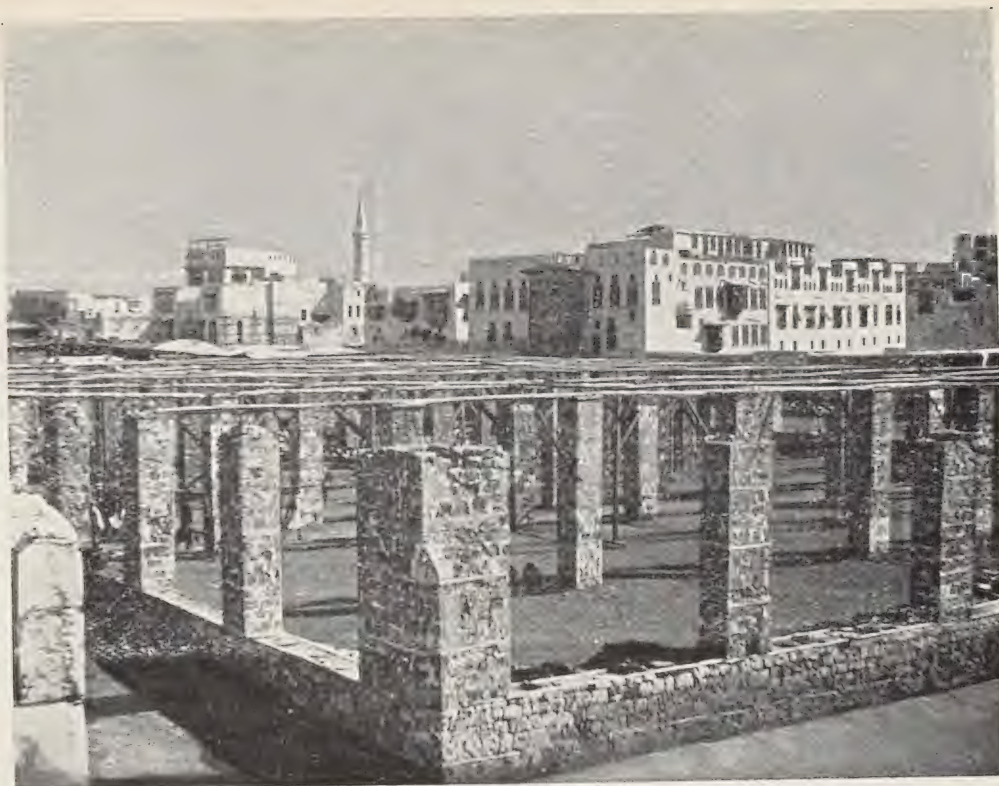
منظر مستشفى الحجر الصحي في جدة سنة ١٣٢١



بسم الله الرحمن الرحيم
 في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٦
 منظر مستشفى الحجر الصحي في جدة

(9) A view of the quarantine disinfection in Geddah in 1321.





11. Geddah and Customs House

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل مكة منتهى المسالك
والأبواب التي لا يفتحها إلا بالهدى
والهدى لا يهدي إلا بالهدى
والهدى لا يهدي إلا بالهدى
والهدى لا يهدي إلا بالهدى

أخفاك من جرة يومك الحرام الشريف



12. Procession of the Mahmal at Jeddah & the (falsely ascribed) mausoleum of Hawa (Eve).

الحمد لله الذي جعل مكة منتهى المسالك
والأبواب التي لا يفتحها إلا بالهدى
والهدى لا يهدي إلا بالهدى
والهدى لا يهدي إلا بالهدى
والهدى لا يهدي إلا بالهدى

وإن أخذ الرسوم يستغرق زمنا طويلا ولذلك اضطر الحجاج الى افتراش الأرض الرطبة ليلتهم حتى انتهت مهمة التحصيل التي تستنفد من كل حاج نحو خمس دقائق، وفي الباخرة ما لا يقل عن ستمائة حاج — وكان خيرا من هذا أن تسلم الرسوم كلها من أمير الحج الى المحافظ دفعة واحدة وتحصل من الحجاج مع رسوم إجازات السفر من مصر كما يؤخذ مع هذه الرسوم أيضا أجرة نقل أمتعة الحجاج من الباخرة الى الساحل ويتولى الأمير دفعها الى رئيس المنجّلين (الجمالين) وأرباب السفن حتى لا توجد منازعات ما بينهم وبين الحجيج، وقد كتبت الى الحكومة بهذا مقترحا تنفيذه فأجابت، ولما عينت أميرا للحج في سنة ١٣٢٠ وبلغت جدّة كلمت محافظها سعادة على يميني بك أن يأذن لمرافقي المحمل بالخروج من الميناء قبل دفع الرسوم وتعهدت بدفعها له مرة واحدة فأذن بذلك وكنت طبعت بطاقات بأرقام متتابعة كتب على كل منها «حاج مرافق للمحمل المصري» وأعطى لكل حاج واحدة منها وكانت تؤخذ منه ساعة خروجه وتضم الى غيرها ودفعت الرسوم الى المحافظ بعددها بعد أن أرسل لى مأمور «الكورنتينه» الكاتب التركي الذي تراه في (الرسم ١٠)، وبهذا تمكنا من إراحة الحج ومنع التراحم وإنقاذهم من المسكث زمنا طويلا على أرض رطبة في جورطب، وكذلك اتفقت في هذه السنة مع أرباب السفن والمنجّلين، وبهذا انقطعت المنازعات والاختلافات.

نقل الأمتعة من الساحل الى المعسكر — نقلت الأمتعة من الباخرة الى البر ووضعت في الطريق أمام بناء الجمرك (أنظر الرسم ١١ وترى فيه أعمدة البناء فوقها قوائم الخشب بدون سقف) وأحيطت بسور من عساكرنا ثم أخذ الجمالون في نقلها الى المعسكر بجوار القبر المكذوب على أمنا حواء على مسافة ميل تقريبا. ولما كان نقل المتاع على ظهورهم يستنفد يومين أو ثلاثة قصدت رئيس البلدية في مكانه القريب منا ورجوته مساعدتنا في نقل الأشياء الثقيلة التي منها كسوة الكعبة وساعتئذ حضر «القائمقام» خالد بك (قومندان) العساكر فرجوته

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

ممن زعموا في كتابه

١٧٤

الحمد لله

ممن زعموا في كتابه
الحمد لله

الحمد لله
الحمد لله



(١٠٠)

إدارة الحجر الصحي بجمدة . مكتوب رقم ١٧٢ . الى محافظ المحمل المصرى الشريف .
صاحب السعادة . قضى النظام المتبع بأن يؤخذ من كل حاج يقدم الى مكة عشرة قروش لادارة
الصحية . وقد حضرت بالأمس الى جمدة باخرة النجيلة فيها ٢٨ حاجا تحت رعايتكم دفع خمسة منهم الرسوم
و ٢٣ لم يدفعوا فارجو أخذ ٢٣ قرشا منهم وارسالها الينا والأمر لكم .
٢٧ ذى القعدة سنة ١٣٢٠ هـ (١٢ شباط سنة ١٩٠٨)

أيضا فبعثا مندوبين من قبلهما للتجار أصحاب العربات ، وبعد ساعة أحضروا سبع عربات صغيرة أشبه بعربات نقل الرمل عندنا ولكنها دونها فساعدتنا كثيرا ، ولما جنّ الليل واقرب غلق أبواب الجمر وكلفت أن يبيت بعض الأمتعة بالميناء ويتعطل لديها قسم من العساكر لحراسته — رجوت رئيس الشرطة (الحكيمدار) في تأخير الغلق مدة وجيزة فلبى الرجاء ووقتئذ أمرت بحمل الأشياء الخفيفة وعلف الدواب على ظهور الخيل والبغال وأمرت العساكر أن يحملوا ما استطاعوا حمله فلم تأت الساعة الثالثة ليلا إلا وقد تم نقل جميع الأمتعة الى المعسكر، ومع أن النقل كان في الظلام الحالك والزحام بالغ أشده والمسافة بعيدة — لم يفقد شيء ما ، وإن هذا لدليل قاطع على همة الحراس بجدة وكال يقظتهم وتنبه رجالنا ، على أنه — والحمد لله — تكاد السرقات بجدة تكون معدومة مع شدة الزحام بها في موسم الحج ولكن هذا لا يمنع من التيقظ والاحتياط ” اعقلها وتوكل “ .

الاقامة في جدة

أقمنا بجدة من الساعة الثانية العربية من يوم الأحد ١٩ ذى القعدة سنة ١٣١٨ الى الساعة الحادية عشرة نهارا من يوم الخميس ٢٣ منه وذلك لفقدان الجمال التي تقلنا الى مكة . وقد احتفل بالمحمل في جدة في اليوم الثاني احتفالا رسميا فترأست عساكر الدولة العلية صفين متقابلين معهم الموسيقى — وكان عددهم ٤٠٠ من العساكر النظامية ، و ٢٠٠ من غير النظامية — وكان ذلك خلف الجمر وكفى بالحمل في الساعة الأولى العربية الى مجتمعهم يتقدمه الأمير وأمين الصرة ويحيط به حرسه وتضام الكل وسار المحمل بين الصفوف يحوب شوارع المدينة جريا على سنته الماضية وكان يوما مشهودا إذ كان جميع الضباط والموظفين بلباسهم الرسمي وموسيقى الدولة — وعدد رجالها ثمانون — تصدح مع موسيقانا بالأغاني الشجية ، وكنت ترى الوجوه ضاحكة مستبشرة لا تقرأ عليها الا آيات الفرح والسرور وإذا أضفت الى ذلك منع الزحام بفضل النظام الذي وضعه القائد خالد بك أدركت أن الناس قد

بلغ الفرح من نفوسهم مبلغا عظيما، وقد انتهت الحفلة برجوع المحمل حيث بدأ سيره بعد أن صدحت الموسيقى بالسلام السلطاني فالسلام الحديوي وبعد الهاتف لها بالعز والبقاء . (أنظر الرسم ١٢) .

تبادل الزيارات بجدة — قد زار حاكم جدة الملكي وحاكمها العسكري بلاسهما الرسمية أمير الحج وأمين الصرة ورئيس الحرس كلا في خيمته وقدمنا لهما القهوة والشراب الحلو ورددنا لهما الزيارة في اليوم التالي، وكذلك زار رئيس تجار جدة سعادة عمر نصيف ياشا الأمير والأمين ولم يتمكن من رد الزيارة له لضيق الوقت وقد بلغني وأنا بمكة امتعاضه من تركهما لزيارته فأخبرته أننا رددنا له الزيارة بحمله بمكة ليُسرى عن نفسه ، وقد كان أهالي جدة صغيهرهم وكبيرهم يتواردون علينا عصر كل يوم لمشاهدة المحمل وسماع الموسيقى والمزمار البلدي حتى مغرب الشمس ، ومن بعد العشاء الى الساعة الثالثة بعد الغروب ، وأيام وجود المحمل بجدة تعتبر عند أهاليها مواسم فرح وسرور وإنهم ليجبون سماع الألحان حبا جما ، وكأن ذلك مركز في طبيعتهم مفطورة عليه نفوسهم .

معارفنا بجدة — قد تعرفنا برئيس المحكمة الأهلية وأمور الأوقاف ، وكان صلة التعارف بيننا مدير البريد والإشارات البرقية عبد الرحيم محب افندى التقى الورع الصالح الأمين الذى سبق أن تعرفنا به بسواكن منذ كان هناك مدير البرق (التلغراف) للدولة العلية وكنت بها أركان حرب في سنة ١٨٩٦ ، وتاليتها (ورسم الثلاثة كما فى اللوحة ١٣) . وتعرفنا أيضا بالشيخ سليمان بن عبد الله البسام وكيل أمير نجد والتاجر ذى الخلق الطيب والمروءة والشهامة ، وقد دعانى مع حضرة صهرى العلامة الكامل التقى الشيخ محمد طموم الى منزله فأكرمنا وأتحفنا بلذيذ حديثه وشعره وقد حضر الى مصر فى نحو سنة ١٩١٢ م وارتسمنا معا ونحن نشرب القهوة كما ترى فى (الشكل ١٤) .

مَدِيرُ الْبُيُوتِ وَالْتَلْغَرافِ مَأْمُورُ الْأَوْقَافِ وَرَئِيسُ الْحُكْمِ بِبَغْدَادَ



مَدِيرُ الْبُيُوتِ وَالْتَلْغَرافِ مَأْمُورُ الْأَوْقَافِ وَرَئِيسُ الْحُكْمِ بِبَغْدَادَ

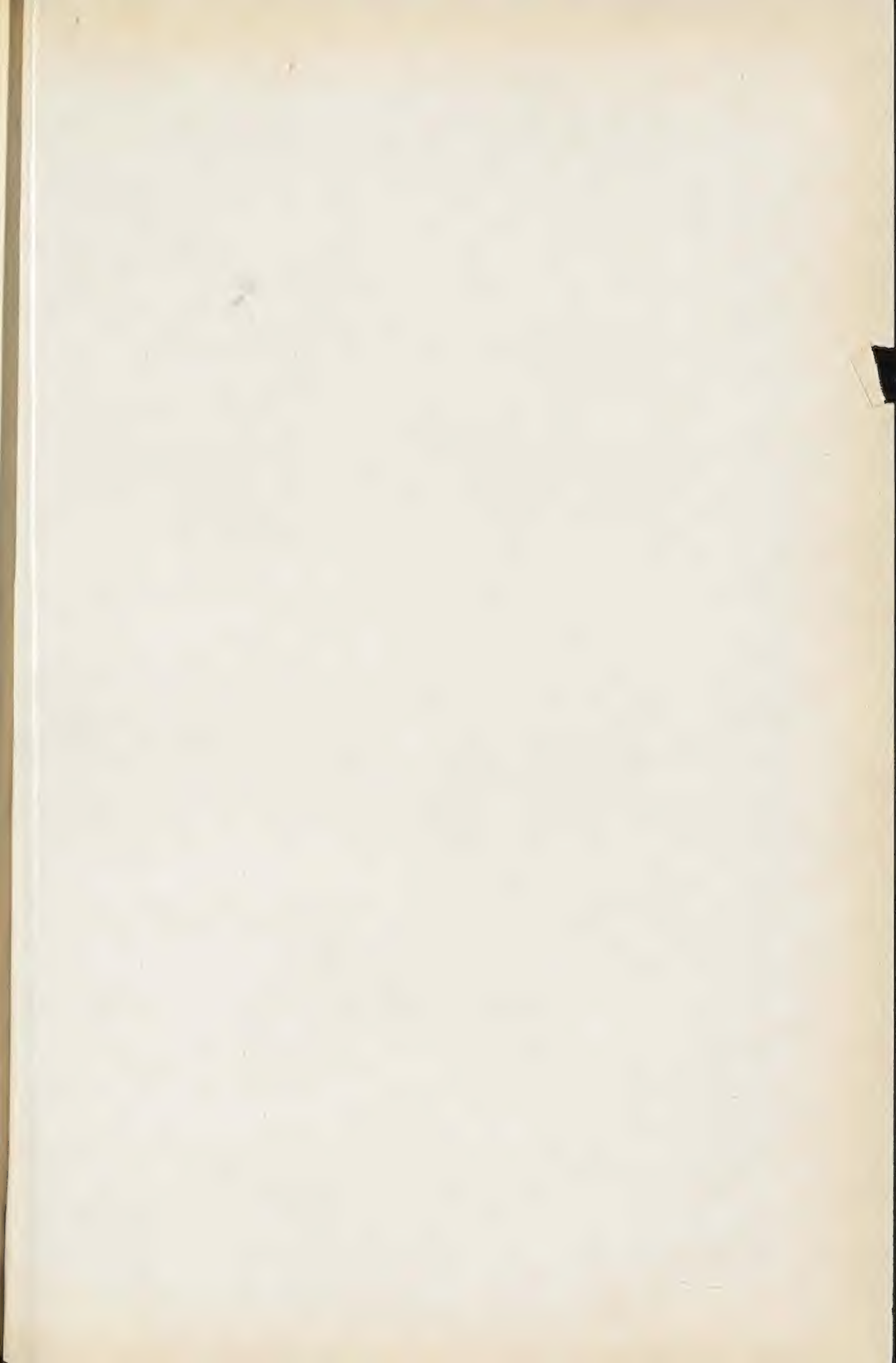
13. The Director of Post and Telegraph.—The Director of Wakfs.—The Chief of Court at Gedah.

سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّسَائِمِيُّ وَأَمِيرُ الْحَاكِمِ



سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّسَائِمِيُّ وَأَمِيرُ الْحَاكِمِ

14. Soliman ibn Abdulla el Bassam and Amir el Hag.



وكذلك تعرفنا بالطبيب محمد حسين افندى نائب "قنصل" إنجلترا للرايا
الهنود (أنظر الرسم ١٥) ^(١) .

ما يلزم الحاج بجدة — يلزمه شراء النعال المشروعة للحرم وشراء
الشقاف التى توضع على ظهر الجمال ويركب عليها شخصان كل فى عدل منها وثمان
الشقاف من ١٢٠ قرشا مصريا الى ٥٠٠ قرش ، والاختلاف فى الثمن من الدقة
فى الصناعة أو الزخرفة ، ولهذه الشقاف أعمدة توضع عليها الأغشية من طنافس
(أبسطة) عجمية أو ملاءات مصرية أو أخيشة كنانية يشتري كل مايناسب ثروته وثمان
(الكليم) العجمى من ١٣٠ الى ٣٠٠ قرش حسب الاختلاف فى الشكل والصناعة .

وصف جدة بشكلها الحاضر — جدة (بضم الجيم وتشديد الدال المفتوحة)
بلدة كبيرة وميناء مكة العظيمة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر واقعة على الدرجة ٣٦
والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية وعلى الدرجة ٢١ والدقيقة ٢٨ من خطوط

(١) لما كان لهذا الطبيب ماثرجة على الهنود الذين يحجون الى البيت الحرام رأينا أن نذكر فى رحلتنا
كلمة عن حياته إنصافا للعاملين وتحليدا لذكرى المخلصين فنقول : هو محمد حسين ابن الشيخ عبد الله الطبيب
الذى تنتهى سلسلة نسبه الى سيدنا أبى بكر الصديق ولد بمدينة "الله آباد" فى سنة ١٨٦٣ وتلقى علومه
الأولية بين أسرته ، وحفظ القرآن وتعلم اللغة الأردية والفارسية والانجليزية وبرع فى ثلاثها ونال درجة فى علم
الطب والجراحة من كلية بنجاب فى سنة ١٨٩٠ وعين مساعد جراحة فى الحكومة الهندية وأدار عدة
مستشفيات ثم عين نائبا لقنصل بريطانيا بجدة فأزال ما كان من سوء التفاهم بين البدو والقناصل ومنحته
حكومة الهند لقب "خان بهادر" سنة ١٨٩٨ ومن حسن سياسته أكسب رضا عون الرفيق باشا
أمير مكة وأحمد باشا راتب واليا ، ولكنهما نقما عليه لما أن غرهما ١٠٠٠٠ جنيه انجليزى عوضا عن
السراقات التى حلت بحجاج الهنود وعن الخسارة التى لحقت التجارة الهندية ولكن ما لبث أن استمالها نحوه
حتى كان طبيب الشريف من داء السكر الذى أصابه فى مرضه الأخير ، وقد طاف أنحاء أوروبا خمس مرات
وكل جهات آسيا عدا التبت والأفغانستان وبعض بلاد الغربيين وطاف فى بعض جهات أفريقيا ، وقد برح
جدة فى ابريل سنة ١٩٠٩ لاعتلال صحته فكثرت بانجراته سنة وبمصر أخرى ثم استقال فى سنة ١٩١١ وأقام
فى (بالله آباد) منشئه وأسس فيها مدينا على الطراز الحديث كلفه ما ينوف على ٢٠ ألف جنيه — ملخص

عن كتاب بعث به إلينا فى ٢٥ مارس سنة ١٩١٤

العرض الشمالية يحيط بها سور ذو خمسة أضلاع يقطعها راكب الحصان بالسير المعتاد في ٤ دقيقة وارتفاع السور ٤ أمتار وبه تسعة أبواب، ستة في الجهة البحرية وثلاثة في الجهات الأخرى وأول من بناه السلطان الغوري من ملوك مصر في سنة ١٥٩١ هـ. وبها حوالي ٣٣٠٠ منزل مبنية بالحجر الأبيض المستخرج من البحر، ويتكوّن المنزل من طبقتين إلى خمس — والوجهات الامامية من البيوت بها الرواشن [الخارجات المسقوفة] المصنوعة من الخشب الهندي الأحمر المخروط (الرسم ١٦) . والبيوت العالية ذات الموقع الجميل والمنظر البهيج يسكنها أكابر البلد ووكلاء الدول التجاريون (القناصل) من روس وإنجليز وفرنسيين ونمساويين وإسبانيين ونروجيين، ومن أنخم بيوتها بيت السيد عمر السقاف الشريف السري (الرسم ١٧) . ومنزل المحافظ الذي تراه (في الرسم ١٨) وانه لآية في الإبداع وبه حديقة غناء . ويجدة محل للحكومة وثكنات للعساكر (الرسم ١٩) . ومكتب للإشارات البرقية وبناء نخم للجلس البسدي والحجر الصحي (الرسم ٩ السابق) كما تجدد بالساحل بناء الجمر (في الرسم ١١ السابق) . وبها خمسة جوامع وثلاثون مسجداً مفروشة بالحصر الناعمة الجميلة النظيفة إلا أنها تكون مبللة عند رطوبة الجو وهي مرتفعة عن مستوى الشوارع بنحو ثلاثة أمتار، يصعد إليها بدرج منتظم من الحجر وليس بها بيوت خلاء ولا ميضآت، وبها حمام واحد ونزلان (لوكاندتان) وأربعون قهوة وصيدلية ومكتب تعليم راق وتسعة للصبيان ومستشفى ومصنع للحرير ومذبح وأربعون مخزناً تجارياً وتسعمائة دكان وآلة بخارية لطحن الحبوب وسبع وأربعون طاحونة ومثلها مخازن وعشرة مطابخ وسوق لبيع السمك وآخر للصدف ومكتب للبريد وبها جبانة قريبة من ثكنات العسكر، يحيط بها سور يبلغ طول ضلعه الشمالية ١٦٠ متراً، وفي وسط الجبانة قبر أمنا حواء (المسكون) طوله نحو ١٥٠ متراً وعرضه أربعة أمتار وارتفاعه متراً، عليه ثلاث قباب على الرأس والسرة والرجلين كما يزعمون (الرسم ٢٠) .

وبجانبه كثير من الشحاذات يلتصق الصدقات على حرق بسطنها أمامهن .





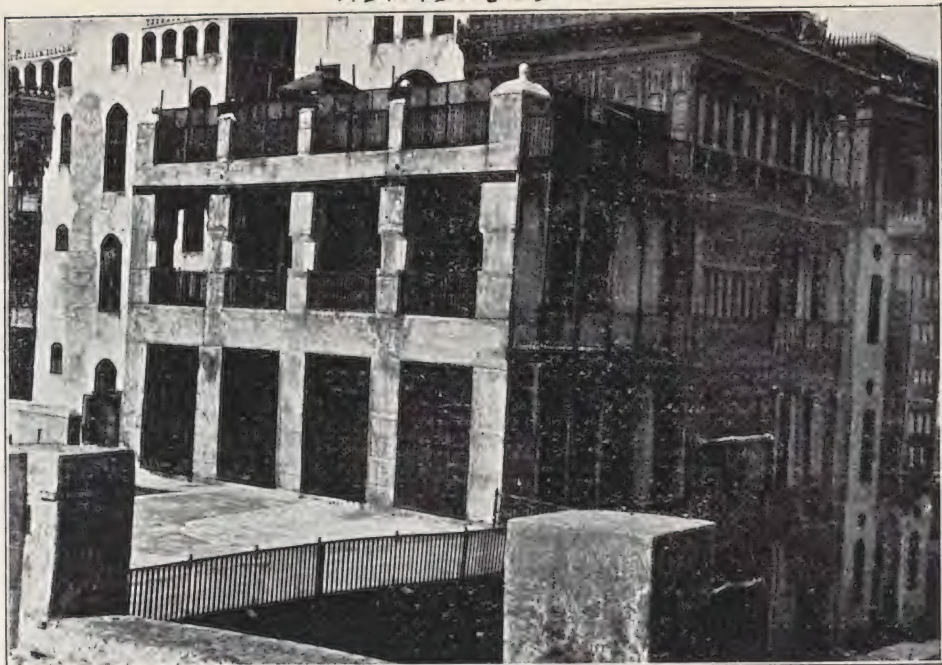
10. Doctor Mohammed Hussein, the British Vice-Consul at Gaddah.

رَسْمُ مَنْازِلِ جَدَّةِ الْمُشَيِّدَةِ الرَّفِيعَةِ



16. Geddah with its splendid buildings and magnificent houses.

بَنَى السَّيِّدُ عَمْرُ السَّكَافُ بِجَدَّةَ



بَنَى السَّيِّدُ عَمْرُ السَّكَافُ بِجَدَّةَ

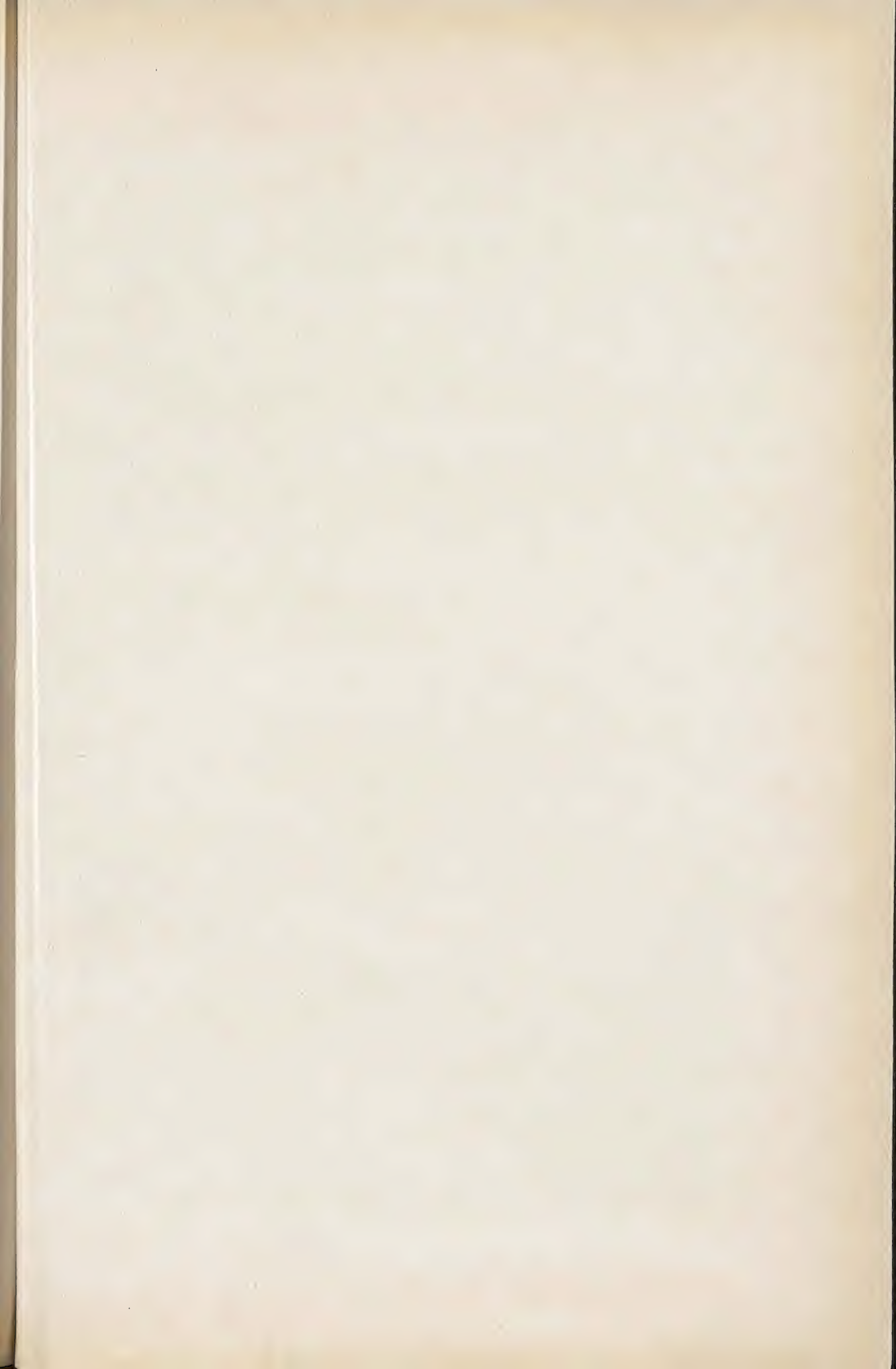
17. The house of El Sayed Omar el Sakaf in Gedda.

بَنَى السَّيِّدُ عَمْرُ السَّكَافُ بِجَدَّةَ



بَنَى السَّيِّدُ عَمْرُ السَّكَافُ بِجَدَّةَ

18. Palace of the Deputy Waly at Geddah.



﴿ قشلاق العساكر الشاهانية بجده ﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوَافِيقُ وَالْمُحَرِّقُونَ وَالْمُتَلَمِّصُونَ وَالْمُتَلَمِّصُونَ

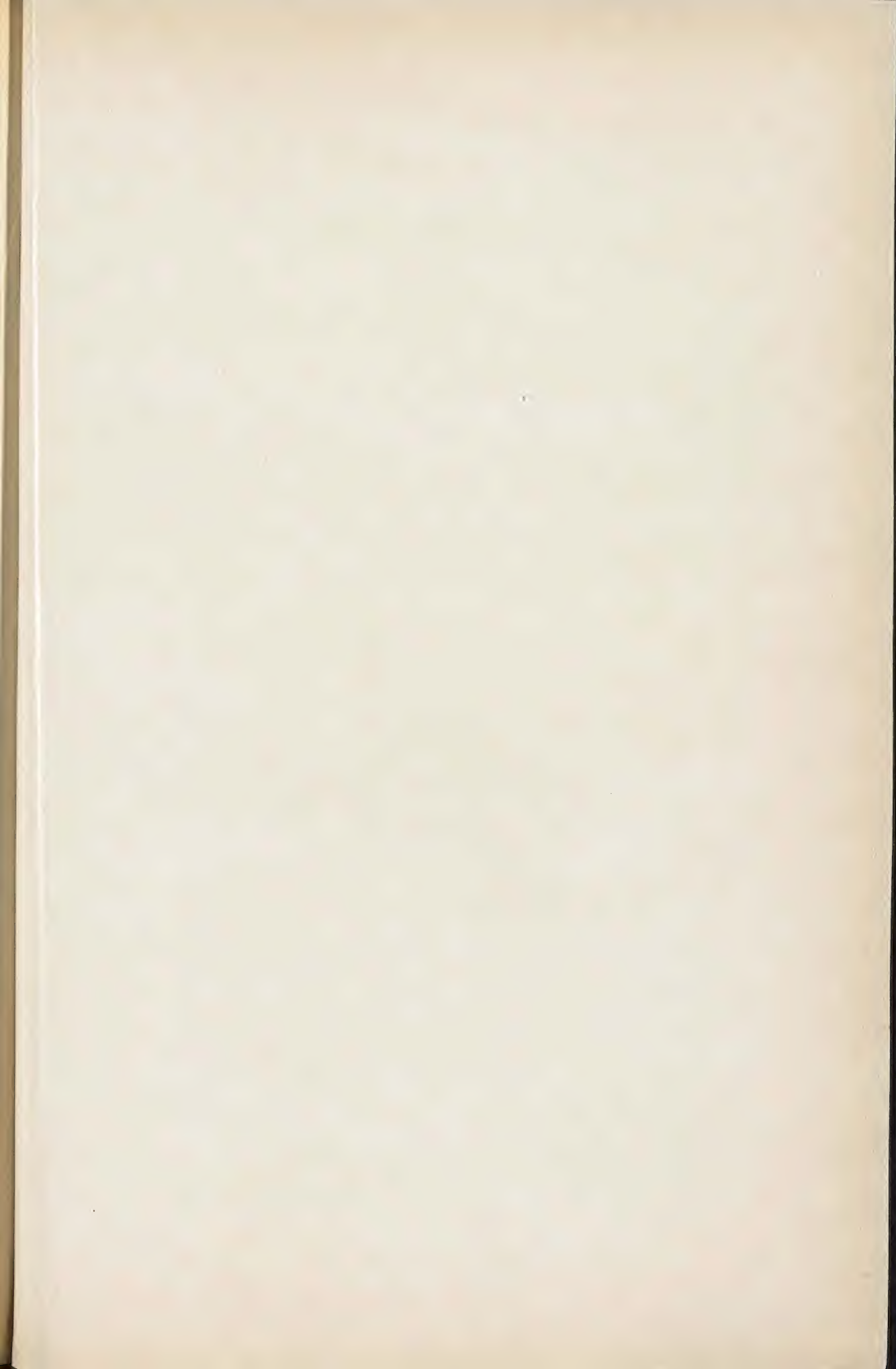
19. A view of the Turkish Barracks at Gedda.

﴿ قُبْرُ الْمَدِينَةِ الْحَبَشَةِ فِي جَدَّةِ ﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوَافِيقُ وَالْمُحَرِّقُونَ وَالْمُتَلَمِّصُونَ وَالْمُتَلَمِّصُونَ

20. The view of Hawa (our mother) in Gedda in 1321,



وشوارعها مختلفة السعة من ٨ أمتار الى ١٥ مترا وحرارتها ضيقة وغير منتظمة .
وبجدة مجارٍ لتصريف مياه المطر الى البحر كما بها ٨٠٠ صهريج داخل البلد
وخارجها - معدة لخزن مياه المطر وبيعها في موسم الحج ولكنها الآن معطلة إذ ترد
المياه الى جدة من عين تبعد عنها مسيرة ساعتين ونصف وتسير في مجارٍ مبنية تحت
الأرض حفرها المصلح عثمان نوري باشا والى مكة سابقا ، وخارج البلد أيضا آبار
محفورة وأنايب في الأرض مركوزة تخرج منها المياه بالآلات الماصة (آبارارتوازية)
وبعض المياه عذب وبعضها به يسير الملوحة .

والمحمل يستورد مياه الشرب من أعذب الآبار بواسطة سقائين من جدة
يتقاضون أجرة وبقرع معسكره صهاريج مفعمة بالمياه يؤخذ منها عند الحاجة .
وبالمدينة مجلس بلدى أعضاؤه من الأهالى ومجلس للأحكام وقاض شرعى . وجميع
الأهالى مغرمون بشرب التبغ و(التبناك) والشاى والقهوة وبها كثير من الصبار يوضع
على القبور استرحاما للوتى .

سكان جدة - أهالى جدة خليط من أجناس شتى مكين ويمين
وحضرمين (من حضرموت) وهنود وترك وشوام ومصريين وقصيرين (من القصير)
وعدهم حوالى ٢٥ ألف نسمة ويبلغ من فيها في موسم الحج خمسين ألفا الى ستين
ويتم بها من الحجاج كل عام نحو ١٢٠ ألف حاج .

تجارتها - جدة مرفأ مكة التجارى بل هى مرفأ الحجاز المهم لذلك ترى
ميناءها مملوءا بالسفن التجارية كما تراه (في الرسم ٨ السابق) .

ويرجع اتخاذها مرفأ تجاريا لمكة الى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى
الله عنه فإنه فى سنة ٢٦هـ أعتمر من المدينة وأتى مكة فسأله أهلها أن ينقل ساحل مكة
القديم من الشعيبية (جنوبى جدة الآن) الى جدة لقربها من مكة ، فخرج بنفسه الى
جدة وراها واغتسل من البحر وقال : إنه مبارك وقال لمن معه : ادخلوا البحر مغتسلين^(١)

(١) فليس الاستحمام فى البحر الملح ومعرفته فوائده من مبتكرات أوربا وإنما سبقتهم الى ذلك ثالث

الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ولتكونوا مؤثرين، ومن ذلك الوقت استمرت جدّة ميناء مكة الى اليوم، وتأتى اليها التجارة من مصر وسواكن وزنجبار والصومال والهند وجاوة والروملى والأناضول وسوريا وبلاد المغرب والعراق والبحرين ومسقط واليمن وأوربا وآسيا وغيرها، ومن أصناف التجارة البن والصمغ العربى وأنواع الروائح وریش النعام واللؤلؤ والصدف والمرجان ودهن البلسان ودهن الورد، وترد اليها الحنطة والأرز والصابون والسكر من مصر وسن الفيل والأرز الهندى وعدد الجمال من الهند، وقد بلغت رسوم الواردات فى سنة ١٣٠٢ هـ ٦٣٧٩١٦ قرش عثمانى و٣٦ باره .

السفر من جدّة الى مكة

قبل المغرب بساعة من يوم ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (١٤ مارس سنة ١٩٠١) تحرّك ركب المحمل من جدّة ميمّا مكة وقد حيته فرقة من الجند العثمانى برآسة « القائمقام » خالد بك وشيعه أهل جدّة الى أبعد من ميل، وقد جدّ بنا السير حتى بلغنا بجرّة لتمام الساعة العاشرة العربية ليلا وبتنا بها على مقربة من قلعتها التى يربط بها بعض الجنود، وفى منتصف الساعة التاسعة من يوم ٢٤ تابع المحمل سيره الى أن وصلنا الى قهوة البوغاز أو البستان فى الساعة السابعة ليلا فاسترحنا بها الى منتصف الساعة الثانية عشرة ثم ارتحلنا فوصلنا مكة لتمام الساعة الأولى من صباح يوم ٢٥ ذى القعدة .

والطريق بين جدّة ومكة واد رملى إلا فى موضعين منه حيث يوجد حصا صغير الحجم وكبيره ولكن ذلك لا يشغل من الطريق إلا حوالى نصف ميل، وقيل مكة بنحو أربعة أميال تجد مدرجا حجريا مرتفعا قليلا ثم بعده يستوى الطريق وإن كان حجريا تكثرفيه التعريجات حتى يخيّل الى الرأى أن الطريق سدّ لاقترب الجبال المواجهة وهو صالح لمدّ القضبان الحديدية به والوادى يحفه من الجانبين الجبال والتلال المتشابهة الضارب لونها الى السواد والنابتة فيها الأشجار وهى تارة تتقارب فيضيق الوادى وتارة تتباعد فيتسع، وبالطريق بضع عشرة قهوة لراحة الحجاج وتقديم الشاى

والقهوة لهم ، وبه جملة قلاع ذات اليمين وذات الشمال يقيم بها جنود أترك ، وبه أما كن أخرى يقطنها عساكر الشريف غير النظامية وهؤلاء الحراس وجدوا للحفاظ على الأمن بالطريق ولكنهم كما سمعت لا يفارقون أما كنهم لرد الغارات والضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطريق ولو كان ذلك بمرأى منهم ومسمع إلا إذا أمرهم الوالي وأين هو منهم . وكثيرا ما سلب الحجاج أمتعتهم إذا تأخروا عن القافلة لإصلاح الأحوال أو قضاء بعض الضرورات ، وإذا ما سئل هؤلاء الحراس لماذا لا يقومون بالواجب قالوا (أمر يوك) أى ليس عندنا أمر — فما أقبح العذر . وقد كانت العساكر تؤدى للحمل التحية العسكرية عند مروره بها وتثيرله الطريق بحرق كومات من الأخشاب تباعا وضعت فوق آكام مرتفعة وجمعت لهذا الغرض وكنا نسير على ضوءها نحو ألف متر .

وقد رأينا أن نصف لك بالتفصيل الطريق من مكة الى جدّة وما فيه من القلاع والقهاوى والانحراف والاستقامة حسب ما جاء فى رحلة سنة ١٣٣٠ إذ هو أوفى وأبين فنقول :

فى يوم الجمعة ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٣٠ فى الساعة الثانية العربية نهارا بدأنا السير من جدّة على أرض سهلة بين نشوز رملية ناحين نحو الجنوب الشرقى على ١١٠ مئة ٢٠ دقيقة وإذ ذاك تباعدت التلال وامتسع الوادى وما زال السفر يجذبنا الى أن وصلنا الى « رأس القائم » فى س ٥ وق ٢٥ وهناك وجدنا مخفرا به جملة عساكر نظامية مع بعض الضباط كما وجدنا قهوة يباع بها الشاى والقهوة فى زمن الحج ، كسائر القهاوى التى على هذا الطريق وتابعا السير فوصلنا الى « الرغامة » بعد س ٦ وهناك على نشر من الأرض قلعة بها بعض الجنود وقهوة ، وقد وقفنا بالرغامة لحظة قدّم لنا فيها الماء البارد تحية مباركة ، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا فسرنا مشرقين على ٩٠ ° وإذ ذاك أخذت الجبال تقترب منا تارة وتبتعد أخرى فيضيق الوادى ويتسع ما بين ١٨٠ متر الى ٣٦٠ بالتقريب ثم تغير الاتجاه الى الجنوب الشرقى فسرنا على ١١٠ ° الى أن وصلنا الى موضع يدعى « جرادة » فى س ٧ وق ٤٥ .

وبه قهوة متسعة مبنية بالحجر ومسقوفة، وعلى نحو ١٠٠ متر منها يوجد بئران مأوئهما فيه شيء من الملوحة — سقينا منهما الخيل والبغال وأسترحنا ٥٥ ق وواصلنا السير في س ٨ وق ٤٠، وعلى نحو ١٠٠٠ متر وجدنا على اليسار «قلعة الكنانة» على مرتفع من الأرض كسائر القلاع في الطريق وبها ضابط وعشرون جنديا، ومن هذه القلعة كانت الأرض محصية مسافة ميل بالتقريب . وفي الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ تغير اتجاهنا الى الشمال الشرق فسرنا على ٧٥° ووصلنا الى «قلعة الكنانة» الثانية في س ٩ وق ٣٠ وبها ضابطان وخمسون جنديا والماء بعيد عنها بمسافة تستغرق ساعة ونصف بل الماء بعيد عن كل القلاع إلا ما ندر ويوجد بها قهوة، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا الى الجنوب الشرق على ١٤٠° ولتنام الساعة العاشرة مررنا ببرج «القلعة البيضاء» وهو على اليسار به رئيس العشرين (جاویش) و ٢٥ جنديا وفي س ١٠ وق ١٠ أجترنا برجا صغيرا على اليمين به بعض العساكر، وفي س ١٠ وق ٤٥ وصلنا الى «قلعة العبد أو قلعة سالم» وهي على اليمين وبها أربعون جنديا وقهوة وعلى مقربة منها بئر تسمى بئر البجادية، ومن هذه القلعة آنفصح الوادي وتغير الاتجاه الى ١٠٠° وقد وصلنا الى قلعة «التدين» س ١١ وق ٣٠ وبها ١٥ جنديا و «جاویش» وهي على اليسار على أكمة مرتفعة وهناك الأراضي رملية صالحة للزراعة وفيها مراعى ومن هذه القلعة تغير الاتجاه الى ٧٠° وبلغنا قرية «بحرة» في س ١٢ أى وقت المغرب وإذ ذاك أخذت منظر المعسكر كما تراه (في الرسم ٢١) وبحرة وتسمى بحرة الرغاء على يسار الميتم مكة وبها أكواخ حقيرة وحظائر للابل وقهاوى ومسجد صغير بمئذنة بنى أصله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من غزوة الطائف سنة ثمان وصلى فيه كما جاء في سيرة ابن هشام وفيها عقب ذلك . قال ابن اسحاق : فحدثني عمرو ابن شعيب أنه أقاد يومئذ بحرة الرغاء حين نزلها بدم، وهو أول دم أقيده في الاسلام : رجل من بني ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به . اهـ . ولكن في زاد المعاد في هدى خير العباد في غزوة الطائف ما يأتي :

مَنْظَرُ رَكْبِ الْمَحْمَلِ بِمَحْطَةِ بَهْرَه

أمير الحج محرم وجالس فوق أجولة البقسماط وعلى يساره الضوئي حاملا الآلة الفتوغرافية جاثا على ركبتيه والواقفون الحرس



21. The Mahmal at Bahrah, the first station between Geddah and Mecca

مَنْظَرُ مَحْطَةِ بَحْرَه وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البناء المرتفع قلعة مجره وهي اكبر القلاع واقواها قوة بين جده ومكه وهي على يمين الناظر الى الرسم وما بأسفله زريبة من عيدان الاتجار



22. Bahrah and mosque where the Prophet Mohammed prayed

مَنْظَرُ رَكْبِ الْمَحْمَلِ بِمَحْطَةِ بَهْرَه

مَنْظَرُ مَحْطَةِ بَحْرَه وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ





امير الحج محرم وخلفه مظلة بيضاء والشجر الاسود شجر الحرمل



23. Heddah and an old Mosque.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل مكة المكرمة
مكة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ومكة المسلمين جميعاً

العلمين بالشميسي بالقرب من الحديبية



الحمد لله الذي جعل مكة المكرمة
مكة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ومكة المسلمين جميعاً

25. Two landmarks at the outskirts of the Haram at Shumaisi.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف الى الجعرانة ثم دخل منها محرماً بعمره فقصى عمرته ثم رجع الى المدينة . اهـ .

والطائف في الجنوب الشرقى لمكة والجعرانة بينهما لكنها أقرب الى مكة فكيف يتفق مع ذلك أنه مرّ ببجرة منصرفة من غزوة الطائف مع أنها غربي مكة ولا تقل المسافة بينهما عن ثلاثين ميلاً ، وبين الجعرانة ومكة حوالى عشرة أميال ، إنا لذلك نقف موقف الشك فيما رواه ابن هشام ونقله عنه كثير من المؤرخين حتى يأتينا اليقين . ويتفرّع من بحرة طريق آخر الى مكة يسير نحو الجنوب الشرقى ويقول الخبيريون : إنه أقرب اليها وأسهل من طريقنا لقلّة التعاريج به . وببجرة جملة قهاو وقد بتنا بها ليلة السبت غرة ذى الحجة سنة ١٣٢٠ وأرتحلنا منها فى س ١٢ آخر الليل ورأينا على يسارنا قلعة بحرة على نحو ميل من القرية وهى أكبر القلاع وأمتها وبها ثلاثة ضباط و ١٠٠ جندي ، ولتمام الساعة الثانية العربية نهّاراً مررنا «ببئر أم القرون» وهى على اليسار مبنية بالحجارة وعمقها ١٠ أمتار لها أربعة أعمدة تدور عليها أقطاب البكر التى ترفع بها الدلاء ، وماء هذه البئر عذب فرات ، وفى منتصف الساعة الثالثة وصلنا «حدة»^(١) (بالحاء المهملة) وهى بلدة صغيرة على اليسار بها حصن ومسجد ذو مئذنة وعين ماء حلوة وبئران على يسار الطريق وبها نحو ٦٠٠ نخلة يملكها عون الرفيق باشا شريف مكة كما قيل لنا ، ورسم حدة تراه فى (الشكل ٢٣) وفيه تجد بالأرض شجر الحرمل وأشجاراً أخرى صغيرة مختلفة الأجناس وترى أمير الحج جالسا على مقربة من شمسية ألقّت بها الرياح . وكان المحمل يبيت أولاً ببحدة ثم عدل عنها الى بحرة لما أن تعدّى أهلها عليه . وفى ختام الساعة الرابعة مررنا ببرجين على اليمين فوق جبل هنالك بينهما نحو ٣٠٠ متر وبهما ضابط و ٤٠ عسكرياً ، والقوّة بالبرجين مؤقتة تحضر وقت مرور القوافل فقط ثم ترجع الى مستقرّها بقلعة الشميسى ومن هذين البرجين تغير الاتجاه الى ١٤٥° وضاق الطريق وعند الساعة الرابعة والثلاث بلغنا قلعة الشميسى وهى شاذجة البناء وبها

(١) ويسمونها قديماً حذاء - قال أبو جندب الهذلي :

بقيتهم ما بين حذاء والحشا * وأوردتهم ماء الاثيل فاصما

ضابطان و ٥٠ جندياً ، والطريق لديها متسع وسهل غير أن الجبال اليمنى قريبة منه وإن كانت تنأى بعد ذلك ، وبقرب القلعة قهوة وبعض أكواخ وبالشميسى مسجد يسمى (مسجد الشميسى أو مسجد البيعة) وهو على اليسار مربع الشكل طول ضلعه ١٥ متراً ومبنى بالججر الأزرق بناءً متيناً ومجصص وبه ثلاثة أروقة (بواكى) وقبلته مكتوب فيها : هذا مسجد بيعة الرضوان مأثرة من مأثر حبيب المنان عمره المليك الى رحمة الرحمن : المغفور له السلطان محمود خان سنة ١٢٥٤ هـ . وهذا المسجد موضع الشجرة التى بايع عندها الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان عام الحديبية وأنزل الله تعالى فى تلك البيعة (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وبالشميسى بئر عمقها ١٠ أمتار بالتقريب مبنية بالججر وماؤها مقبول . ومنها تغير الاتجاه الى ١١٠° وفى الساعة الخامسة نهارة وصلنا الى العلمين ومنها يتبدى الحرم من الجهة الغربية وهما عمودان مبنيان بالججر ومجصصان مربعاً الشكل سمك كل منهما متر وارتفاعه أربعة أمتار وبين العلمين مسافة ٥٠ متراً ويجوار العلم الشمالى بئر مبنية بالججر سمك حائطها ١٠,١ متر وقطرها أربعة أمتار وعمقها نحو ١٥ متراً ويجوارها مشرب (سبيل) مبنى بالججر بناءً متيناً ومكتوب عليه أبيات باللغة التركية بخط جميل وتاريخ بنائه سنة ١٢٦٣ ويحاذيه شجرة من السدر (البنق) ، ويجاور العلمين تلال رملية وتجذ (فى الرسم ٢٤) أمير الحج مرتدياً لباس الإحرام على يمينه مسجد الحديبية وتجذ فى الرسم ٢٥ أحد العلمين واضحاً تمام الوضوح . وفى الساعة السادسة رأينا الجبال تتدانى وتغير الاتجاه الى ٧٥° أى الى الشمال الشرقى ، وبعد ثلث ساعة وصلنا الى قهوة العبد (أو البزم أو سالم أو البوغاز) وأسترحنا بها ثلثي الساعة ثم سرنا وتغير اتجاهنا عند الساعة ٨ الى ٩٠° ومررنا بعد ١٠ دقائق « بقلعة المقتلة » وهى على اليمين بها حراس نظاميون وتحتهما بئر مطوية بالججر وعمقها حوالى ٢٠ متراً وعليها دعامتان لوضع محور البكرة عليهما ، ولها ثلاث درجات يقف عليها من يخرج الماء منها وماؤها عذب غزير ، وعند س ٨ وق ٢٥ تغير الاتجاه الى ٥٠°

وزيرة مركز الحج والعمرة



بسم الله الرحمن الرحيم

24. The Mahmal and the Director of the Pilgrimage caravan in his Ihram dress.

وبعد ثلث ساعة تغير الى ٧٠ ° ، وفي س ٩ مررنا بقلعة (أم الدود) على يميننا
وأمامها بئر كسابقتها . وعند الساعة ٩ وق ١٠ تغير الاتجاه الى ٩٠ ° وأدركنا « قهوة
البستان » في س ٩ وق ٢٥ ولديها شجرة سدر . وبعد ربع ساعة مررنا ببلدة
الشریف حسين على يميننا وإذ ذاك أخذ الاتجاه ١٣٥ ° وبعد خمس دقائق اجترنا
بيت السيد بن اسحاق شيخ السادة سابقا وهو على اليسار يبعد عن جادة الطريق
حوالى ١٤٠ مترا ومن خلفه بمائة متر قبور الشهداء ، وفيها قبر عبد الله بن عمر
الفقيه الكبير والمحدث الجليل والأثرى العظيم رضى الله عنه وعن أبيه أمير المؤمنين
ولكن في كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة أن عبد الله بن عمر دفن بالحصب ،
وقيل : بذى طوى ، وقيل : بفتح ، وقيل : بسرف ، وفي كتاب شفاء الغرام
في أخبار البلد الحرام للتحقى الفاسى أنه دفن في مقبرة صديقه عبد الله بن خالد بن
أسد عند ثنية أذاخر وهى في الطرف الشرقى للحصب ، وذلك حسب وصيته
لصديقه وكل هذه الأماكن بعيدة عن مقبرة الشهداء التى زعموا أنه دفن فيها .
وعند س ١٠ أخذ الاتجاه ٩٠ ° ودخلنا مضيقا يسع قطارين أو ثلاثة من الجمال
قطعناه فى دقيقة ثم انفرج الطريق . وفي س ١٠ وق ١٥ أخذ الاتجاه ١٥٠ ° مسافة
قليلة وأدركنا « قهوة المعلم » ولديها وقف الركب أمام المضيقة « المسافر خانة » التى
بناها السلطان عبد الحميد للفقراء وتبعد عن مكة بنحو ميل . ومن هنا نرجع بك الى
حج سنة ١٣١٨

قلنا فيما سبق : أن المحمل وصل الى المضيقة فى الساعة ١ صباحا من يوم
٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٨ وهناك وجدنا المطوفين ينتظروننا وقدموا لنا هدايا من
البطيخ والمان وماء زمزم ، فأكلنا وشربنا حامدين الله شاكرين ووجدنا على مقربة
من المضيقة مندوبين من قبل الشريف والوالى أحدهما ضابط والآخر ملكى حضرا
لتهنئة الأمير وركبه بالقدوم من السفر وكان يصحبهما شزيمة من الجنود ، وقد تحرك
المحمل من هذا المكان بعد أن خلع لباس السفر وارتدى حلة القصبة يتقدمه ثلة
من الفرسان والموسيق والمزمار البلدى يطربان بنغمهما الحضور والمستقبلين الى أن

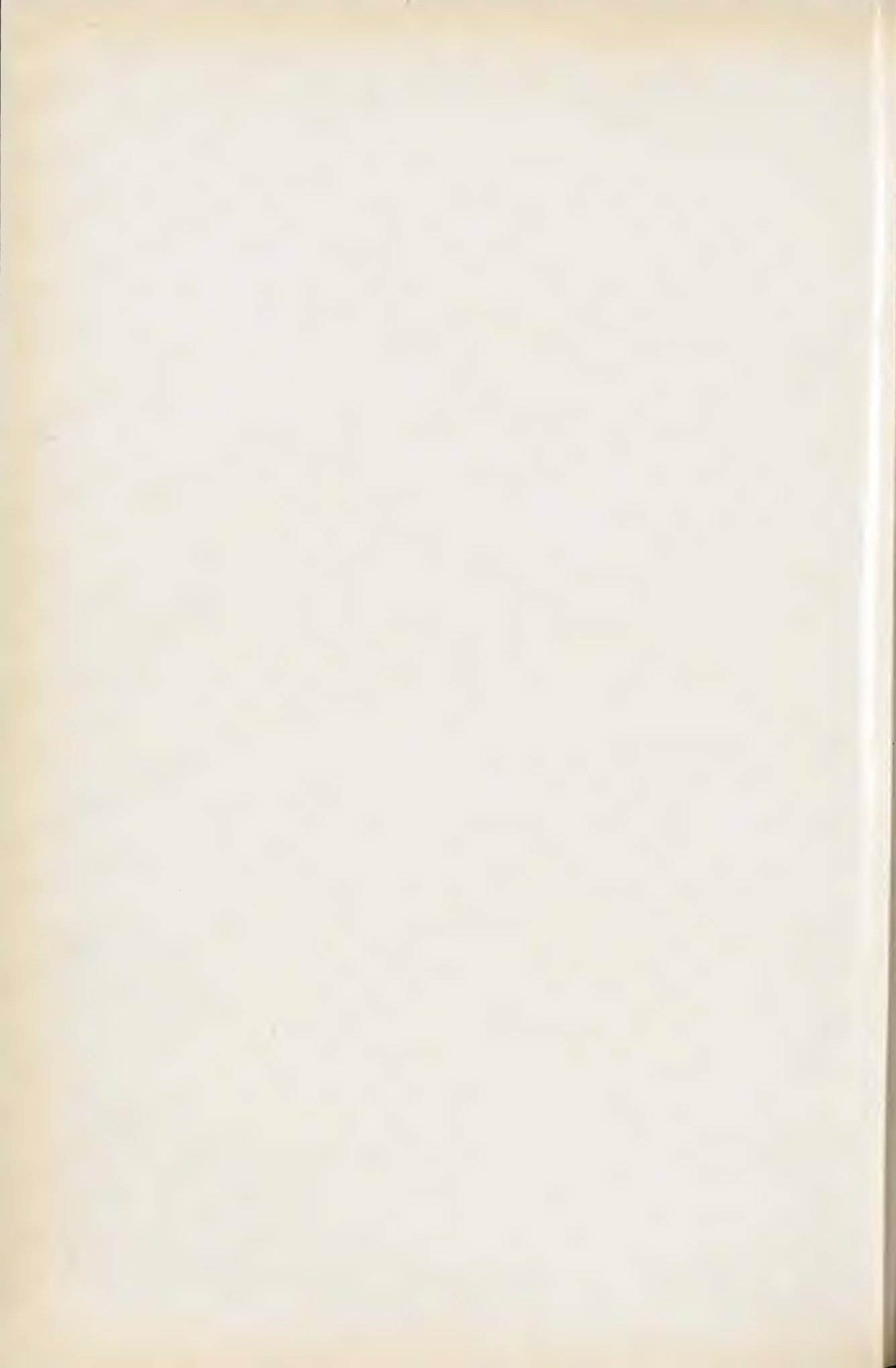
وصل الى مقامه المعتاد بجهة جرول أو الشيخ محمود المجاور لحديقة عون الرفيق باشاء،
وهناك نصبت الخيام بعد إزالة ما بالأرض من حجر ومدر وعرف كل مكانه وعين
الجنود الذين يقومون بالحراسة .

دخول مكة

بعد أن ألقينا عصا التسيار بجهة جرول غربى مكة واتخذنا منها مقاما محمودا
أما فيه على أمتعتنا هممنا بدخول مكة لأداء طواف القدوم تحية البيت الحرام
فاغتسلنا جميعا من بَرْدَى طوى اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه نزل في حجة
الوداع بذى طوى المعروفة بآبار الزاهر وبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من
ذى الحجة سنة ١٠ وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض الى مكة كما سيأتى ان
شاء الله تعالى فى سياق حجتة (أنظر المعسكر فى الرسم ٢٦) ترى به سطح المكان القائم
على البئر، وبعد اغتسلنا دخلنا مكة من الطريق المعروف بطريق الحجون وهو طريق
ثنية كداء التى دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (أنظر الثنية فى الرسم ٢٧)
والثنية كما تراها فى الرسم طريق حجرى مرتفع الوسط فى شمال مكة واقع بين جبلين
على كل منهما برج بناه الشريف غالب فى سنة ١٢١٤ اتقاء لسعود بن عبد العزيز
الوهابى الذى جاء للحج فى تلك السنة ومعه من قومه أمثال الرمال ومن الثنية يهبط
المرء الى المعلاة مقبرة أهل مكة ويشقها الطريق شقين عن اليمين وعن الشمال ويحيط
بالمقبرة سور قديم مبنى بالحجارة وبها قبور كثير من الصحابة، وبالشق الأيسر قبعة شاهقة

(١) قد جاء فى كتاب منتخب شفاء الغرام طبع أوربا أنه فى سنة ٨١١ سهل بعض المجاورين موضعا
مستصعبا فى رأس الطريق وسهل أيضا بعض مجاورى مكة فى النصف الثانى من سنة ٨١٧ طريقا فى هذه
الثنية غير الطريق المعتادة بل على سائر الهابط منها الى المقبرة والأبطح كانت ضيقة جدا فنتحت ما يابها من الجبل
بالمعاول حتى اتسعت فصارت تسع أربع قطار من الجمال المحملة وكانت قبل ذلك لاتسع إلا واحدة وسهلت
أرضها بتراب ألقى فيها حتى استوت ورغب الناس فى سلوكها عن الطريق المعتادة وجعل بينهما حاجز من
الحجارة المرصوفة ثم جعل سودون المحمدى رئيس العماير بالمسجد الحرام سنة ٨٣٧ هذين الطريقين طريقا
واحدا فردم الطريق الجديدة المنخفضة عن القديمة بنحو قامة حتى سقواها بالأولى وجعلهما طريقا واحدا يسع
عدة قطار، والحجون هو الجبل الذى فيه الثنية وهو المذكور فى شعر مضاض بن عمرو الجرهمى .







28. The dome of El Sayyida Khadija in El Maalla at Mecca,



29. A view of the domes of the grandfathers of the Prophet, Abdel Motaleb Abd Manaf, and his uncle Abu Taleb

على قبر السيدة خديجة^(١) أم المؤمنين رضى الله عنها كما ترى فى الرسم ٢٨ وبه أيضا قبر زعموا أنه لآمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا افتراء والحقيقة أنها مدفونة بالأبواء بين المدينة ومكة على نحو ١٣ ميلا من رابغ . وبه أيضا جملة قباب^(٢) قيل لنا : إنها على مقابر عبد مناف وعبد المطلب وهاشم أجداد النبي صلى الله عليه وسلم

(١) وهى زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وأول من آمن به وقد واسته بما لها ونفسها وتزوجها صلى الله عليه وسلم وسنها ٤٠ سنة وسنه ٢٥ ولم يتزوج عليها غيرها حتى توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وهذه القبة بنيت فى سنة ٩٥٠ بالحجر الشميسى بمعرفة الأمير الشهيد محمد بن سليمان الجركسى أمين الدفاتر (دفتر دار) بمصر فى ولاية داود باشا نائب السلطان سليمان القانونى ، وكان على القبر قبل القبة تابوت خشبى وقد جعل محمد ابن سليمان المذكور خادم القبر مرتبا من صدقات السلطان سليمان ولكنى رأيت على القبة تاريخ سنة ١٢٩٨ فيظهر أنها جددت بعد سنة ٩٥٠

(٢) مما لا ريب فيه فى شرعتنا الاسلامية أن إقامة القباب على القبور محرمة بل ما هو دون القباب فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا رضى الله عنه أن لا يدع قبرا مشرفا إلا سواه بالأرض ولا تمثالا إلا طمسه — رواه النسائى — ومع هذا الحظر القطعى أكثر المسلمون من إقامة القباب فوق قبور من أعتقدوا فيهم الصلاح تقربا اليهم وإعظاما لهم وإشادة بذكركم ويعلم الله أن الذكرى إنما هى بالأعمال الطيبة لا بالأبنية المشيدة وأن هؤلاء الموتى أحب الأشياء اليهم أن يؤتى بهم فى أعمالهم وأخلاقهم فإن ذلك ينفعهم فى أجدائهم إذ لهم مثل أجر من عمل بعملهم ثم اذا كان الباعث على إقامة القباب ما ذكرنا من اعتقاد الصلاح والتقوى فلماذا نقيمها على قبر أبى طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد دعاه الى الاسلام فأبى حتى لفظ نفسه الأخير وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لعله تنفعه شفاعتى فيوضع فى ضحضاح من نار) — الضحضاح — اليسير .

اللهم إني لا أظن سببا لإقامة القباب فوق قبور هؤلاء إلا قرابتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن القرابة وحدها غير منجية إذ لو أنجى قريبه لنجى نوح ابنه ، وإبراهيم أباه ، ولوط زوجته ، وآسية فرعون ومحمد صلى الله عليه وسلم عمه أبى طالب ولكن لم ينفع هؤلاء أولئك لأن الانسان بأعماله لا بأعمال غيره (وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) والتفاضل إنما هو بالتقوى لا بالقرابة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ففى يتفقه المسلمون فى دينهم ويأتسون بنبيهم ويدعون هذه الخزعبلات وتلك الترهات التى أخرت ديننا وأمتنا وتركنا مثلا سيئا فى الآخرين فالحلهم اهد قومنا الى سواء السبيل .

وكذلك قبة على قبر عمه أبى طالب تراها فى (الرسم ٢٩) وفى (الرسم ٣٠) صورة عامة لمقبرة المعلاة وكذلك فى (الرسم ٣١) .

وقد زرنا هذه المقابر وقت مرورنا بها ثم سرنا الى سوق البلد ثم الى المسجد الحرام وهو على مسير نصف ساعة من معسكرنا وقد دخلنا المسجد من باب بنى شيبة المعروف بباب السلام وهو فى الجهة الشمالية الشرقية ، وعند رؤية الكعبة رفعنا الأيدي متضرعين الى الله وكبرنا وقلنا : اللهم أنت السلام ومنك السلام حينما ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو أعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا - وقد سمع هذا الدعاء سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله عنه يقوله ، ثم أتجهنا الى باب بنى شيبة الذى بداخل المسجد عند مقام ابراهيم وهو باب المسجد الأصيل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرف بباب بنى عبد مناف ومنه دخل فى حجة الوداع وقد دخلنا منه أقتداء برسولنا عليه الصلاة والسلام وقلنا ساعة الدخول كما قال : ﴿ رَبِّ ادْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ۝ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبٰطِلُ إِنَّ الْبٰطِلَ كَانَ زَهُوْقًا ۝ وَإِنْ ذٰلِكَ لَمَكْتُوبٌ فِىْ أَعْلَى الْبَابِ بِالْخَطِّ الْجَمِيْلِ الْمَذْهَبِ ، وَالْبَابُ عِبَارَةٌ

(١) وتسمى أيضا مقبرة الحجون وفيها يقول كثير بن كثير السهمي :

عني جودى بعبرة أسراب * من دموع كثيرة التسكاب
إن أهل الحصاب قد تركوني * موزعا مولعا بأهل الحصاب
كم بذاك الحجون من حى صدق * وكهول أعفلة وشباب
فارقوني وقد علمت يقينا * ما لمن ذاق ميتة من إياب

والحصاب : المراد به المحصب وهو موضع الحجارة بمنى - وفى يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الثانى سنة ١٠٨٦ شرع الشيخ محمد على بن سليمان الوزير الذى حضر من الين فى هدم قبور المعلاة وبني مقبرة خاصة ذات جدران ربيع وقسمها تقسيم الشطرنج وجعلها ذات باين وهتك بذلك حرمة الأموات . وفى هذا يقول الشاعر :

تكفل ابن سليمان أذية من * قد وحد الله من حل فى الحرم
فحين عم الأذى الأحياء منه غدا * مفتشا لأولى التوحيد فى الرمم
طريقة من شقاء ما تناقلها * أهل التواريخ من عرب ومن عجم

وكان محمد هذا من أولع بتنظيم مكة ومناسك الحج .

مَقْبَرَةُ الْعَلِيِّ بْنِ الْحَكِيمِ



30. A view of the Tomb El Maalla in Mecca.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالسَّيِّدَةِ الْكَبِيرَةِ وَالْمَسِيرَةِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمَلِكِ الْإِسْلَامِيِّ

بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالسَّيِّدَةِ الْكَبِيرَةِ وَالْمَسِيرَةِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمَلِكِ الْإِسْلَامِيِّ



31. The Maalla showing the domes of El Sayyida Khadijah, El Sayyida Amnah, and the ancestor of the Prophet, Abdel-Mottalib and Abd Manaf.

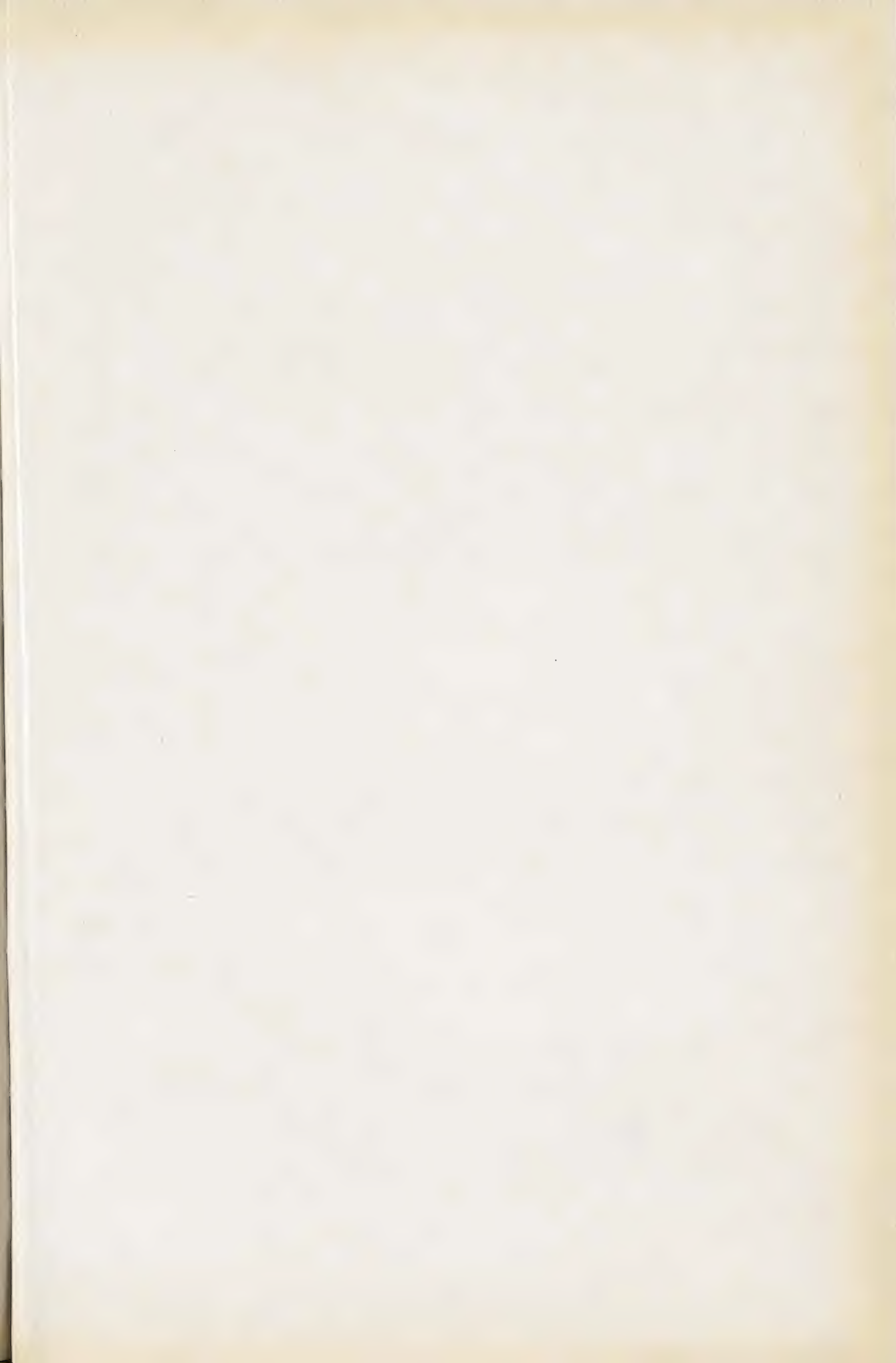
صحيحة ٣٣

بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالسَّيِّدَةِ الْكَبِيرَةِ وَالْمَسِيرَةِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمَلِكِ الْإِسْلَامِيِّ



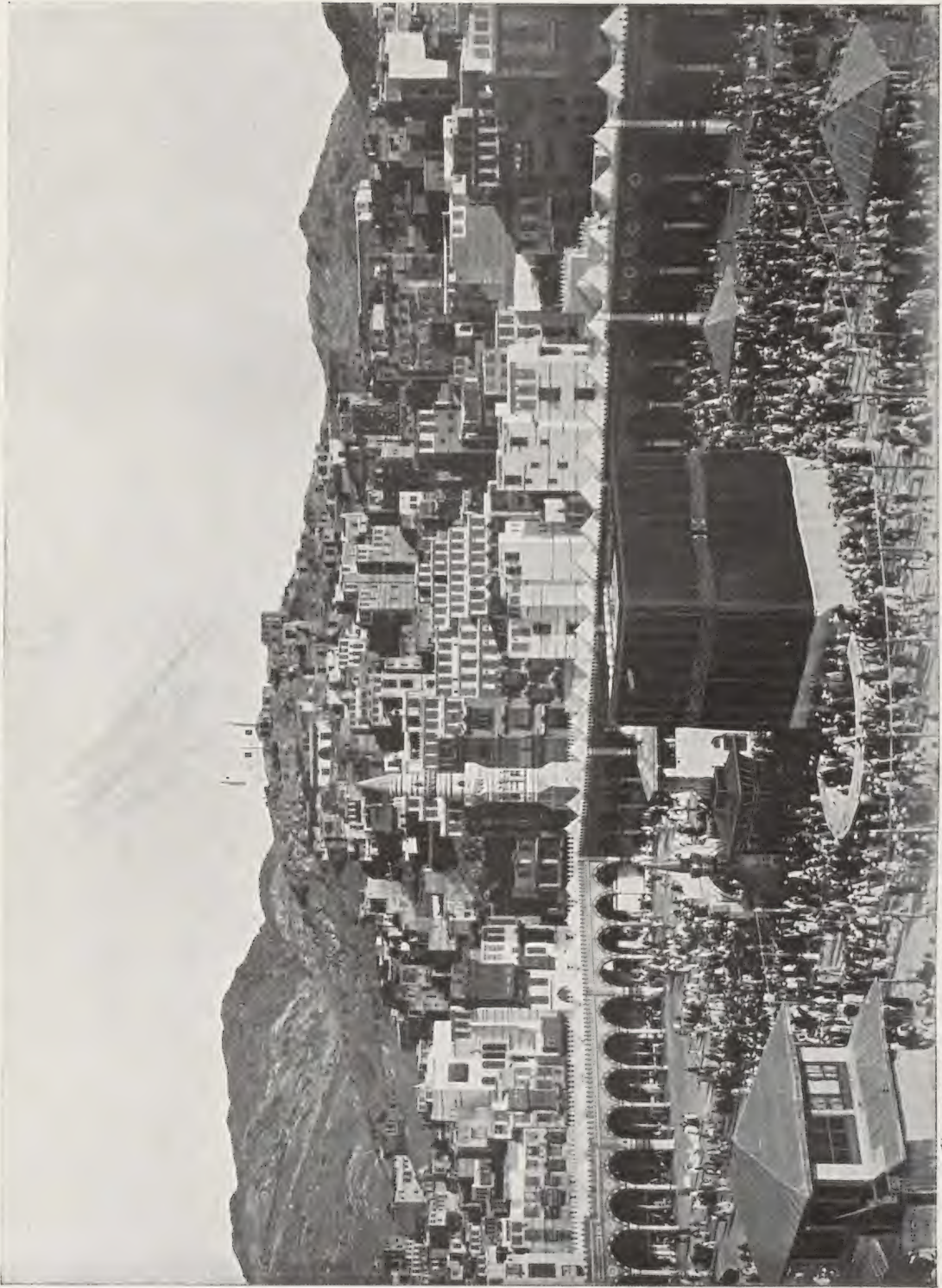
بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالسَّيِّدَةِ الْكَبِيرَةِ وَالْمَسِيرَةِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمَلِكِ الْإِسْلَامِيِّ

32. The meeting of the Pilgrims to attend the speech of the day of El-Tarweya



21

حَوْلَ الْكَأْبَةِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي رَجَبِ ١٣٢٠ هـ
 وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي رَجَبِ ١٣٢٠ هـ
 وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي رَجَبِ ١٣٢٠ هـ



الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي رَجَبِ ١٣٢٠ هـ

33. The Kaaba in the Mecca Mosque.

عن قائمين يعلوهما عقد مستدير أتقن صنعه، وعرضه أربعة أمتاره. أنظر (الرسم ٣٢) الذى أخذت صورته في يوم التروية ثامن ذى الحجة سنة ١٣٢٥، وقد اجتمع الحجاج بالمسجد الحرام لسماع خطبة المناسك. ثم وقفنا متجهين الى ناحية الكعبة الجنوبية التى في ركنها الشرقى الحجر الأسود وفي طرفها الغربى الركن اليمانى، وبدأنا من عند الحجر بطواف القدوم (طواف التحية) بعد أن قبله من قدر ولمسه من لم يقدر وأشار اليه من لم يتمكن من أحدهما، وقال الجميع: بسم الله والله أكبر، وقد جعلنا البيت عن يسارنا في الطواف حوله، وكان طوافنا من وراء الحجر (الحطيم) وكان سبعة أشواط رملنا (أسرعنا) في الثلاثة الأولى منها وسرنا في الباقي سيرنا المعتاد آقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، اذ روى أبو داود والنسائي عن ابن عباس رضى الله عنهما. قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة في عُمرة القِصَّة فقال المشركون: إنه يقدِّم عليكم قوم قد أوهنتهم - أضعفتهم - حمى يثرب - المدينة - ولقوا فيها شرا فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فأمر أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة الأولى، ولم يمنعه أن يلزمهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم، فلما رأوهم قالوا: هؤلاء الذين ذكركم أن الحمى قد أنهكتهم، هؤلاء أجلد منا وكذلك فعل هو وأصحابه في حجة الوداع فكان ذلك سنة، وترى في (الرسم ٣٣) الحجاج وهم يطوفون حول الكعبة وقد لبست كسوتها السوداء وأتررت بإزارها الأبيض والواجهتان الظاهرتان بالرسم من الكعبة الواجهة الشمالية التى في أعلاها ميزاب الرحمة الأبيض وأمامها حجر اسماعيل على شكل نصف دائرة، والواجهة الغربية وترى على يمين الكعبة في الرسم مصلى إمام المالكية، ومصلى إمام الحنبلية على شكل مظلة قائمة على أربعة أعمدة وعلى يسارها مقام إبراهيم من خلفه باب بنى شيبه، والجزء الأبيض الذى بين المقام وزمزم جزء من بناء زمزم الذى يصلى عليه إمام الشافعية، والمظلة ذات الطبقتين التى على اليسار مصلى إمام الحنفية وترى في الرسم أعمدة المطاف على شكل دائرة كما ترى أعمدة الأروقة بعقودها وقبابها وكذلك به بيوت الأشراف الفخمة، والجبل

الذى على اليسار جبل الخندمة والذى على اليمين جبل أبى قبيس فوقه مسجد إبراهيم القيسى . وبعد الطواف أتينا المتمم وهو ما بين باب الكعبة والجعر الأسود فى الجهة الشرقية ووضعنا عليه صدورنا وتعلقنا بأستار الكعبة وابتهلنا الى الله أن يعافينا فى ديننا ودنيانا وقلنا ما خطر بنفوسنا من الرغبات الصالحة والأمانى المشروعة ثم ركعنا ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام عملا بقوله تعالى ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ثم أتينا زمزم فى الجنوب الغربى لباب بنى شيبه بداخل المسجد وشربنا منها وتصلعنا ، ثم خرجنا من المسجد من باب الصفا فى الجنوب وقصدنا الصفا وهو مكان مرتفع نحو مترين طوله ٦ أمتار فى عرض ٣ وصعدنا اليه بدرج متظم وهناك استقبلنا البيت وهللنا وكبرنا ودعونا ثم نزلنا منه الى شارع السعى شرق المسجد فسرنا فيه نحو ٧٠ مترا واذا بالميلين الأخضرين (العالمين) أحدهما على اليمين بحائط بيت وثانيهما على الشمال بجوار باب المسجد الحرام المسمى (باب بازان) ومنهما هرولنا واضعين أيدينا على صدورنا الى الجانبين الى أن قطعنا ٧٥ مترا واذا بالميلين الآخرين أحدهما فى الميمنة فى حائط والآخر فى الميسرة بجذائه أمام باب المسجد الحرام المسمى بباب على ، ومن هذين العالمين مشينا مشينا المعتاد ٢٤٠ مترا فوصلنا الى المروة وهى أشبه بالصفا (سأتى الكلام مفصلا على الصفا والمروة) وقد صعدنا اليها وهللنا وكبرنا فكان ذلك شوطا ثم نزلنا من المروة الى الصفا وفعلنا فى الثانية ما فعلنا فى الأولى فكان ذلك شوطا آخر وهكذا أتممنا سبعة أشواط (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو أعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم) ويلاحظ أن النساء لا تهرول فى السعى ولا ترمل فى الطواف ولا ترفع الصوت بالتلبية خشية الفتنة وبعد السعى تحلل المعتمر منا بالخلق أو التقصير وحل له كل شيء . وفى يوم التروية (ثامن ذى الحجة) يحرم بالحج ، أما المحرم بالحج فقط أوبه مع العمرة فإنه لا يتحلل بل يستمر فى إحرامه حتى يأتى بأعمال الحج من وقوف ورمى وحلق وطواف الخ ، ويتحلل بعدئذ التحلل كله .

ولا بأس من أن نذكر لك في هذا الموطن ما يصدر من العربان ونسائهم وقت الطواف فإن فيه تفككة: إحرام العربان عبارة عن كشف أذرعهم ورءوسهم، وباقي جسدهم مستور وشعرهم مشور غير منتظم وأكثرهم طويل الشعر مضافه أشبه بشعور النساء عندنا، أما نساؤهم فمحتجبات لا يكاد يبدو منهن شيء والرجل يقول في طوافه : يارب البيت اشهد أني حيت لا تقول ما حيت اغفر لي ولوالدي وإلا تغفر لي غصبا تغفر لي تراني حيت يقول ذلك بصوت جهورى مزيج ويسرع في مشيه في الطواف والسعى ويأخذ الرجل بيد زوجته أو أخته أو أمه ويسرع بها في السير وعند ما يصل بها الى الحجر الأسود يرفعها ويضع رأسها في تجويف الحجر واذ ذاك تمسح وجهها وشعرها ويقول لها (حجي يامرء حجي) وتقبيل الحجر عندهم فريضة لازمة لا يتركونه ولو ماتوا دونه ومن كثرة زحام هؤلاء العربان على الحجر وإدخالهم الرءوس في تجويفه حصل به خدش أصلح فيما بعد، ومات أحد الحجاج أثناء الطواف من شدة الزحام، ومما سمعته محاورة بين اثنتين من نساء العربان قالت إحداهما للكعبة : (ياست ليلة [لعل تسميتها ليلة لأنها سوداء وكسوتها سوداء] إن كان جاتنا المطر في ديارنا وجانا الخير أجيب لك عكية سمن (قربة صغيرة) تدهني بها شوستك، لأن العربان يزعمون أن الكعبة امرأة تدهن رأسها — فقالت الثانية : حقيقة تجيبي لها فقالت لها : أسكتي أنا عمال أكذب عليها اذا جاتنا المطر ما أجيب) فانظر كيف بلغ أدب العربان في خطاب الرب حدا سيئا وكيف بلغت من نفوسهم الاعتقادات الفاسدة. ما ذلك إلا من فرط جهلهم بالدين فهل لأولئك من مرشدين .

وفي يوم السبت ٢ ذى الحجة (٢٣ مارس) قدم من جدة الى مكة ١٥٠٠ حاج سائرين على الأقدام بعد أن تركوا جميع أمتعتهم بجدة وانما قدموا رجالة لقلة الجمال وكثرة الحجاج يخافوا إن انتظروا أن تفوتهم الفريضة فأسرعوا بالحضور .

التراور بمكة

زيارة أمير الحج وأمين الصرة لصاحبي الدولة شريف مكة ووالها

في اليوم الذي وصلنا فيه إلى مكة (٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٨) بعد أن زرنا البيت الحرام وطفنا وسعينا وتحللنا زار أمير الحج وأمين الصرة دولة الشريف بعد الاستئذان منه وساعة اللقاء ثما يده وسلم له الأمير مكتوبين أحدهما من المعية السنية والآخر من نظارة الداخلية وكلاهما يتضمن التحية والتماس مساعدة أمير الحج على أداء عمله والقيام براحة الحجيج وقد قدّم الشريف لهما القهوة والشاي ومكثا بجلسه فترة طويلة كانا فيها موضع تجلته ثم أنصرفا شاكرين ، ولم أتمكن من التوجه معهما اذ شغلني تنظيم المعسكر وإعداد ما يلزم لرجال المحمل وشراء العلف للدواب ، وفي اليوم التالي زرت مع الضباط وقد وقف لنا ساعة دنونا منه وقبلنا يده وأذن لنا بالجلوس وبلغته سلام الجنب العالى الخديو فشكره ودعا وأظهر شوقه لرؤيته فنبأته بأن سموه تواق إلى الحج ، فقال : متى تمت السكة الحديدية توافرت سبل الراحة ، ولبثنا في حضرته زهاء ساعة ونصف كنا فيها موضع رعايته ، وقدّم لنا في خلالها الشاي والقهوة ثم خرجنا شاكرين .

وفي اليوم نفسه زار الأمير والأمين وأنا ثالثهم دولة الوالى بمقر الحكومة المسمى « الحميدية » فقابلنا بالبشر والترحاب وسلم الأمير اليه كتابا من نظارة الداخلية توصية بركب المحمل فبعد تلاوته سأل عن حال العساكر والحجاج وعرفنا بأنه مستعد لعمل كل شيء يوفر على الحجاج راحتهم وطمانيتهم فدعونا لدولته وشكرنا وبعد تناول القهوة رجعنا شاكرين .

زيارات مختلفة — في الفترة التي أقمتها بمكة زرت رئيس الجند العثماني (القومندان) ولديه رتبة لواء كما زرت وكيل الوالى ويسمى « المحاسبى » وسعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للإشارات البرقية الحجازية وكذلك زرت الشريف





بسم الله الرحمن الرحيم
 في سنة ١٣٤٠ هـ
 بنى الأمير محمد بن عبد العزيز
 هذا السبيل في مكة المكرمة



بسم الله الرحمن الرحيم
 في سنة ١٣٤٠ هـ
 بنى الأمير محمد بن عبد العزيز
 هذا السبيل في مكة المكرمة

331. Fountain (Sibil) of drinking water at Mena for Pilgrims
 in the year 1340 H., East and South sides.

على باشا وكيل الأشغال لأمير مكة والشيخ الشيبى (من بنى شيبة) السيد محمد صالح أمين مفتاح الكعبة ، ومن زرتهم ناصر باشا ابن الشريف عبد المطلب أمير مكة سابقا وقد طلب الى أن أرفع الى الاعتبار الخديوية ما يأتى :

(أولا) يود أن تكون مرتبات الأشراف التى تصرف اليهم من المالية والأوقاف بحساب الريال المصرى لا الجازى (أبو طاقه) الذى قيمته عشرة قروش وقتئذ .

(ثانيا) انتقد ما عمله بعض نظار (التكية) المصرية من تحويل نوافذها الى أبواب لحوانيت اقتضبت من التكية ويرى أن ذلك غير مناسب للطعم .

(ثالثا) انه قد صدر الأمر الكريم بإنفاق ٨٠٠٠ جنيه مصرى لتشييد مخزن كبير فى منى يملأ بالماء لشرب الحاجين وأبناء السبيل فيرجو انجاز هذا الأمر الجليل الذى يعد أثرا خالدا لسمو الخديو يستحق به عظيم المثوبة من الله لأن بعد الماء رفع قيمته حتى إن القربة التى تسع قدما مكعبة من الماء يبلغ ثمنها ٣,٥ قروش بل فى هذا العام كان ثمنها ٥ قروش وإنى أعضده فى فكرته هذه فان ذلك عظيم النفع للحجاج خصوصا الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون وتضطرهم الفاقة الى جلب المياه من الأماكن النازحة سيرا على أقدامهم ، بل وفرة الماء تقطع دابر الأشرار من الأعراب الذين يتربصون من يبتعد عن منى لإحضار المياه فيسلبونه ماله ولا مغيث فان المياه تبعد عنها بأكثر من ثلاثة أميال أضف الى ذلك أن كثرة المياه تساعد على نظافة البدن والملبس وذلك أحفظ للصحة وأرعى لها فإنجاز هذا المشروع يعود بالخير العميم على الناس وعلى من يقوم به .

وقد كتبت سمو الخديو فى هذا الاقتراح فقال : لا مانع على أن يتولى الانفاق على المشروع موظف مصرى ، ولما عرضت ذلك على الشريف عون فى حجتى الثانية وافق على المشروع ولكن اشترط أن يتولى هو الانفاق ، فكان شرطه هذا داعيا لوقف المشروع الى أن نفذ فى السنين الأخيرة — فى عهد مايكنا فؤاد الأول .

ومن زرتهم محسن بك وعبد الله بك ولدا المرحوم الشريف محمد باشا ابن الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقا وهما شابان لا يتجاوز عمرهما الثامنة عشرة لم يتعلما إلا المبادئ الأولية لإهمال التعليم بمكة وقلة المدارس بها وذلك ما يرغب فيه الشريف عون الرفيق باشا لأنه يرى في العلم تنويرا للأفكار ومطالبة بالحقوق وضربا على أيدي الظالمين وجهادا للتخلص من المستبدين وهو عليم بنفسه خبير بسيرته، وترى في (الرسم ٣٤) الأخوين بلباسهما العربي وفي (الرسم ٣٥) بلباسهما المكي خلفهما محمد بن سعيد الزمزمي وفي (الرسم ٣٦) بلباس مختلف والواقفون وراءهما إبراهيم بك مصطفى المعظم ناظر دار العلوم سابقا فأنا فأحمد بك زكي أمين الصرة في سنة ١٣٢١

وقد زرت كثيرا غير هؤلاء من الأشراف والسراة وكانوا يقابلوننا أحمل مقابلة ويردون الزيارة إلينا في المعسكر، فكنت أكرمهم غاية الإكرام وكان ضباط الحرس يعطفون عليهم ويتحدثون معهم وكانوا ولعين بسماع الآلات المطربة فكنت استحضر لهم الموسيقى والمزمار البلدي فيتناوبان الألحان مما يزيد في ابتهاجهم وانشرح صدرهم، وكانت الموسيقى تعزف كل يوم من بعد صلاة العصر حتى تتوارى الشمس بالحجاب وكان الناس يجتمعون على السماع ترويضاً للأفكار وتهذيباً للنفوس فكان لنا الدين والدنيا جميعاً .

زيارة أمير مكة وواليا وقائد جندها للمحمل — في الساعة الثانية العربية نهارا من يوم ٧ ذى الحجة سنة ١٣١٨ زار صاحب الدولة الشريف عون الرفيق باشا أمير مكة معسكر المحمل في موكب حافل وكان راكبا عربدة يجرها جوادان وكان على يساره وكيله الشريف علي باشا وكان أمام العربية ٥٠ فارسا و ١٥٠ مجانا و ٢٥٠ راجلا و ١٢ موسيقيا وزمارا وكلهم من أهالي مكة إلا القليل — سودانيين — وكانوا بلباس عادي يحملون أسلحة من الطرز القديم وكان خلف العربية حوالي ١٥ جوادا يقودها سواصمها وكان عليها السروج المذهبة المسبل عليها القطيفة المزركشة بالقصب — منظر يسر الناظرين — (انظر الرسم ٢٦٧) أما نحن فلدى قرب مجيئه اصطفت عساكرنا

عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف علي

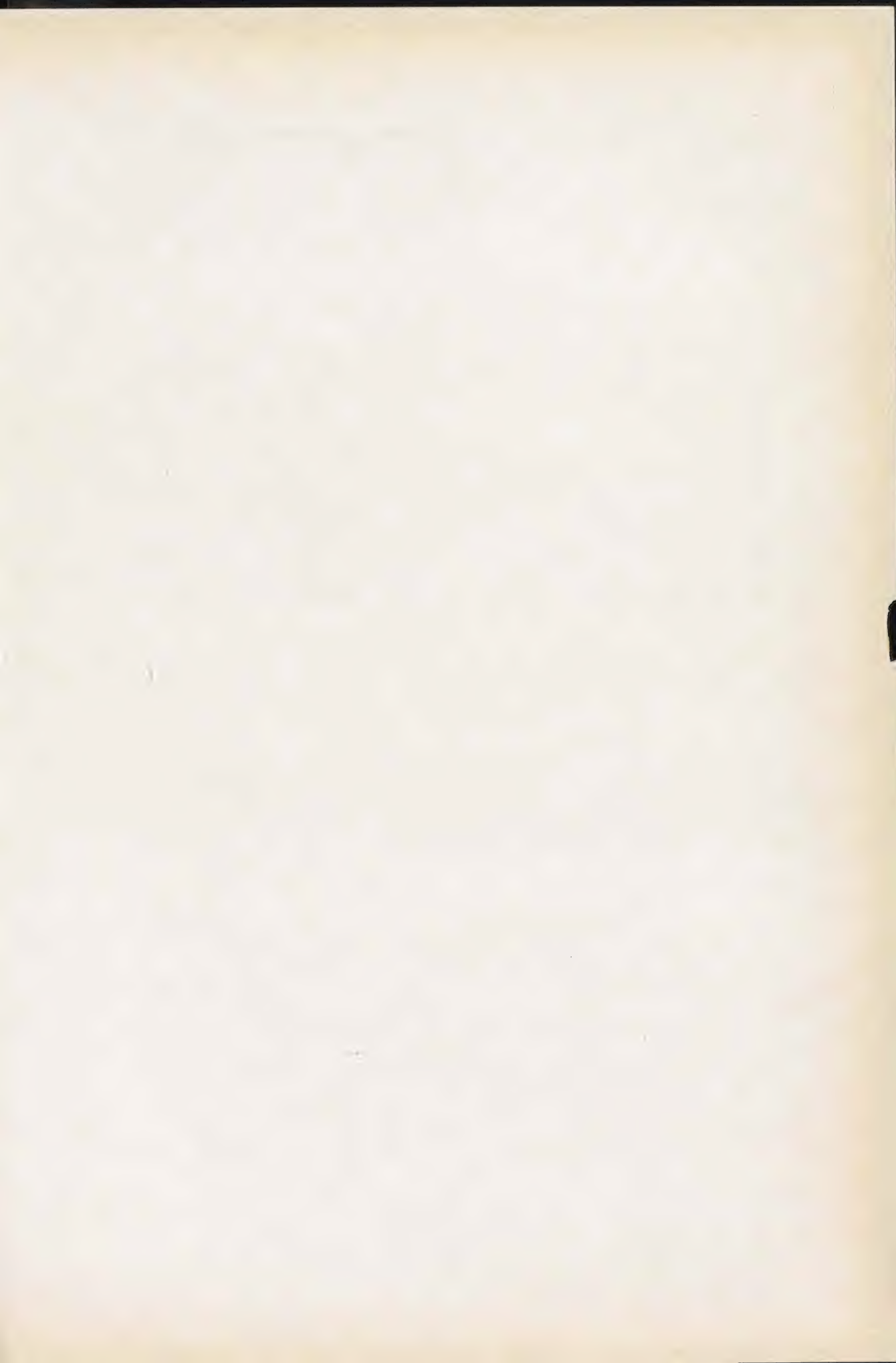


عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف علي



عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف علي

34 & 35. Photos of Abdulla Pacha and Mohsin Pacha the sons of El Sherrif Aly Pacha's brother.



عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ وَسَلَّمَ



عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

محمد علي سعودي بمصر

36. The photo of Abdulla Pacha and Mohsen Pacha.



تجارت الكرم في مكة المكرمة

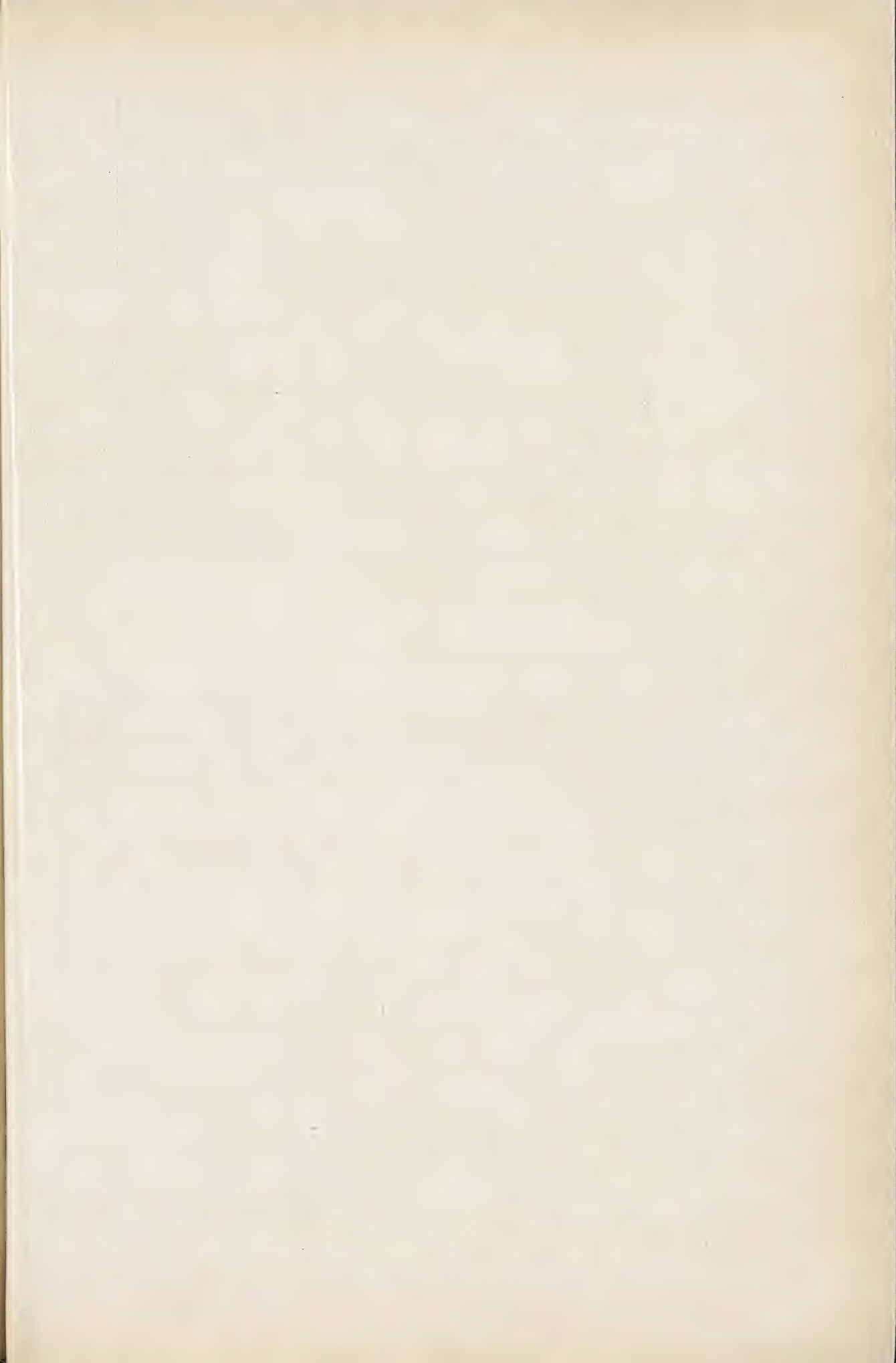
267. A view of the Horses of Amir Mecca in Sheikh Mahmoud.

الشيخ الشريف عثمان بن علي بن عثمان



الشيخ الشريف عثمان بن علي بن عثمان

37. A photo of El Sheriff Own El Rafik Pacha and his companion



صفيين متقابلين الموسيقيون أولا فالفرسان فالمشاة، واتخذ رجال المدفعية مكانا مناسباً لإطلاق المدافع ووقف أمير الحج والأمين وموظفوا المحمل في مينة العسكر وعند وصول الشريف تقدم اليه الأمير والأمين وقبلا يده وطرف السترة (الأتك) وتبعاه راجعا عربته يسير الهوينا بين الصفيين متأملا زى العساكر معجبا بشهامتهم وشباتهم مسلما عليهم بالإشارة، وعند سرادق الأمير نزل من العربة وجلس على أريكة في صدر السرادق وساعتئذ قدّم له الأمير موظفى المحمل فاشموا يده ثم أمرهم بالجلوس وبعد زمن يسير قلت للعسكر «صفا» أى راحة، وتوجهت بالضباط الى السرادق حيث قبلنا يد الأمير «أتكه» كمن سبقنا، وبعد تناول الشاي والقهوة همّ بالعودة فرجعت بالضباط حيث كانوا أولا وساعة مروره حيي التحية العسكرية وصدحت الموسيقى بسلام جلالة السلطان وأطلق المدفعية ٢١ مدفعا كما حصل مثل ذلك عند القدوم، وقد أعجب الأمير بكل ما رأى خصوصا زى الضباط والعسكر وكان يرتدى ملابسه العادية العامة والقباء (القفطان) الأبيض والفرجية ذات اللون الرملى، ومما حدث به أمير الحج أنه سأله عن عمر كسوة المحمل القصصية إذ رآها غير زاهية فأجابه بأنها صنعت في عهد الخديو السابق توفيق باشا (انظر الشريف فى الرسم ٣٧) الذى أخذته فى بيت الشريف بعد المغرب وترى بجانبه جليسه الذى يعرف بالبوق وللشريف كبير ثقة به وحسن اعتقاد فيه جعله يؤثره بالهدايا النفيسة التى كانت ترد اليه فابتى منها البيوت الفاخرة المشابهة لبيوت مصر وقد بلغنى أن سبب ذلك الإكبار أنه جاء الى الشريف وقد جلس تحت سقيفة فأشار اليه بالانصراف وقال له «جم جم» فلم يكذب يروح السقيفة حتى سقط عرشها، ومما أثره به من الهدايا فى سنة ١٣٢٠ سيف مذهب وسكينة مذهبة أهدهما الى الشريف سلطان زنجبار.

وفى الساعة الثالثة من اليوم نفسه أقبل دولة الوالى المشير أحمد راتب باشا لزيارة الأمير وركبه وكان يركب عربة كعربة الشريف وكان عن يساره فيها سعادة اللواء صادق باشا مدير الاشارات البرقية الحجازية ويتقدم العربة حوالى ٥٠ فارسا تركيا

من غير النظاميين وكان منهم ستة يحملون على أكتافهم العصي الفضية الطويلة، ودولة الوالى كان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى البحرية وهى عبارة عن (بنطلون) أبيض طويل فوقه معطف طويل أسود عليه سمة مشير بحرى وبصدر المعطف خيوط غليظة مثبتة به من طرفيها (كردون) وفوق ذلك جبة سوداء طويلة تمتد الى ماتحت الركب ومزركشة بالخيوط القصبية على طوقها وكميها ومن أمامها وخلفها وجانبيها وذيلها وهى خاصة بمن يشغل منصب الولاية على مكة وكان من فوق الجبة الوسام (النیشان) المجيدى من الدرجة الأولى، وقد استقبلنا الوالى بمثل ما استقبلنا به الشريف غير أن الوالى نزل من عربته حينما وصل الى أول المعسكر ومر بين الصفيين وكلما حاذى ضابطا صاحفه وكان شديد التأمل فى الضباط والعساكر مسرورا من زيهم معجبا بجميل نظامهم وكان ذلك باديا على محياه ولا سيما عند ما أدت له التحية العسكرية بقوة وشهامة، وقبل أن يبرح دولته سراق الأير قام الشيخ محمد السنباطي (موزع الكساوى على العربات والقائم بالأدعية وقت تسليم الخديو المحمل الى أمير الحج الخ) وتلا خطبة امتدح فيها الوالى ودعا لجلالة السلطان فكافأه على ذلك بخمسة جنيهات كما كافأ الموسيقيين والزمارين بثلاثة أخرى وتلك له عادة سنوية (أنظر الرسمين ٣٨ و ٣٩). هذا وقد كانت زيارة الشريف والوالى لمحملنا بعد عودتهما من زيارة المحمل الشامى فى اليوم التالى لوصوله.

غسل الكعبة

فى يوم الاثنين ٥ ذى الحجة دعيت مع أمير الحج وأمين الصرة وبعض الموظفين لغسل الكعبة حسب المعتاد سنويا فليينا الدعوة وذهبنا الى المسجد الحرام وفى الساعة الأولى العربية حضر دولة الوالى وأمين الدفاتر (الدفتدار) والواء (قومندان) الجنود المكى وبعض العطاء من الحجاج ودخلنا الكعبة وصلينا فى كل من جهاتها الأربع ركعتين ودعونا الله بما أحببنا ودعوت للخديو كما دعا له الأمير والأمين ثم أخذنا جميعا فى غسل أرض الكعبة من الداخل بماء زمزم وكان ذلك بمقشبات

الشريف والى فى العربيه بالشيوخ محمود

أبي بكر بن الوليد فى الشيخ محمود ١٣٢١



الشيخ الشريف والى

محمد على سعودى بمصر

39. The Sherif and the Wali in carriage at a place called Sheikh Mahmoud

مؤتمر الأطباء العربى فى القاهرة



مؤتمر الأطباء العربى فى القاهرة

38. A photo of the Wali of El Hejaz shaking hands with the officers of the Mahmal on meeting officially.



صغيرة صنعت من خوص النخيل ثم وزعت علينا حرق بيضاء مبللة بماء الورد والروائح العطرية وأخذنا نمسح بها جدر الكعبة ، وقد اشتد الزحام أمام بابها لأخذ مياه الغسل للتبرك بها ، والمطوفون يأخذونها في دلاء ويضعونها في قوارير يهادون بها أتباعهم من الحجاج وكذلك يتخاطف الناس مقشاة الغسل بل يتضاربون عليها وعلى الماء ، ولدى نزولى عن الكعبة وضعت ما معى من المقشاة فى منشفة كبيرة (بشكير) استحضرتها معى لغسل الكعبة بها ولأحفظها بعد تبركا ، وقد زاحنى الحجاج وعصر بعضهم المنشفة لعله يجد بها قطرة ماء ومنهم من مسح بها وجهه ومنهم من مسحها ومسح على عينه وجسمه .

هذا والكعبة تفتح فى موسم الحج لمن يريد الزيارة بعد أن يدفع رايالا (برم) قيمته عشرة قروش مصرية لمن يتولى فتح الباب من قبل السيد محمد صالح الشيبى أمين المفتاح وإذا كان الزائر غنيا أخذوا منه بضعة جنيهات ، وبعض الناس يتنزه فرصة غسل الكعبة ويدخل مع الغاسلين . وتفتح الكعبة للزائرين فى ١٠ المحرم للرجال وفى ليلة ١١ منه للنساء ، وتفتح فى ليلة ١٢ ربيع الأول للدعاء للسلطان ولا يدخلها الزوار ولكن يدخلها الرجال فى صبيحة تلك الليلة ، وفى ليلة ١٣ منه للنساء ، وتفتح فى يوم ٢٠ ربيع الأول لغسلها ، وفى أول جمعة من رجب للرجال وفى اليوم التالى للنساء وفى ليلة ٢٧ رجب تفتح للدعاء للسلطان وفى صباحها يزور الرجال وفى المساء يزور النساء ، وتفتح فى ليلة نصف شعبان للدعاء وفى صباحها للرجال وفى مساءها للنساء وتفتح يوم الجمعة الأولى من رمضان للرجال وفى تاليه للنساء وفى ليلة ١٧ منه للدعاء للسلطان وآخر جمعة كذلك ، وتفتح فى نصف ذى القعدة للرجال وفى تاليه للنساء وفى ٢٠ منه لغسلها وتفتح على سبيل الخصوصية لبعض الأعيان . وفى يوم ٢٨ ذى القعدة تحرم الكعبة أى يوضع لها إزار أبيض أسفل الكسوة .

الى عرفات ومنى

قد ورد لنا كتاب من دولة الوالى بأن قاضى مكة أثبت هلال ذى الحجة ليلة الخميس
وعليه يكون الوقوف بعرفة فى يوم الجمعة تاسع ذى الحجة وترى فى (الرسم ٤٠) مثيله
فى سنة ١٣٢٥

ولما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة تحرك لتمام الساعة الحادية عشرة العربية
ركب المحمل من معسكره بمكة ميمما عرفة فسار من حارة الباب الى الشبيكة فالسوق
الصغير فحياد - وفيه المطعم المصرى (التكية) ودار الحكومة العثمانية المسماة بالحيدية -
بخزء من شارع المسعى فالقشاشية فسوق الليل فالغزة، وقد مررنا ببیت الشريف
الذى شيده محمد على باشا جد الأسرة الخديوية وهناك وقف الركب وصدحت
الموسيقى بالسلام الملوكى وهتف الجميع « ياد چاهمز چوق يشا » « يعيش الملك
طويلا » ثم سرنا الى الشمال ومررنا بالياضية على اليسار وفيها بيت بحديقة للشيخ
الشيبى أمين المفتاح ثم شرقنا الى منى ووصلنا الى أول مدرج فى س ١١ وق ٤٠،
والمدرج جزء من الطريق مرصوف بالحجارة يشبه درجة السلم لكن عرضه ٢٠ مترا
وطوله ٥٠ وارتفاعه عشر المتر ووصلنا المدرج الثانى بعد ربع ساعة وقد تابعنا
السير حتى بلغنا منى فى س ١ وق ٤٥، وبها استراح المحمل ربع ساعة بالقرب
من المكان المعد لنصب سرادق الشريف بعد رجوعه من عرفة ثم سرنا فوصلنا
المزدلفة فى س ٢ وق ٣٥، ثم عرفة فى س ٤ وق ٣٥، فنكون قد قطعنا الطريق
بين المعسكر وعرفة فى ٥ س و ٣٥ ق استرحنا فيها ١٥ ق، والطريق رمل لا تغور
فيه الأقدام وتكتنفه من الجانين الجبال الشاخنة التى تتباعد بمنى ومزدلفة،
وفى منتصف البعد بين مزدلفة وعرفة وبالطريق كل ما يحتاج اليه الانسان من
ماء وقهوة وشاى وما كولات من لحوم وأرز وعدس مطبوخة وغير مطبوخة وسكر
وحلاوة وملبس الخ . وحينما وصلنا الى عرفة نزل الركب فى محله المعد له سنويا
وكانت الخيام والأمتعة والمؤن قد سبقتنا الى هنالك فانها أرسلت ليلا بصحبة بعض

العساكر والفراشين ومعهم ضابط ، فأعدت قبل وصولنا وبعد أن عرف كل منا محله أسرعنا جميعا الى جبل الرحمة المعروف بعرفات حيث وقفنا هنالك على سبيل الاحتياط لجواز أن يكون هذا اليوم يوم عرفة مع أنه ثامن ذى الحجة — ولا محل لهذا الاحتياط بعد التثبت في معرفة أول الشهر، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الشك — يرشدنا الى ترك الوقوف في يوم توهمناه التاسع من ذى الحجة والظن بل اليقين بخلافه — وقد نزل علينا مطر خفيف أثناء الوقوف ورجعنا الى خيامنا بعد الغروب .

جبل عرفات وميدانه الفسيح — جبل عرفات على شكل قوس كبير يحيط بواد متسع يسمى «عرفة» وتبلغ مساحته نحو ميلين مربعين وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف وفي طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى الغرب يسمى «جبل الرحمة» (الرسم ٤١ وفيه ترى العلم الذى فى أعلى جبل الرحمة تحت رقم ١ وتحت رقم ٢ شجرة فوق الجبل) وهو جبل صغير بالنسبة لما حوله من الجبال ارتفاعه قريب من ٣٠ مترا وطوله ٣٠٠ متر ويصعد اليه بمدارج كبيرة على شكل سلم غير منتظم ، به ٩١ درجة يختلف ارتفاع الواحدة منها من عشر المتر الى ثلاثة أعشاره ، وعلى يمين الصاعد على الجبل قريبا من منتصفه مستو طوله ١٥ مترا فى عرض ١٠ أمتار وبه مصلى ذوقبله يسمى مسجد إبراهيم عليه السلام ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، وهذا غير صحيح فان هذا المسجد والدرج الذى وصفناه بناهما الوزير محمد بن علي بن المنصور المعروف بالجواد الأصفهاني فى سنة ٥٥٩ هـ (أنظر كتاب منائح الكرم) وفى أعلى الجبل مستو مبلط مربع ضلعه ٥٠ مترا وفى وسط المستوى مسطبة مربعة ضلعها ٧ أمتار وارتفاعها متر ونصف ، وعند الركن الغربى منها عمود مربع مبنى بالجر الأصم ومخصص ارتفاعه نحو أربعة أمتار وعرض كل جانب من جوانبه الأربعة متر ، وهذا العمود علم على جبل الرحمة وتعلق به مصابيح ليلة عرفة لإرشاد الحاجين والسالكين ، وحول العمود حائط به محراب يصلى اليه الناس



حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اسم اللؤلؤ إبراهيم فقيمتنا امير الحج المصري في الحجة ١٣٢٥

41. A view of Gebel Rahma, known by Gebel Arafat.

معسكر الحج في مكة ومسجد الصخرات



مسجد الصخرات في مكة

42. The camp of the pilgrims in Arafat, and El Sakharat Mosque in 1321.



وبأسفل الجبل مسجد صغير يسمى «مسجد الصخرات» يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ولم يثبت، وسمى بذلك لأن في أرضه صخورا كبيرة بعضها الى جانب بعض (أنظر الرسم ٤٢) والمسجد واطى في جانبه الغربى، ويجوار جبل الرحمة ثمانية أحواض مبنية بناء متينا تملأ بالماء من مجرى عين زبيدة بواسطة نجار تحت الأرض وذلك في زمن الحج فقط وترم وتنظف كل سنة قبل أوانه، وفي جنوب الميدان على طريق الطائف جامع عتيق اسمه جامع «نمره» أو مسجد إبراهيم أو مصلى عرفة وهذا المسجد يجمع فيه الحجاج يوم عرفة بين الظهر والعصر جمع تقديم مع الامام الذى يخطب فيه قبل الصلاة خطبة يعلم الناس فيها آداب الوقوف وأنه ممتد الى الغروب (أنظر مسجد نمره فى الرسم ٤٣) .

ويحيط بوادى عرفة من جهته الشمالية والجنوبية والغربية مجرى عين زبيدة (وسنوافيك قريبا بالكلام عليها تفصيلا وصفا وتاريخا) . وعرفة كلها موقف الا وادى عرنة .

قد نبأناك بأن ركب المحمل نزل من عرفة مكانه المعتاد وسط الوادى وقد بتنا بها ليلة التاسع من ذى الحجة، وقبل المغرب بساعة من يوم عرفة تحرك المحملان المصرى والشامى أولهما يسار ثانيهما يتقدمهما أميراهما وأمين الصرة، والجند يحيطون بهما حتى وصلا الى سفح جبل الرحمة فى مكان صلب مرتفع قليلا عن سطح الأرض ووقف الخطيب على جمل بجبل الرحمة قريبا من سفحه يحيط به العساكر لمنع التراحم عليه، ووقف بجواره مبلغان مصرى وشامى بيده كل منديل يلوح به للحجاج كلما سكت الخطيب، وساعة يلوحان ترى الآلاف المؤلفة من الأجناس المختلفة وقد كشفت منهم الرؤوس وعريت منهم الأقدام الا القليل وارتدوا ملابس الإحرام تراهم يستغيثون ومما أسلفوا يستغفرون رافعين عقيرتهم بالتلبية (لييك اللهم لييك . لييك لا شريك لك لييك . أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

ألسنة مختلفة من أجناس متباينة جأرت الى الله بالدعاء فشق صوتها أجواز الفضاء، فاهت بكلمات انبعثت عن قلوب مخلصات وأفئدة طاهرة ونفوس نسيت كل شيء الا ربها إنها وأيم الله لتترك في النفس أثرا لا يحيط به الوصف ولا تحدده العبارة بل لا يعرفه الا من سمع وأبصر « ولا ينبئك مثل خبير » .

وما أظرف ما قاله أبو نؤاس في التلبية .

إلهنا ما أعـدك * مليك كل من ملك
لييك قد لبيت لك * لبيك أن الحمد لك
والملك لا شريك لك * ما خاب عبد سألـك
أنت له حيث سلك * لولاك يارب هلك
لييك أن الحمد لك * والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك * والسابحات في الفلك
على مجارى المنسلك * كل نبي وملك
وكل من أهل لك * سبيح أو لبي فلك
يا مخطئا ما أغفلـك * عجل وبادر أجلك
اختم بخير عملك * لبيك أن الحمد لك
والملك لا شريك لك * والحمد والنعمة لك

وإنك لترى جبل الرحمة قد ملاءه الحجاج حتى لم يبق به موضع لقدم، وكأنك اذا نظرتـه لا تنظر الا أكـداسا من الناس رافعين أيديهم الى قبلة الدعاء شاخصة أبصارهم نحو السماء (أنظر الرسم ٤٤ وفيه ترى يبرق المحمل في أعلاه كأنه رجل والوجه الكبير وجه الشيخ محمد أبى النور نجل صهرنا الشيخ طموم) وأن أغلب هؤلاء من السودانيين واليمنيين والمغاربة وأنهم ليتخذون الجبل مسكنا لهم ويؤدون به جميع أعمالهم من طهى وغيره مدة لبثهم بعرفة . ويظنون أن الوقوف بجبل الرحمة فضيلة كبرى مع أن ذلك بدعة، فقد جاء فى كتاب منائح الكرم ما نصه . قال الشيخ تقي الدين



مَطَرُ الْحَمِيدِ الْبَاهِي وَالشَّيْخُ الْإِسْلَامِيُّ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَسَنٍ



وَمِنَ الْكُتُبِ الْمَشْرُوعَةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ فِي رَجَبِ سَنَةِ ١٣٢١ هـ

45. The Egyptian and Syrian Mahmals on their departure from Muzdalifa to Mina on the 10th. of Zu El-Hegga 1321.



الشيخ الشيخ الكاظمي رحمه الله تعالى

وَمِنَ الْكُتُبِ الْمَشْرُوعَةِ فِي الْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ فِي رَجَبِ سَنَةِ ١٣٢١ هـ

46. The Ameer of the Syrian Pilgrimage caravan riding his horse and carrying a Firman addressed to the Ameer of Mecca entrusting to him the care of the pilgrims

ولا نعلم في فضل هذا الجبل الذي يصعد اليه الناس بعرفة خبرا ثابتا ولا غير ثابت . وما يخص الناس به هذا الجبل من الحرص على الوقوف عليه دون موقفه صلى الله عليه وسلم ودون مواقف عرفه قبل وقت الوقوف ، وإيقادهم عليه النيران فبدع تستلزم محظورات من اختلاط النساء بالرجال وغير ذلك ، وإنما حدث ذلك عند انقراض العلماء الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر واستيلاء الجاهل على الناس وأخذهم الأمور بالقياس اه بلفظه فليحفظ ذلك . هكذا جاء بالكتاب المذكور تحت حوادث سنة ٥٥٩

وقد استمر الخطيب يخطب والناس وقوف حتى مغرب الشمس وإذ ذاك أشعل أحد رجال المدفعية من المحملين شهما (صواريخ) إيذانا بالانصراف من الموقف ، فأفاض الناس مهللين ومكبرين ورحل المحملان المصري في مئمة الشامي (أنظر الرسم ٤٥) والجند يسرون صفيين ومن بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم الحجاج والموسيقى والمزمار يعزفان بالألحان المشجية ، وأخذت مدافع الشريف والوالى والمحملين تتناوب طلقات البشر والسرور ، وقد سرنا نحو المزدلفة من حيث أتينا فبلغناها بعد ساعتين ووقت الوصول ضرب ٢١ مدفعا إعلاما ببلوغ القصد ونزل كل محمل في مكانه المعتاد وجمع كل حاج ٤٩ أو ٧٠ حصاة صغيرة قدر الفولة أو البندقة ونظفها بالماء استعدادا لرمي الجمرات بمنى ، وبتنا ليلتنا بالمزدلفة اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ولتقف في الصباح عند المشعر الحرام أمثالا لقوله تعالى ﴿ فَأَذًا أَفْضَمُّ مِنْ عَرَافَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ وقد استيقظنا حوالى الفجر وأدينا صلاته في أول وقته وارتحل المحملان إلى موضع مسجد قديم ارتفاعه متران ويحيطه سلم وقف عليه الخطيب والتف الحجاج حوله ركبانا ومشاة وأخذ الخطيب يخطب من الساعة الحادية عشرة حتى قرب مطلع الشمس في منتصف الساعة الثانية عشرة ، وقد كان الناس في خلال ذلك يدعون ويلبون كلما دعا الخطيب ولبي ، وموقفنا هذا كان بجوار « المشعر الحرام » وهو جبل بالمزدلفة يسمى بذلك لأن الجاهلية كانت تُشعر عنده .

هداياها (والإشعار ضرب الإبل في صفحة سنامها حتى يسيل منها الدم) ووصف بالحرام حرمة الصيد فيه لأنه من جملة أراضى الحرم التى يحرم فيها الاصطياد .

وقد ارتحل المحملان الى منى قبيل طلوع الشمس في منتصف الساعة الأولى من صباح يوم العيد الأكبر من سنة ١٣١٨ واقفاهما الحجيج ووصلنا منى بعد ساعة فتوجه الناس لرمى الجمرة الأولى «جمرة العقبة» وهى بأول منى من جهة مكة على يمين القاصد لها ، وهذه الجمرة حائط مبنى بالجر عال من وسطه وقد أخذ كل حاج يرميه بحصياته السبع واحدة بعد أخرى مع التكبير فى كل مرة ، قال المحب الطبرى : وليس للمرمى حد معلوم غير أن كل جمرة عليها علم وهو عمود معلق هناك فيرمى تحته وحوله ولا يبعد عنه احتياطا ، وحدّه بعض المتأخرين بثلاثة أذرع من سائر الجوانب إلا فى جمرة العقبة فليس لها إلا وجه واحد لأنها تحت جبل . وبعد رمى الجمرة المذكورة ذهبنا الى مواطننا ، ونحر الهدى^(١) من كان معه هدى وحلق من حلق وقصّر من قصر والنساء قصرن ولم يحلقن .

وبعد ذلك أفاض الحجاج من منى الى مكة (ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) مرتدين لباس الإحرام وطافوا طواف الإفاضة وسعى من عليه سعى وحلق أو قصر ، ثم انقلبوا الى منى فباتوا بها ليلة الحادى عشر وبعد الزوال من صباحه رموا الجمار الثلاث كل جمرة بسبع حصيات بادئين بالجمرة الصغرى التى تلى (مسجد الخيف) من ناحية منى ثم بالجمرة الوسطى ثم بجمرة العقبة ، والراى يقف عقب رمى الجمرتين الأوليين يدعو الله بما شاء ولا يقف عقب الأخيرة لضيق مكانها ، وقد بتنا عيني ليلة الثانى عشر ورمينا بعد ظهوره الجمرات كسابقه ثم منا من سافر الى مكة قبل الغروب ومنا من بات ليلة الثالث عشر ليرمى الجمرات الثلاث فيه (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى) وبذلك تمت أعمال الحج وحل للحرم كل شىء كان محرّما عليه بالإحرام (أنظر الجمرات والحجج يرمونها فى الرسوم ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧) .

(١) الهدى ما يهدى الى الحرم من الابل والبقر والغنم .

ومن فكاهات الحجاج عند رمى الجمرات أن بعضهم كان يرمى الحصيات السبع دفعة واحدة ويخاطب إبليس بلفظة «يلعن دينك» وبعضهم كان يرمى حصاة حصاة ويقول العبارة السابقة عقب كل واحدة أو يقول «في عين دينك» وبعض الحجاج لا يكتفى بالحصيات الصغيرة بل يأتي بأحجار كبيرة ويرمى بها الجمرة (العمود القائم) بل لا يرتاح له بال إلا إذا هدم جزءا من البناء، ومنهم من يقف على البناء ويرمى ومنهم من يلصق به جسده ويرمى؛ وقد كان من الضباط الذين معنا «اليوزباشي» عبد الوهاب حبيب افندى فلما جاء وقت رمى جمره العقبة أخذ عساكر الحرس ورجعوا إبليس (الجمرة) دفعة واحدة بهيئة هجوم على عدو وانتقام منه .

الاحتفال بتلاوة فرمان السلطاني

في يوم ١١ ذى الحجة ونحن بمبنى احتفل بتلاوة فرمان السلطاني ودعا الشريف لذلك أميرى المحملين المصرى والشامى وأمين الصرة والضباط وكبار رجال الدولة والحجاج، وكان الاحتفال بسرادق الشريف الذى اصطفت أمامه حرس كل من الشريف والوالى بموسيقاهم وموسيقى محملنا شاركهم، وانتشرت الجموع الكثيرة من الحجاج المختلفى الأجناس حول السرادق وكان يتقدم الحرس على جواد حامل فرمان السلطاني وآخرون يحملون خلعاً معتاداً حضورها من الإستانة سنوياً (الرسم ٤٦) وكان للشريف فى وسط السرادق مكان خاص وعلى يمينه : (١) فرمان فرما ابن عم شاه العجم وصهره ؛ (٢) الشريف على باشا ؛ (٣) الشريف محمد ناصر غالب باشا ؛ (٤) بقية الأشراف ؛ (٥) قاضى مكة والعلماء والأعيان ؛ (٦) ضباط المحمل المصرى وعلى يسار الشريف : (١) المشير أحمد باشا راتب والى الحجاز وكان بحالة خضوع وخنوع لا تليق برتبة مشير ؛ (٢) سلطان المسكلة والشجر عوض بن عمر القعيطى ؛ (٣) نجله عمر بن عوض القعيطى ؛ (٤) حفيده محمد بن غالب ؛ (٥) أمير وأمين وموظفو المحمل الشامى ؛ (٦) أمير وأمين وموظفو المحمل المصرى ؛ (٧) موظفو مكة وكبار الضباط . وبعد جلوس هؤلاء بالترتيب السابق خرج عليهم الشريف فى زينته

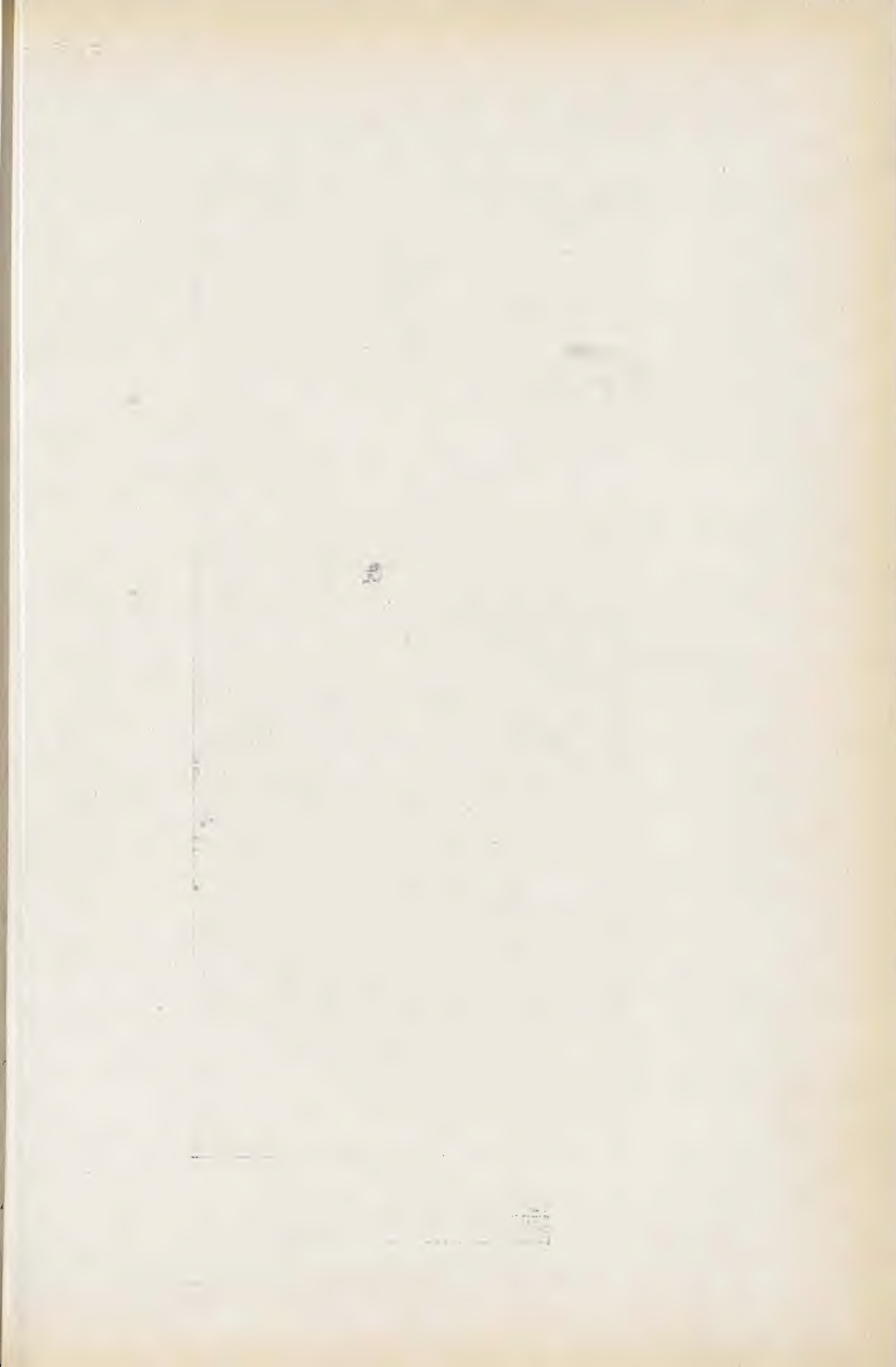
من مكان خاص به وحوله بعض خواصه من الأشراف فقام الجميع وقبلوا يده وقبل دولته رأس صهر شاه العجم وسultan المسكنة والشجر حينما انحنيا لتقبل يده ثم تقدم الى الأمام وتسلم الميكروب السلطاني (الفرمان) من يد حامله وقبله وكان داخل كيس من الأطلس الجميل (الرسم ٤٧) موضوع في وقاية (بقجة) من الحرير الأطلس الأخضر موشاة بالقصب المنسوج (الخيش) ذي الرسوم البديعة (الرسم ٤٨) ثم رجع إلى محله فجلس على أريكة وسط السرادق ووضع الفرمان عن يمينه ثم لم يلبث أن وقف هو والحضور وأمر بتلاوة الفرمان فتلاه كاتبه الخاص محمد علي أفندي تلا أولا صورته التركية ثم تلا ثانيا صورته العربية، ولكنه أسرع في تلاوته بالعربية إذ قال له الشريف: «جوام جوام» وبعد التلاوة صدحت الموسيقى السلطانية بالسلام الملكي وكذلك هتف العساكر والجموع بالدعاء للخليفة الأعظم، ثم تقدم أمين الصرة الشامي بخلعة للشريف وألبسه إياها فوق الخلعة التي يلبسها من قبل وهي التي أهديت له في العام الماضي — وهذه عادة سنوية — ثم قدم له خلعة أخرى من قبل جلالة السلطان فلبسها أيضا وكانت صغيرة خفيفة من الجوخ الأسود ومطوقة بالقصب، وكان دولة الشريف يقبل كل خلعة قبل لبسها وكان على رأسه عمامة عليها أشرطة من القصب الجميل ثم وزعت خلع أخرى على بعض الموظفين وقارئ الفرمان وغيرهم، ولثقل الخلع الثلاث كان يرفع الخلعتين الجديديتين شخصان تحفيضا عن الشريف ثم أدير كؤوس المشروبات الحلوة على الحاضرين والموسيقى المصرية والشاهانية يتناوبان الألحان وكذلك أخذ جماعة من أهل مكة يسمون «أهل النوبة» يضربون على النقارات ومعهم آلات أشبه بالرباب يغنون عليها بالأناشيد العربية الجميلة، فكانت الوجوه فرحة مستبشرة ثم قبل الجميع يد الشريف ومنهم من قبل مع ذلك ذيل الفرجية (الأتك) وانصرفوا، وإذ ذاك نزع الشريف الخلعتين عن جسمه ووضعتهما في الوقايات الحريرية التي أرسلت فيها من الإستانة، وهكذا في كل عام تجدد الخلعتان والفرمانان العربي والتركي، ولا بأس من أن نصف لك الخلعة الأولى التي قدمت للشريف أولا وصفا مقربا: الخلعة عبارة عن فرجية — كفرجية العلماء — من الجوخ الأسود القيم مطرزة

كَيْسُ الْفَرَمانِ الْبَيْضِ الْكَلْبَانِي



جَوَازُ الطَّيْلِ وَالْبَيْضِ الْكَلْبَانِي الْفَرَمانِ الْبَيْضِ الْكَلْبَانِي

47. A view of a bag used for keeping the Faraman.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



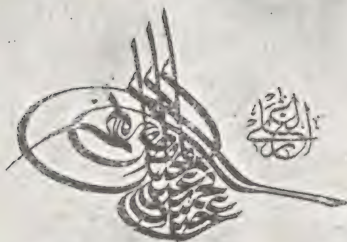
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

48. A view of a cloth bag used for keeping the Faraman.





ترجمة الفرمان الشاهاني بالعربية

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

الحمد لله الذي جعلنا من عباده

الذين هم خير خلقه

50. The title of the Faraman in

Arabic language.

50. A copy of the introduction of

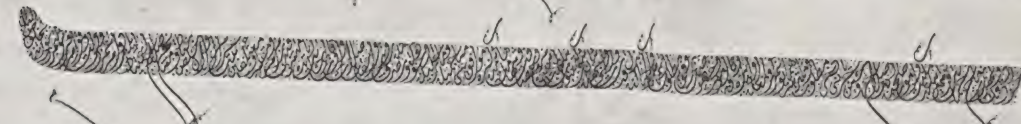
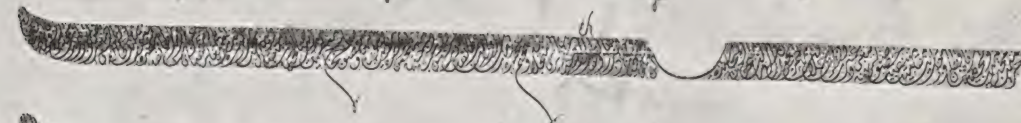
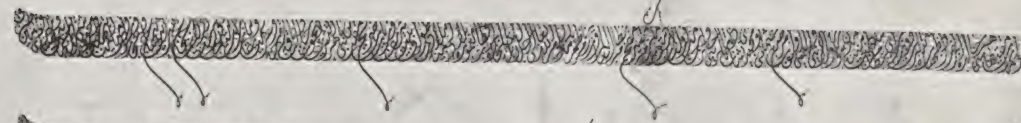
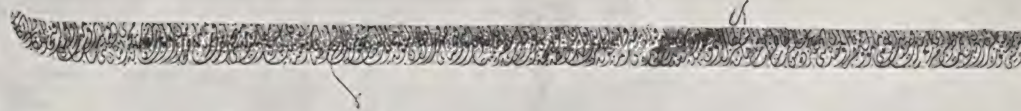
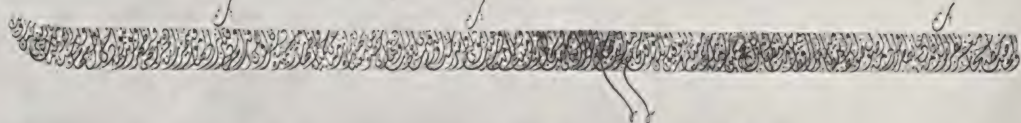
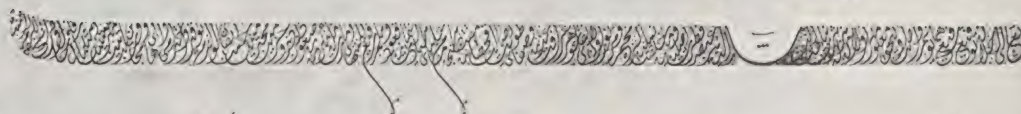
the Faraman in Arabic language.

50. The title of the Faraman in

Turkish language.



المراتب السابعة بالبركة والكرامة



بسم الله الرحمن الرحيم

51. A copy of the Turkish Faraman to the Amir of Mecca.

بالقصب المنسوج (المخيش) ذى الأشكال البديعة والتقاسيم الهندسية العجيبة وقد كاد القصب يشغل كل سطحها فلا ترى به إلا اليسير من الجوخ وهى مرصعة بالؤلؤ الحر ولها مشابك من الألماس البرلنتى الذى يكاد سنا ضوئه يخطف بالأبصار وبالخلعة جميع وسامات (نياشين) الدولة إلا « خاندان آل عثمان » الذى لا يعطى إلا لأفراد الأسرة المالكة وعدد الوسامات ٢١ وساما منها المرصع وغير المرصع . أما المكتوب السلطانى (الفرمان) فيشمل قرطاسين كبيرين من الورق أحدهما مكتوب باللغة العربية والآخر باللغة التركية وطول العربى متر و ١٤ سنتيا وعرضه ٧٩,٥ سنتيا وفيه طرة عثمانية باسم جلالة السلطان محلاة بماء الذهب تحتها ٢١ سطرا وفوقها ١٤ سطرا وطول السطر ٧٠ سنتيا وعرضه ١,٤ سنتى وبين السطر والآخر سنتيان أنظر المكتوب العربى فى الرسم ٤٩ وعنوانه ومقدمته فى الرسم ٥٠ ، أما المكتوب التركى (الفرمان) فطوله ١,٤٢٥ متر وعرضه ٧٨,٥ سنتيا وبه ثمانية أسطر وثلث طول السطر ٦٩ سنتيا وعرضه ٢٦ مليمترا وبين السطرين فضاء ٥,٥ سنتيات وتراه فى (الرسم ٥١) وعنوانه فى (الرسم ٥٠) وقد بلغنى أن من يخط الفرمان يتناول مرتبا شهريا قدره ٤٠٠ جنيه عثمانى وإن من يتأمل الخط ووضعه وحسن تنسيقه يرى أن كاتبه يستحق مكافأة جزيلة ولكن لا ينبغى أن تكون لهذا القدر ٨٠٠ جنيه فى السنة بل يكفى مرتب مناسب على أنه لو عمل له طابع (إكلشيه) لوفر هذا المقدار وصرف فى وجوه الإصلاح الأخرى ، وما على الكاتب إذا تغير أمير مكة إلا أن يكتب اسم الأمير الجديد بخطه فقط إذ عبارة المكتوب السلطانى لا تغير ، وهذان المكتوبان سطرا بأجمل خط عربى ويتضمنان الثناء على الشريف والخليفة ونصح الأول بمساعدة الحجاج وكف أذى العربان عنهم وصرف المرتبات لأربابها وفيهما كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تأخذ بمجامع القلوب ولكنها مواظ لم تصادف الأذن الصاغية والقلوب الواعية فانك تسمع عقب تلاوته دوى الرصاص يرمى به الأعراب حجاج البيت الحرام وترى دولة الشريف يقول « سيوهم » فما أرق الموعظة وما أقسى القلوب .

التهنئة بالعيد في منى

شغل الناس عن التهنئة بالعيد في يومه لأنهم ذهبوا الى مكة لأداء طواف الإفاضة بعد رميهم جمرة العقبة في صباح العيد، وفي اليوم الثاني أخذوا يتراوون مهنتا بعضهم بعضا بالعيد الأكبر . بعد أن آتت الحفلة بتلاوة فرمان زرت مع الأمير والأمين الوالى والأشراف ورئيس العسكر السلطانى ورئيس المالية « المحاسبى » وأمير المحمل الشامى وأمينه وهنأناهم بالعيد وقدمت لنا المشروبات الحلوة وأطلق أمير الحج الشامى ١١ مدفعا تحية لأمر الحج المصرى ثم رجعنا الى أما كننا انتظارا للزائرين كما هى العادة فى الأعياد .

وفى الساعة ١١ العربية تفضل دولة المشير أحمد باشا راتب بزيارتنا فزار الأمير والأمين ورئيس الحرس كلا فى مكانه وكان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى ، وكان بصحبته صاحب السعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للإشارات البرقية الجحازية وقد احتفينا بهما بالاحتفاء المناسب لمقامهما وأطلقنا لقدميهما وترحلهما ٢١ مدفعا وسرهما حسن النظام العسكرى ، وكانت الجنود قد اصطفت صفين سارا بينهما وقد قدمت لدولة الوالى ضباط الحرس فوقف وصاحفهم وأثنى عليهم ، وبعد تناول القهوة والأشربة الحلوة أنصرف مودعا بمثل ما قبل به فصدمحت الموسيقى بالسلام العظيم ولا أنسى الشاء على حضرات الضباط فى هذا الموطن فانهم أحضروا جميع ما لديهم من السجاجيد والكراسى ووضعوها فى سرادق مما جعل منظره حسنا بهيجا وإن ذلك منهم لآية على حسن طويتهم وحبهم لما يعلى رئيسهم ، وكذلك زار كلا منا فى سراقه أمير المحمل الشامى وأمينه فأحتفينا بهما وأطلقنا لقدميهما ١١ مدفعا وقد كانا بملاسمهما الرسمية وعلى كل وسام (نيشان) عثمانى من الدرجة الأولى ، وبعد تناول القهوة والشاى عادا بسلام شاكرين حسن اللقاء ودماثة الأخلاق ، ومن زارنا الشريف على باشا ومحمد ناصر غالب باشا وقد لبنا عندنا زهاء ساعة مسرورين من قيامنا لهم بالواجب ، وزارنا أيضا الشيخ الشيبى ووكيل الشيخ السنوسى وآبن الشيخ الفاسى

وكثير من الضباط العثمانيين والحجاج وخدام المسجد الحرم (الأغوات) وقد استمرت تلك الزيارات حتى الساعة السادسة ليلا ، وكان الضباط يحتفلون بالزائرين ويعنون براحتهم .

الزينات بِمَنَى — هذا وقد أقيمت في مساء ١١ ذى الحجة الزينات بِمَنَى عند خيم الشريف والوالى وأميرى المحملين وأطلقت « الصواريخ » بعد العشاء ، وقد هرع الناس الى زينة المحمل المصرى لجمالها وحسن تنسيقها وليسمعوا الموسيقى والمزمار البلدى ، وكان الزحام شديدا خصوصا فى سرادق إذ رأوا فينا أكتافا موطأة وصدورا رحبة ووجوها باشة .

ذبائح منى وسوقها — كان الحجاج فى هذا العام يقاربون مائة وخمسين ألفا وكان أكثرهم ينحر الهدايا بِمَنَى فى ساعة واحدة من يوم النحر ، وكان الناس فى الأعوام السالفة ينحرون بالقرب من منازل الحجاج وفى ذلك تلويث الأماكن بالدماء وإثارة الروائح الكريهة التى تجعل الهواء موبوءا والأجسام معتلة ولكن فى هذا العام عملت حفر كثيرة بعيدة عن منازل الحجاج بألف متر أريقمت فيها الدماء فلم يلوث الهواء بِمَنَى ولم نشم الروائح البشعة وكان الجو معتدلا — ولكنه بالليل بارد — من أجل هذا كانت صحة الحجاج حسنة ولم يمرض أحد منا . وكان ثمن الشاة من ريالين ونصف الى ثلاثة ونصف وكان يؤخذ للشريف على كل رأس من الغنم تباع للحجاج خمسة قروش من البائع .

وبِمَنَى سوق تجد بها ما يلزم من سلاح وملابس وسجاجيد وطنافس (أكلمة) ومرجان وخرز، والمبيعات معظمها بالطريق وقليل بالحوانيت ، والعربى يشتري من هذه السوق ما يلزمه طول السنة .

الرجوع من منى الى مكة

فى الساعة الثامنة العربية من يوم ١٢ ذى الحجة سنة ١٣١٨ رحل ركب المحمل ورمى الجمار الثلاث فى زحام شديد لم نرله مثيلا إذ قطع المحمل المسافة بين الجمره

الصغرى وجمرة العقبة في ساعة بينما هي لا تزيد على ٣٠٠ متر ثم تابعنا السير فوصلنا مكة في منتصف س ١١ وأدخلنا المحمل الى فناء المسجد الحرام من باب النبي صلى الله عليه وسلم حسب المعتاد وتركنا لحراسته بعض الجنود وبقي بالمسجد حتى يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة حيث أحتفل بسفره من مكة الى المدينة بعد أن ورد لنا كتاب تركي من دولة الولى بتعيين موعد الاحتفال وترى الكتاب بنصه في (الرسم ٥٢) وهو وإن كان في سنة ١٣٢٥ فإن نصه لا يتغير .

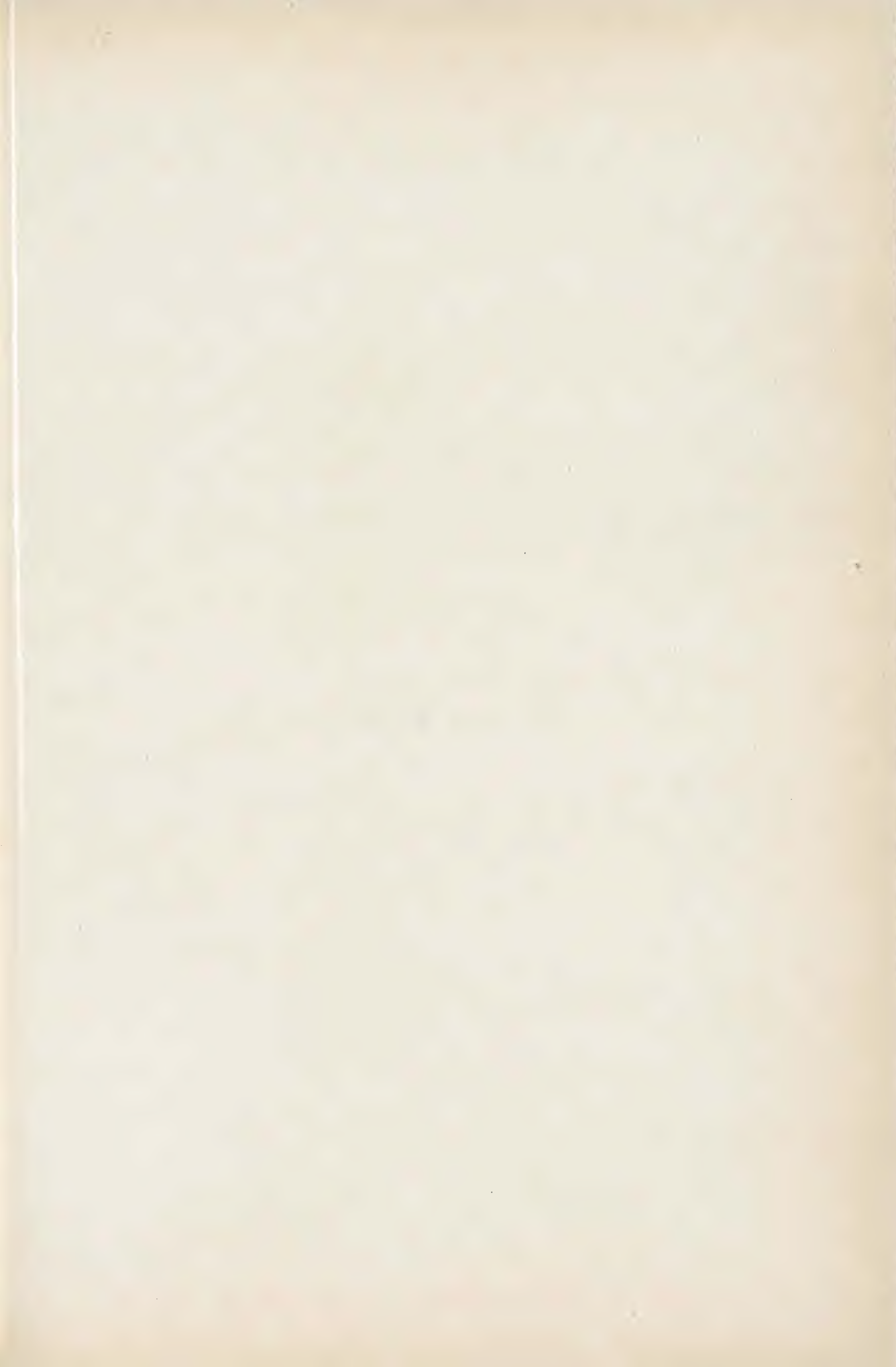
الاحتفال بفتح «المسافر خانة» السلطانية

في يوم الخميس ١٥ ذى الحجة أحتفل بفتح المضيضة (المسافر خانة) التي شيدها لفقراء الحجاج جلالة السلطان عبد الحميد من ماله الخاص وقد أقيم بناؤها في فضاء واسع جنوبى مكة الغربى وقد حضرت مع ضباط المحمل وحرسه هذا الاحتفال بدعوة من الولى ، وفي الساعة الأولى العربية اصطفت عساكرنا بالفضاء الواسع أمامها في الجهة الغربية والعساكر العثمانية في الجهتين الشرقية والبحرية ومع كل قسم موسيقاه وقد ازدحم باب المضيضة بأكابر مكة وأشرافها ومعهم أميرا المحملين وأميناهما ، وفي منتصف الساعة الثانية حضر دولة الولى فخيته الجنود بهتافهم وموسيقاهم وصاغ الحاضرين ثم صعد الى الطبقة العليا منها فرأى حجراتها وطرقاتها فأعجب بنظامها ثم نزل الى الطبقة الأولى ولم تمض عشرون دقيقة حتى شرف أمير مكة وحاكمها الحقيقي فخيته الجنود والموسيقى بالسلام السلطاني وقبل يده جميع الحاضرين ثم أمر بقراءة خطبة كلها دعاء وثناء وتعيد لما أثر السلطان ، وبعد قراءتها صدحت الموسيقى بالسلام الملىكي معقبا بالهتاف لجلالة السلطان ، وقد بدأ القسم المصرى بالسلام أولا فالقسم العثمانى الشرقى فالقسم البحرى ثم دخل الشريف المضيضة وجلس في حجرة من طبقتها الأولى ومعه الولى والمدعوون — ويقال : أنه أمر بالوسام (النيشان) المجيدى الثانى لأمير الحج المصرى وبالمجيدى الثالث لأمين الصرة ولكنه شىء سمعناه ولم نره — والظاهر أنه قصد بتلك الاشاعة أن يتساهلا

مع الشريف في تقدير أجر الجمال ولا يتشددوا ولكن هيات أن تجوز عليهما الحيلة
ثم صعد الى الطبقة الثانية ووقف بطنف (تراسينة) فيها يشاهد العساكر حين انصرافها
الى ثكناتها وقد سرّ كثيرا من نظام القسم المصرى وجميل شكله ، وبعد فراغنا من
التحيات العسكرية دخلت المضيقة وتفقدتها فاذا هى بناء نفخ محكم البناء جميل النظام
يحتوى على طبقتين مسقوفتين بالحديد الذى يتخلله عقود بالأجر الأحمر الافرنكى
والبياض متقن جدا فى نعومة وهو من المواد العادية ومسحوق الرخام ، والأرض
مرصوفة بالبلاط ، والجهتان البحرية والشرقية تم بناؤهما وبياضهما ورصف أرضهما
أما الجهتان الأخرى فلم يتم تخصيصهما وتبليطهما ، والمضيقة فناء واسع كانت به حفر
كثيرة خلفتها الأتربة التى أخذت للبناء ، وطول الضلع البحرية من هذه السراى
١٥٠ مترا فى منتصفها الباب العام تعلوه « الأرملة » العثمانية المذهبة وعلوها الشرقية
٩٠ مترا بالتقريب والقبلى مثل البحرى والغربى كالشرقى وجميع أبوابها ومنافذها
مصنوعة من الخشب المتين الذى طلى بطلاء جوزى ، ومفاصل الأبواب والنوافذ
ومقابضها وزواياها مصنوعة من النحاس صنعا متقنا ، وبيوت الخلاء بعيدة عن مباني
الحجرات حتى لا تؤثر فى الجدران بالترشيح ولا تشم روائحها الكريهة ، ولم تكن
الأنابيب والصنابير (الحنفيات) قد وضعت بها وإن يعجبك هذا النظام فاعجب
لهذه السراى التى بها ناظر وخدم وطباخون يأخذون مرتبهم من ثلاث سنين خلت
فى حين أنه لا توجد حجرة من حجراتها مفروشة ولا يوجد بها فقير واحد . وقد
بلغنى أن جلالة السلطان أنفق على إقامتها ٩٠٠٠٠ جنية مجيدى (الجنيه المجيدى
٨٧,٧٥ قرشا مصرى) وقد أخذت رسم المضيقة فى سنة ١٣٢٥ وهو كما تراه
فى (الشكل ٥٣) .

زيارة غار حراء (جبل النور)

روى البخارى فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت :
أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم



فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ^(١) ثم حجب اليه الخلاء فكان يخلو «بغار حراء» فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في «غار حراء» بجاءه الملك فقال : اقرأ قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ^(٢) ثم أرسلني فقال اقرأ : قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ^(٣) ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ^(٤) «إِقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . إقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال زملوني ^(٥) زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ^(٦) وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق — الحديث ^(٧) .

فترى من هذا مكانة «غار حراء» وأنه كان متعبدا للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأن به نزلت أول سورة من القرآن الذي هو نور وهدى للناس وفيه شفاء لما في الصدور فلا تعجب إذا رأيتمنا ولعين بزيارة هذا الأثر، ففي يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣١٨ قصدت جبل حراء في جملة من الضباط والعساكر وبعض الحجاج فوصلنا إليه بعد خمسين دقيقة بسير الخيل المعتاد، وهذا الجبل يقع في شمالي مكة على يسار الذهاب إلى عرفات بعيدا عن جادة الطريق بنحو ميل ، ويقول ياقوت

- (١) بياضه . (٢) الوحى . (٣) الغط : العصر الشديد ، ومنه الغط في الماء : الغوص قيل : إنما غطه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئا . (٤) الطاقة . (٥) دم غليظ . (٦) يضطرب قلبه . (٧) لقوى في الثياب . (٨) الخوف . (٩) القرابة . (١٠) الضعيف . (١١) تكرمه .

في معجمه : إنه على ثلاثة أميال من مكة وأنه جبل شاخ أعلى من ثبير وفي أعلاه قلة
شاخه زلوج — أنظر الجبل في (الرسم ٥٤) — وفي ميسرة القمة نفس غار حراء ،
وقد صعدنا هذا الجبل في ٣٥ ق مع أن ارتفاعه حوالى ٣٠٠ متر ولكنه
يكاد يكون عموديا فلذا كان صعب المرتقى واضطررنا إلى الاستراحة مرتين أثناء
الصعود وأغمى على بعض الضباط ولولا ما معنا من الماء الذى رششنا به وجهه
لحصل ما لا تحمد عقباه ، ولذا يجمل بمن رام صعوده أن يستصحب بعض المياه
خصوصا في آونة الحر ، وقبل أن نصل الى قنة الجبل بثلاث دقائق وجدنا خزانة
نحت بالجبل لحفظ مياه المطر يبلغ طوله ٨ أمتار في عرض ٦ وعمق ٤ وله درج
للوصول إلى قاعه وكان خاويا من الماء ، ووجدنا بجانبه امرأة عربية تصنع القهوة
والشاي للزائرين في موسم الحج وتبيعهما بالثمن وقد تناولنا من شايبها وقهوتها وفرشت
لنا بساطا من الصوف ، ومكثنا في حضرتها نصف ساعة ونقدناها الثمن مضاعفا
مكافأة على ما قدمت ثم تسمننا ذروة الجبل وإذا فيها بناء متين تعلوه قبة طوله ٦
أمتار في مثلها عرضا في ٨ ارتفاعا وفي أرض هذا البناء حجر أملس أسود به شق
في وسطه أشبه بالفتحة التي نراها بمصر في صناديق الخطابات بها أنحدار إلى أسفل
ويقال : إنه المكان الذى شق فيه صدر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولكن
أخرج «البخارى» في صحيحه عن مالك بن صعصعة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم .
”بيننا أنا عند البيت بين النائم واليقظان — وذكر بين الرجلين^(١) — فأُتيت بطست من
ذهب ملئ حكمة وإيمانا فشُق من النحر الى مَرَأَق البطن ثم غَسِل البطن بماء زمزم
ثم ملئ حكمة وإيمانا“ — الحديث . وجاء في كتاب الشفاء : روى يونس عن ابن شهاب
عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ”فرج
سقف بئى فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست“ الخ

(١) في بعض الروايات : وذكر يعنى رجلا بين الرجلين والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ناما
بين رجلين حينما أتى بالطست فالضمير في ذكر يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم ، والرجلان حزة وجعفر يوضح
ذلك رواية مسلم من طريق سعيد عن قتادة بلفظ إذ سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين .

(ص ١٤٤) وأكثر الأحاديث على أن شق البطن كان في صغره صلى الله عليه وسلم وهو عند حليلة السعدية وقد قالت في ذكر قصة الشق لأمه أمنة بنت وهب: بينما هو وإخوته في بهم^(١) لنا خلف بيوتنا الخ، فأين البيت الحرام أو سقف بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما وراء بيوت حليلة من قنة جبل حراء التي زعم الناس أن بها مكان شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم؟ اللهم إن هذا بهتان مبين ظنه الناس صدقا وتوارثوا هذا الظن حتى بلغ من نفس السلطان عبد العزيز أن حركة لبناء قبة على هذا المكان المزعوم في سنة ١٢٧٩، وقد وجدت هذا مكتوبا على حجر في جدارها الجنوبي محلي بماء الذهب، وفي الجهة الجنوبية من القبة غار حراء الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على ما أسلفنا لك، والإنسان ينحدر إليه من قنة الجبل على درج حجري غير منتظم أشبه بالسلم، والبعد بينه وبين القبة نحو ٥٠ مترا وهذا الغار عبارة عن فجوة بابها نحو الشمال تسع نحو خمسة أشخاص جلوسا وارتفاعه قائمة متوسطة وقد صلينا فيه ودعونا ووجدنا هنا لك بعض الحجاج من الأتراك يزورون هذه الآثار. والواقف على قنة هذا الجبل يرى مكة وأبنيتها العظيمة وقلاعها الحصينة كما يرى جبل ثور، ولون الجبل ذهبي حتى لو حدقت النظر في قطعة منه تخالها ذهبا إبريزا ولذلك إذا سطعت عليه الشمس ترى له منظرا من أجمل المناظر وأبهجها، وقد أخذت قطعا صغيرة منه ولكن للأسف عمالته إحدى الخدم كانوا بمدينة الوجه فترك القطع هنا لك، ومما ينبغي لزارئ هذا الجبل أن يحملوا معهم الماء الكافي وأن يكونوا جماعات يحملون السلاح حتى يدفعوا عن أنفسهم شر اللصوص من العربان الذين يتربصون الفرص لسلب الحجاج أمتعتهم ونقودهم خصوصا في مكان منقطع كهذا لا يقصده إلا بعض الحجاج، وقد بلغني أن أعرابيا قتل حاجا فلم يجد معه غير ريال واحد فقيل له: تقتله من أجل ريال؟ فقال وهو فرح "الريال أحسن منه" فانظر كيف بلغت القسوة من هذه القلوب وكيف أعماها حبها لدرهم معدودة عن المحافظة على أرواح بريئة تقوم بشعيرة من أكبر الشعائر الدينية في مكان جعله الله حرما

(١) بهم جمع بهمة وهي ولد الضأن ذكرا كان أو أنثى .

أَمِنَّا لِلنَّاسِ ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ هذا وفي سنة ١٣٣١ رقبنا الجبل وكان معنا صاحب الدولة وزير حربية مرا كش السيد المهدي المنهجي ولما أن نزلنا ضربنا في سفح الجبل فسطاطا تغذينا فيه مع الوزير الذي واسى الفقراء بماله وطعامه .

زيارة غار ثور

قال تعالى في سورة التوبة ﴿إِلَّا تَتَضَرَّعُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وأخرج البخاري في صحيحه في باب « ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ » من كتاب التفسير — عن أنس قال : حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار فرأيت آثار المشركين قلت : يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا قال : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » اه ، وذكر الحاكم في مستدركه عن عمر : قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار ومعه أبو بكر فعمل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشى خلفك ثم أذكر الرصد (من يرصدهم وينتظرهم) فأمشى بين يديك فقال عليه السلام : يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ، قال : نعم والذي بعثك بالحق . فلما انتهى الى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فدخل فاستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة ، فقال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الحجرة فدخل واستبرأ الحجرة ثم قال انزل يا رسول الله ، فنزل فمكثا في الغار ثلاث ليال حتى نحمدت عنهما نار الطلب بخاءهما عبد الله بن أريقط بالراحتين فارتحلا . اه .

(١) أمته التي تسكن عندها القلوب .

فترى من هذا أن غار ثور هو الغار الذى اختفى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من دعاة الباطل وأعداء الحق الذين مكروا به مكرا كبارا - (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) - وأن الرسول اختفى به مع أبى بكر ثلاثا حتى انقطعت عنهما نار الطلب ثم خرجوا منه الى المدينة حيث كانت عزة الاسلام وأهله . لهذا كله وددنا ان نرى هذا الأثر رأى العين ، فخرجنا من مكة قبل فجر يوم ١٨ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (٨ أبريل سنة ١٩٠١) قاصدين زيارة هذا الغار وكان بصحبتنا صاحبنا الفضيلة الشيخ محمد طوموم والشيخ محمد أحمد السيوطى صهرانا وجملة من الحجاج وثلة من الجنود نتق بهم شرار الأعراب فى سبيل لا يمر به إلا القليل وقد انتحينا ناحية الجنوب فى سيرنا وصلينا فرض الصبح قبل الوصول الى الجبل ، وقد قطعنا المسافة بينه وبين معسكرنا بالشيخ محمود فى ساعة و ٢٠ ق بسير الخيل المعتاد وهى قريبة من خمسة أميال ونصف ، والطريق من مكة الى الجبل تحفه الجبال من الجانبين وبه عقبة صغيرة يرتفع اليها الانسان وينحدر منها ولم يستغرق قطعها إلا ٣ ق وبالطريق سبعة أعلام مبنية بالحجر ومجصصة فوق نشوز من الأرض يبلغ ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار وقاعدته متر مربع وتنتهى بشكل هرمى ، وهذه الأعلام على يسار القاصد للجبل ، وبين كل اثنين منها بعد يتراوح بين ٢٠٠ مترو ١٠٠٠ متروكل واحد منها وضع عند تعريجة حتى لا يضل السالك عن الجبل ، وساعة بلغنا الجبل قسمنا قوتنا قسمين قسم صعد معنا الى الجبل والآخروقف بسفحه يرد عنا عادية العربان إن هموا بالأذى . وقد تسلقنا الجبل فى ساعة ونصفها بما فى ذلك استراحة دقيقة أو اثنين كل خمس دقائق بل فى بعض الأحيان كنا نستريح خمس دقائق لأن الطريق وعمر حزنونى ، وقد عددت ٥٤ تعريجة الى نصف الجبل وكنا آونة نصعد وأخرى ننحدر حتى وصلنا الغار بسلام ، ولولا الاصلاح الذى أحدثه المشير عثمان باشا نورى الذى ولى الحجاز سنة ١٢٩٩ هـ . والمشير السيد اسماعيل حقي باشا الذى كان واليا على الحجاز وشيخا للحرم سنة ١٣٠٧ هـ لآزدادت الصعوبة وضل السائر عن الطريق ولم يهتد الى الغار لعظم

الجبل وآتساعه وتشعب مسالكه (الرسم ٥٥) وكان من أثر إصلاحهما جعل الطريق بهيئة سلام تارة تتصعد وأخرى تتحدر على أنه مع ذلك لا يزال العروج صعبا فقد رأيت بعض الصاعدين أمتقع لونه وخارت قواه فوق على الأرض مغشيا عليه ولولا أننا تداركناه بجرعة من الماء شربها وصباية منه سكبناها على رأسه حتى أفاق لباغته المنية، ولهذا ننصح للزائرين بأن يتزودوا من الماء ليقوا أنفسهم شر العطب .

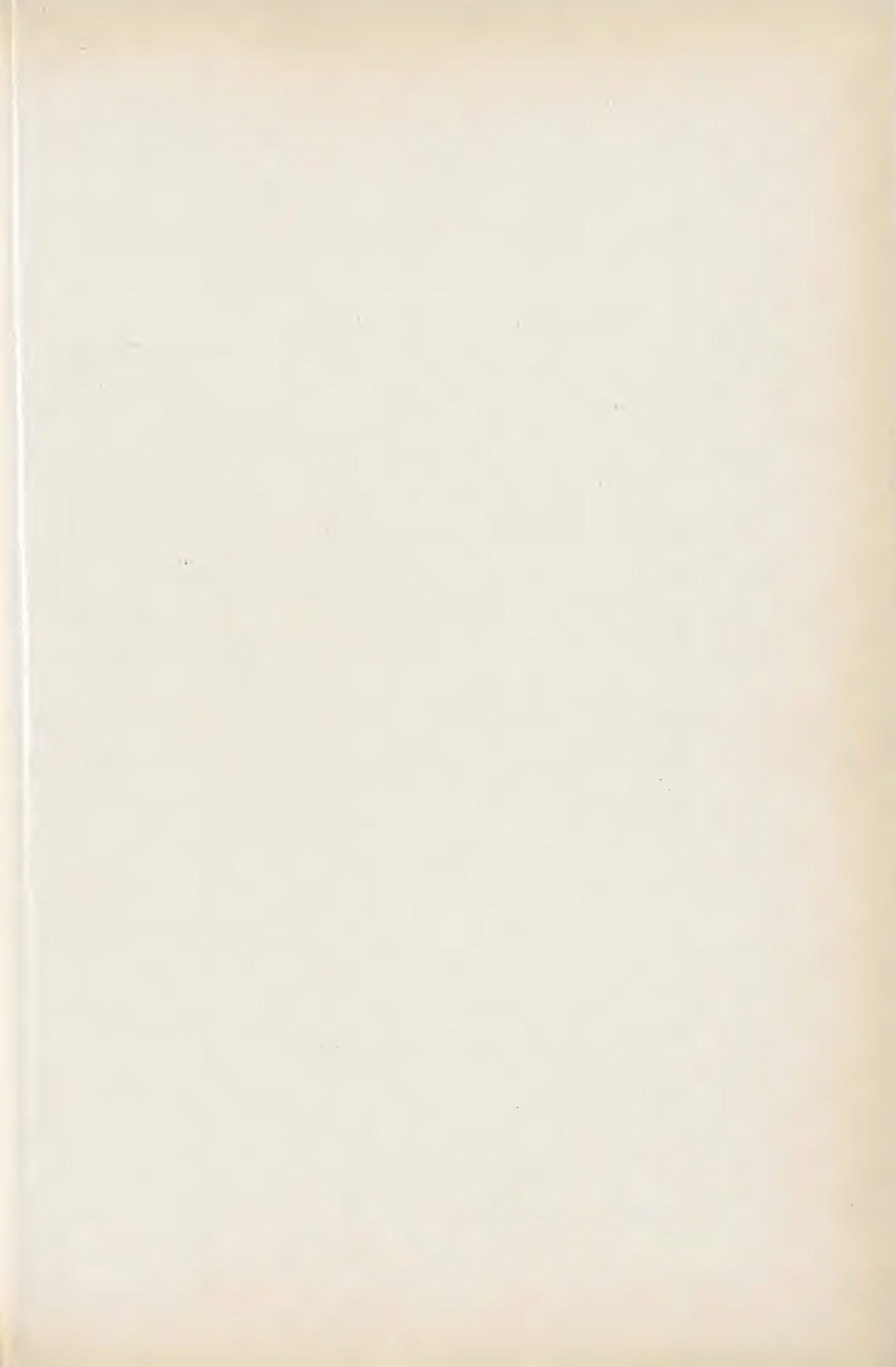
ولما بلغنا الغار وجدناه صخرة مجوفة في قنة الجبل أشبه بسفينة صغيرة ظهرها الى أعلى ولها فتحتان في مقدمها واحدة وفي مؤخرها أخرى وقد دخلت من الغربية زاحفا على بطنى مادا ذراعى الى الأمام وخرجت من الشرقية التى نتسع عن الأولى قليلا بعد أن دعوت فى الغار وصليت ، والفتحة الصغيرة عرضها ثلاثة أشبار فى شبرين تقريبا وهى الفتحة الأصلية التى دخل منها النبى صلى الله عليه وسلم وهى فى ناحية الغرب أما الفتحة الأخرى فهى فى الشرق ويقال : أنها محدثة ليسهل على الناس الدخول الى الغار والخروج منه ، والغار من الجبل فى الناحية الموالية لمكة وقد وجدنا بجانبه رجلا عربيا يتناول الصدقات من الزائرين فى مواسم الحج ويرشدهم الى الغار إذ توجد هناك صخور تشبه صخرته ولكنها لا تماثلها تماما ، وقد مكثنا فوق ظهر الجبل ساعتين أكلنا فيهما وشربنا وتناولنا الشاى وتفقدنا كثيرا من نواحي الجبل ، وقد نزل فى خلالها القسم الذى زار وجاء القسم الذى تركناه بسفح الجبل ليزور ، وقد قدم علينا ونحن على ظهر الجبل نحو عشرين من حجاج الداغستان ففرحوا بنا ورافقونا الى أن رجعنا الى مكة . ولا يقصد زيارة هذا الغار وغار حراء إلا قليل من الأتراك والمغاربة والداغستانيين ولم يسبقنا الى هذه الزيارة أحد من المصريين بل ولا من المكين إلا ما ندر ، وقد بلغنى من أناس يقيمون بمكة منذ أربعين سنة أنهم لم يصعدوا الى هذين الجبلين ولا رأوا من المصريين أو مرافق الحمل من قصدهما فله المنة علينا . أنظر الغار فى الرسم ٥٦ الذى أهدها إلينا فى سنة ١٣٤٢ حضرة أحمد أفندى صابر ناظر التكية المصرية بمكة فله منا الشكر الجزيل على هذه الهدية القيمة .

جبل ثور وطريق الصعود عليه



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

55. Thor's Mountain and road of ascending same.



(غار ثور) رسم احمد صابر ناظر تكية مكة



هذا غار الفجار الذي نزل فيه قوله تعالى (الذي
 نزل به نوره فقد نصر الله اذ افرجه الذي كفر به
 نالي ائتمنه اذ هما في الفجار اذ لقولهما جهلا
 تحسب ان الله معها التي سورة النبوة
 تحسب اني لغار مع القرية في يوم الاثنين ٩ جمادى
 الاولى ١٣٤٢ و ١٧ و ١٨ من شهر ربيع الاول ١٣٤٢
 احمد صابر ناظر

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
 والحمد لله رب العالمين

56. The Mount of the Cave of Thawr at Mecca,



وأرتفاع جبل ثور يزيد على ٥٠٠ متر والواقف في أعلاه يشرف على كل ماحواله من الجبال ويرى مكة وما حولها واضحة ظاهرة وكذلك يرى حمة (بالحاء المهملة) بنخلها وبأعلى ثور علم يسترشد به الناس لمعرفة هذا الجبل وهو مبنى بالحجر ومبيض بالحص ويثبته الأعلام التي وصفناها قبلا في طريقه أنظر (الرسم ٥٥) والجبل ذو ألوان مختلفة من ذهبي وفضي وخمسي وما يشبه الأسمت وما يماثل المرمز، وربما كانت له ألوان أخرى في جهات لم أرها وقد أخذت من كل معدن قطعة ولكن فعلت بها الخادمة ما فعلت بالقطع التي أخذتها من جبل حراء — ساعها الله — غير أنها تركت قليلا عرضته بعد حضوري إلى مصر على بعض الصاغة فأخبرني بأن معدنه من الذهب ولكنه غير مستو؛ هذا وقد زار غار ثور سيدي عبد الله بن محمد ابن أبي بكر العياشي وذلك في يوم الأربعاء ٨ شوال سنة ١٠٥٩ كما جاء برحلته المطبوعة سنة ١٣١٦ وقد ذكر فيها أنه مشى إلى الجبل من طريق بين الخندمة وأبي قبيس لقربه وإن كان وعرا ومسافته ثلاثة أميال أما زيارتنا فكانت من طريق المسفلة وهو أطول وأسهل وقد وصف الغار وصفا دقيقا وذكر ما قاساه من المشاق في الصعود إلى هذا الجبل على نحو ما وصفنا (أنظر ص ١٠٢ جزء ثاني من رحلته).

عادات المكيين بعد موسم الحج

بعد انقضاء الموسم يقيمون الأفراح ويزوجون الأولاد ويتروضون جهة الطائف والزاهر والأماكن التي بها بساتين ويستصحبون معهم المغنين وآلات الطرب لأنهم ولعون بالآغاني، وفي شهر رجب يقصدون المدينة للزيارة وفي ذلك ينفقون ما جمعوا في الموسم الا قليل منهم يستبق بعض كسبه لينفقه في السفر إلى البلاد التي يفد منها الحجاج ليتعرف بمريدي الحج في العام القابل وليتفق معهم على أن يكونوا من مطوفيه وأكثرهم يقترض النقود بغائدة كبيرة لينفق منها في تلك الرحلات على أمل أن يسددها في الموسم وقلما يسددها فيطوق بالديون، وقد كذب ظنهم في هذا العام دولة الشريف فقد قسم مصر وجاوه والهند والمغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساما تسابق المطوفون

إلى شرائها بأثمان ظنوها متناسبة مع أهمية المركز وثروة حجاجه ، ولكن كثيرا منهم خسر في ذلك خسارة فادحة إذ دفعوا في الأقسام أثمانا باهظة بلغت الخمسين جنيها وزادت ، ولما حان الموسم لم يحصلوا مقدار ما دفعوا ولكن قليلا منهم سعد جده فربح أرباحا عظيمة ، وقد نشأت خسارة من خسر من علو ثمن الأقسام ومن أنه كان سافر إلى بعض الجهات وأنفق في ذلك وفي الهدايا التي كان يأخذها لمريدي الحج النفقات الطائلة ثم ظهر بعد ذلك أن كثيرا منهم لم يأت في القسم الذي اشتراه ، ولما رأى بعض المطوفين أن حجاج قسمه فقراء وما يدفعونه بخس اشتد عليهم وأغلظ لهم القول وحصل من جراء ذلك تشاحن وتساب بين الفريقين . وكانت العادة المتبعة قبل هذا التقسيم أنه يجبي من كل مطوف ريال للشريف عن كل حاج ينزل عنده وبالضرورة يأخذ المطوف من الحاج أمثال هذه الضريبة ولو كان في فقر مدقع ، وإن كانت لديه شفقة تجاوز عنه وحصل أضعافه من الموسرين ، والشريف لا يقبل أى مطوف من الضريبة مهما قدّم من الأعذار فأما أن يدفع وأما أن يزج به في غيابة السجن ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

دولة الشريف عون الرفيق وسلطته بمكة

يلقب الشريف مكة بسيد الجميع تميزا له عن بقية الأشراف وهو الحاكم الذي لا ينازع في أمر ولا يرد له قول ينفي من شاء ويحبس من شاء ويعاقب من شاء بيده عقد الأمور وحلها وكل الأحكام بمكة طوع وإشارته من كبيرهم أحمد راتب باشا المشير إلى صغيرهم ، فإن عارضه واحد منهم عزل في الحال لأن الشريف له يد قوية في الدولة فأى الأمور طالب أجيب إليه بل غالب الشكايات منه ترد إليه ليفصل فيها بما شاء من شرع أو هوى ولا معقب لحكمه فالويل كل الويل لمن شكاه ، نعم هذه اليد المستبدة تناسب حال الأعراب الأشرار الذين لا ترغهم إلا القوة ولا يقومهم إلا البطش بهم ، ولكن لو ضمت إلى القوة العدالة لكبح الأشرار عن سيئاتهم

والتف الناس حوله بأجسامهم وقلوبهم لأن للعدل من السلطان على النفوس ما ليس للقوة العاشمة .

أما الشريف على باشا فله سلطة على الأعراب وله في نفوسهم مكانة واحترام ولذلك لا يردّون له قولا وهو الذى يقابلهم اذا حضروا ويفاوضهم اذا عملوا ما لا يرضاه الشريف وود إقلاهم عنه .

أجر الجمال والمكوس

كان يؤخذ في جدة على كل شقدف يباع ستة قروش مصرية ونصف — روبية — وهى وان كانت تؤخذ من البائع لكنها في الحقيقة يدفعها المشتري اذ يلاحظها البائع في تقدير الثمن ويؤخذ من أجرة الجمل الذى يقل الحاج من جدة الى مكة ريالان للشريف وخمسة قروش عثمانية (٤ قروش مصرية) للحكومة وريال آخر لوكيل المطوف بجدة ولمتعهد الجمال (المقوم) — ضرائب ما أنزل الله بها من سلطان — وقد كانت أجرة الجمل من جدة الى مكة ٦ ريالات «برم» (وهو عشرة قروش مصرية تقريبا) في بدء الموسم هذا العام فاذا نقصنا تلك الضرائب من هذه الأجرة كان الباقي للجمال أجرة له وجملة دون ٣ ريالات أى أقل من نصف الأجرة وإن ذلك لظلم بين يحمل الجمال على أن يسلب من الحاج ما استطاع ، والأجرة وإن كانت في أول الموسم ٦ ريالات «برم» لكن عند وصول المحمل الى جدة بلغت ١٢ ريالا ثم أخذت تزداد حتى بلغت ٣٠ ريالا ثم تناقصت الى ٦ ريالات كما كانت أولا وكان آخر نقص لها يوم ٧ ذى الحجة ، والسبب في ارتفاع الأجرة الى ٣٠ ريالا أن الحجاج كثروا ودهم من جهات جدة والمدينة والجهات الشرقية بحال لم يسبق لها مثل حتى كانت الطريق لا تخلو لحظة واحدة ليلا ونهارا من مرور الحجاج بها ، وقد قدمنا لك أنه في يوم السبت ٢ ذى الحجة قدم من جدة الى مكة ١٥٠٠ حاج مشاة على أقدامهم لقلة الجمال . وكان يؤخذ بمكة على كل رأس يباع من الغنم خمسة قروش مصرية وعلى كل جمل خمسون قرشا ، وقد كانت الأجرة من مكة إلى عرفات ذهابا وإيابا للجمل ذى الشقدف

٧ ريالات « برم » وذى الرحل الذى يركبه شخص واحد ٦ ريالات منها ريال للشريف وآخر للطوف والمقوم فيبقى للجمال ٤ ريالات أو خمسة. وأجرة الجمل من مكة الى المدينة الى ينبع كانت لذى الشدوف ٣٣ ريالا مجيديا ويتبع ذلك نصف جمل لجمال المتاع، وكانت لذى الرحل ٣٢ ريالا منها ١٢ ريالا للشريف - جنينان انكليزيان - وريال ونصف للخروج وريالان للطوف وريال للتعهد (المقوم) وريال للحكومة وربع ريال للرهنه (كل قبيلة تقدم واحدا عنها تحبسه الحكومة حتى يصل الراكب بسلام الى الجهة التى يقصدها وتأخذ الحكومة ربع الريال فى نظير ذلك) فيكون الباقي للجمال من ذلك $\frac{1}{4}$ ١٥ ريالا أو $\frac{1}{4}$ ١٤ وأدهى من ذلك وأمر أنه يؤخذ من الجاويين أربعة جنينيات من كل حاج لافى مقابلة عمل ولكنهم لغناهم وتساهلهم يطمع فى تقودهم، وللتعهدين طريقة فى التخلص من الضرائب التى تدفع عن كل جمل مؤجرو ذلك أنهم يتفقون مع كل حاج على عدد معين ولكن عند الخروج من مكة يحملون بعض العدد فقط أحيالا فوق الطاقة والباقي يخرج غير حامل شيئا فلا تؤخذ عايشه الضريبة اذ يزعم المتعهد أنه غير مؤجر وبعد الخروج من مكة توزع الأمتعة على العدد المتفق عليه وكثيرا ما يتفقون مع الحاج على عدد معين يقدمونه فى أول الأمر له ويتفقون على أجرته حتى اذا ما رحلوا أخذوا منه بعض ما اتفقوا عليه وأجروه لآخرين فيؤجرون الجمل مرتين ويتقاضون الأجرين - وانه ورك لظلم بين وطمع مرد - ثم هل سمعت بمثل هذه الضرائب القاسية التى يأبأها الاسلام وينكرها أشد الإنكار، إن غاية ما قرره الاسلام فى نظام الضرائب ٢٠ ٪ لافى مال يكسب الإنسان فى تحصيله ويعرق فيه جبينه، ولكن فى أموال تقع فى يد المرء بلاكد ولا تعب كالمعادن وكنوز الجاهلية، ولكن لا تعجب من أعمال هؤلاء فالدين اغو على ألسنتهم لم يتمكن بعد من نفوسهم فتراهم **﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَآلَهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾** ولو علمت دولتا فرنسا والروسيا هذه المظالم التى يتكبدها الحجاج لما منعوا رعاياهم المسلمين عن الحج اذ لو حضروا ورأوا هذه المظالم بأعينهم لرغبوا عن الحج ولم يجدوا

به أنفسهم تارة أخرى بل لبشوا في نفوس إخوانهم كراهيته ، وإذ ذاك يمتنعون من تلقاء أنفسهم عن الحج دون أن يتكلف حكمهم مشقة المنع وتنتأجه ولكن « البعيد أعشى » .

وكل ما قدمنا لك في أجرة الجمال إنما هو للحجاج الذين لا يتبعون المحمل أما ركبهم فلهم طريقة أخرى في تقدير الأجرة للجمال التي يحتاجون إليها .

أجرة الجمال التي تقل ركب المحمل — هذه الأجرة تقدر بمعرفة صاحب الدولة شريف مكة الذي لا يرد له قول ولا يخالف له أمر مهما كانت الأجرة المقدرة ، فعارضة أمير الحج وأمين الصرة لا تجدى شيئا بل لا تجد الأذن السامعة وعلى ذلك أخذت الأجرة تزداد شيئا فشيئا خصوصا في الخمس السنين الأخيرة حيث زادت زيادة فاحشة وهاك البيان .

في سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) كانت أجرة الجمل من مكة الى المدينة ١٨ ريالاً (برما) لذى الشقدف و ١٧ لذى الرحل ، وكانت من مكة الى المدينة فينبع البحر ٢٣ ريالاً للأول و ٢٢ للثاني ومن مكة الى المدينة ثم الى جدة ٢٨ للأول و ٢٧ للثاني ومن مكة الى المدينة فالوجه ٣٥ ريالاً للأول و ٣٤ للثاني ، ومن جدة الى مكة $٢\frac{٣}{٤}$ وهذا لكثرة الحجاج وغلو الأثمان كما هو مذكور في رحلة المرحوم صادق باشا ، واستقرت الزيادة بعد ذلك الى أن كانت في سنة ١٣١٤ وما بعدها كما يأتي :

ملاحظات	السنة	الأجرة من مكة لعرفة ذهابا وإيابا	الأجرة من مكة لعرفة ذهابا وإيابا	الأجرة من جدة الى مكة	مجموع أجرة الجمل الواحد
	١٣١٤	٦٧٠	٩٠	٩٠	٨٥٠
في هذه السنة لم يعين مع المحمل قسم عسكري	١٣١٥	١١٨٤,٥	٨٧,٧٥	٨٧,٧٥	١٣٦٠
» » » » »	١٣١٦	١٢٢٨,٥	١١٠	١٣١,٥	١٤٧٠
	١٣١٧	١٢٦٧,٥	١٩٥	١٩٥	١٦٥٧,٥
	١٣١٨	١٤٦٢,٥	٢٩٢,٥	٣٤١,٥	٢٠٩٦,٥

ومن هذه المقارنة نبتين لك الزيادة المطردة من سنة ١٣١٥ التي لم يتعين فيها قسم عسكري يصحب الحمل وكذا في السنة التالية لها والسبب في هذه الزيادة أن الحمل رافقه قوة عسكرية شاهانية في السنين التي خلت من القوة المصرية ولم تدفع حكومتنا نفقات القوة الشاهانية فزيدت أجرة الجمال حتى تعوّض تلك النفقات والسبب في الزيادة العظيمة هذا العام أن الحكومة لم تخاطب الشريف في شأن الزيادات في السنين السالفة فتعودها وزاد عليها تلك الزيادة الفاحشة التي آستكثرها الناس — وحق لهم ذلك — وقد قلت لدولة الشريف : إن هذه الزيادة المطردة ستنبه الحكومة لوضع حد لها وربما أحدثت تغييرا في النظام المالي للحمل بسبب ذلك .

الجمالة — بمناسبة الكلام على أجرة الجمال والمكوس نقدم لك كلمتين الأولى في معاملة العربان الجمالة للركب الذي يصحبونه والأخرى في تاريخ المكوس حتى تربط لك الحاضر بالماضي لتستخلص منهما ما ينبغي في المستقبل ، هؤلاء العربان يحافظون على الحجاج وعلى أمتعتهم متى غمروهم بالخيرات من مأكولات ولحوم ومشروب الشاي ، وتزداد عنايتهم بالحجاج إذا وعدوا بكسوة يعطونها في المحلة الختامية وكسوتهم يسيرة الكلفة فهي ثوب قطني من « البقعة » السمراء وعقال و « كوفية » لا تتجاوز قيمتها عشرة قروش مصرية أما من نخل عليهم بماله فيرويه العذاب ألوانا فتارة يقطعون حزام الجمل فيقع راكبه ويتأخر عن القافلة حتى يصلح الحزام وربما آتتهزوا فرصة الانفراد به وقتلوه إذا لم يبرز لهم الريالات ويتعهد بالغذاء وتارة يؤخرون الجمل عن القافلة بحجة أن الرحل في حاجة إلى إصلاح وما يريدون بذلك إلا فرصة للفتك به . والعربان مغرمون بشرب الدخان فلو أن الحاج أخذ معه قسطا منه وأعطاه لجماله راعاه أحسن مراعاة ومشى بجانبه يحافظ عليه ويهيئ له أسباب الراحة ، ومن عادة العربان أنهم إذا تناولوا الطعام مع الحاج لا يخونونه أبدا وإذا رأوا عربانا من قبيلة أخرى يريدون الفتك به أخبروهم أنه في كفهم فلا يصلون إليه بسوء وكأنما هو واحد منهم .

تاريخ المكوس - يطلق المكس على الجباية كما يطلق على ما يأخذه العشار ويقال له الماكس : وفي الحديث «لا يدخل صاحب مكس الجنة» والمكوس أخذها قديم ، فقد كان مضاض بن عمرو الجرهمي يعشر من يدخل مكة من أعلاها ، والسميدع يعشر من يدخل من أسفلها ، وكانوا يعشرون أموال العمالة الذين كانوا ولاية مكة قبل جرحهم فانتهكوا حرمة الحرم فأخرجتهم جرحهم وقطور ، وكانوا يأخذون عشر الميرة التي يأتون بها (أنظر منائح الكرم للسنجاري) وقد أبطل الإسلام المكوس بأنواعها وفرض الزكاة على الناس في أموالهم ، وقد كانت المكوس تؤخذ من الحجاج الذين يمرون من طريق عيذاب (قرية على ساحل البحر الأحمر في ديارنا المصرية) ومن فتر منهم جببت منه في جدّة وكانت سبعة دنانير (٣٥٠ قرشا) تجبي لأمر مكة ، وفي سنة ٥٧٢ أبطلها السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وكان سبب ذلك أنه حج في هذه السنة الشيخ علوان الأسدي الحلبي فلما وصل جدّة طوّل بذلك فأبى وهم بالرجوع وترك الحج فإطافه من هنالك وبعثوا إلى والي مكة الشريف مكثّر بن عيسى فأمر بإطلاقه وإعفائه ، فلما وصل مكة اجتمع به واعتذر إليه بأن دخل مكة لا يفى بمصالح أهلها وإنما لذلك نضطر إلى أخذ المكوس ، فكتب الشيخ علوان إلى صلاح الدين بذلك فأرسل إليه ٨٠٠٠ أردب من الحبوب وقيل ٢٠٠٠ أردب وألف دينار ورغب إليه في ترك تلك المظلمة فتركها ولكنها عادت ، وأبطلها في سنة ٦٣٩ المنصور عمر بن رسول صاحب اليمن وكتب بذلك مرة جعّلت حيال الحجر الأسود وفي جدار زمزم إلى أن قلّعها ابن المسيب ثم ما لبثت أن عادت المكوس ، وأبطلت في سنة ٧٦٠ في سلطنة الملك الناصر بأمر الشريف مكة سسند ابن رُمَيْثَة ولكن ما عتمت أن رجعت فرفعت في سنة ٧٦٦ بهمة الأمير كسبغا مدير السلطنة بمصر وعوض عنها صاحب مكة ٢٦٠ ألف درهم وألف أردب من القمح وقرر ذلك في ديوان السلطان شعبان صاحب مصر وكتب ذلك بالحفر في دعائم بالمسجد الحرام ، وقد شاهدت ذلك في جهة باب الصفا وفي سنة ٨٢٦ أمر السلطان أحمد بن المؤيد صاحب مصر أن يعطى للشريف حسن ألف دينار (٥٠٠ جنيه

مصرى) تحمل اليه من مصر نظير تركه المكوس على الخضروات بمكة وأمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين الحرم المكي فكتب وهو باق الى الآن بقرب باب السلام .

وفي سنة ١٠٨٣ أمر الشيخ محمد المغربي القرمسى أن تدهن السوارى التى بها الكتابات المحفورة بإبطال المكوس فدهنت بالدهانات الملونة وظهرت الكتابة فيها واضحة وعوض صاحب مكة الحسن بن عجلان قسطا من بيت المال ، وهكذا كان يبطلها أو يعمل على إبطالها الحكام العادلون ثم تعود على يد الظالمين مدفوعين بشهوة الطمع أو بداعى الحاجة حتى رأيناها بأعيننا فى زمننا .

ضيافات بمكة — قد استضافنا نجل الشيخ الفاسى — شيخ طريقة مشهور — فى الزاوية المعروفة باسمه وكانت الدعوة عامة لجميع موظفى المحمل من ملكيين وعسكريين وأقام لنا وليمة فاخرة أعجبنا بنظامها وإتقان طعامها ونظافة أوعيته وشربنا الشلى بعدها ثلاث كوبات كما هو المتبع عندهم ، وقد احتفى بنا الشيخ وقومه بحفاوة عظيمة ملئوا بها قلوبنا سرورا . ودعانا بعد ذلك لتناول الطعام الشيخ باخطمه — حضرمى — التاجر المقرب من الأمير والذى يقوم بقضاء مصالح دولة الشريف والوالى وحكام مكة ويستحضر ما يلزم للعساكر الشاهانية ويشترى من الضباط مرتباتهم بنصف قيمتها اذ يسأمون من تأخر صرفها فيبيعون غالباً بحاضر ، والشيخ باخطمه يصرفها من الخزينة كاملة نظير تقود يدفعها لذوى الشأن فى الصرف فيسرعون بصرف المرتبات اليه .

وقد أكثر من إكرامنا وضيافتنا «مقوم» المحمل ولكن لم يقصد بضيافته وجه الله ولا وجوهنا ولكن وجه الجنيه إذ كان غرضه الوحيد من ذلك الحصول على شهادة منا بزيادة عدد الجبال عن المقرر لركب المحمل ، وهذه الشهادة يقدمها للسلالة المصرية أو الحربية — ان كانت من القسم العسكرى — ليصرف قيمة ما فيها ، وقد طلب منى فعلا هذه الشهادة فأبيت عليه وقلت له : إن كان لدينا زيادة عن العدد المقرر فأنا مستعد لدفع أجرته من مالى الخاص على شريطة أن تكون الأجرة مماثلة

لأجرة جمال الأهالي فما كان جوابه إلا أن قال « نحن لا نريد خسارتك وإنما الذي ينفعنا ينفعك » فنصحته بأن يلتزم خطة الحق وبأن ما أتى من الحرام يذهب من حيث أتى وعرفته بأننا جئنا لتتم شعائر الدين ونطلب الغفران من رب رحيم لا أن نتحمل مآثم وأوزارا ونخون الأمة في مالها الذي أعدته لمصالحها فما كان منه إلا أن سكت مرغما لما أن رأى قناتنا لا تلين .

إعانة السكة الحديدية الحجازية

أمر دولة شريف مكة بجمع إعانة للسكة الحديدية وقدر على كل حاج غير معسر ريالاً ، فأخذ المطوفون يجمعونها ويوردونها للشريف كل يوم ، وكان بعض الحجاج يمتنع عن الدفع وبعضهم دفع عن نفسه وعن يرافقه في القافلة ودفع أحمد بك الجمل من أعيان المنصورة مائة جنيه ، ودفع أحمد بك الضي عشرة جنيهات ، ودفع سلطان المكة والشحر (نجران على خليج عدن) عوض بن عمر القعيطي ٢٠٠٠٠ روبية أي ١٣٣٣ جنيه انجليزي وكثير غيرهم من الأغنياء ، لكن لم تقف على مقدار ما دفعوا ، وقد أمر دولة الشريف بعدم خروج أحد من الحجاج من مكة حتى تجبي الضريبة كلها ، وعلى ذلك حبس الحجاج بمكة بعد تأدية الفريضة سبعة أيام كانوا فيها على أحر من الجمر ، شوقهم لزيارة الرسول يهيب بهم أن اسرعوا والشريف يقول : مكانكم حتى تدفعوا . وقد باغنى أن بعضا من حجاج المغرب شكوا لدولة الوالي حبسهم بمكة فأرسل بهم مع مندوب من قبله الى دولة الشريف ليسمح لهم بالخروج ، فلما وصلوا اليه نزل عليهم ضربا بالعصى واذ ذاك انقض عليهم زبانيته أيضا (الباوردية) فتشتوا مذعورين ورجعوا بنحفي حنين ، شكوى عادلة جوابها إهانة قاسية في بلد جعله الله حرما آمنا ﴿ سَوَاءَ أَلْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادُ . وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ ولئن دام هذا الظلم لينصرف الناس عن الحج وتلك الطامة الكبرى ببلاد العرب وأهلها الذين يجدون في الحجاج العيش الكفاف بل الرزق الواسع بل ذلك جناية على الإسلام ومعتقيه فان هذا البلد واسطة

التعارف بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فاذا انقطعت بينهم الأسباب وانقضت عروة التواد كانوا كالغنم القاصية تلتهمها الدول المستعمرة فتستغيث فلا مغيث فليقلع الظالم عن ظلمه حتى لا يعمنا الله بعذاب من عنده ويغفر لنا ما أسلفنا
 ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

مضارّ حبس الحجّاج بمكة — لم يسمح دولة الشريف بخروج الحجّاج من مكة إلا بعد أن دفعوا جميعا ريال الإعانة للسكة الحديدية ، فلما أن صدر الإذن بالخروج أخذ جميع الحجّاج في الرحيل وهم ألوف مؤلفة يسلكون طريقا ضيقا ولما بلغوا مكانا مخصوصا بالطريق أوقفوا حتى يدفعوا ريال الحكومة — عوائد — عن كل جمل خال أو مجمل فأخذوا يدفعون ولكن بلغ الزحام أشدّه لأن المحصل شخص واحد قام بجانبه اثنان من الزبانية لا يسمحان لأحد بالمرور حتى يدفع الريال واستعملا كل غلظة وقساوة لا تصدر من الوحوش فضلا عن الأناس بل فضلا عن مسلمين بالإسلام ، وقد أصبحت الطريق التي كانت معدّة لسير جمليْن بشقادفهما متحاذيين فيها أربعة صفوف فدخلت الشقادف بعضها في بعض وكاد الناس يكونون طبقات بعضهم فوق بعض وهناك تحطم كثير من الشقادف وسقط بعض الراكبين من عليها فتهشمت منهم العظام وبلغت فيهم الجراح وفقدوا من الأمتعة وتلف كثير منها ، وكنت لا أسمع إذ ذاك إلا ولولة النساء وعويل الصبيان واستغاثة الضعفاء ومنازعات الرجال ولا شرطة هناك تحول دون ذلك ، وكل هذا مغبة حبس الشريف للحجّاج وسوء نظام الحماية ، وماذا على الحكومة لو عينت عددا من المحصلين وعينت لكل قافلة يوما تخرج فيه ، ومعرفة القوافل من الأمور الهينة لأن المطوفين والمتعهدين يعرفونها وأولئك معروفون لدى الحكومة وبذلك يسهل التحصيل وتسير القافلة بهدوء وسكينة ويأمن الناس على نفوسهم وأمتعتهم .

مرتبات الأشراف والعربان والأهالى وطريقة صرفها

جرت العادة من قديم أن تصرف الحكومة المصرية مرتبات للأشراف والعربان والأهالى بمكة والمدينة، وكان المقرّر فى ميزانية المحمل هذا العام للأشراف ١٢٦٥ جنيها مصرى وللعربان ٢٥١١ جنيها وللأهالى ٢٨٧٩ جنيها وكان يصرف لكل شخص مرتبه المقرّر بمقتضى إذن يمضيه أمين الصرة وأمير الحج وكذلك الكاتب الأول للصرة دلالة على أن الصرف قانونى، والكاتب الأول هو الذى يقوم بإعداد إذن الصرف ليكون مطابقا لما دوّن بالسجل الذى به أسماء أصحاب المرتبات (الذين لا وجود لأكثرهم الآن) وساعة البدء فى الصرف حضر أمام الكاتب عدد عظيم من العربان وكفوم بتلاوة الأسماء فسألهم هل أتم أصحاب المرتبات؟ فقالوا: لا ولكننا مركلون فى تسلمها سنويا فقال لهم: أحضروا التوكيلات التى تؤيد دعواكم، فقالوا ومن تكون التوكيلات؟ فقال لهم: من أصحاب المرتبات الذين وكلوكم أو وارثيهم، فقالوا: إن أصحابها توفوا من زمن مديد ولا أثر لمعظم وارثيهم وكل سنة نتسلم المرتبات بدون معارضة ونحن متفقون فيما بيننا على صرفها إلينا فاضطرّ الكاتب لإجابة طلبهم وأخذ يتلو الأسماء عليهم، فأخذ كل منهم يخطف من الأذن ما استطاع حتى كان الواحد يتحصل على الخمسين والستين ثم يتسلم قيمتها.

والأشراف المقيدة بأسمائهم المرتبات منهم الحى ومنهم المتوفى وتصرف مرتباتهم إلى من يعينه شريف مكة ويكلا عنهم بعد أن يستعلم منه أمير الحج.

وللشيخ حذيفة كبير قبيلة الأحامدة مرتب سنوى ينيف على ٦٠٠ ريال، تصرف إليه نظير محافظته على ركب المحمل أثناء مروره بالطريق السلطانى الذى يقيم به الشيخ حذيفة، وهذا المرتب يصرف إليه سنويا مرّ المحمل به أو لم يمر، وفى هذا العام قدم من قبله وكيل عنه يدعى محمد بن عامر ومعه وثيقة التوكيل ممهورة بختم الشيخ حذيفة وصريحة فى أنه وكيل عنه فى قبض مرتبه ولكن أبى الشريف إلا أن يصرف المرتب إلى أكبر أولاد الشيخ حذيفة المسمى خليلا مع أن بين الشيخ وأبنة عداء شديدا.

وخاصات كبيرة وحروبا طاحنة أهرقت فيها الدماء آنتصر فيها الولد على أبيه بقوة أعوانه وأنصاره وسبب ذلك تحريض الأبن للعربان على شق عصا الطاعة لأبيه . فكان ينبغي من أجل هذا النفار المستحكم أن يصرف المرتب للوكيل الشرعى لا لابن العاق ولكن من يستطيع أن يخالف أمر الشريف الذى نفذ ما أراد وصرف المرتب للولد الباغى .

وقد صرفت بمكة مكافأة لواحد من الأشراف اسمه الشيخ مساعد يقوم فى جمع من عسكر «البيشة» بحراسة المحملين المصرى والشامى بعد وصولهما الى المدينة و يبلغ عددهم نحو الخمسين يقاسمونه المكافأة وليس هؤلاء العسكر نظام ولا يطيعون من الأوامر إلا ما آتفق مع رغبتهم مع أن عملهم مساعدة المحمل عند الحاجة ، ويشكون كثيرا من أنهم لا يجدون ما يأكلون وما يعلفون به الدواب مع أن العلف صرف اليهم — وما كنا ملزمين بذلك — وقد أخذوا مكافآت ينفقون منها ولكن أنفقوا ما صرف اليهم فى بيوتهم وآكلوا على الأمير والأمين يمدونهم بما يأكلون ، ويعين مع الشيخ مساعد رئيس «البيشة» فارس عثمانى برتبة ملازم يرافق المحمل ولكن البيشة لا يسمعون منه قولا ولا ينفذون له أمرا بل يأتمرون بأمر واحد من بنى جلدتهم ومع أن هؤلاء العسكر يقضون فى الحراسة وبصرهم حادّ ينبغي أن يضم اليهم قسم من العساكر يشركونهم فى الحراسة كما ينبغي تحذيرهم من السلب والنهب لأنهم ولعون بذلك خصوصا عند مجىء العربان لبيع ما عندهم للحجاج ، فإنه بلغنى أنهم أخذوا فى سنة خلت من بعض العربان قدرا من السمن ولم يدفعوا ثمنه وضربوا أصحابه وتسبب عن ذلك تجمع العربان وتراميهم مع رجال المحمل بالنيران حتى قتل بعض الحجاج وجرح بعض آخر «ومعظم النار من مستصغر الشرر» أما فى هذا العام فلم يحصل ما يكدر فالحمد لله على ما من .



والى هنا فرغنا من ذكر الأعمال التى قمنا بها فى مكة وأصبحنا على أهبة السفر الى الحرم الثانى وبقى علينا أن نصف لك مكة وما آشتلت عليه من المباني الفخمة

والآثار الجمّة وكذلك منى وعرفة والمزدلفة والطائف ونلم بتاريخها إلما حتى تكون على بينة من أمرها وخميرا بما قام به سلفنا الصالح في الحرم الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ونقدّم لك بين يدي ذلك القسم الديني من رحلتنا في الحج ومناسكه ووصف لبلاد العرب وموجز في تاريخها وفي سير الفتوحات الإسلامية وانتشار الدين في ربوع المعمورة .

القسم الديني

قد رأينا أن نسوق اليك أيها القارئ حجتة صلى الله عليه وسلم ثم نردفها بالأحكام الفقهية في شرائع الحج حسب ما سطر في كتب المذاهب المختلفة، وإنما قدّمنا حجتة صلى الله عليه وسلم لأنها السراج الوهاج الذي آقتبس منه الفقهاء ولأنها الحكم عند اختلاف الآراء ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وقد أعتمدنا في ذلك على ما كتبه الإمام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ في كتابه « زاد المعاد في هدى خير العباد » فإنه خير ما كتب في هذا الموضوع على ما علمنا .

حجة الوداع — لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد هجرته الى المدينة سوى حجة واحدة وهي حجة الوداع ولا خلاف أنها كانت سنة عشر . وأختلف هل حج قبل الهجرة، فروى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة، قال الترمذى : هذا حديث غريب — تفرد به راو واحد — من حديث سفيان قال : وسألت محمدا يعنى البخارى عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى، وفي رواية لا يعد هذا الحديث محفوظا . ولما نزل فرض الحج بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج من غير تأخير فإن فرض الحج تأخر الى سنة تسع أو عشر وأما قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فإنها وإن نزلت سنة ست عام الحديبية فليس فيها فريضة الحج وإنما فيها الأمر بإتمامه وإتمام العمرة بعد الشروع فيهما وذلك لا يقتضى وجوب الابتداء .

ولما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أعلم الناس أنه حاج فتجهزوا للخروج معه وسمع بذلك من حول المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون فكانوا من بين يده ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر، وخرج من المدينة نهارا بعد الظهر لست بقين من ذى القعدة بعد أن صلى الظهر بها أربعاً وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه، قال ابن حزم: وكان خروجه يوم الخميس، قال ابن القيم: والظاهر أنه كان يوم السبت (انظر أدلة كل منهما بزيادة المعاد) وبعد أن صلى وخطب ترجل (مشط رأسه) وأدهن ولبس إزاره^(١) ورداءه وخرج بين الظهر والعصر فتزل بذى الحليفة^(٢) (الخريفة ٥٧) فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر فصلى بها خمس صلوات وكان نسائه كلهن معه وطاف عليهن تلك الليلة، فلما أراد الإحرام آغتسل غسلا ثانيا لإحرامه غير غسل الجماع الأول ثم طيبته عائشة بيدها بذرة وطيب فيه مسك في بدنه ورأسه حتى كان وبيض المسك يرى في مفارقة^(٣) وحيثه ثم استدامه ولم يغسله ثم لبس إزاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتين ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه ولم ينتقل عنه أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر وقد قبل الإحرام بذنه نعلين وأشعرها في جانبها الأيمن فشق صفحة سنامها وسلت الدم عنها — وقد ساق ابن القيم بضعة وعشرين دليلا كلها صحيحة صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم حج قارنا، وذكر أنه أخطأ في عمرة النبي صلى الله عليه وسلم خمس طوائف وهم في حجه خمس طوائف وغلط في إحرامه خمس طوائف وبين آراء كل طائفة وساق

(١) الإزار ما يلف على أسفل الجسم، والرداء ما يلف على أعلاه.

(٢) ذوالحليفة أو أبار على غربي المدينة بينها وبين مسجدتها نحو ٢٠ كيلو مترا وبها مسجد يسمى مسجد

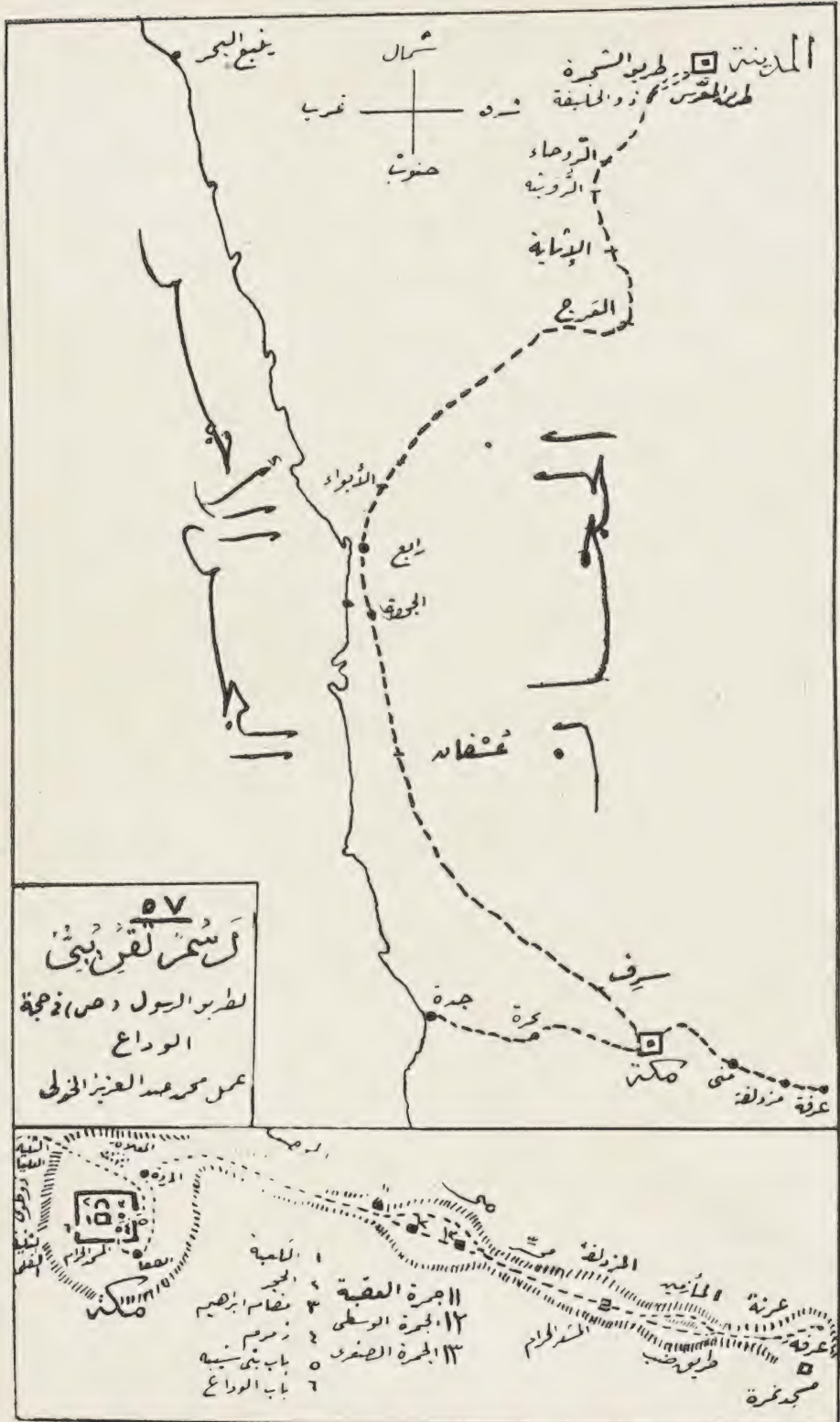
الشجرة وبئر يسميها الجهال بئر على لفظهم أن عليا قاتل الجن بها وهو كذب (رسائل ابن تيمية ص ٣٥٦

جزء ثان). (٣) الذريرة نوع من الطيب يجمع من أخلاط شتى. (٤) بريته ولمعانه.

(٥) جمع مفرق وهو وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر. (٦) الإهلال رفع الصوت بالتلبية بهما.

(٧) تقليد البدنة أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدى. (٨) أى أماطه وأزاله.

خريطة حجة الوداع



57. A map showing the Prophet's farewell pilgrimage.



أدلتها ثم كر عليها بالنقض، ودّأته في هذا الموضوع أمتع ما كتب فراجعها في كتابه زاد المعاد من ص ١٨٣ الى ص ٢٠٢ من الجزء الأول طبع الحلبي بمصر — ولبد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بالغسل — بوزن كفل — وهو ما يغسل به الرأس من خَطْمِي^(١) ونحوه يلبد به الشعر حتى لا ينتشر، وأهل في مصلاه ثم ركب على ناقته وأهل أيضا ثم أهل لما آستقلت به على البيداء^(٢) . قال ابن عباس رضى الله عنهما : وإيم الله لقد أوجب في مصلاه وأهل حين آستقلت^(٣) به ناقته وأهل حين علا على شرف البيداء^(٥) وكان يهل بالحج والعمرة تارة وبالحج تارة لأن العمرة جزء منه ؛ فمن ثمة قيل : قرن^(٦)، وقيل : تمتع ، وقيل : أفرد ثم لبي فقال : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك . والملك لا شريك لك . ورفع صوته بهذه التلبية حتى سمعها أصحابه وأمرهم بأمر الله له أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية وكان حجه على رحل لا في محمل ولا هودج ولا عمارية^(٨) وزاملته تحتها^(٩) — وأختلف في جواز ركوب المحرم في المحمل والهودج والعمارية ونحوها على قولين هما روايتان عن أحمد رحمه الله أحدهما الجواز وهو مذهب الشافعي وأبى حنيفة رحمه الله والثاني المنع وهو مذهب مالك — ثم انه صلى الله عليه وسلم خيرهم عند الإحرام بين الأتساک الثلاثة (الحج أو العمرة أوهما معا) ثم نذهبهم عند دنوهم من مكة الى فسخ

- (١) كلما راجعت قاموسا لعلی أجده فيه وصف هذا النبات لا أجده إلا قول ما يغسل به الرأس أو هو نبات محلل منضج ملين نافع لعسر البول الخ أو نبات معروف أو غسل معروف وهو بكسر الخاء وقد تفتح .
- (٢) الصحراء . (٣) أوجب الشخص عمل عملا يستوجب له الجنة . (٤) حملته وقامت به .
- (٥) مرتفع . (٦) القران الإهلال بالحج والعمرة معا ، والتمتع : الإهلال بالعمرة وحدها وبعد التحلل منها يحرم بالحج ، والإففراد : الإحرام بالحج وحده . (٧) أى إجابة لك بعد إجابة .
- (٨) الرحل للابل كالسرج للفرس ، والمحمل كالمجلس : شقان على البعير يحمل فيهما العدلان ، والهودج : مركب للنساء مقبب ، وأما العمارية فهي الهودج يجلس فيه (أقرب الموارد، ج ٢ ص ٨٢٩) .
- (٩) الزاملة : البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع من الزمل وهو الحمل ، والزميل : العدیل الذى حمله مع حمله على البعير .

الحج والقران الى العمرة لمن لم يكن معه هدى ثم حتم ذلك عند المروة . وولدت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضى الله عنهما بذى الحليفة محمد بن أبي بكر فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتستسفر وتستتر بثوب وتحرم وتهل ، وكان في قصتها ثلاث سنن إحداها غسل المحرم ، والثانية أن الحائض تغتسل لإحرامها ، والثالثة أن الإحرام يصح من الحائض . ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبي بتلييته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون وهو يقرهم ولا ينكر عليهم ولزم تلييته . فلما كانوا بالروحاء رأى حمار وحش عقيراً فقال : ^(٢) دعوه فإنه يوشك أن يأتى صاحبه ، فجاء صاحبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه فقسمه بين الرفاق ، وفي هذا دليل على جواز أكل المحرم من صيد الحلال إذ لم يصده لأجله ، وأما كون صاحبه لم يحرم فعله لم يتر بذى الحليفة فهو كأبى قتادة في قصته ، وتدل هذه القصة على أن الهبة لا تقتقر الى لفظ وهبت لك بل تصح بلفظ يدل عليها ، وتدل على قسمته اللحم مع عظامه بالتحري ، وتدل على أن الصيد يملك بالإثبات وإزالة امتناعه . وأنه لمن أثبتته لا لمن أخذه ، وعلى حل أكل لحم الحمار الوحشى وعلى التوكيل فى القسمة وعلى كون القاسم واحداً — ثم مضى حتى اذا كان بالإثائية بين الرويثة والعرج ^(٣) إذا ظبي حاقف فى ظل شجرة فيه سهم فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريه أحد من الناس حتى يجاوزوا ، والفرق بين قصة الظبي وقصة الحمار أن الذى صاد الحمار كان حلالاً فلم يمنع من أكله وهذا لم يعلم أنه حلال وهم محرمون فلم يأذن لهم فى أكله ، ووكـ

(١) الروحاء موضع بين مكة والمدينة على ثلاثين أو ستة وثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة .

(٢) معقورا مضروباً . (٣) الإثائية موضع بين الحرمين فيه مسجد نبوى أو بر دون العرج عليهما

مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم (القاموس المحيط) وهى بالياء مثلثة الهمزة وقال فى معجم ياقوت : هى موضع فى طريق الحنفية بينه وبين المدينة خمسة عشر فرسخاً (٤٥ ميلاً) والعرج : قرية جامعة من أعمال الفرع على أيام من المدينة (نهاية) قال ياقوت : بينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً ، والرويثة بالتصغير : موضع على ليلة من المدينة ، وقال ابن السكيت : الرويثة معشى بين العرج والروحاء .

(٤) رابض فى حقف من الرمل وهو المعوج منه .

من يقف عنده لثلا يأخذه أحد حتى يجاوزوا، وفيه دليل على أن قتل المحرم للصيد يجعله بمنزلة الميتة في عدم الحل إذ لو كان حلالا لم تضع ماليته بل كان للحلال أن ينتفع به، ثم سار حتى إذا نزل بالعرج^(١) وكانت زاملته وزاملة أبي بكر واحدة وكانت مع غلام لأبي بكر، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى جانبه وعائشة إلى جانبه الآخر وأسماء أختها إلى جانب أبيها، وأبو بكر ينتظر الغلام والزاملة إذ طلع الغلام ليس معه البعير فقال أين بعيرك؟ فقال: أضلته البارحة، فقال أبو بكر: بعير واحد تفضله قال: فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتنسم ويقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع، وما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يقول ذلك ويتنسم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالأبواء أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشي فردده عليه فقال: إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم. فلما مرَّ بوادي عسفان^(٢) قال يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال: وادي عسفان قال: لقد مرَّ به هود وصالح على بكرين أحمرين خُطمهم الليف وأزرهم العباء وأرديتهم^(٣) التمار يلبنون يحجون البيت العتيق — ذكره الإمام أحمد في المسند. فلما كان بسرف حاضت عائشة رضي الله عنها وقد كانت أهلت بعمره، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي قال ما يبكيك؟ لعلك نقصت: قالت: نعم قال: هذا شيء قد كتبه الله على بنات آدم أفعل ما يفعل

(١) تقدّم الكلام عليه مع الاناية. (٢) الأبواء قرية بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ورابع بينهما، فالأبواء: جهة المدينة، والجحفة: جهة مكة وتيل: جبل شاخ هنالك، وفي هذا الموضع توفيت والدته الرسول صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف، والأبواء قبل رابع بقابل من جهة المدينة. (٣) عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهي على مرحلتين من مكة أوسنة وثلاثين ميلا والجحفة على ثلاث مراحل ومن عسفان إلى ملل يقال له: الساحل، وملك على ليلة من المدينة. (٤) الخطام: كل ما يوضع في أنف البعير ليقناده بالجمع خُطم.

(٥) العباء: ضرب من الأكسية واحدة عباءة وعباية.

(٦) التمار جمع تمر وهي كل شملة مخططة كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض.

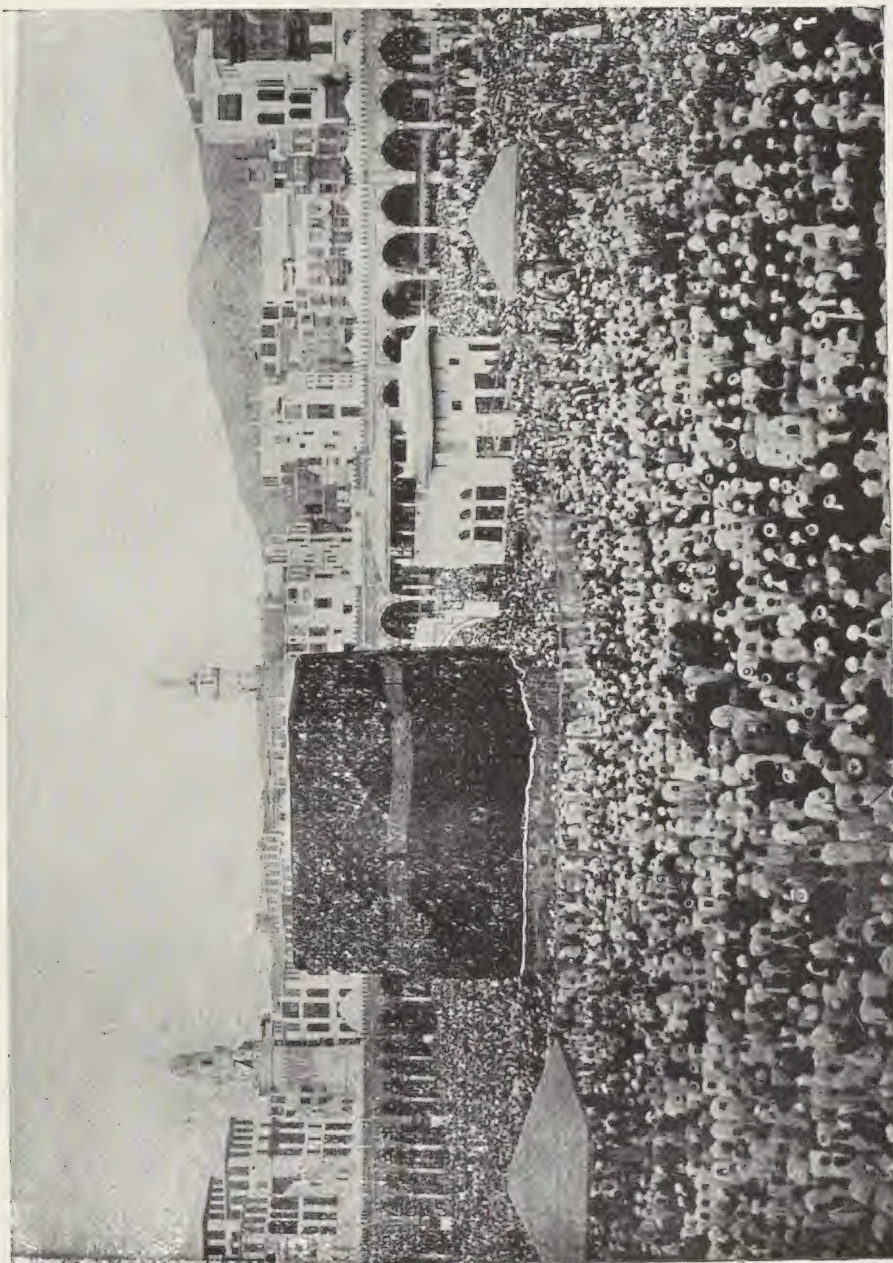
(٧) موضع على عشرة أميال من مكة وقيل: أقل وقيل: أكثر وفيه تروج النبي صلى الله عليه وسلم

الحاج غير أن لا تطوف بالبيت . وقد جاء في صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال :
 أهلت عائشة بعمره حتى اذا كانت بسرف عركت (حاضت) ^(١) ثم دخل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على عائشة فوجدتها تبكي فقال ما شأنك ؟ قالت : شأنى أنى قد
 حضت وقد أحل الناس ولم أحل ولم أطف بالبيت والناس يذهبون الى الحج الآن ،
 فقال : إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم فأغتسلي ثم أهلى بالحج ففعلت ووقفت
 المواقف كلها حتى إذا طهرت طافت بالكعبة وبالصف والمروة ثم قال قد حلت من
 حجك وعمرتك قالت يا رسول الله ! إني أجد في نفسى أنى لم أطف بالبيت حتى حججت
 قال : فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التمتع . وقد تنازع العلماء فى قصة عائشة
 هل كانت متمتعاً أو مفردة والصواب أنها كانت متمتعاً محرمة بالعمرة فقط وإذا كانت
 متمتعاً فهل رفضت عمرتها وانتقلت الى الأفراد بالحج أو أدخلت عليها الحج وصارت
 قارنة بإدخاله عليها والصواب الثانى ، وهل العمرة التى أنت بها من التمتع كانت
 واجبة أو لا ؟ والصحيح أنها كانت نافلة تطيبها لقلبها وجبراً لها وإلا فطوافها وسعيها
 وقع عن حجها وعمرتها وكانت متمتعاً ثم أدخلت الحج على العمرة فصارت قارنة ،
 واختلفوا هل كان طهرها يوم عرفة أو يوم النحر . وحديث عائشة السابق يؤخذ منه
 أصول عظيمة من أصول المناسك : (١) اكتفاء القارن بطواف واحد وسعى واحد ؛
 (٢) سقوط طواف القدوم عن الحائض ، كما أن حديث ^(٢) صفية أصل فى سقوط
 طواف الوداع عنها ؛ (٣) أن إدخال الحج على العمرة جائز كما يجوز للطاهر وأولى
 المعدورة لأنها محتاجة الى ذلك ؛ (٤) أن الحائض تفعل أفعال الحج كلها إلا أنها
 لا تطوف بالبيت ؛ (٥) أن التمتع من الحل ؛ (٦) جواز عمرتين فى سنة واحدة بل
 فى شهر واحد ؛ (٧) أن المشروع فى حق المتمتع إذا خاف الفوات أن يدخل الحج
 على العمرة وحديث عائشة أصل فيه ؛ (٨) أنه أصل فى العمرة المكية وليس مع
 من يستحبها غيره ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعتمر هو ولا أحد ممن حج معه من
 مكة خارجاً منها إلا عائشة وحدها ، فجعل أصحاب العمرة المكية قصة عائشة أصلاً

(١) وذلك الدخول بعد أن وصل صلى الله عليه وسلم الى مكة . (٢) أنظر ص ٩٤



صلاه الجمعة بالحرم المكي في الحجة ١٣٦٩ هـ



حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اسمعيل بن ابراهيم فوفيشا امير الحج المصري في الحجة ١٣٦٩ هـ

58. Pilgrims round El-Kaaba performing the Friday Prays.

لقولهم ولا دلالة لهم فيها فإن عمرتها إما أن تكون قضاء للعمرة المرفوضة عند من يقول : إنها رفضتها فهي واجبة قضاء لها أو تكون زيادة محضة وتطيبها لقلبها عند من يقول : إنها كانت قارنة وإن طوافها وسعيها أجزأها عن حجها وعمرتها . ولنعد الى سياق حجه صلى الله عليه وسلم .

فلما كان يسرف قال لأصحابه : من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدى فلا ، وهذه رتبة أخرى فوق رتبة التخيير عند الميقات ، فلما كان بمكة أمر أمرا حتما من لا هدى معه أن يجعلها عمرة ويحل من إحرامه ومن معه هدى أن يقيم على إحرامه ولم ينسخ ذلك شيء البتة ، بل سأله سراقه بن مالك عن هذه العمرة التي أمرهم بالفسخ إليها هل هي لعامهم ذلك أو للأبد ؟ قال : بل للأبد ، وإن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر صحابيا وأحاديثهم كلها صحاح (انظر الأحاديث وأعدار المخالفين والرد عليها في زاد المعاد من ص ٢٠٩ الى ٢٢٥ ج ١) . ثم نهض صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل بذي طوى^(١) وهي المعروفة الآن بآبار الزاهر فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة فدخلها من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على الحجون^(٢) ، وكان في العمرة يدخل من أسفلها ، وفي الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها ثم سار حتى دخل المسجد وذلك ضحى ، وذكر الطبراني أنه دخله من باب بنى عبسد مناف الذي يسميه الناس اليوم باب بنى شيبه^(٣) أو باب السلام ثم استقبل البيت ودعا ، وذكر الطبراني : أنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وروى عنه أنه كان عند رؤيته يرفع يديه ويكبر ويقول : اللهم أنت السلام

(١) ذو طوى : موضع غربى مكة على مقربة منها . (٢) الثنية في الجبل : كل عقبة مسلوكة أو هى الطريق العالى فيه . (٣) الحجون : جبل بأعلى مكة مشرف على مقبرتها وتسمى المقبرة : الحجون . (٤) انظر صورته شرقى الكعبة في (الرسم ٥٨) .

ومثلك السلام حينار بنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا وهو مرسل^(١)، ولكن سمع هذا سعيد ابن المسيب من عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقوله . فلما دخل المسجد عمد الى البيت (انظر رسمه في الشكل ٥٨) ولم يركع تحية المسجد فان تحية المسجد الحرام الطواف . فلما حاذى الحجر الأسود^(٢) (ترى في الرسم ٥٩ الجحاج وقد تراحوا على تقبيله) استلمه ولم يزاحم عليه ولم يتقدم عنه الى جهة الركن اليماني ولم يرفع يديه ولم يقل : نويت بطوافي هذا الأسبوع كذا وكذا ولا أفتحه بالتكبير كما يكبر للصلاة كما يفعله من لا علم عنده بل هو من البدع المنكرات ولا حاذى الحجر الأسود بجميع بدنه ثم أنقل عنه وجعله على شقه بل استقبله وأستلمه ثم أخذ عن يمينه وجعل البيت عن يساره ولم يعرف عنه عند الباب ولا تحت الميزاب ولا عند ظهر الكعبة وأركانها ولا وقت الطواف ذكر معين لا بفعله ولا بتعليمه بل حفظ عنه بين الركنين (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)^(٣) . ورمل في طوافه هذا ثلاثة الأشواط الأول وكان يسرع مشيه ويقارب بين خطاه واضطجع بردائه فجعله على أحد كتفيه وأبدى كتفه الآخر ومنكبه ، وكلما حاذى الحجر الأسود أشار اليه وأستلمه مَحْجَنَةً وقبل المحجن ، والمحجن : عصا محنية الرأس ، وثبت عنه أنه أستلم الركن اليماني ولم يثبت عنه أنه قبله ولا قبل يده عند استلامه ولكن ثبت عنه أنه قبل الحجر الأسود وثبت عنه أنه أستلمه بيده فوضع يده عليه ثم قبلها وثبت عنه أنه أستلمه بمحجن فهذه ثلاث صفات ، وروى عنه أيضا : أنه وضع شفتيه عليه طويلا يبيكى . وذكر الطبراني عنه بإسناد جيد أنه كان إذا أستلم الركن اليماني قال : بسم الله

(١) الحديث المرسل ما سقط من سنده — رواه — الصحابي .

(٢) في زاوية الكعبة الجنوبية الشرقية وسيأتي مزيد شرحه .

(٣) هو الركن الذي في الجهة الجنوبية الغربية .

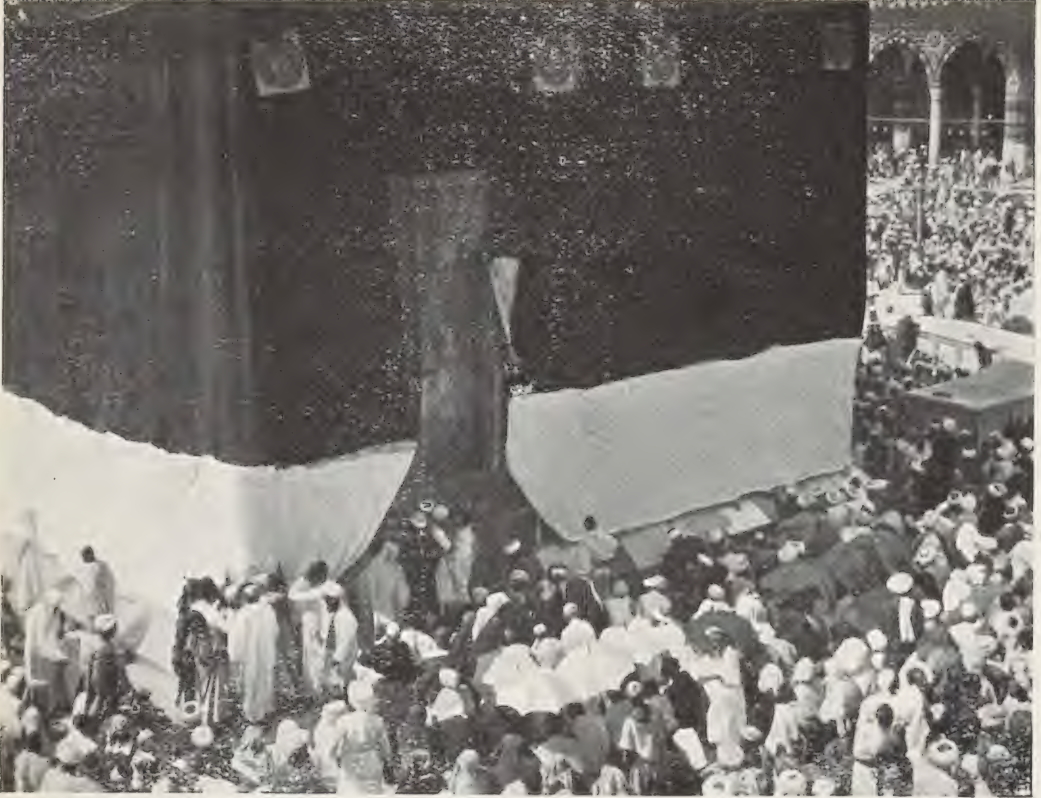
(٤) الباب في الجهة الشرقية (انظره عليه الستارة في الرسم ٥٩) .

(٥) الميزاب : ما يسيل منه الماء الذي يجتمع على سطح الكعبة وسيأتي شرحه .

(٦) الرَّمْل : الاسراع في المشي مع تقارب الخطا .

الحجج حول الكعبة المشرفة وتبليهم للحجر الاسود

الحجج حول الكعبة المشرفة وتبليهم للحجر الاسود



59. Pilgrims round the Kaaba kissing the Black Stone.

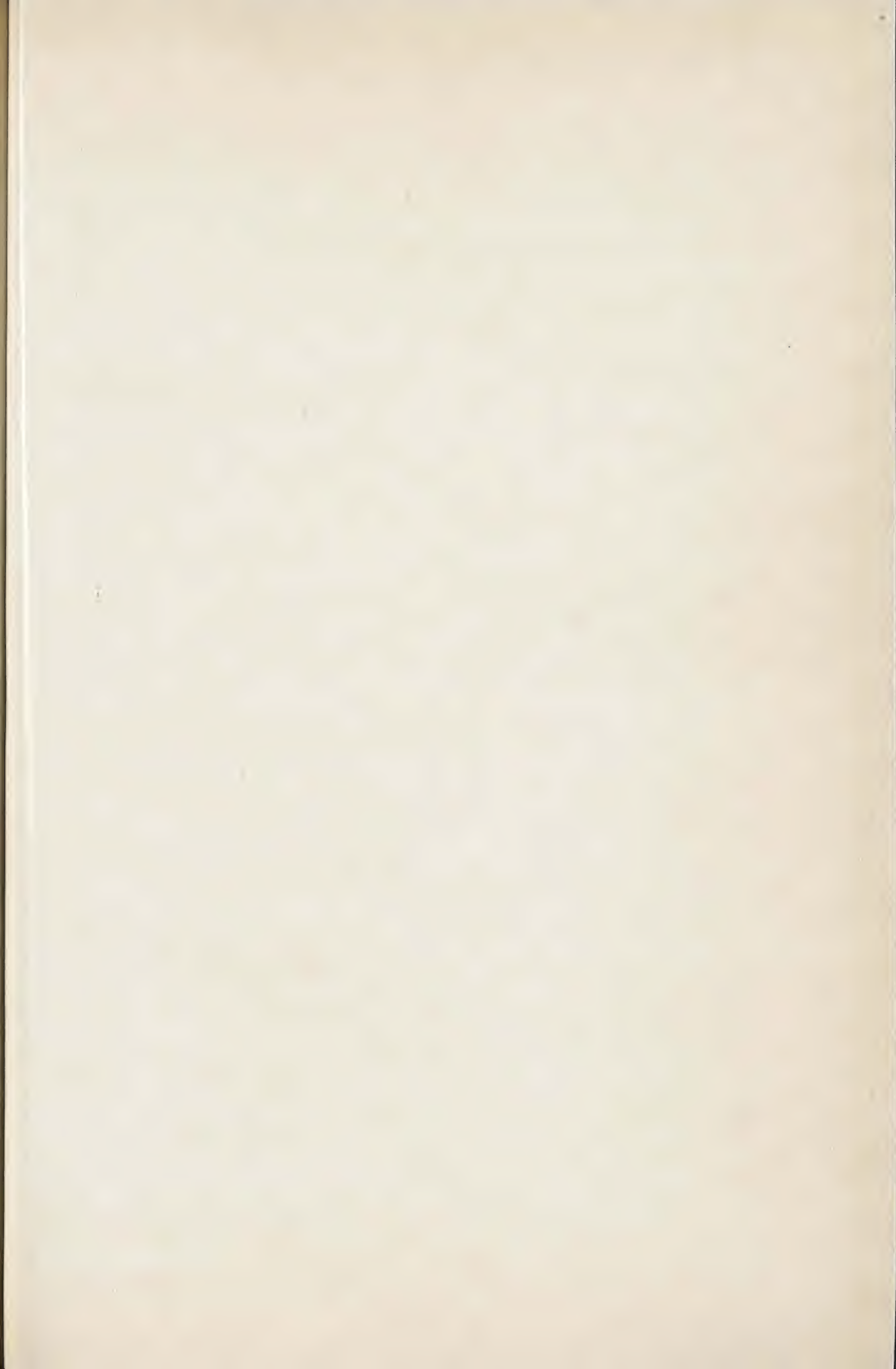
١٧٩ حيفة

الحجج حول الكعبة المشرفة وتبليهم للحجر الاسود



مقابر المسلمين بالحجاز و جبل الكعبة

61. The Water-gauge and the Kaaba Mountain at Garwal, Mecca.



والله أكبر، وكان كلما أتى على الحجر الأسود قال: الله أكبر، وروى عن عمر أنه قبل الحجر وسجد عليه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك. وروى عن ابن عباس أنه قبل الركن اليماني ثم سجد عليه ثم قبله ثم سجد عليه ثلاث مرات. ولم يستلم صلى الله عليه وسلم ولم يمس من الأركان إلا اليمانيين فقط. فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف المقام^(١) فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فصلى ركعتين، والمقام بينه وبين البيت قرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتي الإخلاص، فلما فرغ من صلاته أقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم خرج إلى الصفا من الباب الذي يقابله، فلما قرب منه قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به، وفي رواية أبدءوا على الأمر ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات، وقام ابن مسعود على الصّدع وهو الشق الذي في الصفا فقبل له: ها هنا يا أبا عبد الرحمن قال: هذا والذي لا إله غيره مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة — ذكره البيهقي — ثم نزل إلى المروة يمشي فلما أنصبّت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا جاوز الوادي وأصعد مشى — هذا الذي صح عنه في ذلك اليوم — قبل الميئين الأخضرين في أول السعي وآخره، والظاهر أن الوادي لم يتغير عن وضعه. هكذا قال جابر عنه في صحيح مسلم، وظاهر هذا أنه كان ماشيا، وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة ليراها الناس وليشرف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا^(٢)، قال ابن حزم:

(١) الحجر الذي قام عليه إبراهيم وهو بين الكعبة وسياق الكلام عليه.

(٢) الصفا: مكان عال في أصل جبل أبي قيس جنوب المسجد الحرام على مقربة من بابه المسمى

باب الصفا وهو أشبه بالمصلى طوله ٦ أمتار وعرضه ثلاثة وسياق وصفه.

(٣) فلم يسعوا بعد طواف الافاضة.

لا تعارض بينهما لأن الراكب إذا أنصب به بعيره فقد أنصب كله وأنصبت قدماه أيضا مع سائر جسده، قال ابن القيم: وعندى وجه آخر للجمع بينهما أحسن من هذا وهو أنه سعى ماشيا أولا ثم أتم سعيه راكبا، وقد جاء ذلك مصرحا به، ففي صحيح مسلم عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو؟ فان قومك يزعمون أنه سنة قال: صدقوا وكذبوا قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون: هذا محمد حتى خرج عليه العواتق من البيوت قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشى أفضل. وأما طوافه بالبيت عند قدومه فأختلف فيه هل كان على قدميه أو كان راكبا؟ والصحيح أنه طافه على قدميه لأنه ثبت عنه الرمل فيه وهو إنما يكون من المشي، وأن الركوب كان في طواف الإفاضة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى المروة رقى عايتها واستقبل البيت وكبر الله وحده وفعل كما فعل على الصفا، فلما أكمل سعيه عند المروة أمر كل من لاهدى معه أن يحل حتما ولا بد قارنا كان أو مفردا، وأمرهم أن يحلوا الحل كله من وطء النساء والطيب ولبس الخيط وأن يبقوا كذلك إلى يوم التروية، ولم يحل هو من أجل هديه وهناك قال: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولعلتها عمرة، وهناك دعا للحلقين بالمغفرة ثلاثا وللقصرين مرة، وهناك سأله سُرَاقَةُ بن مالك بن جُعْشُم عقيب أمره لهم بالفسخ والإحلال هل ذلك لعامهم خاصة أو للأبد؟ فقال: بل للأبد ولم يحل أبو بكر ولا عمر ولا علي ولا طلحة ولا الزبير من أجل الهدى، وأما نسائه صلى الله عليه وسلم فأحلان وكن قارنات إلا عائشة فانها لم تحل من أجل تعذر الحل عليها بحيضها، وفاطمة حلت لأنه لم يكن معها هدى، وعلى رضى الله عنه لم يحل من أجل هديه، وأمر من أهل بيأهلال كاهلاله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على إحرامه إن كان معه هدى وأن يحل إن لم يكن معه هدى، وكان يصلى مدة مقامه بمكة إلى يوم التروية بتمزله الذى هو

(١) المروة: مكان مرتفع في أصل جبل قعيقعان في الشمال الشرقى للمسجد الحرام على بعد منه وتحيط به

الآن ثلاثة جدر في الشمال والشرق والغرب. (٢) ثامن ذى الحجة وكانوا يعدون فيه الماء للسفر إلى عرفة.

نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة ، فأقام بظاهر مكة أربعة أيام يقصر الصلاة يوم الأحد والثنين والثلاثاء والأربعاء ، فلما كان يوم الخميس ضحى توجه بمن معه من المسلمين الى منى فأحرم بالحج من كان أحل منهم من رجالهم ولم يدخلوا الى المسجد فأحرموا منه بل أحرموا ومكة خلف ظهورهم ، فلما وصل الى منى نزل بها وصلى بها الظهر والعصر وبات بها وكان ليلة الجمعة فلما طلعت الشمس سار منها الى عرفة وأخذ على طريق ضب على يمين طريق الناس اليوم وكان من أصحابه الملبى ومنهم المكبر وهو يسمع ذلك ولا ينكر على هؤلاء ولا على هؤلاء ، فوجد القبة قد ضربت له نخرة بأمره وهي قرية شرق عرفات وهي خراب اليوم فنزل بها حتى إذا زالت الشمس أمر بنافقته القصوى فرحلت ، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عرنة فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة فتر فيها قواعد الإسلام وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقرر فيها تحريم المحرمات التى آتفت الملل على تحريمها وهي الدماء والأموال والأعراض ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ووضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله وأوصاهم بالنساء خيرا وذكر الحق الذى لهنّ وعلمهنّ وإن الواجب لهنّ الرزق والكسوة بالمعروف ولم يقدر ذلك بتقديره وأباح للأزواج ضربتهنّ إذا أدخلن الى بيوتهنّ من يكرهنّ أزواجهنّ ، وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله وأخبر أنهم لن يضلوا ماداموا معتصمين به ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه وأستنطقهم بماذا يقولون وبماذا يشهدون فقالوا : نشهد نك قد بلغت وأدبت ونصحت فرفع

(١) منى : هو موضع فى شرقى مكة على مسيرة ساعتين وخمس وأربعين دقيقة منها وفيها الجمرات وسياقى وصفها ورسمها فى خريّة مشاعر الحج .

(٢) ضب : اسم الجبل الذى فى أصله مسجد الخيف وطريق ضب يبتدىء من أول المأزمين على يمين الميعة عرفة وهو أخصر من طريق المأزمين . (٣) لم نر بالتواريخ التى بأيدينا أنها قرية .

(٤) لقب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والقصواء فى الأصل الناقة التى قطع طرف أذنها لكن لم تك ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك .

(٥) وضع عليها الرجل — تقدّم تفسيره .

(٦) عرنة : واد بين المزدلفة وعرفة وطوله نحو ١٥٠٠ متر .

أصبغه الى السماء وأستشهد الله عليهم ثلاث مرات وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم، وسيأتي نص الخطبة في الكلام على حج الجاهلية، فلما أتمها أمر بلالا فأذن ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين أسرّ فيهما بالقراءة وكان يوم الجمعة فدل على أن المسافر لا يصلي جمعة، ثم أقام فصلى العصر ركعتين أيضا ومعه أهل مكة وصلوا بصلاته قصرا وجمعا بلا ريب، ولم يأمرهم بالإتمام ولا بترك الجمع ومن قال: إنه قال لهم: أتموا صلاتكم فإننا قوم سفر فقد غلط فيه غلطا بينا ووهم وهما قبيحا وإنما قال لهم ذلك في غزاة الفتح بجوف مكة حيث كانوا في ديارهم مقيمين ولهذا كان أصح أقوال العلماء: أن أهل مكة يقصرون ويجمعون بعرفة كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يتحدد بمسافة معلومة ولا بأيام معلومة ولا تأثير للنسك في قصر الصلاة البتة، وإنما التأثير لما جعله الله سببا وهو السفر هذا مقتضى السنة ولا وجه لما ذهب إليه المحددون. فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف في ذيل الجبل عند الصخرات^(١) واستقبل القبلة وجعل جبل المشاة بين يديه وكان على بعيره فأخذ في الدعاء والتضرع والابتهاال الى غروب الشمس، وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرنة وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال: وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف وأرسل الى الناس أن يكونوا على مشاعرهم^(٢) ويقفوا بها فإنها من إرث أبيهم إبراهيم. وكذلك هناك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال: الحج يوم عرفة من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج.

أيام منى ثلاثة أيام التشريق ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ وكان في دعائه رافعا يده الى صدره كاستطعام المسكين وأخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة وذكر من دعائه صلى الله عليه وسلم في الموقف: اللهم: لك الحمد كالذي نقول وخيرا مما نقول اللهم: لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي

(١) انظر: رسم جبل عرفات.

(٢) جمع مشعر وهو موضع الشعيرة وهي كل ما جعل علما لطاعة الله تعالى.

ولك ربّي تراثي^(١) اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر
 اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح — ذكره الترمذی — ومما ذكر من
 دعائه هناك : اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرّي وعلائي ولا يخفى
 عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير والوجل المشفق المقرّ
 المعترف بذنوبي أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك أبتهل المذنب الذليل وأدعوك
 دعاء الخائف الضريب من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذللّ جسده
 ورغم أنفه لك ، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً وكن بي رءوفاً رحيماً يا خير
 المسؤولين ويا خير المعطين — ذكره الطبراني — وذكر الامام أحمد من حديث
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
 يوم عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على
 كل شيء قدير ، وذكر البيهقي من حديث علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
 قال أكثر دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي بعرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له
 له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نورا وفي صدي نورا
 وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأعوذ بك
 من وسواس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج
 في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر^(٢) — وأسأنيده
 هذه الأدعية فيها لين — وهناك أنزلت عليه ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
 نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ . وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته
 وهو محرم فمات فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفن في ثوبيه ولا يمس
 بطيب وأن يغسل بماء وسدر ولا يغطي رأسه ولا وجهه وأخبر أن الله تعالى يبعثه يوم
 القيامة يلي . فلما غربت الشمس واستحكم غروبها بحيث ذهبَت الصفرة أفاض
 من عرفة وأردف أسامة بن زيد خلفه وأفاض بالسكينة وضم إليه زمام ناقته حتى أن

(١) النسك : العبادة . والمآب : المرجع . والتراث : المال الموروث .

(٢) مهلكاته .

رأسه ليصيب طرف رحله وهو يقول : أيها الناس عليكم السكينة فان البرليس بالإيضاع
 أى ليس بالإسراع ، وأفاض من طريق المأزمين ^(١) ودخل عرفة من طريق ضب
 وهكذا كانت عادته صلوات الله وسلامه عليه في الأعياد أن يخالف الطريق ثم جعل
 يسير العنق وهو ضرب من السير ليس بالسرير ولا البطيء فاذا وجد بخوة وهو
 المتسع نص سيرة أى رفعه فوق ذلك وكلما أتى ربوة ^(٢) من تلك الربا أرنخى للناقة زمامها
 قليلا حتى تصعد وكان يلبي في مسيره ذلك لا يقطع التلبية ، فلما كان في أثناء الطريق
 نزل صلوات الله وسلامه عليه فبال وتوضأ وضوءا خفيفا فقال له أسامة : الصلاة
 يا رسول الله فقال : المصلى أمامك ، ثم سار حتى أتى المزدلفة فتوضأ وضوء الصلاة ثم
 أمر المؤذن بالأذان فأذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك
 الجمال ، فلما حطوا رحلهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء الآخرة بإقامة بلا أذان
 ولم يصل بينهما شيئا ، وقد روى أنه صلاهما بأذانين وإقامتين ، وروى بإقامتين
 بلا أذان ، والصحيح أنه صلاهما بأذان وإقامتين ، كما فعل بعرفة ثم نام حتى أصبح
 ولم يحى تلك الليلة ولا صح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء ، وأذن في تلك الليلة لضعفة
 أهله أن يتقدموا الى منى قبل طلوع الفجر وكان ذلك عند غيوبة القمر وأمرهم
 أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس ، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت لا قبله
 قطعا بأذان وإقامة يوم النحر وهو يوم العيد وهو يوم الحج الأكبر وهو يوم الأذان
 ببراءة من الله ورسوله من كل مشرك ، ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام ^(٤)
 فاستقبل القبلة وأخذ في الدعاء والتضرع والتكبير والتلهيل والذكر حتى أسفر جدا
 وذلك قبل طلوع الشمس وهنالك سأله عمرو بن مضر الطائي فقال يا رسول الله :

(١) هو الطريق الذى يسلكه الناس اليوم وهو أطول من طريق ضب الذى فى جنوبه على يمين

السالك نحو عرفة . (٢) مكانا عاليا .

(٣) المزدلفة : هو الوادى الواسع الذى بين المأزمين من جهة عرفة وبين وادى محسر الضيق من جهة

مكة ويمتد على طول ٣٨١٢ متر .

(٤) المشعر الحرام فى المزدلفة على بعد ٢٥٤٨ متر من أولها من جهة المحسر عند الجبل المعروف بقزح .

إني جئت من جبل طيء أكلت راحتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفته - قال الترمذى: حديث حسن صحيح ^(٢). وبهذا أحتج من ذهب إلى أن الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة. وقد وقف صلى الله عليه وسلم في موقفه وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف، ثم سار من مزدلفة مردفا للفضل بن عباس وهو يلي في مسيره وأطلق أسامة بن زيد على رجله في سباق ^(٣) قریش، وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلتقط له حصى الجمار سبع حصيات ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما يفعل من لا علم عنده ولا التقطها بالليل، فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف ^(٤) فجعل ينفذهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين. وفي طريقه تلك عرضت له امرأة من خثعم جميلة فسأته عن الحج عن أبيها وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الراحلة فأمرها أن تحج عنه وجعل الفضل ينظر إليها وتتنظر إليه فوضع يده على وجهه وصرفه إلى الشق الآخر - وكان الفضل وسيما - فقيل: صرف وجهه عن نظرها إليه وقيل: صرفه عن نظره إليها، والصواب أنه فعله للأمرين فإنه في القصة جعل ينظر إليها وتتنظر إليه وسأله آخر هنالك عن أمه فقال: إنها عجوز كبيرة وإن حملتها لم تستمسك وإن ربطتها خشيت أن أقتلها فقال: أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم قال: فحج عن أمك. فلما أتى بطن ^(٥) محسر حرك ناقته وأسرع السير وهذه كانت عادته في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه، فإن هنالك أصاب أصحاب

(١) أتعبها. (٢) الحديث الذي رواه عدل تام الضبط بسند متصل غير معمل ولا شاذ يقال له:

الصحيح فإن لم يكن الضبط تاما يقال له: الحسن ومعنى كون الحديث حسنا صحيحا أن أحد سنده تطبيق عليه أوصاف الصحة والآخر تطابق عليه أوصاف الحسن فإن كان له سند واحد فوصفه بالأمرين للاختلاف.

في حال رجاله أهم رجال الصحيح أم رجال الحسن؟

(٣) تسابقهم. (٤) الخذف بالحصى رميه بالأصابع.

(٥) الوادى الضيق بين منى ومزدلفة يقال له محسر.

الفيل ما قص الله علينا ، ولذلك سمي ذلك الوادى وادى محسر لأن الفيل حَسِر فيه أى أعْيى وأَنْقَطع عن الذهاب وكذلك فعل فى سلوكه الحجر وديار ثمود فإنه تقنع بثوبه وأسرع السير ، و « محسر » برزخ بين منى وبين مزدلفة لا من هذه ولا من هذه و « عُرْنَةُ » برزخ بين عرفة والمشعر الحرام فين كل مشعرين برزخ ليس منهما ، ففى من الحرم وهى مشعر ، ومحسر من الحرم وليس بمشعر ، ومزدلفة : حرم ومشعر ، وعُرْنَةُ ليست مشعرا ولا حرما ، وعرفة : حل ومشعر . وسلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى بين الطريقين وهى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى منى فألقى جمرة^(١) العقبة فوقف فى أسفل الوادى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وهو على راحته فرماها راجعا بعد طلوع الشمس واحدة بعد واحدة يكبر مع كل حصاة ، وحينئذ قطع التلبية ، وكان فى مسيره ذلك يابى حتى شرع فى الرمى ، ورمى وبلال وأسامة معه أحدهما أخذ بخطام ناقته والآخر يظله بثوب من الحر ، وفى هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالحمل ونحوه إن كانت قصة هذا الإظلال فى يوم النحر ثابتة وإن كانت بعده فى أيام منى فلا حجة فيها وليس فى الحديث بيان أى زمن كانت والله أعلم . ثم رجع إلى منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله وحرمة مكة على جميع البلاد وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال : لعل لا أجمع بعد عامى هذا وعلمهم مناسكهم وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض وأمر بالتبليغ عنه ، وأخبر أنه رب مبلغ أوعى من سامع وقال فى خطبته : لا ينجى جان إلا على نفسه وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة والأنصار عن يسارها والناس حولهم وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعها أهل منى فى منازلهم وقال فى خطبته تلك : اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم ، وودع حينئذ الناس

(١) جمرة العقبة أقرب الجمار إلى مكة وهى الآن حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار فى عرض

مترين وتليها الجمرة الوسطى فالأولى .

فقالوا : حجة الوداع ، وهناك سئل عن خلق قبل أن يرمى . فقال : لا حرج قال عبد الله بن عمر : ما رأيته سئل صلى الله عليه وسلم يومئذ عن شيء إلا قال : افعلوا ولا حرج ، قال ابن عباس إنه قيل له صلى الله عليه وسلم في الذبح والخلق والرمي والتقديم والتأخير قال : لا حرج ، وقال أسامة بن شريك : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حاجا وكان الناس يأتونه فن قائل يا رسول الله ! سعت قبل أن أطوف أو أخرت شيئا وقدمت فكان يقول : لا حرج لا حرج إلا على رجل اعترض عرض رجل مسلم وهو ظالم فذلك الذي حرج وهلك وقوله : سعت قبل أن أطوف في هذا الحديث ليس بحفوظ ، والمحفوظ : تقديم الرمي والنحر والخلق بعضها على بعض ثم انصرف إلى المنحصر بمنى فبحر ثلاثا وستين بدنة بيده وكان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى ، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سني عمره ثم أمسك ، وأمر عليا أن ينحر ما بقي من المائة ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يتصدق بجلالها^(١) ولحومها وجلودها في المساكين وأمره أن لا يعطى الجزار في جزارته شيئا منها وقال : نحن نعطيه من عندنا وقال : من شاء اقتطع . وقد نحر صلى الله عليه وسلم بمنحصره بمنى وأعلمهم أن منى كلها منحروا وأن بخاج مكة طريق ومنحروا ، وفي هذا دليل على أن النحر لا يختص بمنى بل حيث نحر من بخاج مكة أجزأه كما أنه لما وقف بعرفة قال وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف ، ولما وقف بمزدلفة قال : وقفت هاهنا ومزدلفة كلها موقف . وسئل صلى الله عليه وسلم أن يبني له بناء يظله من الحر؟ فقال : لا ، منى مناخ لمن سبق إليه ، وفي هذا دليل على اشتراك المسلمين فيها وأن من سبق إلى مكان فهو أحق به حتى يرتحل عنه ولا يملكه بذلك .

فلما أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحره استدعى بالخلق فخلق رأسه فقال للخلق وهو معمر بن عبد الله وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر ! أمكك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة أذنه وفي يدك الموسى فقال معمر : أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمة الله على^(٢) ومته قال : أجل وقال صلى الله عليه

(١) الجلال جمع جل وهو كساء يوضع على ظهور الابل . (٢) نعم .

وسلم للحلاق : خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ، فلما فرغ منه قسم شعره بين من يليه ثم أشار إلى الحلاق فخلق جانبه الأيسر ثم قال : ها هنا أبو طلحة فدفعه إليه ، هكذا وقع في صحيح مسلم ، وقد دعا صلى الله عليه وسلم للحقلين بالمغفرة ثلاثاً وللقصرين مرة ، وحاق كثير من الصحابة بل أكثرهم وقصر بعضهم وهذا مع قوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ ومع قول عائشة رضي الله عنها طابت رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم وإحلاله قبل أن يحل دليل على أن الحلق نسك وليس بإطلاق من محظورات الإحرام .

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم إلى مكة قبل الظهر راكباً فطاف طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة وهو طواف الصدر ولم يطف غيره ولم يسع معه هذا هو الصواب ، وقد خالف في ذلك ثلاث طوائف - طائفة زعمت أنه طاف طوافين طوافاً للقدوم سوى طواف الإفاضة ثم طاف للإفاضة ، وطائفة زعمت أنه سعى مع هذا الطواف لكونه قارناً ، وطائفة زعمت أنه لم يطف في ذلك اليوم وإنما أخر طواف الزيارة إلى الليل (وقد بين ابن القيم منشأ هذه الأقوال وخطأها في كتابه زاد المعاد من ص ٢٣٩ إلى ٢٤٢) ولم يرمل صلى الله عليه وسلم في هذا الطواف ولا في طواف الوداع وإنما رمل في طواف القدوم ، ثم أتى زمزم بعد أن قضى طوافه وهم يسقون فقال : لولا أن يغلبكم الناس لتزلت فسقيت معكم ثم ناولوه الدلو فشرب وهو قائم قليل : هذا نسخ لنبيه عن الشرب قائماً وقيل : بل بيان منه لأن النهي على وجه الاختيار وترك الأولى وقيل : بل للحاجة وهذا أظهر . وهل كان في طوافه هذا راكباً أو ماشياً ؟ . واختلف أين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ؟ ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى ، وفي صحيح مسلم عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة وكذلك قالت عائشة : وقدر حج جماعة قول عائشة وجابر ورجح آخرون قول ابن عمر (انظر وجوه الترجيح زاد المعاد أول ص ٢٤٣) وقد طافت عائشة في ذلك اليوم طوافاً واحداً وسعت سعيها واحداً أجزأها عن حجها وعمرتها ، وطافت صفيّة ذلك اليوم ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع ولم

تودّع فاستقرت سنته صلى الله عليه وسلم في المرأة الطاهرة إذا حاضت قبل الطواف أن تقرن وتكتفى بطواف واحد وسعى واحد، وإن حاضت بعد طواف الإفاضة آجترأت به عن طواف الوداع . ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى من يومه ذلك فبات بها فلما أصبح أنتظر زوال الشمس ، فلما زالت مشى من رحله الى الجمار ولم يركب فبدأ بالجمرة الأولى التي تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة الله أكبر ثم يقدم على الجمرة أمامها حتى أسهل^(٢) مقام مستقبل القبلة ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلا بقدر سورة البقرة ثم أتى الى الجمرة الوسطى فرماها كذلك ثم انحدر ذات اليسار مما يلي الوادى فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو قريبا من وقوفه الأول ثم أتى الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة فاستبطن الوادى واستعرض الجمرة فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه فرماها بسبع حصيات كذلك ولم يرمها من أعلاها كما يفعل الجهال ولا جعلها عن يمينه ، واستقبل البيت وقت الرمي كما ذكره غير واحد من الفقهاء ، فلما أكمل الرمي رجع من فوره ولم يقف عندها فقليل : لضيق المكان بالجبل وقيل وهو أصح : إن دعاءه كان في نفس العبادة قبل الفراغ منها فلما رمى جمرة العقبة فرغ الرمي ، والدعاء في صلب العبادة قبل الفراغ منها أفضل منه بعد الفراغ منها . ويغلب على الظن أنه كان يرمى قبل الصلاة ثم يرجع فيصلى ، ومما تقدم تعلم أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم تضمنت ست وقفات للدعاء ، الموقف الأول على الصفا ، والثاني على المروة ، والثالث بعرفة ، والرابع بمزدلفة ، والخامس عند الجمرة الأولى ، والسادس عند الجمرة الثانية .

وخطب صلى الله عليه وسلم الناس بمنى خطبتين خطبة يوم النحر وقد تقدمت والخطبة الثانية في أوسط أيام التشريق فقليل : هو ثاني يوم النحر وهو أوسطها أى خيارها واحتج لذلك بحديث سري بنت نبهان قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتدرون أى يوم هذا؟ قالت : وهو اليوم الذى تدعون يوم الرؤوس

(١) أنظر الجمرات وصفا ورسمها بعد .

(٢) صار فى الارض السهلة .

قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا وسط أيام التشريق ، هل تدرون أى بلد هذا ؟ قالوا :
الله ورسوله أعلم ، قال : هذا المشعر الحرام . ثم قال : إني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد
هذا : ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا
حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ألا هل بلغت ، فلما
قدمنا المدينة لم يلبث إلا قليلا حتى مات صلى الله عليه وسلم — رواه أبو داود .
ويوم الرعوس هو ثاني يوم النحر بالاتفاق . واستأذنه العباس بن عبد المطلب أن
يميت بمكة ليالى منى من أجل سقايته فأذن له ، واستأذنه رعاء الإبل في البيوتة خارج
منى عند الإبل فأرخص لهم أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا رمى يومين بعد يوم النحر
يرمونهم في أحدهما ، قال مالك : ظننت أنه قال في أول يوم منهما ثم يرمون يوم النحر ،
وقال ابن عيينة في هذا الحديث رخص للرياء أن يرموا يوما ويدعوا يوما فيجوز
للطائفتين بالسنة ترك المبيت بمنى ، وأما الرمي فانهم لا يتركونه بل لهم أن يؤخروه
الى الليل فيرمون فيه ، ولهم أن يجمعوا رمى يومين في يوم ، وإذا كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد رخص لأهل السقاية وللرياء في البيوتة فن له مال يخاف ضياعه
أو مريض يخاف من تخلفه عنه أو كان مريضا لا تمكنه البيوتة سقطت عنه بتنبيه
النص على هؤلاء . ولم يتعجل صلى الله عليه وسلم في يومين بل تأخر حتى أكمل رمى
أيام التشريق الثلاثة وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر الى المحصب وهو الأبطح وهو
خيف بنى كنانة فوجد أبا رافع قد ضرب فيه قبته هنالك وكان على ثقله توفيقا من
الله عز وجل دون أن يأمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر والعصر
والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم نهض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ولم يرمل
في هذا الطواف وأخبرته صفية أنها حائض فقال أحابستنا هي ؟ فقالوا له : إنها
قد أفاضت قال : فلتنفرا اذا ، ورغبت اليه عائشة تلك الليلة أن يعمرها عمرة مفردة
فأخبرها أن طوافها بالبيت وبالصفاء والمروة قد أجزأها عن حجها وعمرتها فأبت .

(١) المحصب هو الوادى الذى بين المعلاة من جهة مكة وبين المكان المعروف بسبيل الست من جهة منى .

(٢) النقل متاع المسافر وحشمه .

إلا أن تعتمر عمرة مفردة فأمر أخاها أن يعمرها من التمتع ، ففرغت من عمرتها ليلا ثم وافت المحصب مع أخيها فأتيا في جوف الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغتما؟ قالت : نعم ، فنادى بالرحيل في أصحابه فارتحل الناس ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح ، وقد اختلف في التحصيب أسنة هو أو منزل اتفاق على قولين - وهاهنا ثلاث مسائل هل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت في حجته أم لا ؟ وهل وقف بالملتزم أولا ؟ وهل صلى الصبح ليلة الوداع بمكة أو خارجا عنها ؟ والذي تدل عليه سنته أنه لم يدخل البيت في حجته ولا في عمرته وإنما دخله عام الفتح وأنه لم يقف بالملتزم إلا عام الفتح وأنه صلى صلاة الصبح بمكة عند البيت ، وسمعه أم سلمة يقرأ فيها بالطور .

ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ، فلما كان بالروحاء لقي رجا فسلم عليهم وقال من القوم ؟ فقالوا : المسلمون فمن القوم ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفعت امرأة صبيا لها من محبة^(١) فقالت يا رسول الله ! ألهذا حج ؟ قال : نعم ولك أجر ، فلما أتى ذا الحليفة بات بها ، فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آتئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخلها نهارا من طريق المعرس^(٢) وخرج من طريق الشجرة^(٣) .

هديه صلى الله عليه وسلم في الهدايا : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم وأهدى الإبل وأهدى عن نسائه البقر وأهدى في مقامه وفي عمرته وفي حجته .

(١) المحبة : مركب من مراكب النساء كالهودج ألا انها لا تقبب كما تقبب الهودج .

(٢) المعريس نزول المسافر آخر الليل نزلة للاستراحة والنوم ، والمعرس موضع التعريس وبه سمي معرس

ذي الحليفة الذي عرس به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) المراد بالشجرة الشجرة التي ولدت عندها أسماء بذى الحليفة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينزلها

من المدينة ويحرم منها وهي على ستة أميال من المدينة .

وكانت سنته تقلد الغنم دون إشعارها ، وكان إذا بعث بهديه وهو مقيم لم يحرم عليه شيء كان منه حالاً ، وكان إذا أهدى الإبل قلدها وأشعرها فيشق صفحة سنامها اليمنى يسيراً حتى يسيل منها الدم ، قال الشافعي رضي الله عنه : والإشعار في الصفحة اليمنى ، كذلك أشعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا بعث بهديه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رسوله إذا أشرف على عطب شيء منه أن ينحره ثم يصبغ نعله في دمه ثم يجعله على صفحته ولا يأكل منه هو ولا أحد من رفقته ثم يقسم لحمه ، ومنعه من هذا الأكل سدا للذريعة فإنه لعله ربما قصر في حفظه ليشارف العطب فينحره ويأكل منه فإذا علم أنه لا يأكل منه شيئاً اجتهد في حفظه ، وشرك بين أصحابه في الهدى فالبدنة عن سبع والبقرة كذلك ، وأباح لسائق الهدى ركوبه بالمعروف إذا احتاج إليه حتى يجد ظهراً غيره ، وقال على رضي الله عنه : يشرب من لبنها ما فضل عن ولدها . وكان هديه صلى الله عليه وسلم نحر الإبل قياماً مقيدة معقولة اليسرى على ثلاث وكان يسمى الله عند نحره ويكبر وكان يذبح نسكه بيده وربما وكل في بعضه كما أمر علياً رضي الله عنه أن يذبح مابق من المائة ، وكان إذا نحر الغنم وضع قدمه على صفائحها ثم سمي وكبر ونحر ، وقد تقدم أنه نحر بمنى وقال : إن بفاج مكة كلها منحر ، وقال ابن عباس : مناخر البدن بمكة ولكنها نزعت عن الدماء ومنى من مكة ، وكان ابن عباس ينحر بمكة . وأباح صلى الله عليه وسلم أن يأكلوا من هداياهم وضحاياهم ويتزودوا منها ونهاهم مرة أن يذبحوا منها بعد ثلاث لدافة^(٢) دفت عليهم ذلك العام من الناس فأحب أن يوسعوا عليهم . وروى مسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع لثوبان : أصلح هذا اللحم قال : فأصلحته فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة ، وكان ربما قسم لحوم الهدى وربما قال : من شاء أقتطع ففعل هذا وفعل هذا ، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم ذبح هدى العمرة عند المروة وهدى القران بمنى وكذلك كان ابن عمر يفعل . ولم ينحر هديه صلى الله عليه وسلم قط إلا بعد أن

(١) وضع قلادة في عنقها ليعلم أنها هدى والإشعار : الضرب في صفحة السنام حتى يسيل منها الدم وقد

تقدم . (٢) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد يقال : هم يدفون دفا .

حل ولم ينحره قبل يوم النحر ولا أحد من الصحابة البتة ، ولم ينحره أيضا إلا بعد طلوع الشمس وبعد الرمي ، فهي أربعة أمور مرتبة يوم النحر: أولها الرمي ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف وهكذا رتبها صلى الله عليه وسلم ولم يرخص في النحر قبل طلوع الشمس البتة ولا ريب أن ذلك مخالف لمذهبه فحكمه حكم الأضحية إذا ذبحت قبل طلوع الشمس فإنها لا تجزئ .

فقه المذاهب في الحج

قد رأينا أن نعتمد في نقل فقه المذاهب على ما كتبه الامام ابن رشد (المتوفى سنة ٥٩٥) في كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وإن دعت الحاجة الى الرجوع لكتب المذاهب المختلفة رجعنا اليها ، وسندكر الأحكام مجردة عن الأدلة فان ما قدمنا لك من حجة الرسول فيه الأدلة الكافية لمن أرادها وإن أبيت إلا الزيادة فدونك هذا الكتاب وكتاب نيل الأوطار للعلامة الشوكاني اليمنى فانه البحر الخضم لمن رغب التوسع في الأدلة والله يوفقنا لما فيه الخير لديننا وأمتنا .

النظر في كتاب الحج في ثلاثة أجناس : «الجنس الأول» يشتمل على الأشياء التي تجرى من هذه العبادة مجرى المقدمات التي تجب معرفتها لعمل هذه العبادة ؛ «الجنس الثاني» في الأشياء التي تجرى منها مجرى الأركان وهي الأمور المعمولة نفسها والأشياء المتروكة ؛ «الجنس الثالث» في الأشياء التي تجرى منها مجرى الأمور اللاحقة وهي أحكام الأفعال وذلك أن كل عبادة فإنها توجد مشتملة على هذه الثلاثة الأجناس .

الجنس الأول

هذا الجنس يشتمل على شيئين : (١) معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى من يجب ؛ (٢) معرفة متى يجب .

(١) وجوب الحج وشروطه — لا خلاف في وجوب الحج لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

والشروط قسمان: شروط وجوب، وشروط صحة؛ فأما شروط الصحة فلا خلاف بين الأئمة أن منها الإسلام فلا يصح حج من غير مسلم. واخلتفوا في صحة وقوعه من الصبي فذهب مالك والشافعي إلى جواز ذلك ومنع منه أبو حنيفة، وكذلك اختلف أصحاب مالك في صحة وقوعه من الطفل الرضيع وينبغي أن لا يختلف في صحة وقوعه ممن يصح وقوع الصلاة منه وهو كما قال صلى الله عليه وسلم من السبع إلى العشر. وأما شروط الوجوب فالإسلام على القول بأن الكفار مخاطبون بفروع شريعتنا ولا خلاف في اشتراط الاستتاعة وإن كان في تفصيل ذلك اختلاف وهي بالجملة تصوّر على نوعين: مباشرة ونيابة؛ فأما «المباشرة» فلا خلاف عندهم أن من شرطها الاستتاعة بالبدن وبالمال مع الأمن واخلتفوا في تفصيل الاستتاعة بالبدن وبالمال فقال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وهو قول ابن عباس وعمر بن الخطاب: إن من شرط ذلك الزاد والراحلة، وقال مالك: من استتاع المشى فليس وجود الراحلة من شرط الوجوب في حقه بل يجب عليه الحج وكذلك ليس الزاد عنده من شرط الاستتاعة إذا كان ممن يمكنه الاكتساب في طريقه ولو بالسؤال. فأما وجوبه باستتاعة «النيابة» مع العجز عن المباشرة فعند مالك وأبي حنيفة أنه لا تلزم النيابة إذا استطيعت مع العجز عن المباشرة، وعند الشافعي أنها تلزم فيلزم على مذهبه أن من لا يقدر على الحج ببذنه وعنده مال يكفي لإنباء غيره عنه في الحج تجب عليه تلك الإنابة من ماله الخاص، وإن وجد من يحج عنه بماله وبذنه من أخ أو قريب سقط ذلك عنه، وكذلك عنده الذي يأتيه الموت ولم يحج يلزم ورثته عنه أن يخرجوا من ماله ما يحج به عنه ولا خلاف بين المسلمين أنه يقع عن الغير تطوعاً وإنما الخلاف في وقوعه فرضاً، واخلتفوا من هذا الباب في الذي يحج عن غيره سواء أكان حياً أم ميتاً هل من شرطه أن يكون قد حج عن نفسه أولاً؟ فذهب بعضهم إلى أن ذلك ليس من شرطه وإن كان قد أدى الفرض عن نفسه فذلك أفضل وبه قال مالك فيمن يحج عن الميت لأن الحج عنده عن الحي لا يقع، وذهب آخرون إلى أن من شرطه أن يكون قد قضى فريضة نفسه وبه قال الشافعي وغيره.

إنه إن حج عن غيره من لم يقض فرض نفسه آتتاب إلى فرض نفسه، وأختلفوا في هذا الباب أيضا فيمن يؤاجر نفسه في الحج فكره ذلك مالك والشافعي وقالا : إن وقع ذلك جاز ولم يحز ذلك أبو حنيفة، وبذلك عرفت من تجب عليه هذه الفريضة ومن تقع .

وأختلفوا من هذا الباب هل من شرط وجوب الحج على المرأة أن يكون معها زوج أو ذو محرم منها يطاوعها على الخروج معها إلى السفر للحج فقال مالك والشافعي : ليس ذلك من شرط الوجوب، وقال أبو حنيفة وأحمد وجماعة : وجود ذى المحرم ومطاوعته لها شرط في الوجوب .

(٢) متى يجب الحج — أختلفوا هل هو على الفور أو على التراخي، والقولان منسوبان إلى مالك وأصحابه والظاهر عند المتأخرين من أصحابه أنها على التراخي وبالقول أنها على الفور قال البغداديون من أصحابه واختلف في ذلك قول أبي حنيفة وأصحابه، والمختار عندهم أنه على الفور وقال الشافعي : هو على التوسعة .

حكم العمرة — قيل : إنها واجبة، وقيل : إنها سنة، وقيل : هي تطوع وبالأقول قال الشافعي وأحمد وأبو عبيد والثوري والأوزاعي وهو قول ابن عباس وابن عمر من الصحابة وجماعة من التابعين وبالسنية قال مالك وجماعة، وبالتطوع قال أبو حنيفة وأبو ثور ودادود .

الجنس الثاني

في أفعال هذه العبادة نوعا ونوعا والتروك المشترطة فيها

هذه العبادة صنفان : حج، وعمرة، والحج ثلاثة أنواع : إفراد وتمتع وقران وكلها تشمل على أفعال محدودة في أمكنة محدودة وأوقات محدودة وعلى تروك تشتط في تلك الأفعال، ولكل هذه أحكام محدودة إما عند الإخلال بها وإما عند الطوارئ المانعة منها فإذا الجنس الثاني ينقسم إلى الأفعال وإلى التروك، فلتبدأ بالأفعال وهذه منها ما تشترك فيها هذه الأربعة الأنواع من النسك أعنى أنواع الحج الثلاثة والعمرة

ومنها ما يختص ببعضها فلنبداً من القول فيها بالمشترك ثم نعقب ذلك بالخاص فنقول : إن الحج والعمرة أوّل أفعالهما الفعل الذي يسمى بالإحرام .

(١) الإحرام - (١) ميقاته

الإحرام : يشترط فيه المكان والزمان أما المكان فهو ما يسمى بمواقيت الحج وقد أجمع العلماء على أن المواقيت التي منها يكون الإحرام ، ذوالحليفة لأهل المدينة والحجفة لأهل الشام ، وقرن لأهل نجد ، ويلملم لأهل اليمن ، واختلفوا في ميقات أهل العراق فقال جمهور فقهاء الأمصار : ميقاتهم من ذات عرق ، وقال الشافعي والثوري : إن أهلوا من العقيق كان أحب ^(١) ، وجمهور العلماء على أن من يخطئ هذه وقصده الإحرام فلم يحرم إلا بعسدها فعليه دم وهؤلاء منهم من قال : إن رجع الى الميقات فأحرم منه سقط عنه الدم ومنهم الشافعي ، ومنهم من قال : لا يسقط عنه الدم وإن رجع وبه قال مالك ، وقال قوم : ليس عليه دم ، وقال آخرون : إن لم يرجع الى الميقات فسد حجه ويرجع الى الميقات فيهل منه بعمرة ، وجمهور العلماء على أن من كان منزله دونهن فيمقات إحرامه من منزله ، واختلفوا هل الأفضل إحرام الحاج من منزله أو من منزله إذا كان منزله خارجاً عنهن ؟ فقال قوم : الأفضل له من منزله والإحرام منها رخصة وبه قال الشافعي وأبو حنيفة والثوري وجماعة ، وقال مالك وإسحاق وأحمد إحرامه من المواقيت أفضل . واختلفوا فيمن ترك الإحرام من ميقاته وأحرم من ميقات آخر غير ميقاته مثل أن يترك أهل المدينة الإحرام من ذى الحليفة ويحرموا من الحجفة فقال قوم عليه دم ومن قال به مالك وبعض أصحابه وقال أبو حنيفة ليس عليه شيء .

ولا خلاف أنه يلزم الإحرام من مرّ بهذه المواقيت ممن أراد الحج أو العمرة . وأما من لم يردّها ومرّ بهما فقال قوم : كل من مرّ بهما يلزمه الإحرام إلا من يكثر ترداده مثل الخطاين وشبههم وبه قال مالك ، وقال قوم : لا يلزم الإحرام إلا لمريد الحج

أو العمرة ، هذا كله لمن ليس من أهل مكة وأما أهل مكة فإنهم يخرجون إلى الحل ويحرمون منه بالحج أو العمرة . وأما متى يحرم بالحج أهل مكة فقليل : إذا رأوا الهلال وقيل : إذا خرج الناس إلى منى فهذا هو ميقات المكان المشترط لأنواع هذه العبادة . وميقات الزمان محدود أيضا في أنواع الحج الثلاثة وهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة باتفاق ، وقال مالك : ثلاثة الأشهر كلها محل للحج ، وقال الشافعي : الشهران وتسع من ذي الحجة ، وقال أبو حنيفة : وعشر من ذي الحجة ؛ وفائدة الخلاف تأخر طواف الإفاضة إلى آخر الشهر ، فإن أحرم بالحج قبل أشهره كرهه مالك وصح إحرامه عنده ، وقال غيره : لا يصح إحرامه ، وقال الشافعي : ينقصد إحرامه إحرام عمرة . وأما العمرة فاتفقوا على جوازها في كل أوقات السنة ، وقال أبو حنيفة : تجوز في كل السنة إلا يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق فإنها تكره . واختلفوا في تكريرها في السنة الواحدة فكان مالك يستحب عمرة في كل سنة ويكره تكرارها في السنة الواحدة وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا كراهة في ذلك .

فهذا هو القول في شروط الإحرام الزمانية والمكانية .

(ب) محظورات الإحرام

اتفق العلماء على أن المحرم لا يلبس قميصا ولا سروالا (لباسا) ولا برنسا (قلنسوة طويلة) ولا خفا ولا ثوبا مسه الزعفران أو الورس (نبت أصفر يمني) ولا ما كان في معنى ذلك من مخيط الثياب وأن هذا مخصوص بالرجال فلا بأس بأن تلبس المرأة القميص والسراويل والخفاف والخمر . واختلفوا فيمن لم يجد غير السراويل هل له لباسها ؟ فقال مالك وأبو حنيفة : لا يجوز له ذلك وإن لبسها آتدى ، وقال الشافعي والثوري وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شيء عليه إذا لم يجد إزارا وجمهور العلماء على إجازة لبس الخفين مقطوعين لمن لم يجد النعلين وقال أحمد : يجوز لمن لم يجد النعلين أن يلبس الخفين غير مقطوعين ، قال عطاء : في قطعهما فساد والله لا يجب الفساد ، واختلفوا فيمن لبسهما مقطوعين مع وجود النعلين فقال مالك : عليه الفسدية وبه

قال أبو ثور، وقال أبو حنيفة : فدية عليه، والقولان عن الشافعي . واختلفوا في المعصفر فقال مالك : لا بأس به فانه ليس بطيب، وقال أبو حنيفة والثوري : هو طيب وفيه الفدية وأجمعوا على أن إحرام المرأة في وجهها وأن لها أن تغطي رأسها وتستتر شعرها وأن لها أن تسدل ثوبها على وجهها من فوق رأسها سدا خفيفا تستتر به من نظر الرجال إليها . واختلفوا في تخمير المحرم وجهه بعد إجماعهم على أنه لا يخر رأسه، فروى مالك عن ابن عمر أن ما فوق الذقن من الرأس لا يخره المحرم واليه ذهب مالك، وروى عنه أنه إن فعل ذلك ولم يزرعه مكانه آفتدى، وقال الشافعي والثوري وأحمد وداود وأبو ثور: يخر المحرم وجهه إلى الحاجبين . واختلفوا في لبس القفازين للمرأة فقال مالك : إن لبستهما آفتدت، ورخص فيه الثوري وهو مروى عن عائشة .

وأجمع العلماء على أن الطيب كله يحرم على المحرم بالحج أو العمرة في حال إحرامه، واختلفوا في جوازه للمحرم عند الإحرام قبل أن يحرم لما يبق من أثره عليه بعد الإحرام فكرهه قوم وأجازه آخرون، ومن كرهه مالك ورواه عن عمر بن الخطاب وهو قول عثمان وابن عمر وجماعة من التابعين، ومن أجازه أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد وداود .

وأجمع المسلمون على أن وطء النساء على الحاج حرام من حين يحرم لقوله تعالى ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ .

واتفقوا على أن المحرم لا يلقى تفثه ولا يزيل شعره ولا يقتل القمل، وأجمعوا على أنه يجوز له غسل رأسه من الجنابة، واختلفوا في كراهية غسله من غير الجنابة فقال الجمهور: لا بأس بغسله رأسه، وقال مالك : بكراهية ذلك واتفقوا على منع غسل رأسه بالخطمي، وقال مالك وأبو حنيفة : إن فعل ذلك آفتدى وقال أبو ثور وغيره : لا شيء عليه . واختلفوا في دخوله الحمام فكان مالك يكره ذلك ويرى أن على من دخله الفدية وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وداود : لا بأس بذلك .

ومن محظورات الإحرام الاصطياد وذلك مجمع عليه لقوله تعالى ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرَمًا﴾ وقوله تعالى ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرَمٌ﴾ وقد أجمعوا على أنه لا يجوز له صيده ولا أكل ما صاده هو منه ، واختلفوا إذا صاده حلال هل يجوز للمحرم أكله ؟ على ثلاثة أقوال : قول أنه يجوز له أكله على الإطلاق وبه قال أبو حنيفة وهو قول عمر بن الخطاب والزبير ، وقال قوم : هو محرم عليه على كل حال وهو قول ابن عباس وعليّ وبه قال الثوري ، وقال مالك : ما لم يصد من أجل المحرم أو من أجل قوم محرمين فهو حلال ، وما صيد من أجل محرم فهو حرام على المحرم . واختلفوا في المضطر هل يأكل الميتة أو يصيد في الحرم ؟ فقال مالك وأبو حنيفة والثوري وزفر وجماعة : إذا اضطرأ كل الميتة ولحم الخنزير دون الصيد ، وقال أبو يوسف : يصيد ويأكل وعليه الجزاء ؛ فهذه الخمسة اتفق المسلمون على أنها من محظورات الإحرام . واختلفوا في نكاح المحرم فقال مالك والشافعي والليث والأوزاعي : لا ينكح المحرم ولا يُنكح فإن نكح فالنكاح باطل وهو قول عمر وعليّ بن أبي طالب وابن عمر وزيد بن ثابت ، وقال أبو حنيفة والثوري : لا بأس بأن ينكح المحرم ويُنكح .

(ج) أنواع الإحرام

المحرم إما محرم بعمره مفردة أو محرم بحج مفرد أو جامع بين الحج والعمره وهذان ضربان إما متمتع وإما قارن . ولما كان الأفراد هو التعرى عن صفات التمتع والقران وجب أن نبدأ أولاً بصفة التمتع ثم نردف ذلك بصفة القران ، اتفق العلماء على أن هذا النوع من النسك المعنى بقوله سبحانه ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ هو أن يهل الرجل بالعمره في أشهر الحج من الميقات إن كان مسكنه خارجاً عن الحرم ثم يأتي حتى يصل البيت فيطوف لعمرته ويسعى ويحلق في تلك الأشهر بعينها ثم يحل بمكة ثم ينشئ الحج في ذلك العام نفسه وفي تلك الأشهر نفسها من غير أن ينصرف إلى بلده إلا ما روى عن الحسن أنه كان يقول : هو متمتع وإن عاد إلى بلده ولم يحج فعليه الهدى وكان يقول : عمره في أشهر الحج متعة وقال طاوس : من أعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى يحج

وجج من عامه إنه ممتنع ، وقد اتفق العلماء على أن من لم يكن من حاضري المسجد الحرام فهو ممتنع واختلفوا في المكِّي هل يقع منه التمتع أولا ؟ والقائلون بوقوعه منه اتفقوا على أنه ليس عليه دم لقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ . واختلفوا فيمن هو حاضر بالمسجد الحرام ممن ليس هو كذلك فقال مالك : حاضرو المسجد الحرام هم أهل مكة وذى طوى وما كان مثل ذلك من مكة ، وقال أبو حنيفة : هم أهل المواقيت فمن دونهم إلى مكة وقال الشافعي بمصر : من كان بينه وبين مكة ليلتان وهو أقرب المواقيت ، وقال أهل الظاهر : من كان ساكن الحرم ، وقال الثوري : هم أهل مكة فقط ، وأبو حنيفة يقول إن حاضري المسجد الحرام لا يقع منهم التمتع .

وهنا نوعان من التمتع اختلف العلماء فيهما ، أحدهما فسخ الحج في عمرة وهو تحويل النية من الإحرام بالحج إلى العمرة ، بجمهور العلماء يكرهون ذلك من الصدر الأول وفقهاء الأمصار ، وذهب ابن عباس إلى جواز ذلك وبه قال أحمد وداود . وأما النوع الثاني من التمتع فهو ما كان يذهب إليه ابن الزبير أن التمتع الذي ذكره الله هو تمتع المحصر بمرض أو عدو وذلك إذا خرج الرجل حاجا فخبسه عدو أو أمر تعذر به عليه الحج حتى تذهب أيام الحج فيأتي البيت فيطوف ويسعى بين الصفا والمروة ، ويحل ثم يتمتع محله إلى العام المقبل ثم يحج ويهدي ، وعلى هذا القول لا يكون التمتع المشهور إجماعا ، وشذ طائفة أيضا فقال : إن المكِّي إذا تمتع من بلد غير مكة كان عليه الهدى . واختلف العلماء فيمن أنشأ عمرة في غير أشهر الحج ثم عملها في أشهر الحج ثم حج عامه ذلك فقال مالك : عمرته في الشهر الذي حل فيه فإن كان حل في أشهر الحج فهو ممتنع وإن كان حل في غير أشهر الحج فليس بمتمتع ، وبقرئ منه قال أبو حنيفة والشافعي والثوري إلا أن الثوري اشترط أن يوقع طوافه كله في سؤال وبه قال الشافعي ، وقال أبو حنيفة : إن طاف ثلاثة أشواط في رمضان وأربعة في سؤال كان ممتعا وإن لا فلا ، وقال أبو ثور : إذا دخل في العمرة في غير أشهر الحج فسواء طاف لها في أشهر الحج أو في غيرها لا يكون ممتعا .

وشروط التمتع عند مالك ستة : (١) أن يجمع بين العمرة والحج في شهر واحد ؛
 (٢) أن يكون ذلك في عام واحد ؛ (٣) أن يفعل شيئاً من العمرة في أشهر الحج ؛
 (٤) أن يقدم العمرة على الحج ؛ (٥) أن ينشئ الحج بعد الفراغ من العمرة
 وإحلاله منها ؛ (٦) أن يكون وطنه غير مكة .

والقران أن يهل بالنسكين معا أو يهل بالعمرة في أشهر الحج ثم يردف ذلك بالحج
 قبل أن يهل من العمرة . واختلف أصحاب مالك في الوقت الذي يكون ذلك له فيه
 فقليل ذلك له ما لم يشرع في الطواف ولو شوطاً واحداً وقيل : ما لم يطف ويركع .
 ويكره بعد الطواف وقبل الركوع فإن فعل لزمه وقيل : له ذلك ما بقي عليه شيء من
 أعمال العمرة من طواف أو سعى إلا الحلق فإنه بالاتفاق إذا أهل بالحج قبله فقط
 لا يكون قارناً والقارن الذي يلزمه هدى التمتع هو عند الجمهور من غير حاضري المسجد
 الحرام إلا آبن المساجشون من أصحاب مالك ، فإن القارن من أهل مكة عنده عليه
 الهدى .

والإفراد ماعرى عن الصفات السابقة وهو أن لا يكون متمتعاً ولا قارناً بل أن
 يهل بالحج فقط . واختلف العلماء أى الثلاثة أفضل الإفراد أو التمتع أو القران (انظر
 أدلة ذلك ص ٢٧٠ جزء أول بداية وانظر ص ١٨٣ من زاد المعاد أول وتواليها) .

(د) صفة الإحرام

اتفق جمهور العلماء على أن الغسل للإهلال سنة وأنه من أفعال المحرم حتى
 قال ابن نوار : إن هذا الغسل للإهلال عند مالك أوكد من غسل الجمعة ،
 وقال أهل الظاهر : هو واجب ، وقال أبو حنيفة والثوري يجزى عنه الوضوء .
 واتفقوا على أن الإحرام لا يكون إلا بنية ، واختلفوا هل تجزئ النية فيه من غير
 التلبية فقال مالك والشافعي : تجزئ النية من غير تلبية ، وقال أبو حنيفة : التلبية
 في الحج كالتكبيرة في الإحرام بالصلاة إلا أنه يجزئ عنده كل لفظ يقوم مقام
 التلبية كما يجزئ عنده في افتتاح الصلاة كل لفظ يقوم مقام التكبير وهو كل ما يدل

على التعظيم . واتفق العلماء على أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك ، وأختلفوا هل هي واجبة بهذا اللفظ فقال أهل الظاهر : هي واجبة بهذا اللفظ ولا خلاف عند الجمهور في استحباب هذا اللفظ وإنما اختلفوا في الزيادة عليه أو في تبديله ، وأوجب أهل الظاهر رفع الصوت بالتلبية وهو مستحب عند الجمهور . وأجمع أهل العلم على أن تلبية المرأة فيما حكاه أبو عمر هو أن تسمع نفسها بالقول . وقال مالك : لا يرفع المحرم صوته في مساجد الجماعة بل يكفيه أن يسمع من يليه إلا في المسجد الحرام ومسجد منى فإنه يرفع صوته فيهما . واستحب الجمهور رفع الصوت عند التقاء الرفاق وعند الإطلال على شرف من الأرض . وكان مالك لا يرى التلبية من أركان الحج ويرى على تاركها دما وكان غيره يراها من أركانه . واستحب العلماء أن يكون ابتداء المحرم بالتلبية بأثر صلاة يصلحها ، وكان مالك يستحب ذلك بأثر نافلة . وأختلفت الآثار في الموضع الذي أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجته من أقطار ذي الحليفة فقال قوم : من مسجد ذي الحليفة بعد أن صلى فيه وقال آخرون : إنما أحرم حين أطل على البيداء وقال قوم : إنما أهل حين استوت به راحلته ، وسئل ابن عباس عن اختلافهم في ذلك فقال : كل حدث لا عن أول إهلاله صلى الله عليه وسلم بل عن أول إهلال سمعه ، وذلك لأن الناس يأتون متسابقين فعلى هذا لا اختلاف . وأجمع فقهاء الأمصار على أن المسكى لا يلزمه الإهلال حتى يخرج إلى منى ليتصل له عمل الحج ، وروى مالك أن عمر بن الخطاب كان يأمر أهل مكة أن يهلوا إذا رأوا الهلال ، ولا خلاف عندهم أن المسكى لا يهل إلا من جوف مكة إذا كان حاجا وأما إذا كان معتمرا فإنهم أجمعوا على أنه يلزمه أن يخرج إلى الحل ثم يحرم منه ليجمع بين الحل والحرم كما يجمع الحاج لأنه يخرج إلى عرفة وهي حل ، وأختلفوا إن لم يفعل فقال قوم : يجزيه وعليه دم وبه قال أبو حنيفة وابن القاسم وقال آخرون : لا يجزيه وهو قول الثوري واشتهب . وأختلفوا متى تقطع التلبية ؟ فقال مالك : تقطع بزوال الشمس من يوم عرفة وبه قال الخلفاء الأربعة غير أنه اختلف عن عثمان ،

وقال جمهور فقهاء الأمصار وأهل الحديث : تقطع برمي جمرة العقبة فإذا رمى آخر حصاة قطع التلبية وقيل : بل يقطعها في أول حصاة يلقيها وقيل : غير ذلك ، أما وقت قطع التلبية بالعمرة فقال أبو حنيفة ومالك : يقطعها إذا انتهى إلى الحرم ، وقال الشافعي : إذا أفتتح الطواف .

وجهور العلماء متفقون على إدخال الحج على العمرة ويختلفون في إدخال العمرة على الحج ، وقال أبو ثور : لا يدخل حج على عمرة ولا عمرة على حج كما لا تدخل صلاة على صلاة . وإلى هنا فرغنا من الكلام على أول عمل يأتي به المحرم وهو الإحرام وأما الفعل الذي بعد هذا فهو الطواف إذا دخل مكة .

(٢) الطواف بالبيت

الكلام في الطواف : (١) في صفته ؛ (٢) وشروطه ؛ (٣) وأنواعه وحكمه :

(١) صفة الطواف — الجمهور مجمعون على أن صفة كل طواف واجبا كان أو غير واجب أن يبدأ من الحجر الأسود فإن استطاع أن يقبله قبله أو يلمسه بيده ويقبلها إن أمكنه ثم يجعل البيت على يساره ويمضي على يمينه فيطوف سبعة أشواط يرمل في الثلاثة الأشواط الأول ثم يمشي في الأربعة وذلك في طواف القدوم على مكة وذلك للحاج والمعتمر دون المتمتع وأنه لا رمل على النساء ، ويستلم الركن اليماني وهو الذي على قطر الركن الأسود . واختلفوا في حكم الرمل في الثلاثة الأشواط الأول للقادم هل هو سنة أو فضيلة ؟ فقال ابن عباس : هو سنة ، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وإسحاق وأحمد وأبو ثور ، واختلف قول مالك في ذلك وأصحابه ؛ ومن جعله سنة أوجب في تركه الدم ، ومن جعله فضيلة لم يوجب في تركه شيئا ، وعلى أصول الظاهرية يجب الرمل لقوله صلى الله عليه وسلم ” خذوا عني مناسككم ” وأجمعوا على أنه لا رمل على من أحرم بالحج من مكة من غير أهلها وهم المتمتعون لأنهم قد رملوا في حين دخولهم حين طافوا للقدوم ، واختلفوا في أهل مكة هل عليهم رمل إذا حجوا ؟ فقال الشافعي : كل طواف قبل عرفة مما يوصل بينه وبين السعي فإنه يرمل

فيه ، وكان مالك يستحب ذلك ، وكان ابن عمر لا يرى عليهم رملا إذا طافوا بالبيت . على ما روى عنه مالك . وآتفقوا على أن من سنة الطواف استلام الركنين الأسود واليماني للرجال دون النساء ، واختلفوا هل تستلم الأركان كلها أم لا ؟ فذهب الجمهور إلى أنه إنما يستلم الركنان فقط ، واحتج من رأى استلام جميعها بما روى عن جابر ، قال : كما نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها ، وكان بعض السلف لا يجب أن يستلم الركنين إلا في الوتر من الأشواط . وكذلك أجمعوا على أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف إن قدر وإن لم يقدر على الدخول إليه قبل يده . وأجمعوا على أن من سنة الطواف ركعتين بعد انقضاء الطواف وجمهورهم على أنه يأتي بهما الطائف عند انقضاء كل أسبوع إن طاف أكثر من أسبوع واحد ، وأجاز بعض السلف أن لا يفرق بين الأسابيع بالركعتين بل يركع لكل أسبوع ركعتين .

(٢) شروط الطواف -- (الشرط الأول) أن يكون في موضعه ، وجمهور العلماء على أن الحجر من البيت وأن من طاف بالبيت لزمه إدخال الحجر فيه وأنه شرط في صحة طواف الإفاضة ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : هو سنة . (الشرط الثاني) أن يكون في وقته واختلفوا في وقت جوازه على ثلاثة أقوال : أحدها إجازة الطواف بعد الصبح والعصر ومنعه وقت الطلوع والغروب وهو مذهب عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وبه قال مالك وأصحابه وجماعة ، والقول الثاني : كراهيته بعد الصبح والعصر ومنعه عند الطلوع والغروب وبه قال سعيد ابن جبير ومجاهد وجماعة ، القول الثالث : إباحة ذلك في هذه الأوقات كلها وبه قال الشافعي وجماعة . (الشرط الثالث) الطهارة . قال مالك والشافعي : لا يجزى طواف بغير طهارة لا عمدا ولا سهوا ، وقال أبو حنيفة : يجزى ويستحب له الإعادة وعليه دم ، وقال أبو ثور : إذا طاف على غير وضوء أجزأه طوافه إن كان لا يعلم ولا يجزئه إن كان يعلم ، والشافعي يشترط طهارة ثوب الطائف كاشتراط ذلك للصلي .

(٣) أنواع الطواف -- أجمع العلماء على أن الطواف ثلاثة أنواع ، طواف القدوم على مكة ، وطواف الإفاضة بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر ، وطواف الوداع ،

وأجمعوا على أن الواجب منها الذى يفوت الحج بفواته هو طواف الإفاضة وأنه المعنى بقوله تعالى ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وأنه لا يجزئ عنه دم ، وجمهورهم على أنه لا يجزئ طواف القدوم على مكة عن طواف الإفاضة إذا نسي طواف الإفاضة لكونه قبل يوم النحر، وقالت طائفة من أصحاب مالك : إن طواف القدوم يجزئ عن طواف الإفاضة كأنهم رأوا أن الواجب هو طواف واحد، وجمهور العلماء على أن طواف الوداع يجزئ عن طواف الإفاضة إن لم يكن طاف طواف الإفاضة لأنه طواف بالبيت معمول في وقت طواف الوجوب الذى هو طواف الإفاضة ، وأجمعوا فيما حكاه أبو عمر بن عبد البر أن طواف القدوم والوداع من سنة الحاج إلا لخائف فوات الحج فإنه يجزئ عنه طواف الإفاضة، واستحب جماعة من العلماء لمن عرض له هذا أن يرمل في الأشواط الثلاثة من طواف الإفاضة على سنة طواف القدوم من الرمل ، وأجمعوا على أن المكى ليس عليه إلا طواف الإفاضة كما أجمعوا أنه ليس على المعتمر إلا طواف القدوم ، وأجمعوا أن من تمتع بالعمرة إلى الحج عليه طوافان طواف للعمرة لحله منها وطواف للحج يوم النحر ، وأما المفرد للحج فليس عليه إلا طواف واحد كما قلنا يوم النحر ، واختلفوا في القارن فقال مالك والشافعى وأحمد وأبو ثور : يجزئ القارن طواف واحد وسعى واحد، وقال الثورى والأوزاعى وأبو حنيفة وابن أبى ليل : على القارن طوافان وسعيان .

(٣) السعى بين الصفا والمروة

القول فيه فى : (١) حكمه ؛ (٢) صفته ؛ (٣) شروطه ؛ (٤) ترتيبه .

(١) حكم السعى — قال مالك والشافعى : إنه واجب وإن لم يسع كان عليه حج قابل وبه قال أحمد وإسحاق ، وقال الكوفيون : هو سنة وإذا رجع إلى بلاده ولم يسع كان عليه دم ، وقال بعضهم : هو تطوع ولا شيء على تاركه .

(٢) صفته — جمهور العلماء : على أن من سنة السعى بين الصفا والمروة أن ينحدر الراقى على الصفا بعد الفراغ من الدعاء فيمشى على عادته حتى يبلغ بطن

المسيل فيرمل فيه حتى يقطعه إلى ما يلي المروة فإذا قطع ذلك وجاوزه مشى على سجيته حتى يأتي المروة فيرقى عليها حتى يبدو له البيت ثم يقول عليها نحواً مما قال من الدعاء والتكبير على الصفا وإن وقف أسفل المروة أجزأه عند جميعهم ثم ينزل عن المروة فيمشى على طبيعته حتى ينتهي إلى بطن المسيل فإذا انتهى إليه رمل حتى يقطعه إلى الجانب الذي يلي الصفا يفعل ذلك سبع مرات يبدأ في كل ذلك بالصفا ويختم بالمروة ، فإن بدأ بالمروة قبل الصفا ألغى ذلك الشوط ، وقال عطاء إن جهل فبدأ بالمروة أجزأ عنه . وأجمعوا على أنه ليس في وقت السعى قول محدود فإنه موضع دعاء ، وثبت من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثاً ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك .

(٣) شروطه — اتفقوا على أن من شرطه الطهارة من الحيض كالطواف ، ولا خلاف بينهم أن الطهارة ليست من شرطه إلا الحسن فإنه شبهه بالطواف .

(٤) ترتيبه — جمهور العلماء : على أن السعى إنما يكون بعد الطواف ، وأن من سعى قبل أن يطوف بالبيت يرجع فيطوف ويسعى وإن خرج من مكة ، فإن جهل ذلك حتى أصاب النساء في العمرة أو في الحج كان عليه حج قابل والهدى أو عمرة أخرى ، وقال الثوري : إن فعل ذلك فلا شيء عليه وقال أبو حنيفة : إذا خرج من مكة فليس عليه أن يعود وعليه دم .

الخروج إلى عرفة — يلي السعى الخروج يوم التروية (الثامن من ذي الحجة) إلى منى والمبيت بها ليلة عرفة ، واتفقوا على أن الإمام يصلي بالناس بمنى يوم التروية الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاصراً الرباعية إلا أنهم أجمعوا على أن هذا الفعل ليس شرطاً في صحة الحج لمن ضاق عليه الوقت ثم إذا كان يوم عرفة صلى الإمام بالناس صلاة الصبح ومشى معهم بعد شروق الشمس من منى إلى عرفة ووقفوا بها بعد الزوال .

(٤) الوقوف بعرفة

القول في هذا الفعل ينحصر : (١) في معرفة حكمه ؛ (٢) وفي صفته ؛ (٣) وفي شروطه .

(١) حكم الوقوف — أجمعوا على أن الوقوف ركن من أركان الحج وأن من فاتته فعليه حج قابل والهدى في قول أكثرهم لقوله صلى الله عليه وسلم "الحج عرفة" .

(٢) صفته — صفته أن يصل الإمام إلى عرفة يوم عرفة قبل الزوال فإذا زالت الشمس خطب الناس ثم جمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر ثم وقف حتى تغيب الشمس ، وإنما اتفقوا على هذا لأن هذه الصفة تجمع عليها من فعله صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف بينهم أن إقامة الحج هي للسلطان الأعظم أو لمن يقيمه السلطان الأعظم لذلك وأنه يصلي وراءه برا كان السلطان أوفاجرا أو مبتدعا ، وأن السنة في ذلك أن يأتي المسجد بعرفة يوم عرفة مع الناس فإذا زالت الشمس خطب الناس كما قلنا وجمع بين الظهر والعصر . واختلفوا في وقت أذان المؤذن بعرفة للظهر والعصر ، فقال مالك : يخطب الإمام حتى يمضي صدر من خطبته أو بعضها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطب وقال الشافعي : يؤذن إذا أخذ الإمام في الخطبة الثانية وقال أبو حنيفة : إذا صعد الإمام المنبر أمر المؤذن بالأذان كالحال في الجمعة فإذا فرغ المؤذن قام الإمام يخطب ثم ينزل ويقيم المؤذن الصلاة وبه قال أبو ثور تشبيها بالجمعة ، وقد حكى ابن نافع عن مالك أنه قال : الأذان بعرفة بعد جلوس الإمام للخطبة ، وفي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له وأتى بطن الوادي فخطب الناس ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا ثم راح إلى الموقف . واختلفوا هل يجمع بين هاتين الصلاتين بأذنين وإقامتين أو بأذان واحد وإقامتين ؟ قال مالك : بالأول ، وروى عن أحمد ، وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأبو ثور وجماعة : بالثاني . واتفقوا على أن الخطبة في هذا اليوم ليست بشرط للصلاة كالجمعة وأن القراءة في الصلاة

سر . واتفقوا على أن الصلاة مقصورة إذا كان الإمام مسافرا ، واختلفوا إذا كان الإمام مكيًا هل يقصر بمنى الصلاة يوم التروية وبعرفة يوم عرفة وبالمزدلفة ليلة النحر إن كان من أحد هذه المواضع ؟ فقال مالك والأوزاعي وجماعة : سنة هذه المواضع التقصير سواء أكان من أهلها أم لم يكن ، وقال الثوري وأبو حنيفة والشافعي وأبو ثور وداود : لا يجوز أن يقصر من كان من أهل تلك المواضع . واختلف العلماء في وجوب الجمعة بعرفة ومنى فقال مالك : لا تجب الجمعة بعرفة ولا بمنى أيام الحج ، لا على أهل مكة ولا على غيرهم إلا أن يكون الإمام من أهل عرفة ، وقال الشافعي مثل ذلك إلا أنه يشترط في وجوب الجمعة أن يكون هناك من أهل عرفة أربعون رجلا على مذهبه في اشتراط هذا العدد في الجمعة ، وقال أبو حنيفة : إذا كان أمير الحج ممن لا يقصر بمنى ولا بعرفة صلى بهم فيها الجمعة إذا صادفها ، وقال أحمد : إذا كان إلى مكة يجمع وبه قال أبو ثور .

(٣) شروطه — يشترط في الوقوف بعرفة أن يكون بعد الزوال ويسن له أن يمدّه إلى غروب الشمس وأجمعوا على أن من وقف بعرفة قبل الزوال وأفاض منها قبل الزوال أنه لا يعتد بوقوفه وأنه إن لم يرجع فيقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج ، واختلفوا فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل غروب الشمس فقال مالك : عليه حج قابل إلا أن يرجع ويدفع قبل الفجر ، وإن دفع منها قبل الإمام وبعيد الغيوبة أجزأه ، وبالجملة فشرط صحة الوقوف عنده أن يقف ليلا وقال جمهور العلماء : من وقف بعرفة بعد الزوال فحجه تام وإن دفع قبل الغروب ، إلا أنهم اختلفوا في وجوب الدم عليه . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق أنه قال : عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة . والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر ، ومنى كلها منحر ، وبفاج مكة منحر ومبيت ، واختلف العلماء فيمن وقف من عرفة بعرنة فقبل : حجه تام وعليه دم وبه قال مالك ، وقال الشافعي : لا حج له ، وبلى الوقوف بعرفة من أفعال الحج النهوض إلى المزدلفة بعد الغروب وما يعمل بها .

(٥) أفعال المزدلفة

قال تعالى ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ أجمع العلماء على أن من بات بالمزدلفة ليلة النحر وجمع فيها بين المغرب والعشاء مع الإمام ووقف بعد صلاة الصبح إلى الإسفار بعد الوقوف بعرفة فإن حجه تام، وذلك أنها الصفة التي فعلها صلى الله عليه وسلم. واختلفوا هل الوقوف بها بعد صلاة الصبح والمبيت بها من سنن الحج أو من فروضه؟ فقال الأوزاعي وجماعة من التابعين : هو من فروض الحج ومن فاته كان عليه حج قابل والهدى ، وفقهاء الأمصار يرون أنه ليس من فروض الحج ، وأن من فاته الوقوف بمزدلفة والمبيت بها فعليه دم وقال الشافعي : إن دفع منها بعد نصف الليل الأول ولم يصل بها فعليه دم، وقد أجمعوا على أنه لو وقف بالمزدلفة ولم يذكر الله فإن حجه تام، والمزدلفة وجمع السمان لموضع بيوت الحجاج به ويجمعون بين المغرب والعشاء في أول وقت العشاء ويغسلون بالصبح فيها .

(٦) رمى الجمار

الفعل الذي يلي المبيت بمزدلفة والوقوف بها رمى الجمار وذلك أن المسلمين اتفقوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف بالمشعر الحرام وهو المزدلفة بعد ما صلى الفجر ثم دفع منها قبل طلوع الشمس إلى منى ، وأنه في هذا اليوم وهو يوم النحر رمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس ، وأجمع المسلمون أن من رماها في هذا اليوم في ذلك الوقت أعنى بعد طلوع الشمس إلى زوالها فقد رماها في وقتها ، وأجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرم يوم النحر من الجمرات غيرها ، واختلفوا فيمن رمى جمرة العقبة قبل طلوع الفجر فقال مالك : لم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لأحد أن يرمي قبل طلوع الفجر ولا يجوز ذلك ، فإن رماها قبل الفجر أعادها وبه قال أبو حنيفة وسفيان وأحمد ، وقال الشافعي : لا بأس به وإن كان المستحب هو بعد طلوع الشمس ، وقد أجمع العلماء على أن الوقت المستحب لرمي جمرة العقبة

(١) المزدلفة .

هو من لدن طلوع الشمس إلى وقت الزوال وأنه إن رماها قبل غروب الشمس من يوم النحر أجزأه ولا شيء عليه إلا ما لكان فإنه قال : آستحب له أن يريق دما، وأختلفوا فيمن لم يرمها حتى غابت الشمس فرماها من الليل أو من الغد فقال مالك : عليه دم ، وقال أبو حنيفة : إن رماها من الليل فلا شيء عليه وإن أخرها إلى الغد فعليه دم ، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي : لا شيء عليه إن أخرها إلى الليل أو إلى الغد . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى في حجة الجمرة يوم النحر ثم نحر بدنة ثم حلق رأسه ثم طاف طواف الإفاضة ، وأجمع العلماء على أن هذا سنة الحج وأختلفوا فيمن قدم من هذه ما أخره النبي صلى الله عليه وسلم أو بالعكس فقال مالك : من حلق قبل أن يرمي جمره العقبة فعليه الفدية ، وقال الشافعي وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شيء عليه ، وعند مالك أن من حلق قبل أن يذبح فلا شيء عليه وكذلك إن ذبح قبل أن يرمي ، وقال أبو حنيفة : إن حلق قبل أن ينحر أو يرمي فعليه دم ، وإن كان قارنا فعليه دمان ، وقال زفر : عليه ثلاثة دماء ، دم للقران ، ودمان للحلق قبل النحر وقبل الرمي ، وأجمعوا على أن من نحر قبل أن يرمي فلا شيء عليه لأنه منصوص عليه . ومن قدم الإفاضة على الرمي والحلق لزمه إعادة الطواف ، وقال الشافعي : ومن تابعه لا إعادة عليه ، وقال الأوزاعي : إذا طاف للإفاضة قبل أن يرمي جمره العقبة ثم واقع أهله أراق دما . واتفقوا على أن جملة ما يرميه الحاج سبعون حصاة يرمي منها في يوم النحر جمره العقبة بسبع ، وإن رمى هذه الجمرة من حيث تيسر من العقبة من أسفلها أو من أعلاها أو من وسطها كل ذلك واسع والموضع المختار منها بطن الوادي . وأجمعوا على أنه يعيد الرمي إذا لم تقع الحصاة في العقبة وأنه يرمي في كل يوم من أيام التشريق ثلاث جمار بواحد وعشرين حصاة كل جمره منها بسبع وأنه يجوز أن يرمي منها يومين وينفر في الثالث لقوله تعالى ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ .

وقدر الحصاة عندهم أن تكون في مثل حصي الخذف . والسنة عندهم في رمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق أن يرمي الجمرة الأولى فيقف عندها ويدعو وكذلك

الثانية ويطيل المقام ثم يرمى الثالثة ولا يقف . وأجمعوا على أن من سنة رمى الجمار الثلاث في أيام التشريق أن يكون ذلك بعد الزوال، واختلفوا إذا رماها قبل الزوال في أيام التشريق فقال جمهور العلماء : يعيد رميها بعد الزوال، وروى عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : رمى الجمار من طلوع الشمس إلى غروبها . وأجمعوا على أن من لم يرم الجمار أيام التشريق حتى تغيب الشمس عن آخرها فإنه لا يريها بعد . واختلفوا في الواجب من الكفارة فقال مالك : إن ترك رمى الجمار كلها أو بعضها أو واحدة منها فعليه دم وقال أبو حنيفة : إن ترك الجمار كلها كان عليه دم وإن ترك جمرة واحدة فصاعداً كان عليه لكل جمرة إطعام مسكين نصف صاع حنطة إلى أن يبلغ دماً بترك الجميع إلا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم، وقال الشافعي : عليه في الحصاة مائة من طعام وفي حصاتين مائة وفي ثلاث دم، وقال الثوري مثله إلا أنه قال : في الرابعة الدم، ورخصت طائفة من التابعين في الحصاة الواحدة ولم يروا فيها شيئاً، وقال أهل الظاهر : لا شيء في ذلك والجمهور على أن جمرة العقبة ليست من أركان الحج، وقال عبد الملك من أصحاب مالك : هي من أركان الحج .

فهذه جملة أفعال الحج من حين الإحرام إلى أن يحل، والتحليل : تحللان تحلل أكبر وهو طواف الإفاضة وتحلل أصغر وهو رمى جمرة العقبة، وسند ذكر الفرق بين التحليلين .

الجنس الثالث في الأحكام

(١) الإحصار

قال تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ جمهور العلماء : على أن المحصر عن الحج ضربه أن محصر بمرض ومحصر بعدو، فالمحصر بالعدو اتفق الجمهور على أنه يحل من عمرته أو حجه حيث أحصر، وقال الثوري والحسن بن صالح : لا يتحلل إلا في يوم النحر، والذين قالوا : يتحلل حيث أحصر اختلفوا في إيجاب الهدى عليه وفي موضع نحره إذا قيل

بوجوبه وفي إعادة ما حصر عنه من حج أو عمرة، فذهب مالك إلى أنه لا يجب عليه هدى وأنه إن كان معه هدى نحره حيث حل، وذهب الشافعي إلى إيجاب الهدى عليه وبه قال أشهب، واشترط أبو حنيفة ذبحه في الحرم وقال الشافعي: حيثما حل وأما الإعادة فإن مالكا يرى عدم الإعادة عليه، وقال قوم: عليه الإعادة، وذهب أبو حنيفة إلى أنه إن كان أحرم بالحج فعليه حج وعمرة وإن كان قارنا فعليه حج وعمرتان وإن كان معتمرا قضى عمرته، وليس عليه عند أبي حنيفة ومحمد حلق أو تقصير، واختار أبو يوسف أن عليه ذلك.

وأما المحصر بمرض فإن مذهب الشافعي وأهل الحجاز أنه لا يحله إلا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وأنه بالجملة يتحلل بعمرته لأنه إذا فاته الحج بطول مرضه أنقلب عمرة وهو مذهب ابن عمر وعائشة وابن عباس، وخالف في ذلك أهل العراق فقالوا: يحل مكانه وحكمه حكم المحصر بعد وفيرسل هديه ويقدر يوم نحره ويحل في اليوم الثالث، والجمهور على أن المحصر بمرض عليه الهدى، وقال أبو ثور وداود: لا هدى عليه وأجمعوا على إيجاب القضاء عليه، وكل من فاته الحج بخطأ من العدد في الأيام أو بخفاء الهلال عليه أو بغير ذلك من الأعذار فخكمه حكم المحصر بمرض عند مالك، وقال أبو حنيفة: من فاته الحج بعذر غير المرض يحل بعمرته ولا هدى عليه وعليه إعادة الحج: والمكي المحصر بمرض عند مالك كغير المكي يحل بعمرته وعليه الهدى وإعادة الحج، وقال الزهري: لا بد أن يقف بعرفة وإن حمل حملا، وأصل مذهب مالك أن المحصر بمرض إن بقى على إحرامه إلى العام المقبل حتى يحج حجة القضاء فلا هدى عليه، فإن تحلل بعمرته فعليه هدى المحصر لأنه حلق رأسه قبل أن ينحرف في حجة القضاء.

(٢) أحكام جزاء الصيد والنبات

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حَرَّمَ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَتَعَمَّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ أي عاقبته.

قتل الصيد حرام على المحرم ، وأختلف العلماء هل الواجب في قتله قيمته أو مثله ؟ فذهب الجمهور الى أن الواجب المثل ، وذهب أبو حنيفة الى أنه غير بين القيمة أعنى قيمة الصيد وبين أن يشتري بها المثل . وأختلفوا أيضا في استئناف الحكم على قاتل الصيد فيما حكم فيه السلف من الصحابة — مثل حكمهم أن من قتل نعامة فعليه بدنة تشبيها بها ، ومن قتل غزالا فعليه شاة ، ومن قتل بقرة وحشية فعليه إنسية — فقال مالك : يستأنف في كل ما وقع من ذلك الحكم به . وبه قال أبو حنيفة ، وقال الشافعي : إن اجتراً بحكم الصحابة مما حكموا فيه جاز . وأختلفوا هل الأجرية في الآية على الترتيب أو التخخير ، فقال مالك وأبو حنيفة بالتخخير ، وقال زفر بالترتيب . وأختلفوا هل يقوم الصيد أو المثل إن اختار الإطعام فيشتري بقيمته طعاما ، فقال مالك : يقوم الصيد وقال الشافعي : يقوم المثل ، ولم يختلفوا في تقدير الصيام بالطعام في الجملة وإن اختلفوا في التفصيل ، فقال مالك : يصوم لكل مد يوما وهو الذي يطعم عندهم كل مسكين ، وبه قال الشافعي وأهل الحجاز ، وقال أهل الكوفة : يصوم لكل مدين يوما وهو القدر الذي يطعم كل مسكين عندهم . وأختلفوا في قتل الصيد خطأ هل فيه جزاء أولا ؟ فالجمهور على أن فيه الجزاء وقال أهل الظاهر : لا جزاء عليه .

وأختلفوا في الجماعة يشتركون في قتل الصيد فقال مالك : على كل واحد منهم جزاء كامل وقال الشافعي : عليهم جزاء واحد ، وفرق أبو حنيفة بين المحرمين يقتلون الصيد وبين المحلين يقتلون في الحرم فقال : على كل من المحرمين جزاء وعلى المحلين جزاء واحد .

وأختلفوا هل يكون أحد الحكمين قاتل الصيد ؟ فذهب مالك إلى أنه لا يجوز وقال الشافعي : يجوز وأختلف أصحاب أبي حنيفة على القولين جميعا .

وأختلفوا في موضع الإطعام فقال مالك : في الموضع الذي أصاب فيه الصيد إن كان ثم طعام وإلا ففي أقرب المواضع إليه ، وقال أبو حنيفة : حيثما أطعم جاز ، وقال الشافعي : لا يطعم إلا مساكين مكة .

وأجمع العلماء على أن المحرم إذا قتل الصيد عليه الجزاء ، وأختلفوا في الحلال يقتل الصيد في الحرم فقال جمهور فقهاء الأمصار : عليه الجزاء ، وقال داود وأصحابه : لا جزاء عليه ، ولم يختلف المسلمون في تحريم قتل الصيد في الحرم وإنما اختلفوا في الكفارة .

وجمهور فقهاء الأمصار على أن المحرم إذا قتل الصيد وأكله فإنه ليس عليه إلا كفارة واحدة ، وروى عن عطاء وطائفة : ان فيه كفارتين . وهذه مشهورات المسائل المتعلقة بالصيد .

وأتفق العلماء على أن صيد البر محرم على المحرم إلا الفواسق الخمس المنصوص عليها في حديث ابن عمر وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خمس من الدواب ليس على المحرم جناح في قتلهن ، الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور ، والجمهور على إباحة قتل هذه الدواب وكذلك اتفقوا على أن صيد البحر حلال كله للمحرم وإن اختلفوا في تفسيره كما اختلفوا فيما يلحق بالفواسق مما لا يلحق بها فقال مالك : الكلب العقور إشارة إلى كل سبع عاد فأما ما ليس بعاد من السباع فليس للمحرم قتله ، ولم ير قتل صغارها التي لا تعدو ولا ما كان منها أيضا لا يعدو ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل من الكلاب العقورة إلا الكلب الإنسي والذئب ، وقال الشافعي : كل محرم الأكل فهو في معنى الخمس ، ولا خلاف بينهم في قتل الحية والأفعى والأسود وقال مالك : لا أرى قتل الوزغ ، والأخبار بقتلها متواترة لكن مطلقا لا في الحرم ، وأختلفوا في الزنبر فألحقه بعضهم بالعقرب وبعضهم رأى أنه أضعف نكايه من العقرب .

وأتفق العلماء على أن السمك من صيد البحر وأختلفوا في غير السمك بناء منهم على أن ما يحتاج منه إلى زكاة ليس من صيد البحر وأكثر من ذلك ما كان محرما لا يعتبر من صيد البحر ، ولا خلاف بين من يحل جميع ما في البحر في أن صيده حلال . وأختلفوا فيما يعيش في البر والبحر معا ، وقياس قول أكثر العلماء أنه يلحق

بالذى عيشه فيه غالبا وهو حيث يولد . والجمهور على أن طير الماء محكوم له بحكم حيوان البر ، وروى عن عطاء أنه قال في طير الماء : حيث يكون أغلب عيشه يحكم له بحكمه .

وآختلف العلماء في نبات الحرم هل فيه جزاء أم لا ؟ فقال مالك : لا جزاء فيه وإنما فيه الإثم فقط ، وقال الشافعي : فيه الجزاء في الدوحة (الشجرة العظيمة) بقرة وفيما دونها شاة وقال أبو حنيفة : كل ما كان من غرس الإنسان فلا شيء فيه وكل ما كان نابتا بطبعه ففيه قيمته ، والأصل في هذا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث : « ولا يعصد شجرها ولا ينفر صيدها » .

(٣) حكم إتيان المحظورات في الإحرام

أجمع العلماء على أن فدية الأذى المذكورة في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ واجبة على كل من أطاق الأذى من ضرورة ، وألحق به مالك من أطاقه من غير ضرورة ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : إن حلق من غير ضرورة فإنما عليه دم فقط ، والمتعمد والناسي في وجوب الفدية سواء عند مالك وأبي حنيفة والثوري والليث ، وقال الشافعي في أحد قولي ، وأهل الظاهر : لا فدية على الناسي .

وأجمع العلماء على أن فدية الأذى ثلاث خصال على التخيير الصيام والإطعام والنسك ، والجمهور على أن الإطعام لستة مساكين ، والصيام ثلاثة أيام ، والنسك أقله شاة ، وروى عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا : الإطعام لعشرة مساكين ، والصيام عشرة أيام ، وقد اختلف الفقهاء فيما يطعمه لكل مسكين فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم : الإطعام في ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسكين ، وروى عن الثوري أنه قال : من البر نصف صاع ومن التمر والزبيب والشعير صاع ، وروى أيضا عن أبي حنيفة مثله وهو أصله في الكفارات .

والجمهور على أن كل ما منعه المحرم من لبس الثياب المخيطة وحلق الرأس وقص الأظفار أنه إذا استباحه فعليه الفدية دم على اختلاف بينهم في ذلك أو إطعام ولم يفرقوا بين الضرر وغيره في هذه الأشياء وكذلك استعمال الطيب وقال قوم: ليس في قص الأظفار شيء وقال آخرون: فيه دم، وحكى ابن المنذر الإجماع على منع المحرم من قص الأظفار، واختلفوا فيمن أخذ بعض أظفاره، فقال الشافعي وأبو ثور: إن أخذ ظفرا واحدا أطعم مسكينا واحدا وإن اثنين فاشين وإن ثلاثة فعليه دم في مقام واحد، وقال أبو حنيفة في أحد أقواله: لا شيء عليه حتى يقصها كلها، وقال أبو محمد: ابن حزم: يقص المحرم أظفاره وشاربه وهو شذوذ وقال: لا فدية إلا في حلق الرأس للعذر الذي ورد فيه النص. وقد أجمع العلماء على منع حلق شعر الرأس، واختلفوا في حلق الشعر من سائر الجسد، فالجمهور على أن فيه الفدية وقال داود: لا فدية عليه. واختلفوا فيمن نتف من رأسه الشعرة والشعرتين أو من لحيه فقال مالك: ليس على من نتف الشعر اليسير شيء إلا أن يكون أمارا به أذى فعليه الفدية وقال الحسن: في الشعرة مد وفي الشعرتين مدان وفي الثلاث دم، وبه قال الشافعي وأبو ثور، وقال عبد الملك صاحب مالك: فيما قل من الشعر إطعام وفيما كثر فدية.

واختلفوا في موضع الفدية فقال مالك: يفعل من ذلك ما شاء أين شاء بمكة وبغيرها وإن شاء ببلده لا فرق في ذلك بين الإطعام وذبح النسك والصيام وهو قول مجاهد، والذي عند مالك هاهنا هو نسك وليس بهدي، فإن الهدى لا يكون إلا بمكة أو بمكة، وقال أبو حنيفة والشافعي: الدم والإطعام لا يجزيان إلا بمكة، والصوم حيث شاء وقال ابن عباس: ما كان من دم فبمكة وما كان من إطعام وصيام فحيث شاء وعن أبي حنيفة مثله.

واختلف العلماء في حلق الرأس هل هو نسك من مناسك الحج أو هو مما يتحلل به منه؟ ولا خلاف بين الجمهور في أنه من أعمال الحج وأنه أفضل من التقصير إلا للنساء فستمن التقصير، ومعظم الفقهاء على أنه نسك في الحج والعمرة وأنه واجب على

كل من فاته الحج وأحصر بعدو أو مرض، وقال أبو حنيفة : لا حلق ولا تقصير على المحصر بعدو، وبالجملة فمن اعتبر الحلق أو التقصير نسكا (عبادة) أوجب في تركه الدم ومن لم يجعله نسكا لم يوجب فيه شيئا .

(٤) كفارة المتمتع

نص الله سبحانه عليها في قوله ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وجمهور العلماء على أن ما استيسر من الهدى شاة، وذهب ابن عمر إلى أن الهدى لا يطلق إلا على الإبل والبقر، وأن معنى قوله تعالى فما استيسر من الهدى أى بقرة أدون من بقرة وبدنة أدون من بدنة، وأجمعوا على أن هذه الكفارة على الترتيب وإن لم يجد الهدى فعليه الصيام . واختلفوا في حد الزمان الذى ينتقل بآتقضائه فرضه من الهدى إلى الصيام فقال مالك : إذا شرع في الصوم فقد آتقتل واجبه إليه ، وقال أبو حنيفة : إن من وجد الهدى في أثناء صوم الثلاثة الأيام لزمه وإن وجده في صوم السبعة لم يلزمه ، وأجمعوا على أنه إذا صام الثلاثة الأيام في العشر الأول من ذى الحجة أنه قد أتى بها في محلها لقوله سبحانه ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ واختلفوا فيمن صامها في أيام عمل العمرة قبل أن يهل بالحج أو صامها في أيام منى ؟ فأجاز مالك صيامها في أيام منى ومنعه أبو حنيفة فقال : إذا فاته الأيام الأول وجب الهدى في ذمته ، ومنعه مالك قبل الشروع في عمل الحج وأجازه أبو حنيفة ، وآتفقوا على أنه إذا صام السبعة الأيام في أهله أجزأه ، واختلفوا إذا صامها في الطريق ، فقال مالك : يجزئ الصوم وقال الشافعى : لا يجزئ .

(٥) مفسدات الحج ومفواته

ولا خلاف أن من فاته الحج بعد أن شرع فيه إما بفوات ركن من أركانه وإما من قبل غلظه في الزمان أو من قبل جهله أو نسيانه أو إتيانه في الحج فعلا مفسدا له فإن عليه القضاء إذا كان حجا واجبا وهل عليه هدى مع القضاء؟ الجمهور : على وجوب الهدى عليه ، واختلفوا أيضا هل يقضى الحج التطوع أولا .

ومما يخص الحج الفاسد عند الجمهور دون سائر العبادات أنه يمضى فيه المفسد له ولا يقطعه وغليه دم، وشذ قوم فقالوا : هو كسائر العبادات .

وأنفقوا على أن الحج يفسد بترك أركانه التي هي شرط في صحته على اختلافهم فيما هو ركن مما ليس بركن، وكذلك يفسده الجماع باتفاق إن كان قبل الوقوف بعرفة أو قبل الطواف والسعى بالنسبة للعمرة، واختلفوا في فساد الحج بالوطء بعد الوقوف بعرفة وقبل رمى جمرة العقبة وبعد رمى الجمرة وقبل طواف الإفاضة الذي هو الواجب فقال مالك والشافعي : يفسده الوطء قبل رمى جمرة العقبة وعليه الهدى والقضاء، وقال أبو حنيفة والثوري : عليه الهدى بدنة وجه تام وروى مثله عن مالك والجمهور على أن من وطئ بعد رمى جمرة العقبة وقبل الطواف لا يفسد حجه ويلزمه الهدى، وقالت طائفة : فسد حجه وهو قول ابن عمر . واختلفوا في صفة الجماع الذي يفسد الحج وفي مقدماته، فالجمهور على أن التقاء الختانين يفسد الحج ويحتمل من يشترط في وجوب الطهر الإنزال مع التقاء الختانين أن يشترطه في الحج، واختلفوا في إنزال الماء فيما دون الفرج فقال أبو حنيفة : لا يفسد الحج، وقال الشافعي : ما أوجب الحد أفسد الحج، وقال مالك : الإنزال نفسه يفسد الحج وكذلك مقدماته من المباشرة والقبلة، وأستحب الشافعي فيمن جامع دون الفرج أن يهدى . واختلفوا فيمن وطئ مرارا فقال مالك : ليس عليه إلا هدى واحد وقال أبو حنيفة : إن كرر الوطء في مجلس واحد كان عليه هدى واحد وإن كرره في مجالس كان عليه لكل وطء هدى، وقال محمد بن الحسن يحزیه هدى واحد وإن كرر الوطء ما لم يهد لوطئه الأول، وعن الشافعي الثلاثة الأقوال إلا أن الأشهر عنه مثل قول مالك، وسوى مالك بين الوطء عمدا ونسيانا، وقال الشافعي في الجديد : لا كفارة على الناس . واختلفوا هل على المرأة هدى؟ فقال مالك : إن طاعته فعلها هدى وإن أكرهها فعليه هديان، وقال الشافعي : ليس عليه إلا هدى واحد كقوله في الجامع في رمضان، وجمهور العلماء : على أنهما إذا حجا من قابل تفرقا أى الرجل والمرأة، وقيل : لا يفترقان وهو مروى عن بعض الصحابة والتابعين وبه قال أبو حنيفة وفي أى الأماكن يفترقان؟ قال الشافعي :

يفترقان من حيث أفسد الحج، وقال مالك: يفترقان من حيث أحرما إلا أن يكونا أحرما قبل الميقات. ولا خلاف بين العلماء أن التحلل الأصغر الذي هو رمي الجمرة يوم النحر - يحل به الحاج من كل شيء حرم عليه إلا النساء والطيب والصيد فإنهم اختلفوا في ذلك، أما التحلل الأكبر بطواف الإفاضة فانه يحل للحاج كل ما حرم عليه بالاتفاق. واتفقوا أيضا على أن المعتمر يحل من عمرته إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وإن لم يكن حلق ولا قصر لثبوت الآثار بذلك إلا خلافا شاذا، روى عن ابن عباس أنه يحل بالطواف وقال أبو حنيفة: لا يحل إلا بعد الحلق، فإن جامع قبله فسدت عمرته.

وآختلف العلماء في الهدى بالجماع فقال مالك وأبو حنيفة: شاة، وقال الشافعي: بدنة، وإن لم يجدها قومت البدنة دراهم والدراهم طعاما، فإن لم يجد صام عن كل مد يوما، قال: والإطعام والهدى لا يجزى إلا بمكة أو بمكة والصوم حيث شاء وقال مالك: كل نقص دخل في الإحرام من وطء أو حلق شعر أو إحصار فإن صاحبه إن لم يجد الهدى صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع ولا يدخل الإطعام فيه، فمالك شبه الدم اللازم هنا بدم التمتع، والشافعي شبهه بالدم الواجب في الفدية، والإطعام عند مالك لا يكون إلا في كفارة الصيد وكفارة إزالة الأذى.

يفوت وقت الحج بفوات الوقوف بعرفة يوم عرفة وأجمعوا أن من هذه صفته لا يخرج من إحرامه إلا بالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة أعنى أنه يحل ولا بد من عمرة وحج من قابل، واختلفوا هل عليه هدى أو لا؟ فقال مالك والشافعي وأحمد والثوري وأبو ثور: عليه الهدى، وقال أبو حنيفة: لا هدى عليه، واختلف العلماء في القارن إذا فاته الحج هل يقضى حجاً مفرداً أو مقروناً بعمرة؟ فذهب مالك والشافعي إلى أنه يقضى قارناً وقال أبو حنيفة: ليس عليه إلا الأفراد، وجمهور العلماء: على أن من فاته الحج لا يقيم على إحرامه ذلك إلى عام آخر، وهذا هو الاختيار عند مالك إلا أنه أجاز ذلك ليسقط عنه الهدى ولا يحتاج إلى التحلل بعمرة.

(٦) الكفارات المسكوت عنها

اتفق الجمهور على أن أعمال الحج أقسام ثلاثة : فرض لا يجب بتركه دم ، وسنة مؤكدة يجب بتركها الدم ، ونفل مرغ فيه لا يجب بتركه دم ولا شيء آخر ، وكذلك اتفقوا على أن ما كان من التروك مسنونا ففي فعله فدية الأذى ، وما كان مرغبا فيه فليس في تركه شيء ، ولكن اختلفوا فيما يعتبر فرضا أو سنة أو يعتبر سنة أو نفلا ، وأهل الظاهر لا يوجبون دما أو فدية إلا فيما ورد فيه النص إذ لا قياس عندهم خصوصا في العبادات .

وها نحن أولاء نذكر لك أفعال الحج ومحظوراته واحدا واحدا ونبين ما فيه دم أولا : (١) مجاوزة الميقات من غير إحرام قال قوم : لا دم عليه وقال قوم : عليه الدم وإن رجع وهو قول مالك وأبن المبارك ، وروى عن الثوري ، وقال قوم : إن رجع إليه فليس عليه دم وإن لم يرجع فعليه دم وهو قول الشافعي وأبي يوسف ومحمد ، ومشهور قول الثوري ، وقال أبو حنيفة : إن رجع مليبا فلا دم عليه وإن رجع غير ملب كان عليه الدم ، وقال قوم : هو فرض ولا يجبره الدم ؛ (٢) غسل الرأس بالخطمي قال مالك وأبو حنيفة : من فعله يفتدى ، وقال الثوري وغيره : لا شيء عليه ؛ (٣) دخول الحمام رأى فيه مالك الفدية والأكثر على الإباحة ؛ (٤) لبس ما نهى عن لباسه ، فيه الفدية على قول الجمهور . واختلفوا فيمن لبس السراويل لعدم الإزار ، فقال مالك وأبو حنيفة : يفتدى ، وقال الثوري وأحمد وأبو ثور وداود : لا شيء عليه إذا لم يجد إزارا . واختلفوا فيمن لبس الخفين مقطوعين مع وجود النعلين فقال مالك : عليه الفدية ، وقال أبو حنيفة : لا فدية عليه والقولان عن الشافعي . واختلفوا في لبس المرأة القفازين (لباس اليدين) «الجوانتي» هل فيه فدية أولا ؟ وقد تقدم كثير من هذه الأحكام في باب الإحرام ؛ (٥) ترك التلبية ، قيل : فيه دم ، وقيل لا : وقد تقدم ؛ (٦) نكس الطواف أو نسيان شوط من أشواطه ، يعيد الطواف من فعل ذلك باتفاق ما دام يمكنه . واختلفوا إذا بلغ إلى أهله فقال

قوم منهم أبو حنيفة : يحزیه الدم ، وقال قوم : بل يعيد ويحجر ما نقصه ؛ (٧) ترك الرمل في الثلاثة الأشواط لا يحجر بالدم على قول ابن عباس والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وأبي ثور ، وأختلف في ذلك قول مالك وأصحابه ؛ (٨) تقبيل الحجر أو يديه بعد وضعهما عليه في ترك ذلك دم ؛ (٩) نسيان ركعتي الطواف حتى يرجع الشخص إلى أهله فيه دم عند مالك ، وقال الثوري : يركعهما ما دام في الحرم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : يركعهما حيث شاء ؛ (١٠) طواف الوداع ، لا يحجر بدم عند من يرى أنه فرض ومن لا يراه فرضاً ، اختلفوا فيمن تركه ولم يتمكن له العودة إليه ، فقال مالك : ليس عليه شيء إلا أن يكون قريباً فيعود ، وقال أبو حنيفة والثوري : فيه دم إن لم يعد وإنما يرجع عندهم ما لم يبلغ المواقيت ؛ (١١) عدم إدخال الحجر في الطواف فيه دم إلا إذا أعاده قبل أن يخرج من مكة وهذا عند أبي حنيفة ؛ (١٢) المشي في الطواف مع القدرة عليه ، قال مالك : هو من شرط الطواف كالقيام في الصلاة فإن عجز كان كصلاة القاعد ويعيد عنده إلا إذا رجع إلى بلده فإن عليه دماً . وقال الشافعي : الركوب في الطواف جائز ؛ (١٣) ترك السعي فيه دم إذا أنصرف إلى بلده وهو عند من لا يراه واجباً ، ومن رآه تطوعاً لم يوجب فيه شيئاً ؛ (١٤) تقديم السعي على الطواف إذا لم يعده حتى يخرج من مكة فيه دم عند بعضهم ؛ (١٥) الدفع من عرفة قبل الغروب فيه دم عند أبي حنيفة والثوري عاد أولم يعد ، وقال الشافعي وأحمد : لا شيء عليه إذا عاد ودفع بعد الغروب ؛ (١٦) الوقوف بعرفة من عرفة فيه دم عند مالك ، والشافعي يرى أن لا حج له . وتقدم مثل ذلك كثير .

القول في الهدى

النظر في الهدى يشتمل : (١) على معرفة حكمه ؛ (٢) وعلى معرفة جنسه ؛ (٣) وعلى معرفة سنّته ؛ (٤) وكيفية سوقه ؛ (٥) ومن أين يساق ؛ (٦) وإلى أين يساق وهو موضع نحره ؛ (٧) وحكم لحمه بعد النحر .

(١) حكم الهدى — الهدى المسوق في الحج منه واجب ومنه تطوع ، والواجب منه ما هو واجب بالنذر ومنه ما هو واجب في بعض أنواع هذه العبادة

ومنه ما هو واجب لأنه كفارة ، فالواجب في بعض أنواع هذه العبادة هو هدى المتمتع باتفاق وهدى القارن باختلاف ، وأما الذى هو كفارة فهدى القضاء على مذهب من يشترط فيه الهدى وهدى كفارة الصيد ، وهدى القاء الأذى والتفت وما أشبه ذلك من الهدى المقيس على المنصوص كما قدمنا .

(٢) جنس الهدى — اتفق العلماء على أن الهدى لا يكون إلا من الأزواج الثمانية التى نص الله عليها وأن الأفضل فى الهدايا الإبل ثم البقر ثم الغنم ثم المعز .

(٣) سنّ الهدى — أجمعوا على أن الثنّى^(١) فما فوقه يحزى منها وأنه لا يحزى الجذع^(٢) من المعز فى الضحايا والهدايا ، واختلفوا فى الجذع من الضأن فأكثر أهل العلم يقولون بجوازه فى الهدايا والضحايا ، وكان ابن عمر يقول : لا يحزى فى الهدايا إلا الثنّى من كل جنس ، ولا خلاف فى أن الأغلى ثمنًا من الهدايا أفضل وليس فى عدد الهدى حدّ معلوم ، وكان هدى رسول الله صلى عليه وسلم مائة .

(٤) كيفية سوق الهدى — يساق الهدى مقلدا مشعرا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلده هديه بذى الحليفة وأشعره وأحرم وتقلد الإبل والبقر بنعل أو نعلين أو غيرهما إذا لم يجد وهذا باتفاق ، أما الغنم فلا تقلد عند مالك وأبى حنيفة وتقلد عند الشافعى وأحمد وداود وأبى ثور ، ويستحب توجيه الهدى الى القبلة حين توجيهه ، ومالك يستحب فى الإشعار طعن الهدى فى سنامه حتى يسيل منه الدم وأن يكون من الجانب الأيسر ، والشافعى وأحمد وأبو ثور يستحبونه من الجانب الأيمن .

(٥) من أين يساق الهدى — يرى مالك أن السنة فى الهدى أن يساق من الحل ولذلك ذهب الى أن من آشتى الهدى بمكة ولم يدخله من الحل عليه أن

(١) الثنّى من الإبل : ما دخل فى السنة السادسة ومن البقر والغنم ما دخل فى الثالثة وعلى مذهب أحمد هو من المعز ما دخل فى الثانية .

(٢) الجذع : من أسنان الدواب ما كان شابا فتيا وهو من الإبل ما دخل فى السنة الخامسة ، ومن البقر والمعز ما دخل فى السنة الثانية وقيل : من البقر ما دخل فى الثالثة ، ومن الضأن ما تمت له سنة وقيل : أقل منها .

يقفه بعرفة وإن لم يفعل فعليه البذل ، وأما من أدخله من الحل فيستحب له أن يقفه بعرفة وهو قول ابن عمر وبه قال الليث ، وقال الشافعي والثوري وأبو ثور : وقوف الهدى بعرفة سنة سواء أدخل من الحل أم لا ، ولا حرج على من لم يقفه ، وقال أبو حنيفة : توقيف الهدى بعرفة ليس بسنة .

(٦) منحر الهدى — محله أى الموضع الذى يحل نحره فيه — البيت . قال تعالى : « ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ » وقال تعالى : « هَدْيًا بِالْكَعْبَةِ » وأجمع العلماء على أن الكعبة لا يجوز لأحد أن يذبح فيها وكذلك المسجد الحرام ، وقال مالك : المراد بالكعبة فى الآية مكة ولهذا لم يحز لمن نحر هديه فى الحرم إلا أن ينحره بمكة ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : إن نحره فى غير مكة من الحرم أجزاء ، وقال الطبرى : يجوز نحر الهدى حيث شاء إلا هدى القران وجزاء الصيد فانهما لا ينحران إلا بالحرم ، وبالجملة فالنحر بمنى إجماع من العلماء وفى العمرة بمكة إلا ما اختلفوا فيه من نحر المحصر ، وعند مالك إن نحر للحج بمكة وللعمرة بمنى أجزاء ، وحجة مالك أنه لا يجوز النحر بالحرم إلا بمكة قوله صلى الله عليه وسلم « كل بفاج مكة طريق ومنحر » وأستثنى مالك من ذلك هدى الفدية فأجاز نحره بغير مكة . هذا مكانه وأما زمانه فقال مالك : إن ذبح هدى التمتع أو التطوع قبل يوم النحر لم يحزه ، وقال الشافعي : يجوز فى كليهما قبل يوم النحر ، وجوزه أبو حنيفة فى التطوع والجمهور على أن الصيام المعدول به عن الهدى يجوز حيث شاء لأنه لا منفعة فى ذلك لأهل الحرم ولا لأهل مكة وإنما اختلفوا فى الصدقة المعدولة عن الهدى ، فجمهور العلماء : على أنها لمساكين مكة والحرم لأنها بدل من جزاء الصيد الذى هو لأهل الحرم ، وقال مالك : الإطعام كالصيام يجوز بغير مكة .

وتستحب فى النحر التسمية لأنها ذكاة وأستحب بعضهم التكبير معها ، ويستحب للهدى أن يلى نحر هديه بيده وإن آستخلف جاز وليس أن تتحسر قياما .

(٧) الانتفاع بالهدى — في ذلك مسائل مشهورة : (١) ركوب الهدى ، فذهب أهل الظاهر إلى جوازه لضرورة ومن غير ضرورة بل أوجب بعضهم ركوبه وكره جمهور فقهاء الأمصار ركوبه من غير ضرورة ، (٢) أكل لحمه ، أجمع العلماء على أن هدى التطوع إذا بلغ محله أكل منه المتطوع كسائر الناس وإذا عطب قبل ذلك خلى بينه وبين الناس ولم يأكل منه ، بل قال أبو داود وأبو ثور : لا يأكل منه رفقته أيضا ، واختلفوا في الواجب على من أكل منه فقال مالك : عليه بدل الهدى وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد والثوري وآبن حبيب من أصحاب مالك : عليه قيمة ما أكل أو أمر بأكله طعاما يتصدق به ، وروى عن علي وآبن عباس وآبن مسعود وجماعة من التابعين . وما عطب في الحرم قبل أن يصل إلى مكة هل بلغ محله أولا ؟ فيه الخلاف وهو مبني على الخلاف المتقدم هل المحل هو مكة أو الحرم ؟ وأما الهدى الواجب فإن عطب قبل محله فلصاحبه أن يأكل منه لأن عليه بدله ، بل أجاز بعضهم أن يبيع لحمه ليستعين به في بدله — وكره مالك ذلك — واختلفوا في الأكل من الهدى الواجب إذا بلغ محله فقال الشافعي : لا يؤكل من الهدى الواجب كله ولحمه كله للمساكين وكذلك جلّه إن كان مجللا والنعل الذي قلده وقال مالك : يؤكل من الهدى الواجب جزاء الصيد ونذر المساكين وفدية الأذى ، وقال أبو حنيفة لا يؤكل من الهدى الواجب إلا هدى المتعة والقران .



وإلى هنا تم ما قصدنا من أحكام الحج في المذاهب واختصرنا ذلك من بداية المجتهد كما أعلمناك سابقا .

جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الحج	(١) فرض فورا	فرض تراخيا	فرض فورا	فرض فورا
العمرة	سنة مؤكدة	»	سنة مؤكدة	»
الإحرام بالحج أى نيته	(٢) شرط وركن	ركن	ركن	ركن
» بالعمرة أى نيته	شرط وقيل ركن	»	»	»
قرن الإحرام بالتلبية	(٣) سنة	سنة	سنة وقيل واجب	سنة
الإحرام من الميقات	(٤) واجب	واجب	واجب	واجب
الغسل للإحرام	سنة	سنة	سنة	مستحب
التطيب للإحرام	»	»	مكروه	»
التلبية	»	»	واجبة	سنة
طواف القدوم	»	»	واجب	»
نية الطواف	شرط	(٥) شرط	»	شرط
بدء الطواف من الحجر الأسود	واجب	»	»	»
جعل البيت عن يسار الطائف	»	»	شرط	»
المشي في الطواف لقادر عليه	»	سنة	واجب	»
الطهارة من الخدثين في الطواف	»	شرط	شرط	»
طهارة البدن والثوب والمكان في الطواف	سنة	»	»	»
كون الطواف من وراء الحجر	واجب	»	»	»
» في المسجد	»	»	»	»
» سبعة أشواط	(٦) واجب	»	»	»

(١) عند محمد على التراخي . (٢) أى شرط ابتداء حيث يصح حصوله قبل أشهر الحج . وركن انتهاء حيث لا يصح استدامته بعد أشهر الحج ليصح به من قابل ، والفرق بين الشرط والركن أن الشرط خارج عن الشيء والركن جزء منه وكل منهما لا بد منه لصحة الشيء . (٣) السنة لا يلزم بتركها شيء ولكن يغوث الثواب . (٤) يلزم بتركه دم . (٥) في الوداع والتطوع فقط . (٦) الأربعة الأشواط الأولى ركن والثلاثة الأخيرة واجبة في طواف الزيارة سنة في الطواف الواجب .

(تابع) جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الموالاة بين أشواط الطواف	سنة	سنة	واجب	شروط
ستر العورة في الطواف	واجب (١)	شروط	شروط (٢)	»
ركعتا الطواف	واجب	سنة وقيل واجب	واجب	سنة
الطواف للعمرة	ركن	ركن	ركن	ركن
السعي بين الصفا والمروة في الحج أو العمرة	واجب	»	»	»
وتوقع السعي بعد طواف	»	شروط	واجب	شروط
نية السعي	»	»	شروط	»
بدء السعي بالصفا وختمه بالمروة	»	»	»	»
امشي فيه مع القدرة	»	سنة	واجب	»
كون السعي سبعة أشواط	»	شروط	شروط	»
الموالاة بين أشواط السعي	سنة	سنة	واجب	»
» » السعي والطواف	»	»	»	سنة
الحلق أو التقصير في العمرة	واجب	واجب	»	واجب
المبيت بمنى ليلة عرفة	»	سنة	»	مستحب
الوقوف بعرفة	ركن	ركن	ركن	ركن
وقت الوقوف بعرفة	من بعد الزوال إلى طلوع فجر يوم النحر			
مد الوقوف إلى ما بعد الغروب إن وقف نهارا	واجب	واجب وقيل سنة	ركن	واجب
الدفع من عرفة مع الإمام أو نائبه	»	سنة	واجب	سنة
الجمع بمزدلفة بين صلاتي المغرب والعشاء ...	»	»	سنة	»
المبيت بمزدلفة (٣)	»	واجب	واجب	واجب

- (١) ولكن يعادان ولا يجبران بالدم . (٢) ويجب فيهما عند المالكية أن يكونا بوضوء الطواف كما يجب أن لا يصليا بالحجر أو الكعبة وأن لا يفصل بينهما وبين الطواف فاصل طويل .
- (٣) ولكن يكفي في تحصيل الواجب المكث لحظة في النصف الثاني من الليل عند الشافعي ولحظة بعد الفجر عند أبي حنيفة ومقدار حط الرحال وصلاة العشاءين وتناول شيء من الطعام والشراب عند مالك .

(تابع) جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الوقوف بمزدلفة « المشعر الحرام » في وقته ^(١)	واجب	واجب	سنة أو مستحب	واجب
رمي جمرة العقبة يوم النحر ^(٢)	»	»	واجب	»
الحلق أو التقصير في الحج	»	ركن	»	»
الترتيب بين الرمي والذبح والحلق	»	سنة	سنة	سنة
كون الحلق في الحرم وأيام النحر	»	»	»	»
طواف الإفاضة	ركن أكثره	ركن	ركن	ركن
كونه في أيام النحر	واجب	»	واجب في ذى الحجة	سنة يوم العيد
تأخير طواف الإفاضة عن الرمي	سنة	سنة	واجب	سنة
رمي الجمار الثلاث في أيام التشريق ^(٣)	واجب	واجب	»	واجب
عدم تأخير الرمي الى الليل	سنة	سنة	»	سنة
المبيت بمنى ليالى أيام التشريق ^(٣)	»	واجب	»	واجب
طواف الوداع	واجب	»	مستحب	»

حكم المناسك وأسرارها

نذكر تحت هذا العنوان كلمة ممتعة للسيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء وهي القسم الأخير من رسالته في مناسك الحج ، قال أحسن الله اليه تحت هذا العنوان :
 يظن كثير من الناس الذين لا يعرفون كنه هذا الدين القويم من غير أهله ومن

(١) وقته من طلوع الفجر الى شروق الشمس . (٢) وقتها المستحب من طلوع الشمس الى الزوال ولا يجوز رميها قبل الفجر خلافا للشافعي ويجوز رميها الى غروب شمس يوم النحر فان رماها بالليل وجب عليه دم عند مالك وإن أخرها الى الغد عليه دم عند مالك وأبي حنيفة . (٣) وذلك في يومين فقط إن تعجل وفي ثلاثة لغيره .

المنسوبين إليه على سبيل الجنسية لا التدين أن بعض مناسك الحج من العبادات الوثنية وأن الاسلام أقرها تأييدا لمشركي العرب ، وقد سئلنا عن ذلك سؤالاً مطوّلاً تشرّف في باب الفتوى من المجلد السادس عشر ، فنذكر هنا ملخص ما أجبتنا به من حكم الحج وأسراره ولولا ضيق الوقت لزدنا عليه وهو :

حكمة استلام الحجر الأسود — من عرف معنى العبادة يقطع بأن المسلمين لا يعبدون الحجر الأسود ولا الكعبة ، ولكن يعبدون الله تعالى وحده باتّباع ما شرعه فيهما . بل كان من تكريم الله تعالى لبيته أن صرف مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين والكتابيين الذين كانوا يعظمونه قبل الإسلام عن عبادته ، وقد وضعوا فيه الأصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه ، ذلك أن عبادة الشيء عبارة عن دعائه وكل قول أو عمل مبني على اعتقاد أن له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه ، والخوف من ضرره لمن لا يعبده أو لمن يقصر في تعظيمه ، سواء أكانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشيء المعبود فيستقل بالنفع والضرر أم كانت غير ذاتية له بأن يعتقد أنه واسطة بين من لجأ إليه وبين المعبود الذي له السلطة الذاتية . ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد أن الحجر الأسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له ، ولا بسلطة تقرب من يعبده ويلجأ إليه إلى الله تعالى ، ولا كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك وتقوله في الحجر كما تقول في أصنامها : ((مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)) (هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) وإنما عقيدة المسلمين في الحجر هي ما صرح به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تقبيله ، قال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك — رواه الجماعة كلهم — أحمد والشيخان وأصحاب السنن . وقد بينا في المنار من قبل أن هذا القول روى أيضا عن أبي بكر رضي الله عنه وروى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن أثر عمر كان العمدة في هذا الباب للاتفاق على صحته سنده . قال الطبري : إنما قال عمر ذلك (أي مع أنه معلوم من الدين بالضرورة) لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي أن

يظن الجهال أن آستلام الحجر الأسود من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، فأراد أن يعلم الناس أن آستلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته اه .

بقى أن يقال : اذا كان هذا الحجر لا ينفع ولا يضر — كما قال عمر في الموسم تعليما للناس وأقره جميع الصحابة عليه — وكان آستلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتبع في سائر العبادات ، فما حكمة جعل ما ذكر من العبادة؟ وهل يصح ما قيل : من أن النبي صلى الله عليه وسلم تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفا للمشركين وآستمالة لهم إلى التوحيد؟ والجواب أن الحجر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين ، وإنما هو من وضع إمام الموحدين إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدءا للطواف بالكعبة يعرف بمجرد النظر إليها فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون ، وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك كما تحترم الكعبة لجعلها بيتا لله تعالى وإن كانت مبنية بالحجارة فالعبرة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الأتمثال لأمر الشارع واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان ، ولهذا لا تقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وإن قال به وتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الأمور التعبدية . وتعظيم الشعائر والآثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، وأشد الناس عناية به الإفرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاقيين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لا يعبدون شيئا منها ، فلماذا نهتم بكل ما يلفظ به كل قسيس أو سياسي يريد تنفير المسلمين من دينهم إذا مؤه علينا في شأن تعظيم الحجر الأسود فزعم أنه من آثار الوثنية ، ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم إمام موحد داع إلى الله من النبيين المرسلين الذين عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي أجمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى؟

بقي من حكمة استلام الحجر وتقبيله ما اعتمدته الصوفية فيها أخذاً مما ورد في بعض الأحاديث الضعيفة كحديث ابن عباس « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » رواه الطبراني ، فقالوا : وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى فكأن الحجر يمين الله تعالى ، ومستلمه مبايع له على توحيدهِ والإخلاص له واتباع دينهِ الحق ، والأعمال الرمزية معروفة في جميع الأديان الإلهية . وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال إن الحجر يمين الله في الأرض يصاغ بها عبادته — ومعاذ الله أن تكون لله جارية — وإنما شرع تقبيله اختباراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم اه . وليس مراد من قال إنه يمين الله أن لله جارية ، وإنما أراد ما ذكرنا ، والعمدة في رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه ، فإن صح وجب قبوله ومعناه ظاهر ، وقال الخطابي : معنى كونه يمين الله في الأرض أن من صاغه في الأرض كان له عند الله عهد ، وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به فخطبهم بما يعهدونه . وقال المحب الطبري : إن كل ملك إذا قدم عليه الوفد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم سن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك « وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى » اه .

ولعمري لو أن ملوك الإفرنج وعلماءهم أمكنهم أن يشتروا هذا الحجر العظيم يتغالوا في ثمنه تغاليا لا يتغالون مثله في شيء آخر في الأرض ، ولوضعوه في أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة عندهم ، ولحج وفودهم إلى رؤيته وتمني الملايين لو تيسر لهم لمسه واستلامه ، وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع إبراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام وأنهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك أو الصناع .

هذا وأن من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والفترة في أقدم معابده وإحياء شعائر إبراهيم التي طمسها وشوهتها الجاهلية بوثنيتها فطهرها الله ببعثة ولده محمد الذي استجاب الله به دعوته « رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ » عليهما الصلاة والسلام . روى

أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال : أنا ابن مربع (كثير واسمه يزيد) الأنصاري ونحن بعرفة — في مكان يباعده عمرو عن الإمام^(١) — فقال : أما إني رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم ، يقول لكم : « قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من أبيكم إبراهيم » هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه . وقال الترمذي : حديث ابن مربع الأنصاري حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار .

وجملة القول أن مناسك الحج من شريعة إبراهيم وقد أبطل الإسلام كل ما ابتدعته الجاهلية فيها من وثنياتها وقبيح عملها كطوافهم بالبيت عراة ، وأن الكعبة من بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالإجماع المتواتر بينهم ، وكانوا يعظمونها هم والأُمم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود ، ومن الثابت أيضا أنهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد إبراهيم ، وإنما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد استلام الركنين اليمانيين دون غيرهما ، ويقال لأحدهما : الركن الأسود لأن فيه الحجر الأسود ولا تحر : اليماني فإذا شوهما قالوا : اليمانيين تغلبا كما يقولون في تثنية الركن الشامي والركن العراقي : الشاميين . ولما كانت الكعبة قد جدد بناؤها قبل الإسلام وبعده ولم يبق فيها حجر يعلم باليقين أنه من وضع إبراهيم إلا الحجر الأسود لامتياز بلونه وبكونه مبدأ المطاف — كان هو الأثر الخالص المذكور بنشأة الاسلام الأولى في ضمن الكعبة المذكورة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظا وشرفا . وقد علم بهذا أن الحجر له منزلة تاريخية دينية وإن كان الأصل في وضعه بلون مخالف للون البناء آهتداء الناس بسهولة الى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا أن نقول إن لله تعالى أن يخصص ما شاء من الأجسام والأمكنة والأزمنة بما شاء لروابط العبادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص

(١) هذه الجملة مدرجة في الحديث أدرجها في الرواية عمرو بن دينار ومعناها أنهم في مكان بعيد عن موقف الامام بحيث لا يسمعون كلامه فقولوه : يباعده عمرو يعني يذكر عمرو بن عبدالله بن صفوان التابعي أنه بعيد عن الإمام الأعظم صلى الله عليه وسلم أي فلذلك أرسل اليهم رسولا .

الحجر الأسود بما خصصه به وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر الحرام وشهر رمضان والأشهر الحرم بما خصت به، ومبنى العبادات على الاتباع لا على الرأى .

حكمة رمى الجمار

إذا وعيت ما تقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج، أعنى أنها مما تعبنا الله تعالى بها لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا، وأنها إحياء لدين إبراهيم أبى الأنبياء وإمام الموحدين المخلصين، وتذكير بنشأة الإسلام ومعاهده الأولى. وإن لاستحضار ذلك لتأثيرا عظيما فى تغذية الإيمان وتقوية الشعور به والثقة بأنه دين الله الخالص الذى لا يقبل غيره، فإن جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أو حكمها لا يضرنا ذلك ولا يثنيها عن إقامتها، كما اذا ثبت لنا نفع دواء من الأدوية مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض، فإن ذلك لا يثنيها عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به، ولا يدعونا إلى التوقف وترك استعماله إلى أن نتعلم الطب ونعرف حكمة أوزان تلك الأجزاء ومقاديرها .

أبسط ما يتبادر إلى الذهن من منشا هذه العبادة أن هذه المواضع التى تسمى الجمرات كانت من معاهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فشرع لنا أن نقف عند كل واحدة منها نكبر الله سبع تكبيرات نرمى عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعد بها التكبير، والعد بالحصى — ومثله النوى فى مثل الحجاز — من الأمور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السذاجة، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة إبراهيم الذى أقام الدين الحق فى هذه المعاهد وبين التبعيد لله تعالى بكيفية لا حظ للنفس ولا محل للهوى فيها . والعبادة منها شعائر يجتمع لها الناس وتقصد الأمة بعمائها إظهار الدين والاجتماع والتآلف على عبادة الله تعالى، وكل أعمال الحج من هذا القبيل، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتركيتها فقط كالتبجد وذكر الله فى الخلوة، فلا يقال إن الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان، لأن هذا

القول لا يصح إلا في غير الشعائر إذ الشعائر لا بد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين .

أما كون رمى الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتى حديث عائشة المصريح به ، وأما سبب وقوف إبراهيم في تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعده بالحصى فلا يضرنا جهله ويكفي أن نقضى به في هذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك . وورد في بعض الأحاديث الضعيفة السند أن إبليس عرض له هنالك أى يوسوس له ويشغله عن أداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . وروى الطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابن عباس : لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم ذكر الجمرة الثالثة كذلك .

وروى عن محمد بن إسحاق قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له طف به سبعا : ثم ساق الحديث وفيه أنه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له إبليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل : كبر وأرمه سبع حصيات ، فرماه فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل : كبر وأرمه فرماه إبراهيم سبع حصيات ، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل : كبر وأرمه ، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فغاب عنه إبليس . ثم مضى إبراهيم في حجه — الحديث . وليس تمثل الشيطان للأنبياء ولا ظهوره لهم بغريب في قصصهم ففي الإنجيل المعتمد عند النصارى أنه ظهر للمسيح عليه السلام وجربه تجارب طويلة . فإذا صح أن إبليس عرض لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في أثناء أداء مناسكه بظهور ذاته أو مثاله أو مجرد التصدى للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة في قذفه ورجحه كما يطرد الكلب ، فمن المعروف في الأخلاق والطباع أن يأتي الإنسان بعمل عضوى يظهر به كراهته لما يعرض له .

حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبراءته منه ، فأخذ الحصيات ورمىها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وإن حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب... والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبرى أو الإهانة معهود من الناس وله شواهد عند الأمم كرجم بنى اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع عليه السلام) لعجان بن زراح وأهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧ : ٢٤ و ٢٥ من سفر يشوع ، وكرجم النصارى لشجرة التين التي لعنها المسيح ، ورجم العرب في الجاهلية لقبر أبي رغال في المغمس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشى الى مكة لأجل هدم الكعبة حرمها الله تعالى .

والعمدة في رمى الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اتباعا لإبراهيم أقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم في الأرض ، ومحمد خاتم رسل الله ومكمل دينه ومتممه الذى حفظ كله في الأرض صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بيان أسرار الحج من الإحياء : «وأما رمى الجمار فليقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية ، وأتياضا لمجرد الأمثال من غير حظ للنفس والعقل في ذلك . ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية ، أمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله . فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ، ويخيل إليك أنه لا فائدة فيه ، وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي ، فبذلك ترغم أنف الشيطان . وأعلم أنك في الظاهر ترمى الحصى في العقبة وفي الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقسم به ظهره ، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتلاك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس فيه » اهـ .

حكمة الرمل في الطواف والسعى بين الصفا والمروة

الطواف بالكعبة المعظمة والسعى بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر الإسلام عن عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وروى أن هاجر رضي الله تعالى عنها كانت تسعى بينهما والهة حيرى عند حاجتها إلى الماء زمن ولادتها إسماعيل حتى هداها الله تعالى إلى برز زمزم . والحكمة في هذه العبادة ما ذكرناه في الكلام على رمي الجمار من إقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفة في الأرض وإحياء سنن المرسلين فيها، قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن : صحيح من حديث عائشة . وأذكاره معروفة في المناسك . وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة ومعناه سرعة في المشي مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب، ويسمى الخجب أيضا، فهو دون العدو وفوق المشي المعتاد، فإن زادت السرعة كان عدوا .

أما سبب الرمل في الطواف والسعى بهمة ونشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث إظهار قوة المسلمين للمشركين ، وكان قد علم النبي صلى الله عليه وسلم أن المشركين قالوا عام الحديبية في المؤمنين : قد أوهنتهم حتى يثرب . وروى في الصحيح أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة لعمره القضاء قال المشركون : إن محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال لذلك أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا في ثلاث طوافات ويمشوا في أربع من الأشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعله لسبب دارض ، ثم بدا له ففضى عليه لأنه علم أن المحافظة على ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جمده إبراهيم صلى الله عليه وسلم إن لم تكن أولى ، روى أبو داود وابن ماجه عنه أنه قال : « فيم الرمالان اليوم والكشف عن المناكب وقد أطا الله الإسلام

(أى وطأه وأحكمه) ونفى الكفر وأهله؟ مع ذلك لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم «وأصله فى البخارى بلفظ "فما لنا والرمل إنما كنا راعينا به المشركين وقد أهلكهم الله" — ثم قال — شىء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه»؛ وقوله: ««راءينا» مشاركة من الرؤية أى أريناهم قوتنا وأنا لا نعجز عن مقاومتهم، وقيل: هو من الرياء بمعنى إراءة ما هو غير الواقع أى أريناهم من الضعف قوة. والرياء مذموم لأنه خداع والخداع جائز فى الحرب وهذا من قبيل الحرب، وقوله فى الرواية الأولى: والكشف عن المناكب معناه الأضطباع وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلقى على كتف اليسرى فتظهر المناكب، وحكمته عين حكمة الرمل، وقيل: إنما هو لأجل التمكن منه وقد ورد فى الصحيح أن المشركين قالوا عندما رأوا النبی صلى الله عليه وسلم وأصحابه يرملون مضطبعين: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا، وفى رواية أجلد منا. فعلم من هذا أن الرمل أو الهرولة كما قال السائل إنما شرعت فى الطواف لسبب، وأما نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم اتباعا وتذكرا لنشأة الإسلام الأولى فى عهدهم، وهل توجد أمة من الأمم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين؟ لا لا! فالحمد لله رب العالمين.

حكمة ذبائح النسك

حكمة ذبائح الهدى والأضاحى معروفة لا يحفلها عامة المسلمين، وهى طاعة الله تعالى وتقواه وإظهار نعمته بتوسعة المسلمين على أنفسهم وعلى الفقراء والمساكين فى أيام العيد التى هى أيام ضيافة الله للمؤمنين، وهى من مناسك الحج لأنها إحياء لسنة إبراهيم وتذكرا لنعمة الله عليه وعلى الناس بفداء ولده إسماعيل من الذبح الذى ابتلاه الله وأخبره به لتظهر قوة إيمانه بالله تعالى وإيثاره لرضاه. ونعمة الله بذلك على الناس كافة إنما هى من حيث إن إسماعيل هو جد محمد صلى الله عليهما وسلم الذى أرسله الله تعالى خاتما لرسله وهاديا للناس كافة.

قال الله تعالى في البُدن التي تتحرر للنسك ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا
وَأَطِيعُوا أَلْفَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ وقال في ذبائح النسك عامة ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا
وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ .

جملة القول في حكمة الحج والاعتبار به

اعلم أيها الحاج أن ما ورد في الحديث الصحيح من أن الحج المبرور ليس له
جزاء إلا الجنة ، وأن «من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»
سببه أن الحج إذا أدى كما يحب الله تعالى يقوى الإيمان ويزكى النفس ويطهرها
حتى يظهر أثر ذلك في الأخلاق والمعاملات مع الله والناس .

فاذا أردت أن يكون حجك مبرورا فعليك أولا أن تتوب الى الله تعالى توبة
صادقة وأن يكون حجك لوجه الله وابتغاء مرضاته بامثال أمره وتحقيق حكمة شرعه
في النسك وغيره .

وذلك بأن تعلم أنك بحج بيت الله تعالى مقبل على الله تعالى مع إخوانك المؤمنين
كما تقبلون عليه في الآخرة ، وتذكر أن ثياب الإحرام كأكفان الموتى ، وأن المحرمين
يتساوى كبيرهم وصغيرهم وأميرهم ومأمورهم في الزى وترك ما هو غير ضرورى
للحياة من نعيم الدنيا ومميزاتها ومفاخرها وأثاثها ورياشها وزينتها وطيبها وفى أداء المناسك
كلها ولا سيما الوقوف بعرفات الذى يشبه الوقوف بين يدى الله تعالى يوم القيامة .
فتدبر هذه المعانى وتذكر أنك بين يدى الله تعالى وأنه يسمع تلييتك التى سمعت
معناها ، فأجتهد أن تكون صادقا فيها وتدبر معناها ومعانى سائر الأذكار والدعوات ،
وتذكر عند تقلبك في المناسك نشأة الدين الأولى في عهد سيدنا إبراهيم وعهد ولده
سيدنا محمد وهما أفضل الرسل عليهما الصلاة والسلام وعلى سائر رسل الله تعالى .
وأنك تطوف حيث طافا وتسعى حيث سعىا وتقف حيث وقفا وتذكر الله وتدعوه
حيث ذكرا ودعوا ، ولكنهما تجملا من العناء والبلاء فى إقامة دين الله فى تلك البلاد
ما لا تتحمل شيئا منه .

فاذا أنت تذكرت وتدبرت ماذا كرىخشع قلبك وجوارحك وتدفع عيناك، ويقوى شعور الإيمان فى نفسك حتى يغلب باذن الله تعالى ما كان فيها من آثار الأوزار السابقة، وتعود بصفائها وطهارتها الى أصل الفطرة، وهذا معنى خروجك من الذنوب كيوم ولدتك أمك. فيجب أن تحرص بعد الحج على المحافظة على هذه النفس الزكية الطاهرة كما تحرص على نفس ولدك الذى تربيه تربية صالحة أن ينغمس فى الفسق والشور، ولا تنس ما فى الحج من فوائد تعارف شعوب المسلمين وقبائلهم وتآلفهم، فاحرص على هذه الفائدة والله الموفق، فنسأله تعالى أن يوفقنا لاداء مناسكنا على الوجه الذى يحبه ويرضاه، ويجعل ذلك ذخيرة لنا الى يوم نلقاه. والحمد لله أولا وآخرا.

قبل أن نتكلم على مكة وما فيها من المشاعر نتقدم اليك بكلمة جغرافية عن بلاد العرب ثم بموجز تاريخى عن هذه البلاد وسير الفتوحات الإسلامية منها الى أرجاء المعمورة حتى تكون عايما بتاريخ المسلمين وأين هم الآن فاستمع علمنا الله وإياك.

(١)

فصل جغرافي موجز

في وصف بلاد العرب

(١) حدودها وشواطئها وأهمية موقعها

(١) حدودها — شبه جزيرة العرب أو «جزيرة العرب» كما يسميها العرب أو «الجزيرة» فقط كما يسميها بعضهم هي ثلاثة أشباه الجزائر الآسيوية الكبيرة الواقعة في جنوب آسيا . تحدها البحار من ثلاث نواح فتفصلها عما يليها في هذه النواحي فصلا تاما . يحدها البحر الأحمر غربا ، والمحيط الهندي جنوبا ، وبحر عمان والخليج الفارسي شرقا . أما حدودها الشمالية العامة فبهمة غير واضحة ، فقد يلحقون بها شبه جزيرة سيناء وبادية الشام والجزيرة والعراق وقد لا يفعلون . وهذه الجهات تعدّ منها من الوجهة الطبيعية وإن كانت لا تعدّ منها من الوجهة السياسية . وعلى كل حال فمساحة الجزيرة العربية تبلغ نحو ألف ألف ميل مربع أي نحو ثلث القارة الأوربية .

(٢) شواطئها — يكاد الشاطئ الغربي يكون خطا مستقيما وهو على العموم قاييل المرافئ الصالحة لرسو السفن . وأهم الجزائر الواقعة بالقرب منه والتابعة لبلاد العرب جزائر فرسان وكرات وبريم الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب . والشاطئ الجنوبي الممتد في تقوس وأنحاء من مضيق باب المندب الى رأس الحد به عدة ثغور حسنة ، أهمها عدن والمكلا والشحر وبالقرب منه جزيرة سقطرى وجزائر كوريا موريا . وأما الشاطئ الشرقي الممتد من رأس الحد الى الكويت فرملي قريب الغور ، وتقع قريبا منه جزائر البحرين الشهيرة . هذا ويبلغ طول الشواطئ العربية من السويس الى مصب الفرات نحو ١٠٠٠ ميل .

(١) هذا الفصل والفصل التارخي الذي يعقبه بقلم حضرة عبد الحميد افندي العبادي أستاذ التاريخ

والجغرافيا بمدرسة القضاء الشرعي .

(٣) أهمية موقعها — هذا الموقع المتوسط الذي تقعه بلاد العرب بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط وبين آسيا وأفريقية الشمالية اللتين هما أهم أقطار العالم التجارية في العصور القديمة والمتوسطة ومن أهم أقطاره التجارية في العصور الحديثة قد جعل لبلاد العرب منذ أقدم أزمنة التاريخ أهمية تجارية عظيمة بحرية وبرية كما يعلم المطلع على تاريخ العرب في الجاهلية والإسلام .

(ب) الجو والنبات والحيوان

(١) الجو — ليس جو بلاد العرب على حالة واحدة في جميع أنحاءها بل هو يختلف اختلافاً بيناً من مكان لآخر . فالجهات المنخفضة القريبة من البحار حارة وغير صحية ، والجهات المرتفعة جافة صحية . ويسقط المطر بنجد في فصل الربيع والخريف . وقد تنخفض درجة الحرارة شتاء باليمن فتقوت درجة التجمد . وقد ترتفع في الصيف فتبلغ ٨٠° (بمقياس فهرنهايت) وتستفيد هذه البلاد من الرياح الموسمية فيسقط بها المطر في مارس ويولية وأغسطس وسبتمبر . وقد يدوم فصل المطر في الحجاز نحو خمسة أسابيع من فصل الخريف . وأما الجهات الشمالية فالمطر بها نادر وإذا سقط فإنما يسقط في فصل الشتاء .

(٢) النبات — تعد اليمن أخصب أنحاء الجزيرة العربية ، ويزرع بها البن والفاكهة والخضروات . ومن حاصلات الحجاز الحناء والبسم . وأهم حاصلات حضرموت البخور . وأهم مزروعات عمان والأحساء النيلة . وأما النخل فينمو في أكثر أنحاء الجزيرة . وقد جلب الى بلاد العرب من الخارج شجر جوز الهند والموز فبها نمواً حسناً .

(٣) الحيوان — أهمه الإبل والغنم والخيول والحير، وكلها تعد في الطبقة الأولى من نوعها ولا سيما مهارى (مهرة) وخيل نجد . ويوجد النعام ببعض الصحارى العربية غير أنه قليل . ويكثر السمك بخليج عمان ، ويستخرج من مغاصات اللؤلؤ الشرقية ما قيمته سنوياً نحو ٣٠٠,٠٠٠ جنيه .

(ج) الوصف الطبوغرافي

مقدمة — كان جغرافيو الاغريق والرومان يقسمون بلاد العرب بالنظر الى طبيعة أرضها الى ثلاثة أقسام : بلاد العرب الحجرية ، وبلاد العرب السعيدة ، وبلاد العرب الرملية ؛ فأما الأولى فكانت عندهم شبه جزيرة سيناء ؛ وأما الثانية فهي بلاد اليمن ؛ وأما الثالثة فكل ما عدا هذين الإقليمين من بلاد العرب . وأما العرب فكانوا يقسمونها باعتبار المواضع والأقاليم . وأساس تقسيمها عندهم جبال السراة التي تمتد من أطراف بادية الشام الى اليمن ؛ فتقسم جزيرة العرب الى قسمين : غربي ، وشرقي . فالغربي وهو أصغرهما ينحدر من سفح ذلك الجبل حتى يصل الى شاطئ البحر الأحمر ، وقد صار هابطا أو غائرا فسموه الغور أو تهامة ؛ والقسم الشرقي وهو أكبرهما يمتد شرقا وهو على ارتفاعه الى أطراف العراق والسموة فسموه نجدا لهذا السبب . وسموا الجبل الفاصل بين تهامة ونجد (الحجاز) وهو عبارة عن جبال تتخللها المدن والقرى . وجعلوا ما تنتهي به نجد في الشرق حتى يصل الى خليج فارس بلاد اليمامة والبحرين وعمان وما والاها ويسمونها العروض ، وسموا القسم الجنوبي بلاد اليمن وحضرموت والشحر .

وأما الجغرافية الحديثة فتميل الى تقسيم بلاد العرب باعتبار قربها من البحر أو بعدها عنه . وعلى هذا الاعتبار تنقسم بلاد العرب الى قسمين كبيرين : (١) بلاد العرب المتصلة بالبحر وتشمل الحجاز وعسيرا واليمن وحضرموت ومهرة (الشحر) وعمان والأحساء (البحرين) ؛ (٢) بلاد العرب غير المتصلة بالبحر وهذه تشمل نجدا والصحاري الداخلية . وستتبع هذا التقسيم ونذكر كلمة موجزة عن كل قسم من هذه الأقسام :

بلاد العرب المتصلة بالبحر

(١) الحجاز — أهم الأقطار العربية من الوجهة التاريخية ، فيه نبت الإسلام ومنه درج كما ستري في الفصل التاريخي الآتي . وهو يمتد بوجه عام من رأس خليج

العقبة الى حدود اليمن اذا اعتبرنا عسيرا داخلة فيه كما يصنع بعض الجغرافيين .
وبه من الأودية وادى الحمد ووادى الرمة . وأهم مدنه مكة المشرفة والمدينة المنورة
والطائف الشهيرة بفواكهها الجميدة . وأهم ثغوره الواقعة على البحر الأحمر، الوجه
والحوراء وينبع ورابع وجدة ، وكلها محطات للحجاج المصريين . وينزل من القبائل
العربية الآن عرب الحويطات في الإقليم الشمالى المسمى حسمى ، وعرب عنزة
شمالى المدينة ، وبلى ما بين العقبة والوجه ، وقريش شمالى عرفة والطائف ، وهذيل
في الجبال التى بين مكة والطائف ، وثقيف في جنوب وشرق الطائف .

(٢) عسير — تتسع جبال السراة جنوبى مكة والطائف فتكوّن الإقليم
المعروف بعسير والواقع بين الحجاز شمالا واليمن جنوبا . وهذا الإقليم على العموم من
أخصب وأجل الأقاليم العربية وأغناها من الوجهة الاقتصادية . أهم أوديته :
وادى ضلع ووادى بيشة . وأهم مدنه : أبها ومحايل وصبيا . وأهم ثغوره : القنفذة .
وأهم قبائل عسير : قبائل قحطان التى هى أصل القبائل اليمنية .

(٣) اليمن — وتنقسم الى قسمين غير متساويين : تهامة اليمن التى هى عبارة
عن امتداد تهامة عسير والحجاز ، ونجد اليمن ويتضمن أربع هضاب فرعية : هضبة
نجران في الشمال ، وهضبة مأرب في الشرق ، وهضبة صنعاء في الوسط ، وهضبة تعز
في الجنوب . وأهم مدن اليمن صنعاء ، وهى العاصمة ثم صنعاء ومأرب الشهيرة بآثارها
القديمة وبريم وتعز ولحج وزبيد . وأهم ثغور اليمن الحديدة ومخا الواقعتان على
البحر الأحمر ، وعدن الواقعة على المحيط الهندى والتابعة لاندونيسيا (وكذلك جزيرة بريم
الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب) .

(٤) حضرموت — وهى عبارة عن الإقليم الواقع شرق اليمن . سطحها
جبلى يشقه واد متسع يسير الشاطئ نحو مائة ميل ويسمى وادى الكسر . وأهم
مدن حضرموت : شبام . وأهم ثغوره : المكلة وسيحوت . وبحضرموت ، كما
باليمن آثار حضارة عربية قديمة .

(٥) مهرة — وكان جغرافيو العرب يسمونها (الشحر) وتمتد شرقا من سيحوت الى حاسك وتشتهر منذ القدم بالبخور والصمغ . وأهم تغورها : الشحر ومرباط . هذا وأرض مهرة الممتدة من حاسك الى عمان قاحلة وداخلها غير معروف بالمرّة .

(٦) عمان — هي أبعد جهات العرب من ناحية الشرق . يمتد شاطئها من رأس الحد الى الرأس المعروف برأس مسندم . وتكثر به المرافق الجيدة كما يكثر السمك بمياهه ، وأهل عمان مشهورون من قديم الزمان بالمهارة في الملاحة والاتجار مع بلاد الهند . وأما سطح عمان فجبلي يبلغ غاية ارتفاعه في الجبل الأخضر . وعاصمة عمان هي مسقط وتقع الى الشمال منها صحار عاصمة عمان القديمة .

(٧) الأحساء — وكانت تعرف في عهد الدول العربية الإسلامية بالبحرين أو هجر التي كانت عاصمتها إذ ذاك . وأما لفظ الأحساء فاسم المدينة التي أنشأها القرامطة في القرن الرابع الهجري بالقرب من هجر . والأحساء ثلاثة أقسام : قسم جنوبي ويعرف بالقواسم ، وقسم متوسط هو عبارة عن شبه جزيرة (قطر) التي تشتهر هي وجزائر البحرين باستخراج اللؤلؤ ، وقسم شمالي غربي يمتد من قطر الى الكويت ويسمى (القطيف) وأهم مدنت قطر الحفوف ، وأهم مدن القطيف الكويت التي ستكون يوما ما مركزا تجاريا عظيما لحسن موقعها الجغرافي . وأهم حاصلات الأحساء : البلح ويضرب المثل بكثرة .

بلاد العرب الداخلية

ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام : البادية ونجد والدهناء .

(١) البادية — ونطلقها مجازا على الأرض الواقعة شمال نجد والافهى عبارة عن بادية العراق والجزيرة والشام . وفي هذه البوادي بادية السماوة التي ساكنها خالد بن الوليد عند منصرفه من العراق الى الشام بأمر أبي بكر الصديق . وهي فلاة لا يأمن ساكنها الهلاك فيها عطشا وجوعا . وتلى بادية السماوة الواحة المعروفة قديما بدومة الجندل وتعرف اليوم بالحوف . وهذه الواحة واقعة على الوادي

الآتى من حوران والمعروف بوادى السرحان . وتلى الجوف صحراء (النفود) وهى
فلاة قاحلة لا ماء بها .

(٢) نجد — هضبة عظيمة تلى (النفود) ويبلغ ارتفاعها أحيانا أكثر من
٥٠٠٠ قدم، تشققها أودية تكثر زروعها وحيوانها . وأهم هذه الأودية : وادى الرمة
ووادى الدواسر . ونجد تنقسم الى أقسام : حرة خيبر فى الغرب ، والتقصيم فى الشمال
ونجد الأصيل فى الجنوب . ويقع الى الجنوب والشرق من نجد الإقليم المعروف
بالنمامة والذي يطلق العرب عليه وعلى البحرين معا اسم (العروض) . هذا وجو نجد
أصح أجواء بلاد العرب ، وأهم بلدان نجد الرياض وحائل وعنيزة ، وتترله فى الوقت
الحاضر من القبائل بنو سبيع وعنزة وقبائل تنتمى الى بنى هلال المشهورة .

(٣) الدهناء — صحراء مترامية الأطراف مجهولة الداخل تمتد من جنوبى
نجد الى الحدود الصحراوية لعمان ومهرة وحضرموت واليمن . ليست بها عيون ولا
أودية ، وانما تجودها الأمطار فى فصل المطر فتعشب فيؤمها البدو بنجائهم وإبلهم
فيرعونها نحو ثلاثة أشهر ، فاذا حل فصل الجفاف ارتحلوا عنها . ويطلق على هذه الفلاة
أسماء مختلفة ، فالقسم الواقع منها بين شرق اليمن وشمال غربى حضرموت يسمى
(صيهد) . والجزء الواقع شمال شرقى حضرموت يسمى (الأحفاف) . والجزء الواقع
شمال مهرة يسمى (وبار) تلى أنها تسمى بوجه دام (الدهناء) لحرارة رمالها . وكثيرا
ما يطلقون عليها (الربع الخالى) أى غير المعمور .

التقسيم السياسى الحاضر

إن حال بلاد العرب السياسية مضطربة فى الوقت الحاضر اضطرابا كبيرا ،
وذلك نتيجة الحرب العالمية الكبرى وزوال سلطة الدولة العثمانية عن هذه البلاد ،
غير أنه يمكننا أن نقول فى تصوير الحال السياسية العامة لبلاد العرب إن بها اليوم
من الإمارات ما يأتى :

- (١) الإمارة الزيدية في القسم الجبلي من اليمن .
 - (٢) الإمارة الإدريسية في أراضي الشافعية من تهامة اليمن وبعض تهامة عسير .
 - (٣) السلطنة السعودية الوهابية في جميع نجد بما في ذلك إقليم عسير .
 - (٤) الحكومة الهاشمية التي انحصرت في جدة .
 - (٥) إمارة آل الصباح بالكويت عند نهاية الخليج الفارسي .
 - (٦) مشيخة قطر .
 - (٧) مشيخة حضرموت وهي تحت الحماية الانجليزية .
 - (٨) سلطنة عمان المستقلة ويسكنها الخوارج الأباضية .
- ولا يمكن القول بما ستؤول اليه الأحوال السياسية في هذه البلاد، نسأله تعالى أن يوفق أهلها الى مافيه جمع شملهم وتوحيد كلمتهم ورجوعهم كما كانوا في صدر الإسلام إخوانا متحابين كلمة في نفوسهم إنه بالإجابة جدير .

فصل تاريخي موجز

في حال العرب قبل الإسلام وقيام الدولة الإسلامية
وإنتشار الدين الإسلامي

١ - كلمة في العرب قبل الإسلام

الدول العربية قبل الإسلام — إن الجزيرة العربية التي سبق وصفها قد تناوب زعامتها من قديم الزمان ثلاثة شعوب سامية يطلق عليها جميعا اسم (العرب) ولا نعلم للأسف من تاريخها السابق على الإسلام غير اليسير المستمد من آثارهم التي كشفت حديثا ببلاد اليمن وبادية الشام، ثم مما رواه الرواة من أشعارهم وأخبارهم،

وما كتبه عنهم مؤرخو الأمم المتحضرة التي عاصرتهم وأتصلت بهم كالمصريين والإغريق والروم والفرس . تلك الشعوب الثلاثة هي :

(١) العرب البائدة — الذين عاصروا الكلدانيين القدماء ومنهم العمالقة بشمالى الجزيرة والشام ومصر ، وعاد بالأحقاف ، وثمود بالمجر ، وطسم وجديس باليمامة والأنباط بشمالى الجزيرة . هؤلاء العرب قد بادوا وأتقطعت أخبارهم ، غير أننا نعلم من القرآن وبعض الآثار أنهم كانوا على حضارة راقية ولا سيما إذا اعتبرنا ما يروى عن مدينتهم (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) وقد بقى ذلك الجبل حتى غلبه على أمره جيل عربى ثان يعرف :

(٢) بالعرب القحطانية نسبة إلى جدّهم قحطان — والراجح أنهم نزحوا إلى جزيرة العرب من بعض جهات الفرات ، وكانت لهم باليمن دول اشتهرت منها « الدولة المعينية » و « الدولة السبئية » (من حوالى ٨٥٠ إلى ١١٥ ق . م) و « دولة حمير » و « التابعة » (١١٥ ق . م — ٥٢٥ م) وقد برعت العرب القحطانية فى الزراعة لخصب أرضهم ، وفى التجارة لحسن موقع بلادهم من الوجهة الجغرافية ، فكانت عروض التجارة ترد اليهم من الشرق بطريق البحر ثم ينقلونها على ظهور الجمال إلى الشام ومصر . وبرعوا كذلك فى الصناعة فدبغوا الجلود وطبعوا السيوف وصنعوا الرماح وغير ذلك . وكان لهم حكومات وملوك ومدن كبيرة منها (مأرب) و (صنعاء) وقصور فخمة ، منها : (ناعط) و (غمدان) وسدود عظيمة يستعان بها فى تخزين الماء الزائد عن الحاجة زمن المطر لينتفع به وقت الحاجة اليه كسد مأرب . هذا ولا يزال علماء الآثار من الأوربيين يجدون فى البحث عن آثار العرب القحطانية وربما أوضحوا فى المستقبل ما غمض من تاريخهم .

ولما ضعف شأن الدولة السبئية بعد القوّة وأهملت مرافق الزراعة والصناعة تصدع سد مأرب ثم أنبتق فأهلك الحرث والنسل ، ولقد أشار القرآن الكريم الى هذا الحادث فى سورة سبأ فقال (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ

وَسَمَّالٌ كُلُّوْا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً رَبُّ غَفُوْرٌ فَاعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُوْرَ (١) وربما كان ذلك في أواخر القرن الثاني الميلادي . فهاجر أكثر القبائل اليمنية من بلادهم وتفرقوا في طول الجزيرة وعرضها ، فكان منهم دولة المناذرة اللخمين التي قامت بالحيرة بالعراق وكانت خاضعة لأكاسرة الفرس (٢٦٨ م — ٦٣٢ م) ودولة الغساسنة التي قامت ببادية الشام وفلسطين وكانت خاضعة لإمبراطورة الروم (٢٠٠ — ٦٣٣ م) . ودولة كندة التي قامت بنجد وكانت مستقلة (٤٠٠ — ٥٦٠ م ؟) وخلف الدولة السبئية دولة أخرى هي دولة حمير والتابعة فكانت لها العظمة والقوة ردحا من الزمن حتى استولى الرومان على مصر واتخذوا البحر الأحمر طريقا تجاريا إلى اليمن والشرق فساعت حالها لكساد تجارتها البرية ، ونهض إليها الأحباش وتغلبوا عليها سنة ٥٢٥ م ، وبعد ذلك بقليل من الزمن زالت عنها سلطة الأحباش بفضل البطل العربي المشهور سيف ابن ذى يزن وحلت محلها سلطة الفرس ، فكان ذلك كله سببا في انتقال الزعامة على بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال فأصبحت في الجيل العربي الثالث المعروف :

(٣) بالعرب الإسماعيلية أو العدنانية — وهم أشهر الأجيال العربية لظهور الإسلام فيهم ، وهم ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل — عليهما السلام — الذي نزل هو وزوجه هاجر وولدهما إسماعيل أرض مكة وحفروا بها بئر زمزم وبنوا الكعبة ، ومن ذلك الحين أخذ اليمنيون يتوافدون على تلك البقعة ويعمرونها حتى نشأت مكة المكرمة ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله على لسان سيدنا إبراهيم (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ أَثْمَارِ لَعْلَهُمْ يَشْكُرُونَ) ونشأ إسماعيل عليه السلام بين هؤلاء اليمنية (وخاصة قبيلة جرهم) وتزوج منهم ، وعلى مر

الزمن تكاثر أبنائوه وانتشروا بالبحار ونجد وما وراء ذلك من مشارف الشام والعراق ، غير أنه بقيت منهم بمكة قبيلة كان لها فيما بعد شأن عظيم . تلك هي قبيلة قريش .

إمارة قريش بمكة — بقي أمر مكة بأيدي ملوك من جرهم . وكان لبني إسماعيل مكانة محترمة لما لأبيهم من بناء الكعبة ، ولكن لم يكن لهم من الحكم شيء . فلما كان حادث سد مأرب وأرتحال القبائل اليمنية من ديارها كان منها من عرج على مكة وهم بنو خزاعة الأزديون فخاربوا جرهما وأجلوها عن مكة وأستبدوا بحكم مكة دون قريش حتى ظهر قصي بن كلاب حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي فجمع شتات قريش ووحد كلمتهم فكان لهم بذلك قوة مكنتهم من أن يزاخوا خزاعة ويغلبوها على حكم مكة . ولم يبق بأيديهم غير سدانة البيت الحرام فأشترها قصي بزق خمر من سادنه المعروف بأبي غبشان وإلى ذلك يشير الشاعر بقوله :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت * بزق خمر فبئست صفقة الشاري .

وبذلك أصبح قصي سيد مكة والمتولى شؤون الكعبة التي كانت تحج إليها العرب من جميع أنحاء الجزيرة فكان له من مظاهر الرياسة :

(١) رياسة دار الندوة التي أنشأها بمكة وكانت تجتمع فيها قريش للفصل في أمورها العظيمة .

(٢) اللواء فكان لا تعتمد راية الحرب إلا بيده .

(٣) الحجابة وهي حجابة الكعبة فلا يفتح بابها إلا هو وهو الذي يلي أمر خدمتها .

(٤) سقاية الحاج ورفادته .

وكان لقصي من الولد ، عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وكان عبد مناف قد ساد في حياة أبيه فأراد أبوه أن يلحق به ابنه عبد الدار وكان أسن منه ، فأوصى له بما كان يليه من مصالح قريش فلم ينازع عبد مناف أخاه في ذلك ، ولما توفي ترك أربعة أولاد ، هاشما ، وعبد شمس ، والمطلب ، ونوفلا ، فنافسوا بني عمهم عبد الدار في هذه المصالح التي رأوا أنفسهم أحق بها لشرفهم وسيادتهم وكثرتهم ، وأفرقت

قريش طائفتين ، طائفة تنتصر لبني عبد مناف وطائفة تنتصر لبني عبد الدار وكاد يكون بينهم قتال لولا أنهم ألهموا الصلح على طريق لا يغض من الفريقين وهو اقتسام هذه المصالح ، فكان لبني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة ، ولبنى عبد مناف السقاية والرفادة . ثم حكم بنو عبد مناف القرعة في نصيبهم فأصبحت القرعة هاشم بن عبد مناف .

وهاشم بن عبد مناف فيما يروى أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء وكانت إلى اليمن ورحلة الصيف وكانت إلى الشام قصد الاتجار ، وربما كان ذلك على أثر المعاهدات التي أبرمتها قريش على أيدي بنى عبد مناف مع من بجوارها من الملوك . روى الطبرى فى تاريخه أن بنى عبد مناف أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم . أخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام الروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشى الأكبر ، فأختلفوا لذلك السبب إلى أرض الحبشة ، وأخذ لهم نوال حبلا من الأكسرة فأختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس ، وأخذ لهم المطلب حبلا من ملوك حمير فأختلفوا بذلك إلى اليمن . وقد آمنت الله على قريش بهاتين الرحلتين فى قوله : ﴿ لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةُ الشَّاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ .

الخلاف بين الهاشميين والأمويين — وكان ذلك الشرف كله لهاشم بن عبد مناف فأثار ذلك فيما يروى غيرة أمية بن عبد شمس وكان مثيرا من المال والبنين ولكنه مع ذلك لم يكن له من رياسة قريش شىء . وجرت بين العم وأبن أخيه منافرة غلب فيها أمية على أمره فكان ذلك بدء النزاع بين الهاشميين والأمويين .

فلما توفى هاشم خلفه أخوه المطلب ثم من بعده أبنه عبد المطلب فى السقاية والرفادة ، وتميز إمارة عبد المطلب بثلاث حوادث كبار :

(١) كشفه عن بئر زمزم التى كانت طُمّت وخفيت معالمها .

(٢) تجدد النزاع بين الهاشميين والأمويين ، وذلك أن حرب بن أمية بن عبد شمس نفس على عبد المطلب شرفه ورياسته وجرت بينهما منافرة كالتى كانت بين أبيهما فغلب حرب على أمره ، وكذلك استمر الخلاف بين الهاشميين والأمويين وكانت له فيما بعد آثار عظيمة في الإسلام .

(٣) واقعة الفيل وكانت عام ٥٧١ م . وسببها أن أبرهة الحبشى لما أقام باليمن أنشأ بصنعاء كنيسة نخمة وأراد أن يكون حج العرب إليها دون الكعبة ، فلما لم يتيسر له ذلك من طريق السلم أعزم أن يسير إلى الكعبة ويهدمها . غير أنه فشل في ذلك كما نطق به القرآن في سورة الفيل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (١) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٢) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٣) ﴾ .

وقد رزق عبد المطلب عشرة أبناء كان أحدهم عبد الله الذى ولد له سيدنا محمد عام الفيل على أصح الروايات .

الحال الدينية للعرب قبل الإسلام — قد اختلفت أديان العرب في جاهليتهم فمنهم الدهريون الذين قالوا : ما يهلكنا إلا الدهر ، ومنهم الصابئة عبدة النجوم والكواكب ، ومنهم الوثنيون عباد الأصنام والأحجار والأشجار ، ومنهم اليهود والنصارى . غير أن عبادة الأصنام كانت الغالبة عليهم وكانت الكعبة مجمع أصنامهم . ومن أشهر أصنام العرب ، ود ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، واللات ، والعزى ، ومناة ، وهبل ، والخلصة وقد ورد ذكر كثير منها في القرآن الكريم .

تلك الحال الدينية قد تغيرت بعض الشيء قبيل الإسلام إذ ظهر في حواضر الجزيرة آحاد من العرب لم تطب نفوسهم عن ذلك الضرب من التعبد ورأوا أن هناك حقيقة غابت عنهم أو هم ضلوا عنها . روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق أن قريشا اجتمعت يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم فخلص منهم أربعة نفر نجيا

(١) جماعات جماعات . (٢) طين متحجر . (٣) العصف : ورق الشجر .

هم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو، فقال بعضهم لبعض (تعلموا والله ما قومكم على شيء . لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم . ما جحر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟ . يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء) فتفرقوا في البلدان : فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية وأما عبيد الله فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم آرتد . وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر وتنصر . وأما زيد بن عمرو فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه . هذه الحركة تبين لنا ما كان وقتئذ في نفوس العرب من استعداد لقبول دين يلائم الفطرة كالدين الإسلامي .

مما تقدم كله نعلم أنه لم يكن للعرب قبل الإسلام جامعة واحدة تؤلف بينهم . فأما من الوجهة الدينية فقد رأينا تعدد نحلهم . وأما من الوجهة السياسية فقد كان منهم الخاضع للفرس كأهل اليمن أولا ومناذرة الحيرة أخيراً، أوللروم كغساسنة بادية الشام، ومنهم من لم يخضع لحكومة أجنبية وهم سائر العرب . على أنه قد كانت لهم أمور عصمتهم من التدابر المطلق : منها إجماعهم على تعظيم الكعبة واختصاصهم قريشاً بسداتها واحترامهم للأشهر الحرم واشترائكهم في إقامة الأسواق العامة التي كانوا فيها يتبايعون ويتحاكمون ويتناشدون الشعر وذلك مثل سوق عكاظ وغيره .

وإنما الرجل الذي قام بجمع شتات العرب وجعل منهم أمة واحدة ذات دين واحد وحكومة واحدة وعصية واحدة هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب سيد المرسلين وخاتم النبيين .

٢ - قيام الدولة الإسلامية وامتداد سلطاتها

نشأة محمد عليه الصلاة والسلام — ولد نبينا — كما سبقت الإشارة بمكة عام الفيل سنة ٥٧١م من أبوين قرشيين هما عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وأمنة بنت وهب بن عبد مناف . وقد توفي أبوه قبيل مولده وأمه قبل أن يبلغ السادسة

وجدته وهو في الثامنة فأصبح في كفالة عمه أبي طالب . غير أن فقر عمه دفعه الى العمل والارتزاق . وكان في مكة أرملة من فضليات النساء ذات ثروة ويسار . تلك هي (خديجة بنت خويلد) فلما رأت أمانة محمد عرضت عليه أن يسافر الى الشام للتجارة بمالها ففعل فأعجبت به وعرضت عليه أن يترجها فقبل ذلك وقد بلغ الخامسة والعشرين . فلما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله رحمة للعالمين فأخذ يذيع أصول الدين الإسلامي ويدعو اليه خاصته فأمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وصديقه أبو بكر بن حنيفة وأفراد غيرهم من كبار قريش . ثم كثر سواد المسلمين ، غير أن قريشا شق عليها ترك دينها وتسفيه أحلامها فناصبت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العداوة وتنادوا فيه حتى اضطرب بعض أصحابه الى الهجرة الى الحبشة فتركوا على ملكها ضيوفا كراما واضطر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى الهجرة من مكة الى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة من بعثته وكان قد أصبح له بالمدينة أنصار من أهلها اعتنقوا الإسلام وعرضوا عليه نصرتهم . وقد هاجر النبي الى المدينة واتخذها مستقرا له فكانت أول عواصم الإسلام .

فتح بلاد العرب ٢ - ١١ هـ — وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم منذ هاجر الى المدينة سلسلة غزوات كانت بينه وبين أعدائه من يهود المدينة وقريش مكة وسائر القبائل العربية وانتهت بأن عم الإسلام جزيرة العرب ، ونحن نذكر أهم هذه الغزوات على سبيل الإجمال .

غزوة بدر سنة ٢ هـ — بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش آتية من الشام وعليها أبو سفيان بن حرب فأراد أخذها فنهضت قريش لحمايتها . والتقى الجمعان قريبا من المدينة على ماء بدر في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ . فانتصر المسلمون على قلة عددهم وكثرة عدوهم وقتلوا جمعا من صناديد قريش فيهم (أبو جهل بن هشام) ألد أعدائه عليه الصلاة والسلام . ومعركة بدر من معارك التاريخ الفاصلة ، فقد اعتر بها الإسلام وقوى شأن المسلمين كما ستري .

وعلى أثر واقعة بدر نرحل النبي صلى الله عليه وسلم الى بنى قينقاع وهم قبيلة يهودية بالمدينة قد تقضت عهدها مع النبي وآذت المسلمين فأخرجها من المدينة .

غزوة أحد سنة ٣ هـ — صممت قريش على الثأر لنفسها ممن انتصر عليها في واقعة بدر . فخرجت بقيادة أبي سفيان تريد المدينة فخرج اليهم النبي صلى الله عليه وسلم عام ٣ هـ . والتقى بهم عند جبل أحد وكاد النصر يكون للمسلمين ، لولا أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خالف أمره فانكشف المسلمون وحل عليهم من خلفهم خالد بن الوليد حملة شديدة اضطرت كثيرا من المسلمين الى الفرار ، وجرح النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وكادت الدائرة تدور على المسلمين لولا أن قريشا اكتفت بأن قتلت من المسلمين بقدر من قتلوا منها في واقعة بدر وثنت الأعنة راجعة الى مكة . وعلى أثر تلك الواقعة علم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بنى النضير يأتمرون بقتله فخرج اليهم وأخرجهم من المدينة الى خيبر ^(١) .

غزوة الخندق سنة ٥ هـ — وتعرف أيضا بغزوة الأحزاب ، لأن كثيرا من قبائل العرب ويهود خير ظاهر وا فيها قريشا وساروا جميعا الى المدينة يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين وحاصروا المدينة ولكنهم لم يستطيعوا أخذها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حصنها وحفر حولها بإشارة سلمان الفارسي خندقا عميقا . وكان القتال في تلك الغزوة قاصرا على المبارزة الفردية والتراحم بالنبل . وأخيرا اجتمعت على الأحزاب سياسة النبي صلى الله عليه وسلم التي فرقت ألفتهم ومطر وريح وجنود سلطها الله عليهم ، فكانت تكفأ قدورهم وتقلب أخبيتهم فارتدوا عن المدينة ولم يبلغوا مراما .

صالح الحديبية سنة ٦ هـ — وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة ، ثم خرج يريد مكة معتمرا لا محاربا وسار حتى بلغ (الحديبية) وكانت قريش قد سمعت بقدمه فتأهبت للدود عن بلدها ، وبعد

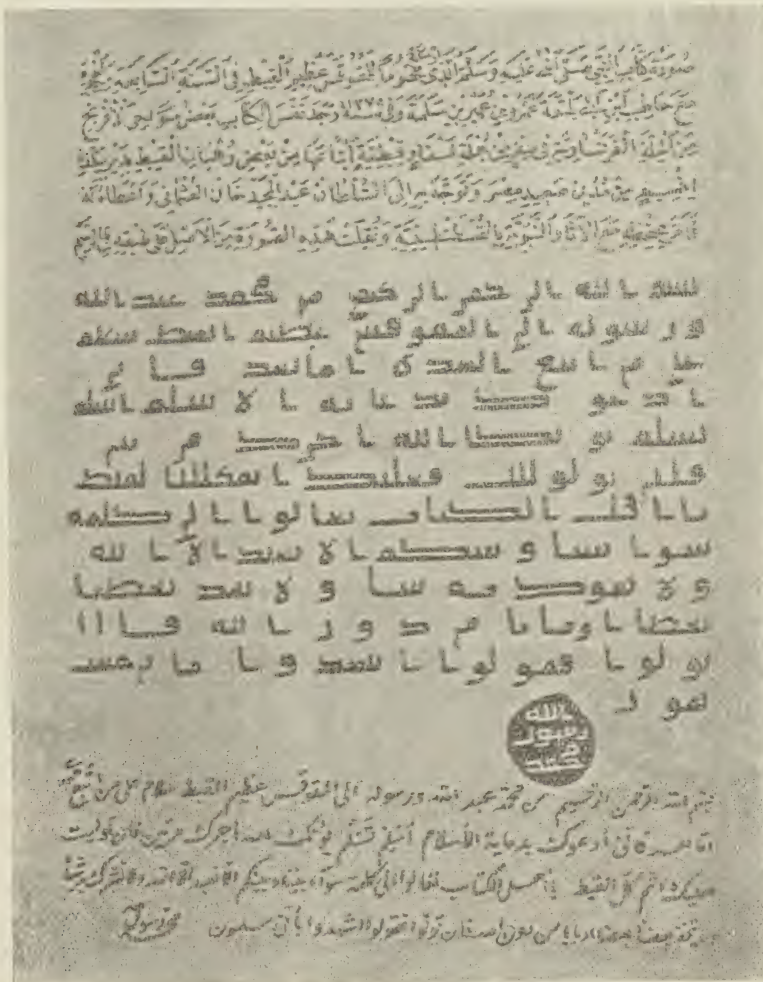
(١) وسيأتى تفصيل هذه الغزوة عند الكلام على زيارتنا لأحد .

أخذ ورد عقد الفريقان الصلح على أن يكون بينهما هدنة لمدة عشر سنوات ، وعاد المسلمون من غير أن يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت .

وبتلك الهدنة أمن المسلمون شرقرش وأصبحوا مطلق الحرية يروحون ويحيثون كيف شاءوا وعظم نفوذ النبي صلى الله عليه وسلم ، فكتب الى ملوك الدول المجاورة لبلاد العرب يدعوهم الى الإسلام ، فمنهم من أسلم كنجاشي الحبشة ومنهم من ردّ ردا جميلا كهرقل قيصر الروم والمقوقس حاكم مصر — أنظر كتابه صلى الله عليه وسلم

كُتِبَ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَقُوقِسِ

A copy of the letter of the prophet Mohammad to El Mokawkas.



الى المقوقس رسم ٣٢٠ — ومنهم من ردّ ردّا قبيحا وأهان رسول النبي ، كالحارث ابن شمر الغساني وكسرى الفرس .

فتّح خيبر سنة ٥٧ هـ — على أن المسلمين ، وإن كانوا قد أمنوا شر قريش بصالح الحديبية ، كان لهم عدوّ بالقرب منهم يتربص بهم الدوائر . ذلك العدو هو يهود خيبر الذين لم ينسوا ما حل بهم وبإخوانهم . فسار اليهم النبي عليه الصلاة والسلام ونازل حصونهم واستولى عليها كلها .

ولما حال الحول على عمرة الحديبية ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا فأخذت قريش مكة على حسب شرطها في صلح الحديبية . وقضى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مناسك الحج ثم عاد الى المدينة . وكان لتلك الحجة أثر كبير في نفوس قريش ، حتى إن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما دخلوا في الإسلام على أثرها .

فتّح مكة سنة ٥٨ هـ — كان صلح الحديبية يقضى بأن يسود السلم بين المسلمين وقريش عشر سنوات ، ولكن قريشا نقضت عهدها واعتدت على بعض أحلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، فسار النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه معتمرا فتّح مكة . وخرج أبو سفيان يتجسس الأخبار فظفرت به جنود النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسعه إلا أن يسلم ، وعند ذلك منحه النبي من العفو ما لم يكن يطمع فيه وخلي سبيله . فعاد أبو سفيان الى مكة وحمل أهلها على الاستسلام لمن لا يستطيعون مناهضته . فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تلك البلدة التي طالما جاهدته وأذته وكان بوسعه أن ينتقم منها أشدّ الانتقام ، ولكنه عفا عن أهلها وقال لهم : « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم سار الى الكعبة فكسر ماحولها من الأصنام . وقد أعقب ذلك أن أسلم أهل مكة جميعا .

غزوة حنين سنة ٨ هـ — فلما رأت ذلك قبيلة هوازن، وكانت منازلها بالقرب من مكة، توقعت أن يغزوها النبي صلى الله عليه وسلم فأجمعت على أن تغزوه قبل أن يغزوها، وانضمت إليها ثقيف وقبائل أخرى. فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك سار إليهم والتقى بهم في وادي حنين في طريق وعرة. فبغته العدو، وكادت الهزيمة تدور عليه، لولا ثباته وشجاعة الأنصار فإنهم أعادوا الكرة على الأعداء وهزم موهم وغنموا أسلابهم.

غزوة تبوك سنة ٩ هـ — كان النبي صلى الله عليه وسلم في سنة ٨ هـ قبل فتح مكة قد أرسل جيشا بقيادة زيد بن حارثة، إلى عرب بادية الشام فتكاثر الروم والعرب على ذلك الجيش وقتل زيد بن حارثة، ولولا تدير خالد بن الوليد لأبيد الجيش كله. فلما كان عام ٩ هـ. بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم يجمعون له فحشد جيشا جرارا تبلغ عدته ثلاثين ألف مقاتل واتجه به نحو الشمال. على أنه لم يلتحم بالروم بل بسط نفوذه على القبائل العربية الشمالية، بأن فرض الجزية على (آيلة) (دومة الجندل) وغيرهما، ثم عاد وكانت هذه آخر غزواته عليه الصلاة والسلام. وفي ذلك العام أخذت العرب تدخل في دين الله أفواجا وكثرت الوفود على النبي صلى الله عليه وسلم قادمة من جميع أنحاء الجزيرة العربية، فكان عليه الصلاة والسلام يرسل معهم من أصحابه من يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين.

حجة الوداع ووفاته عليه الصلاة والسلام — ولما كانت السنة العاشرة حج النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه آخر حجة له، وخطب الناس في هذه الحجة خطبة بالغة مؤثرة تعرف (بخطبة الوداع) أوضح للناس فيها كثيرا من أمور الدين وألقى عليهم فيها من النصائح الغالية الثمين، وقد تقدمت الحجة بالتفصيل وسيأتى نص الخطبة. ثم عاد إلى المدينة المنورة.

وفي أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة اعتلت صحته عليه السلام فاستأذن نساءه في أن يمرض في بيت زوجته السيدة (عائشة) فأذن له. ولما كان

يوم الاثنين ١١ ربيع الأول من سنة ١١ هـ . لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى وقد خلف وراءه ديناً يسيراً الفطر والعقول هو الدين الإسلامي ، وأمة بالمعنى الصحيح هي الأمة العربية ووضع أساس دولة سيكون لها شأن عظيم هي الدولة الإسلامية .

٣ - انتشار الدين الإسلامي بالسياسة

الحرب بين العرب وبين الروم والفرس

مقدمة - وضع النبي عليه الصلاة والسلام أساس الدولة العربية ، وفي الأرض دولتان كبيرتان هما دولة الروم المسيحية ودولة الفرس المجوسية . فأما دولة الروم فكانت قد أصابها الضعف وتفرق الكلمة ، لضعف إمبراطرتها من بعد جستنيان وللزاع الديني الذي كان قائماً بين الملكانية والنساطرة بالشام ، وبين الملكانية واليعاقبة بمصر . هذا النزاع قد فضل في الحقيقة هذين القطرين عن الدولة الرومانية من الوجهة الدينية وجعلهما على وشك الانفصال عنها من الوجهة السياسية .

وأما دولة الفرس التي كان يحكمها المتأخرون من ملوك الأسرة الساسانية فلم تكن حالها خيراً من حال الدولة الرومانية ، وذلك لأسباب كثيرة منها ظهور نحل دينية غريبة مفسدة للنظم الاجتماعية ، وضعف المتأخرين من ملوك الأسرة الساسانية ، وكثرة الطامعين في ملكهم من أقربائهم وقواد جيوشهم ، وحروبهم الكثيرة مع الدولة الرومانية .

تلك حال الدولتين اللتين اصطدمت بهما الدولة العربية الناهضة فزعزعت أركان الأولى وقوضت دعائم الثانية ، وذلك أن أبا بكر الصديق أول خلفاء الإسلام بعد أن قضى على حركة (الردة) التي ظهرت في جزيرة العرب قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأعاد إلى هذه الجزيرة وحدتها السياسية ، انتهز عودة الجيوش العربية الظافرة فسير بعضها إلى الشام والبعض الآخر إلى العراق لفتح بلاد هي عربية قبل

كل شيء ، ألا وهي بلاد الغساسنة والمناذرة ، ولكن القتال مع هؤلاء ترقى بطبيعة الحال الى قتال مع الدولتين الحاميتين لهم أى مع دولتي الروم والفرس . ونحن متكلمون أولا على الحروب التي نشبت بين العرب والروم وانتشار الإسلام في الشام ومصر وشمالى أفريقية وأسبانيا . ثم نعود فتكلم على نشوب الحرب بين العرب والفرس وانتشار الإسلام في الأقطار الآسيوية التي دخلها الإسلام قرين السياسة .

(١) فتح الشام

سير أبو بكر الصديق الى الشام جيشا ضخما تبلغ عدته ٣٥٠٠٠ مقاتل ، وكان أربعة أقسام :

- (١) قسم يقوده أبو عبيدة بن الجراح وكانت وجهته حمص .
- (٢) وقسم يقوده يزيد بن أبي سفيان وكانت وجهته دمشق .
- (٣) وقسم يقوده شرحبيل بن حسنة وكانت وجهته وادى الأردن .
- (٤) وقسم يقوده عمرو بن العاص وكانت وجهته فلسطين .

واقعة اليرموك سنة ١٣ هـ — فلما رأى ذلك هرقل امبراطور الروم قدم بنفسه الى حمص ، ومن ثم وجه أربعة جيوش تبلغ عدتها ٢٤٠٠٠٠ مقاتل لسحق الجيوش العربية . فلما رأى قواد العرب ذلك اتفقوا فيما بينهم على أن يجمعوا جيوشهم في صعيد واحد وأن ينزلوا جميعا اليرموك . فأمر هرقل قواده أن ينزلوا اليرموك أيضا وبقى الجمعان متواقفين ثلاثة أشهر ، فأوجس أبو بكر في نفسه خيفة على المسلمين وأمر خالد بن الوليد بالسير من العراق الى الشام ، فقدم خالد وعهد اليه قواد العرب أمر القيادة ، فعبأ الجيوش تعبئة قائد خبير ثم حمل على الروم فهزمهم وأفنى أكثر جيشهم وانتصر العرب انتصارا مبينا . وفي أثناء المعركة جاء البريد بوفاة أبي بكر وتولى عمر بن الخطاب وعزل خالد عن القيادة العليا وجعلها لأبي عبيدة ، وذلك لأمر كان ينقمها عمر من خالد .

وكانت واقعة اليرموك فاصلة في أمر الشام، فقد استولى أبو عبيدة وخالده بعدها على دمشق وعلى مدن الساحل وكذلك حمص واللاذقية وقنسرين وحلب، واضطر هرقل أخيرا إلى الفرار إلى القسطنطينية .

فتح القدس سنة ١٥ هـ — وفي أثناء ذلك كان عمرو بن العاص يجتهد في فتح فلسطين . وكان أرطبين حاكم فلسطين قد بث الجند في بيت المقدس وغزة والرملة، وورابط بجيشه في أجنادين شرقي بيت المقدس . ففصل عمرو فصائل من جيشه لمراقبة تلك الجنود ، ثم زحف بمعظم الجيش إلى أرطبين فهزمه عند أجنادين واضطره إلى الفرار إلى مصر . واستولى عمرو عقب الواقعة على مدن الساحل الفلسطينية . وأما بيت المقدس فحاصره أربعة أشهر وأبى بطريقه (سفرونيوس) أن يسلم المدينة لأحد غير الخليفة نفسه . بخاء عمر فلسطين وتسلم المدينة وأبني بها مسجده المشهور .

(ب) فتح مصر والنوبة

عند ما قدم عمرو بن الخطاب إلى بيت المقدس لتسليمه سنة ١٥ هـ . اقترح عليه عمرو بن العاص أن يبعثه بجيش لفتح مصر فلم يجبه عمر إلى ذلك . فلما كان عام ١٨ هـ . واضطربت حال الشام عقب طاعون (عمواس) قدم عمر إلى دمشق فأعاد عمرو اقتراحه . وقد أجابه الخليفة هذه المرة وهو متخوف متردد . ومن الحجج التي أدلى بها عمرو تبريرا لما طلب : (١) أن مصر مضطربة الحال مفتحة الأبواب ؛ (٢) أنها غنية جدًا ؛ (٣) أن أرطبين الذي كان حاكم القدس قد لجأ إليها وأخذ يحشد الجنود ليسترد الشام .

زحف عمرو على مصر — غادر عمرو قيسارية على رأس ٤٠٠٠ مقاتل وبلغ العريش سنة ١٨ هـ . ثم سار منها إلى الفرما فاستولى عليها من غير جهاد كبير وجردها من معدات دفاعها ، ثم سار إلى بابيس ملتزمًا حدود الصحراء فلما بلغها قاتل

الروم عندها وقتل قائدهم أرطبين واستولى على البلد، ثم تركها الى قرية أم دنين الواقعة على رأس الدلتا^(١).

واقعة عين شمس سنة ٢٠ هـ — على أن عمرا أدرك حرج موقفه فأرسل الى الخليفة يستمدّه وشغل جنده في أثناء ذلك بغزو الفيوم، فلما جاء المدد وقدره ٤٠٠٠ مقاتل عسكر بجميع جنوده شمالى عين شمس ثم التقى بالروم في واقعة عين شمس المشهورة وهزمهم هزيمة كان من أثرها سحق الجيش الرومانى والاستيلاء على الإقليم المسمى مصر الواقع عند رأس الدلتا وإتمام إخضاع الفيوم والشروع في حصار حصن بابليون.

أخذ حصن بابليون سنة ٢٠ هـ — وكان المقوقس رئيس بطركية الإسكندرية في ذلك الوقت داخل الحصن وكانت له مآرب سياسية يؤدّ الوصول إليها بكل الوسائل، فأخذ يئس الروم من الانتصار على العرب وأستطاع أن يبعث وفدا الى جزيرة الروضة لمفاتحة العرب في أمر الصلح فلم يفلح الوفد أولًا، ثم عقد الصلح أخيرا على أن يؤدّى الروم للعرب الجزية، وكتب المقوقس معاهدة بذلك وبعث بها الى هرقل ليقترها. فدهش الامبراطور لذلك ولم يقتر المعاهدة بل استدعى المقوقس الى القسطنطينية، فلما رأى العرب ذلك واصلوا الحصار وبنماهم كذلك اذ بلغهم موت هرقل فكان ذلك مثبطا للرومان مقويا للعرب، وتسوّر الزبير بن العوام الحصن وتبعه الجند، فاستسلمت الحامية الرومانية لهم.

فتح الاسكندرية سنة ٢١ هـ — وعلى أثر ذلك شرع عمرو في الزحف الى الإسكندرية فالتقى بالروم في طريقه اليها عند دمنهور، فهزمهم في واقعة كبيرة انحاز بعدها الجيش الرومانى الى الإسكندرية واقتفى العرب أثرهم. وكانت الإسكندرية اذ ذاك مدينة عظيمة حصينة بها نحو ٥٠,٠٠٠ مقاتل وكانت فوق ذلك مفتوحة من ناحية البحر. لذلك ترك عمرو بظاهرها جيشا يحاصرها ثم سار هو لفتح المدن

(١) وموقعها الآن ما بين الأزبكية وعابدين.

الساحلية . وفي أثناء ذلك عاد المقوقس الى الاسكندرية وأخذ يعمل على إنفاذ مآربه القديمة . وقد أفلح سعيه هذه المرة اذ أقنع الامبراطور الجديد بضرورة تسليم الاسكندرية . ثم شرع يفاوض عمرو بن العاص في شأن الصلح والتقى به في بابليون وعقدا معاهدة تقضى بأن تؤدى الجزية للمسلمين وأن تجلو الجيوش الرومانية عن الاسكندرية والا يتدخل المسلمون في الشؤون الدينية المسيحية وأن يسمح لليهود بالاقامة بالاسكندرية مع شروط أخرى . وبمقتضى هذه المعاهدة دخل العرب الاسكندرية وتم لهم الاستيلاء على مصر . ثم غزوا على أثر ذلك بلاد النوبة وصالحوا ملكها على جزية يؤديها لمصر كل عام .

(ج) فتح بلاد المغرب

لم يكد عمرو بن العاص يفرغ من مصر حتى شرع في الزحف غربا وقد تم له فتح الاقليم المعروف بيرة ثم صار ولاية مصر من العرب من بعده يعملون على إخضاع بلاد المغرب وإدخال الإسلام فيها فكانوا يلقون في ذلك عناء عظيما وذلك لوعورة أرض المغرب وتنايبها عن المشرق ولاستبسال البربر في القتال زمن الحرب وعدم إخلادهم الى الهدوء زمن السلم ولأن الروم كانوا يساعدون البربر احتفاظا بسلطانهم في تلك البلاد بعد أن زال سلطانهم عن الشام ومصر . هذه الصعاب كلها جعلت الإسلام يسير في بلاد المغرب سيرا بطيئا بل جعلته أحيانا يرجع القهقري ، كما حدث عند ما تجمع الروم والبربر على عقبة بن نافع وقتلوه هو ومعظم جيشه سنة ٦٢ هـ . وعند ما ثاروا زهير بن قيس البلوى وقتلوه ، وعند ما قامت الكاهنة (دهياء) والتف البربر حولها (٧٤ - ٧٩ هـ) على أن البربر نزلوا أخيرا على حكم العرب عند ما عهد أمر إخضاعهم الى القائد الكبير موسى بن نصير فإنه قمع فتنهم ونشر فيهم الإسلام .

(د) فتح الأندلس

بعد أن تم نصير أمر المغرب ولى على طنجة وما حولها مولاه طارق ابن زياد وعاد هو الى القيروان عاصمة المغرب لذلك العهد . وكانت حال الأندلس

في ذلك الوقت مختلفة معتلة لضعف الحكومة القوطية التي كانت تحكمها . فطمع طارق في فتحها فعبر الزقاق (مضيق جبل طارق) بإذن موسى سنة ٥٩٢ هـ . ونزل بشاطئ أسبانيا الجنوبي والتحم بالقوط يقودهم ملكهم (رذريق) في معركة عظيمة على النهر المعروف بوادي بكة . فهزمهم واستولى على المدن الأندلسية الجنوبية ثم سار الى طليطلة عاصمة الدولة القوطية واستولى عليها . وعند ذلك التحق به موسى ابن نصير ليفوز بشرف الفتح وسار القائدان العظيمان معا يفتحان مدن الأندلس حتى بلغا جبال البرانس وبذلك أصبحت أسبانيا (ما عدا الجزء الشمالى الغربى) يخضع عليها علم الدولة الإسلامية . وقد أتيج لتلك الأرض أن تقوم بها للمسلمين دولة عظيمة هي الدولة الأموية الأندلسية وحضارة رائعة يذكرها التاريخ بكل إعجاب .

(هـ) قيام البحرية الإسلامية وفتح أكبر جزائر

البحر الأبيض المتوسط

كان الباعث للعرب على إنشاء الأساطيل البحرية خوفهم من غارات الروم على الشام ومصر من ناحية البحر . وقد أنشأ معاوية بن أبى سفيان أيام ولايته على الشام لعثمان بن عفان أسطولا لهذا الغرض وجعل عليه عبد الله بن قيس الحارثي . وقد فتح هذا الأسطول جزيرة قبرس وساعده في ذلك الأسطول المصرى يقوده عبد الله بن سعد بن أبى سرح .

واستولى المسلمون بمرور الزمن على أهم جزائر البحر الأبيض المتوسط ، ففي عام ٢١٠ أخرج عبد الله بن طاهر والى مصر مهاجرة الأندلس من الاسكندرية الى اقريطش (كريت) بعد أن زودهم بالمال والسلاح فساروا اليها وافتتحوها ونشروا فيها الاسلام . وافتتح المسلمون جزائر البليار عند فتحهم أسبانيا في أواخر القرن الأول الهجرى . وكذلك افتتحت الدولة الأغلبية التي كانت حاكمة تونس (١٨٤ - ٥٢٩٦ هـ) جزيرة صقلية وجنوبى إيطاليا فكان ذلك سببا في قيام حضارة إسلامية بصقلية

لا يزال بعض آثارها ماثلا الى اليوم . فلما ظهر الترك العثمانيون استولوا على رودس وكثير من جزائر بحر الأرخبيل وأدخلوا فيها الإسلام .

(و) فتح العراق (١٢ - ١٤ هـ)

كانت وقائع خالد بن الوليد وغيره من قواد العرب مع المرتدين في ايمامة والبحرين يتطايروا شررها الى القبائل العربية النصرانية النازلة ببادية العراق والمحتمية بالحكومة الفارسية فكانت الحال لا تخلو من قتال بين الفريقين . هذا هو السبب القريب في قيام الحرب بين العرب والفرس غير أنه كان ثمة سببان جوهريان لهذه الحرب هما رغبة أبي بكر في نشر الاسلام وشغل العرب بالجهاد بعد حروب الردة . لذلك أمر خالد بن الوليد بعد انتهائه من واقعة ايمامة أن يسير الى العراق وينضم بجيشه الى جيش المثنى بن حارثة الذي كان يقاتل في البحرين . وكذلك أمر عياض بن غنم أن يلحق بهما . فاجتمع جيشا خالد والمثنى وكانت عدتهما نحو ٢٠,٠٠٠ مقاتل والتقى خالد بالفرس في وقعة (الحفير) فكان النصر لخالد . وقد أثار ذلك الانتصار عصبية بكر وتغلب النازلتين غربى الفرات وبعثهما على طاب الثأر لمن قتل خالد منهم ، وانضم اليهم كثير من الجند الفارسي . فلما علم بذلك خالد سار اليهم والتقى بهم في وقعة (الليس) وانتصر عليهم بعد قتال عنيف .

وزحف خالد بعد ذلك الى الحيرة عاصمة المناذرة فاستسلمت اليه بشروط معينة ثم ذهب لنجدة عياض بن غنم عند دومة الجندل فاستولى على هذه البلدة وعاد الى الحيرة والتقى بتغلب والفرس في واقعة الفراض وانتصر عليهم . ثم خرج الى الحج خفية وعاد ولم يشعر جنده بذلك . فلما علم أبو بكر بحججه هذا عتب عليه وأمره بأن يتوجه بنصف الجيش الى الشام حيث كان المسلمون مرابطين باليرموك كما تقدم القول فأطاع خالد واستخلف على بقية جيش العراق المثنى بن حارثة .

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ — رأى المثنى بن حارثة بعد ارتحال خالد قلة جنده وخرج موقفه فخف الى المدينة ليخبر أبا بكر بحقيقة الحال فوجده في مرضه

الأخير . فلما تولى الخلافة عمر بن الخطاب كان أول ما عمله أن نفذ مشيئة أبي بكر فأرسل مددا إلى المشي يقودهم أبو عبيدة بن مسعود الثقفي . فانتصر أبو عبيدة في أول الأمر على الفرس ولكنه خالف نصيحة القائد المجرب المشي بن حارثة فاشتبك مع الفرس في واقعة الجسر التي انتهت بقتله وفناء معظم جيشه . فلما بلغ الخليفة ذلك جد في إرسال الجند إلى العراق . أما المشي فتراجع إلى حدود الصحراء واستمد من يليه من القبائل العربية النصرانية فأمدوه عصبية منهم لإخوانهم العرب واشتبك مع الفرس في واقعة البويب فكان النصر له عليهم .

في ذلك الوقت تولى على الفرس شاب حمي هو يزيد جرد آخر آل ساسان فعزم على طرد العرب من بلاده وساق على العراق ١٢٠,٠٠٠ مقاتل يقودهم قائده رستم . فرأى المشي أن لا قبل له ببقاء ذلك الجيش الجرار وتراجع مرة أخرى إلى الصحراء ريثما ترد عليه النجدة من المدينة . ولكنه لم يمد له في عمره حتى يرى آثار إخلاصه وحسن بلائه فقد توفي بعد قليل من الزمن من جراح أصابته في واقعة الجسر .

ومن حسن حظ الجيش العربي أن أدركته النجدة يقودها سعد بن أبي وقاص . رابط سعد في سهل القادسية بجيش يبلغ (مع مدد جاء من الشام أثناء القتال) ٤٠,٠٠٠ مقاتل . وكان الجيش الفارسي حياله على الجانب الشرقي للفرات . وظل الجيشان متواقفين مدة طويلة حتى نفذ صبر يزيد جرد وأمر رستم ببدء القتال فعبه رستم الفرار ونشب بين الفريقين قتال عظيم دام ثلاثة أيام ثم انجلى عن انتصار باهر للعرب . وكانت تلك الواقعة فاصلة في شأن العراق فانها استتبعته ارتجاع الحيرة وما والاها من المدن التي كانت سقطت في أيدي الفرس ثم الزحف إلى المدائن عاصمة الفرس وأخذها . كذلك كان من نتائجها فرار يزيد جرد واستيلاء العرب على الأرض الواقعة جنوبي الموصل وقرقيسيا . وعند ذلك أمر الخليفة سعدا ألا يتابع الفتح واكتفى من بلاد الفرس بالعراق . فاتخذ سعد المدائن مقرا له وشرع ينظم شؤون الحكومة الجديدة . غير أن غارة من الفرس على العرب كانت السبب في واقعة

جلولاء التي استولى بها العرب على حلوان . وفتر يزدجرد الى الري وأصبحت جبال
زجروس حدًا فاصلا بين العرب والفارس .

(ز) فتح فارس

واقعة نهاوند سنة ٢١ هـ — على أن عمر بن الخطاب اضطر لأن يأذن
للعرب بمناجزة الفرس لتوالى غارات هؤلاء عليهم . فأمر سعد بن أبي وقاص أن
يسير الجنود بقيادة النعمان بن مقرن لقتال الفرس فالتقى النعمان أخيرا بالفرس قرب
نهاوند وانتشب بين الفريقين قتال عنيف قتل فيه النعمان بن مقرن فقام مكانه حذيفة
ابن اليمان فحمل على الفرس وهزمهم شر هزيمة .

وكانت هذه الواقعة فاصلة في شأن فارس اذ استتبعت استيلاء العرب على
همذان والري كما استتبعت فرار يزدجرد الى ما وراء النهر (حيث توفي في خلافة عثمان)
ثم أمر عمر ففتح العرب الأقاليم الفارسية التي لم تكن فتحت .

(ح) فتح أواسط آسيا ودخول الإسلام فيها

حدث في فارس بعد وفاة عمر بن الخطاب خروج عام على العرب فأمر
عثمان والى البصرة عبد الله بن عامر بأن يجمع هذه الثورة ، فقام ابن عامر بذلك
سنة ٣١ هـ . ثم تابع الزحف متجها شمالا بشرق فاستولى على أكبر مدن خراسان
وهي نيسابور ومرو وسرخس وبلغ بلخ وطخارستان . فلما كان عصر الخليفة الأموي
الوليد بن عبد الملك فتح العرب الاقليم المسمى « ما وراء النهر » (٨٦ — ٩٦ هـ)
وكان فتحه على يد قتيبة بن مسلم عامل خراسان ، فاستولى على بخارى سنة ٨٨ هـ .
وسمرقند سنة ٩٢ هـ . وبلغ حدود الصين سنة ٩٦ هـ . وأصبح الإسلام دين أهل
تلك البلاد وزهت بها المدنية الاسلامية زهاء عظميا .

(ط) فتح الهند وانتشار الإسلام فيها

قد بلغ العرب في فتوحهم الاسلامية الأولى جهات الهند الشمالية ولكنهم لم يستقروا بها ولا استداموها إقليما تابعا لهم . فلما كانت ولاية الحجاج على العراق والمشرق وجه الى الهند محمد بن القاسم سنة ٩٢ هـ . لفتحها ونشر الاسلام فيها . فسار ابن القاسم في جيش لا يزيد عن ١٠,٠٠٠ مقاتل ففتح السند والبنجاب ، ووقف الفتح العربي عند هذا الحد لا اضطراب أمر بني أمية وظل إقليم السند زهاء قرنين من الزمان يحكمه أمراء من العرب .

على أن الفتح الحقيقي لبلاد الهند ونشر الاسلام فيها إنما جاء على أيدي أتراك خراسان لا عرب الجزيرة . وقد قام بذلك العمل الجليل أربع دول تاريخها في الحقيقة متصل غير منفصل الأولى الدولة الغزنوية التي حكمت بلاد الأفغان والبنجاب (٣٥١ - ٥٨٢ هـ) وكان أكثر رجالها جدّا في فتح الهند محمود بن سبكتكين . الثانية الدولة الغورية التي حكمت بالأفغان وبلاد الهند (٥٤٣ - ٦١٢ هـ) وقد دان لها سهل الهندستان كله . الثالثة دولة سلاطين دهلي (٦٠٢ - ٩٦٢ هـ) وكان مقر حكومتها بالهند نفسها لا خارجها كما كانت الحال من قبل . الرابعة دولة المغول بالهند كلها (٩٣٢ - ١٢٧٥ هـ) وقد انبسط سلطانها على الهند كلها تقريبا وظلت كذلك حتى اضمحلت وآلت الزعامة على الهند الى الانجليز في أواسط القرن الثالث عشر الهجري .

ولا بأس بأن نلّم في هذا المقام بأهم الأمور التي مكنت المسلمين وهم فئة قليلة أجنبية من أن ينزلوا بلاد الهند على سعتها وكثرة سكانها واختلاف نحلها ويؤسسوا لهم بها الدول ذات الأعمار الطويلة . إن الهنود على الرغم من كثرتهم الهائلة كانوا طوائف متقاطعة متخاذلة من الوجهتين السياسية والأدبية . وكان سوادهم الأعظم من طبقة الزراع المستضعفة من قديم الزمان والتي أمات الاستبداد ما بها من حب الاستقلال فأصبحت لا تهتم لسقوط حكومة وقيام أخرى ما دام الكفاف من

العيش ميسورا لها . لذلك قلما نجد الهنود يناهضون المسلمين . أما المسلمون فكانوا بإزاء ذلك يدا واحدة يقاتلون لنصر الاسلام ونشره بين الوثنيين . ثم إن الديمقراطية التي يتصف بها الاسلام قد جعلت كثيرا من الهنود يدخلون في الاسلام في حين أن من لم يدخل فيه كان يفضل حكومة المسلمين الأجنبية على حكومة (الراجات) الوطنية لأن الأولى كانت أبرّ بهم وأرحم .

(ى) دخول الاسلام في جنوب أوروبا الشرقى

للتürk فضل كبير في نشر الدين الاسلامى فهم الذين نشروه في بلاد الهند كما تقدم القول ، وهم الذين عملوا على حفظه من غلبة التشيع في القرن الخامس الهجرى كما يعلم المطالع على تاريخ السلاجقة ، وهم الذين رفعوا لواءه ردحا من الزمن بجنوب أوروبا الشرقى .

والترك عامة فرع من الجنس التترى الذى حكم كثيرا من البلاد الآسيوية في الأزمنة القديمة . ومواطن الترك الأصلية هى سهول بحرقزوین وبحر آرال وما وراء النهر وما والاها من الجهات . وقد تدرّجوا في الظهور في التاريخ الاسلامى فكانوا أول الأمر خدما في بيوت الأمراء وقصور الخلفاء بخندا فولاة أقاليم فسلطين إبان حكم السلاجقة وخلفائهم من الأتابكة ، ولما جاء التتار في القرن السابع الهجرى قضوا على بقايا السلاجقة إلا دولة الروم السلجوقية بآسيا الصغرى فانها امتنعت عليهم حيناً من الزمن . وكان من بين القبائل التركية الخراسانية التي سارت مغربة فرارا من التتار قبيلة صغيرة تعرف (بالأوغوز) يبلغ عددها ٤٠٠ فارس . تلك القبيلة هى أس الترك العثمانيين الذين أتموا فتح آسيا الصغرى وأقاموا دولة إسلامية عظيمة بجنوب أوروبا الشرقى .

سار بهذه القبيلة زعيمها المسمى (أرطغرل) يرتاد لقومه منتجعاً فأدّى به السير الى آسيا الصغرى . وبينما هو ذات يوم يطالع اذ رأى فيما يروى جيشين يقتتلان وآتس في أحدهما علائم الانهزام . فأنحاز اليه كرماً منه فتغيرت بذلك حال الجيشين

المتحاربين اذ انهزم الذي كان هازما وغلب الذي كان من قبل مغلوبا . وما لبث أرطغرل أن علم أنه نصر السلطان علاء الدين السلجوقي على جيش تترى . واعترافا له بتلك اليد البيضاء أقطعه السلطان المذكور أرضا له على حدود الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى عرفت فيما بعد (بسلطانوني) ذلك الإقطاع هو أس الدولة التركية العثمانية .

نمو الدولة التركية — ولبث أرطغرل أميرا على ذلك الإقطاع حتى توفي سنة ٦٨٠ هـ . فتولى بعده ابنه عثمان الذي ينسب اليه الترك (٦٨٠ — ٧٢٦ هـ) فثبت قدمه في إقطاعه ، ثم شرع في الاستيلاء على الحصون البيزنطية التي نتاخم أرضه حتى قارب (بروسه) ، وفي عام ٦٩٩ هـ . قضى التتار على الدولة السلجوقية بآسيا الصغرى فكان ذلك سببا في استقلال سلطانوني ومن ذلك الحين أخذ سلاطين الترك يعملون من جهة على إخضاع جميع آسيا الصغرى لسلطتهم ومن جهة أخرى على التدخل في شؤون الدولة البيزنطية بقصد الاستفادة من ضعفها ثم إسقاطها والحلول محلها . وقد تم لهم ذلك كله . والذي بدأ سياسة الفتح الأوربية هو أرخان ابن عثمان (٧٢٦ — ٧٦١ هـ) فانه بعد أن نظم شؤون دولته وأنشأ جيش الانكشارية الشهير أخذ يتدخل في الشؤون الأوربية وكانت الدولة البيزنطية اذ ذاك في منتهى الانحطاط وكان يتنازع عرشها رجلان أحدهما يسمى كيتاكوزين والآخر باليولوغ وكان كل منهما يستعين أرخان على خصمه . فمد أرخان يد المساعدة الى أولهما فكفأه على ذلك بأن زوجه من ابنته ، وعند ما زحف الصربيون على القسطنطينية في عام ٧٥٣ هـ . استعان كيتاكوزين بصهره أرخان فأرسل اليه مددا يقوده ابنه سليمان . وقد تمكن كيتاكوزين بهذا المدد من رد الصربيين . ولكي يكافئ سليمان على صنيعه هذا نزل له عن حصن (ترمب) القائم بالشاطئ الأوربي للدردنيل واتفق في العام القابل أن حدث زلزال عظيم في تراقية دك حصون البلاد وهدم أسوار غاليبولي فاستولى عليها الترك فكان ذلك بدء ملكهم بأوربا .

وفي عهد السلطان مراد الأول (٧٦١ - ٧٩٢ هـ) بلغ الترك في فتوحهم نهر الطونة بعد أن هزموا الصرب والبلغار والمجر والأفلاق والألبان في واقعة (قوصوه) الشهيرة سنة ٧٩٢ هـ . وبهذه الفتوح كلها أصبحت أملاك الترك تكتنف القسطنطينية من جميع جهاتها . وبذلك طمع محمدا الثاني الملقب بالفتح (٨٥٥ - ٨٨٦ هـ) في أخذها والقضاء على الدولة البيزنطية ، وقد تم له ذلك في عام ٨٥٧ هـ . وأصبحت القسطنطينية عاصمة الدولة التركية . وقد اتبع محمد الفاتح ذلك العمل الخطير بأن أتم إخضاع البوسنة والصرب والمورة وجزائر الأرخبيل وشواطئ البحر الأسود الجنوبية والقرم وألبانيا . ونزلت جنوده بجنوبي إيطاليا . وبذلك أصبحت شبه جزيرة البلقان بأيدي الترك .

ثم وقف نمو الدولة التركية في أوروبا لأن بايزيد بن مراد الأول لم يكن ميالا للحروب بوجه عام ولأن سليمان ابنه (٩١٨ - ٩٢٦ هـ) شغل بحاربة الفرس وممالك مصر والشام وكان مظفرا في حروبه فقد أذل الفرس وأدخل الشام ومصر في حكم الترك وحل فيما يقال الخليفة العباسي الذي كان مقبلا إذ ذاك بالقاهرة على أن ينزل له عن الخلافة ففعل وأصبحت الخلافة في آل عثمان .

فلما تولى ملك آل عثمان السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ - ٩٧٤ هـ) استؤنف الفتح والتوسع في أوروبا ففتح السلطان بلاد المجر ودفع جيوشه في النمسا حتى بلغ عاصمتها ويانا وحاصر هذه العاصمة مرتين ولكنه لم يستطع أخذها لمناعتها واستبسال أهلها .

ذلك أقصى ما بلغته حدود الدولة التركية في أوروبا . على أنها لم تستدم ذلك الملك الواسع طويلا فقد أصابها الضعف بعد القوة لفساد إدارتها وسياستها في الداخل ولنموض الدول المجاورة لها : الروسية والنمسا وبولونيا واجتماعها كلها على محاربة الترك وانتقاص ما في أيديهم فصار الترك ينجلون شيئا فشيئا عن أملاكهم الأوروبية وغير الأوروبية حتى أصبح ملكهم منحصرًا في آسيا الصغرى .

٤ - الأقطار التي دخلها الاسلام بمجرد الدعوة

ومقدار انتشار الاسلام في الوقت الحاضر

إن الأقطار التي سبق الكلام عليها هي التي شملتها الدول الإسلامية في الأعصر الإسلامية المختلفة وهي التي دخلها الاسلام قرين السياسة . على أنه ينبغي ألا يستفاد من ذلك أن الاسلام قام بالقوة كما يرى كثير من الناس مسلمين وغير مسلمين . فالحقيقة أن الدولة الإسلامية كانت من كثير من الوجوه ذات صفة مدنية وأنها نمت نمو الامبراطوريات الواسعة القديمة والحديثة . أما الدين الاسلامي فقد انتشر في أكثر الأحوال بمجرد الدعوة من جانب الفاتحين أو بمجرد اطمئنان القلب اليه من جانب من فتحت عليهم بلادهم وذلك كما حدث في الشام ومصر فقد دخلهما الاسلام والمسيحية فيهما متشعبة المذاهب منقسمة الآراء منحطة النفوذ فكان ذلك سببا في انصراف كثير من أهلها عنها ودخولهم في الاسلام . وقد يكون انتشار الاسلام لسبب آخر هو مجرد الرغبة في التخلص من دفع الجزية وأن يكون الذميون والمسلمون في مستوى أدبي واحد . ونحن لانذهب بعيدا في تقرير هذه الحقيقة فالقرآن والسنة حثا في كثير من المواطن على احترام الذميين ودعوتهم الى الاسلام بالتى هي أحسن . وكان المسلمون عادة لا يكرهون أحدا على الدخول في دينهم بل كانوا يكتبون منهم في الغالب بالجزية والسيرة الحسنة .

وما يدل على صدق النظرية التي تقول بانفصال الدين عن السياسة في التاريخ الاسلامي أن الدين الاسلامي قد دخل أقطارا كثيرة مجردا من وسائل الفتح والتغلب السياسي ونحن نختم هذا الفصل التاريخي بذكر هذه الأقطار ثم نتبع ذلك بكلمة تبين مقدار انتشار الاسلام في أنحاء العالم في زمننا الحاضر .

(١) الصحراء الكبرى - السودان - غرب أفريقية وشرقها

عرفناك قبلا أن الإسلام دخل مصر والنوبة وبلاد المغرب في الصدر الأول للإسلام، والآن نقول إن الدين الإسلامي قد سرى أثره من هذه الأقطار الى الأقطار

الأفريقية التي تليها وهي الصحراء الكبرى وبلاد السودان وغربي أفريقيا .
 وكان ذلك في أغلب الأحوال يجرد الدعوة ومحض اختلاط المسلمين بأهل تلك
 الأقطار من وثني البربر والزنج . وقد ابتداء ذلك منذ القرن الخامس الهجري عند
 ما قام عبد الله بن يس داعية الدولة المرابطية وعمل على نشر الإسلام في قبائل
 الصحراء الكبرى . وقد تابعه في ذلك ابن تومرت الملقب بمهدي الموحدين
 (٥٢٤ - ٦٦٥ هـ) ، ثم قفى على أثر هؤلاء في نشر الدعوة بالصحراء الكبرى والسودان
 وغربي أفريقيا مشايخ الطرق التي ظهرت في شمال أفريقيا وأخصها القادرية
 والشيخانية والسنوسية . فبمجهودات هؤلاء جميعا أصبح الإسلام دين تلك الأقطار ،
 مع أنها خاضعة لدول أوربية مسيحية قوية .

وكما انتشر الإسلام في تلك الأقطار يجرد الدعوة فإنه انتشر كذلك في شرق
 أفريقيا ، فقد دخل الإسلام منذ الصدر الأول بلاد الصومال وزنجبار والجالا وكان
 ذلك بارتحال رجال من عرب اليمن الزيديين وعرب البحرين الى تلك الجهات
 واستقرارهم بها وللعلاقات التجارية التي كانت على العموم بين عرب الجزيرة وبين
 وثني تلك الجهات .

(ب) روسيا

دخل الإسلام بلاد روسيا في زمن الدولة العباسية (القرن الرابع) وكان
 دخوله في الأقاليم الروسية المعروفة إذ ذاك ببلاد البلغار ، وهي عبارة عن حوض نهر
 الولغا وكان دخوله تلك النواحي للعلاقات التجارية التي كانت بين المسلمين وبين أهل
 هذه البلاد . على أن الإسلام نما وانتشر في جنوبي روسيا وجنوبها الشرقي عند
 ما غلب عليها التتار المعروفون بالطائفة الذهبية في القرن السابع الهجري . فإنهم
 اعتنقوا الإسلام بحض رغبتهم ، وأول من فعل ذلك منهم ماكنهم الوثنى بركة خان
 (٦٥٤ - ٦٦٤ هـ) الذي كان معاصرا وحليفا للظاهر بيبرس سلطان مصر لذلك
 العهد . ولا يزال الإسلام دين هذه الجهات حتى يومنا هذا .

(ج) الصين

ليس بأيدينا من المصادر الموثوق بها ما يبين تاريخ دخول الإسلام بلاد الصين وانتشاره بها . على أننا نعرف من بعض المصادر الصينية والإسلامية أنه قد كانت علاقات سياسية بين الدولتين الإسلامية والصينية منذ خلافة عثمان بن عفان ، وقد اتبعت هذه العلاقات استعانة فيروز بن يزيد بـ إمبراطور الصين لارتجاع بلاده . وتقول التواريخ الصينية كذلك إن سفيرا صينيا قدم على الخليفة هشام بن عبد الملك موفدا من قبل إمبراطور الصين . وإن الإمبراطور هشام تسنج عند ما ثار به بعض رعيته واغتصب منه العرش استعان بالخليفة المنصور العباسي ، فأرسل اليه الخليفة جنودا إسلاميا ارتجع به بعض مدنه من الثوار . وقد استقر هؤلاء الجنود بالصين ولم يعودوا الى بلادهم فكان ذلك بدء استقرار الاسلام بالصين . على أن العلاقات التجارية التي كانت بين العرب والصين من قديم الزمان كانت سببا آخر في سكنى عدد غير قليل من تجار المسلمين بالثغور الصينية . فلما كانت غارة التتار في القرن السابع الهجري وما حدث على أثرها من اضطراب في العالم الإسلامي الشرق نزع عدد كبير من الصناع والتجار المسلمين الى بلاد الصين واستقروا بها وابتنوا المساجد وانتظموا في سلك الحكومة الصينية .

(د) أرخييل الملايو

قد دخل الإسلام جزيرة سومطرة منذ القرن الأول الهجري ، وكان ذلك بواسطة تجار العرب . ثم نما بهذه الجزيرة على مر الزمن بواسطة دعاة وتجار من الهند وبلاد العرب على السواء كما يستفاد من كلام الرحالة الإسلامي ابن بطوطة والرحالة الايطالي ماركو بولو (القرن السابع الهجري) ودخل الإسلام كذلك جزيرة جاوه في القرن السادس الهجري وعظم شأنه بها حتى قامت بها حكومة إسلامية قوية . ثم اقتبست الإسلام من هاتين الجزيرتين سائر جزائر الملايو — بورنيو وسيليس والفلبين وكذلك الهند الصينية ، هذا والإسلام في الوقت الحاضر أخذ يتغلب على الوثنية

في جزائر الملايو وقد بلغ عدد حجاج المستعمرات الهولندية بتلك الجزائر في سنة ١٩١٠ نحو ٢٤٠ ، ١٤ حاجا .

انتشار الاسلام في الوقت الحاضر — هذه هي الأقطار التي دخلها الإسلام يجتهد الدعوة . ولا يستفاد مما تقدم أن هذه الأقطار والأقطار التي دخلها الإسلام مع السياسة إسلامية بحتة ، فقد تقلص ظل الإسلام عن بعضها كالأندلس وأكثر الأملاك العثمانية الأوروبية وبعضها توجد به أقلية إسلامية كما هي الحال في الصين والهند بوجه عام . وقد اختلفت الأحصائيات في تقدير عدد المسلمين في أنحاء العالم في الوقت الحاضر ، والمتفق عليه أنهم لا يقلون عن ٢٠٠ مليون نسمة ولا يزيدون عن ٢٥٠ مليون نسمة .

مكة المكرمة

مجل الكلام على مكة — أسماؤها — موقعها — جبالها — شوارعها وحاراتها — أقسامها الهامة — مبانيها — مستشفى الغرباء — التكية المصرية — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أوداره — دار خديجة بنت خويلد — دار الأرقم — بستان الشريف عون الرفيق باشا — تأثير السيول في مكة وتاريخها — سكان مكة — جنسيتهم — أخلاقهم — أزيائهم — لغتهم — دينهم — عاداتهم — جو مكة — تجارتها — نقودها — مياهها — عين زبيدة — أمراء مكة .

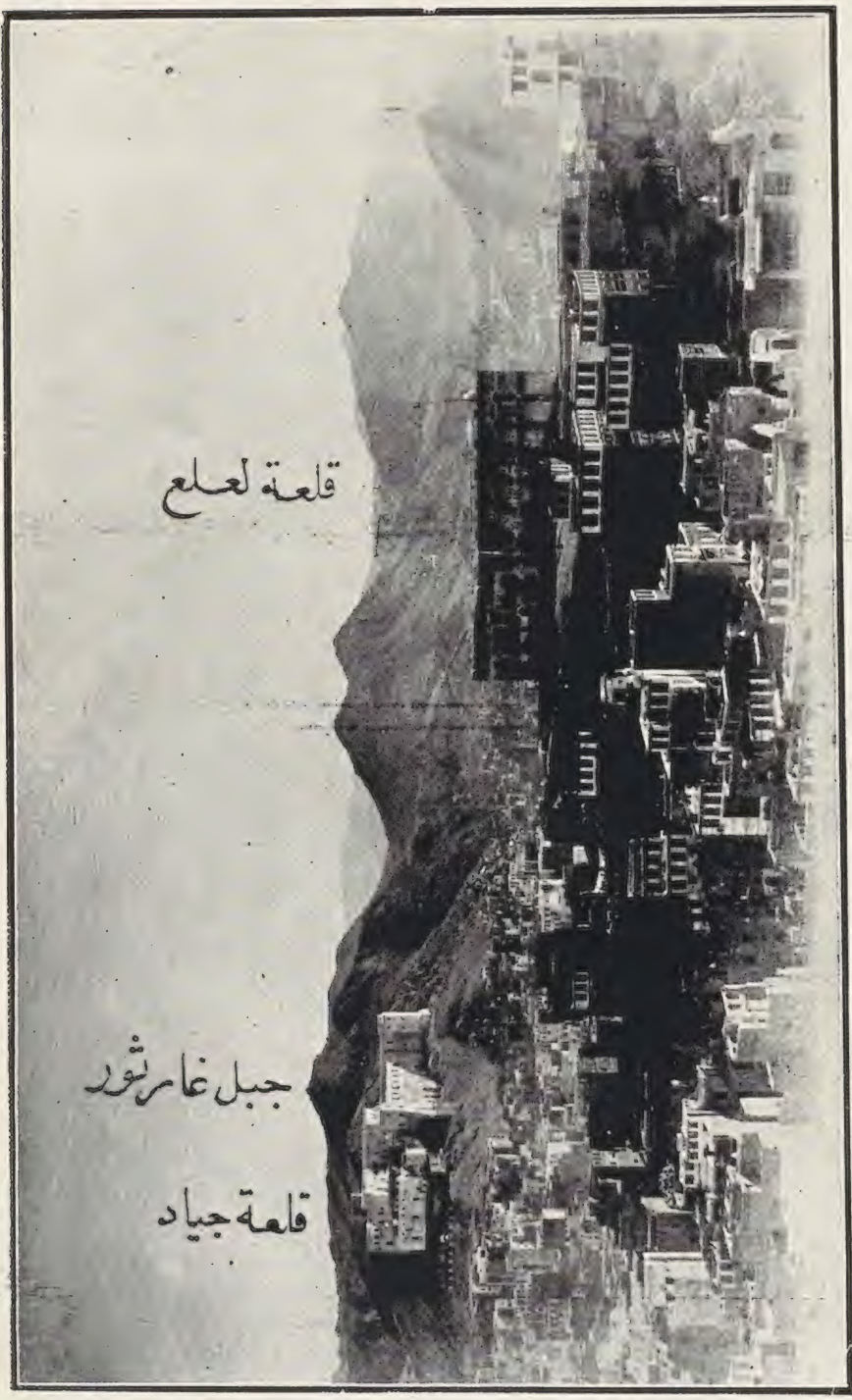
أسماء مكة — ذكر العلماء أن لمكة ستة عشر اسما نذكر أشهرها وهي أربعة نطق بها القرآن أقولها : « مكة » قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرْتُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ وقالوا سميت بذلك لقله مائها ، أخذنا من قولهم : امتك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه ، وقيل : لأنها تمك الذنوب أي تذهب بها ، وثانيها « أم القرى » قال تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ، وثالثها « بكة » — بالباء الموحدة — قال تعالى

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ) ، ورابعها « البلد الأمين » وقد أقسم الله به في قوله (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) .

موقعها — مكة واقعة على ٢١° و ٢٨ ق عرضا شماليا ، وعلى ٣٧° و ٥٤ ق طولاً شرقى باريس ، وترتفع عن سطح البحر الأحمر بنحو ٢٧٩ متراً ، وهى عاصمة بلاد الحجاز ، وطولها من الشمال الى الجنوب ميلان ، وعرضها شرقاً من جبل أبى قبيس الى أسفل جبل قعيقعان من الغرب ميل واحد ، يقطع الماشى طولها فى نحو نصف ساعة ، ومع كون عرضها دون طولها يقطع فى زمن أكثر مما يقطع فيه الطول ، وذلك لوجود أماكن على تلال فى كل من جانبيها . وهى ببطن واد يحيط به سور من الجبال الشاهقة قد بنيت عليها الحصون المحكمة ، وليس بسورها الجبلى ثغرات إلا حيث مداخلها الأربع ، ففى الشمال الشرقى الطريق الى مِئى ، وفى الجنوب الشرقى الطريق الى اليمن ، وفى الشمال الغربى الطريق الى وادى فاطمة ، وفى الشرق الطريق الى جُدَّة . وتلك الجبال تكون سلسلتين شمالية وجنوبية تتركب الأولى من جبل الفالج غرباً ثم جبل قعيقعان ثم جبل الهندى ثم جبل لعلع ثم جبل كداء (بفتح أوله ومدة آخره) وهو فى أعلى مكة ومن جهته دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية تتركب من جبل أبى حديدة غرباً يتلوه جبلا كدى وكُدَى (كلاهما بضم أوله والأول مقصور والثانى مصغر) بآخراف الى الجنوب ثم جبل أبى قبيس الى شرقيهما ثم جبل الخدمة .

شوارع مكة ومبانيها — نذكر لك أهم شوارعها وما فيها من البنايات الضخمة والمساجد والآثار مفردين الهام منها بالوصف التفصيلى قارين ذلك بالصور الكاشفة إن شاء الله فنقول : شوارع مكة ضيقة غير منتظمة ما عدا شارعاً مشهوراً يقطعها من جنوبها الغربى الى شمالها الشرقى يتسدى من الشيخ محمود أو جرجول ما تراه بباب العمرة الى أمام التكية المصرية ثم على المسعى وعلى طريق القشاشية وسوق الليل الى آخر مكة من جهة المعلاة ، وعرض الشارع بين ثمانية أمتار وعشرة وعشرين ، ومن الحارات النافذة الى الشارع المذكور ، حارة الباب ، وحارة الشبيكة ، والسوق

٦٠ مكرر من جبل ابني قيس الى جبل غارتور



قلعة لعلع
جبل غامر ثور
قلعة جباد

بدل لعلع يقرأ الهندي

جبل غارتور الى جبل ابني قيس الى جبل غارتور

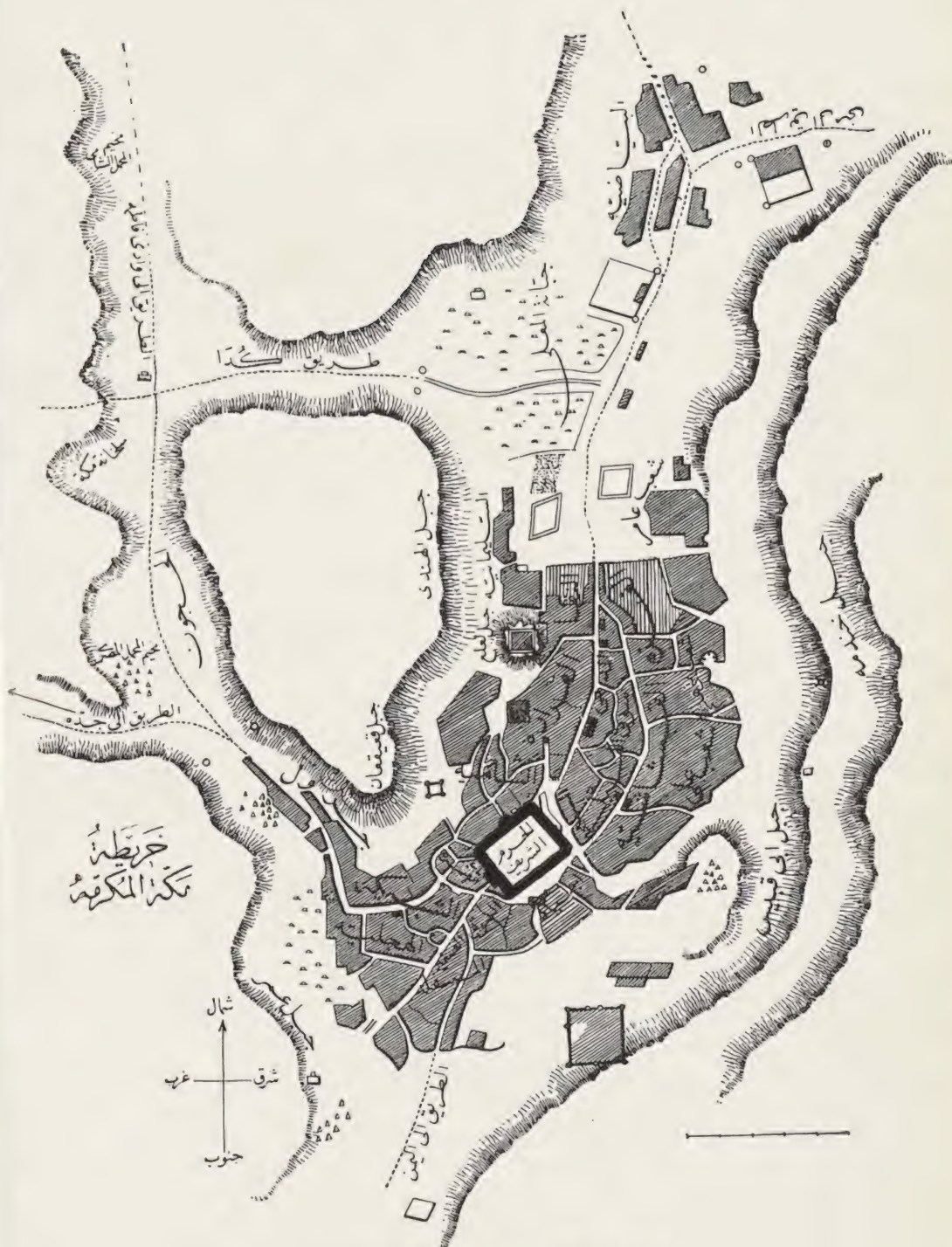
60 bis— A view of the route from Mountain Abilqabels to Garsour.

1870

1870



خريطة مكة المكرمة



هذا الرسم من نسخة المخطوطة التي كانت في دار الخزانة في دار السلطنة في سنة ١٣٢٦
 جعلها الطباعة في المطبعات في دار السلطنة في سنة ١٣٢٦



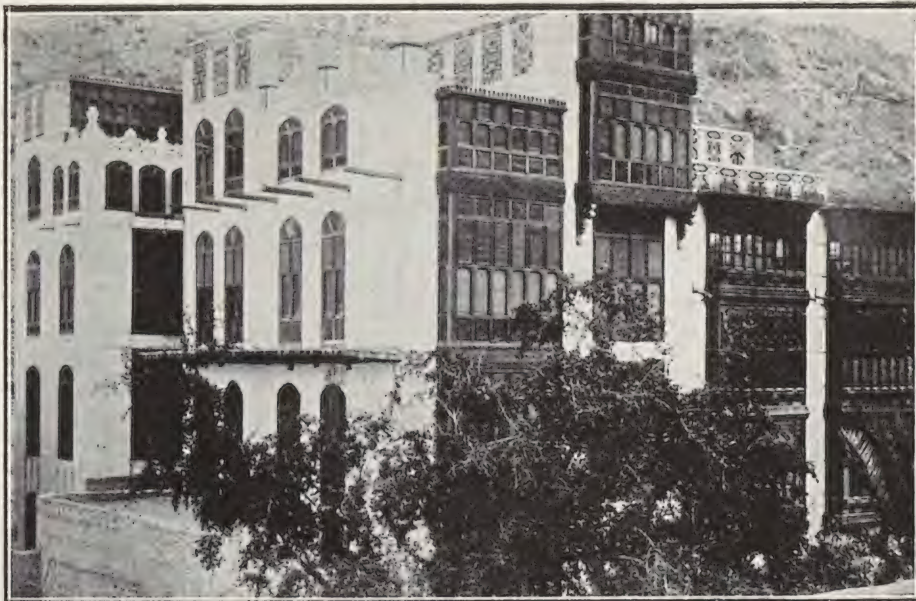


62. A view of the houses of Mecca on the modern style in Giad in 1321.

بيت السيد عمر السقاف المشيده بمكة

سكن الوالي

منازل السيد عمر السقاف المشيده بمكة



63. Houses built at Gyad, belonging to Sayed Omar El Sakka

بيت السيد عمر السقاف المشيده بمكة



قِسْلَاوْنَا الْعَسَنَا كِرَالِ الشَّاهَانِيَةِ بِجَدَا



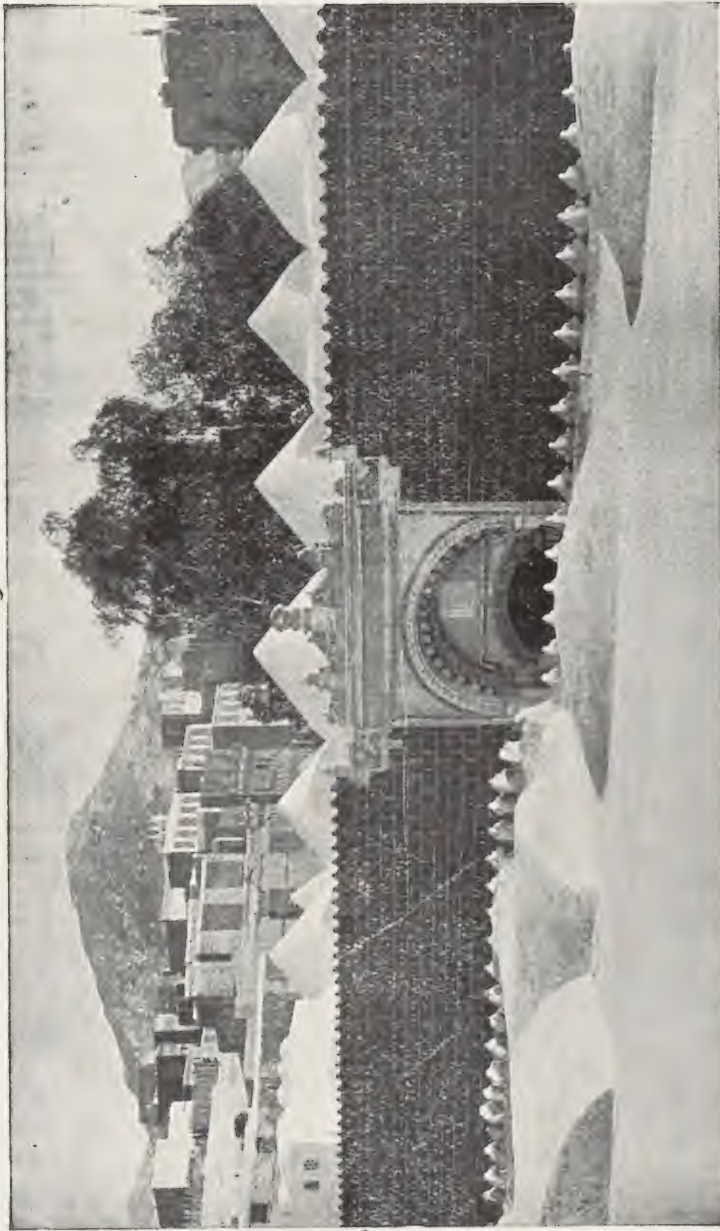
64, A view of the Turkish Barracks in Giad at Mecca in 1321.

يُونُكِيَهْ الْجَوَالِيَّةِ وَيَا قَلْعَةَ جَدَا



65, The Southern view of the houses of Mecca and the Citadel of Giad.





بنيان دار الخيرية التي بناها محمد علي باشا في مكة

70. The Charity house of Mohamed Aly Pasha at Mecca

الصغير ، وجياذ وسوق الليل وسوق الصفا والمسعى ، والقشاشية عن اليمين ، ويلها الغزة ثم سوق المعلاة والبياضية ، وعن يسار القشاشية المسعى الى المروة الذى به يسارا باب السلام ويمينا طريق المدعى ثم الجودرية ثم المخاطة ، ومن حارة الباب ينفذ الى سوق الشامية ومنه الى المروة (الرسم ٦٠) .

ومن الجهات التى بها مباني فخمة أو آثار جمّة :

(١) جهة جرحول — وعندها جبل جحيشة وفيها الحفائر وبستان لدولة الشريف عون الرقيق وبتردى طوى الذى آغتسل منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو داخل الى مكة (رسم ٢٦) والمكان المعتاد للحمل المصرى «والمسافر خانة» التى بناها السلطان عبد الحميد وقدمنا لك وصفها ومقياس المياه الذى تراه فى شرق (الرسم ٦١) على شكل عمود .

(٢) المسفلة — فى جنوب المسجد الحرام وبها بستان الشريف عبد الله ومولد سيدنا حمزة والخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنهما .

(٣) شعب جياذ — فى الجنوب الشرقى للمسجد الحرام وهو أجمل مواقع مكة لعلوه وسعة طرقة وكثرة بيوته التى على الطراز التركى والتى يسكنها غالبا موظفو الولاية من الأتراك وفى مقدمتهم الوالى وترى فى (الرسم ٦٢) نموذجا منها وهو بيت للسيد محمد السقاف ذى الأملاك الواسعة بمكة والمدينة وجدة ، وكذلك فى (الرسم ٦٣) وبهذا الشعب التكية المصرية تجاه المسجد الحرام فى (الرسم ٧٠) ، وكذلك ديوان الحميدية مقر الحكومة العثمانية الذى تراه غربى المسجد فى (الرسم ٨٥) ، والشركات العسكرية للجنود الشاهانية التى تراها فى (الرسم ٦٤) ، وترى فيه خيما يسكنها الجنود الذين ليس لهم أماكن فى الشكاات .

والديوان والشكاات كلاهما من إنشاء الأمن الحازم المصلح الكبير المشير عثمان باشا نورى والى الحجاز وتجد مكتوبا على باب الحميدية الشرقى :

دار حوت لسعد سلطاننا * عبد الحميد كل حسن وطيب
أشادها بحى أم القرى * عثمان والينا بشكل عجيب
بشرى لنا قد جاء تاريخها * نصر من الله وفتح قريب

وعلى الباب الغربى :

دار سلطان الورى عبد الحميد * قد بدت كالبدر فى البيت الأمين
شادها عثمان والينا الذى * توج الأحكام بالعدل المبين
أرخ المجد ونادى فى العلا * أدخلوها بسلام آمين
وعلى الباب الجنوبى المتوسط كتب (دائرت حكومت سنه) .

وعلى الباب الجنوبى الجانبى كتب سطر بالخط الثلث الجميل على شكل دائرة ،
العبارة الآتية (دائرة فرقة عسكرية) .

وفى جياذ أيضا ميدان لاستعراض العساكر وفيه المطبعة الأميرية ودار للبريد
(البوستة) والإشارات البرقية (التلغراف) ومركز الصحة ودار عظيمة للشرىف
عبد المطلب وبيت لأمين الدفاتر (الدفتردار) ومسجد صغير — زاوية — للشاذلية
وترى فى (الرسم ٦٥) منظرا عاما لجياذ ، والبناء الذى فى أعلى الرسم على قمة الجبل قلعة
جياذ .

(٤) القشاشية — فى شرقى المسجد الحرام ويطل عليها جبل أبى قيس ،
وفى الجهة الشرقية منها شعب على أو شعب بنى هاشم انظر (خريته مكة) وبالقشاشية
دار الخيزران وهى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى وبها بيوت بنى شيبه حجة

(١) لا عناية ولا نظام للإشارات البرقية ولا بالخطابات فقلما تصل إشارة الى صاحبها ، والخطابات
تخصر من جدّة الى مكة على ظهور الجمال فى غرارات (زكايب) وتلقى بطريقة فى دار البريد فى آقى الحجاج
أو المطوفون أو خدمهم فيقرزون هذه المكاتبات فان عثروا على شئ لهم أو لأصحابهم وأقاربهم أخذوه ،
وكان خليقا بالحكومة العثمانية أن تعنى بذلك عناية شديدة لأن أولئك الحجاج الذين شط بهم المزار فى حاجة
الى تعرف الأخبار عن أهلهم وأصحابهم وربما تضمنت أخبارا هامة يترتب على جهلها ضرر كبير .





66. Houses of Mecca as seen from the top of Abu-Kobis hills from the East, showing Gar Herak and the Birth Place of the Prophet.

جَوَاطِغُ الشَّيْخِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ

مَنَازِلُ مَكَّةَ مِنَ الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ

ص ١٨١



67. The northern and eastern view of the houses of Mecca in 1321.

مَنْظَرُ مَنَازِلِ مَكَّةَ وَمَا عَرَا حَرَا الشَّهِيدِ بِحَبَابِ النَّوَى

الكعبة، وبيوت محسن بك وعبد الله بك وأحمد باشا الحجازي وكان واليا على الحجاز وهو والد المرحوم منصور باشا يكن ودار أبي سفيان التي جعلها الرسول عام الفتح مأمنا لمن لجأ إليها إذ قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهي الآن مستشفى وبها بيت خديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وبها أيضا بيت أبي جهل وهو الآن مiazza تجاه باب المسجد الحرام المسمى باب النبي عليه السلام .

(٥) الغزة — في الشمال الشرق للمسجد الحرام وبها بيت الإمارة الذي شيده محمد علي باشا جد الأسرة الخديوية ثم الملكية ويقع به الآن شريف مكة عون الرفيق باشا وتراه في الشمال الشرق من (الرسم ٦٧) وواضح بالرسم واجهتان منه إحداهما ذات « مشربيات » صنعت صنعا بديعا من الخشب الهندي الأحمر وفيها أيضا مخزن أميري عام تخزن به الحبوب للحكومة والأهالي وكذلك مخزن كبير للصدقات والحبوب التي ترد من مصر كل عام ومن دونهم منازل لأهل مكة .

(٦) شعب بني عامر — شمالي الغزة به مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي رضي الله عنه قريبا منه وبيوت لبني هاشم . وهذه الجهات الشرقية كانت مساكن بني عبد المطلب في الجاهلية وفيها الآن كثير من الأشراف أما باقي قریش فكانوا في الجهة الأخرى من المسجد الحرام خصوصا جهة الشمال انظر (مساكن الجهة الشرقية في الرسم ٦٦) .

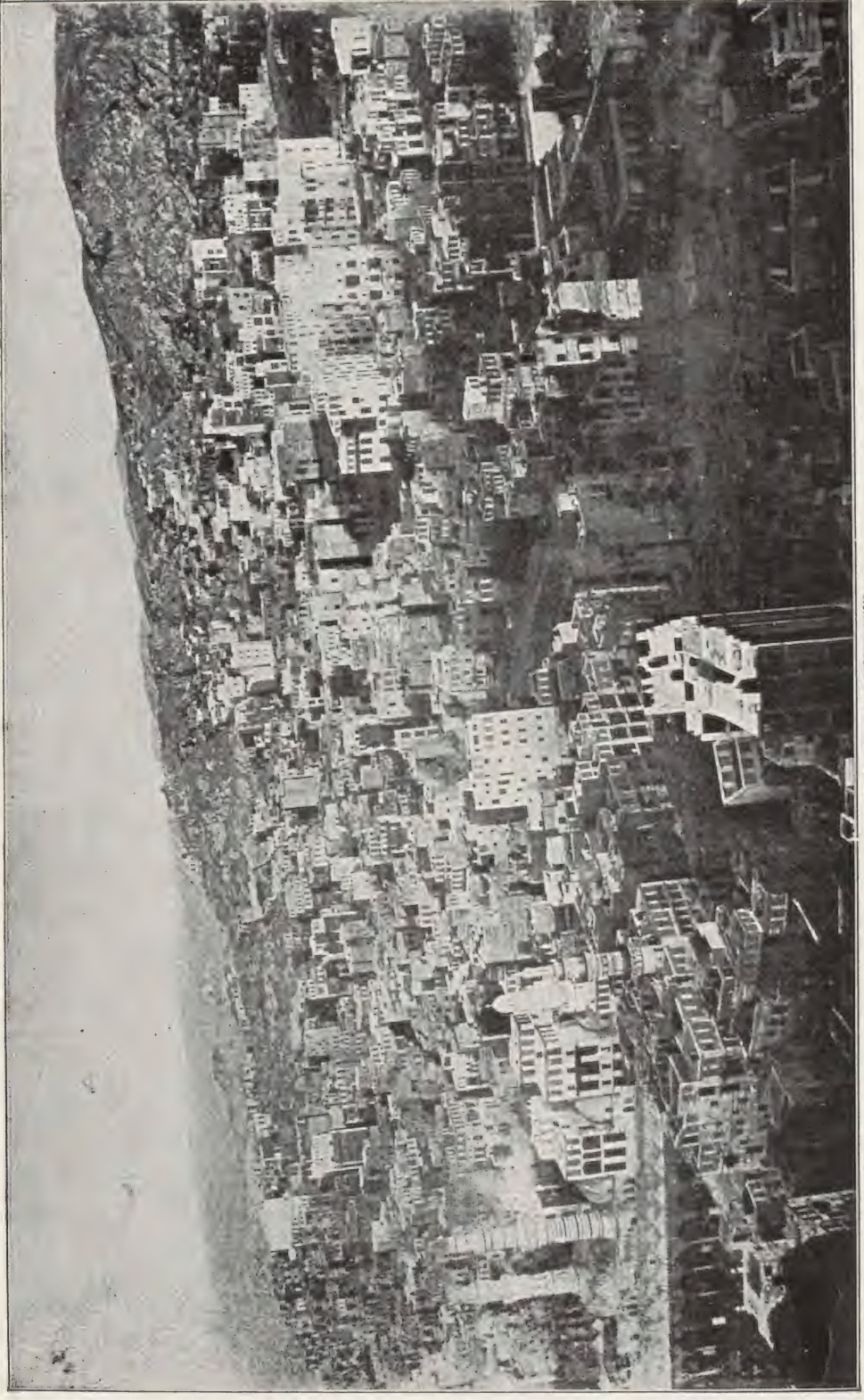
(٧) الشامية — في شمالي المسجد الحرام مع غربيه وهي شارع تجاري عظيم أشبه بشوارع الموسيقى والتربعة والغورية وخان الخليلي عندنا بمصر ويبيع فيها السبح والأقمشة الهندية والتركية وفصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذي يبيعه حجاج اليمن بأثمان رخيصة جدا .

(٨) القرارة — شمالى الشامية وبها منزل الشريف عبد المطلب أمير مكة سابقا وهو البناء الفخم الذى تراه واضحا فى الشمال الشرقى (الرسم ٦٨) وفيه ترى منظرا عاما لنيوت القسم الشمالى وبالقرارة مسجد صغير — زاوية — للجيلانى .

(٩) السليمانية بها النقا والمنحنى والمعابدة والبياضية والمعلاة أى المقبرة — كلها شوارع وجهات فى شمالى المسجد الحرام فوق القرارة والغزة ، والمعابدة محل للصاغة وبيت للشريف غالب أمير مكة سابقا ومسجد الإجابة والراية ومساكن للهنود والحضارم ومحل للخضراوات والمسلى والإبل والأغنام ومساكن « البيشة » وهم عساكر أمير مكة وكذلك بها مساكن قبائل من العربان وفيها معاطن الإبل ومرابض للغنم والبياضية منزل للسيد محمد صالح الشيبى أمين المفتاح وكذلك يستأنله ، والمعلاة من زمن بعيد مقبرة أهل مكة وتقدم الكلام عليها مع رسومها .

وفى مكة على الجملة ٦ جوامع كبيرة خلاف المسجد الحرام و ٦٧ مسجدا ، المشهور منها مسجد الراية بشرق البلد ومسجد الجحى بغيرها ومسجدا الإجابة والبيعة شمالها وزاوية السنوسى فى الجنوب الشرقى ، والسنوسى له فى الحجاز شأن كبير ومعظم الأعراب شيعته وكذلك أهل مكة وكثير منهم على طريقة يسمونها الرشيدية وأهلها أتباع الشيخ ابراهيم الرشيدى ، ومنهم الأدرسية أتباع الشيخ أحمد بن إدريس ، والمرغنية وهم شيعه المرغنى المعروف بمصر والسودان وبها محكمة شرعية تحت قبة مجاورة للمسجد الحرام بجهته الشمالية تراها شرقى المئذنتين المتقاربتين فى (الرسم ٩١) والقبة التى بينهما على المكتبة السليمانية وترى فى الشمال الغربى قلعة الهندى ، وسيأتى ذكر المكتبة والقلعة قريبا ، وظاهر بالرسم ست مآذن من مآذن المسجد الحرام ، والبناء الفخم الذى فى أعلى الشكل سراى الشريف عبدالله باشا أمير مكة سابقا وقد احترقت . وفى مكة ٦ مدارس للعلوم و ٤٣ مكتبا للصبيان ، وكانت فى سنة ١٣٠٣ — ٣٣ وكان عدد التلاميذ بها ١١٥٠ وأشهر هذه المدارس المدرسة الصولية التى بناها الطيب الأثر الشيخ رحمة الله الهندى

البلد الذي فيه القلعة



البلد الذي فيه القلعة

68. The palace of El Sherif Aboul Moutaleb at El Harat in Morocco.



صاحب كتاب إظهار الحق ، ويدرس فيها القرآن وعلم التجويد وشيء من اللغة العربية والحساب والهندسة وينفق عليها من تبرعات أهل الهند ، ومدرسة أخرى تماثل الأولى أو تزيد عليها . وبمكة مكتبتان صغيرتان الأولى في باب أم هانئ تسمى كتبخانه شروانى زاده محمد رشدى باشا والى الحجاز سابقا وأخرى في باب الدريية قرب باب السلام تسمى بالكتبخانه السليمانية أسسها السلطان عبد الحميد وكونها من شتات كتب المسجد وغيرها مما أرسله إليها من الاستانة ، ولكل مكتبة من هذين فهرس بخط اليد وأمين يقوم بشؤونها ، والكتب التى بهما نحوية وفقهية وأدبية وتاريخية وأكثرها باللغة العربية وفيها شيء بالفارسية والأوردية (الهندية) والتركية والجاوية (لغة الملايو) . وبمكة مستشفى عسكري وآخر للغرباء — يأتى وصفه — وبها ١٧ مصنعا ومدبختان للجلود ومساختان ومخزان كبيران . وبها قلاع ثلاث تحكم على المدينة ويقوم بها عساكر الدولة : أولاها قلعة جياد التى أنشأها فى سنة ١١٩٦ هـ . الشريف سرور بن مساعد أمير مكة بعد أن اشترى ما حولها من البيوت وأنفق فى عمارتها مالا كثيرا ، وقد تقص بعد ستين كثيرا من بنائها وأعاده متقنا على أحسن شكل كما تراه فى أعلى (الرسم ٦٥) ، وثانيها قلعة الهندى التى بناها الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٢١ هـ . فى الجهة الشمالية وكانت صغيرة وحدث فيها خراب فعمرها ووسعها المشير عثمان نورى باشا شيخ الحرم ووالى الحجاز وقد أحكم بناءها ورتبها فى سنة ١٣٠٠ هـ . زمن السلطان عبد الحميد الثانى ، وثالثها قلعة لعل التى أنشأها أيضا الشريف غالب أيام محاربة الوهابيين له وهو الذى أقام الأبراج بأطراف مكة . وبمكة حمامان على مثال الحمامات الرومية بمصر ، واحد بالعمرة بناه محمد باشا وزير السلطان سليمان سنة ٩٨٠ هـ . والثانى بالقشاشية ويسمونه حمام النبي . وبها ثلاث تكايا : أهمها التكية المصرية أمام باب المسجد الحرام المسمى باب جياد — وسيأتى وصفها — وفيها عشرون مسقى — سبيلا — وعشرون صهريجا مملوءة بمياه عين زبيدة ، ويختلف طولها وعرضها من ٥ أمتار إلى ١٠ ، والعمق من مترين ونصف إلى ١٣ مترا ، وفم الصهريج سعته ٨٠ سنتيا

ولبعضها فتحان وثلاث الى ٦ فتحات على خط واحد وتترج المياه منها بواسطة السقائين الذين أكثرهم من العبيد، وبيوت الأمراء أنابيب مائية ذات «حنفيات»، وبمكة ١٩ رباطا يأوى إليها الفقراء، و ٨٠ طاحونة خيل، و ٦٠ تنورا، و ٩٥ قهوة بلدية رصت فيها «التكك» والكراسى التى مقاعدها شباك مصنوعة من الليف أو الخوص المجدول، ويشرب فيها الشاى والقهوة والزجيلة «الشيشة» التى يجهزونها بالتبأك الحى عادة ويكثرئون استعمالها ويضيفون الى البن اليمنى الحبهان والقرنفل والحبة السوداء مما يجعل للقهوة نكهة جميلة. وبها محجر صخى «كورتينا» معطل وصيدلية ومتجران كبيران للجوهرات الثمينة، و ١٧ بحيرة «كوشة» لعمل الجير، و ٨ مصانع للفخار، ومخزن كبير للغاز.

وبمكة ٣٠٠٠ دكان و ٦٥٠٠^(١) بيت مبنية بالحص والجمر الأصم ذى اللون الأسود تتخلله نقط حمراء وبيضاء، والبيت يتكون من طبقة الى خمس طبقات وأكثرها ليس به فناء، وأجمل بيوت مكة على الإطلاق بيوت جليس الشريف المسمى (البو) وبيوت محمد على كاتب الشريف فإنها مبنية على الطراز الحديث من جهة التقسيم والهيئة والزخرف والزينة وهى تضارع بعض البيوت الجميلة بمصر والاسكندرية. وبيوت الأمراء وإن كانت عظيمة إلا أنها على الطراز القديم. وبمكة كثير من البساتين الصغيرة والبرك الصناعية ذات الفوارات المائية. وها نحن أولاء نصف لك بالتفصيل بعض الأماكن الشهيرة كما وعدنا.

مستشفى الغرباء والفقراء — هذا المستشفى بالجهة الشرقية من المسجد الحرام وقد أنشئ فى سنة ١٠٨٦ هـ — كما هو مكتوب عليه — فى زمن السلطان الغازى محمدخان الرابع، وقد زرت هذا المستشفى فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (١٦ أبريل سنة ١٩٠١) فوجدت به طبيبين يدعى أولهما اسماعيل افندى ثروت طبيباً أول وثانيهما عثمان افندى اسماعيل طبيباً ثانياً ورأيت صيدلياً اسمه حسن افندى تحسين والكل مجمل بالثياب

(١) تعداد الأماكن السالفة نقلناه عن التقويم التركى للبلاد الحجازية سنة ١٣٠٩ هـ وهو مطبوع بمكة بالمطبعة الأميرية.

الجيدة النظيفة، وبه ما يقرب من ٥٠ سريرا وقد مررت بأقسامه فوجدت إهمالا شديدا ولا سيما قسم الأمراض العفنة فالملابس والمفروشات في غاية القذارة تنبعث عنها الروائح الكريهة ولا يصلحها إلا حرقها وقد أعترف الطبيب الذى صاحبنى بذلك وكان يريد عدم مرورى بهذا القسم من شدة عفونته، وقد رأيت كثيرا من المرضى نائما على الألواح قد آشتد به المرض حتى صيره هيكلا عظيما كالحياكل التى تراها بالقصر العيني، وأن مريضا هذا حاله لا ينتظر إبلا له من مرضه وهو يتنشق تلك الروائح الخبيثة التى تفتك بالأصحاء فضلا عن المرضى، ولولا وضعى المنديل على أنفى وضغطى عليه لما أستطعت المرور، وبلغنى أنه قلما يدخل فيها مريض فيشفى، فإذا كان ذلك شأنها فإغلاقها خير من فتحها، فإن الهواء النقي قد يشفى المريض مما ألم به، والأدوية تأتى الى هذا المستشفى من الأستانة أما الأغذية والمفروشات فمن ديوان مكة المكرمة.

التكية المصرية — هى من الآثار الحليلة ذات الخيرات العيمة وأنها نعمت صدقة جارية لمسيديها ثواب جزيل وأجر عظيم، وقد أنشأها ساكن الجنان محمد على باشا رأس الأسرة الخديوية فى سنة ١٢٣٨ هـ. كما هو مسطور بدائر القبة التى بوسط التكية تظل الصنابير «الحنفيات» التى يتوضأ منها الناس والتكية بشارع جياذ أقيمت مكان دار السعادة التى كانت محل حكومة بنى زيد من الأشراف، ويرد إليها الفقراء فى الصباح والمساء فيتناول الفقير فى كل مرة رغيفين وشيئا من «الشربة» وربما أعطى أكثر من ذلك إن كان فقره مدقعا، وكثير من نساء مكة وجواربها الفقراء يتعشن بما يأخذن ويكتفين بذلك عن مسألة الناس، ويصرف يوميا من الخبز ما يقرب من ٤٠٠ أقة (حاصل ٣ أرادب من القمح) و ١٥٠ أقة من الرز، وفى يوم الخميس تزد كمية الأرز الى ٤٢٠ أقة، ويصرف فى هذا اليوم فقط مائة أقة من اللحم، وفى كل أيام رمضان يكون المرتب كمرتب يوم الخميس ويزيد عليه ٥٠ أقة من الحمص، ويصرف من السمن ما يكفى لطبخ هذه المقادير، والفقراء يزداد عددهم حتى يبلغ ٤٠٠٠ شخص وذلك من شهر رمضان حتى آخر ذى الحجة.

لورود كثير من الحجاج الفقراء من السودانيين (التكارنة) والمغاربة وغيرهم ثم يتناقص العدد بعد ذلك الى ٤٠٠ تقريباً .

وللتكية ناظر ومعاون وكتبة يقومون جميعاً بخدمة الفقراء ، وبها طاحونة يتناوب إدارتها أربعة بغال تطحن القمح ، وفيها مطبخ واسع به ثمانية أماكن يوضع عليها أوان ثمان من ذات الحجم الكبير (قزانات) وفيها مخبز ذوايين يخبز به العيش وتخزن وحجر للمستخدمين انظر التكية (في الرسم ٧٠) وفي مدّة الحج يسكنها بعض عمال المحمل كالطبيب والصيدلى وكاتب القسم العسكرى وبعض الضوئية والعكامة والسقائين ، ويوضع بها أمتعة الأمير والأمين وبعض الموظفين عند ذهابهم الى عرفات ، وفي التكية بيوت أدب وصنابير (حنفيات) ماء ومكان جميل مفروش فى وسطه بركة ماء صناعية (فسقية) ويجلس به أمير الحج وأمين الصرة وكتابها حينما يصرفون المرتبات ، ومكتوب على باب التكية بالخط الثلث الجميل البيتان الآتيان :

عباس مولانا الخديوى فضائل * عليها دليل كل يوم مجدد
رأيناه قد أحيا تكية جدّه * فقلنا عباس بنى أو محمد

[سنة ١٢١٩ و ١٢٣٨ هـ]

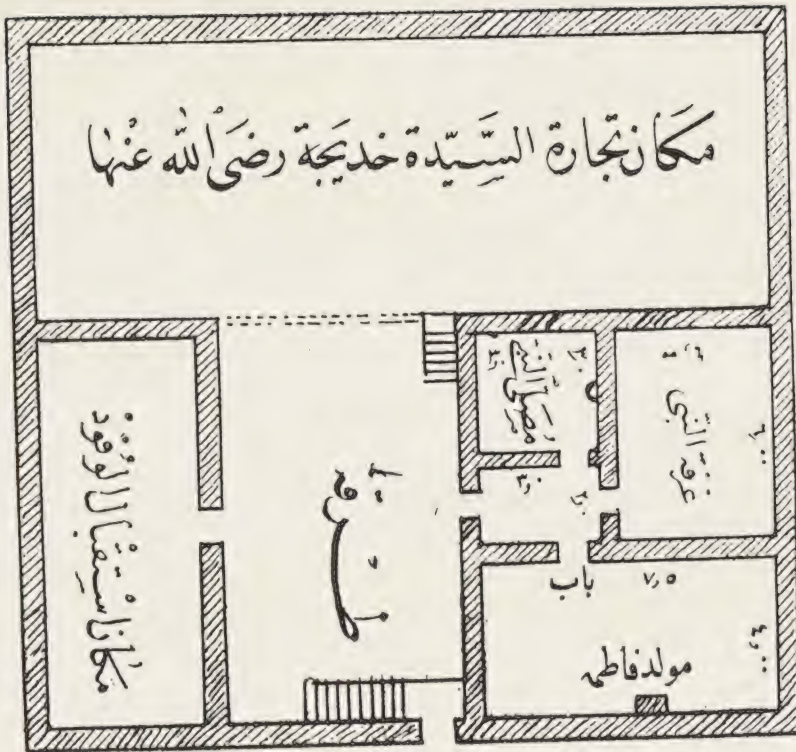
ولو سمعت الأدعية المتصاعدة من قلوب الفقراء لب هذه النعمة لأكبرت هذا العمل ومسديه ، وأنسقت نفسك الى أمثاله ان كان لديك سعة فى المال وبسطة .

أما التكايا الأخرى فلم أزرها لأنه لا يأوى اليها فقير ، وقد سطر بواجهه تكية السيدة فاطمة قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينَ وَيَتِيماً وَآسِيراً ﴾ وأنها أنشئت فى سنة ١٠٨٦ هـ . زمن السلطان الغازى محمد خان الرابع كما أسلفنا .

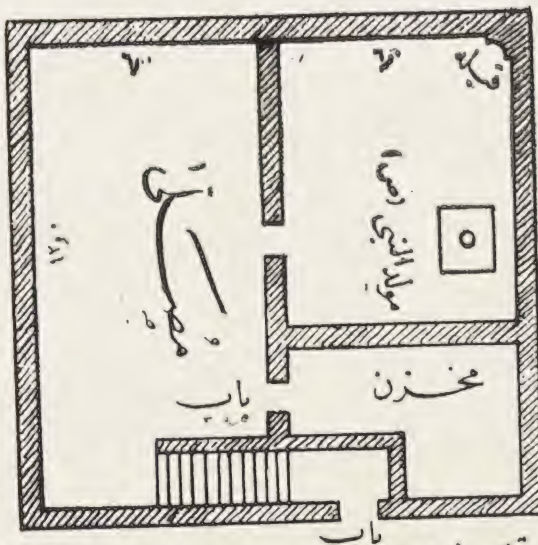
مولد الرسول صلى الله عليه وسلم — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم
بشعب بنى عامر شرقى مكة وهو مكان قد ارتفع الطريق عنه بنحو متر ونصف
وينزل اليه بواسطة درج من الحجر يوصل الى باب يفتح الى الشمال يدخل منه الى
فناء يبلغ طوله نحو اثنى عشر متراً فى عرض ستة أمتار وفى جداره الأيمن (الغربى)

باب يدخل منه الى قبة في وسطها (يميل الى الحائط الغربى) مقصورة من الخشب داخلها رخامة قد تقعر جوفها لتعيين مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه القبة والفناء الذى خارجها يكونان الدار التى ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم (رحلة البتانونى ص ٥٢ طبعة ثانية) ، وجاء فى تاريخ مكة لأبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق المتوفى فى العقد الثانى من المائة الثالثة فى ص ٤٢٢ طبع ألمانيا : أن البيت الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هو فى دار محمد بن يوسف الثقفى أخ الحجاج ، وكان عقيل بن أبى طالب أخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم داره لما هاجر ، وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى عام حجة الوداع لما قيل له : أين تنزل يا رسول الله "وهل ترك لنا عقيل من ظل" ؟ ولم تزل الدار بيد عقيل وولده حتى باعها ولده من محمد بن يوسف الثقفى فأدخلها فى داره التى يقال لها البيضاء وتعرف اليوم بدار ابن يوسف ، وبقيت الدار كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى وهارون سنة ١٧١ هـ . فجعلت دار الرسول مسجدا يصلى فيه وفصلته من دار ابن يوسف وأشرعته فى الزقاق الذى فى أصل تلك الدار ويقال له : زقاق المولد قال أبو الوليد : إنه سمع جدّه ويوسف بن محمد يثبتان أنه المولد وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة اهـ . ولكن جاء فى المواهب اللدنية أنه اختلف فى مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل : ولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف الثقفى ، ويقال : بالشعب — شعب بنى هاشم — ويقال : بالردم ، ويقال : بعسفان اهـ . هذا وقد جاء برحلة العياشى (ص ٢٢٥ ج ١) بعد أن ذكر خلاف أهل السير فى مولده صلى الله عليه وسلم ما يأتى : والعجب أنهم عينوا محلا من الدار مقدار مضجع وقالوا له : موضع ولادته صلى الله عليه وسلم ، ويبعد عندى كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف لما تقدم من الخلاف فى كونه بمكة أو غيرها وعلى القول بأنه فيها ففى أى شعبها وعلى القول بتعيين هذا الشعب ففى أى الدور ، وعلى القول بتعيين الدار ، فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار بعد مرور الأزمان والأعصار وأتقطاع الآثار والولادة وقعت فى زمن الجاهلية

وليس هناك من يعتنى بحفظ الأمكنة ولا سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ، وبعد مجيء الإسلام قد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بتقيد الأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعى لصرفهم اعتنائهم رضوان الله عنهم لما هو أهم من حفظ الشريعة والذب عنها باللسان واللسان ، وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الاسلام من مساجده عليه السلام ومواقع غزواته ومدافن كثير من أصحابه مع وقوع ذلك في المشاعر الجليمة ، فما بالك بما وقع في الجاهلية لا سيما ما لا يكاد يحضره أحد إلا من وقع له كمولد على ومولد عمر ومولد فاطمة رضى الله عن جميعهم ، فهذه الأماكن مشهورة عند أهل مكة فيقولون هذا مولد فلان هذا مولد فلان ، وفي ذلك من البعد أبعد من تعيين مولده صلى الله عليه وسلم لوقوع كثير من الآيات ليلة مولده صلى الله عليه وسلم فقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الآيات وإن كانوا أهل جاهلية ، وأما مولد غيره ممن ولد في ذلك العصر فتكاد العادة تقطع بعدم معرفته إلا أن يرد خبر عن صاحب الواقعة بتنبهه أو أحد من أهل بيته اه . كلامه (يلاحظ أن العياشى كتب رحلته في حجته سنة ١٠٥٩ وسنة ١٠٦٤ هـ) . وقد جاء في كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتحقى القافى الذى كتبه في العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة وصف مولد الرسول وقال بعد الوصف : وقد خفى علينا كثير من عمارته والذى علمته من ذلك أن الناصر العبابى عمره في سنة ٥٧٦ هـ . ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٦٦ هـ . ثم حفيده المجاهد سنة ٧٤٠ هـ . وفى سنة ٧٥٨ هـ . من قبل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر ، وفى دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بإشارة مدير دولته يلبغا الخاسكى سنة ٧٦٦ هـ . وفى آخر سنة ٨٠١ هـ . وفى أول التى بعدها من المال الذى أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة ، وكانت عمارة هذا المولد بعد موته اه . وقد جدد القببة التى على موضع الولادة السلطان سليمان خان سنة ٩٣٥ هـ . وفى سنة ٩٦٣ هـ . أهدى هو أيضا ثلاثة قناديل ذهباً منها اثنان للكعبة والثالث يعلق بالمولد ، وقد علق بيد الشريف أبى نى .



رسم نظري تقريبي لبيت السيدة خديجة المشهور بمولد السيد فاطمة (بكة)



رسم نظري تقريبي لمولد النبي (ص)، اودار عبد الله بن عبد المطلب (بكة)

والله اعلم بالصواب

وفي سنة ١٠٠٩ هـ . أمر السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان بعمارة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبني في أعلاه قبة عظيمة ومنارة ، ووقف عليه وقفا بالديار الرومية ورتب له مؤذنا وخادما وإماما ، وجعل لكل شيء معين يحمل إليه كل عام ، ثم جعلت له السلطنة العثمانية مدرسا يدرس فيه ويتقاضى مرتبا في نظير ذلك أنظر (المئذنة والقبة متجاورتين في وسط الرسم ٦٦ وأنظر الرسم النظري ٧١) .

دار خديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة رضى الله عنهما — هذه الدار بزقاق الحجر بمكة ويقال له أيضا : زقاق العطارين على ما ذكره الأزرقى وتعرف بمولد فاطمة رضى الله عنها لكونها ولدت فيها هى وإخوتها أولاد خديجة من النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر الأزرقى : أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى بخديجة فيها وأنها توفيت فيها ، ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر إلى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا يصلى فيه ، ولكن ذكر في موضع آخر أن معتبا بن أبي لهب أخذ بيت خديجة فباعه من معاوية بمائة ألف درهم وهذا يخالف ما ذكره من أن عقيل أخذ بيتها وباعه من معاوية والله أعلم بالصواب ، وهذه الدار الآن قد ارتفع عنها الطريق فينتزل إليها بجملة درجات توصل إلى طريقة على يسارها مسطبة مرتفعة عن الأرض بنحو ٣٠ سنتيا ومسطحها نحو عشرة أمتار طولاً في أربعة عرضاً ، وفيها مكتب يقرأ فيه الصبيان القرآن الشريف وعلى يمينها باب صغير يصعد إليه بدرجتين يدخل منه إلى طريقة ضيقة عرضها نحو مترين ، وفيها ثلاثة أبواب الذى على اليسار لغرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولاً في أقل منها عرضاً ، وهذا المكان كان معداً لعبادته صلى الله عليه وسلم ، وفيه كان ينزل الوحي عليه ، وعلى يمين الداخل إليه مكان منخفض عن الأرض يقال : إنه كان محل وضوئه صلى الله عليه وسلم ، والباب الذى فى قبالة الداخل إلى الطريقة يفتح على مكان أوسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار فى عرض أربعة وهو المكان الذى كان يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضى الله عنها ، أما الباب الذى على اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار فى طول

نحو سبعة أمتار ونصف ، وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذى ولدت فيه السيدة فاطمة رضى الله عنها — لا تنس ما أسلفناه فى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم للعباشى — وفى جدار هذه الغرفة الشرقى رف موضوع عليه قطعة من رضى قديمة يقولون : إنها من رضى السيدة فاطمة التى كانت تستعملها فى حياتها ، وعلى طول هذا المسكن والطريقة الخارجة والمسطبة من جهة الشمال فضاء مرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر مترا ، وعرضه سبعة أمتار ، وأظن أنه المكان الذى كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها انظر (الرسم ٧١) . هذا وصف الدار على ما جاء برحلة البتانوفى (ص ٥٣) وهو ما شاهدناه ثم قال البتانوفى بعد ذلك هذه الدار التى كانت مقرا له صلى الله عليه وسلم ومحل إقامته فى مكة ومبعثه إلى الخلق كافة اذا أنعمت بها نظرك وأمعنت فيها فكرك لا تراها إلا «البساطة» بنفسها ، دار تحتوى على أربع غرف ، ثلاث داخلية منها : واحدة لبناته ، والثانية له ولزوجه ، والثالثة له ولربه ، والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس ، بالله ما هذا الترتيب الجميل وما هذا النظام البديع ! اه .

وقد جاء فى كتاب شفاء الغرام للفاسى وصفه لدار خديجة عن مشاهدته وهو مخالف للشكل الذى نراها عليه الآن قال : غالب هذه الدار الآن على صفة المسجد لأن فيها رواقا فيه سبعة عقود على ثمانى أساطين — أعمدة — فى وسط جدره القبلى ثلاثة محاريب وفيه ست وعشرون سلسلة فى صفين وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات ، وبين هذين الرواقين صحن ، والرواق الثانى أخصر من الرواق المقدم لأن بقربه بعض المواضع التى يقصدها الناس بالزيارة فى هذه الدار وهى ثلاثة مواضع ، الموضع الذى يقال له : مولد فاطمة رضى الله عنها ، والموضع الذى يقال له : قبة الوحى وهو ملاصق لمولد فاطمة ، والموضع الذى يقال له : المختبأ وهو ملاصق لقبة الوحى ، زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الحجارة التى يرميه بها المشركون والله أعلم بحقيقة ذلك ، وذرع الموضع الذى يقال له : المختبأ أربعة أذرع وثلاث ذراع ، وذلك من الجدر الذى فيه المحراب إلى الجدر المقابل له وهو طرف جدر

قبة الوحي الغربى هذا ذرعه طولاً ، وذرعه عرضاً ثلاثة أذرع وثلاث ذراع ، وذلك من الجدر الذى فيه بابه الى الجدر المقابل له ، وذرع الموضع الذى يقال له : قبة الوحي من الجدر الذى فيه بابه الى الجدر المقابل له ثمانية أذرع وثلاث ذراع هذا ذرعه طولاً ، وأما ذرعه عرضاً فثمانية أذرع ونصف بذراع الحديد المقدم ذكره ، والموضع الذى يقال له مولد فاطمة طوله خمسة أذرع إلا ثمن ، وعرضه من وسط جدره ثلاثة أذرع وثلاثة أثمان الذراع ، وفى هذا الموضع موضع صغير يشبه بركة مدورة ، وسعتها طولاً من داخل البناء المحوط عليها ذراع وعرضها كذلك ، وفى وسطها حجر أسود يقال : أنه مسقط رأسها ، وذرع الرواق المقدم من هذه الدار من وسط جدره على الاستواء ثمانية وثلاثون ذراعاً هذا ذرعه طولاً ، وذرعه عرضاً سبعة أذرع وربع ، وذرع ما بين كل اسطوانتين منه خمسة أذرع وربع ، وذرع الرواق المؤخر من هذه الدار من جدر قبة الوحي الى الجدر المقابلة له ثلاثة وعشرون ذراعاً ، هذا ذرعه طولاً ، وذرعه عرضاً عشرة أذرع وكان تحريراً ما ذكرنا من ذرع المواضع بذراع الحديد (٥٧ سنتياً تقريباً) كله بحضورى ، وعلى باب هذه الدار مكتوب أنها عمرت فى خلافة الناصر العباسى وفى زمن الملك الأشرف أبى شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون صاحب مصر ، وفى الرواق المقدم من هذه الدار أن المقتدى العباسى أمر بعمله ، وعمر بعض هذه الدار فى أول دولة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق من المال الذى أنفذه أبوه لعمارة المسجد الحرام وغيره ، ولم يعمر ذلك إلا بعد موته فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها ، ومما عمر فى هذا التاريخ من هذه الدار الموضع المعروف بقبة الوحي بعد سقوطه ، وبغنى أن القبة الساقطة كانت من عمارة الملك المظفر صاحب اليمن رحمهم الله تعالى ، وإلى جانب هذه الدار حوش كبير على بابه حجر مكتوب فيه : إن هذا الموضع مرقد مولد فاطمة رضى الله عنها ، وأن الناصر العباسى عمره ووقفه على مصالح دار خديجة التى إلى جانبه . اهـ . وهذا الوصف فى العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة . هذا وتجد مكتوباً بالحروف البارزة على لوح من الرخام وضع فى حائط الطريقة الخارجية على يسار الداخل .

ما يأتي (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة مرقد مولد الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيدنا ومولانا الإمام المفترض للطاعة على الخلق أجمعين الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف آقذاره وجعل منافعه ومستغلاته وأجره عائدا على مصالحه ثم على مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوي على ما يرى الناظر المتولى له في ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المرقد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك آبتغاء وجه الله تعالى وطلبنا لثواب الدار الآخرة، تقبل الله ذلك منه وجزاه عليه أجر المحسنين، وذلك على يد العبد الفقير الى رحمة الله تعالى على بن أبي البركات الدوراني الانباري في سنة أربع وستمائة، ومن غير ذلك أو بدله عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين) وقد عمر الدار السلطان سليمان في سنة ٩٣٥ هـ. وفي هذه الدار صفيحة من حجارة مبنى عليها في جدر البيت الذي كان يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد آتخذ أمام الصفيحة مسجدا، وهذه الصفيحة مرتفعة في الجدر عن الأرض قدر ما يجلس تحتها الرجل، وذرعها ذراع في ذراع وشبر، ويقولون: إن هذه الصفيحة كان يستتر بها الرسول من الحجارة التي ترمى عليه من دار أبي هلب ودار عدى بن الحمراء، ولكن هذا لم يسمع من ثقة، وأصح ما انتهى إليه الخبر أن أهل مكة كانوا يتخذون في بيوتهم صفايح من حجارة تكون شبه الرفاف يوضع عليها المتاع والشئ من الصيني والداجن يكون في البيت، فقل بيت يخلو من تلك الرفاف فالصفيحة التي في دار خديجة من هذا القليل (ص ٤٢٣ أزرقي) .

دار الأرقم الشهيرة بدار الخيزران — هذه الدار في رفاق على يسار الصاعد إلى الصفا وبابها يفتح إلى الشرق ويدخل منه إلى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعة وعلى يسارها « إيوان » مسقوف على عرض نحو ثلاثة أمتار، وفي وسط الحائط التي على يمينها باب يدخل منه إلى غرفة طولها ثمانية أمتار في عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصير، وفي زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان

أحدهما فوق الآخر مكتوب في أعلاههما بالحرف البارز : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ هذا مختبأ رسول الله ودار الخيزران وفيها مبتدأ الإسلام ، أمر بتجديده الفقير الى مولاه أمين الملك مصلح آبتغاء ثواب الله ورسوله ولا يضيع أجر المحسنين) ومكتوب في الثاني بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : (هذا مختبأ رسول الله المعروف بدار الخيزران أمر بعمله وإنشائه العبد الفقير لرحمة الله تعالى جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن علي ابن أبي منصور الأصفهاني وزير الشام والموصل الطالب الوصول الى الله تعالى الراجي لرحمته أطال الله في الطاعة بقاءه وأناله في الدارين مناه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة) « رحلة البتانوني ص ٥٥ » . وقد جاء في شفاء الغرام للفاسي : أن طول المسجد (الحجرة التي على اليمين) الذي في هذه الدار ثمانية أذرع لإقراطين ، وعرضه سبعة أذرع وثلاث وأنه مكتوب فيه ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ : هذا مختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الخيزران وفيه مبتدأ الإسلام أمر بتجديده الفقيرة الى الله مولاة أمير الملك مفلح سنة ست وذهب بقية التاريخ) فتجد فرقا في هذه العبارة والعبارة السابقة ، وقال بعد ذلك : وعمره أيضا الوزير الجواد ، وعمرته مجاورة يقال لها : مرة العصمة ، وعمر أيضا في سنة ٨٢١ هـ . والذي أمر بهذه العمارة ما عرفته . والمتولى لصرف النفقة فيها علاء الدين علي بن ناصر محمد بن الصارم المعروف بالقائد . اهـ .

ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي كان يجتمع فيها المسلمون سرا يتعلمون الدين ويقيمون الشعائر حتى أسلم عمر رضي الله عنه وعمر به الاسلام وجهر المسلمون بدينهم ، وكان إسلام عمر بدار الأرقم : وها نحن أولاء ننقل اليك عن سيرة ابن هشام قصة إسلامه لها فيها من العبر والمواعظ قال ابن اسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام قد أسلم وكان يخفي إسلامه فرقا — خوفا — من قومه ، وكان خباب بن الارت

يختلف — يذهب — الى فاطمة بنت الخطاب يقرأها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكر له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبدالمطلب وأبو بكر بن أبي خافة الصديق وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضى الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة ، فلقينه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يا عمر! أترى بنى عبدمناف تاركك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال : وأى أهل بيتي؟ قال : خَنَتَكَ^(١) وأبن عمك سعيد بن زيد ابن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلمها وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما ، قال : فرجع عمر : عامدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرأها إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خباب في مخدع لهم أوفى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما ، وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال : ما هذه الهينة التي سمعت؟ قال له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى ! والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضر بها فشجها ، فلما فعل ذلك ، قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمدا وكان عمر كاتبها ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليهما ، قال : لالتخاف وحلف لها بألهمته ليردّنها اذا قرأها إليهما ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له : يا أخى إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فأغتسل فأعطته الصحيفة وفيها

(١) الختن محرّكة : الصهر وكل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

(طه) فقرأها، فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له يا عمر: والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب فآله الله يا عمر: فقال له عند ذلك عمر: فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا — بيت الأرقم — معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشح به ثم عمّد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً بالسيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله: هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة: ابن عبد المطلب: فأذن له فان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إئذن له، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة فأخذ يُحِجُّزَتَهُ — حجة الإزار معقده — أو يجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة — جذبه — وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يتزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله جئت لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم، فنفترق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمتعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوّهم، فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم. اهـ.

بستان دولة شريف مكة — هو حديقة غناء بجهة جحول مستطيلة الشكل طول ضلعها البحرى ٢٧٠ متراً، والغربى ١٨٠ متراً وارتفاع سورها المحيط بها متران، وفى وسطها خزان للماء مربع الشكل طول ضلعه ٦١ متراً، وسمك حائطه من الأعلى ثلاثة أمتار وربع، وارتفاعه أربعة أمتار، وهو مبنى بالحجر الأزرق وجدره من

الداخل والخارج محصنة بالحير المخلوط بسحق الآجر، ويصعد إليه من الجهة الشمالية أولا على أربع درجات ثم بعدها ١٦ درجة عن اليمين ومثلها عن اليسار، فله سلمان بعد الأربعة الأولى، وفي آخر السلم درجة كبيرة في مستوى أعلى الخزان والسلم مصنوع من حجر متين زادته الصنعة رونقا وجمالا وفي زوايا الخزان الأربع من الداخل درج منتظم على شكل ربع الدائرة، كل زاوية فيها ١٤ درجة طول العليا منها متر والسفلى ستة أمتار ونصف، وهذا الدرج للنزول منه الى قاع الخزان، وفي منتصف كل جدار من جدار الخزان بحذاء الأرض فتحتان ارتفاع كل فتحة ثلاثة أرباع المتر في عرض نصفه وذلك لتصريف المياه منها الى البستان، وهذا الخزان الكبير لا مثيل له في الأقطار الحجازية لهذا عنيينا بوصفه . وبالبستان أيضا خزانان بينهما أربعة أمتار ارتفاع كل منهما ستة أمتار وبأعلى كل منهما فتحتان تقذفان المياه الى بركة يشرب منها الناس ويغسلون وأوانيهم وثيابهم ويغتسلون منها، وترى الماء حين نزوله أبيض اللون يمثل قطعا فضية تلاحق رميها، وإنه لمنظر جميل في بلاد قفرة قلت فيها المياه .

والمزروع من أرض البستان نحو الربع، وفيه شجر الجوافة والجوز الهندى والبرتقال والليمون والنخيل والعنب والورد والبرسيم الحجازى والكرنب والكرات والباذنجان والطماطم الى غير ذلك، ولا يفوتنا ذكر ما فيه من شجر الكادى الذى يستخرج منه عطر الكادى ذو الرائحة الجميلة، وشكل الشجرة كالصبارة إلا أن طولها يفوق المترين ولها جذوع كثيرة ضاربة في الأرض، وورقها عريض أشبه بسعف النخل من جانبه العريض وله شوك كثير .

وقد أذن لنا دولة الشريف بدخوله والاستظلال بشجرة في ساعات القيلولة، وكان معسكرنا بحذائه وشدت طنب بعض الحيام بجداره . وقد تناولنا من الجوافة التى كانت به وقت لبثنا بمكة : انظر (الرسم ٧٢) وترى فيه الناس وهم يأخذون المياه ويغتسلون، وقد بلغنى أخيرا أن هذا البستان محى أثره بعد وفاة منشئه الشريف عون

صديق الشريف عون الرفيق وبها مسجد ومياه من عين زبيدة



72. The garden of El Sherif Oun El Rafik with a water-fall from the well of Zobeidah.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في هذه البقعة من الأرض
مناجاة للمؤمنين ومناجاة للمؤمنات
والسلامة من النار والنجاة من النار

١٩٧

المستعبد بن عبد العزيز
العاقل



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في هذه البقعة من الأرض
مناجاة للمؤمنين ومناجاة للمؤمنات
والسلامة من النار والنجاة من النار



الرفيق باشا فتحقق بذلك المشل "الجزء من جنس العمل" وذلك أن والى مكة العدل المشير عثمان نوري باشا كان قد أنشأ بالقرب من معسكر المحمل بستانا بهجة للناظرين فيه من الأشجار أجملها ومن الثمار أطيبها وأباحه لأهل مكة يتنزهون فيه ويستظلون بوارف ظله ، وكان أول ما أنشئ بمكة من متنزهات ، فما كان من الشريف إلا أن سعى به لدى الخليفة فعزله ، وأمر بإزالة البستان الذى أنشأه وأنفق عليه الآف الجنيهات .

تأثير السيول فى مباني مكة — إن مكة فى واد تحف به الجبال فاذا هطلت الأمطار بشدة تجمت فى الأودية بسرعة وهرعت الى مكة فكونت فى كثير من أماكنها بحيرات ترى البيوت فيها أشبه بالجزر ، وإذا علمت أن المسجد الحرام وطى عن الشوارع بنحو ثلاثة أمتار أدركت أنه عند طغيان السيول يتحول الى بحيرة بعيدة الغور ، لذلك تنبغى العناية بتأسيس البيوت حتى لا يجرفها السيل أو يأتى عليها من قواعدها ، وللسيول بمكة حوادث غريبة دعتنا الى أن نسطرك بعضها .

ففى زمن جرهم أيام كانوا ولاية البيت جاء سيل جارف هدم الكعبة فبنته جرهم على قواعد اسماعيل ، وكان البانى رجلا أزديا يدعى أبا الجارود .

(١) ولى أمر الحجاز لأول مرة سنة ١٢٩٩ هـ . وهو رجل ذكى شهم سياسى تحيل فى القبض على الشريف عبد المطلب الذى هم بالخروج على الدولة فعزلته من إمارة مكة وولت مكانه عون الرفيق باشا وقد وشى هذا بعثمان نوري باشا لما أن غل يده عن المكوس والمظالم التى كان يتقاضاها من العربان والحجاج ، فعزل بالوشاية بعد خمس سنوات وعين واليا على اليمن ثم أعيد الى ولاية الحجاز وقد أصلح مجرى عين زبيدة وعمل فيها صنابير (حنفيات أو بازانات) وهو الذى أنشأ ديوان الحميدية ودار البريد والثكنات العسكرية بمكة وجدة وأنشأ سور ينبع ، وقد أنشاء الحديقة المذكورة فى ولايته الثانية ولم يكن موضعها مقبرة وإنما كان فضاء واسعا ، ولما آتت نفس عون منه خرج الى المدينة فى جمع من علماء مكة وأشرفها وضم إليه علماء المدينة وأشرفها وكتبوا الى السلطان يطعنون فى الوالى وأنه يكره الأشراف ويسبهم ويهينهم ويحتقرهم وإنه حوّل مقبرة المسلمين الى متنزه ، فما كان من السلطان إلا أن عزل العدل المصلح ، وكان خليقا بأمر المؤمنين أن يتبين فى قول الشريف كما أمر الله فى كتابه وأن لا يحكم على متهم إلا بعد استجوابه واستماع قوله .

(أنظر الوالى فى الرسم ٧٣)

وفي زمن خزاعة جاء سيل عظيم دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ورمى بالشجر وجاء رجل وامرأة ميتين ، فعرفت المرأة وكانت بأعلى مكة يقال لها : قارة . وسمى السيل باسمها ولم يعرف الرجل ، فبنت خزاعة بناء حول البيت أداروه وأدخلوا الحجر فية ليحصنوا البيت فلم يزل ذلك البناء الى زمن قريش .

وفي سنة ٨٠ هـ . نزل سيل عظيم دفعة واحدة ذهب ببعض الحجاج وبأمتعتهم وكان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال والنساء ودخل المسجد فأحاط بالكعبة وبلغ الركن وهدم بيوتا كثيرة انقضت على كثيرين فأماتهم ، فرقى الناس الجبال واعتصموا بها وسمى ذلك السيل « سيل الخجاف » وفيه يقول عبد الله بن عماره
لم تر عني مثل يوم الاثنين * أكثر محزونا وأبكى للعين
اذ خرج المخيمات يسعين * شواردا الى الجبال يرقين

وفي سنة ١٠٤ هـ . وقع سيل يقال له : الخبل لأنه أصاب الناس بعده مثل الجبال من مرض حدث بهم عقبه في أجسامهم وألستهم ، وكذلك حصل سيل آخر في هذه السنة .

وفي سنة ٢٠٨ هـ . حدث سيل عظيم أحاط بالكعبة وبلغ الباب والحجر الأسود وهدم أكثر من ألف دار ومات به أكثر من ألف ملاً المسجد والوادي بالطين والبطحاء وذهب بصناديق الباعة فألقى بها في المسفلة ، وفي ذلك كتب عبيد الله ابن الحسن الى المأمون يستنجد به : « يا أمير المؤمنين إن أهل حرم الله تعالى وجيران بيته وألف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكت جرياته في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأموال وجرف الأثقال حتى ما ترك طارفا ولا تالدا للراجع اليها في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والأجداد ، فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم وإحسانك اليهم تجدد الله مكافئك عنهم ومثيبك على الشكر منهم » فوجه المأمون اليهم الأموال الكثيرة وكتب اليه (أما بعد ، فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله الى

أمير المؤمنين فبكاهم بعين رحمته وأنجدهم بصيب نعمته وهو متبع لما أسلف إليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله في تثبيت نيته على عزمه) فكان كتابه أسر لأهل مكة مما بعث إليهم .

وفي سنة ٢٥٣ هـ . دخل مكة سيل عظيم أحاط بالكعبة وقارب الحجر الأسود وهدم دورا كثيرة وملا المسجد غثاء حتى جرف بالعجلات .

وفي سنة ٣٤٩ هـ . لما برز الحج قافلا جاءهم سيل فأخذهم عن آخرهم وألقى بهم في البحر وما أتى مصر منهم أحد نسأل الله العافية .

وكذلك حدثت سيول في سني ٥٥٩ و ٥٧٣ و ٦٥٠ و ٦٦٩

وفي سنة ٧٣٣ هـ . في آخر ذي الحجة وقعت أمطار وصواعق منها صاعقة على أبي قيس قتل رجلا ، وثانية بالخيف قتل رجلين ، وثالثة بالجرانة قتل رجلين أيضا .

وفي سنة ٧٣٨ هـ . وقعت سيول جاء معظمها من وادي إبراهيم ودخلت المسجد وعلت على العتبة قدر شبرين ، ودخل المطر قناديل المطاف وهدم ما يربو على ٨٠٠ دار وغرق ناس ومات آخرون تحت الانقاض .

وفي سنة ٧٥٠ هـ . نزل مطر وصاعقة وريح سوداء أوقعت جميع الأعمدة المتجددة حول المطاف التي جددتها فارس المدين في سنة ٧٤٩ هـ . ولم يبق منها إلا عمودان .

وفي سنة ٨٠٢ هـ . نزل سيل كأفواه القرب جعل في مكة بجرا زائرا وملا المسجد الحرام حتى كان عمقه خمسة أذرع ودخل الكعبة من شق بابها وأسقط عمودين بما عليهما وهدم دورا كثيرة ومات به نحو ٦٠ شخصا ما بين غرقى وهدمى .

وفي سنة ٨٢٥ هـ . وقع مطر عظيم صحبته صاعقة أماتت أربعة أشخاص .

وكذلك حصلت سيول في سني ٩٧١ و ٩٨٣ و ١٠٢١ و ١٠٢٤ و ١٠٣٣

وفي سنة ١٠٣٩ هـ . نزل مطر شديد أمات نحو ١٠٠٠ شخص في يوم وليلة ودخل المسجد الحرام وبلغ طوق القناديل وأسقط الجانب الشامي من الكعبة بوجهه

وأخذ معه من الجدار الشرقى الى الباب، ومن الغربى من الوجهين نحو السدس
ودخل بيوتا فأخرج منها الأمتعة وذهب بها الى المسفلة .

وفي سنة ١٠٧٣ هـ . نزل مطر شديد وصل من المسجد الحرام الى القناديل .

وفي سنة ١٠٩١ هـ . أمطرت السماء مطرا لم يشاهد مثله خرب أكثر البيوت
خصوصا ما كان بسوق الليل والمسفلة والأطراف المنحدرة، ودخل المسجد الحرام
وبلغ الى نصف الكعبة، وكان ذلك اليوم يوم خروج الحج المصرى ففرق المسافرين،
ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل به الى الحرم فلم يزل السيل
يدفعه - وقد انقطع حمله - حتى رقى على منبر الخطيب ولم يزل به الى الصبح من
اليوم الثانى وقد أترخ بعضهم هذا السيل بقوله (طغى الماء) .

وفي سنة ١٠٩٣ هـ . عملت فى المسفلة (أسفل مكة) قناة عظيمة لتصرف
السيل الى بركة ماجن .

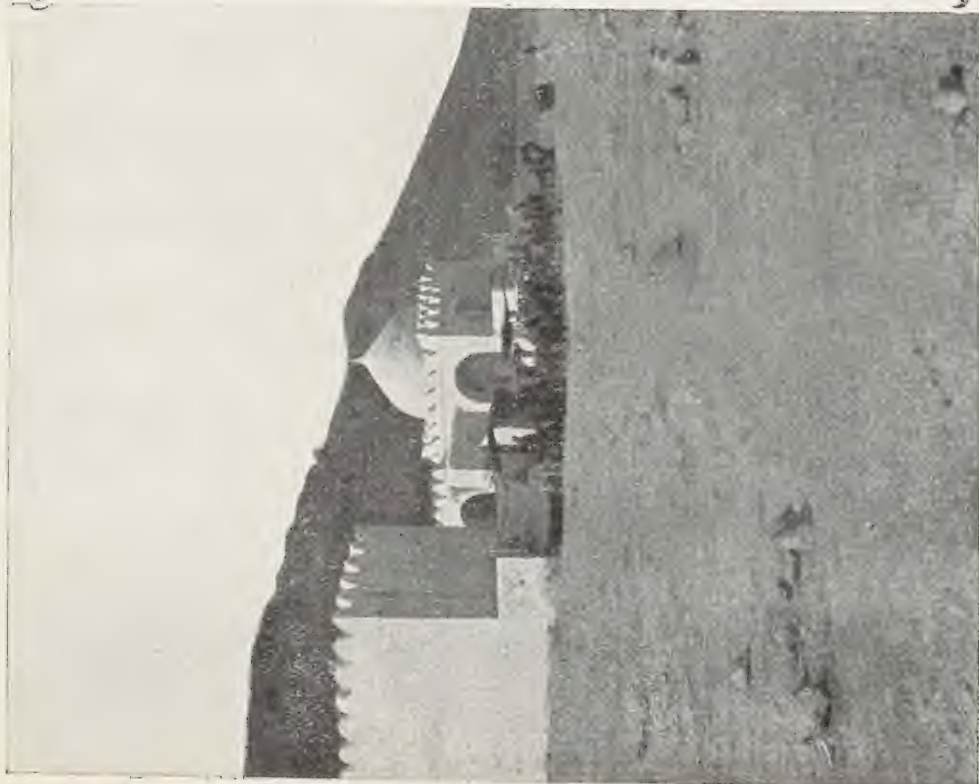
وفي يوم السبت ٢١ ذى الحجة من سنة ١٣٢٥ (٢٥ يناير سنة ١٩٠٨) فى حجتى
الرابعة نزل مطر شديد وجرى السيل من كل جهات مكة بشكل لم يسبق له مثل
منذ ٣٣ سنة على ما بلغنى، وكان السيل أشبه ببناء النيل المنحدر وكان عرضه وهو
ينحدر من جبال جياذ نحو ٥٠ مترا وسمعنا دوى صاعقة بجياذ مثلت صوت جملة
من المدافع الضخمة أطلقت فى لحظة واحدة، وقد ملأ الشوارع حتى كان عمقه
فى شارع وادى ابراهيم مترين تقريبا، ولذلك دخل المسجد الحرام من أبوابه وانقطع
المرور من الطرق إلا بالسباحة، وكنت ترى الشقادف ورحال الإبل سابحة فى الماء
وتسمع دويا للماء كأنك أمام القناطر الخيرية وقد فتحت عيونها وتجد الناس
فى (الرسم ٧٤) وقد خرجوا من المسجد الحرام من باب الرحمة يستعدون لاجتياز هذه
المياه وقد كشفوا عن سوقهم ورفعوا ثيابهم الى ركبهم ودون ذلك وأكثر.



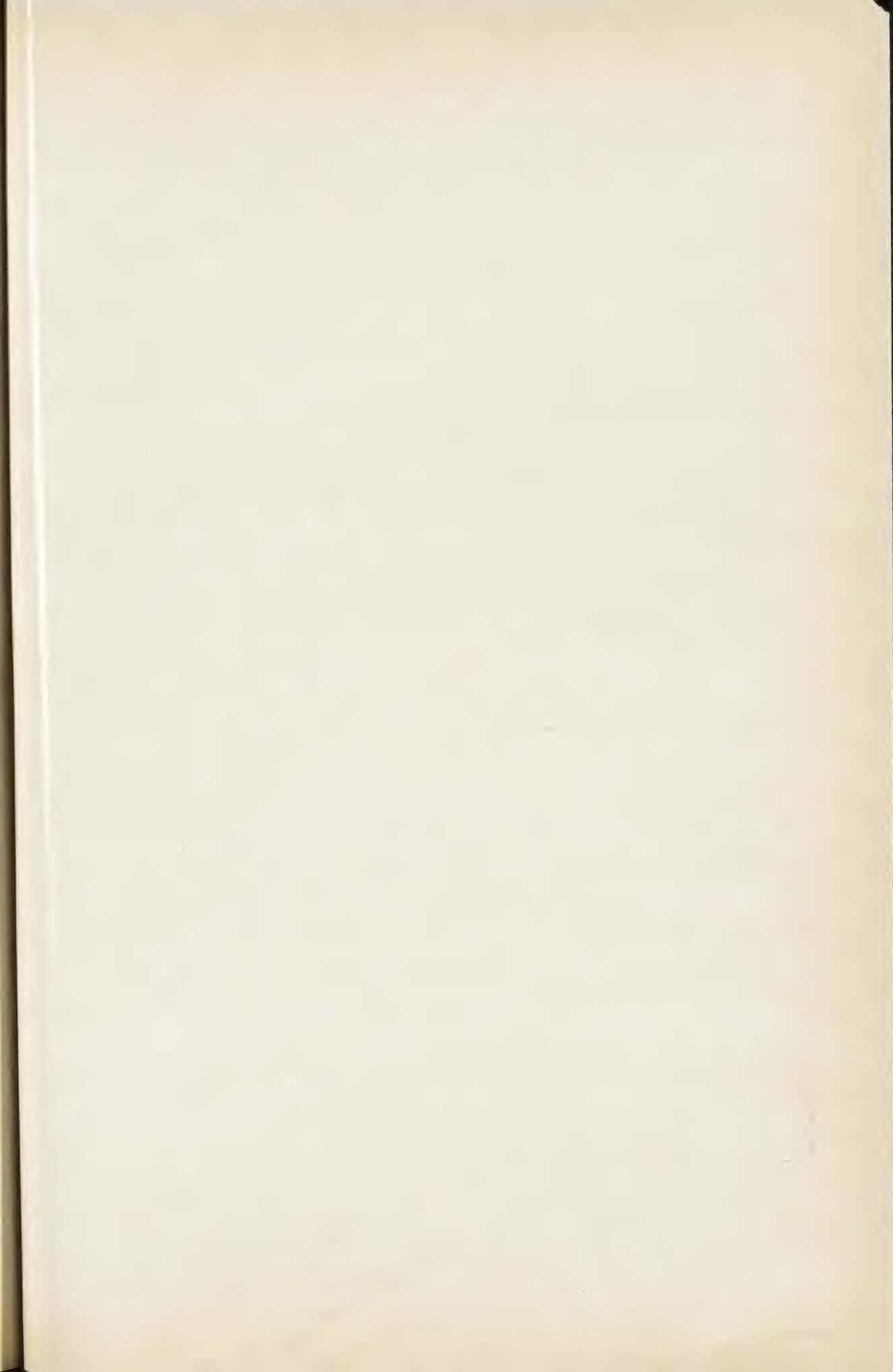
74. A photo of the pilgrims passing through El Sabil in Mecca in 1325.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسجد ومقام السيد محمد بن أبي القاسم في مكة المكرمة



75. Mosque & Mausoleum of El Sayyeda Maymuna, wife of the Prophet Mohamed, at Sarif between Mecca & Medina.



سكان مكة — قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا﴾ وقال ﴿سَوَاءٌ أَلْعَا كُفٍّ فِيهِ وَالْبَادِ﴾^(٢) لهذا هرع المسلمون من أقطارهم المختلفة الى الاقامة بمكة المكرمة احتفاء بحرم الله وابتغاء لفضل الله ورضوانه وقصد التجارة للدنيا والآخرة وذلك من يوم أن انشر الاسلام في أطراف المعمورة الى يومنا هذا .

وقد كان من أثر ذلك أن كان المكين من أجناس مختلفة وأمم متباينة ، فمنهم المكيّ الصميم ، ومنهم أعراب البوادي الذين توطنوا مكة يمينين وحضرميين وحجازيين ونجديين ، ومنهم الهنود والحاوة والبخاريون والأفغان والأعجام والشوام والأتراك والمصريون والسودانيون والمغاربة وكثير غيرهم من الأمم الاسلامية ، ولما كان للغة والهجرة أثر كبير في الحد والنشاط كان معظم التجارة بأيدي الأعراب ، فالأشياء الثمينة والبيوت التجارية العظيمة بأيدي أولئك .

قال صديقنا الفاضل ليب بك البتانوني في رحلته : ومن اختلاط هذه الأجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة أو المعاشرة صار سواد أهل مكة خليطا في خلقهم وخلقهم فتراهم قد جمعوا الى طبائعهم وداعة الأناضولى وعظمة التركى واستكانة الجاوى وكبرياء الفارسى ولين المصرى وصلابة الشركسى وسكون الصبني وحدّة المغربى وبساطة الهندى ومكر اليمنى وحركة السورى وكسل الزنجى ولون الحبشى ، بل تراهم جمعوا بين رقة الحضارة وقشف البداوة ، فبينما ترى الرجل منهم قد آنسك برقة حديثه معك وضعته بين يديك إذ هو قد استوحش منك وأغلظ في كلامه حتى كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه على طبيعة الحضارة فلم يطق ما تكلفه في حضرتك .

وقد وصل هذا الخلط الى أزيائهم التى تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية : عمامة هندية وقفطان مصرى وجبة شامية ومنطقة تركية فيها خنجر تراه على الخصوص فى حزام الأشراف مفضضا أو مذهبا بشكل جميل جدا ، وكثيرا

(١) مكانا يثوب الناس إليه ويرجعون .

(٢) المقيم والطارى .

ما يكون مرصعا بالأحجار الكريمة، وقد ترى الصانع الفقير يلبس القميص وعلى طوقه
الوشى المشغول بالحرير وعلى رجل سراويله شئ يشبه « الركامة » وهو حافى القدم
غير أنك لا تلاحظ هذا في طبقة الأشراف التى ترفعت عن هذا الخليط فلم يؤثر فيهم
الغريب ولم يتغلب عليهم خلق جديد ، بل أخلاقهم أخلاق عربية بجثة هى التى
ورثوها عن آبائهم السالفين .

ثم قال : والذى يؤسف له أن هذا الخلط وصل الى لغتهم فتراهم يتكلمون
فى الأكثر بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوهة أو فارسية أو تركية وهم
يننون المضاف فيقولون : فى هذا حق فلان مثلاً : هذا حق فلان مع ابدال القاف
جيماً مصرية ، ومنهم من يمد الحرف المنون فيقول « هذا حقون فلان » أو يؤنث
لفظه فيقول « حقة فلان » ولا يحذفون النون من الفعل فى صيغة الأمر للجمع
فيقولون : « هيا صالون المغرب واركبون » بدل صالوا وأركبوا ويستعملون الترخيم
فى غير المنادى فيقولون : « قم لعنا » أى قم لعندنا ويقولون : فى الإبل « اليل »
بكسر الباء وفى الجبل « البَل » بفتحها ويقولون كيناً أى كلنا (خلصنا) ويقولون :
« وصابتى » فى وامصيتى ، وألن فى اليمن ، ومما يكثر سماعه منهم قولهم : « دحين »
فى هذا الحين و « إزهم فلان » فى ادع فلاناً ، ويعبرون عن الرجل بلفظ « زلمة »
ويجمعون الرجل على « أوادم » ويقولون « زكَّنه » أى فكره أو نبهه وقل كذا أى اعمل
كذا ويقولون « أبيض » للاستحسان و « سنع » فى اصنع أو أتقن و « اتجعمص »
فى اجلس و « فصّخ حذاك » أى اخلع نعالك ، ويقولون : « مشلح » للعباءة ،
و « شاية » للقفطان ، و « امرح » : أجر ، و « الودن » للفدان من الأرض ، و « الصمادة »
للكوفية ، و « زكن عليه » أى أكد عليه ، و « زل » بمعنى مر ، و « آندر » بمعنى
أخرج ، و « إلّا » بمعنى نعم ، ويسمون الأولاد « البزورة » فيقولون : بزورة فلان
أو بزرا فلان أى أولاده ، ويستعملون لفظة « هرج » فى معنى كلم فيقولون :
ما هرجته أى ما كلمته ، ويستعملون لفظ « صاقن » التركية للتنبيه والاحتراس

و « قريوز » للبطيخ الخ ، وهذا كله مع كثرة أغلاطهم وعدم مراعاة قواعد العربية في النطق والكتابة .

وما كان ينبغي بأم البلاد العربية أن تكون لغة أهلها على هذه الشاكلة ، وكان جديرا بها أن تكون موئل العربية الفصحى ومنهلها العذب كما كانت كذلك في أيام الجاهلية وصدر الإسلام ، ولكنه الاهمال يذهب بالمجد التليد والعز القديم . وأكثر أهل مكة يعرف التركية ومن المطوفين من يتكلم بلغات مخصوصة كالهندية والأوردية — هندية أيضا — والجاوية والصينية والفارسية وأهل البادية لغتهم عربية بحتة ، ولكن لا تكاد تفهمها ولكل قوم لهجة خاصة ، فمنهم من يقلب القاف زايا فيقول « زربة » في قربة ، ومنهم من يقلب الكاف سينا فيقول « سواسب » في كواكب و « سبد » في كبد الخ .

وسكان مكة يزيدون على ١٢٠ ألفا كلهم مسلمون إذ قد حرم الإسلام أن يقربها مشرك ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَمَلِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عِيلَةً ^(١) فَسَوْفَ يَغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فلم يسكنها مشرك من ذلك العام ، وذلك ليكون مبعث الإسلام ومشرقه الأول بمنجى ممن يدسون للمسلمين الدسائس ويشيرون الفتن ، بل مازال عمر في خلافته يحد حتى طهر جزيرة العرب ممن يدين بغير الإسلام فكانت للمسلمين حصنا حصينا وحرزا منيعا خلا من مثرات الفتن وأهل الأهواء والريب .

عادات المسكين — جاء في رحلة صديقنا لبيب بك أن من عادات أشرف مكة أن يرسلوا أولادهم وهم في نعومة أظفارهم الى البادية وخصوصا الى قبيلة عدوان التي في شرق الطائف وهي قرية من سعد التي أوضع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينشئون فيها على البداوة التامة مع الأمية الصرفة حتى اذا ترعرعوا عادوا الى مكة وقد تعلموا بعض لغات القبائل وحفظوا من أشعارهم وأخذوا من عاداتهم وأخلاقهم التي من أحسنها الفروسية والحرية في القول والفعل .

ومن عادة الشريف أن يجلس للحكم في دار الإمارة كل يوم من الساعة الخامسة نهارا الى قبيل العصر فتعرض عليه المسائل العامة .

ومن عادته أن يستقبل صباح الجمعة في دار الإمارة الوالى وكبار الموظفين والأشراف والوجوه .

ومن عادات المكين التألق في المأكول والمشرب واللباس وتكثر في لباسهم الألوان الزاهية خصوصا الأخضر والأحمر والأزرق والوردى ، وترى في مساكنهم كثيرا من أدوات الزخرف والزينة والرياش الثمينة ولا سيما البسط العجمية النادرة المثال .

ومن عاداتهم تقديم الشاى فى أى وقت تحية للقادم عليهم وإقامة المآدب فى حفلة يسمونها قيلة ويتفاخرون بكثرة صنوف الطعام ، وليس لأطعمتهم نظام مخصوص ، فمنها : الهندى والمغربى والشامى والتركى والمصرى ويقعد المدعوون فى هذه الولائم على سباط يمدّ على الأرض ويقدم اليهم الطعام لونا فلونا ، وبعد ذلك يجلسون للسمر أو سماع بعض الأغاني وآلات الطرب كالعود والقانون والرباب ثم ينصرفون وفى الأكثر تكون هذه الحفلات فى ضواحي مكة كالزاهر والشهداء ، وهناك يكون اليها ويقضون يومهم فى سرور وألعاب رياضية كالمسابقة بالجرى أو لعب الكرة أو الترد أو الشطرنج .

ولأهل كل حارة من حارات مكة وليمة يقيمونها للشريف كل سنة فى أحد متّزّهاتهم خارج البلد ، فيحضر مع خاصته فى موكبه ويتناولون الطعام وتقام الألعاب حتى آخر النهار وبعد فترة من الليل يعود فى موكبه الى مكة .

ومن عاداتهم أن يتناولوا الطعام مرتين فى اليوم فى الضحوة وبعد صلاة العصر ، ويتظاهرون بالكرم والشجاعة خصوصا فى شهر رمضان وقد كانوا يفطرون فى المسجد الحرام بعد صلاة المغرب فيمدّون الموائد هناك ولكن أبطل عون الرفيق باشا هذه العادة لما يتبعها من تقدير المسجد وقد أمرنا بنظافة المساجد وتعطيرها ، ومن عادة كثير منهم شرط وجنات الصبيان ثلاث شرطات فى كل وجنة .

ونسأؤهم يدخن بالترجيلة (الشيشة) ويفشو بينهم الزار ويخرجن الى الأسواق بملاءات واسعة سوداوات في الأكثر وبرقع كثيف فيه ثقبان صغيران في محاذة العينين ، وفي أقدامهن خفاف ضخمة أغلبها ذولون أصفر .

ومن عاداتهم في عرسهم أن يدعوا الأهل والأصدقاء رجالا ونساء ويجلس الرجال خارج البيت في المكان المعد لهم ، ويمتد لهم في العشاء سباط طويل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون وينصرفون . أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب القاعة التي يجلسن فيها قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء ، فتصبغ المرأة منها إحدى يديها ثم تدخل الى قاعة الجلوس وبعد السلام تجلس مع الجالسات يتجاذبن أطراف الحديث حتى منتصف الليل ، واذ ذاك يزف العروس الى بعلها ثم يعدن الى بيوتهن بعد أن يطوقن عنقها بعقود من زهر الفل أو ثمر التفاح وهو في قدر البندق .

ومن عاداتهم في مآتمهم أنه حينما تفيض الروح الى بارئها تصرخ امرأة من أقرب الناس اليه صرخة أو صرختين إعلاما بالمصيبة ، فيتوارد اليها النساء فيجدن قصعة على باب القاعة التي يجلسن فيها ملئت بمعجون الحناء فيخضبن منها إحدى اليدين ثم يدخلن القاعة معزيات صاحبة المصيبة ثم يجلسن ويأخذن في الأحاديث المختلفة ثم ينصرفن والميت يأخذه بعض أقاربه الى محل يسمى الشرشوره يغسل فيه ثم يسرعون به الى المقبرة ، ويدفنونه بدون احتفال كبير ثم يتوارد الرجال على أهله معزين ثم ينصرفون لوقتهم .

ومن عاداتهم أنهم يعملون حفلة كبيرة عند ختم أولادهم للقرآن ، فيسيرون بهم في موكب يقطع طرق مكة . ويحتفلون في منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند مدفنها بسرف (الرسم ٧٥) على مسير ثلاث ساعات من مكة على طريق المدينة ، فينصبون خيامهم في تلك الصحراء ويتفاحرون بكثرة الطعام والشراب . ويحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ويعبرون عن المولد بالحوول فيقولون حول النبي وحول ميمونة ، ومما تعودوه الاصطياف

فى الطائف وفى جبل الهدة فوق جبال كرا، لطيب هوائهما وكثرة بسايتينهما ويرتفع الطائف عن بمر جدة ١٥٤٥ مترا ويرتفع الهدة عنه ١٧٥٨ مترا والكرا ٨٢٢ مترا^(١) وأشهر مصيف فى الطائف يسمى شبرا وهو لأشراف ذوى عون، أنشأه الشريف عبد الله باشا وسماه باسم شبرا مصر ثم حدائق المنشأة وهى لذوى غالب وهى أحسن حدائق الطائف ومشهورة بنخوخها وعنبها، وماؤها أعذب مياه تلك الجهة .

جؤ مكة — جؤها جاف وحر وتختلف درجة الحرارة فى بعض الشهور عن بعض ، ففى يناير تكون ١٨° وفى فبراير ٢٠° وفى مارس ٢٣° وفى أبريل ٢٤° وفى مايو ٢٧° وفى يونيه ٢٩° وكذلك فى يوليه وفى أغسطس ٣٠° وفى سبتمبر ٢٨° وفى أكتوبر ٢٥° وفى نوفمبر ٢٤° وفى ديسمبر ٢٠° ، هذا هو الجؤ الاعتيادى وقد تصل الحرارة الى ٣٩°^(٢) ، والأمطار بها قليلة وقد تتحدر اليها سيول عظيمة تحول مكة الى بحيرات وتأتى من الأمطار التى تنزل بالجبال المطيفة بالطائف ، وقد وصفنا لك سابقا السيل الذى كان فى سنة ١٣٢٥ هـ . والرياح فى مكة مختلفة المهاب فتارة تهب من الشمال وأخرى من الغرب وثالثة من الجنوب ورابعة من الشرق ، ومنشأ ذلك أن الجبال تطيف بمكة والهواء يعمل فيما بينها شبه دوامات الماء فتأتى الرياح من جميع الجهات وألطف الأهوية عندهم ماجاء من جهة البحر الأحمر ، ثم من جهة الشام ، أما ما يهب من الشرق أو الجنوب فخار .

تجارة مكة — أ كثر الأشياء التى يتجر بها فى هذا البلد يأتى من الخارج : كالבصرة ومصر وبومباى واليمن والشام وغيرها ، وأ كثر التجار من الأجانب الذين سكنوا مكة ، ومن الأصناف التى يتجرون فيها العطريات والسبح والسجاجيد والأنسجة الحريرية الهندية والشامية وأنواع الحلى وتأتى اليها الخضراوات والفواكه كالعنب والموز والجوز والسفرجل وغيرها من جهة الطائف ومن بركة ماجن التى تبعد

(١) دليل الحج لصادق باشا ولكن فى «سلامة» — تقويم — الجواز أن ارتفاع الطائف ١٧٧٥ متر

(٢) سلامة ١٣٠٥ ص ١٤٩

عن مكة مسير نصف ساعة وكذلك من مزارع جنوبي جبل ثور تبعد عن مكة مسير ساعتين وتأتي أيضا من بساتين وادي فاطمة على بعد خمس ساعات، ومن سولة ووادي الليمون على بعد أربع عشرة ساعة من مكة، وأهم سوق للخضراوات واللحوم السوق الصغير غربى المسجد الحرام أمام باب إبراهيم، والمجوهرات والأشياء الثمينة في سوق الشامية، واوازم الحجاج في سوق الليل شرق المسجد الحرام. وهناك جدولا بالنقود المستعملة في مكة وجدة وقيمتها بالقروش العثمانية في زمن الحج وبعده نقلناه عن رحلة المرحوم محمد صادق باشا.

من بعد الحج	وقت الحج	أسماء العملة	من بعد الحج	وقت الحج	أسماء العملة
١٧١	١٦٩	الجنيه المصرى	٢٩	٢٨	الريال الشيكوا
١٧٠	١٦٨	» الانجليزى	٢٨	٢٦	» المجيدى
١٥١	١٤٨	» العثمانى	١٣	١٣	الروبية
١٣٣	١٢٨	البنتو	—	٥	الفراق
٢٨ ١/٢	٢٨	الريال بطاقة	—	١ ١/٢	القرش المصرى

وأكثر النقود استعمالا النقود العثمانية وغيرها أكثر ما يتعامل به في أوان الحج بحسب قيمته.

مياه الشرب في مكة — قدما لك نبذة عن الصهاريج في مكة ولم نين إذ ذاك موارد مياهها وما نحن نشبع الكلام في ذلك إشباعا ونقفك على سر من أسرار القدر وعمل من أجل الأعمال ربما شق مثله في عصرنا عصر الاختراعات والتقدم الباهر في الصناعات، ولكنها الهمم لا يقف دونها شيء ولا يصدها عن تنفيذ عزماتها صاد ولا سيما إذا صفت النية وخلصت السريرة، فاستمع وفقك الله لخير العمل وأبره، في طريق الطائف على بعد نحو أربعين كيلومترا من مكة جبال تسمى جبال الثقبه تنبع من عندها عين تسير في قناة بنيت لها من منبعها حتى عرفة فالمزدلفة ففى مكة، وهذه العين تعرف بعين زبيدة، وهذه القناة عرضها من الأعلى متروقد تزيد، وفراغها

من ٥٠ الى ٦٠ سنتيمترا، وعمقها متر ونصفه، وارتفاع الماء في قاعها ٧٠ سنتيمترا وقد يزيد وقد ينقص وهي مغطاة بأبنية الحجارة، وبالغطاء فتحات لأخذ الماء منها، عرضها ستون سنتيمترا وتنقص أو تزيد، والفتحات يتباعد بعضها عن بعض بمسافات مختلفة حسب الحاجة، وبجانب الفتحات أحواض لشرب الآدميين وأخرى لشرب الحيوان، ووسطح القناة تارة يكون مساويا لسطح الأرض وتارة يرتفع عنها وقد يصل الارتفاع الى ٧ أمتار، وتارة تسير في تخوم الأرض على مقربة من سطحها أو أبعد، ومن هذه القناة تأخذ كل صهاريج مكة فيشرب أهلها عذبا فراتا، وهذه القناة تدور في سفح جبل عرفات من ثلاث جهات كما ترى ذلك بخريطة عرفة (رسم ٧٨)، وفيها هنالك فتحات كثيرة بين الفتحة وأختها ٤,٥٥ أمتار، وعرض الفتحة ٦٨ سنتيا في عرض ٨٠، وقد يزيد الطول والعرض على ذلك الى متر، وعمق القناة ١,٣٢ متر، وعرضها ١,٤٦ متر من الأعلى، ويصعد الى الفتحات بسلاسل قد تصل درجات السلم الى ١٥، وعلو الدرجة من ٣٥ سنتيا الى ٣٥ سنتيا، وعرضها ٣٠ سنتيا وهذا المقاس إنما كان في المجرى جنوبى جبل الرحمة فقط، وهذه الحياض ترمم وتنظف كل سنة قبل موسم الحج بقليل . ومما لاحظته أن هذه الحياض بعرفة دون حاجة الحجيج ودوابهم، فإن الحجيج زادوا على ١٥٠٠٠٠ شخص، ومعهم من الحيوان ما لا يقل عن ٣٠٠٠٠ حيوان، فترى الناس في زحام شديد على هذه الحياض، وليس هناك جند يقي بعضهم صدمات بعض أو يقدّمهم الى الأحواض بنظام، وبسبب هذا التراحم نتقذر المياه حتى لا تصلح لشرب الحيوان فضلا عن الانسان، وبسببه أيضا يعتمد الناس الى أخذ المياه من الفتحات التي في المجرى والتي يصعد اليها الناس بسلم ذى أربع عشرة درجة، وهنالك يتوضأون أو يغتسلون من نفس المجرى أو ينظفون ثيابهم وأوعيتهم فيقذرون المياه ولو من أرجلهم على الأقل، ولولا جريان الماء لكان من ذلك أضرار محققة بصحة الحجاج .

وكان خليقا بالحكومة أن تنظف الحيطان وتجدد ماءها كل يوم من أيام عرفة التي لا تعدو الأربعة وتقيم بجانبها حراسا ينظمون حركة الشاربين ويحفظون المياه

احواض المياه بميدان عرفات

هذا المخطط من إعداد اللجنة الوطنية للدراسات والبحوث
التي أنشأتها وزارة الثقافة والإعلام
بالتعاون مع وزارة المياه والري
في عام ٢٠٠٨ م

عن الاحواض الكاشنة جنوبي جبل الرحمة عرفات
المخصصة بمياه الشرب وغير للحجاج

رسم ٧٧



حوض مربعة



حوص مربعة



حوض مربعة



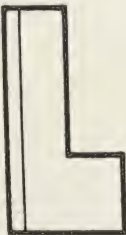
حوض مربعة



حوض مربعة



حوض مربعة



حوض مربعة

ملاحظة

لكل حوض درجة بأسفله ليقف عليه طالب الماء ليستقي

جدول

تسلسل	الوصف	المساحة (م ^٢)	الحجم (م ^٣)	الارتفاع (م)	ملاحظات
١	حوض مربعة	١٠٠	١٠٠	١	حوض مربعة
٢	حوض مربعة	١٠٠	١٠٠	١	حوض مربعة
٣	حوض مربعة	١٠٠	١٠٠	١	حوض مربعة
٤	حوض مربعة	١٠٠	١٠٠	١	حوض مربعة
٥	حوض مربعة	١٠٠	١٠٠	١	حوض مربعة
٦	حوض مربعة	١٠٠	١٠٠	١	حوض مربعة
٧	حوض مربعة	١٠٠	١٠٠	١	حوض مربعة



من الأقدار، وأن دولة الشريف والوالى يضمهما بعرفة الحراس الكثيرون فما عليهم ما لو جعلوا من أولئك حراسا على الحياض؟ ولا يكلفهم ذلك فتيلًا ولا تقيرا، بل ماذا عليهما لو أقاما جنودا في ميدان عرفة الفسيح يحافظون على الأمن ويضربون على أيدي اللصوص الذين تفاقم شرهم يتربصون غرة من الحاج ليسلبوه ماله ومتاعه؟ بل مما يضمن راحة الحجاج في ذلك الميدان أن يقسم الى شوارع وحارات يوضع عليها أعلام، فان الحجاج كثيرا ما يضلون خيامهم لسعة الميدان فانه ميلان في ميلين تقريبا وذلك لا يكف الحكومة إلا تخطيط الأرض ووضع أسماء الجهات بالخط العريض على رؤوس الشوارع وإنه لأمر يسير.

ومما لاحظته أن ليس هناك بيوت خلاء فترى الناس يقضون الحاجة في الفضاء متدائنين ومتباعدين فتتصاعد الروائح الكريهة، فلو أقيمت بيوت أدب على مبعدة من الخيام وأنضاف الى ذلك العناية بالماء لكان الناس في صحة وهناء، ومن الحسن جدا أن تغطي الحياض بغطاء من الصاج ويجعل فيها صناير « حنفيات » فبذلك يجنب الماء القذر ولا يغيره طول المكث، وكذلك ينبغى أن يجعل للفتحات التي في مجرى العين أغطية حتى تمنع عن العين الأتربة وأستقاء الناس وتطهرهم منها وغسل ثيابهم وأوانيهم، وإن ما تتفقه الحكومة في تنظيف الحياض وترميمها في سنتين ليكفي عمل الأغطية والصنابير فيوفر عليها النفقات الطائلة التي تنفقهها كل سنة.

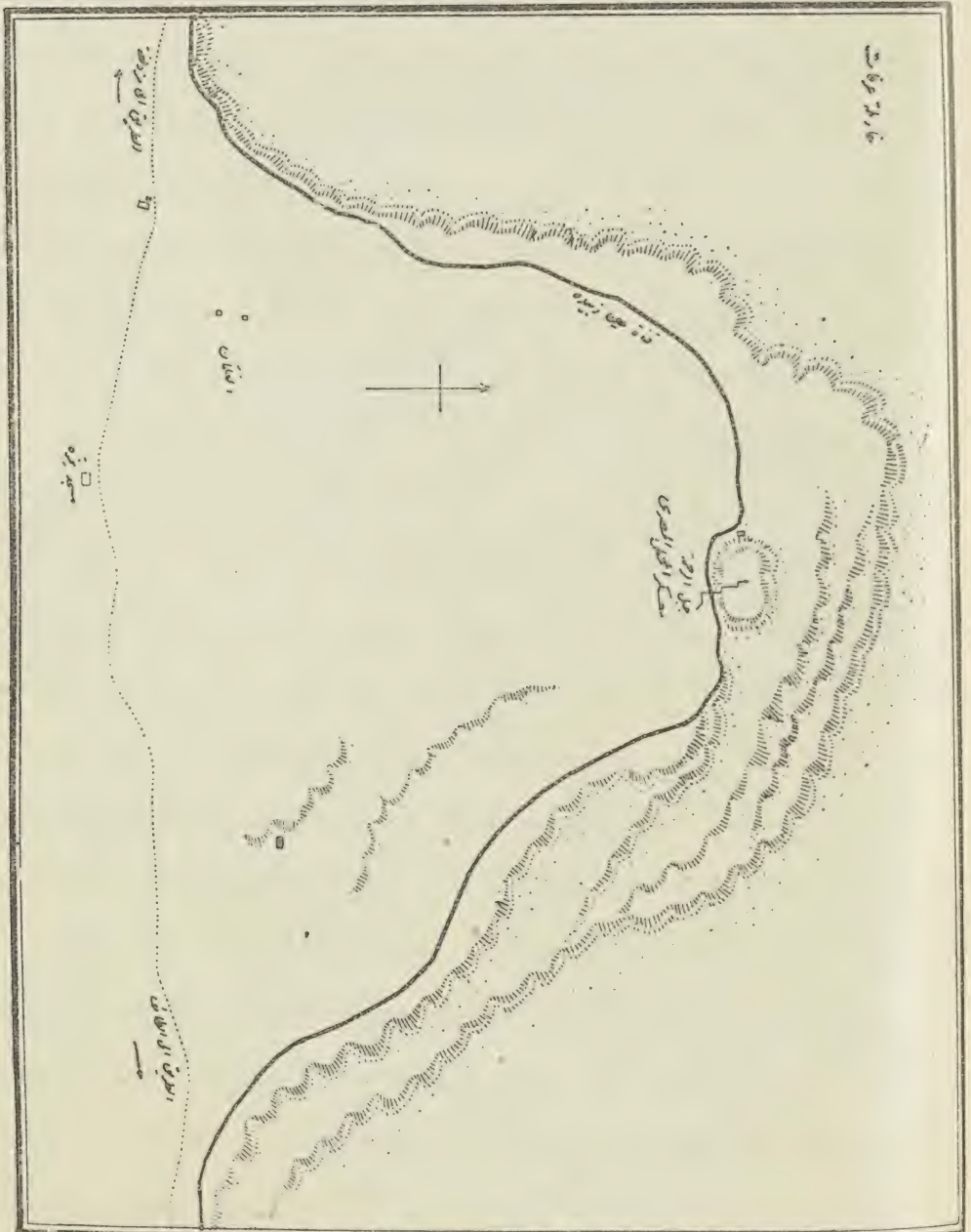
أهمية عين زبيدة — وبما أن عين زبيدة تعتبر كنهر يجري على مسافة ٤ كيلو مترا يستقي منه سكان البلد الحرام والحجيج الوافدون من جميع الأقطار بل وينبتون به المزروعات ويخطون منه البساتين، كان من الواجب علينا أن نقدم بين يديك نبذة تاريخية عن عين زبيدة خاصة والمياه بمكة عامة، ومنها تعرف أن الاسلام أمتزج حبه بلحوم المسلمين ودمائهم وأنه تأصل في نفوسهم وازرع الخيرات والرحمة بِقُطْآن الوادى المبارك كما تعرف أن الحج لم يفرضه الله عبثا — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — ولكن أنقذ به أمة في صحراء جرداء ومكن به الروابط بين المسلمين في جميع الاقطار : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

المياه في مكة وضواحيها وتاريخها — كان أهل مكة فيما سلف يشربون من الآبار التي بداخل البلدة وخارجها، فلما كانت خلافة معاوية أجرى إلى مكة عيوناً عشرة في قنوات عملها لذلك؛ ولما حج عبد الله بن عامر جمع العيون وصرفها في عين واحدة واتخذ حياضاً بميدان عرفة أجرى إليها ماء العين فيبقى الناس في راحة من جهة الماء بمكة وعرفة، وفي آخر دولة بني أمية — ١٣٢ — تخربت العيون التي كانت تمتد العين الكبيرة فانقطعت المياه عن أهل مكة وأصابهم كما أصاب الحجاج من جراء ذلك جهد شديد حتى كانت القرية تباع بعشرة دراهم — ٢٥ قرشاً مصرياً — وأكثر، ورجع الناس إلى مياه الآبار كما بدءوا واستمروا على ذلك إلى خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣) فأمر بإصلاح ما تخرب من العيون، ولكن ما لبثت أن تقطع ماؤها وأصاب الناس من جراء ذلك شدة شديدة؛ فلما بلغ ذلك أم جعفر زبيدة زوجة هارون الرشيد وكانت رغبة في الأعمال الخيرية أمرت بإجراء عين حنين — عين زبيدة — إلى مكة بعد أن استأذنت في ذلك أمير المؤمنين، ومنبع هذه العين في ذيل جبل شاهق يقال له «طاد» بين جبال سود عالياً تسمى جبال (الثقبة) في طريق الطائف من مكة، وكانت عين حنين يسقى بها نخل ومزارع للناس إليها ينتهي جريان الماء وكانت تسمى هذه البقعة حائط حنين وهو موضع غزا فيه النبي صلى الله عليه وسلم غزوة حنين، فاشترت زبيدة هذه الأراضي وأبطلت ما فيها من النخيل والمزارع وبنت لئلاء قناة يجري فيها شقت لها الجبال وجعلت لها شحاحيد (بركا) في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند هطول الأمطار، وجعلت فيها قناة متصلة إلى مجرى هذه العين فصار كل شحاذ عينا يساعد عين حنين، وهي سبعة تصب فيها ومياها تارة تزداد وتارة تنقص حسب الأمطار التي تنزل على أمهات تلك الشحاحيد، ولا زالت تمتد تلك القناة حتى وصلت بها إلى مكة؛ وكذلك أمرت بإجراء عين وادي النعمان إلى عرفة وهي عين منبعها في ذيل جبل كرا وهو جبل شاخ صعب المرتقى، من أسفله إلى أعلاه مسيرة نصف يوم وبعده أرض الطائف، وتتحد المياه من ذيل الجبل في قناة إلى

موضع يقال له «الأوجر» بوادي النعمان ثم يجري منه الماء الى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات فيه مزارع وفي ذلك يقول القائل :

أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

ثم أجرى الماء في قنوات الى عرفات فاتصلت عين النعمان بها ثم أديرت القنوات في سفح جبل عرفات كما تراه في الخريطة (نمرة ٧٨) وجعل منها طرق



(الخريطة نمرة ٧٨)

الى البرك التى بأرض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه الحجاج يوم عرفة ثم سير بالقناة نحو الشمال وعلى بعد ١٣٧٨ مترا عمل بازان — بئر فى الأرض قاعه مجرى العين وينزل اليه بدرج ، وقد يكون عميقا وقد يكون قريب الغور حسب بعد القناة عن سطح الأرض أو قربها وهذه البئر تعمل ليستقى منها الناس — اسمه « فقير الذئب الأعلى » وعلى بعد ٤٠٥ متر من هذا البازان بازان « فقير الذئب الثانى » ثم تتعطف القناة نحو الغرب داخلية فى وادى المغمس وتنتهى الى « حوض البقر » على بعد ١٤٢٠ مترا من البازان الثانى ، وفى هذا الحوض ٢٥ خرزة ثم تسير فى باطن الجبل الى موضع يقال له « الخاصرة » بقربه أراض زراعية يقال لها الهمدانية ، ثم ترجع منه يمينا الى « بازان الحقابة » الذى على يمين الآتى من عرفات ، ثم نتوجه يمينا الى « بازان المعترضة » وبعد ذلك تسير القناة فى سفح المأزمين على يسار القادم من عرفات ، ثم تسير الى مزدلفة وتتوجه منها فى وادى النار وفيه عند رأس جبل على يسار الذهاب الى مكة بازان يقال له « فم الوبر » ومنه يكون المجرى متعلقا فى الجبل الى « المفجر » خلف منى ، وعنده أقيم الآن على المجرى آلة بخارية (ما كينة) عند الريع (المسكان العالى) الذى يرده أهل منى وهذه الآلة ترفع المياه من المجرى وتوصلها فى أنابيب حديدية الى أحواض بنى أنشئت أخيرا فى عهد صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الأول والحجاج يستقون من هذه الأحواض . (انظر الرسم ٧٩) الذى إذا تأملته رأيت فيه المجرى والأنابيب ، ثم يتوجه المجرى منحدرًا خلف جبل منى الى فتحات موازية لمدرج منى بجانبها مسجد وحوض لسقيا الدواب يسمى « حوض البقر الثانى » ومنه تسير القناة تحت الأرض الى بئر عظيمة طويت بأحجار كبيرة جدًا تسمى « بئر زبيدة » اليها تنتهى القناة ، وهى من الأبنية العظيمة (انظر مجرى عين زبيدة فى الرسم ٨٠) ولعله كان فى العزم توصيل تلك القناة الى مكة لتختلط بمجرى عين حنين ، ولكن حال دون ذلك ما لا نعلمه ، والمسافة بين هذه البئر وبين المنبع ٣٣٠٠ متر (رحلة صادق باشا ص ٦١) وبينها وبين منى مسيرة ساعة ركوبا ، ومن هذه البئر يشرب الآن الشريف والوالى وموظفو المحملين وسراة الحجاج بواسطة نقل الماء فى قرب على ظهور الحيوانات .

منظر الحجاج في ميادين جبل عرفات ويروض ما بين راسين

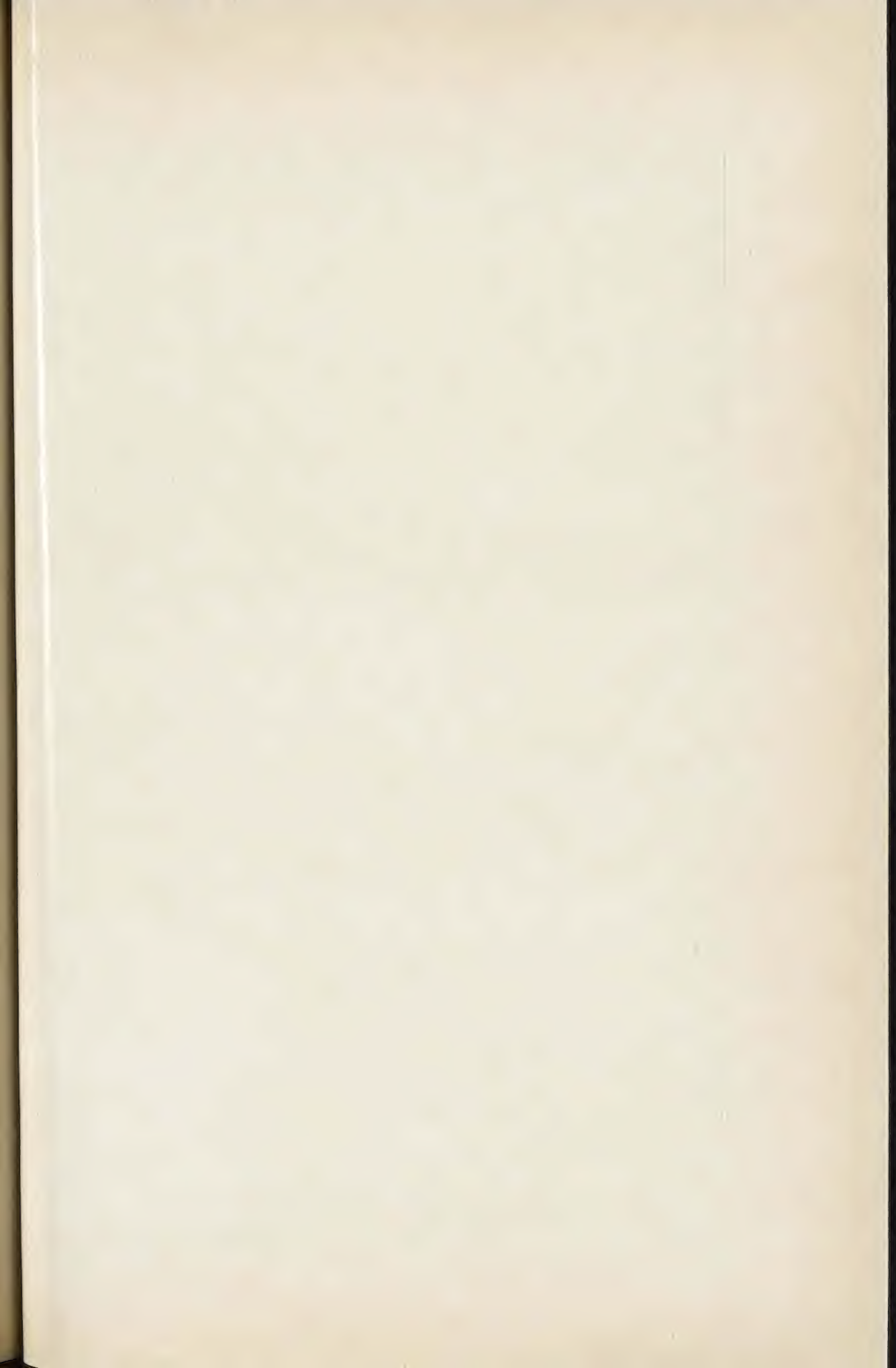


76. Pilgrims on Mount Arafat where a cistern of water from the well of Zobeida is found.

منظر ابرو بجاني المجر خلف جبل في مكة من منظر زينة لوطه كوير



79. A water engine in El Mafgar, behind a hill at Mina, to supply the pilgrims with water by means of pipes



وصارت عين نعمان خاصة بعرفة ومنى في ذلك الزمن ، وقد أنفقت زبيدة على ذلك العمل ١٧٠٠٠٠٠ دينار أو مثقال من الذهب ، ويروى أنه لما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأحضروا دفاترهم لأجل الحساب ليبرئوا ذمتهم ويخرجوا من عهدة ما تساموه من الخزينة لهذا العمل ، وكانت زبيدة ساعة ذلك في قصر عال مطل على الدجلة فأمرت بالدفاتر يلقى بها في الدجلة وقالت : (تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقى عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقى له عندنا شيء أعطيناه) وألبستهم الخلع الثمينة — شكرا لله لما سعيها ورحمها الرحمة الواسعة —

ثم أخذت عين مكة ينقطع ماؤها لقلة الأمطار وتهدم بعض من قنواتها وطغيان السيول عليها ، فأمر صالح بن العباس في سنة ٢١٠ هـ . أن تتخذ لها جملة برك في نواحي مكة تصل إليها مياهها ، ويذهب الفائض الى بركة ماجن أسفل مكة ، وقد كان الخلفاء والسلاطين كلما بلغهم حدوث خراب في هذه العيون أوقفوا قنواتها يرسلون من يعمرها ، ومن أولئك جعفر بن المعتصم (المتوكل على الله) أرسل مائة ألف دينار ذهباً الى مكة لأجراء ماء عين عرفات إليها ، وكان ذلك لما أن حصلت زلازل في سنة ٢٤١ هـ . غارت منها عيون مكة ، ومنهم إبراهيم بن خلكان عمّر عين زبيدة في سنة ٥٠٠ هـ . وقد وجدت في لوحة بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه هذه الكتابة : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إمام الله ظل مولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره ، أمر الإمام الاصفهيتار الكبير نصير الدين بن زين الدين صاحب اربل — ولم أعرف ما بعد ذلك — سنة ٥٠٠ هـ . لأبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله تعالى ببقائه الإسلام » .

ووجدت لوحة أخرى تدل على عمارة لأبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين سنة ٥٨٤ هـ . ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر سيدنا ومولانا الإمام خليفة الله على كافة أهل الإسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت الله الحرام ،

أجزل الله ثوابه آمين ؛ وذلك على يد الأمير الأصفهتيلار الكبير مجير الدين أمير الحاج والحرمين طاستكين نصر أمير المؤمنين أدام الله توفيقه ، وذلك في سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

وهناك لوحة ثالثة تدل على عمارة لأمر المؤمنين السابق وفيها « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله ، أمر بعمارة عين عرفة والمصانع التي بها ملتفة مولانا أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وبلغه سؤله ومنه وأمله ومبتغاه في سلالة الطاهرة وعترته الزاهرة أمير الأمراء الأجل السيد الاصفهتيلار الكبير مظفر الدين بكيري بن علي صاحب اربل سيف أمير المؤمنين أيد الله سلطانه وأعلى أبدا شأنه سنة ٥٥٩٤ هـ . تقبل الله عن يد عبد الرحمن بن أبي جرمي عفا الله عنه » .

ورأيت لوحة رابعة فيها ما في اللوحة السابقة بالتاريخ عينه . والمستنصر العباسي عمر عين عرفات في سنة ٥٦٢٥ هـ . وفي سنة ٥٦٢٧ هـ . وفي سنة ٥٦٣٣ هـ . ويجبل الرحمة كتابة تدل على تعمير المستنصر العباسي هاكها [(بسم الله الرحمن الرحيم لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) شرع لعمارة هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيافه المباهي بهم الملائكة صلى الله تعالى ورجاء عفوه (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا) بالاربل الأشرف النبوي الامامي المستنصري زاده الله تعالى شرفا ، وقد شاده حالالا المطوع بعمارة عين عرفة والبرك التي بها ملتفة بعد عطلها خرابا عشرين سنة ، المولى الأمير الكبير السيد المؤيد المظفر المجاهد شرف الدين جلال الدولة عبسب الخلافة المعظم محيي الإمامة المكرمة ملك الملك ومليك المعالي زعيم الجيوش ملك الملك الإمام الأعز أبو الفضائل والمكارم اقبال الخالص النبوي المستنصري خاص أمير المؤمنين مملوك سيدنا ومولانا الامام الأعظم المفتقر الى الطاعة على جميع الأمم عبد الله خليفة الله في أرضه المستنصر بالله أمير المؤمنين] .

ومنهم جوبان أمير العراقيين من قبل السلطان أبي سعيد بن خربندا ملك التتار فانه أمر رسوله الأمير بازان بتعمير عين عرفة وزوده بخمسين ألف دينار في سنة ٥٧٢٥ هـ . فلما انتهى موسم هذه السنة نادى في الناس بمكة من أراد العمل في العين فله ثلاثة دراهم يوميا ، فهرع اليه العمال وخرج بهم الى العمل وما زالوا يعملون أربعة أشهر

حتى جرى الماء الى مكة وظهريين الصفا والمروة في ١٠ جمادى الأولى من سنة ٧٢٦ هـ . وقد زادت المياه عن الحاجة فصرفها الناس في زرع الخضراوات ، وبلغت نفقات ذلك ١٥٠٠٠٠ درهم ، قال الفاسي : والسبب في كفاية ذلك القدر ما وجد فيها حين عمارتها من القناة المعمولة المهيأة من قديم الزمن ، وهي أكثر من الثلث وأقل من النصف — ومن هنا نعرف أن بازان اسم لرجل سميت به الأحواض والآبار التي على مجرى العين لقيامه بإصلاحها — وفي سنة ٧٢٨ هـ أجرى الملك الناصر محمد ابن قلاوون عينا الى مكة سارت في مجرى عين بازان . وفي سنة ٧٤٤ هـ أجرى نائب السلطنة بمصر عينا من منى إلى بركة السَّلم ، وذلك من طريق منى وعمرت بعد ذلك مرارا ، وفي سنة ٨١٨ هـ عمرت عين بازان — حنين — حتى وصل مأوها إلى مكة بعد انقطاعه عنها . وفي سنة ٨٢٠ هـ انقطع الماء فانتدب الملك المؤيد صاحب مصر والشام والحرمين قائده علاء الدين لعارة العين في سنة ٨٢١ هـ وزوده بألفي مثقال ذهبا ، فشرع في عمارتها في جمادى الآخرة وتممها في شعبان حيث وصل الماء الى مكة ، ولما انقضى موسم هذا العام قل الماء وارتفع سعره فانتدب علاء الدين ثانية في سنة ٨٢٢ هـ بعض العمال والمهندسين لتعمير ما لم يعمر منها وإصلاح ما خرب من عمارته الأولى ، فتم ذلك وبلغت المياه مكة في آخر صفر ، وفي سنة ٨٥٢ هـ . عمرت عين حنين بمعرفة «بيرم خواجة» ناظر الحرمين الشريفين ، ثم خربت العيون بعد ذلك وأصاب الناس جهد جهيد . وبلغ ذلك الملك الأشرف قايتباي ، فأمر بتعمير عين مكة وعين عرفات سنة ٨٧٥ هـ . وبدأت العارة في عين عرفات من جبل الرحمة الى وادي النعمان حيث وجدوا الماء هنالك بكثرة فخلوا سبيله الى عرفة فوصلها بعد أن انقطع عنها مائة وخمسين سنة ، كان الجحاج يقاسون فيها يوم عرفة الظم الشديد وقد أصلح البرك التي بعرفات وملاؤها بالماء ، وكذلك عمر عين حنين حتى وصلت مياهها إلى مكة وعمر أيضا عين خليص وأجراها وبني قبتها .

وقد رأيت للشريف قايتباي خطبة نقش في لوح من الحجر وضع بجبل الرحمة على مقربة من القناة فنقلتها بالقلم الرصاص في ٩ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ في مدة أربع

ساعات ، وذلك لصعوبة قراءتها وشدة الزحام ، ولولا من يدفع عن المزارحين جهده . ما تمكنت من نقلها ، وفي ٩ ذى الحجة سنة ١٣٣٠ هـ . تمكنت من أخذ صورتها بالآلة الشمسية (الفتوغرافيا) وقد كتبها الشيخ على بدوى بخطه الجليل لتكون صورة واضحة للأصل الذى لوثته بعض الدماء . (انظر الرسم ٨١) .

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

الحمد لله الذي بعثني في سبيل الصالحين، وبكبره وأعضائه بكل المرات

رَبِّهِمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي بَنَعَ الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فِي الْيَابَانِ وَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ اِعْتِبَارًا عَمَّا وَادَّانَا

هَذَا مَا نَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ يَنْتَسِفُونَ
صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهَجَبِهِ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يَتَذَكَّرُ
الْعَاصِينَ

أَرَى السَّلاَمَ وَالْفَيْضَ الضَّيْلَةَ وَبَعْدَ فَإِنَّ بَرْكَهُ الشَّرَفُ كَأَنَّ مَدِيحِي سَمْعَهَا وَمَعْلَمِي

رَسُولَهُمْ وَعَمَّا آتَاهَا وَتَرَوْنَ كَثِيرًا مِّنْهُنَّ سَاهِيَةً لِّذُنَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن كَانَ لَهُ بَالُ عَاقِبَتِ الشَّيْءِ ۚ

كَلَامِي صَلَّيْتُ مَرَّةً بَعْدَ الْمَلَدِ وَانْتَحَيْتُ بِجُودِهِ إِذَا أُجِيرَ وَالْقَادِ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الإعظم مالك رقاب الأعم حار في فضائل السيف والعلم ظل الله الممدود على المسامح

الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ قَامِعِ الْكُفْرَةِ وَالْمُسْرِكِينَ
مُحْيِي الْمَوْتِ الْمَيِّتِينَ الرَّبِّدِينَ مَالِكِي الدُّبُرِ وَالْجَنِّ حَادِمِ اللَّيْلِ

السَّامِكُ الْمَلِكُ الْأَرْمَنِيَّ فِي مَعْرِفَاتِنَا نَحْنُ اللَّهُ نَعْرِفُكُمْ بِهَذَا وَنَحْنُ نَحْنُ

صلى الله عليه وسلم وعذرة الشبيب اجراها نيك الاماني الشقية الباب الويد بينا الله تعالى

[illegible]

اسمها وركها واعلم ان شيا نفع اهل السنة وساء فناء الجمل بجل الرحمن رحم الله الرحمن الرحيم

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا
وَلَا يَحِيطُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِأَمْرٍ وَأَن يَضْحَكُوا
بِهِمْ لَا يَنْصُرُهُم فِيهِ أَحَدٌ

الْكَبِيرِينَ سُلْطَانًا إِخْوَانًا لِأَيُّوبَ رَافِقًا لِلْمَسْكِينِ مُجَارًا لِلْأَسْرَى فِي جُرْأَلِهِ شَهِيدًا وَأَوْفِيًا

أَبْدَأَ بِمَا بَيْنَ الْأَحْزَابِ رَجَبُ زَادَ الْحَرَامَ حَمْدُكَ وَسُبْحَانَكَ ۝ ۸۷۵ ۝ وَحَمْدُكَ يَا اللَّهُ يَا سَيِّدَ الْعَالَمِينَ وَالْحَمْدُ لَكَ

أخذ هذا الرسم في سنة ١٣٢٥ هـ



حقوق النقل والطبع والنشر محفوظة ومسجلة باسم رسمه اللوا ابراهيم فقط باسمه امجد امجد

Inscription on a stone at Arafât of Kait Bey's speech concerning the repairs to the well of Zobeida, under taken by his brother Sunkur El Gamali in the year 875.

(الرسم ٨١)

وفي سنة ٩١٦ هـ. عمر قانصوه الغوري آخر ملوك الجراكسة بمصر عين حنين حتى جرت وهلت بركة المعلى وبركة ماجن في درب اين من أسفل مكة، وارتفق الناس بذلك، وفي أوائل ملك الدولة العثمانية للأقطار الحجازية بطلت العيون لثمة الأمطار وتهدمت القنوات وانقطعت عين حنين عن مكة، وصار أهلها يستقون من آبار حوطا يقال لها العسيلات في علو مكة قريبة من المنحى، ومن آبار في أسفل مكة يقال لها الزاهر في طريق التنعيم، وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها حتى كان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الأمكنة النازحة، وكان فقراء الحجاج لا يطلبون يوم عرفة غير الماء لعزته، وكان بعض الأقوياء يستحضره من الأماكن النائية لبيعه فيربح فيه الأرباح الطائلة، قال العلامة قطب الدين الحنفى : وكنت يومئذ مرافقا في خدمة والدى رحمه الله وفرغ الماء الذى حملناه من مكة واشترت قرية صغيرة جدا يحملها الانسان بأصبعيه بدينار ذهبيا، والفقراء يضجون من العطش يطلبون من الماء ما يملون به حلوقهم في ذلك اليوم الشريف، فشرب أهلنا منها وتصدقوا بباقي القرية على من كان مضطرا اليها من الفقراء، ثم عطشنا جميعا عقب ذلك وجاء وقت الوقوف والناس في شدة الظمأ يلهفون فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله ورحمته والناس إذ ذاك واقفون تحت جبل الرحمة، فصاروا يشربون من السيل تحت أرجلهم ويستقون دوابهم، وحصل البكاء الشديد من الحجاج لما رأوا من رحمة الله بهم وإحسانه اليهم، ثم صدرت الأوامر السلطانية السليمانية بأصلاح عين مكة (عين حنين) وعين عرفات، وعين للعبون ناظرا اسمه مصباح الدين مصطفى، وكان مجاورا بمكة فبذل جهده في العمارة حتى جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها إلى بركة ماجن، وأصلح عين عرفات حتى صارت تلاء البرك بعرفات وكان ذلك في سنة ٩٣١ هـ. ثم اشترى «مصباح الدين» عبيدا سودا وأجرى عليهم الأطعمة من خرائن السلطنة وأماط بهم خدمة العين وإخراج أثربتها من الدبول — جمع دبل وهو الجدول أى النهر — والقنوات، ثم قلت الأمطار ويشت العيون ونزحت الآبار في سنين متعقدة من سنة ٩٦٥ هـ وما بعدها حتى كانت سنوات تقارب سنى يوسف

شدادا عجافا، ولم يبق من العيون إلا عين عرفات ولكن قل جرياناها. ولما عرضت أحوال العيون على السدة السلطانية السليمانية صدر الأمر بتصليح ذلك، فاجتمع بمكة قاضيا عبد الباقي المغربي وحاكم جدة خير الدين وغيرهما من الأعيان وتشاوروا في الإصلاح، فأجمع أمرهم على أن أقوى العيون عين عرفات وعقدوا النية على توصيل الماء من بئر زبيدة خلف منى إلى مكة وحسبوا أن تحت الأرض مجرى قديما إلى مكة وانهدم، وطلبوا من السلطنة ٣٠٠٠٠ دينار للتعمير سنة ١٢٩٦هـ. فالتفتت صاحبة الخيرات فاطمة هانم كريمة السلطان سليمان من أيها أن يأذن لها في القيام بهذا العمل الخيري فأذن لها، وانتدبت لذلك بعد استشارة الوزراء الأمير ابراهيم بن تكرين أمين الدفاتر بديوان مصر وأعطته ٥٠٠٠٠ دينار للقيام بالعمل، وقد وصل إلى جدة لثمانيتين من ذى القعدة سنة ١٢٩٦هـ. ثم برحها إلى مكة فقابله شريفها محمد بن نعى مقابلة جميلة وأكرم وفادته، وجاء للسلام عليه قاضى مكة حسين الحسنى فعرض عليهما مهمته وزوداه بالآراء الصائبة وبحث عين عرفة بنفسه حتى أحاط بها خبرا، واستدعى من مصر والشام وحلب والأستانة واليمن طوائف المهندسين والخبراء بالعيون والآبار والحدادين والبنائين والحجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج إليه في العمارة واستحضر آلتها من مصر، وشرع بمعونة هؤلاء ومعونة مماليكه الأربع المائة في إصلاح القناة مبتدئين من الأوجر حتى وصلوا إلى بئر زبيدة، وهناك بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون إذ لم يجدوا بعد البئر دبلا تحت الأرض وعلموا إذ ذاك أن زبيدة اضطرت إلى ترك التوصيل إلى مكة اضطرارا لصلاية الحجر وصعوبة قطعه وطول مسافته، وأن لا سبيل إلى ذلك ألا بنقر دبل تحت الأرض في الحجر الصوان طوطا ألفا ذراع بذراع البنائين — ٧٥ سنتيمترا — حتى يتصل بدبل عين حنين وتتصل عين عرفة بمكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الأرض، فانه يحتاج إلى النزول في تخوم الأرض ٥٠ ذراعا عمقا فتجاذب الأمير ابراهيم عاملا اليأس والأمل، ولكن عامل اليأس قضى عليه صادق عزيمته فحفر وجه الأرض حتى إذا ما وصل إلى الحجر الصوان أوقد عليه ليلة كاملة ما يقارب مائة حمل من الحطب الجزل في مكان

طوله سبعة أذرع في عرض خمسة من وجه الأرض حتى تأكل من الحجر الصوان
 ١/٢ من الذراع، ثم أعمل المعاول حتى صادف الحجر الصلب فأوقد عليه النيران كما فعل
 أولا حتى وصل الى عمق ٥٠ ذراعا، وبذلك حفر من القناة خمسة أذرع من ألفى ذراع
 ثم سار على هذا النمط حتى أتم ١٥٠٠ ذراع، وقد نفذ الحطب من الجهات الدانية
 والنائية وذهب خدمه وأولاده ومماليكه في سبيل ذلك، وأنفق ٥٠٠,٠٠٠ دينار ذهباً
 من الخزائن السلطانية واخترمه أجله بعد ذلك في رجب سنة ٩٧٤ هـ . فشيعته القلوب
 وأغدقت عليه صيب الدعوات ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الأبطح، وخلفه
 على العمل أمير جدّة قاسم بك ولم يقيم بكبير عمل لقصور فهمه ومدّ يده وتشبّثه برأيه
 وتوفى، خلفه الأمير محمد بك فعاجلته المنية في رجب سنة ٩٧٩ هـ . ثم تولى العمل
 قاضى القضاة وناظر المسجد الحرام السيد حسين الحسنى، بخدّ جدّه ونشط نشاطه
 حتى أتم القناة في خمسة أشهر بعد أن قضى الأمراء السابقون في ذلك عشرة أعوام،
 فجرت عين عرفات الى مكة وتفجرت ينابيعها في نواحيها لعشربقين من ذى القعدة
 سنة ٩٧٩ هـ . وكان هذا اليوم عيداً كبيراً للناس مدّت فيه الموائد للأكابر وخلعت
 الحلل الفاخرة على المهندسين والبنائين، وتصدّق على الفقراء والمساكين وزفت
 البشائر الى السلطان سليم وكرّمته ذات المجد الأثيل والخير العميم فاطمة هانم،
 فأقيمت الأفراح بالأستانة وأغدقت العطايا على قاضى القضاة الذى تم على يده ذلك
 المشروع العظيم الذى أحيا أم القرى بماء الحياة كما حييت من قبل بإشراق النبوة
 من نواحيها وجج الناس اليها من أدانى الأرض وأقاصيها، وتلك مأثرة للسلطان
 سليم تقرن بالحمد والثناء وتسطر في سجل أعماله الطيبة بحروف من نور ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
 أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

وقد حصل بعد ذلك في العين ومجاريها تعميمات في سنى ١٠٢٠ و ١٠١٩ هـ
 و ١٠٢٥ هـ . ورأيت في لوحة هذه الكتابة « أمر بتعمير عين عرفات مولانا
 السلطان الأعظم والخالقان الأنعم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان

ابن السلطان محمد خان أيد الله سلطنته الى آخر الزمان سنة ١٠٢٥ هـ . بمباشرة الفقير اليه سبحانه حسن باشا عفى عنه وكذلك عمرت في سنى ١٠٦٦ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ هـ . وقد رأيت مكتوبا على حجر رخام ثبت بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه العبارة الآتية : « يا محمد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده على إفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أمر حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأئتم مولى ملوك العرب والعجم السلطان الغازى محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان عز نصره أجرى عين عرفات وتعمير أبنيتها واتصله الى الحرم المنيف ، بفضله تعميرت سنة أربع وثمانين وألف ١٠٨٤ من هجرة من له العز والشرف على يد عمدة أعيان الدولة الحاج على آغا بن مصطفى قهوجى باشا السلطان كان الله له ووفقه لمرضاة الله (وفي الآخر كلمتان لم أعرفهما) » .

وعمرت في سنة ١٠٨٩ و ١٠٩٢ هـ . وعملت إصلاحات هامة في سنة ١٠٩٣ هـ . بأمر السلطان محمد خان فنظفت البرك التي بالمعلى وزيد في ارتفاعها مقدار قامة وأقيم في وادى النعان سد عظيم يمنع طغيان السيول على المجارى ، وبني على رأس القنوات الخواجز المسماة بالخرازات فبنى نحو عشرين خرزة وعمل قناة في أسفل مكة تذهب بمياه السيل الى بركة ماجن ، وفي يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٠٩٩ هـ . كسر من قنوات العين نحو ثلاثين ذراعا فبعث الشريف من فوره بالمهندسين فأصلحوا ذلك .

وفي سنة ١١٤٣ هـ . انقطع ماؤها أجمع وصار الناس يستقون من آبار العسيلات والزاهر وغيرهما ، وقد أصابحت من طرف السلطنة وكذلك عمرت في سنة ١١٨١ هـ . وفي سنة ١٢١٩ هـ . بعد قطع الوهابيين المياه عن مكة حينما حاصروها وتخرب بعض قنواتها فأصلحت ذلك الدولة العثمانية ، وكذلك أصلحها السلطان محمود سنة ١٢٣٥ هـ . وفي سنة ١٢٤٣ هـ . انقطع الماء من مكة لخراب حدث بالقنوات بسبب السيول فأرسل الى مصر محمد على باشا من عمر القنوات ، وبعد ذلك بقيت عين مكة يقل

مأوها بقلة الأمطار ويكثر بكثرتها حتى كانت سنة ١٢٧٨ هـ . إذ حدث سيل عظيم
خرب بعض مجاريها فأصلح . وفي سنة ١٢٩١ هـ . كاد ينقطع مأوها عن مكة فأصلح
المجاري وإلى الحجاز من قبل السلطنة السيد محمد الشرواني باشا مع جماعة من أهل البر
وفي سنة ١٢٩٥ هـ . شكلت بمكة لجنة بسعى بعض الهنود لجمع الإعانات من كافة
الأقطار الإسلامية خصوصا مصر والهند وإنفاقها في إصلاح العيون ، وكان من
أعضاء تلك اللجنة الشيخ رحمة الله الهندي صاحب كتاب إظهار الحق ، فجمعت
أموالا كثيرة واستقدمت من الهند المهندسين والصناع وخرجت بهم إلى عرفة
فذرعوها المسافة بين مكة ومنبع عين زبيدة من وادي النعمان فإذا هي تنيف على
١٧٠٠ متر^(١) ورأوا أن يبدؤوا العمل في عين زبيدة من جهة عرفة ، فأصلحوا نحو
٦٠٠ ذراع في المجرى من بعد حدود عرفة إلى وادي النعمان ، وبنوا فيها عدة خرزات
سترو بعضها وكشفوا باقيها ليستقي منها العربان ، وكان شروعهم في العمل من جهة
مكة بتنظيف الدبول وتعمير ما تخرب منها حتى وصلوا إلى المفجر ، ووصلوا الماء
منه إلى منى بآلة بخارية أقاموها هنالك ، ونحتوا لأجل ذلك بعض الجبال ولم يزالوا
في عملهم حتى وصلوا إلى عرفة ، وبنوا في عملهم هذا عدة خرزات في طريق مكة ،
وبازانات بمكة منها : بازان الشعب ، وبازان سوق الليل ، وبازان القشاشية ،
وبازان جباد ، وبازانان بحارة المسفلة ، وبازان بحارة الباب ، وبازان الشبيكة ،
وبازان الشامسية ، وبازان بسوق المعلى يسمى بازان التماسرة ، وعمرها ما كان خرابا
وزادوا موارد الماء بالبلدة وقطعوا الجبل الطويل الذي بأول مكة وبنوا به دبلا
يجري فيه الماء إلى حارة جروال التي بنوا فيها بازانا عظيما يستقي منه الناس ، وكذلك

(١) هذا ما في رسالة الزواوي وهو يخالف ما في رحلة صادق باشا من أن المسافة بين المنبع وبين بئر
زبيدة ٣٣ كيلومترا فإذا هي بين مكة والمنبع أكثر من ذلك وهذا هو الصحيح ، فان صادق باشا لم يرجع
من الطائف مر بمبدأ المجرى وقطع المسافة بين المبدأ وبين دلمى الحرم من جهة عرفة في ٢ س و ١٦ ق
وتطلع المسافة بين العليين ومكة في ٥٠ س و ٥ ق ، فإذا لاحظنا أن المجرى يسير حذاء الطريق في الأكثر وأن
المسافة بين مكة ودلمى الحرم ١٨ كيلومترا تقريبا كانت المسافة بين العليين ومبدأ المجرى ٢٢ كيلومترا أي أن
المجرى طوله ٤٠ كيلومترا من مبدئه إلى مكة فهذه المسافة التي نسبها الزواوي إلى المهندسين تخالف الواقع .

عمروا بعض التعمير في العين الأصلية (عين حنين) بعد أن أهملت منذ وصلت عين
عرفة إلى مكة . وفي سنة ١٢٩٧ هـ . أرسل إلى اللجنة من مصر ٢٥٠٠ جنيه مع أحد
معاوني الداخلية وكان برفقته أحد المهندسين لمباشرة العمارة الجارية مع المعمرين ،
وقد مكثت اللجنة تشتغل ثلاث سنين دأبا تحت رئاسة الحاج عبد الواحد الميمنى
ثم أخذ الفتور يدب في أعضائها وتناولت الحكومة بعض مال اللجنة من صندوقها
وأنفقته في غير مصالح العين فأساء ذلك أهل الهند وقطعوا الإعانات ، فوقفت اللجنة
عملها وأستغنى رئيسها وأكثر أعضائها وتشكلت لجنة أخرى استولت على ما بقى
بصندوق العين ويقال : إنه كان ٥٧٠٠٠ جنيه ، وسارت في العمل كسابقتها ولكن
هذه وجهت كبير عنايتها الى إصلاح عين حنين وكانوا يرون أنها عين مكة الأصلية
ثم أنقطع العمل في العينين فأنقطع ماء عين حنين وقل ماء عين زبيدة وكاد ينقطع
في سنة ١٣٢٤ هـ . فتكوّنت لجنة تحت رئاسة الشريف وجمعت إعانات جبرية من مكة
والطائف وجدة وكتبت إلى الدولة مستجدية بجمعت عشرات الألوف من الجنيهات ،
وقدم من الإستانة مهندسون فقاموا بإصلاح كبير خصوصا في منابع العين من جهة
وادي النعمان ، وفي سنة ١٣٢٦ هـ . قدم مهندس ومفتش من قبل الدولة لتعرف أحوال
عين زبيدة فوضعا لها خريطة عظيمة من منبعها الى مكة تركا صورة منها في مقر
اللجنة وأخذوا أخرى الى الإستانة ، وفي أوائل شهر المحرم سنة ١٣٢٧ هـ . شكل أمير مكة
الشريف الحسين باشا بن علي هيئة جديدة لإصلاح العيون أعضاؤها من أجناس مختلفة
ووكل إليها الإصلاح وجعلها حرّة في عملها فاستنهضت همم المسلمين في الأقطار
المختلفة فغمروها بالتبرعات ولا سيما الهند ومصر وجاؤة وبدأت في الإصلاح ، وفي آخر
سنة ١٣٢٨ هـ . جاء سيل عظيم ملاً المجارى حتى طفت وهدم كثيرا منها فقل
الماء ولجأ الناس الى الآبار القديمة وإنها لكثيرة ، فقام شريف مكة وأنجاله وأهل
مكة بالإصلاح بأموال من صندوق اللجنة حتى وردت المياه مكة . وفي ١٨ المحرم
سنة ١٣٣٠ هـ . هجم سيل شديد من وادي نعمان وهجان وسدّ دبول عين زبيدة بالتراب ،
وقطع الماء عن عرفات ، فقامت اللجنة بتعمير المتخرب حتى عاد الماء الى مجراه .

وأنشأت مستغلات جديدة ، وقد مكثت هذه اللجنة ثلاث سنين مجدة في عملها فظهرت الحجارى وكشفت عن عيون مخبئة وبنت خرزات كثيرة وأصلحت عدة بازانات وعمرت مستغلات عين زبيدة وأحدثت لها مستغلات أخرى فلها شكرنا الوافر وثاؤنا المستطاب .

وقد أطلعنا عليك أيها القارئ الكلام مع تعمدا الاختصار ولكنها النفوس الطيبة والأعمال الخيرة تأبى إلا أن تنقش على صفحات كل كتاب سيار حتى يكون للناس منها قدوة حسنة فيكون لفاعلهما — زيادة الى أجره — أجر من عمل بها الى يوم القيامة .

وإننا نبتل الى جميع المسلمين في أن يتقدموا بأموالهم ورجالهم الى تلك العيون التي يستقى منها سكان بيت الله والوفود عليه من كل فجٍ والتي تعب سلفنا الصالح في إنشائها وتعميرها ولم يضمنوا عليها بمال أو رجال ندعوهم ليقوموا نحو هذه العيون بعمل خالد يأمن معه صدمات الليالى وهجوم السيول ويطمئن به أهل مكة وحجاجها على الماء الذى به حياة كل شئ قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (١) ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢)

الحرم

قال تعالى ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَنْتَضِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ اعلم أنه يحيط بالكعبة ثلاث دوائر : الأولى دائرة المسجد ، والثانية دائرة الحرم ، والثالثة دائرة المواقيت فلا يعدو أمرؤ الدائرة الثالثة قاصدا دخول مكة إلا إذا أحرم — لبس ثياب الإحرام وأهل بالتلبية فحرمت بذلك عليه محرمات الإحرام — وهى ذو الحليفة لأهل المدينة ، والجحمة لأهل الشام ، وقرن لأهل نجد ، ويلم لأهل اليمن ، وذات

(١) روجع فى كتابه المياه بمكة الى الأصل ص ٤٢ الى رحلة صادق باشا ص ٦١ الى شفاء الغرام

ص ٢٥٩ الى رسالة السيد محمد صالح الزواوى مفتى المالكية بمكة المكرمة .

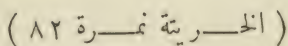
عِرق للعراقيين . وذو الحليفة على عشر مراحل من مكة ، والجحفة على ثلاث ، وقبلها بقليل رابع ، وذات عِرق على مرحلتين ، وكذلك قرن المنازل ويُسلم . والدائرة الثانية دائرة الحرم وقد نصبت عليها أعلام في جهاتها الأربع ، وقد ذكر المسافات بينها وبين المسجد الحرام التي القاسى في كتابه شفاء الغرام ، ونحن نذكرها نقلا عنه مبينين مقدارها بالأمتار^(١) ، فحد الحرم من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن عُرنة $\frac{2}{7}$ ٣٧٢١٠ ذراع بذراع اليد ، أى ١٨٣٣٣ متر وذلك من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحد الحرم من جهة عرفة ، وحدّه من جهة العراق من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحد الحرم في طريق العراق واللذين هما بجادة وادى نخلة — ٢٧٢٥٢ ذراع بذراع اليد ، وتعادل $\frac{5}{13353}$ متر . وحدّه من جهة التنعيم وهى طريق المدينة وما يليها ١٢٤٢٠ ذراع بذراع اليد ، أى ٦١٤٨ متر وذلك من جدر باب العمرة إلى أعلام الحرم التى فى الأرض من هذه الجهة لا التى على الجبل . وحدّ الحرم من جهة اليمن من جدر باب إبراهيم إلى علامة حدّ الحرم فى هذه الجهة $\frac{9}{7}$ ٢٤٥٠٩ ذراع بذراع اليد ، وتعادل ذلك $\frac{9}{75}$ ١٢٠٠٩ متر ، وعلى حدّ الحرم من جهة الجنوب مكان يقال له : أضاة ، ومن الغرب بميل قليل إلى الشمال قرية الحديبية وهى التى تمت بها بيعة الرضوان ، ومن الشرق على طريق الطائف مكان يقال له : الجعرانة^(٢) أحرم منه النبىّ صلى الله عليه وسلم مرجعه من الطائف بعد فتح مكة (انظر الرسم ٨٢) وهذه الدائرة جعلها الله مثابة للناس وأمنابلا آمن فيها الحيوان والنبات فخرم التعرض لصيدها ومنع أن يُختلّ خلاها (حشيشها) أو يعضد شوكتها .

وأول من نصب علامات على حدود الحرم إبراهيم عليه السلام بإرشاد جبريل تعظيما للبيت وتثريفا ، ثم قُصيّ بن كلاب ، وقيل : قبله اسماعيل ، ويروى هذا عن

(١) ذراع الحديد $\frac{1}{6}$ ٥٦ سنتيا كما حررته من قياس جدر الكعبة بالمتر ، ومقارنتها بقياس القاسى ،

وذراع اليد ٤ سنتيا بالتقريب استنتجته من قياسه لبعض الأماكن بالذراعين ذراع الحديد وذراع اليد .

(٢) الجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وبكسرهما وكسر العين وتشديد الراء .



آبن عباس ، وقيل : إن عدنان بن أدد أول من وضع أنصاب الحرم ، ونصبتهما قریش بعد ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل هجرته ، ونصبها النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، ثم عمر بن الخطاب في سنة ١٧ هـ ، ثم عثمان بن عفان في سنة ٢٦ هـ ، ثم معاوية رضي الله عنهم ثم عبد الملك بن مروان ، ثم المهدي العباسي ، ثم أمر الرازي بعمارة العلمين الكبيرين اللذين بالتنعيم في سنة ٣٢٥ هـ . قال القاسمي : وأسمه عليهما مكتوب ثم أمر المظفر صاحب إربل بعمارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة سنة ٦١٦ هـ ، ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٨٣ هـ ^(١) .

المسجد الحرام

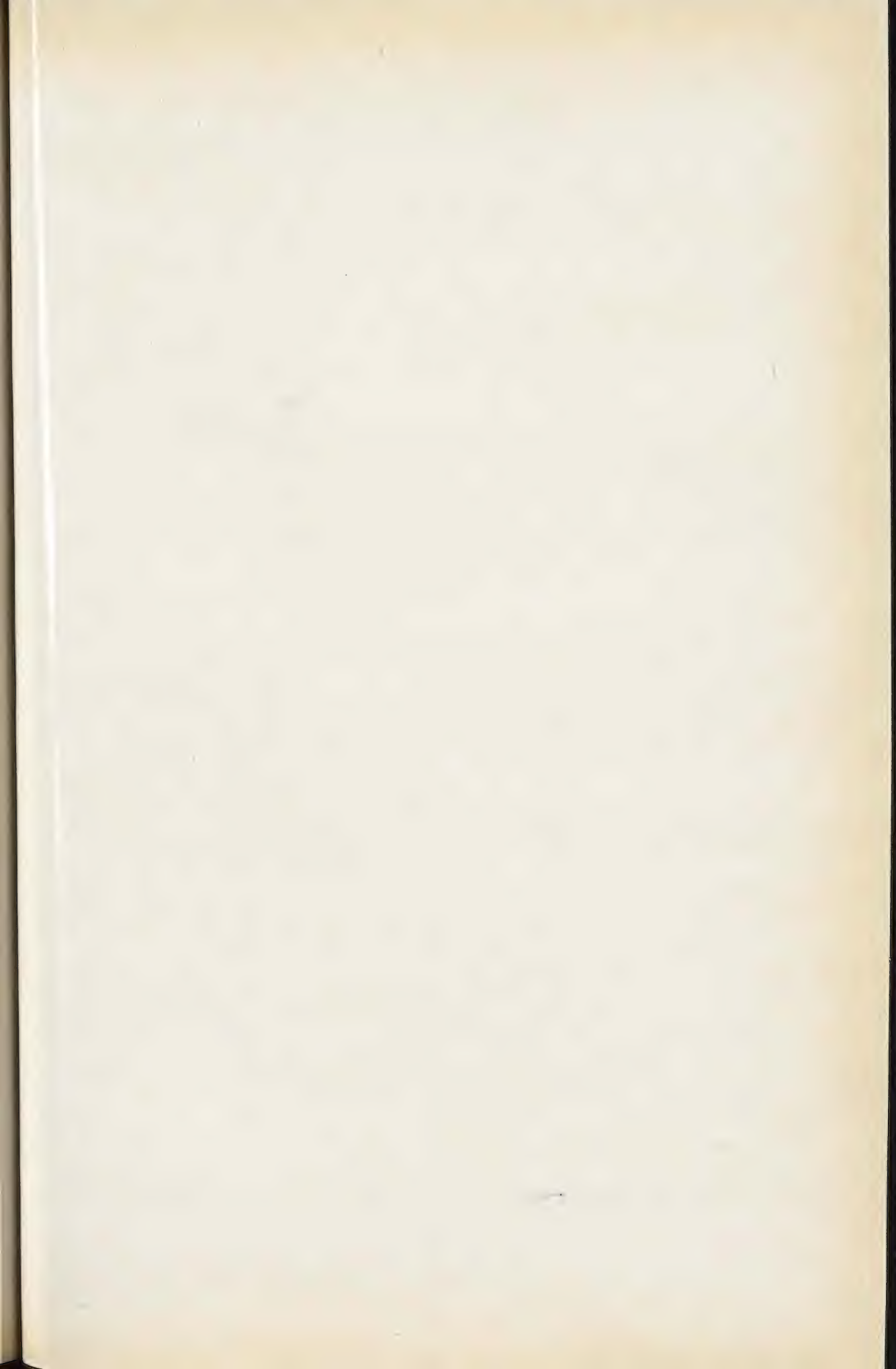
وصف عام للمسجد — أبواب المسجد — مآذنه — توسعته وعماراته وتاريخ ذلك — مواقف الأئمة في المسجد الحرام — كيفية الصلاة فيها — مقام إبراهيم عليه السلام — منبر المسجد الحرام وتاريخه — بئر زمزم — سقاية العباس — المشاي الأربعة — مزاويل المسجد — قناديله — موظفوه — أعمدة المطاف .

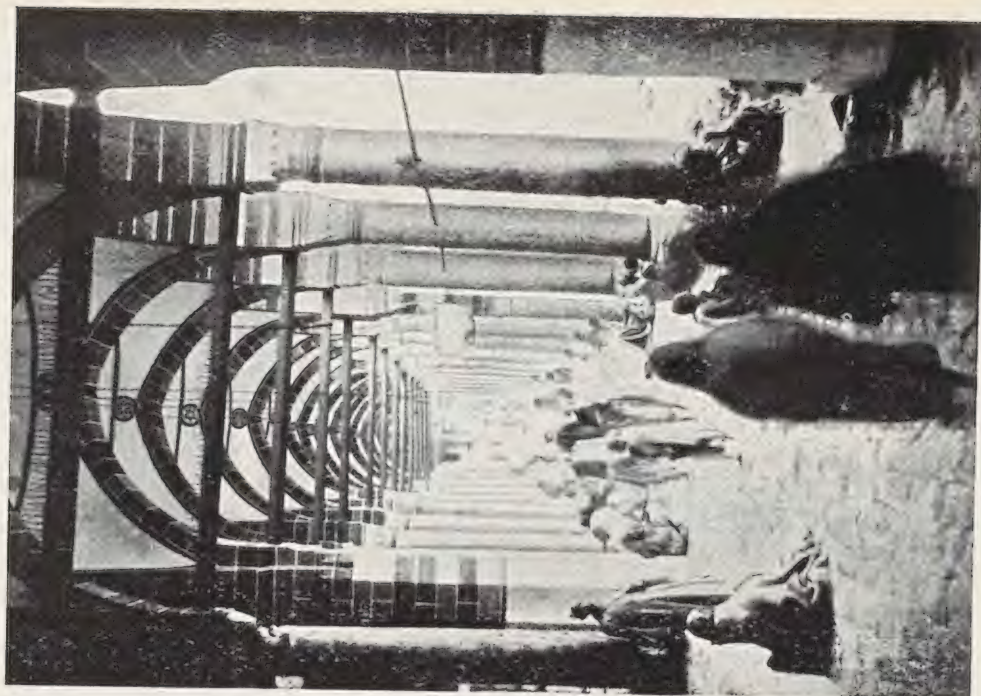
وصف عام للمسجد الحرام — المسجد الحرام وسط مكة وشكله مربع تقريبا . وضلعه الشمالية المقابلة للتحيط ١٦٤ مترا وطول الضلع الجنوبية المقابلة للأولى ١٦٦ مترا، وضلعه الشرقية التي فيها باب السلام ١٠٨ مترا، والغربية طولها ١٠٩ مترا، فيكون مسطحة من الداخل ١٧٩٠٢ متر أي أربعة أفدنة وربع تقريبا أما من الخارج فتوسط طولها ١٩٢ مترا وعرضه ١٣٢ مترا، وفي وسط المسجد تميل إلى الجنوب بيت الله أي الكعبة المكرمة . ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع ثلاثة أروقة (بواني) في الأكتاف، يفصل بين كل رواق وآخر صف من الأعمدة مواز لجدار المسجد، ووصل بين كل عمودين بعقد من البناء المتين وأقيم على كل أربعة

(١) لم نثر على تاريخ الأعلام بعد ذلك مع شدة حرصنا على الوقوف عليه مع أنه لا بد أن تكون

عمرت بعد ذلك مرارا فإن بناءها القائم ليس بناء سبعة قرون أو تزيد .

أعمدة قبة محكمة البناء فنشأ من ذلك قباب متجاورة منها تكون سقف تلك الأروقة ، وعدد العقود في الجهة الشمالية من الجدار الشرقى الى الغربى ٤٢ عقدا في كل صف على استقامة واحدة ، أما العقود العرضية في هذه الجهة فتلاثة ثلاثة إلا في الطرفين فان العرض عقدان ، وعدد العقود طولا في الجهة الجنوبية ٤٠ في أطول صف من الجدار الشرقى الى الغربى ، وعددها عرضا ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة في الوسط ، وفي الطرف اثنان وواحد ، وعددها من الجهة الشرقية طولا بطول الصحن فقط ٢٤ عقدا في كل صف ، والعرضية ثلاثة ثلاثة إلا في الطرف الجنوبى فاثان لانحراف الجدار ، وفي الجهة الغربية قبالة الصحن فقط ٢٤ طولا في كل صف ، والعقود العرضية أربعة أربعة وقليل ثلاثة ثلاثة ، وتجد عقودا أخرى في الجهة الشمالية في مدخل باب الزيادة وكذلك في الجهة الغربية في مدخل باب إبراهيم ، وجملة الأعمدة المقامة عليها تلك العقود ٥٤٥ عمودا منها ٣٠١ من الرخام ومنها ٢٤٤ من الحجر الشميسى الأحمر ، ومعلق بين كل عمودين خمسة قناديل كبار - فناير - توضع فيها المصابيح ، وفي صرة كل قبة قنديل فاذا ما أضيئت كل هذه مع ما حول الكعبة أحدثت منظرا يملأ النفس بهجة وسرورا . (أنظر المسجد الحرام في الرسم ٨٣) والجهة الشمالية في الرسم ما فيها باب الزيادة والشرقية ما فيها باب النبي صلى الله عليه وسلم الخ ، وأنظر العقود (البواكى) في (الرسم ٨٤) وترى في العوارض الخشبية مسامير لمنع وقوف العصافير والحمام عليها آتقاء لقذرها ، وما عدا هذه الأروقة من المسجد فصحن واسع توسطته الكعبة (الرسم ٨٥) يحيط بها المطاف المرصوف بالرخام قد أقيم عليه صف من الأعمدة المصنوعة من النحاس الأصفر وصل بينها بعوارض الحديد تعلق فيها المصابيح وأقيم بخارج المطاف تجاه كل ضلع من أضلاع البيت - عدا الضلع الشرقية - سقيفة قامت على أعمدة الرخام يصلى في الشمالية منها إمام الحنفية وهى ذات طبقتين وفي الغربية إمام المالكية وفي الجنوبية إمام الحنبلية أما إمام الشافعية فيصلى خلف مقام إبراهيم شرق الكعبة أو فوق البناء المقام على زمزم . ويجوار المطاف في الجهة الشرقية المنبر وفي جنوبيه قبة أقيمت على بئر زمزم ، وبشمالى البئر باب





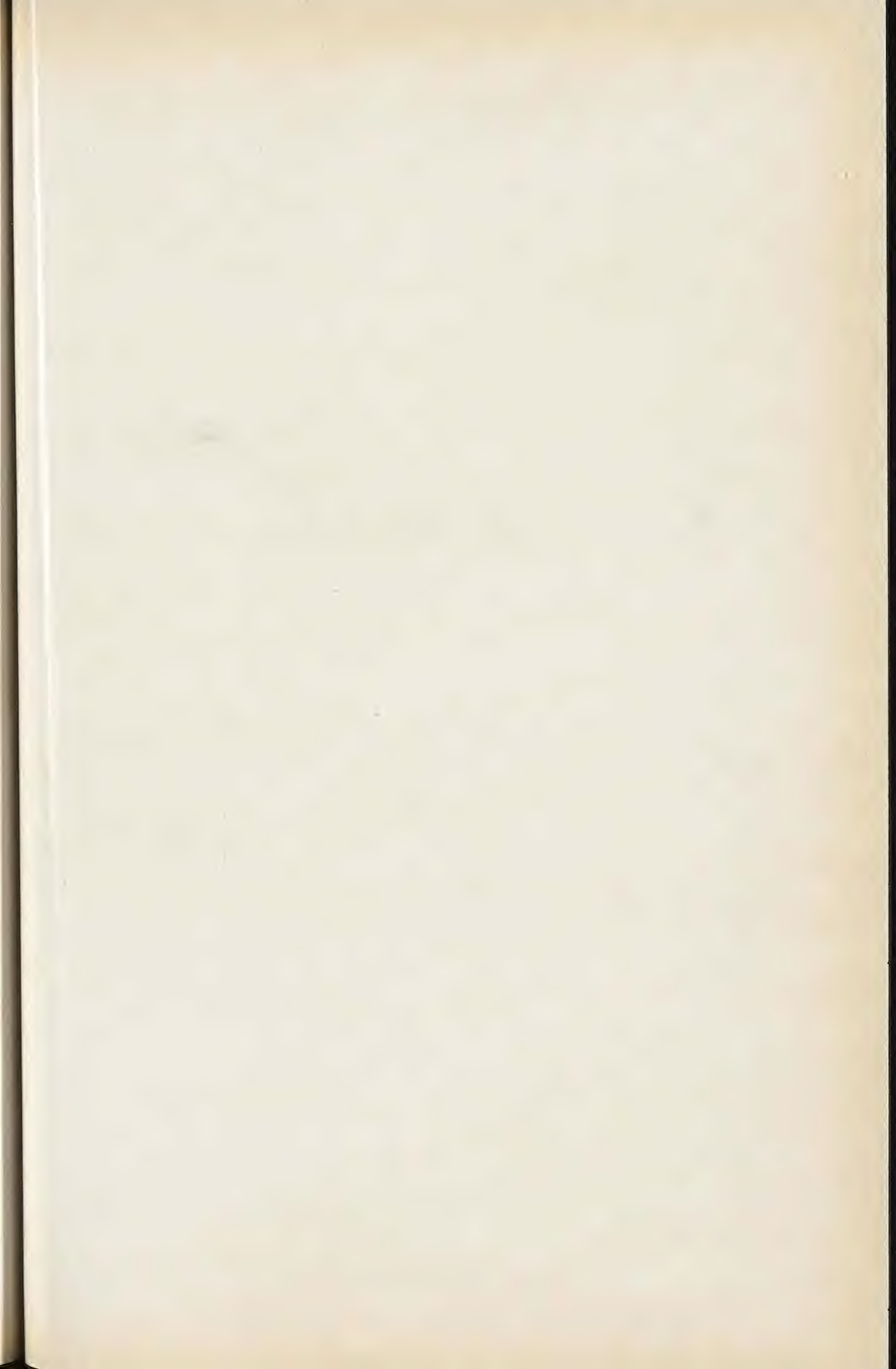
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا إِيمَانُ رَبِّنَا الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَكْفُرَ بِهِ إِنَّهُ كَانَ الْغَايُوبُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَكْفُرَ بِهِ إِنَّهُ كَانَ الْغَايُوبُ

الحرم المکرم من جهة الشرق والغرب والجنوب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا إِيمَانُ رَبِّنَا الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَكْفُرَ بِهِ إِنَّهُ كَانَ الْغَايُوبُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَكْفُرَ بِهِ إِنَّهُ كَانَ الْغَايُوبُ

85. The Southern, Western and Northern view of the Mosque of Mecca.





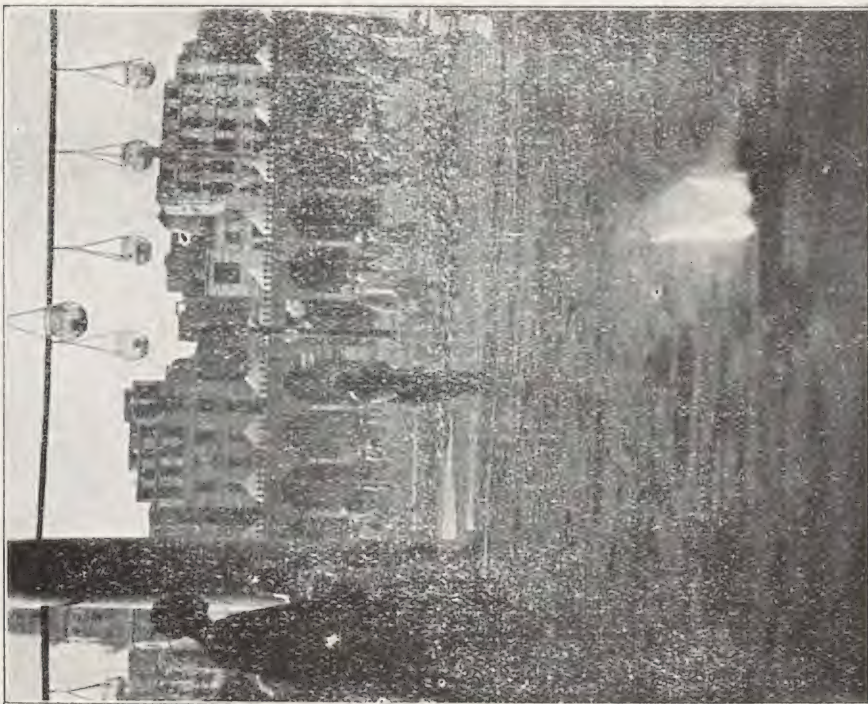
اجتماع الحجاج لصلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة

بهذا الرسم على الشمال زمزم وهى البيضاء ذات القبة وبها ظاهر وبين الباب والكعبة سلم للصعود عليه داخل الكعبة من افتر
الصناعات العربية وبعدها الكعبة والحزام النصب والستارة ظاهرة وفى وجه الكعبة باب بنى شيبه وقناديل الاشارة فى وسطه وبعده
المنبر وعليه البيرق واثنان اغوات وبعده البواكى وبعده مقام الحنفى ذو الطبقتين والحجاج جلوس



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

86. The meeting of the pilgrims round the Kaaba for the Friday prayers.

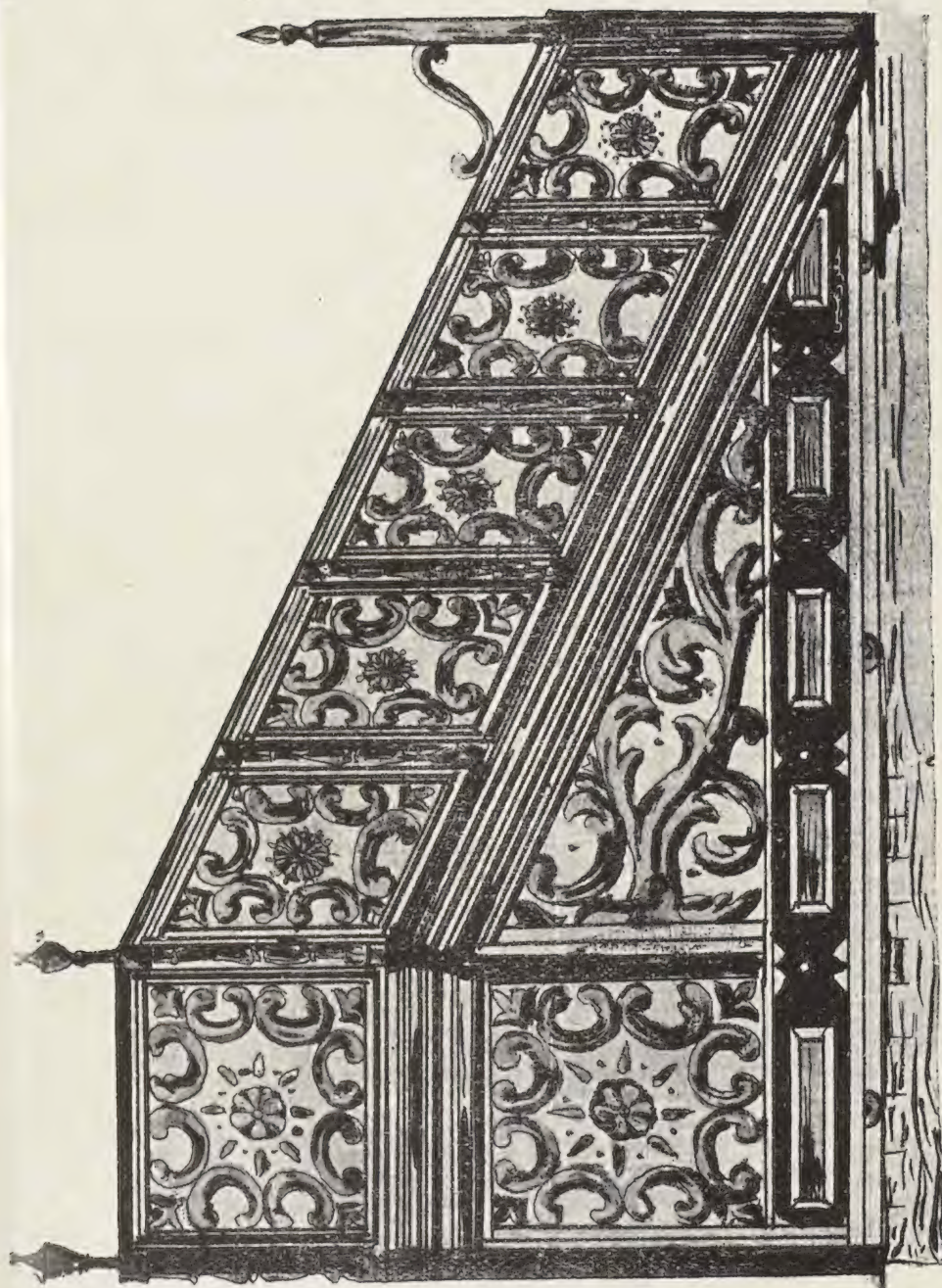


الحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

الحمد لله الذى هدانا لهذا الذى كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

87. The Pigeons of Hema in Haram Mosque in Mecca





سَلَمٌ لِلصَّاعِدِينَ إِلَى الدَّخْلِ عَلَى الصَّكْبَةِ

87. Stairs to ascend to the Interior of Kaaba.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَذِهِ الصَّحِيحَةُ لِلصَّاعِدِينَ إِلَى الدَّخْلِ عَلَى الصَّكْبَةِ
بِإِذْنِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَنَةِ ١٣٢٦ هـ

بنى شيبة يعلوه عقد أقيم على عمودين من الرخام، وقد كتب على باب بنى شيبة تحت الهلال «أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ» وكتب على العقد «رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا» وذلك بماء الذهب، وكتب في الجهة المقابلة لمقام إبراهيم والكعبة «الله جل جلاله» «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» «محمد عليه السلام» (انظر باب بنى شيبة في الرسم ٨٦ الذى أخذته سنة ١٣٢٥ هـ . والحجاج مجتمعون بالمسجد لصلاة الجمعة) وأرض المسجد منخفضة عن الأرض المحدقة به بنحو ثلاثة أمتار ويصعد من أرضه إلى الأبواب التى على الشوارع بسلام، والبيت منحدر تدريجاً عن هذه الأرض بنحو متر، وصحن المسجد سقفه السماء وفرشه الحصباء إلا ما تخلله من الماشى التى تصل بين الأبواب والأروقة من جهة والمطاف وما يليه من ناحية الكعبة من جهة أخرى فإنها مرصوفة بحجارة الحصص كالأروقة ليسلكها الناس ويتجنبوا الحصباء التى كثيرا ما تكون مبللة بمياه الوضوء، ولذلك فإن المطوفين إذا ما دنت صلاة العصر بسطوا «الأكمة» والسجادات على هذه الحصباء ليجلس عليها الحجاج، على أن كثيرا من الناس يفترش الحصباء الساعتين والثلاث آتظارا للصلاة خصوصا فى يوم الجمعة فتراهم ييكون ويحاسون على الحصباء وقد آشد القيظ وتسلط على الأدمغة هيب الشمس كل هذا حرصا على سماع الخطبة، وعرض تلك الماشى قريب من متر ويجلس عليها بعض النساء الفقيرات يبعن الجيوب للحجاج ليقدموها إلى حمام الحمى الذى يوجد بكثرة فى المسجد ولونه أزرق غامق به نقط رمادية وخطوط سود وهو مطوق بالخضرة المحمرة، والقواط مسلطة عليه تصطاده، وكذلك يوجد بالمسجد طير الأبايل كما يسميه المكيون — وهو أشبه بما نسميه عصفور الجنة — وهذه الطيور لا تنفر من الحجاج لأن الله كتب لها الأمن فى حرمه كما كتبه للناس (انظر الرسم ٨٧) تجد الحمام وهو يلتقط الحب .

وللمسجد خمسة وعشرون بابا، منها بالشمال ثمانية أبواب وبالشرق خمسة وبالجانب سبعة وبالغرب خمسة، من هذه ستة أبواب صغيرة (خوخات) والباقي

أبواب كبيرة منها ذو الفتحة والفتحتين والثلاث والخمس ، وفي المسجد سبع منارات في كل زاوية منارة ، وثلثان في الشمال وواحدة في الشرق .

أبواب المسجد الحرام ووصفها

في الشرق : (١) باب السلام — ويعرف باب بني شيبه وباب بني عبد شمس وهو ذو فتحات ثلاث ، وكتب عليه ما يأتي : أمر بإنشاء هذا البيت الشريف السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان محمود خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان ابن السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان أرخان بن السلطان عثمان خان ، وكتابة ذلك في سنة ٩٣١ هـ . وهي منقوشة على الحجر الأبيض ، وهذا الباب يدخل منه الحجاج لأداء طواف القدوم .

(٢) باب قايتباي — وهو خوخة ولا سلم له .

(٣) باب الجنائز — سمي بذلك لأن الجنائز تخرج منه في الغالب الى مقبرة المعلى ، وذكر الأزرقي : أنه باب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج منه ويدخل الى منزله دار خديجة رضي الله عنها في زقاق العطارين ، ولهذا الباب فتحتان وينزل منه الى مستوى المسجد بثلاث عشرة درجة ارتفاع الدرجة ربع المتر .

(٤) باب العباس بن عبد المطلب — سمي بذلك لأنه يقابل داره بالمسعى وسماه ابن الحاج في منسكه باب الجنائز ولعل ذلك لأنه كان يصلي فيه على الجنائز ، وهذا الباب ذو فتحات ثلاث للدخول منها ، وله إحدى عشرة درجة ومكتوب على يسار الداخل منه على الحائط بخط الثالث الجميل (الله . محمد . أبو بكر . عمر . عثمان) رضوان الله عليهم أجمعين سنة ١٢٩٩ هـ . وفوق ذلك كتب بالخط الثلث الدقيق (قد وقع هذا الانشاء الشريف بإشارة السلطان الأعظم السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان أيد الله ملكه سنة ٩٨٨ هـ) .





88. Door of Ali in Mecca Mosque.

صَحِيفَةُ ٢٣١

مِنْظَرُ بَابِ الصَّفَا بِالْحَرَمِ الْمَكِّيِّ



89. View of the door of El Sufa at Mecca.

(٥) باب عليّ — ويعرف بباب بنى هاشم ، قال الأزرقى : وبباب البطحاء أيضا وفيه ثلاث فتحات وارتفاعه عن أرض المسجد ١٣ درجة ارتفاع الواحدة منها ٢٨ سنتيمترا وعليه كتابة جميلة للسلطان مراد سنة ٩٨٤ هـ . (انظر الرسم ٨٨ الذى استعمرناه من خليل افندى قازانلى المصور بالمدينة) .

وبالجهة الجنوبية : (١) باب بازان — سمي بذلك لأن عين مكة المعروفة ببازان قربه — كل محل ينزل اليه بدرج ويكون مستطيلا يسمى بازان — قاله جمال الدين محمد بن محمد نور الدين فى كتابه الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف — وسماه الأزرقى باب بنى عائذ ويسمى الآن أيضا باب القره قول (المخفر) لأنه أمامه ، وهذا الباب ذو فتحتين ، وله ١٣ درجة ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُؤْفُونَ بِالْأَنْدَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ سنة ٩٨٤ هـ . للسلطان مراد بن السلطان سليم خان .

(٢) باب البغلة — وهو ذو فتحتين قال القامى : ولم أدر ما سبب هذه الشهرة ، وعرفه الأزرقى بباب بنى سفيان ، وله إحدى عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ صدق الله العظيم . والحمد لله رب العالمين . وذلك بالخط الثلث .

(٣) باب الصفا — سمي بذلك لأنه يلى الصفا وعرفه الفقهاء فى المناسك بباب بنى مخزوم وكذا عرفه الأزرقى وهو ذو خمس فتحات أو طاقات أو أبواب وله أربع عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (انظر الرسم ٨٩) وترى فيه أقفاصا تحفظ فيها أحذية الداخلين .

(٤) باب إحياد الصغير — كذا سماه ابن جبير وسماه أيضا باب الخلفين ولا يعرف السبب في هذا وسماه الأزرق أيضا باب بنى مخزوم وهذا الباب له طاقان ويتزل منه الى المسجد بتسع درجات .

(٥) باب المجاهدية — وأطلق ذلك عليه لأن عنده مدرسة الملك المجاهد صاحب الين كذا عرّفه الفاسي ويقال له : باب الرحمة ولم يعرف سبب هذه التسمية (انظر الرسم ٧٤) ، وذكر الأزرق : أنه من أبواب بنى مخزوم فذلك أبواب ثلاثة متجاورة يطلق على كل منها باب بنى مخزوم لكونهم كانوا ساكنين بتلك الجهة .

(٦) باب مدرسة الشريف عجلان — سمي بذلك لأنها بجانبه كذا عرّفه الفاسي وعرفه الفاسي بباب بنى تيم ويقال له : باب التكية لأن أمامه التكية المصرية وله فتحتان ويتزل منه الى أرض المسجد بأحد عشر سلما ، ومكتوب عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِحْيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْمِحَابِ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

(٧) باب أم هانئ — بنت أبي طالب وبذلك عرّفه الأزرق وذكر الفاسي أنه يسمى بباب الملاعبة لأنه بحذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعنى في زمنه ، وعرفه الأقسهرى بباب الفرج ويطلق عليه الآن باب الحميدية (دار الحكومة التركية) لأنها أمامه وأشهر أسمائه الأسم الأول لأن ما يليه من المسجد كان دارا لأم هانئ زوج هبيرة بن عمرو المخزومي ، وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر في المسجد في زيادة المهدي الثانية ، وحفر المهدي عوضها بئرا عند باب الوداع (الحزورة) ولهذا الباب منفذان أو طاقتان وله سلم ١٢ درجة يتزل منه الى أرض



الحرم المكي من جهة باب السراة



90. The Great Mosque at Mecca as seen from Ibrahim's Mausoleum.

دَاخِلُ الْحَرَمِ الْمَكِيِّ مِنَ الْجَنَّةِ الشَّامِلَةِ الْغَرْبِيَّةِ



جِبْرِ الْوُطْنِ وَالْمَدِينَةِ الْمَكِّيَّةِ وَالْحَرَمِ الْمَكِيِّ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

91. The Northern Western view of the Mosque of Mecca.

المسجد الحرام ، ومكتوب عليه باللون الأصفر بالخط الثلث الجميل ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُثِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ .

وبالجانب الغربي : (١) باب الحزورة — قال الفاسي : المصحف الآن باب عزورة والحزورة اسم لسوق في الجاهلية كانت في هذا المكان ودخلت في المسجد الحرام عند توسعته ويسمى باب البقالية ، قال الأزرقى : ويقال له باب بنى حكيم بن خزام وبنى الزبير بن العوام ، والغالب عليه باب الخزامية لأنه يلي خط الخزامية ، ويقال له الآن : باب الوداع لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم ، ولهذا الباب فتحتان وسلم من الداخل ذو درجات عشر وعليه بين البابين تاريخ للملك الناصر فرج بن السلطان الشهيد الظاهر أبو سعيد برقوق سنة ٨٠٤ هـ . ومكتوب على الباب يا مبدئ يا معيد . ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ . ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

(٢) باب إبراهيم — قال الفاسي : وإبراهيم المنسوب إليه هذا الباب كان خياطاً يجلس عنده على ما قيل كما ذكره البكري في كتاب المسالك والممالك ، وإن العوام نسبوه إليه . ووقع للحافظ أبي القاسم بن عساكر وابن جبيرة وغيرهما من العلماء ما يقتضى أنه الخليل عليه السلام وهو بعيد لا وجه له اهـ . وهذا الباب في الزيادة التي في هذا الجانب ، وهو ذو فتحة واحدة كبيرة وهو أكبر أبواب المسجد ، ومكتوب على يمين هذا الباب ﴿ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وعلى اليسار « أمر بعمارة هذا الباب المعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى » بدون تاريخ ، انظر داخل المسجد الحرام من جهة باب إبراهيم في (الرسم ٩٠) الذى ترى فيه قباب المسجد وشرفاته .

(٣) باب صغير — بمدرسة الشريف عبد المطلب .

(٤) باب الداودية — صغير أيضاً وله ١٣ سلماً .

(٥) باب العمرة — وسمى بذلك لأن المعتمرين من التعميم يخرجون ويدخلون منه في الغالب وسماه الأزرق باب بنى سهم ، وهو ذو طاق واحد ويزل منه الى مستوى المسجد بثنتي عشرة درجة .

وفي الجانب الشمالى : (١) باب عمرو بن العاص — ويقال له : باب السدة لكونه سدّ ثم فتح ، ويقال له : الباب العتيق ، وهو ذو فتحة واحدة صغيرة ويعلو أرض المسجد بخمس عشرة درجة .

(٢) باب الزمامية — وهو باب صغير ذو فتحة واحدة وله تسع درجـاب تصل بك الى أرض المسجد .

(٣) باب العجلة — لكونه عند دار العجلة ولا يدرى ما هذه العجلة ، ويقال له باب الباسطية لأنه مجاور لمدرسة عبد الباسط وله فتحة واحدة واثنـتا عشرة درجة .

(٤) باب القطبي — ويقال له : باب الزيادة لكونه غربى الزيادة التى فى شمالى المسجد ، وهو ذو فتحة واحدة وله ١٣ درجة .

(٥) باب سويقة — وهو فى صدر زيادة دار الندوة أى فى شمالها ، ويعرف الآن بباب الزيادة ، وكان يقال هذا على باب القطبي ، ولباب سويقة ثلاث فتحات ويزل منه الى أرض المسجد بثلاث عشرة درجة .

(٦) باب المحكمة — وهو صغير ذو فتحة واحدة ولا سلم له .

(٧) باب الكتبخانة — ويقال له : باب المدرسة ذو فتحة واحدة .

(٨) باب دريبة — وهو فى الطرف الشمالى الشرقى وذو فتحة واحدة .

مآذن المسجد الحرام — له سبع مآذن : (الأولى) مثذنة باب العمرة فى ركن المسجد الشمالى الغربى ، وقد بناها المنصور العباسى فى عمارته للمسجد سنة ١٣٩ هـ .

وجددها وزير صاحب الموصل سنة ٥٥١ هـ . وأصلحت في سنة ٨٤٣ هـ .
 في ولاية السلطان چقمق ، وفي سنة ٩٣١ هـ . أمر السلطان سليمان بهدم هذه
 المنارة وإعادة بنائها محكما ، (الثانية) مئذنة باب السلام عمرها المهدي العباسي
 سنة ١٦٨ هـ . (الثالثة) مئذنة باب علي عمرها المهدي أيضا في التاريخ السالف ،
 وجددت بالحجر الأصفر في عمارة السلطان سليمان للمسجد . (الرابعة) مئذنة باب
 الخزورة (باب الوداع) عمرها المهدي أيضا ، ثم عمرت زمن الأشرف شعبان صاحب
 مصر ، وكانت سقطت سنة ٧٧١ هـ . فعمرت في السنة التالية . (الخامسة) مئذنة
 باب الزيادة عمرها المعتضد العباسي لما بنى الزيادة سنة ٢٨٤ هـ . ثم جددها
 الأشرف برسبای في سنة ٨٢٦ هـ . (السادسة) مئذنة قايتباي بالمدرسة المعروفة
 باسمه ، وهي مجاورة لباب السلام على يسار الداخل الى المسجد وقد عمرت في حدود
 سنة ٨٨٠ هـ . (السابعة) مئذنة السلمانية في المدرسة المعروفة باسمها ، وكل هذه
 المآذن حصلت فيها زيادات وترميمات في العمارة الكبيرة التي قام بها السلطان سليم
 الثاني وأبوه في المسجد كما ستقف على ذلك بعد ، وكذلك رمت في سنة ١٠٧٢ هـ .
 على يد سليمان بك والى جدّة والحرم من قبل السلطان محمد كزلار الأغا وكل هذه
 المآذن يؤذن عليها الآن في الأوقات الخمس وشيخ المؤذنين أو الميقاتي يؤذن على قبة
 زمزم فيتبعه باقي المؤذنين على المآذن ومثبت في الحائط الجنوبي لهذه القبة مزولة
 أهداها رجل مراكشي الى المسجد وهي في غاية الضبط والإحكام وعليها ميقاتهم
 في النهار . أنظر في (الرسم ٩١) ست مآذن من السبع .

توسعة المسجد الحرام وعمارته وتاريخ ذلك — ذكر الأزرقي والامام

أبو الحسن الماوردي وغيرهما أن المسجد الحرام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
 وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ليس عليه جدار يحيط به ، وكانت الدور محذقة به
 من كل جانب وبين الدور أزقة يدخل منها الناس ، وكانت حدوده حدود المطاف
 الآن وهو على ذلك من عهد إبراهيم عليه السلام ، فلما أن استخلف عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه اشترى دورا هدمها ووسع بها المسجد — وكانت تلك أول زيادة —

وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وامتنع من البيع فوضع أثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك ، وقال لهم عمر : إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها ولم تنزل الكعبة عليكم ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطا به دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه فكان عمر أول من اتخذ للمسجد جدارا ووضع له المصابيح ، وذكر القاضي في جامعه : أن أول من استصبح لأهل الطواف عتبة بن الأزرق وكانت داره لاصقة بالمسجد فكان يضع في جداره مصباحا كبيرا يضيء لمن يطوف بالبيت . ولما كان زمن عثمان وكثر الناس اشترى دورا وسع بها المسجد وقد أبى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به فقال لهم : إنما جئكم على حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد ثم أمر بهم إلى الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم . وجعل عثمان للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الأروقة له وكانت توسعة عمر في سنة ١٧ هـ . وتوسعة عثمان في سنة ٢٦ هـ . وفي سنة ٦٤ هـ . اشترى عبد الله بن الزبير دورا وسع بها المسجد من جانبيه الشرق والجنوبى توسعة كبيرة ، ومن جملة ما اشتراه بعض دار الأزرق جد الأزرق صاحب تاريخ مكة وكانت شرق المسجد ، وقد اشترى بعضها هذا ببضعة عشر ألف دينار ، وفي سنة ٧٥ هـ . حج عبد الملك بن مروان وعمر المسجد ولم يزد فيه ولكن رفع جدره وسقفه بالساج ، وجعل في رأس كل أسطوانة ٥٠ مثقالا من الذهب ثم وسعه ابنه الوليد ونقض عمل أبيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المزخرف وأزّر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفا ، وجعل على رأس الأساطين الذهب على صفائح الشبه من الصفر (الشَّبه والشَّبه نوع من النحاس) وجعل في وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل إليه أساطين الرخام . وفي ولاية زياد بن عبد الله الحارثي على مكة أمره أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس

(١) تفعل حكومتنا مثل هذا . فن أخذت منه شيئا للضاحجة العامة وأبى أخذ ثمنه وأودعته خزينة

بزيادة المسجد الحرام فوسعه من جانبه الشمالى ومن جانبه الغربى ، ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقا واحدا ، وكان ابتداء عمل ذلك فى المحرم سنة ١٣٧ هـ . والفراغ منه فى ذى الحجة سنة ١٤٠ هـ . وكانت زيادته ضعف ما كان عليه المسجد وقد زينه بالذهب وأنواع النقوش وبني مئذنة بنى سهم . ولما حج المنصور سنة ١٤٠ هـ رأى حجارة الحجر بادية فأمر عامله زيادا المذكور بتغطيتها بالرخام ليلا حتى اذا أصبح لا يراها إلا مغطاة وقد فعل ما أمر به على السراج قبل أن يصبح الصباح ثم إن المهدي بن أبى جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه ومن الجانب اليمانى ومن الموضع الذى انتهى إليه أبوه فى الجانب الغربى حتى صار على ما هو عليه اليوم ما عدا الزياتين فانهما أحدثتا بعده كما سيأتى . وكانت عمارة المهدي فى نوبتين الأولى فى سنة ١٦١ هـ . وزاد فيما زاده أبوه رواقين ، والثانية فى سنة ١٦٧ هـ . وكان أمر بها لما حج حجته الثانية فى سنة ١٦٤ هـ . ورأى الكعبة فى شق من المسجد فكره ذلك وأحب أن تكون فى وسطه ، فدعا المهندسين وشاورهم فى ذلك فتمسّدروا ذلك فاذا هو لا يستوى لهم من أجل الوادى والسيل ، وقالوا : إن وادى مكة له سيول قوية العزم ونخشى ان حوّلنا الوادى عن مكانه أن لا يتم لنا ما نريد ، فقال المهدي : لا بد لى من سعة المسجد حتى تكون الكعبة فى وسطه ولو أنفقت فيه جميع ما فى بيوت المال وعظمت نيته فى ذلك وقوى عزمه ، ففقد المهندسون ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادى الى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل فى المسجد من ذلك وما يبقى فى الوادى ، ثم خرج المهدي الى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد ولم يكمل ذلك إلا فى خلافة أبنه موسى الهادى لمعالجة المنية للمهدي ، وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليمانى وبعض الغربى ، وأنفق المهدي رحمه الله فى ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن الذراع المربع مما دخل فى المسجد الحرام خمسة وعشرين دينارا — اثنى عشر جنينا ونصفا — وثمنه مما دخل فى الوادى خمسة عشر دينارا ، وتقل الى المسجد الحرام أساطين الرخام

من مصر وغيرها في السفن حتى أنزلت بجدة وحملت منها على العجل الى مكة ، قال الأزرقي : ووسع المهندسون باب بني هاشم الذي يستقبل الوادى وجعلوا إزاءه بابا في الجهة الأخرى يقابل خط الخزامية — وهو باب الحزورة أو البقالين — وقالوا إذا جاء سيل عظيم ودخل المسجد خرج من ذلك الباب .

وفي خلافة هارون الرشيد عمل أمير مكة عبد الله بن محمد بن عمران الطاهي مظلة للمؤذنين التي على سطح المسجد ليؤذنوا فيها يوم الجمعة وكانوا يؤذنون قبل ذلك في يومها على سطح المسجد صيفا وشتاء .

ولم يزد في المسجد الحرام بعد عمارة المهدي سوى زيادة دار الندوة في الجانب الشامي (الشالى) وزيادة باب إبراهيم في الجانب الغربى ، وكان سبب الزيادة الأولى كما فصله الفاسى عن إسحاق الخزاعى أن بعض أهل الخير كتب الى وزير الخليفة المعتضد العباسى يحسن له جعل ما بقى من دار الندوة مسجدا ويقول له : إن هذه مكربة لم تنهأ لأحد من الخلفاء بعد المهدي ، فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته وأخرج لذلك مالا عظيما فأخرجت القمام — جمع قمامة وهى الكساسة — من دار الندوة وجعلت مسجدا ووصلت بالمسجد الكبير وعمره بأساطين وطاقت وأروقة مستقفة بالساج المنخرف ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر بابا بعقود ستة كبار، تحت كل عقد منها باب سعته خمسة أذرع في ارتفاع أحد عشر، وبين العقود الكبيرة ستة صغيرة تحت كل عقد باب سعته ذراعان ونصف في ارتفاع ثمانية أذرع وثلاث ، وجعل في هذه الزيادة من الخارج ثلاثة أبواب ، بابان طاقان وباب طاق واحد شارعة الى الطريق التي حولها وجعل سقفها مسامتا لسقف المسجد الكبير وبني فيها مئذنة وشرفا ، وفرغ من ذلك في ثلاث سنين ، وذرع هذه الزيادة طولا أربعة وستون ذراعا من الشمال الى الجنوب ، وذرعها عرضا من وسط الجدار الشرقى الى وسط الغربى سبعون ذراعا بذراع الحديد . ولم يبين إسحاق الخزاعى السنة التي فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة ولعل ذلك كان في سنة ٢٨٤ هـ . على مقتضى ما ذكره إسحاق من أن الكتابة الى المعتضد بسبب إنشاءها كانت في سنة ٢٨١ هـ . ثم ذكر

أن القاضي محمد بن موسى لما كان إليه أمر البلد غير الطاقات (الأبواب) التي كانت في جدار المسجد الكبير وجعل ذلك بأساطين حجارة مدوّرة عليها ملاين — كل خشبية في نهاية الأعمدة ومبدأ العقود — ساج بعقود من الآجر والحص الأبيض، فوصل الزيادة بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من الأول حتى صار من في دار الندوة من مصل ومستقبل يرى القبلة كلها وكان ذلك في سنة ٣٠٦ هـ . وقد كانت دار الندوة منزلاً للخلفاء والأمراء في صدر الإسلام إذا حجوا ، ولكن أهمل أمرها في منتصف القرن الثالث فأخذ يتهدم بناؤها وألقيت فيها القمام حتى أضيفت إلى المسجد .

وأما الزيادة التي في الجانب الغربي المعروفة بزيادة باب إبراهيم فنقل الفاسي رحمه الله أنه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجداً ويوصل بالمسجد الكبير ، فعمل على ما هو عليه اليوم فأتسع الناس به وصلوا فيه وكان ذلك سنة ٣٧٦ هـ . والمسقى الذي بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون وكان إنشاؤه في حدود سنة ٧٥٩ هـ . أو في السنة التي بعدها ، وطول هذه الزيادة ٥٧ ذراعاً إلا ربعا وعرضها اثنان وخمسون ذراعاً وربع .

وفي سنة ٦٤١ هـ . أجرى صاحب اليمن علي بن عمر عمارة داخل باب السلام ووقف كثيراً من الكتب للمسجد الحرام . وفي سنة ٧٨١ هـ . أرسل الأمير زين الدين العثماني من مصر مملوكه سودون باشا لعمارة المسجد الحرام وكان مما عمله تحلية الباب والميزاب وتبييض سطح الكعبة .

وفي ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة ٨٠٢ هـ . ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخاص عند باب الحزورة المعروف بباب عزورة بالجانب الغربي من المسجد الحرام ، فلم يكن غير لحظة حتى تعلقت النار بسقف المسجد وعمّ الحريق الجانب الغربي وبعض الرواقين المقدمين من الجانب

الشامى بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعاً وانتهى الحريق إلى محاذاة باب العجلة وصار ما احترق أكواماً عظيمة تمنع من الصلاة فى موضعها ومن رؤية البيت الشريف ثم من الله بعمارة ذلك فى مدّة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهرى ، وكان قدومه لذلك سنة ٨٠٣ هـ . فلما رحل الحاج من مكة شرع فى رفع الأكوام حتى فرغ منها ، ثم ابتدأ فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان ، وكان الفراغ من ذلك فى أواخر شعبان سنة ٨٠٤ هـ . وعجب الناس كثيراً من سرعة العمارة فى هذه المدّة لأن من رأى ذلك قبل العمارة يقطع بأن هذه العمارة إنما تتم فى مدّة سنتين باعتبار العادة فى العمارات ، فسهل الله فراغها فى تلك المدّة وجعلت الأساطين فى الجانب الغربى كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامى ما خلا أساطين يسيرة فى مقدمه فانها رخام مكسر ملصق بالحديد ، ولم يبق من ذلك محتاجاً للعمارة إلا سقف الجانب الغربى وما أخره عن إتمام ذلك إلا فقده خشب الساج ولو وجدته لأتم ذلك قبل موسم سنة ٨٠٤ هـ . ولما كان المحرم مفتوح شهور سنة ٨٠٧ هـ . قدم الى مكة الأمير بيسق فأخذ يجمع الخشب ويعده للسقف ثم وضعه فى محله بسرعة ، وكان ذلك الخشب من العرعر جىء به من الطائف الى مكة ، وقد عمر فى تلك السنة مواضع من المسجد كانت متشعبة وسقوفاً فيه ونقشته وكان ذلك فى أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق . وفى هذه السنة عمرت سقاية العباس بالبحر وكانت بالخشب عمرها الجواد الأصهبانى وزير صاحب الموصل .

وفى سنة ٨١٥ هـ . عمرت أما كن بالمسجد ، وفى سقفه وكان القائم بذلك قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة من مال تطوع به أهل الخير .

وقد كثر بعد ذلك الخلل والتشعب فى جدر المسجد وعمده وأبوابه وسقفه فقيض الله لإصلاح ذلك الأمير زين الدين مقبلاً القديدى موفداً من قبل ملك مصر وصاحبها الأشرف برسباى ، فقام بعمارة كبيرة فى كل المسجد فأقام عشرات العقود وجدد كثيراً من أبواب المسجد وعمرت سقوفه وطليت بالنورة وكان ذلك فى سنتى ٢٥ و ٢٦ بعد الثمانمائة .

وفي سنة ٨٤٢ هـ . عمر الأمير سيدوم سقف المسجد ، وفي سنة ٨٥٢ هـ .
رغم بعض أماكنه يبرم خواجه ناظر الحرمين من قبل السلطان چقمق .

وفي سنة ٧٧٨ هـ . عمر السلطان الغورى باب إبراهيم فجعل له عقدا بعد أن
لم يكن ، وجعل فى أعلاه قصرا وفى جانبيه سكنين وبيوتا تغل بالكراء وبني ميساة
خارج باب إبراهيم .

وفي سنة ٩٧٩ هـ . صدر أمر السلطان سليم خان ببناء المسجد الحرام على
أكل درجات الانتقان وأن يعتاض عن السقف بقبب دائرية وأرسل الى سنان باشا
صاحب مصر ليعث من يقوم بهذا العمل من الكبار ، فعين الباشا أحمد بك فكان
تعييننا صادف أهله فإنه طبع على حب الخير وعدم الاكتراث بالدنيا وشدة العطف
على الفقراء ، وقد وصل مكة سالخ ذى الحجة سنة ٩٧٩ هـ . ومعه الإجازات السلطانية
بمباشرة البناء على أن يكون تحت إشراف القاضى حسين مدبر المملكة الحسنية وسفير
الأقطار المجازية ، واستصحب أحمد بك شيخ المهندسين بمصر المعلم محمد المصرى ،
وقد بدأ بالهدم يتلوه التعمير من باب السلام وكان ذلك فى الرابع عشر من ربيع الأول
سنة ٩٨٠ هـ . ولم يزل يبني على الشكل الذى نراه الآن حتى أتم الجانبين الشرقى
والإيمانى ، وقد أتى نعى السلطان سليم خان وتولية ابنه السلطان مراد ، وورد منه أمر
لأحمد بك بأن يستمر فى عمارة المسجد ويستتجزه الاتمام ، بخد جدّه فى العمارة حتى
أتم المسجد فى أواخر سنة ٩٨٤ هـ . فكان نزهة الناظر وجلاء الخاطر وبلغ ما أنفق
فى هذه العمارة ١١٠٠٠٠ دينار (٥٥٠٠٠ جنيه تقريبا) ومائة ألف من الذهب
الإبريز ، وذلك عدا ما وصل من مصر من مواد البناء مثل الخشب والحديد وأهلة
القباب المطلية بالذهب ، وهذا الشكل هو الذى تراه بالمسجد الى يومنا هذا وقد
وصفناه لك قبلا .

وفى هذه العمارة خفض العمال أرض الشارع الموصل الى المسفلة بحيث صار
يصرف ماعساه يدخل الى المسجد من مياه السيول التى كثيرا ما كانت سببا فى نقص

أركانه وهدم بنيانه وقد رمم المسجد الحرام في سنة ١٠٧٢ هـ . سليمان بك والى جامة
وشيخ المسجد الحرام بمال زوّده به سلطان مصر محمد كزّار الأغا .

هذا وقد كانت الزيادات التي تختلف من الدور التي دخلت في تربع المسجد
في كل عماراته يبنى بعضها مدارس وبعضها أروقة يسكن فيها فقراء طلبة العلم
في المسجد، وكان لها أوقاف جمّة ولكن كثيرا ما تغيرت أوقافها واستبدل بها غيرها
أو خرجت من يد واقف الى يد آخر أقوى منه ، ومن ذلك مدرسة قايتباي التي
لا تزال لآلآن على يسار الداخل الى المسجد من باب السلام فانها بعد أن كانت
مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها ضعفت أوقافها
شيئا فشيئا فنقلوها من دار علم الى دار ضيافة كان ينزل فيها أمراء الحج المصري ثم
سار يسكنها بعض أشرف بني غالب .

مقام إبراهيم عليه السلام — (١) ما المراد به . قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ
وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾
وقال تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ قال شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره
اختلف أهل التأويل في مقام إبراهيم فقال بعضهم : مقامه هو الحج كله (أى
مشاعره) ، وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعطاء ، وقال آخرون : مقام إبراهيم
عرفة والمزدلفة والجمار ، وحكى ذلك عن هؤلاء الثلاثة أيضا ، وقال آخرون : مقام
إبراهيم الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين ارتفع بناؤه وضعف عن رفع الحجارة وأسندته
الى ابن عباس ، وقالت طائفة رابعة : بل مقام إبراهيم هو مقامه المعروف في المسجد
الحرام وعزا ذلك الى قتادة وعمار والسدى ، ثم قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال
بالصواب عندنا ما قاله القائلون إن مقام إبراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذي
هو في المسجد الحرام ، لما روينا عن عمر بن الخطاب أنه قال : قلت يا رسول الله !
لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ولما حدثنا
يوسف بن سليمان قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل قال : حدثنا جعفر بن محمد عن
أبيه عن جابر قال : استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا

ثم تقدم الى مقام ابراهيم فقرأ ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين ، فهذان الخبران يثبتان أن الله تعالى ذكره إنما عني بمقام ابراهيم الذى أمرنا الله باتخاذ مصلى هو الذى وصفنا ، ولو لم يكن على صحة ما اخترنا في تأويل ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الواجب فيه من القول ما قلنا ، وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول حتى يأتى ما يدل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له ، ولا شك أن المعروف فى الناس بمقام ابراهيم هو المصلى الذى فيه قال الله تعالى ذكره ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقد روى الخبرين اللذين ذكرهما ابن جرير البخارى فى صحيحه الأول فى كتاب التفسير والثانى فى كتاب الحج ونرى أن الآية صريحة فى أن المصلى بعض من المقام أى موضع القيام والحجر لا يصباح أن يكون مصلى لصغره فالمقام مكان غيره أكبر منه ولعل الحجر المعروف الآن بمقام ابراهيم كان موضوعا فى مكان قيامه علامة عليه .

(٢) قياس المقام — (الحجر) وتحليلته . قال القاضى عز الدين بن جماعة : حررت لما كنت مجاورا بمكة سنة ٧٥٣ هـ . مقدار ارتفاع المقام عن الأرض فكان $\frac{7}{8}$ الذراع ، وأعلى المقام مربع من كل جهة $\frac{3}{4}$ الذراع ، وموضع غوص القدمين ملبس بالفضة ، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط من ذراع القماش المستعمل فى مصر . اهـ .

وأقول ما حلى المقام فى خلافة المهدي العباسى لأنه رفع فانشئتم لرخاوة حجره ، فكتب الحجة الى المهدي يعرفونه بذلك وأنهم يخشون عليه أن يتفتت ، فبعث المهدي فى سنة ١٦١ هـ . بألف دينار أو أكثر فضيبوا بذلك المقام من أعلاه وأسفله ، فلما كان فى خلافة المتوكل زاد فى تضبيب المقام سنة ٢٣٦ هـ . ومقدار ما زاده ٨٠٠٠ مثقال من الذهب و ٧٠٠٠٠ درهم من الفضة وكان ذلك فوق حليته الأولى ثم أن جعفر بن الفضل عامل مكة ومحمد بن حاتم قلعا حلية المتوكل وضرباها دنائير ليستعينا بها على ما قيل فى حرب إسماعيل بن يوسف العلوى الذى خرج وأفسد بمكة والحجاز فى سنة ٢٥١ هـ . ولم تزل حلية المهدي على المقام الى أن قلعت عنه

في محرم سنة ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه لأن الحجة ذكروا لعامل مكة على بن الحسن العباسي أن المقام وهى وتسالت أحجاره ويخشى عليه ، وسألوه في تجديد عمله وتضييبه حتى يشتد فأجابهم لسؤالهم وزادهم ذهباً وفضة الى حليته الأولى ، فعمل له طوقان من ذهب فيهما ١٩٩٢ مثقال ، وطوق من فضة ، وأحضر المقام الى دار الإمارة وأذيت له العقاقير بالزئبق وشدها شداً جيداً حتى التصق ، وكان قبل ذلك سبع قطع زال عنها الالتصاق لما قلعت الحلية عنه سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه ، وكان الذى شدّه بيده فى هذه السنة بشر الخادم مولى أمير المؤمنين المعتمد العباسي وحمل المقام بعد لصقه وتركيب الحلية عليه لشده الى موضعه وكان ذلك فى يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ٢٥٦ هـ .

(٣) موضع المقام والمصلى خلفه — قال التقي القاسى : روى الأزرقى — توفى سنة ٢١٧ هـ — عن ابن أبى مليكة أن موضع المقام الآن هو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخليفين بعده إلا أن السيل — سيل أم نهشل سنة ١٧ هـ — ذهب به فى خلافة عمر رضى الله عنه فجعل فى وجه الكعبة — الجهة الشرقية التى فيها الباب — حتى قدم عمر فردّه الى مكانه بمحض من الصحابة ، ونقل المحب الطبرى عن مالك فى مدوّنته أنه قال : كان المقام فى عهد ابراهيم عليه السلام فى مكانه اليوم وكان أهل الجاهلية ألصقوه بالبيت خيفة السيل ، فكان كذلك فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، فلما ولى عمر ردّه بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حتى أخرجه ، قال التقي القاسى : وهذا يخالف قول الأزرقى وحديث جابر الصحيح ، ثم قال بعد كلام طويل : فيتحصل فيمن ردّه الى موضعه الآن — سنة ٨١٢ هـ — ثلاثة أقوال : أحدها أنه النبى صلى الله عليه وسلم ، والثانى أنه عمر ، والثالث أنه غيرهما ، ثم قال : موضع المقام الآن هو موضعه فى عهد الخليل عليه السلام من غير خلاف أعلمه فى ذلك ، وأما الخلاف فى موضعه اليوم هل هو

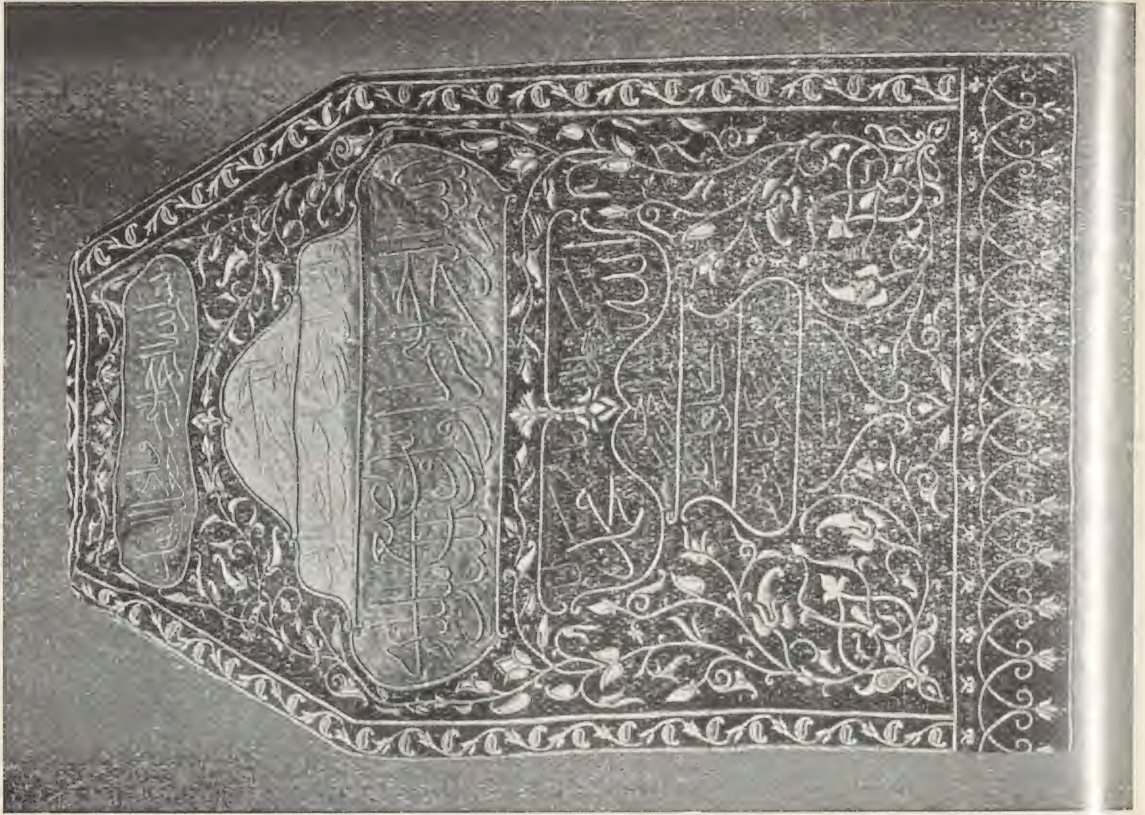
موضعه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن أبي مليكة أو لا كما قال مالك ،
ثم قال وكان ردّ عمر للمقام الى موضعه هذا لما غيره عنه السيل سنة ١٧ هـ .

قال التقي الفاسي : المقام الآن تحت قبة عالية من خشب قائمة على أربعة أعمدة
دقيقة من حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد بين كل عمودين شباك ، ومن
الجهة الشرقية يدخل الى المقام ، والقبة مزخرفة من باطنها بالذهب ، ومما يلي السماء
مبيضة بالنورة ، وأما المصلى الذي هو خلف المقام فعليه ظلة قائمة على أربعة أعمدة
منها عمودان عليهما القبة إذ هي متصلة بالقبة ، والظلة مزخرف سقفها من الباطن
بالذهب ومبيض من أعلاه بالنورة ، وأحدث وقت صنع فيه ذلك شهر رجب
سنة ٨١٠ هـ . واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه
بسبب هذه العمارة ، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر مكتوب
في الشباك الشرق بسبب عمارته له سنة ٧٢٨ هـ . ومقام ابراهيم في وسط القبة
بين شبابيكها الأربعة الحديدية ، ويحيط بالمقام قبة من الحديد — مقصورة —
مثبتة في الأرض برصاص مصبوب بحيث لا يستطيع قلع القبة التي فوقه إلا بالمعاول
وشبهها ، ولعل هذه القبة الحديدية هي التي كانت توضع فوقه عند قدوم الحاج الى
مكة صونا له لكونها أشدّ تحملا للازدحام والاستلام على ما ذكر ابن جبير في رحلته
سنة ٥٧٩ هـ . وقد ذكر ما يدل على أن المقام لم يكن ثابتا بل كان تارة يجعل
في الكعبة وتارة في موضعه الآن في قبة من خشب ، فاذا كان الموسم أبدل بها القبة
الحديدية ، قال التقي الفاسي وما عرفت متى جعل المقام ثابتا في القبة على صفته
التي هو عليها الآن ، وأما القبة التي فوق القبة الحديدية التي في جوفها المقام فاطن
أن الملك المسعود صاحب اليمن ومكة أول من بناها . اهـ .

وقد جددت قبة المقام في سنة ٩٠٠ هـ . وكذلك في سنة ١٠٤٩ هـ . ونقشها
بالذهب في سنة ١٠٧٣ هـ . سليمان بك والى جدة ومكة من قبل سلطان مصر محمد

كرلار، وقد رأيت مكتوبا على القبة من الجهة الجنوبية «أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا العبد الفقير الى الله تعالى سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوزى عز نصره في ١٥ شهر رجب الفرد سنة ٩٠٠ هـ . ومكتوبا عليها في الجهة الغربية المقابلة لباب الكعبة «أمر بتجديد هذا المقام المعظم سيدنا ومولانا السلطان المظفر سليم خان بن السلطان بايزيد خان — وعلى الجهة الشمالية بقية أجداده — سنة ١٠٤٩ هـ .» وقد قست المسافة بين المقصورة التي على المقام وجدار الكعبة الذي فيه الباب من الوسط فاذا هي ١٥٤٠ مترا، ودخلت المقصورة مع المطوف فوضع من ماء زمزم على أثر القدمين وشربنا منه في حجتنا هذه سنة ١٣١٨ هـ . وكان خليقا بي وبالمطوف أن نتجنب التبرك بالآثار والشرب من مواطئ الاقدام وأن ندع هذه البدعة جانبا ولا نفعل عند هذا الأثر سوى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة عنده آمثالا لأمر الله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ولكنى كنت في هذا الوقت لما تنضج معلوماتى الدينية في الحج ومشاعره ولم أكن وقفت تمام الوقوف على تأثير البدع السيئ في الدين ، وقد دعانى الإنصاف الى ذكر الواقع ودعانى البصر بالدين الى انكار ما حصل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ .

وقد رسمت المقام في حجتى سنة ١٣٢٥ هـ . وهو الذى تراه في (الرسم ٣٣) بجوار الكعبة والمنبر ، وبالتأمل في الرسم تجد في كل جهة شباكين وترى في وسط المقام القبة . وفي (الرسم ٩٣) الجانب الأمامى من كسوة المقام التى تصنعها مصر ، وفي الجدول الآتى ما سطر على كسوة المقام :



53. The Carpet on Ibrahim's mausoleum.

الطابع والنسخة في سنة ١٣٢٦ هـ في شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٦ هـ

منظر الكعبة المعظمة بالنسبة للحرام بكة المكرمة

५० दिन



92. The Northern-Eastern view of the Kaaba and the Praying Places of the four caliphs in the Mosque of Mecca.



ما سطر على كسوة مقام إبراهيم عليه السلام

الوجه الرابع	الوجه الثالث	الوجه الثاني	الوجه الأول
للاطافين والعاكفين والركع السجود واعلم أن الله عزيز حكيم . صدق الله ربنا وخالفنا العزيز الرحيم إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين حسن رضى الله عنه حسين رضى الله عنه ابن السلطان أحمد خان خلد الله خلافته وأيد بالعدل سلطنته الى انتهاء الزمان ونهاية الدوران سنة ١٣٢٧ هـ	وعهدنا الى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي إليك ثم اجعل على كل جبل منين جزا ثم ادعهم يأتينك سعيما دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع عثنان رضى الله عنه على رضى الله عنه السلطان محمد خان الخامس ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان ابن السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان	مائة للناس وأما واتخذوا من مقام إبراهيم محلى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذوا بهمة من الطير فصرهن بسكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن أبو بكر رضى الله عنه عمر رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا	بسم الله الرحمن الرحيم . وإن جعلنا البيت رب أرنى كيف تحيي الموتى بسم الله الرحمن الرحيم . إن أقول بيت وضع للناس للذى الله جل جلاله . محمد صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا

المقامات الأربع أو مواقف الأئمة في الصلوات المفروضة

قال التقي الفاسي في كتابه شفاء الغرام :

مقام الشافعي خلف مقام إبراهيم بينه وبين جدار الكعبة الشرقى $\frac{1}{3}$ ٣٩ ذراعاً
بذراع الحديد وبينه وبين الأسطوانتين المؤخرتين من سباط مقام إبراهيم $\frac{1}{3}$ ٩ أذرع
— وأقول إن هذا المقام لا وجود له الآن وإمام الشافعية يصلى في مقام إبراهيم
أو على سطح زمزم قال : ومقام الحنفى بين جدار محرابه الى وسط جدار الحجر
 $\frac{5}{4}$ ٣١ ذراعاً ، ومن جدار محرابه الى حد حاشية المطاف $\frac{1}{3}$ ١٠ أذرع بالعتبة ،
وعرض العتبة نصف ذراع وقيراطان ، ومقام المالكي من جدار محرابه الى وسط
جدار الكعبة الغربى $\frac{2}{3}$ ٣٧ ذراعاً ومن جدار المحراب الى حاشية المطاف بالعتبة
 $\frac{1}{3}$ ١٠ أذرع ، ومقام الحنبلى من جدار المحراب الى الحجر الأسود فى الجنوب
 $\frac{2}{3}$ ٢٧ ذراعاً بعتبة الحاشية « ذراع الحديد $\frac{1}{7}$ ٥٦ سنتياً كما سيأتى بيانه » .

(١) مقام الحنفى قال التقي الفاسي : فى أواخر سنة ٨٠١ هـ . وأوائل سنة ٨٠٢ هـ .
بنى مقام السادة الحنفية وهو قائم على أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون
مزخرف ، وأعلاه مما يلى السماء مطلى بالنورة وبين الأسطوانتين المقدمتين محراب
مرخم ، ثم قال : وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة
زين الدين الفارسكورى الشافعى وألف فى ذلك تأليفاً حسناً ، والشيخ سراج الدين
البلقيني وولده جلال الدين قاضى القضاة بالديار المصرية وكذلك القضاة وأفتوا
بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة ، ورسم ولى الأمر بهدمه
فعارض فى ذلك بعض ذوى الهوى فلم يتم الأمر ، وسبب الإنكار ما حصل من شغل
الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من إفساد أهل اللهوفيه لأجل
سترته لهم ، وسبب المعارضة أن بعض علماء الحنفية إذ ذاك أفتى بجواز بقائه لما
فيه من تظليل المسلمين من الحر ووقايتهم من البرد والمطر ، وحكمه فى ذلك حكم
الأروقة والأساطين التى فى المسجد ، وفى سنة ٨٣٦ هـ . كشف الأمير سودون

المحمدي سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة خشب مبيضة ترى من فوق ولا أثر لها داخل المقام، وفرش فيه حجارة حمراء من حجر الماء ثم جدد مرارا بعد ذلك، وآخر مرة في سنة ٩١٧ هـ واستمر على ذلك إلى سنة ٩٢٤ هـ. فلما حج الأمير مصالح الدين الرومي في موسم سنة ٩٢٣ هـ بدأ له أن يهدمه فهدمه في مفتح سنة ٩٢٤ هـ. وجعله قبة كبيرة شاذجة على أربع بتر (قوائم مبنية) عراض جدًا بأربعة عقود، وكل ذلك عمل بحجر الماء المنحوت ذي اللون الأحمر فالأصفر، وهذا الحجر يؤتى به من جهة الحديدية ويقال له: الشميسي، وزاد في طول المقام وعرضه وانتهى بجرابه إلى إفريز حاشية المطاف وبقيت هذه القبة حتى سنة ٩٤٩ هـ. فأمر بهدمها السلطان لأنها أخذت بناء كبيراً من المسجد، فنفذ الأمر الأمير خشق قلدی نائب جادة ومباشر العماير السلطانية فهدم هذه القبة في أوائل شهر رجب سنة ٩٣٩ هـ. ثم شرع في بناء مقام عظيم للحنفية، وشكله أربع بتر جميلة في الأركان أخذت من أنقاض القبة الأولى وهي من حجر الماء، وستة أعمدة مثمثة من حجر الصوان كل عمود قطعة واحدة، فن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين وآخران بين المؤخرتين وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة وآخرين البترتين من جهة باب السلام مقابل للأول، وعلى ذلك عشرة عقود لطاف، وعلى ذلك سقف مزخرف من خشب الساج مصنوع صناعة ظريفة، وفوق هذا السقف ظلة للبلغين بأربع بتر، وستة أعمدة ألطف من الأعمدة التحتية ودلى شكلها في الوضع، وعلى جميعها سقف مزخرف فوقه جملي (جملون) غطى بالرصاص لدفع المطر وفي وسط السقف الأول طاقة يرى المبلغ منها الإمام، وفي المقام سلم جميل يصعد عليه المبلغ إلى الظلة في أوقات المكتوبة وقد أتم هذا البناء في ١٣ رمضان من السنة المذكورة، وفي سنة ٩٧٤ هـ رخم مقام الحنفية بأمر السلطان أحمد خان، وفي سنة ١٠١٠ هـ رخم محراب هذا المقام وفي سنة ١٠٧٢ هـ. بنى سليمان بك وإلى جادة وشيخ الحرم وناظر عمارته من قبل السلطان محمد كزلار الأغا — المقام الحنفى بالحجر الصوان المنحوت وبالحجر الأصفر وصفح أعلى سقفه بالرصاص المطلى

بالذهب ، وجعل عليه رصافتين طليتا بالذهب كما جعل أمامه أربع رصافيات مطلية بالذهب ونقش نقوشا جميلة بماء الذهب والأصباغ البديعة انظر (الرسم ٩٢) وفيه ترى الجهة الشمالية والشرقية من المسجد والكعبة في وسط الصحن ، والذي في يسار الرسم مقام الحنفى ذو الطبقتين ومقام المالكي ثم أعمدة المطاف ثم الحجر على شكل نصف دائرة بجوار الكعبة ، والذي على يمينها مقام إبراهيم فالكعبة فباب بنى شيبة فزمرم عليها قبة أيضا ، ويلاصقها سقاية العباس ، والذي في جنوب السقاية مقام الحنبلى .

(٢ و ٣ و ٤) مقامات الشافعى والمالكي والحنبلى . عمر الأمير يسبق هذه المقامات الثلاث فى سنة ٨٠٧ هـ . وكان كل مقام منها عبارة عن بترتين عليهما عقد لطيف فى أعلاه ثلاث شرارييف وفيه خشبة معترضة علقت فيها الخطاطيف للقناديل ، وبين البترتين من أسفل جدار لطيف بنى من حجارة ونورة فيه محراب إلا مقام الشافعى فانه لا محراب فيه ، قال الفاسى فى كتابه شفاء الغرام : وقد ذكرنا صفتها القديمة فى أصل هذا الكتاب ولكن هذا الأصل لم يوجد بعد الفاسى ولا عثر عليه قال ابن ظهيرة فى كتابه الجامع اللطيف : مقام الشافعى كذلك الى يومنا هذا ، وأما مقام المالكي والحنبلى فقد أدركتهما كذلك ثم غيرا بعد سنة ٩٣٠ هـ . بأحسن مما كانا عليه فى أيام السلطان سليمان خان ، قال : ووصفهما الآن كل مقام بأربع أساطين مئنة الشكل ، كل أسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكي ، وتحت كل أسطوانة قاعدة منحوتة بتربيع وتئين ، وفوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان فوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف فوقه أخشاب بهيئة جملى (جملون) عليها صفائح الرصاص لدفع المطر ، وفى كل مقام محراب فيما بين الأسطوانتين المقدمتين الى جهة القبلة ، وهما كذلك الى هذا التاريخ وكان المباشر لذلك عبد الكريم اليازجى الرومى ، وفى سنة ٩٧٤ هـ . رمت المقامات الثلاث بأمر السلطان أحمد خان .

وفي سنة ١٠٧٢ هـ . نقشت الثلاثة بماء الذهب والأصباغ الجميلة وذلك بأمر سليمان بك والى جدة السابق ذكره، وكذلك جعل في أعلى كل مقام منها رصافية مطلية بالذهب وأمام كل منها ثلاث كذلك .

كيفية الصلاة في المقامات الأربع — قال ابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف : أما كيفية الصلاة فانهم في زماننا — منتصف القرن العاشر — يصلون مرتين الشافعي في مقام الخليل عليه السلام ، ثم إمام الحنفية بعده في مقامه ، ثم إمام المالكية بعده في مقامه ، ثم إمام الحنبلية بعدهم في مقامه ، وهذا في الفجر والظهر والعصر والعشاء ، وأما في صلاة المغرب فكان فيما أدركناه قريبا يصلي الحنفي والشافعي في وقت واحد فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين فأنهى ذلك الى مولانا السلطان سليمان فبرز أمره بالنظر في ذلك وإزالة هذا التخليط ، فاجتمع القضاة والأمير على بك نائب جده في الحطيم وقضوا بأن يتقدم الحنفي في صلاة المغرب وعند التشهد يدخل إمام الشافعي وكان هذا في حدود سنة ٩٣١ هـ . واستمر الى وقتنا هذا — عام ٩٤٩ هـ . — بخزى الله الساعى في ذلك خيرا ، وأما المالكي والحنبل فلا يصلون المغرب أئمة فيما أدركناه ، وأما كيفية الصلاة فيما تقدم من الزمان فكانوا يصلون مرتين كما في الأربع الفروض المتقدمة إلا أن المالكي كان يصلي قبل الحنفي مدة ، ثم تقدم عليه الحنفي بعد سنة ٧٩٠ هـ . ونقل الفاسي عن ابن جبير أنه اضطرب كلامه في الحنفي والحنبل ، لأنه ذكر ما يقتضى أن كلا منهما كان يصلي قبل الآخر ، أما صلاة المغرب فكان الأئمة الأربعة يصلونها جميعا في وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كبير من اشتباه أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند ولى الأمر إذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الحركسى صاحب مصر فبرز أمره في موسم سنة ٨١١ هـ . بأن إمام الشافعية بالمسجد الحرام يصلي المغرب وحده فنفذ أمره بذلك ، واستمر الى أن تولى الملك المؤيد صاحب

مصر فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا فنفذوا ذلك في ليلة السادس من ذى الحجة سنة ٨١٦ هـ . وكذلك يجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعي على صلاة العشاء في رمضان ويجتمع الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة بالمسجد الحرام في صلاة التراويح ويحصل بسبب اجتماعهم التشويش على المصلين الذي كان يقع دائماً في صلاة المغرب وأعظم لكثرة الأئمة .

هذا وقد أنكر العلماء من كل المذاهب تعدد الأئمة في الصلوات الخمس ، واستشنعوا ذلك خصوصاً في صلاة المغرب إذ يصلي الكل دفعة واحدة أنظر (شفاء الغرام) أما في وقتنا هذا (سنة ١٣١٨ هـ) . فالحنفي يبتدئ بالصلاة في جميع الأوقات ويتلوه المالكي ثم الشافعي ثم الحنبلي إلا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعي ويتأخر بها عنهم الحنفى .

وأما الوقت الذي حدث فيه تعدد الأئمة في الصلوات المفروضة فقال القاسمى : لم أعرفه تحقيقاً ثم نقل ما يدل على أن الحنفى والمالكي كانا مع الشافعي في سنة ٤٩٧ هـ . وأن الحنبلي لم يكن في ذلك الوقت وإنما كان إمام الزيدية ، ثم قال : ووجدت ما يدل على أن إمام الحنبلية كان موجوداً في عشر الأربعين وخمسمائة راجع الرسالة التي كتبها الشيخ جمال الدين القاسمى في بدعة تعدد الأئمة .

منبر المسجد الحرام — كان الخطباء من الخلفاء والولاة يخطبون بالمسجد الحرام يوم الجمعة قياماً على الأرض في وجه الكعبة وفي الحجر حتى كانت سنة ٤٤ هـ . إذ قدم معاوية بن أبي سفيان من الشام حاجاً وصحبته منبر من خشب ذو درجات ثلاث خطب عليه بالمسجد الحرام وتركه وكان كلما تخرب عمره ، ولم يزل يخطب عليه حتى حج هارون الرشيد فأهدى له عامله على مصر موسى بن عيسى منبراً من خشب ذا درجات تسع ونقش بديع ، فكان منبر المسجد ونقل الأول الى عرفة ، ثم أمر الواثق العباسي بعمل منبر للمسجد وأخرلني وثالث لعرفة ولما حج المنتصر بن المتوكل العباسي في خلافة أبيه جعل له منبر عظيم فخطب عليه بمكة ثم خرج وخلفه بها



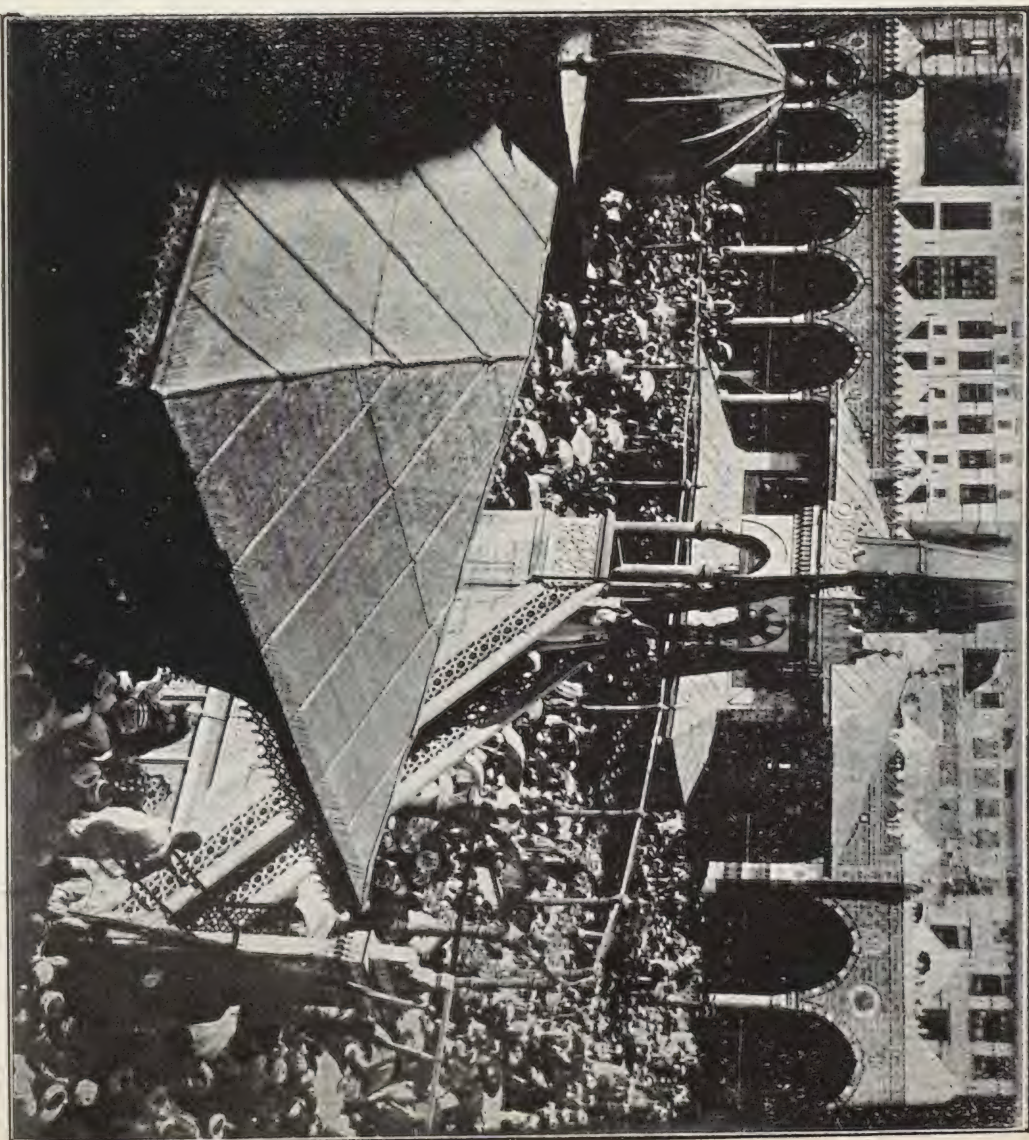
منظر الخليلي في علي المنبر في صلاة الجمعة بالحرم المكي

صحنه ٢٥٣



المنبر بالمسجد الحرام والجميع مجتمعون لصلاة الجمعة

صحنه ٢٥٣



وجعل للمسجد بعد ذلك عدّة منابر، فمن ذلك منبر عمله وزير المقتدى العباسي وأرسله من بغداد وكان منقوشا عليه بالذهب « لا إله إلا الله محمد رسول الله الإمام المقتدى بالله أمير المؤمنين » وقد بلغت نفقاته ألف دينار (٥٠٠ جنيه) ولما وصل الى مكة أحرقه المصريون ولم يبد اعتراضا على ذلك أمير مكة محمد بن جعفر، وأول من قطع الخطبة لملوك مصر وخطب لملوك بني العباس بعد أن قطعت الخطبة لهم نحو مائة سنة وأبي أهل مصر إلا أن تكون الخطبة للمستنصر العبيدي صاحب مصر فخطب له . ثم كان بعد ذلك يخطب حينما لبني العباس وحينما لملوك مصر يقدم منهم من يجزل له العطاء ، وكانت عادة الخطباء بمكة أن تكل الشاء للملوك كيلا من ذلك ما كان يقال للملك الكامل في الخطبة (صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزائر ووليدها سلطان القبليين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين) . ومنها منبر عمل في دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر في سنة ٧٦٦ هـ . وقد أصلح مرارا، قال التقي الفاسي هو باق يخطب عليه الآن — سنة ٨١٥ هـ . وما حوالها — ومنها منبر حسن أنفذه الملك المؤيد صاحب مصر في موسم سنة ٨١٨ هـ . وخطب عليه في سابع ذي الحجة وهجرت الخطبة على الذي قبله، وفي السنة السابقة أرسل شيخو صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه في يوم التروية .

وفي سنة ٨٦٦ هـ . أرسل الملك الناصر « خوشقدم » صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه بالمسجد في ثاني ذي الحجة من السنة المذكورة ، وفي سنة ٨٧٧ هـ . أرسل الملك الأشرف قايتباي الظاهري منبرا من خشب خطب عليه في أول ذي الحجة سنة ٨٨١ هـ . وفي سنة ٩٦٦ هـ . بعث السلطان سليمان خان بالمنبر الرخام القائم الآن بفناء المسجد وهو آية في الاحكام ودقة الصناعة ودليل على ما للصناع من البراعة، وتراه في (الرسم ٩٤) كاملا، وفي (الرسم ٩٥) إذا دقت النظر رأيت الخطيب على المنبر يلبس جبة وقباء (قفطانا) وقد لف على صدره مع رأسه « شالا » .

وقد كتب على المنبر من جهة الكعبة « الحمد لله رب العالمين قد بنى سليمان منبرا
لبلد أمين » وعلى الجهة المقابلة لها « إنه من سليمان وإنه بسم الله صدق الله جل
اسمه سنة ٩٦٦ هـ . » وقد أרך القاضي صلاح الدين بن ظهيرة القرشي المكي سنة
ورود هذا المنبر بقوله :

شيد الله ملك من * أسبغ الله ظله
وبأم القرى لقد * ضاعف الله نزه
إن ذا المنبر الذى * قدحوى الحسن كله
هاك تاريخه الذى * شهد الخلق فضله
لسليمان منبر * بالدعا شاهد له

سنة ٩٦٦ هـ

وأول خطبة خطبت عليه خطبة عيد الفطر قالها السيد أبو حامد النجارى ،
وفى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ١٠٢٠ هـ . شرع فى تركيب هلال المنبر
الذى أرسله السلطان وكان أعلى المنبر مبنيا بالآجر فهدم ذلك وجعل له ألواح ركبت
فيها الفضة المطلية بالذهب .

وقد كان الخطباء إذا أرادوا الخطبة فى المسجد وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة
بين الركن الأسود والركن اليمانى ، فإذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجر أولا ،
ثم دعا وصعد المنبر ، وبعد الخطبة كان ينقل المنبر الى مكانه بجوار زمزم ، فلم
أهدى السلطان سليمان الى المسجد الحرام منبره المذكور ببق مكانه واستمرت الخطبة
عليه الى اليوم ، وترى فى (الرسم ٩٦) الستارة التى تسدل على باب المنبر وهى من صنع
مصر .

والعادة الآن بل ومن قديم الزمان أنه اذا أراد الخطيب أن يخطب للجمعة يقبل
بين شخصين من الأغوات يتماذى بينهما بيد كل منهما راية ، ثم يعمد الى الحجر
الأسود فيقبله ويدعو عنده ، ثم يقصد الى المنبر بين الأغوين وأمامه شخص يضرب
بالفرقة — عود به جلد رقيق — فى الهواء فيسمع من فى داخل المسجد وخارجه

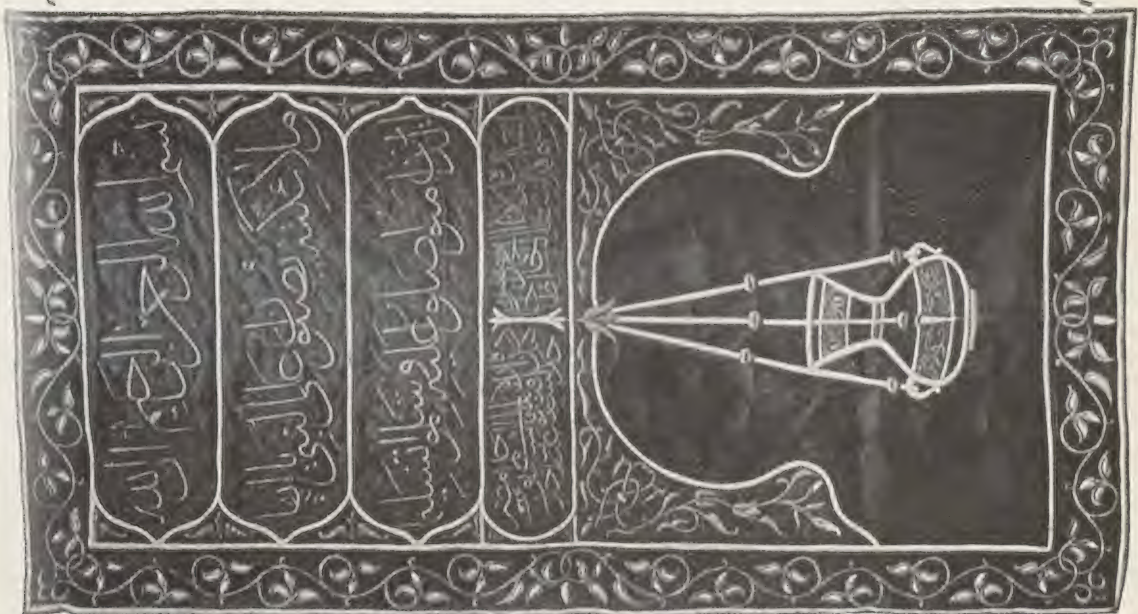


صلاة الجمعة حول المكتبة المشرفة



فما اذبح والبشرى واسمها الوارث اسمها الميراث

97. Pilgrims attending the Friday Prayers round the Kaaba.



96. A view of the curtain of the door of the pulpit in the Mosque of Mecca.

وفا الطبع في السيرة المشرفة للوالي الميرزا محمد باقر الخاوري في سنة ١٣٢٦



صلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة



98. A view of the Friday Prayer in the Mosque of Mecca
in El Hegga in 1325.

وفا الطبع في النسخة سنة ١٢٦٦ في شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٦ في شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٦



99. A view of Zamzam with the pilgrims drinking from it.

هو طبع في المطبعه في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٨٦

۱۳۱۱
تذکره اعیان

صوتها الشديد، ويقصد بذلك إعلام الناس بخروج الخطيب، فإذا ما كان على باب المنبر ناوله شخص هنالك سيفاً وثبتت الرايتان بجانب المنبر، فإذا ما رقى الدرجة الأولى ضربها بسيفه ضربة مسمعة، وكذلك يفعل في الدرجة الثانية والثالثة، فإذا ما وصل إلى العليا فعل بها كذلك ثم يدعو بدعاء خفي ويسلم على الناس يمينا وشمالا فيردون عليه، ثم يأخذ المؤذنون على ظهر زمزم في الأذان الثاني وبعد الفراغ منه يشرع في الخطبة ومما يقوله فيها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير بأصبعه إلى الكعبة ويدعو للخلفاء الأربعة وعمى النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وجدتهما وكذلك يدعو للخليفة وأمير مكة وإذا فرغ من الخطبة صلى وانصرف بجانبه حاملا الرايتين وبين يديه المفرق يعلم الناس بانتهاء الخطبة والصلاة ﴿شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ ويرى في (الرسم ٩٧) الناس وهم يصلون الجمعة بالمسجد الحرام في ذي الحجة سنة ١٣٢٠ هـ. والذي على يمين الكعبة مقام إبراهيم فباب بني شيبه فزمزم والسقاية — السقاية الآن مخزن لأدوات المسجد — وفي (الرسم ٩٨) منظر صلاة الجمعة في ذي الحجة سنة ١٣٢٥ هـ.

بئر زمزم — هذه البئر تقع جنوبي مقام إبراهيم بحيث إن الزاوية الشمالية الغربية من البناء القائم عليها محاذية للحجر الأسود على بعد ١٨ مترا منه، وماؤها طعمه قيسوني والبناء القائم عليها مربع من الداخل طول ضلعه ٥,٢٥ أمتار وهو مفروش بالرخام، وهذا البناء طبقتان: في الأولى منهما خدمة البئر، وفي الثانية خدمة من الخصييان (الأغوات) ويصعدا إليه من يريد الاستحمام على سلم من الخشب انظر (الرسم ٩٢) تجد بناء زمزم في شرقيه داخل المسجد. ويرى في (الرسم ٩٩) بناء زمزم والحجاج يدخلون إليه يستقون.

وهي بئر قديمة العهد ترجع إلى زمن إسماعيل عليه السلام، فإن أمه هاجر لما نزلت به في مكان البيت وظمى ولدها إسماعيل طلبت الماء فلم تجده فحاج جبريل عليه السلام وبحث الأرض بعقبه، في رواية غمزها بعقبه — وكنتاهما في صحیح

البخارى — فنبع الماء على وجه الأرض ، فكان ذلك نشأة زمزم ، وأدارت هاجر عليه حوضا خيفة أن يفوتها الماء قبل أن تملأ قربتها ، قالوا : ولو تركته لكانت زمزم عينا تجرى على وجه الأرض — على ماورد في الصحيح — وذكر الفاكهي ما يدل على أن ابراهيم عليه السلام حفر بئر زمزم بعد أن نبعت العين . وإذ ذلك بدأت عمارة مكة ولم يكن لأحد فيها قبل ذلك قرار فسكنتها قبيلة جرهم رغبة في مائها ، وقد غلب ذو القرنين إبراهيم على زمزم ردحا من الزمن ومازال مأوها ينتفع به سكان مكة حتى استخفت جرهم بحرمة الكعبة وحرمتها فدرس موضعه حتى صار لا يعرف ، وقيل إن جرهما طمست البئر حين نفيت من مكة ، ولما كان زمن عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم أرى في المنام مكان زمزم فاستبانها وحفرها قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد مدة طويلة أخذ مأوها يقل حتى كاد ينقطع في سنة ٢٢٣ هـ . لأن البئر أهملت وهدم كثير من جوانبها فأخذ رجل من أهل الطائف يقال له محمد بن بشير يعمل فيها . قال الأرزقي : وقد صليت في قعرها وفيه ثلاث عيون : عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفاء وعين حذاء المروة ، قال : وكان ذرع غورها من أعلاها الى أسفلها ٦٩ ذراعا ، منها ٤٠ مبنية و ٢٩ تقر في الجبل من أسفلها ، قال التقى الفاسي : وقد قيس بحضوري ارتفاع فم البئر عن سطح الأرض وقطره ومحيطه فكان الارتفاع ذراعين إلا ربعا والقطر أربعة ونصفا والمحيط خمسة عشر ذراعا إلا قيراطين ، وذلك بذراع الحديد $\frac{1}{7}$ ٥٦ سنتيا — قال التقى الفاسي : — أوائل القرن التاسع — وزمزم الآن داخل بيت مربع في جدرانها تسعة أحواض للماء تملأ من بئر زمزم ليتوضأ الناس منها ، وفي الحائط المقابل للكعبة شبابيك ، وفوق هذا البيت ظلة للؤذنين ولم أدر من أقام ذلك على هذه الصفة ، ثم ذكر أنه في سنة ٨٢٢ هـ . أجرى إصلاح كبير بل عمارة جديدة في هذا البيت وأحواضه والظلة التي فوقه للؤذنين وأن ذلك كان على نفقة الجناب العالي الكبير الشيخ علي بن محمد بن عبد الكريم الجيلاني نزيل مكة .

وفي سنة ٩٣٣ هـ . عمل لدائر بيت زمزم طراز مذهب وكتب فيه اسم مولانا السلطان الملك المظفر سليمان نخبه آل عثمان .

وفي سنة ٩٤٨ هـ . جدد بيت زمزم على يد الأمير خشقلدى فرخمت أرضه وجعل عليه سقف فوقه مظلة مسقوفة بالخشب المزخرف عليه جملى (جمالون) في وسطه قبة مصفحة بالرصاص .

وفي سنة ١٠٢٠ هـ . وضع بأمر السلطان أحمد خان شبكة من الحديد بداخل البئر ومنخفضة عن سطح الماء بمتراً ، لأن بعضاً من المجاذيب كانوا يلقون أنفسهم فيها ليموتوا فداء حسب تصوّرهم وتجد الآن — ١٣١٨ هـ . — مكتوباً على الشباك الشمالى من جهة الباب « ماء زمزم شفاء من كل داء »^(١) « آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم »^(٢) السلطان عبد الحميد خان سنة ١٣٠١ هـ . وتجد مكتوباً على بابها ما يأتى :

سرور لسلطان البسيطة والورا * عبد الحميد البر بمجر المكارم
ونصر له أيضاً وفتح ورفعة * بتعمير هذا المأثر المتقادم
حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر * وركضة جبريل على عهد آدم

وعلى الشباك القبلى « ماء زمزم لما شرب له »^(٣) لا يجمع ماء زمزم ونار جهنم في جوف عبد »^(٤) (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٣٠١ هـ) .

وقد ورد كثير من الأحاديث في فضل ماء زمزم ، فمن ذلك ما رواه الطبرانى في معجمه بسند رجاله ثقات . وفي صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم » وذكر البخارى في صحيحه : أنه لما شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم غسل بماء زمزم

(١) رواه الديلمى في مسند الفردوس وهو حديث ضعيف . (٢) رواه الحاكم وابن ماجه

والبخارى في تاريخه . (٣) رواه أحمد في مسنده والبيهق في سننه وشعبة وابن أبى شيبة عن جابر بن

عبد الله بن عمرو . (٤) لم نر من خرج هذا الحديث .

قال العلامة ابن القيم في كتابه زاد المعاد في باب الطب : ماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمنا عند الناس ، وهو هزيمة جبريل وسقيا اسماعيل وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذر : وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنها طعام طعم » وزاد غير مسلم بإسناده وشفاء سقم وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبد الله بن المؤمل راويه عن محمد بن المنكدر ، وقد روينا عن عبد الله بن المبارك أنه لما حج أتى زمزم فقال : اللهم إن ابن أبي الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » فإني أشربه لظما يوم القيامة وابن أبي الموالى ثقة ، فالحديث اذا حسن وقد صححه بعضهم وجعله بعضهم موضوعا ، وكلا القولين فيه مجازفة ، وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة وأستشفيت به من عدة أمراض فبرأت باذن الله وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجحد جوعا ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرني أنه ربما بقى عليه أربعين يوما وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مرارا ، انتهى كلامه فليس في الاستشفاء به مطعن لا من جهة الحديث ولا من جهة الطب وما الطب إلا التجارب ، وقد جرت عادة الناس بنقل هذا الماء إلى الجهات النائية تبركا به ، قال التقي الفاسي : والأصل في جواز نقله ما روينا في جامع الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أنها حملت من ماء زمزم في القوارير ، وقالت : حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأدواى والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم ، وروينا في شعب الإيمان للبيهقي وفي سننه وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

والحجاج في زمنا يستحضرون معهم المنسوجات البيضاء ويغسلونها بماء زمزم ويحفظونها في صحن المسجد (الرسم ٩٩) ثم يلفونها ويحفظونها ليكفنوا فيها بعد الوفاة يأخذون الآن مياهها الى بلادهم في أواني صينية (دوارق) أو صفائح كبيرة ليتبركوا بها أو يهادوا، وإن حديث عائشة مع ما فيه من الغرابة ليس فيه ما يدل على جواز نقل هذه المياه للتبرك بها بل فيه أن هذا النقل للشرب منه أو مداواة المرضى به أى باستعماله شربا أو صبا لا بحفظه في البيوت وأتمس البركة والخير به من هذه الناحية .

سقاية العباس — سقاية العباس حجرة كبيرة شرقي الكعبة وجنوبي زمزم ذات نوافذ وسقفها جمل (جمالوني) بارز عن جدرانها ليستظل به الناس وقد وصفها الفاسي في وقته فقال : إنها بيت مربع في أعلاه قبة كبيرة وفي جهاتها الأربع عدا الجنوبي منها شبابيك من حديد ، وفي جانبها الشمالي من الخارج حوضان بينهما الباب وفي وسط البيت بركة كبيرة تملأ بالماء من زمزم بواسطة قناة سماوية من زمزم الى جدر البيت ثم يسلك قناة أرضية الى البركة فيخرج منها الماء على شكل فؤارة وقال : إنها عمرت في سنة ٨٠٧ هـ . وقد كان العباس بن عبد المطلب يسقى فيها الحجيج ، وقد ذكر الفاسي : أن مقدار ما بين هذه السقاية والحجر الأسود ثمانون ذراعا بالذراع الحديد — $\frac{٥٦}{٧}$ ستيا — أنظر (الرسم ٩٢) .

متفرقات في المسجد الحرام :

(١) الممشى الأربعة — قال العلامة الشيخ عبد الرحمن في بعض مسوداته : وأما الممشى الأربعة التي إحداها الى باب السلام ، والأخرى الى باب الصفا ، والثالثة الى باب العمرة ، والرابعة الى باب الحزرة فقد أحدثت بعد أن فرش المطاف بالمرمر سنة ١٠٠٣ هـ .

(٢) المزاويل بالمسجد — قال ابن ظهيرة : وفي الظلة التي فوق بيت زمزم مزولة يعلم بها الماضي والباقي من النهار ، وفي سادس ذى الحجة سنة ١٠٧٩ هـ .

وضع الشيخ محمد بن سليمان المغربي مزولة تجاه باب السلام بنى لها بكرة طول قائمة الرجل ويرى الانسان رسومها حيال الركن الشرقى على ممشى باب السلام وكان موضعها فيما سلف مزولة عملها الوزير الأصفهاني الملقب بالحواد .

(٣) قناديل المسجد — فى الجهة الشرقية ١٦٧ ، وفى الغربية ١٤٧ ، وفى الشمالية ٣٣٠ ، وفى القبلىة ١٨٧ ، وبين أعمدة المطاف ٣٥٧ ، فاجملة ١٠٨٨ ، عدا ما فى زيادتى دار الندوة وبرايم وهذا حسب تعدادى لها سنة ١٣٣٠ هـ .

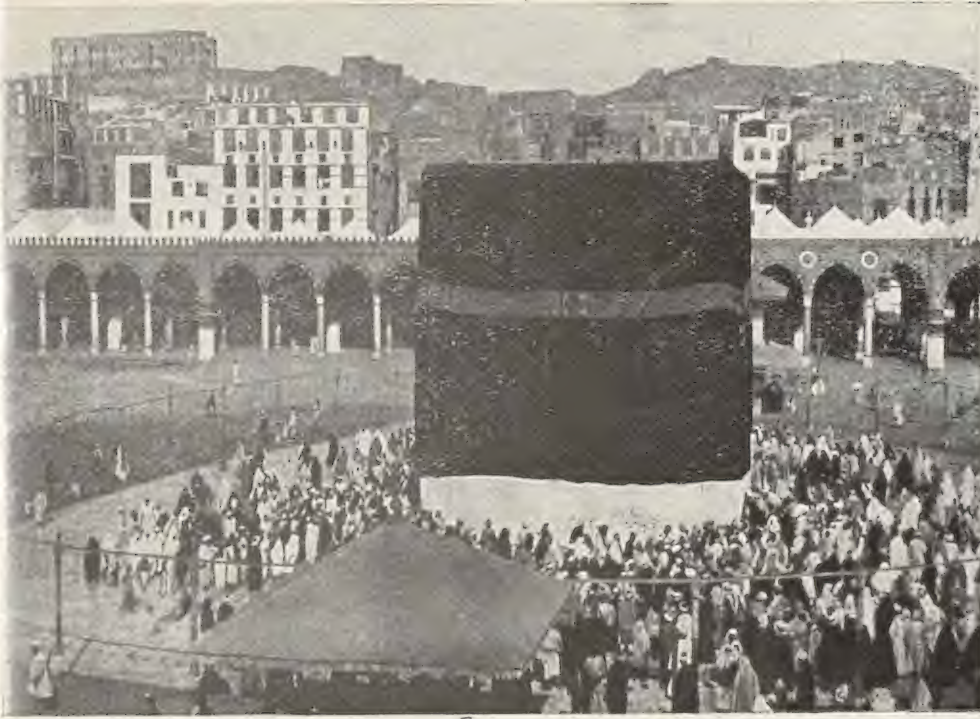
(٤) موظفو المسجد الحرام — له شيخ هو الوالى عادة ونائب ووكيل للنائب ومدير يقوم بشؤونه وفيه من الموظفين ما يقارب سبعمائة : منهم ١٠٧ مدرّس يتقاضى ٤٤ منهم مرتبا يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ قرش والباقون متبرعون بالتدريس ، ومنهم ٧٩ إماما وخطيبا للحنفية المتبرعون منهم ٣٤ ، ويتقاضى ٤٥ منهم مرتبا . وللشافعية ٢٤ إماما وخطيبا المتبرعون منهم ١٦ والباقون بمرتب وأئمة ، وخطباء المالكية ١٤ المتبرعون منهم ثمانية : وللحنبلية ٥ المتبرعون اثنان منهم ، والامام أو الخطيب يتقاضى مرتبا يختلف بين ٤٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ قرش ، ومنهم ٥٢ خضيا (أغا) من بينهم رئيس ونقيب لهم ، ومن ذلك ٤١ مؤذنا و ٨ وقّادين و ١٢ فراشا و ١٠ محافظين على النظام (مشدين) و ٢٠ كسا و ٣٠ بوابا و ١١ جبادا (ملاء للماء) و ١٨١ غسالا لقناديل المسجد و ١٨ خادما خدمة سائرة ومن ضمنهم ٢٠ لهم مراتب قديمة ، و ١٥ موظفا فى سقاية زمزم الخ ، أما الذين يقومون بخدمة الكعبة فسدتها من باب بنى شيبة . والخدمة فى المسجد الحرام وراثية فى الأكثر .

وأول من رتب الأغوات فى المسجد أبو جعفر المنصور وهم يقومون بأعمال مختلفة وخدمة المسجد الحرام مهنة من أشرف المهن يتباهى بها الخلفاء والسلاطين من قديم ، ومن ضمن الرتب فى الدولة العلية رتبة « خادم الحرمين الشريفين » .

قال صديقنا محمد لبيب بك البتانونى ويدرس بالمسجد الحرام بعض العلوم العربية والتفسير على الطريقة القديمة العقيمة ويقدر عدد الطلبة بضع مئات جلهم



إِلَى كَعْبٍ إِذَا رَأَى الْبَيْضَ مِنْ الْجَمْدِ الْغَرِيْبِ



في الطباعة والنشر بمطبعة دار الفنون في القاهرة في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٦٥

100. The Western view of El Kaaba.

قَبَضَ الدِّسَاءُ بِالْحِمْرِ إِلَى



101. The women's enclosure in the Mecca Mosque.

من الجاوه الذين يفرون الى هذه البلاد من المظالم التي تتساقط على رؤوسهم من حكومة بلادهم ، ويشغلون وقت الدرس بالدراسة وفي وقت الفضاء يعملون عملا يرتزقون منه .

(٥) أعمدة المطاف — في سنة ٢٣٢ هـ . أمر الواثق بالله بعمد عشرة جعلت على المطاف ، وكانت من الخشب طويلة وأمر بثمان ثريات وضعت عليها ليستصبح بها الطائفون ، وكانت مقسمة على جهات الكعبة الأربع في كل جهة ثنتان ، ثم زيد في الأعمدة فبلغت اثنين وثلاثين من الخشب ، ثم أبدلت بأعمدة من الحجر والآجر فكان منها ثمانية عشر من الآجر المخصص وأربعة عشر من الحجارة المنحوتة ، ووصل بينها بعوارض من الخشب تعلق فيها القناديل ، ثم حصل فيها تغيير حتى كانت أخيرا من النحاس وصل بينها بعوارض الحديد ، علق في كل عارضة ٧ قناديل ، والعمود يمثل مدفعين جبليين فم أحدهما على فم الآخر ، وعدد هذه الأعمدة ثمان وثلاثون انظر (أعمدة المطاف في الرسم ١٠٠) .

مصلى النساء بالمسجد الحرام — كان النساء يصلين في المسجد مع الرجال يقف الرجال في المقدمة والنساء بعد الصبيان في المؤخرة كما هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن هناك فاصل بين النوعين وفي الطواف يختلطن بالرجال ولما بلغ خالد بن عبد الله قول الشاعر :

يا حبذا الموسم من موفد * وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا الاقنى يزاحمتنا * عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد : اما إنهن لا يزاحمنك بعد هذا ، وأجلس عند كل ركن حرسا بأيديهم السياط يمنعون النساء أن تختلط بالرجال ، ومثل هذا ما حكاه الزنجشري في خالد قال : لما بلغ خالد ما قاله رجل من موالي الأنصار :

ليتني في المؤذنين نهاري * إنهم يبصرون ما في السطوح
فيشيرون أو يشير إليهم * بالهوى كل ذات دل مليح

فأمر بهدم المنائر، فقال فيه الفرزدق :

ألا قبح الرحمن ظهر مطية * أتت تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من أمه * تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصايب لأمه * ويهدم من كفر منار المساجد

أما أول من وضع حاجزا بين مصلى الرجال والنساء فعلى بن الحسين الهاشمي أمر بحبال ربطت في الأساطين التي يجلس عندها النساء ففصلت بينهما وبين الرجال ، وفي سنة ١٣٣٠ هـ . رأيت داخل المسجد الحرام حظيرة للنساء يفصلها عن باقي المسجد خشب « شيش » على ارتفاع مترين وترى في الرسم (١٠١) النساء داخل هذه الحظيرة قائمات وجالسات وراكعات وساجدات ، وقد رفع الفاصل عون الرفيق باشا أمير مكة فلم أجده في حجتي سنة ١٣٢٥ هـ .

الكعبة المشرفة

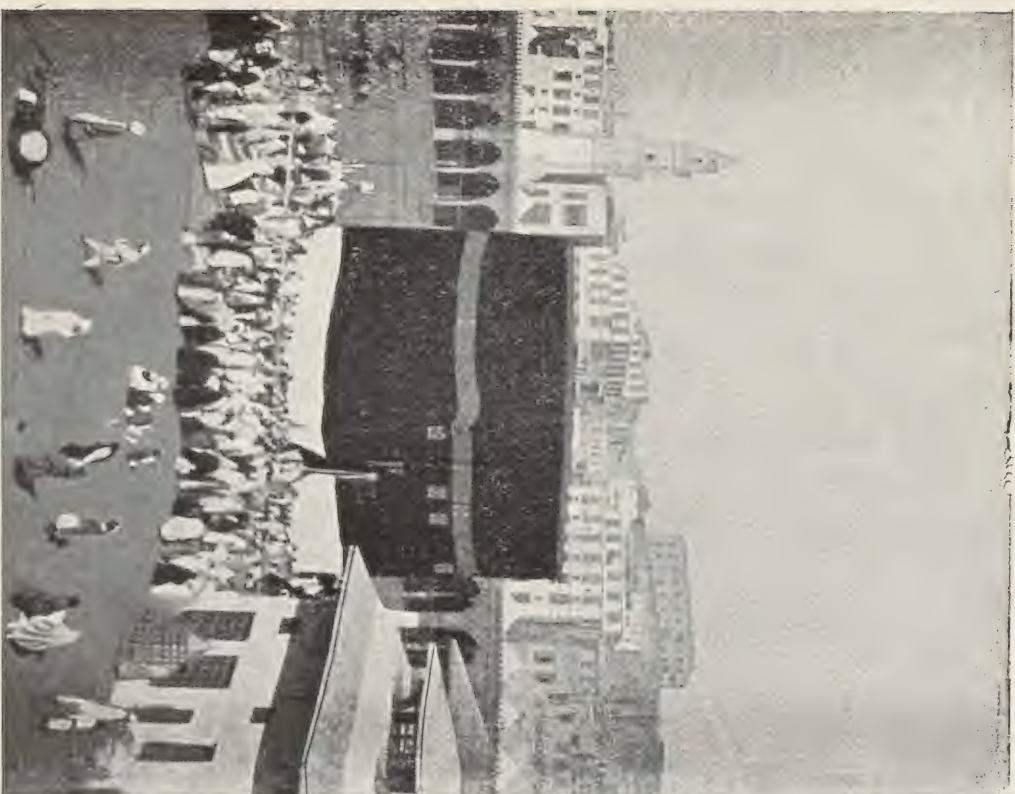
أسماء الكعبة - وصفها ومقاسها - بناء الكعبة وعمارتها - تحليتها - معاليقها وما أهدى إليها - كسوتها - كشف باجزاء الكسوة - نفقات الكسوة - سدانة الكعبة ومفتاحها - تطيب الكعبة - صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيها - الحجر الأسود - الحطيم والحجر - الحج في الجاهلية وما يتبعه - إنساء الشهور .

أسماء الكعبة - لها أسماء كثيرة منها الكعبة سميت بذلك لتكعبها أى تدويرها ، وقال القاضى عياض : سميت بذلك لتكعبها أى تربيعها وكل بناء مرتفع مربع كعبة ، ومنها البيت العتيق : لأن الله أعتقه من الجبارة فلم ينله جبار قط ، ومنها المسجد الحرام لقوله تعالى ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ والمراد به الكعبة بلا خلاف وورد إطلاق المسجد الحرام على غير الكعبة ، ومنها البنية وقد كثر قسم العرب برب هذه البنية ، ومن أسمائها نادر والقرية القديمة وقادس والدُّوَار .



الكلية المشرفة من جهة الجنوب والشرق وبها

صحيحة ٢٦٣

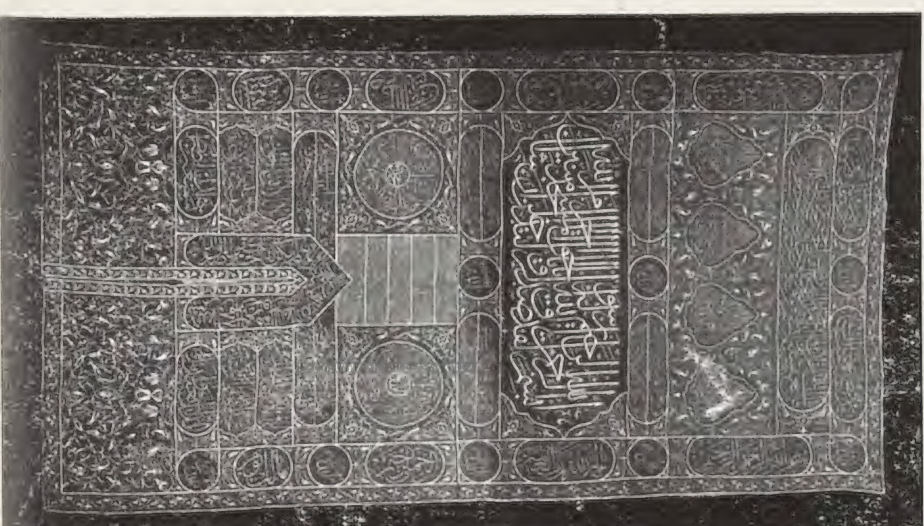


الكلية المشرفة من جهة الجنوب والشرق وبها

102. The Southern & Eastern sides of the Kaaba with door

منظر من باب مكة المكرمة

صحيحة ٢٦٣



103. A view of the Curtain of the door of El Kaaba

وصف الكعبة الآن ومقاسها — في وسط المسجد الحرام بناء نخم يمثل حُجرة كبيرة مرتفعة البناء مربعة الشكل تقريبا ، هي المعروفة بالكعبة أو بالبيت الحرام انظر شكل الكعبة في (الرسم ١٠٢) والواجهتان الظاهرتان الواجهة الشرقية والواجهة الجنوبية وترى به الكسوة وحزامها المقصب وإزارها الأبيض وستارة الباب مطوية والحجاج متراحون لتقيل الحجر الأسود (الرسم ٥٩) والذي على يمين الكعبة سقاية الحاج وزمزم ، وفي جدار الكعبة الشرق ميل الى الشمال بنحو ٢٠ درجة ، وكذلك يميل جدارها الشمالى الى الشرق ٢٠ درجة أيضا ، وارتفاعها ١٥ مترا ، وطول ضلعها الشمالية ٩,٩٢ أمتار ، والغربية ١٢,١٥ مترا ، والجنوبية ١٠,٢٥ أمتار ، والشرقية ١١,٨٨ مترا ، وفي الضلع الشرق بابها ويرتفع عن الأرض بنحو مترين ، وارتفاعه هو متران وعتبه مصفحة بصفائح الفضة ، وكذلك مصراعا الباب إلا أن صفائح الفضية مطلية بالذهب ، وكذلك قفل الباب وذلك من مدة خلافة السلطان سليمان القانونى سنة ٩٥٩ هـ . وعلى الباب ستارة مزركشة آية في الجمال وهي من ضمن الكسوة التى تأتى الى الكعبة من مصر انظر (الرسم ١٠٣) ويصعد الى الباب على مدرج من خشب مصفح بالفضة ، ويلصق جدر الكعبة من أسفلها بناء من الرخام يسمى بالشاذروان أقيم تقوية للجدران ، وهو يحيط بها من جهاتها الأربع ، وارتفاعه في الجهة الشمالية ٥٠ سنتيا في عرض ٣٩ ، ومن الجهة الغربية ارتفاعه ٣٧ في عرض ٨٠ ، ومن الجهة الجنوبية ارتفاعه ٢٤ في عرض ٨٧ ، ومن الجهة الشرقية ارتفاعه ٢٢ في عرض ٦٦ ، كما حققته بالمقاس في حجاتي الأربع قال أبو حامد الاسفرايينى وابن الصلاح والنووى وغيرهم : أصل الشاذروان ما تقصته قريش من عرض جدر أساس الكعبة حين ظهر على الأرض كما هو عادة الناس في الأبنية ، وهو عند الشافعية والمالكية من البيت فالمطاف بعده ، وليس من البيت عند الحنفية ومذهب الحنبلية أن الاحتراز عنه مطلوب إلا أن ترك الاحتراز لا يفسد الطواف ، ولا يعلم متى بدئ البناء على أصل الشاذروان ، وقد جدد البناء عليه مرات فبنى في سنة ٥٤٢ هـ .

وفي سنة ٦٣٦ و ٦٦٠ و ٦٧٠ و ١٠١٠ هـ . وبين ذلك وقبله وبعده .

وفي الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج الحجر الأسود (الرسم ١١٨) الذي هو مبدأ الطواف ، ويرتفع عن الأرض مترا ونصفا والحجر أسود اللون ذو تجويف أشبه بطاس الشرب وقد حدث فيه الآن تشقق وعمل له في سنة ١٣٩٠ هـ . غطاء من الفضة ، في وسطه فتحة مستديرة قطرها ٢٧ سنتيمترا أعنى شبرا وثلاثا ، يرى منها الحجر ويستلم .

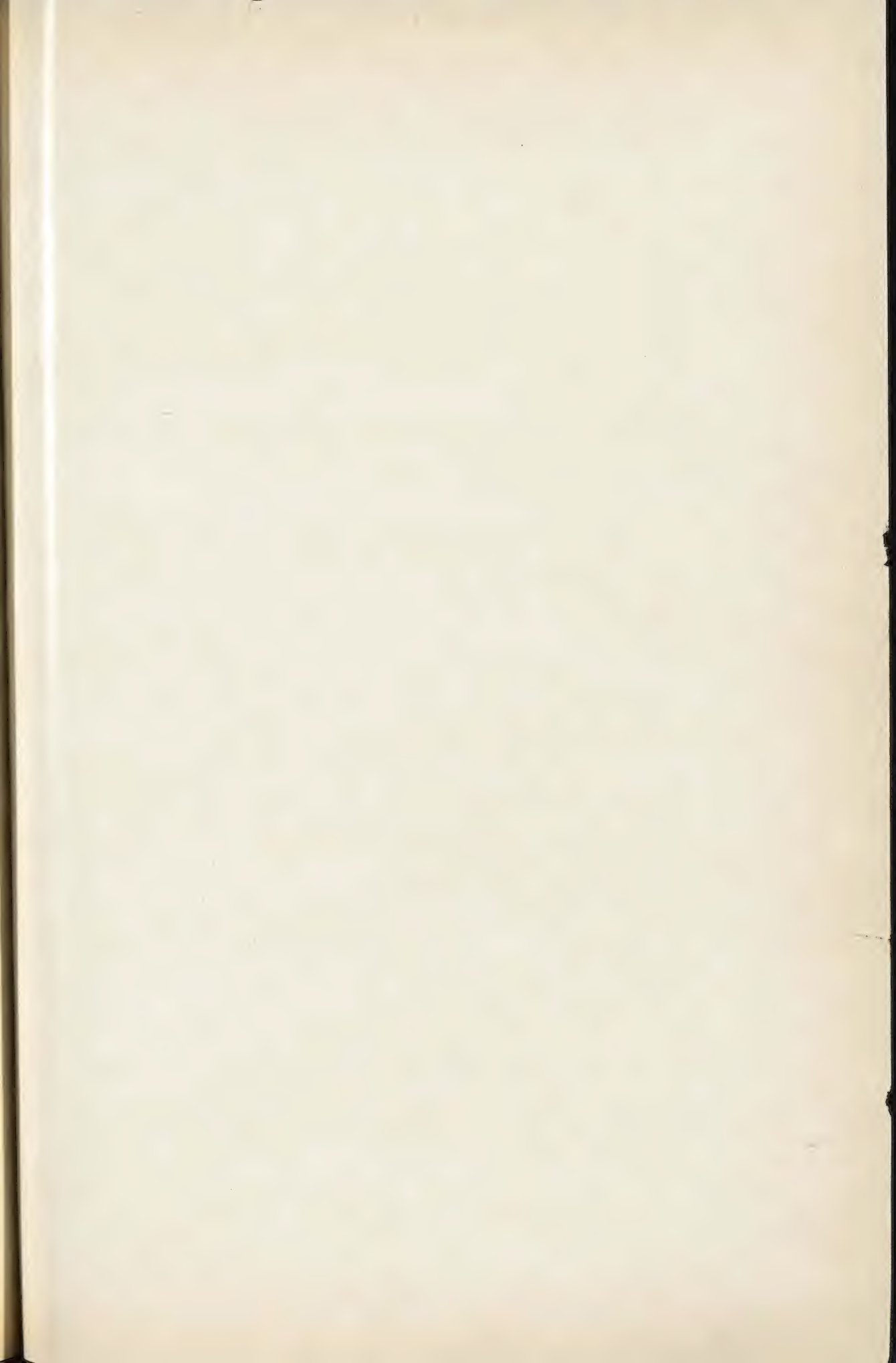
ويواجه ركن الحجر من البلاد الجزء الجنوبي من بلاد الحجاز الى عدن وهرر ومدغشقر وأستراليا وجنوب الهند والصين .

وركن الكعبة الشمالي الشرقي يسمى بالركن الشامي والعراقي ويواجهه من البلاد الجزء الأكبر من بلاد الحجاز والعجم وتركستان والعراق وشمال الهند والسند والصين وسيريا .

وركن الكعبة الشمالي الغربي ويسمى بالركن الغربي يسامته من الجهات غرب روسيا وجميع أوروبا والأستانة وبلاد المغرب ومصر الى الشلال .

وركن الكعبة الغربي الجنوبي ويسمى بالركن اليماني يسامته من البلاد الجزء الجنوبي من أفريقيا من سواكن على البحر الأحمر والرأس الأخضر على المحيط الأطلسي الى رأس الرجاء الصالح ، فكل جهة تستقبل ركنها : (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) .

والكعبة مبنية من الحجارة الصماء ذات الحجم الكبير واللون الأزرق ، وبداخل البيت ثلاثة أعمدة من خشب العود الماوردي الجيد ، قطر الواحد منها ربع المتر وهي على صف واحد من الشمال الى الجنوب وعلى يمين الداخل للكعبة في زاوية الركن الشمالي الشرقي باب يصعد منه على مدرج الى أعلى الكعبة يقال له : باب التوبة مسدولة عليه ستارة من الحرير المزركش . أنظر (الرسم ١٠٤) وسقف الكعبة منقوش بالنقوش العربية البديعة ومعلق به هدايا ثمينة أهداها اليها الملوك



في الأعصر المختلفة . وفي سنة ١٢٩٥ هـ . فرش السطح بألواح المرمر وبدأه من الجهات الأربع حلقات تربط بها الكسوة الخارجية حتى تكون مسدولة على الجدر ، كما أنه يوجد في الشاذروان حلقات تربط بها من الأسفل وهي مصنوعة من النحاس الأصفر ، وقد عددت ما بالشاذروان من هذه الحلقات فاذا بها ١٤ في الجهة الغربية و ١٢ في الجنوبية و ١٤ في البحرية و ٨ في الشرقية وفي الغالب مثل ذلك في الأعلى . وكسوة الكعبة من حرير أسود من نسيج مصر مكتوب فيها « الله جل جلاله لا إله إلا الله محمد رسول الله » في كل جزء من أجزائها أنظر (الرسم ١١٢) . وهي تتغير كل سنة وتأتي من مصر وتوضع على الكعبة مع ستر مقام ابراهيم في يوم ١٠ ذى الحجة والناس بنى ، وفي ٢٧ دى القعدة من كل سنة يوضع على هذه الكسوة إزار من القماش الأبيض بعرض مترين يدور بها من أسفلها أنظر (الرسم ١٠٢) . وذلك علامة على إحرامها كما يزعمون والحقيقة أن الشيبى أمين مفتاح الكعبة يقطع من كسوة الكعبة نحو المترين من أسفلها ويضع بدل ذلك الإزار ويبيع الجزء المقطوع للحجاج الذين يفدون الى مكة قبل يوم عرفة وبعده ، ويزعم بعض الناس أن ذلك الإزار الأبيض يوضع وقاية للكسوة من أيدى من يريد العبث بها أو اقتطاع جزء منها ليتبرك به ، والجدران من الداخل مكسوة بالأطلس الأحمر على شكل مثلثات كتب عليها — الله جل جلاله — وبعض آيات قرآنية هدية من السلطان العثمانى ، وبالجدران تحت الستار توارىخ وكتابات فيها أسماء من عمر أو جدد شيئاً في الكعبة أو المسجد ، من ذلك في الجهة الشمالية الأبيات الآتية :

قد بدا التعمير في بيت الاله * قبله الاسلام والبيت الحرام
أم خاقان الورى مصطفى خان * دام بالنصر العزيز المستدام
بادرت صدقا الى التعمير ذا * إنما كان بالهام السلام
وارتجت من فضله سبحانه * أن يجازيها به يوم القيام
قال تاريخنا له قاضى البلد * فعمرته أم سلطان الأنام

أحمد بك شيخ الحرم المكي سنة ١١٠٩ هـ

ومما كتب في الجهة الغربية : بسم الله الرحمن الرحيم (أمر بعمارة البيت المعظم
الامام الأعظم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله (هكذا) أمير المؤمنين بلغه الله أقصى
آماله وتقبل منه صالح أعماله في شهور سنة ٦٢٦ هـ . وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وسلم) وفيها تاريخ للأشرف قايتباي كتب سنة ٨٨٤ هـ . وفيها أيضا كتب (أمر
بتجديد هذا البيت المعظم العبد المفتقر الى رحمة ربه يوسف بن عمر بن علي بن
رسول . اللهم أيده بعزیز نصرک واغفر له ذنوبه برحمتک يا کریم يا غفار سنة ٨٦٨ هـ
وفي جدران الكعبة من الداخل أيضا الكتابات الآتية : بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ أمر بتجديد هذا البيت المعظم العتيق
الى الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين المحترمين السلطان بن السلطان مراد خان بن
السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان خلد الله تعالى ملكه وأيد سلطنته في آخر
شهر رمضان المبارك المعظم سنة ١٠٤٠ هـ . من الهجرة النبوية (على صاحبها
أفضل التحية) بسم الله الرحمن الرحيم (أمر بتجديد سقف البيت الشريف وجميع
داخل الحرم وخارجه مولانا السلطان ابن السلطان محمد خان سنة ١٠٧٠ هـ) .
« وتاريخ للسلطان الأشرفي أبي النصر برسباي خادم الحرمين الشريفين بلغه الله آماله
سنة ٨٢٦ هـ » .

وفي شمالي الكعبة الخطيم — وهو ما حطم من الكعبة وكسر — وهو بناء
مستدير على شكل نصف دائرة ارتفاعه ١,٣١ متر، وعرض جداره من الأعلى
١,٥٢ متر، ومن أسفل ١,٤٤ متر، وهذا البناء مغلف بالرخام وأحد طرفيه محاذ
للركن الشامي والآخر محاذ للركن الغربي وسعة الفتحة التي بين طرفه الشرق وآخر
الشاذروان ٢,٣٠ متر، وسعة الفتحة الأخرى التي بين طرفه الغربي ونهاية الشاذروان
٢,٢٣ متران، والمسافة التي بين طرفي نصف الدائرة ثمانية أمتار، ووراء الخطيم
بمسافة اثني عشر مترا المطاف . والأرض التي بين جدار الكعبة الشمالي وبين الخطيم
هي المعروفة بالجحر، ويدخل إليها من الفتحيتين السالفتين وهي مفروشة بالرخام والمسافة
من منتصف جدار الكعبة الشمالي ووسط تجويف الخطيم من الداخل ٨,٤٤ أمتار .

وفي أعلى الجدار الشمالى فى منتصفه الميزاب الذى وضع لتصريف ماء المطر الذى ينزل على سطح الكعبة، وهو من الذهب أرسله السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٠ هـ . انظر (فى الرسم ١٠٥) ما كتب فيه .

وما بين الحجر الأسود وباب الكعبة يسمى بالملتزم ، لكون الحاج يلتزم هذا المكان للدعاء فيه وكان صلى الله عليه وسلم يدعو فيه .

وعلى مقربة من الشاذروان بين باب الكعبة والركن العراقى حفرة تسمى المعجنة يقال إن ابراهيم عليه السلام كان يعجن فيها ملاط البناء ، وعمقها ٣٠ سنتيا ، وعرضها متر ونصف تقريبا فى طول مترين ويقال : إن جبريل عليه السلام صلى بالنبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فى هذا المكان حين فرضها الله على أمته ، وبهذا المكان نقش على حجر : لأبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله تعالى آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك فى شهور اثنتين وثلاثين وستمئة ٦٣٢ هـ . وصلى الله على سيدنا محمد .

وقد صليت بالمعجنة ركعتين جلست بعدهما فرأيت بالشاذروان تجاه المعجنة لوح رخام نقش فيه هذه الكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ أمر بعمارة سقف البيت الشريف وتجديد ميزاب الرحمة وتقوية جدار بيت الله الحرام تجديدا بحرمه ، وطرقه من ذهب وفضة وجليبار بنجر القرآن العظيم أسس بنيانه على تقوى من الله العبد المفتقر الى رحمة ربه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والعراق خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان خلد الله ملكه الى آخر الزمان رسم فى محرم سنة ١٠٣١ هـ .

وأمام الجدار الشرقى مقام ابراهيم عليه السلام ، وشمالى المقام بقليل المنبر الرخام وجنوبه بقليل برز زمزم وفى شرق المقام يصلى إمام الشافعية الصلوات الخمس وقد قدمنا لك ذلك بالتفصيل .

أما المطاف فإنه يحيط بالكعبة كما قدمنا وقد قست المسافة بينه وبين جدر الكعبة الأربعة فإذا هي ١٣,٢٥ مترا من الجهة الشرقية و ٢٠,٤٤ مترا من الجهة الشمالية و ١٦,١٥ مترا من الجهة الغربية و ١٤,٧٥ مترا من الجهة الجنوبية .

بناء الكعبة وعمارتها — قال تعالى ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ . قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسير قوله ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ . اختلف أهل التأويل في تفسير ذلك فقال بعضهم . تأويله : إن أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركا وهدى للعالمين للذي ببكة ، قالوا وليس هو أول بيت وضع في الأرض لأنه قد كان قبله بيوت كثيرة ، وقال آخرون : بل هو أول بيت وضع للناس ، ثم قال : والصواب من القول في ذلك ما قال جل ثناؤه فيه ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى ﴾ . ومعنى ذلك إن أول بيت وضع للناس أي لعبادة الله فيه مباركا وهدى يعني بذلك وما بالانسك الناسكين وطواف الطائفين تعظيما لله وإجلالا له للذي ببكة لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما حدثنا به محمد بن المنثني قال : حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قال ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى » قال كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله في الأرض على ما قلنا .

قال التقي الفاسي في كتابه شفاء الغرام ما ملخصه : لا شك أن الكعبة المعظمة بنيت عدة مرات ، واختلف في عدد البنات ويتحصل من مجموع ما قيل في ذلك أنها بنيت عشر مرات بناء الملائكة وبناء آدم وبناء أولاده وبناء الخليل وبناء العاقلة وبناء جهم وبناء قصي بن كلاب وبناء قريش وبناء عبد الله بن الزبير وبناء

الحجاج ابن يوسف الثقفى ، وإطلاق العبارة بأنه بنى تجوز لأنه لم يبن إلا جزءا منها على ما يأتى بيانه ، ثم بين أن بنايات الملائكة وآدم وأولاده لم يأت بها خبر ثابت ، وأما بناء الخليل فجاء به القرآن والسنة قال تعالى : ﴿ واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ الآيات . وروى الفاكهى عن على رضى الله عنه : أن ابراهيم أول من بنى البيت وجزم به الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره وقال : لم يحىء خبر عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل . وذكر الأزرقي عن ابن اسحاق ذرع بناءة ابراهيم قال : كان طول البيت فى السماء تسعة أذرع وجداره الشرقى ٣٢ ذراعا وجداره الشمالى ٢٢ ذراعا وجداره الغربى ٣١ ذراعا والجنوبى ٢٠ ذراعا ، وكان بابها بالأرض ، وكان إبراهيم يبنى وإسماعيل ينقل له الحجارة على كتفه . أما بناء العماقة وجرهم فرواه الأزرقي عن على بن أبى طالب . وذكر المسعودى : أن الذى بناها من جرهم الحارث بن مضاض الأصغر ، وبناها بعد العماقة قصى بن كلاب وقد سقفها بخشب الدوم الجيد ويجريد النخل . قال الحلبي : والحق أن الكعبة لم تبين جميعا إلا ثلاث مرات : الأولى بناء ابراهيم عليه السلام ، والثانية بناء قریش وكان بينهما ١٦٧٥ سنة والثالثة بناء عبد الله بن الزبير وكان بينهما ٨٢ سنة ، وأما بناء الملائكة وآدم وشيث فلم يصح ، وأما بناء جرهم والعماقة وقصى فانما كان ترميما . اه .

وأما بناء قریش للكعبة فهو ثابت بالسنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم وحضره صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين سنة كما جزم به ابن اسحاق وغير واحد من العلماء ، وقيل : ابن خمس وعشرين سنة كما جزم به موسى بن عقبة فى مغازيه وابن جماعة فى منسكه ، وكان من خبر هذا البناء أن الكعبة احترقت ستورها وأكثر أخشابها فأوهن ذلك من بنياتها ، وتلا ذلك سيل أوهى البناء وصدع الجدران فأجمعت قریش أمرها على تجديددها ورفع بابها حتى لا يدخلها إلا قرشى ، فقدر الله أن رمى البحر بسفينة الى ساحل جدة كانت لتجر رومى يدعى « باقوم » ، فخرج الوليد ابن المغيرة يبتاع الخشب فاذا باقوم وسفينته فأخبره بما اعتموه ، فأنبأه

باقوم بأنه بناء نجار فاستصحبه الوليد معه ليقوم بالبناء، ولما أرادوا الهدم تقدم عائذ ابن عمران فاقتلع حجرا ففتر من يده الى مكانه فقال يا معشر قریش : لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا ، لا يدخل فيه مهر بنی ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم أن القوم هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها فأخذ المعول وقام عليها وهو يقول « اللهم لم ترع » ويقال : لم ترع اللهم لا نريد إلا الخير ثم هدم وتبعه الناس حتى انتهوا الى أساس ابراهيم فوجدوا حجارة خضراء كالأسنة ، وفي نسخة كالأسنة فأقاموا بناءهم الحديد عليها ، وكان صلى الله عليه وسلم ينقل معهم الحجارة روى ذلك البخارى في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وعباس ينقلان الحجارة ، فقال عباس للنبي صلى الله عليه وسلم : اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة نخر الى الأرض وطمحت عيناه الى السماء ثم أفق فقال : إزارى إزارى فشده عليه إزاره . اهـ .

قال ابن اسحاق : ثم أن القبائل من قریش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الأخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال ، فضربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاهدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا « لعقة الدم » فمكثت قریش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم أنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية ابن المغيرة بن عبد الله وكان عامئذ أسن قریش كلها فقال يا معشر قریش : اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه هو أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا ، فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم : هلم الى ثوبا فأتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه وفي ذلك يقول هبيرة بن وهب :

تساجرت الأحياء في عضل^(١) حطه * جرت طيرهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا بها البغضاء بعد موته * وأوقد نارا بينهم شر موقد
فلما رأينا الأمر قد جدّ جدّه * ولم يبق شيء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع * يحىء من البطحاء من غير موعد
فقد جاءنا هذا الأمين محمد * فقلنا رضينا بالأمين محمد
بخير قریش كلها أمس شية * وفي اليوم مهما يحدث الله في غد
بخاء بأمر لم ير الناس مثله * أعم وأرضى في العواقب واليد
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا * له حقه من رفعه قبضة اليد
وقال ارفعوا حتى اذا ما علت به * أكفهم وافى به خير مسند
وكل رضينا فعله وصنيعه * فأعظم به من رأى هادو مهتد
وتلك يد منه علينا عظيمة * نروح بها مدى الزمان ونغتدى
وما زالوا يبنون حتى أتموا بناءها وكان ارتفاعه من الخارج ثمانية عشر ذراعا
بزيادة تسعة أذرع على ارتفاعها في بناء الخليل ، واقتصوا من عرضها أذرا جعلوها
في الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارتها عن ادخال ذلك ، ورفعوا بابها
ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، وكبسوها بالحجارة وجعلوا في داخلها ٦ دعائم
في صفين في كل صف ثلاث من الشمال الى الجنوب ، وجعلوا في ركنها العراق
من الداخل سلما يصعد عليه الى سطحها الذي جعلوا فيه ميزابا يصب في الحجر .
وأما بناء ابن الزبير للكعبة فانه ثابت مشهور وسبب ذلك وهن في الكعبة
من حجارة المنجنيق التي أصابتها حين حوصر ابن الزبير بمكة في أوائل سنة ٦٤ هـ .
لمعاندته يزيد بن معاوية ومن الحريق الذي أصابها من نار أوقدها نفر من أصحاب
ابن الزبير في خيمة له ، فطارت الرياح بلهب تلك النار الى الكعبة فأحرقت كسوتها
وما فيها من خشب الساج ، فوهت جدرها وانقض بنيانها من عل وكانت حجارتها
تنتثر اذا ما وقع عليها الحمام ، فلما فك الحصار عن ابن الزبير وارتحل عن مكة

(١) عضل به الأمر : اشتد .

الحصين بن نمير بعد أن نعى له يزيد بن معاوية — رأى ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنها ، فوافقته على ذلك نفر قليل وكره ذلك كثيرون منهم ابن عباس رضى الله عنهما ، ولما أجمع على هدمها خرج كثير من أهل مكة الى منى خشية أن يصيبهم عذاب ، وأمر ابن الزبير رضى الله عنهما جماعة من الحبشة فهدموها وأختار هؤلاء رجاء أن يكون فيهم الحبشى الذى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يهدمها — روى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » وفي رواية البخارى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « كأنى به أسودا أخرج يقلعها حجرا حجرا » فهدمت الكعبة كلها حتى بلغت الأرض وكان يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة ٦٤ هـ . وبنائها على قواعد ابراهيم وأدخل فيها ما أخرجته قریش منها فى الحجر أعتمادا على الحديث الذى أخبرته به خالته عائشة وسياقى ، وزاد فى طولها على بناء قریش نظير ما زادته قریش فى طولها على بناء الخليل وذلك تسعة أذرع ، فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا وهى سبعة وعشرون مدمكا ، وجعل لها باين لاصقين بالأرض أحدهما بابها الموجود اليوم ، والآخر مقابل له مسدود ، وجعل فيها ثلاث دعائم فى صف واحد وجعل لها مدرجا فى زاويتها العراقية من الداخل يصعد عليه الى ظهرها ، وجعل لها ميزابا على سطحها يصب فى الحجر ، وجعل فيها روازن توضع فيها المصابيح ، ولما فرغ من بنائها خلقها بالطيب ظاهرا وباطنا وكان يحجرها كل يوم برطل من العود وفى يوم الجمعة برطلين ، وقد بقيت حجارة فرشها فى المطاف .

وأما بناء الحجاج للكعبة فثبت مشهور ، وذلك أن الحجاج بعد محاصرته ابن الزبير وقتله له كتب الى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر واستأذنه فى رد ذلك الى ما كان عليه فى الجاهلية ، فكتب اليه عبد الملك أن يسد بابها الغربى ويهدم ما زاده ابن الزبير من الحجر ويكبسها به ^(٢)

(١) الفحج فى المشى تباعد العقبين وتدانى صدور القدمين .

(٢) فى القاموس كبس البئر والنهر يكبسهما طمهما بالتراب ، ولعل المعنى هنا يبنها به أو يملأها .

على ما كانت عليه ، ففعل ذلك الحجاج وبناءؤه في الكعبة الجدر الشمالى والباب الغربى المسدود وما تحت عتبة الباب الشرقى وهو أربعة أذرع وشبر على ما ذكر الأزرقى ، وترك بقية الكعبة على بناء ابن الزبير ، وكان ذلك سنة ٧٤ هـ . ثم ان عبد الملك ابن مروان ندم على ما وقع منه في أمر الكعبة ، وقال : وددت والله أنى كنت تركت ابن الزبير وما تحمل حين أخبره الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى أنه سمع من عائشة رضى الله عنها حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمده ابن الزبير فيما فعله بالكعبة ، وحديث عائشة رواه أبو داود الطيالسى ، قال : حدثنا سليم بن حبان قال حدثنا سعيد بن المشنى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، قال : أخبرتنى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة وألزقتها بالأرض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ولزدت ستة أذرع من الحجر فى البيت فان قرينشا استقصرت ذلك لما بنت البيت .

ولم يحصل فى الكعبة تغيير بعد بناء ابن الزبير والحجاج الى سنة ١٠٣٩ هـ . اللهم إلا فى ميزانها وبابها وبعض أساطينها وما دعت الضرورة الى عمارته فى جدرها وسقفها وجدرها الذى يصعد منه الى سطحها وعتبتها ورخامها . وكان سليمان بن عبد الملك يجب أن يرد الكعبة الى بناء ابن الزبير حين أخبره بذلك خليفته الامام العادل عمر ابن عبد العزيز بن مروان لما سأله عن ذلك ، ولكن منعه من ذلك حبه أن لا يغير عملا عمل بمشورة أبيه ، ويروى أن الخليفة هارون الرشيد — وقيل : أبوه المهدي ، وقيل : جده المنصور — أراد أن يغير ما صنعه الحجاج ويرد الكعبة الى بناء ابن الزبير فنهاه عن ذلك الامام مالك بن أنس وقال له : نشدتك الله أن لا تجعل بيت الله ملعبا للولوك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيئته من قلوب الناس .

وكان ما لكا رحمه الله لاحظ فى ذلك قاعدته المشهورة : درء المفسد أولى من جلب المصالح .

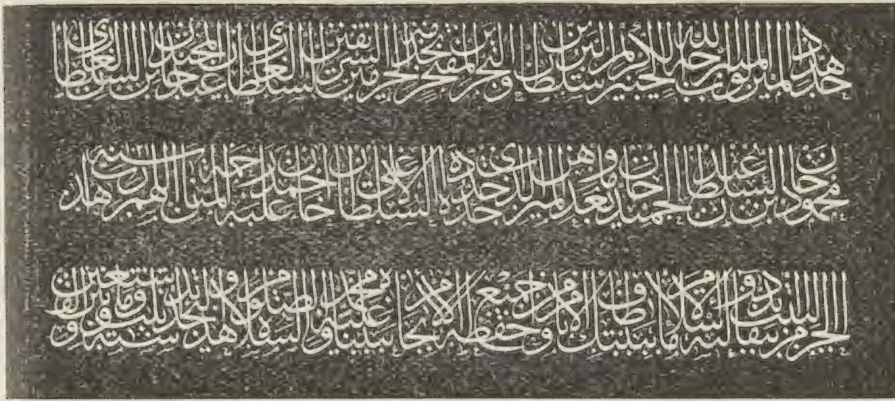
ومما جدّ في الكعبة بعد بناء ابن الزبير والحجاج أن الوليد بن عبد الملك أرسل من الشام الرخام الأحمر والأخضر والأبيض ففرشت به وأزّرت جدرها من الداخل . وقد انفتح الجدار الشمالى الذى أقامه الحجاج من بقية البناء وكان الفتح مقدار نصف أصبع فرم ذلك بالحص الأبيض ، وبعد سنة ٢٠٠ هـ . رفعت الفسيفساء التى كان معمولاً بها سطح الكعبة لأنها ما كانت تمنع مياه المطر أن تتسرب الى الداخل ، ووضع مكانها المرمر المطبوع وشيد بالحص . وفى زمن المتوكل العباسى سنة ٢٤١ هـ . قلعت العتبة السفلى لباب الكعبة وكانت قطعتين من خشب الساج دثرتا من طول الزمان وأبدل بها قطعة من خشب الساج ألبست صفائح الفضة ، وكذلك جدّد المتوكل رخام الكعبة وأزرها بالفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب ، وفى سنة ٥٤٢ هـ . عمر سقفها والمدرج الذى فى بطنها ، وكذلك أصلح رخامها حوالى سنة ٥٥٠ هـ . وكانت هذه العارة من قبل جمال الدين المعروف بالحواد وزير صاحب الموصل ، وفى سنة ٥٥٩ هـ . تضعضع الركن اليمانى من زلزلة حدثت . وأصلح وعمرها المستنصر العباسى سنة ٦٢٩ هـ . وجدّد رخامها الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة ٦٨٠ هـ . وفى رمضان سنة ٨١٤ هـ . أصلح بعض سقفها وروازنها وعتبتها ، وكان ذلك عقب مطر عظيم كان من أجله يتدفق من باب الكعبة الى المطاف كأفواه القرب ، وقد عملت إصلاحات جزئية فى الروازن والسقف والرخام والأخشاب التى يركب فيها حلق الحديد الذى تربط به الكسوة فى سنتى ٨٢٥ و ٨٢٦ هـ . وكان ذلك بأمر الملك الأشرف برسباى صاحب الديار المصرية والشامية والحرمين ، ورمت الكعبة فى سنة ٩٥٩ هـ . زمن السلطان سليمان ، وفى زمن السلطان أحمد (١٠١٢ - ١٠٢٢) حدث بعض التصدّع فى جدارى الكعبة الشرق والغرب وكذلك فى جُدر الحجر ، فأراد هدم البيت فمنعه من ذلك علماء الروم وأشاروا عليه بعمل نطاق يلم التشعب ، فعمل نطاقين من نحاس أصفر غلف بالذهب وكتب فى بعضه بالرسم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وفى بعض آخر « لا إله إلا الله محمد حبيب الله » الى غير ذلك من الكلمات الجميلة والآيات الشريفة مثل قوله : (حسبنا الله ونعم

الويل) وقد ركب النطاق السفلى على الكعبة في ليلة السبت ١٢ محرم سنة ١٠٢٢ هـ . ووضعت له أعمدة ثبت أسفلها بالرصاص في الشاذوران ، وفي ليلة الأحد شرعوا في وضع النطاق العلوى حتى أتموه ، وفي سنة ١٠٣٩ هـ . نزلت أمطار كثيرة عمت مكة وحاراتها وعلت المياه عن قفل باب الكعبة بذراعين حتى اذا ما مضى يومان انهدمت دفعة واحدة ما عدا الجهة ايمانية ، فجددها السلطان مراد خان الرابع ، وقد أرسل مندوبين من الأستانة ومهندسين من مصر أقاموا بناءها وراعوا تجديدها سنة ١٠٤٠ هـ . وقد بذل في سبيل ذلك المال الكثير . وفي سنة ١٢٩٥ هـ . فرش سطح الكعبة بالأواح المرمرة .

ومن الميازيب التي عملت للكعبة ميزاب عمله الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط المشهور بمكة وصل به خادمه بعد موته سنة ٥٣٧ هـ . وميزاب أنفذه الخليفة المقتضى العباسى سنة ٥٤١ هـ . جعل عوض الميزاب السابق . وميزاب عمله الناصر العباسى من خشب مبطن بالرصاص في الموضع الذى يجرى فيه الماء وظاهره مما يبدو للناس مطلى بفضة ، وقد حلّى هذا الميزاب في سنة ٧٨١ هـ . ثم عمل بعد ذلك ميزاب من النحاس ثم جعله السلطان سليمان القانونى من الفضة سنة ٩٥٩ هـ . وفي سنة ٩٦٢ هـ . ورد من مصر ميزاب من ذهب وضع موضع الميزاب الفضة ، وأخذ الأول الى الخزانة العالية لتترك به وصولحت بنو شيبة سدة الكعبة عما زاد الميزاب من الفضة بمائتى أشرفى ، وفي سنة ١٠٢١ هـ . غيره السلطان أحمد بآخر من الفضة منقوش بالذهب والمينا الازوردية ، وفي سنة ١٢٧٣ هـ . أرسل السلطان عبد المجيد ميزابا من الذهب هو الموجود الآن انظر فى (الرسم ١٠٥) ما عليه من الكتابة .

وأول من حلّى الميزاب بالذهب الوليد بن عبد الملك ، وفي سنة ٤٥٥ هـ . أخذ بنو الطيب الميزاب وحملوه الى اليمن فابتاعه صاحب اليمن الذى امتلك مكة أيضا في السنة المذكورة وردّ الميزاب الى مكانه .

مِثْلَابُ الرَّحْمَةِ



مِثْلَابُ الرَّحْمَةِ

(الرسم ١٠٥)

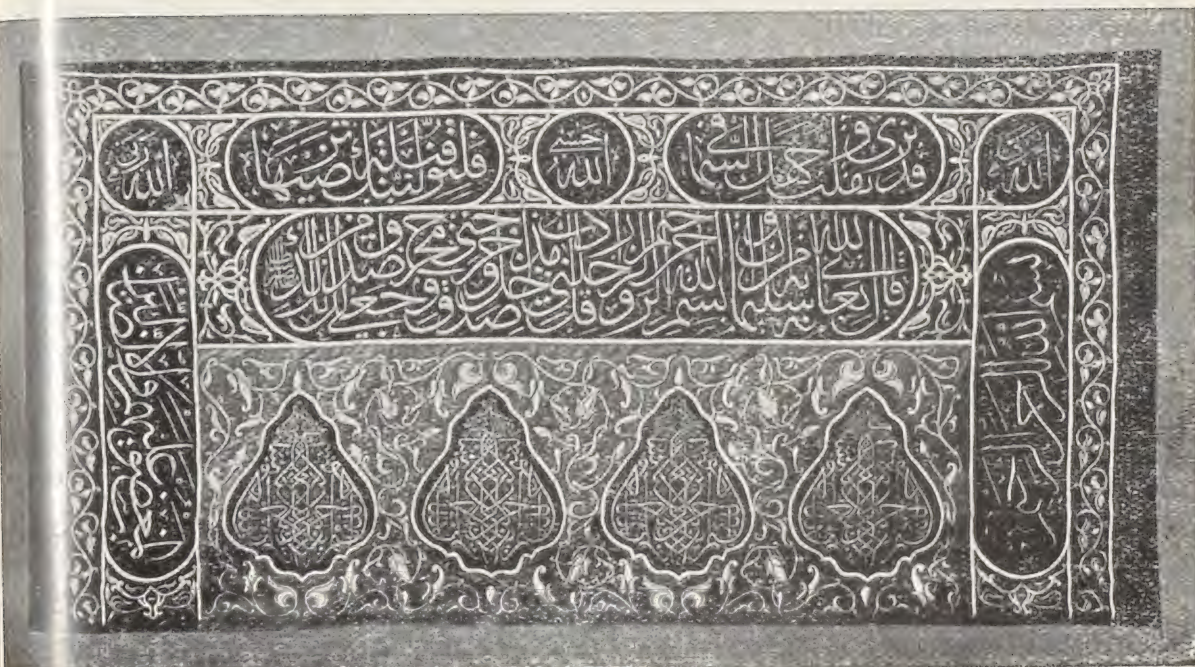
The gutter of El Rahma .

ومن الأبواب التي صنعت للكعبة باب عمله الجواد وزير صاحب الموصل سنة ٥٥٠ هـ . وركب سنة ٥٥١ هـ . وكان مكتوبا فيه اسم الخليفة المقتدى العباسي ، وبه حلية تستوقف الأبصار ، ومنها باب عمله الملك المظفر صاحب اليمن لما حج سنة ٦٥٩ هـ . وكان عليه صفائح فضة زتها ٦٠ رطلا صارت لبني شيبة ، ومنها باب من السنط الأحمر عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ركب على الكعبة بعد قلع باب المظفر وكان عليه من الفضة ٣٥٣٠٠ درهم ، وباب رابع عمله الملك الناصر حسن سنة ٧٦١ هـ . وهو من خشب الساج وزيدت حليته سنة ٧٧٦ هـ . فكان مقدارها لا يزيد على ٣٠٠٠٠ درهم ، وعلى هذا الباب اسم الملك الناصر محمد بن قلاوون واسم حفيده الأشرف شعبان واسم الملك المؤيد لأن بعض خواصه زاد في حليته سنة ٨١٦ هـ ٢٠٠ درهم وطلاه بالذهب .

وفي سنة ٧٨١ هـ . حلّى زين الدين العثماني باب الكعبة وميزاها بمعرفة مملوكه سودون باشا حينما أرسله لعمارة المسجد الحرام . وفي سنة ٩٦١ هـ . أمر السلطان سليمان بتصفيح الباب بالفضة . وفي سنة ٩٦٤ هـ . أمر بعمل باب الكعبة فأتى بالباب الأول وركبت عليه ألواح من الخشب الآس الأسود مصفحة بالفضة



لَقَسْمِ الْإِسْلَامِ وَنَسَبِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْكَعْبَةِ



106. A view of the upper part of the curtain of the door of El Kaaba.

لَقَسْمِ الْإِسْلَامِ وَنَسَبِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْكَعْبَةِ



وَنَسَبِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْكَعْبَةِ وَنَسَبِ الْأَنْبِيَاءِ بِالْكَعْبَةِ

107. A view of the middle part of the curtain of the door of El Kaaba.



الكعبة المشرفة من تحت الجيوب والشرق وبها

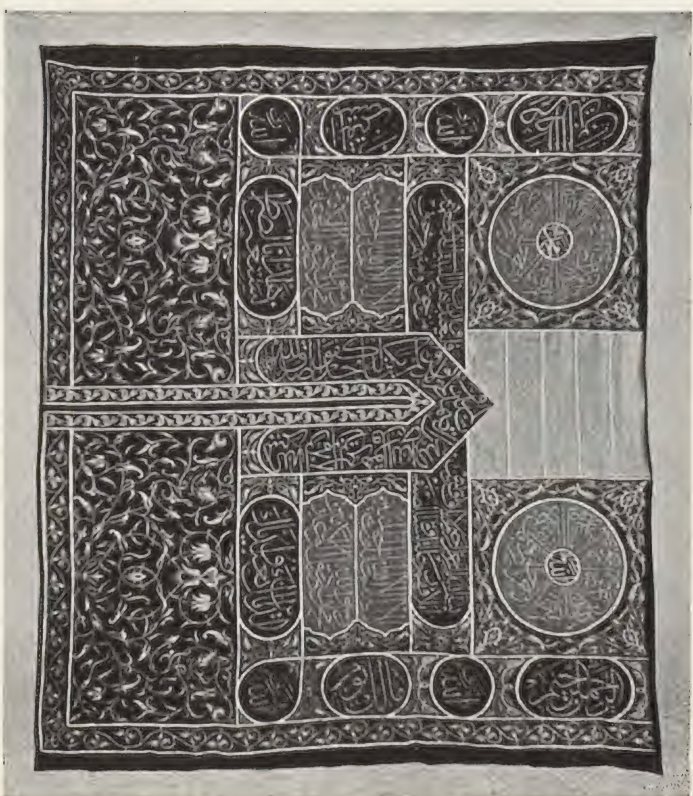
صحنه ٢٧٧



109. The Eastern and Southern side of the Kaaba with door

القبة المكة من تحت الجيوب والشرق وبها

صحنه ٢٧٨



القبة المكة من تحت الجيوب والشرق وبها

108. A view of the lower part of the curtain of the door of El Kaaba.

المطلية بالذهب ، وقد قدر الذهب بمبلغ ٢٧١٠ أشرفى ، والفضة بأربعة قناطير إلا قليلا ، وقد وضعت الفضة على أصل الباب القديم المصنوع من الساج وأعطى بنى شيبة ١٠٠٠ أشرفى عوض الفضة القديمة ، وقد كتب عليه البسملة وقوله تعالى ﴿ رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ وتاريخ تجديده ، وقد أترخ ذلك بعضهم « بقوله زين الباب » .

وفى سنة ١٠٤٥ هـ . غير الباب وجعل فيه من الحلية الفضية ما زنته ١٦٦ رطلا وطلى بالذهب البندقى بما قيمته ألف دينار وكان ذلك زمن السلطان مراد الرابع .

ولباب الكعبة ستارة مقصبة تسدل عليه كما ترى فى (الرسم ١٠٩) ، وترى نقش الستارة وما كتب عليها فى الرسوم ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨

تحلية الكعبة — أول من حلاها فى الجاهلية على ما قيل : عبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم بالغزاليين الذهب اللذين وجدتهما فى زمزم حين حفرها ، وأول من حلاها فى الاسلام الوليد بن عبد الملك ذهب البيت ، وقيل : أبوه عبد الملك قد سبقه فإنه غطى الأسطوانة الوسطى بصفائح الذهب بل قيل : إن ابن الزبير جعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من ذهب ، وكانت حلية الوليد بصفائح الذهب جعلها على الباب والميزاب وعلى أساطينها وأركانها من الداخل ، وقيمة ذلك الف دينار . وأرسل الأمين محمد بن هارون الرشيد الى عامله على مكة ١٨٠٠٠ دينار ليضربها صفائح توضع على بابى الكعبة — لعل الثانى باب التوبة داخلها — فصفحهما بها وأتخذ منها مسامير وحلقتين للباب . وبعث المتوكل العباسى إسحاق ابن سلمة الصائغ فلبس زاويتين من زوايا الكعبة الذهب على فضة كانت فيهما ، وقلع الذهب الذى فى الزاويتين الأخرين ولبسه على الفضة وجعله فى الزاويتين ، فكانت الزوايا كلها سواء ، وعمل منطقة من فضة ركبها فوق إزار الكعبة وكانت منقوشة عرضها ثلثا ذراع وجعل لها طوقا من ذهب منقوشا ومتصلا بهذه المنطقة ، وكان فى أعلى هذه المنطقة رخام منقوش فلبسه

الذهب الرقيق وغير كلاب الباب — شنأكله — التي يشد بها إذا فتح فجعلها من فضة بدل النحاس، وتقدم ما صنعه بعتبة الباب، قال إسحاق : كان مبلغ ما في الزوايا والطوق من الذهب ٨٠٠٠ مثقال، وما في المنطقة وعلى عتبة الباب وكرسی المقام من الفضة قريب من ٧٠٠٠٠ درهم، وما ركب من الذهب على جدر الكعبة وسقفها نحو من مائتي حق، في كل حق خمسة مثاقيل أى ١٠٠٠ مثقال ذهباً، وكان هذا كله سنة ٢٤١ هـ . وأمر المعتضد العباسي بعد أن كتب له الحجة بعمل ذهب على عضادتي باب الكعبة عوض ما أخذه بعض العمال على مكة وضربه دنائير آستعان بها على حرب العلوي الخارجى سنة ٢٥١ هـ . وكذلك أمر بصنع ذهب على أسفل الباب بدل ما أخذه بعض العمال لتسكين فتنه بين الخياطين والحزازين سنة ٢٦٨ هـ . وأمرت أم المقتدر العباسي غلامها لؤلؤا بإلباس الأسطوانة التي تلى باب الكعبة صفائح الذهب من أسفلها الى أعلاها وكان بعضها قبل ذلك ملبسا بصفائح الذهب وبعضها الآخر ممّوها وذلك في سنة ٣١٠ هـ . وأرسل الوزير الجواد ٥٠٠٠ دينار سنة ٥٤٩ هـ . عملت بها صفائح الذهب والفضة في داخل الكعبة وأركانها . وكذلك حلّى باب الكعبة الملك المظفر صاحب اليمن وحفيده الملك المجاهد والملك الناصر قلاوون صاحب مصر، وحفيده الملك الأشرف شعبان سنة ٧٧٦ هـ . وكثير غيرهم .

معاليق الكعبة وما أهدى إليها من الحلّى — أهدى ساسان بن بابك من ملوك الفرس للكعبة غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً وكثيراً من الذهب ودفن ذلك في زمزم، ويقال : إن كلاب بن مرة أول من جعل في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة لها . ولما فتح في عهد عمر بن الخطاب مدائن كسرى كان مما بعث إليه هلالان فعلقهما في الكعبة، وبعث عبد الملك بن مروان بالشمستين وقدحين من قواير . وبعث أبنيه الوليد بقدحين . وبعث الوليد بن

يزيد بالسرير (الكرسى) وبهلالين . وبعث أبو العباس السفاح بالصفحة الخضراء .
وأرسل أخوه المنصور القارورة الفرعونية . وبعث المأمون بياقوتة ثمينة . وأهدى
جعفر المتوكل شمسة عملها من ذهب مكحلة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد
وسلسلة تعلق في وجه الكعبة كل سنة . وأسلم ملك من ملوك التبت وكان له صنم
من ذهب في صورة إنسان يعبده وكان على رأس الصنم تاج من ذهب مكلل بنحز
الجوهر والياقوت الأحمر والأخضر والزبرجد وكانت على سرير مربع مرتفع عن
الأرض على قوائم والسرير من فضة ، وعلى السرير فرشاة الديباج وعلى أطراف الفرش
إزار من ذهب وفضة مرخاة ، والإزار على قدر الكرسي في وجه السرير ، فلما أسلم
ذلك الملك أهدى السرير والصنم إلى الكعبة . وأهدى إليها المعتصم العباسي قفلا
فيه ألف دينار . وأسلم بعض ملوك السند فأهدى إليها طوقا من الذهب مكللا
بالزمرذ والألماس وياقوتة خضراء زنتها أربعة وعشرون مثقالا وقد علفت في الكعبة
سنة ٢٥٩ هـ . وأهدى جعفر بن المعتمد قصبية من فضة داخلها كتاب فيه بيعته
وبيعة أبي أحمد الموفق ، فعلفت في الكعبة في صفر سنة ٢٦٢ هـ . وبعث المطيع
العباسي إليها قناديل كلها فضة خلا واحدا من الذهب زنته ٦٠٠ مثقال وذلك
في سنة ٣٥٩ هـ . وأهدى صاحب عمان بعد سنة ٤٢٠ هـ . محاريب مبنية زنة
المحارب أزيد من قنطار ، وقناديل في غاية الإحكام ، وقد سميت المحاريب في الكعبة
مما يلي بابها . وأهدى إليها الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٣٦٢ هـ . قناديل
من ذهب وفضة . وبعث إليها الظاهر بيبرس قفلا ومفتاحا . وبعث على شاه
وزير السلطان أبي سعيد ملك التتر إلى الكعبة سنة ٧١٨ هـ . بحلقتين من الذهب
مرصعتين باللؤلؤ البلخشي ، كل حلقة زنتها ألف مثقال ، وفي كل حلقة ٦ لؤلؤات
فاخرات ، وبينها ٦ قطع بلخشي فاخر وقد علقنا زمتا يسيرا ثم رفعنا وأخذهما أمير
مكة إذ ذاك رميته بن أبي نعي . وأهدى السلطان شيخ أويس صاحب بغداد

الى الكعبة ٤ قناديل اثنان ذهباً واثنان فضة وذلك في أثناء عشر السبعين والسبعائة،
 فعلمت في الكعبة قليلاً ثم أخذها أمير مكة عجلان بن رميثة . قال التقي الفاسي :
 وأهدى الناس الى الكعبة بعد ذلك قناديل كثيرة . والذي في الكعبة الآن
 - سنة ٨١٢ هـ - من المعاليق ١٦ قنديلاً ، منها ثلاثة فضة وواحد ذهباً وآخر بلورا
 واثنان نحاسا والباقي زجاج حلي وهي تسعة ، وليس فيها الآن - سنة ٨١٢ هـ - شيء
 غير هذه القناديل من تلك الهدايا الفاخرة ، وسبب ذلك امتداد أيدي الولاة وغيرهم
 اليها . قال الأزرقى : ولا يجوز أخذ شيء من حلية الكعبة لا للحاجة ولا للتبرك ،
 لأن ما جعل للكعبة وسبل لها يجري مجرى الأوقاف ، ولا يجوز تغييرها عن وجوهها
 وفيها تعظيم الإسلام وإرهاب الأعداء ، أشار الى ذلك المحب الطبري وقد أهدى لها
 بعد ذلك هدايا قيمة منها الباقي للآن ومنها ما عبثت به الأيدي .

وإذ قد عرضنا عليك صورة تاريخية لمسابقات الملوك والأمراء في تحلية الكعبة
 وميزانها وأبوابها وتعليقها بحلي الذهب والفضة نرى من الواجب علينا أن ننبهك
 الى أن إنفاق أموال المسلمين العامة في هذه السبل يآباه الدين لأنه من الإسراف
 الممقوت ، وخير لنا أن ننفق هذه الأموال في مصالح المسلمين العامة وإن أحترمنا
 لبيت الله الحرام لا يحول دون احترام الدين وتعليماته وإرشاداته ، وليس من الدين
 في شيء أن نعطل جزءاً من أموال المسلمين عن استثماره وإنفاقه فيما يعود بنفع حقيقي
 على المسلمين ، ولعلك محتج علينا بما فعله عمر رضي الله عنه من إرسال الهالين اللذين
 أرسلنا اليه بعد فتح مدائن كسرى ، وأنا مع عدم قطعنا بصحة النسبة اليه لا نرى فيه
 حجة لمعارض لأحتمل أن يكون عمر أراد به إلهاب الحمية في نفوس المسلمين
 واستنهاضهم الى الجهاد حيث يرون في الهالين ثل عروش الأكاسرة وتذليل ملكهم
 لعز الاسلام والظفر بما آذخروا وأكتنزوا ، فعسى أن يوجه الملوك همهم وأموالهم
 الى الصالح النافع ويأخذوا بأنفسهم عما لا يفيد ولا يجدى .

كسوة الكعبة — (أنظر الرسم ١٠٩ الذى ترى فيه الحزام المقصب والكرداشيات وستارة الباب منسدلة) .

أول من كسا الكعبة أسعد أبو كرب ملك حمير وذلك قبل الهجرة بقرنين وقد كساها الخصف^(١) والمعافر^(٢) والملاء^(٣) والوصائل^(٤) والعصب^(٥) والمسوح^(٦) والأنطاع^(٧) والبرود^(٨) وجعل للكعبة بابا ومفتاحا وفى ذلك يقول مفتخرا :

ورد الملك تبع وبنوه * وتروهم جدودهم والحدودا^(٩)
إذ جئنا جيانا من ظفار * ثم سرنا بها مسيرا بعيدا^(١٠)
فأستبحنا بالخيال ملك قباز * وابن أفلود جاءنا مصفودا^(١١)
فكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معصبا وبرودا^(١٢)
وأقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه إقليدا^(١٣)
ثم طفنا بالبيت سبعا وسبعا * وسجدنا عند المقام سجودا
وخرجنا منه الى حيث كنا * ورفعنا لواءنا معقودا

ولما بنت قريش الكعبة آسترفدهم بناؤها فكسوتها فعملوا لها كسا شتى من أنواع الثياب، كلما جاءت كسوة طرحت على سابقتها، ولم تزل قريش تكسو الكعبة حتى كان زمن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومي وكان مثريا فقال: أكسوها من مالى عاما وقوموا بكسوتها عاما، فسمى عدل قريش لذلك، وأستمر الأمر على هذا حتى عهد

(١) الخصف محرّكة : جمع خصفة وهى الثوب الغليظ جدا . (٢) والمعافر فى الأصل أسم بلد سميت به الثياب المعافرية التى تصنع فيه . (٣) الملاء : جمع ملاء وهى ثوب لين رقيق نسيج واحد وقطعة واحدة وتسمى الریطة . (٤) الوصائل : جمع وصيلة وهى ثوب أحمر مخطط يمانى . (٥) العصب : برود يمانية يعصب غزلها أى يجمع ويشد ثم يصبغ بعضه وينسج مع غير المصبوغ فىأتى موشى . (٦) المسوح : جمع مسح وهو ثوب من الشعر غليظ ويقال له : البلاس . (٧) الأنطاع : جمع نطع وهو بساط من الأديم أى الجلد . (٨) البرود : جمع برد وهو ثوب مخطط وكساء ياتحف به . (٩) تبع : لقب ملك ملوك حمير . (١٠) ظفار : كانت مدينة من مدن اليمن قريية من صنعاء وأطلالها باقية ولها إقليم يسمى الآن باسمها . (١١) أبو كسرى . (١٢) لعله أمير من أمراء الشام أو العراق . (١٣) المفتاح .

النبي صلى الله عليه وسلم . ومما كسوها به مطارف^(١) الخز والخضر والصفير وشقاق^(٢) الشعر وأكسية من أكسية الاعراب وكرار^(٣) الخز والوصايل والأنطاع^(٤) والنمارق^(٥) العراقية والحبرات^(٦) ايمانية والأنماط^(٦) .

وأول عربية كست الكعبة في الجاهلية نيملة بنت حباب أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير والديباج، وسبب ذلك أنها أضلت آبنها خوارا أخا العباس وجعلت تنشد :

أضلته أبيض لودعي^(٧) * لم يك حلوبا ولا دعيا^(٨)
أضلته أبيض غير خاف * للفتية الغر بنى مناف
ثم لعمر ومنتهى الأضياف * سن لفهر سنة الإيلاف
* في القريوم^(٩) القر والإصياف *

ونذرت إن وجدته لتكسون الكعبة، فأتاها به رجل من جذام فوفت بما نذرت . تلك كساها في الجاهلية، وأما كسوتها في الإسلام فكساها النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الخبر ايمانية، وكساها عمر، وعثمان القباطي المصرية، وكساها عثمان أيضا البرود ايمانية وهو أول من ظاهر لها بين كسوتين، وكان عمر رضى الله عنه ينزع كسوتها كل سنة ويستبدل بها جديدة، ويقسم الأولى بين الحاج، وكساها عبد الله ابن عمر ما كان يحلل به بدنه من القباطي والحبرات والأنماط، وكساها كذلك معاوية وكانت تكسى الديباج يوم عاشوراء، والقباطي في اليوم التاسع والعشرين من رمضان، وكساها الديباج يزيد بن معاوية وابن الزبير وعبد الملك بن مروان .

(١) الطريقة : نسيجة تنسج من صوف أو شعر في عرض ذراع . (٢) الشقة : نوع من الثياب الرقيقة المستطيلة . (٣) نوع من الأكسية مفردة كر . (٤) التمرقة : الوسادة وكساء يوضع على الرجل يسمى الطنفسة . (٥) الحبرات : جمع حبرة وهي ما كان من البرود مخططا . (٦) ضرب من البسط واحدا نمط . (٧) اللودعي : الخفيف الذكي الطريف . (٨) الحلوب : لم أقف على معناه . (٩) القر : البرد . (١٠) القباطي : جمع قبطية بالضم وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض وكأنه منسوب إلى القبط وهي بلدة بمصر ينسب اليها أقباطها .

وفي سنة ١٦٠ هـ . حج المهدي العباسي فذكر له السدنة أن كساوى الكعبة كثرت عليها والبناء ضعيف يخشى عليه من ثقلها ، فأمر بتجريدها وأن لا يسدل عليها إلا كسوة واحدة وأستمر ذلك الى يومنا هذا . وكساها المأمون ثلاث كسا الديباج الأحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الأبيض الذى أحدثه المأمون يوم ٢٧ من رمضان للفطر . وكساها حسين الأفطس بأمر أبى السرايا كسوتين من القز الرقيق إحداهما صفراء والأخرى بيضاء . وكساها بعد ذلك كثير من الملوك والأمراء أنواعا من الكسا كالديباج الأبيض الخراسانى والديباج الأحمر الخراسانى . وكساها أبو النصر الاسترابادى سنة ٤٦٦ هـ . كسوة بيضاء من عمل الهند ، وكسيت فى هذه السنة أيضا الديباج الأصفر وكساها الخبرات وغيرها الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط المشهور بالمسجد الحرام وذلك فى سنة ٥٣٢ هـ . وكانت كسوته بثمانية عشر ألف دينار مصرية على ما قال ابن الأثير ، وقيل : بأربعة آلاف دينار . وكسيت فى بدء خلافة الناصر العباسى كسوة خضراء ، وكسيت فى زمنه كسوة سوداء ، قال الفاسى : وقد استمرت الى الآن — سنة ٨١٢ هـ — إلا أنه فى سنة ٦٤٣ هـ . كساها منصور بن ربيعة شيخ الحرم ثيابا من القطن مصبوغة بالسواد .

وفى سنة ٧٥١ هـ . أراد الملك المجاهد أن ينزع كسوة الكعبة التى باسم المصريين ويكسوها كسوة من عنده تكون باسمه ، فأخبر صاحب مكة المصريين فقبضوا عليه ، وفى ذلك يقول الجلال المؤذن بالمسجد الحرام :

يا راقد الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

فإن أمنت بليل طاب أوله * فرب آخر ليل أجمع النارا

وفى سنة ٨١٠ هـ . أحدث فى كسوة الجانب الشرقى جامات منقوشة بالحريز

الأبيض ووضع ذلك أيضا فى السنين الأربع التالية ثم ترك فى سنى ١٦ و ١٧ و ١٨ بعد الثمانمائة .

وفى سنة ٨١٩ هـ . ملئ الجانب الشرقى من الكسوة من تحت الطراز بالجامات المصنوعة من الحرير الأبيض ، والآن تصنع من القصب المطلى بالذهب ، أنظر

الجامات في (الرسم ١١٠) الذي معه الرسمان (١١١ و ١١٢) . وعمل في هذه السنة لباب الكعبة ستارة عظيمة الحسن لم يسبقها مثلها . وفي داخل الجامات السابقة مكتوب « لا إله إلا الله محمد رسول الله » بالبياض على شكل دوائر ، واستمرت الجامات البيض المذكورة خمس سنين متتالية ثم أزيلت وعوض عنها جامات سود في سنة ٨٢٥ هـ . وفي كسوة الكعبة طراز من حرير أصفر وكان قبل ذلك أبيض ، وعمل أصفر حوالى سنة ٨٠٠ هـ . وفي الطراز مكتوب آيات من القرآن قريبة من الآى المكتوبة عليه الآن غير أن مواضعها منها مختلفة ، أنظر الطراز في (الرسم ١١٠) ولمهلل الدمياطى في سواد كسوة الكعبة :

يروق لى منظر البيت العتيق إذا * بدا لطرفى فى الإصباح والطفل

كأن حلتة السوداء قد نسجت * من حبة القلب أو من أسود المقل

وكسوة الكعبة من سنة ٧٥٠ هـ . من الوقف الذى وقفه الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر بن قلاوون على كسوة الكعبة كل سنة وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوى فى كل خمس سنين مرة ، وهذا الوقف عبارة عن ثلاث قرى بسوس وسنديس وأبى الغيط من قرى القليوبية ، اشتراها من بيت المال ووقفها على كسوتى الكعبة والحجرة ، وقد اشترى السلطان سليمان بن السلطان سليم خان عدة قرى بمصر أضافها الى القرى التى وقفها على الكسوة الملك الصالح وهذه القرى هى :

- (١) سلكه ؛ (٢) سروبيجنجة ؛ (٣) قریش الحجر ؛ (٤) منایل وكوم رحان ؛
- (٥) بجم ؛ (٦) منية النصارى ؛ (٧) بطاليا ولم تزل موقوفة على ذلك حتى حل وقفها محمد على باشا فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، وتعهدت الحكومة بصنع الكسوة من مالها العام ولا يزال ذلك دأبها لآن .

وهاك نص الوقفية ^(١) :

(١) نقلت عن مرآة مكة لحضرة أمير اللواء البحرى العثمانى أيوب صبرى باشا .

A view of the Curtain of the door of El Kâba.



هذا القناع الذي كان يغطي باب البيت الحرام في مكة المكرمة

All rights of reproduction and publication are reserved to the publisher El Lewa Ibrahim Rifaat Pasha, Director of the Pilgrimage Caravan 1326.

The Gilt belt of the Kaaba with verses from the Koran.



وقد كان من المصنوعات الجليلة التي كان يملكها الخليفة العباسي المأمون بن عبد الممنون في سنة ١٣١٦

All rights of reproduction and publication are reserved to the publisher El Lewa Ibrahim Rifaat Pasha, Director of the Pilgrimage Caravan 1326.

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

All rights of reproduction and publication are reserved to the publisher El Lewa Ibrahim Rifaat Pasha, Director of the Pilgrimage Caravan 1326.

The out-clothing of El-Kaaba.

[illegible]

All rights of reproduction and publication are reserved to the publisher El Lewa Ibrahim Rifaat Pasha, Director of the Pilgrimage Caravan 1326.

صورة وقفية الكسوة الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي رفع القبة الخضراء، ووضع بساط الغبراء، وسمك في سمائه الأفلاك، وملك في أرضه الأملاك، ففتح مناهج الملك والدولة الغراء، بين وقاية السلاطين، وحسن رعاية الأمراء، وجعل الكعبة البيت الحرام لشعائر الدين الزهراء، ﴿فن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه﴾ واستسعد بحجة يوم الجبراء، ثم الصلاة والسلام على سيد الأنبياء، محمد أعلم الرسل الأعلام والأبناء، وعلى آله الكرام الأتقياء، وأصحابه العظام الأصفياء، نعمة العبد المحتاج إلى عفوره الصمد. محمد بن قطب الدين محمد، القاضي بالعساكر المضفرة المنصورة في ولاية أنطاولى. أما بعد فهذا وثيقة أثيقة بديعة المعاني والبيان، هادية منمقة أنيقة بليغة المباني والتبيان، توارى عباراتها راحا رحيقا، بل هي أصفى، وتجارى استعاراتها مسكا سحيقا بل هي أزكى، يشعر عما هو الحق القاطع، ما حواه فخواها، ويخبر عما هو الصدق الساطع، ما آذاه مؤداها، وهو أنه قد بان لكل ذى عقل سديد، أن الدنيا الدنية قنطرة العابرين، ورباط المسافرين، يحل هذا ويرحل ذاك ولا يدرى أحد إلا ويمتطى صهوتى أدهم الليل وأشهب النهار ويسير مع السائرين إلى منتهى الآجال والأعمار، وهى للوعظة ما قال سيد الكائنات^(١)، عليه أفضل الصلوات، «استمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت»، فلا ريب أن العاقل من اعتبر من الرواحل واتخذ فيها لرحيله ذخيرة وزادا، وادّخر لمقامه الباقي عدة وعتادا، بالصدقات التى ينال بها النجاة، ويتوسل بها إلى الجنات، على ما نطق به القرآن، وحديث رسول الرحمن، حيث قال عز من قائل ﴿ان الله يجزى المتصدقين﴾ والمتصدقات وقال عليه الصلوات التامات، «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» ألا وهى الوقف.

(١) المعروف ان هذه الجمل من خطبة قس بن ساعدة التى ألقاها بسوق عكاظ وشهدها النبي صلى الله

عليه وسلم قبل عهد الرسالة.

فلما تفكر في جميع ذلك السلطان الأعظم ، والحقان الأكل الأكرم ، ظل الله في أرضه ، وخليفته على خليقته في رفعه وخفضه ، علوى العلا ، من آل عثمان عثمانى المحيا ، من سلاطين الزمان سلطان البحرين والبرين ، العرض القائم بالسنة والفرض ، عاشر المجدين لدين الاسلام بأحسن المعاشر ، وعاشر السلاطين العثمانية كالعقد العاشر ، السلطان بن السلطان بن السلطان السلطان « سليمان » شاه بن السلطان « سليم » خان بن السلطان « بايزيد » خان لا زالت حديقة حقيقة العالمين منضرة بماء حياته ، ونماء ذاته ، وحديقة العالمين منورة بضياء صفاته ، وببيضاء سناء حسناته ، وبلغ أرواح آبائه وأجداده الرحمة وسقاها بالكوثر وأسبغ عليهم نعم غفرانه وأنذر ورأى منها في نفسه النفيسة نعم الله تعالى جزيلة ، لا يسع شكرها على ذاته الكريمة ، منه منة جميلة ليس في طوقه ذكرها أراد استقرارها بالأوقات القاره ، واستمرارها بالادارة الداره ، متفكرا في قول الملك الخلاق ، ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾ ، ونظر في قول الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، وعلم بأن تعظيم الكعبة المستورة بالأستار الشريفة العالية وتشريفها في الحج يوجب الجنة ، ويصير الهدف الساتر من العذاب والجنة ، وسائما في قلبه الفسح من قول الرسول « من زارني وجبت له شفاعتي » أن يستشفع منه بتكريم قبره بالأستار بل بتشريف مراقده الاتباع ، وستر مرشد الأشياء ، أيضا بالازار تنزيلا إياه منزلة الزيارة الدائمة ، والخدمة القائمة ، على مر الدهور والأعصار فان تلك المواضع وان كانت جرت العادة بسترها لكنها كانت بالأموال المتطرفة ، والاثمان المتفرقة ، فأحب أن يكون ما يصرف الى هذه الآثار الشريفة ، من الأموال المتميزة المتبركة المنيفة ، فعين لهذا أجمل أملاكه وأسبابه ، وأجمل أمواله وأكسابه ، فلذلك قد قال لدى المولى الفاضل ، التحرير الكامل ، مصباح رموز الدقائق ، مفتاح كنوز الحقائق ، كشاف المشكلات ، حلال المعضلات ، الموقع أعلى هذا الكتاب ، يسر الله له حسن المآب ،

بقوله الشريف ، واطفه اللطيف ، العارى عن الاعتساف ، الحاوى على الاقرار والاعتراف ، الذى يجوز الشرع ، لاحتوائه على ما يغير الأصل والفرع ، وحكى بأنه قد وقف أوقافا وسبلها ، وحبس أملاكا وكلها ، على النمط الأكنى الأشمل ، وعلى الطريق المشروع الأكل ، لتكون لهذه المصلحة أوقافا قارة ، وادارات دائره ، فى الدنيا العاجلة ، ومفيدة له فى يوم الجزاء والآجلة وتكون عدّة معدّة لغده عن أمسه ، ومزية منورة لا تفارقه فى رسمه ، وتصيرها جسرة من العذاب وجنة ، ويكون جزاها مثل جزاء الحج المبرور الجنة ، وتكون باعثة للرفاعة وموجبة للشفاة ، منها جميع القرى الثلاث المسماة بيسوس وأبو الغيث وحوص بقمص الواقعة بالولاية المصرية التى كان حاصل منها فى السنة الواحدة مبلغ (٨٩٠٠٠) درهم ومنها جميع القرى السبع الجديدة الواقعة فى الولاية الشرقية بالديار المصرية أولها قرية (سلكه) كان حصل منها فى تلك السنة مبلغ (٣٠٤٩٦) درهما وثانيها قرية (سيرونججة) حاصلها فيها مبلغ (٧١٨٢٠) درهما وثالثها قرية (قريش الحجر) حاصل ما فيها مبلغ (٥١٣٠٤) درهما ورابعها قرية (منايل وكوم ريحان) حصل ما فيها مبلغ (٣٧٨٤٠) درهما وخامسها قرية (بجام) حصل ما فيها (١٤٩٣٤) درهما وسادسها قرية (منية النصرى) وحصل ما فيها مبلغ (٦٠٨٥٨) درهما وسابعها قرية بطاليا وحاصلها فيها (١٠٤٨٤) درهما يكون جميع النقود المزبورة فى تلك السنة المسفورة مبلغ (٣٦٥١٥٢) درهما فضا محاذيا بنصف القطعة رايجا فى الوقت أيد الله تعالى دولته من سكها باسمه السامى ، ورفه رعاياه بعدله المتوفر النامى ، وقف جميع القرى المزبورة المستغنية عن التعريف والتحديد ، والتبيين والتوصيف ، لشرتها فى مكانها عند أهلها وجيرانها ، ولكونها مشروحة ومعلومة فى الدفاتر السلطانية والمناشير الخاقانية بجملة ما لها ، من الحدود والحقوق ، وما ينسب إليها بالاصالة والحقوق ، والمراسم والمرافق ، والمداخل والطريق ، خلا ما يستثنى

منها شرعا من المساجد والمعابد والمنابر والمعابر ، والمراقد والمقابر ، والأماكن والأوقاف ، وسائر ما يعرف بمينا بينه بالأسمى والأوصاف ، وسلم جميعها الى من ولاه عليها بموجب الشرع المنصوص ، ونصبه للخدمة بالأمانة والاستقامة فى هذا الخصوص ، وتسليمها هو منه للتصرف فيها بالوجه السداد ، على ما هو المراد ، تسليما وتسليما صحيحين شرعيين .

§ ثم عين السلطان الفايق على حذافير السلاطين فى الآفاق ، بالاستهلاك والاستحقاق ، والسابق فى مضامير التدابير بمكارم الأخلاق ، ومراسم الاشفاق ، لا زالت شمس سعادته أبدية الاشراق ، وما برحت نجوم سلطته محمية عن الانحراق ، مما يحصل من تلك القرى الموقوفة المذكورة على حسب التخمين التى مدارها حصل السنة المشروحة المزبورة فالتعيين على هذه النسبة فى جميع الأعوام ، قلت المحصولات أو حلت بتفاوت الشهور والأيام ، مبلغ مائتى ألف درهم وستة وسبعين ألف درهم ومائتى وستة عشر درهما لأستار ظاهر الكعبة الشريفة شرفها الله تعالى فى كل سنة مرة على ما جرت به العادة القديمة فى السنين الماضية القديمة طبقا على هذا التخمين بعد الصرف المذكور فى السنة مبلغ ثمانية وثمانين ألف درهم وتسعمائة درهم وستة وثلاثين درهما وشرط أن يحفظ ذلك الباقي بحفظ المتولى تمام خمسة عشر عاما فىكون عدد الجمع فى هذا العام على التخمين التام مبلغ ثلاثة عشر مرة مائة ألف درهم وأربعين درهما فعين من هذا الباقي فى المحفوظ المجموع المسطور لأستار المواضع التى تجدد فى انقضاء كل خمسة عشر عاما مرة وبعد تجديدها المزبور لا تجدد كل سنة بل تروح الى انقضاء خمسة عشر عاما آخر ثم تجدد مرة أخرى كذلك ثم فتم الى أن ينقضى الدهر ويتم لكل مرة من تلك المرات ، وفى كل كرة من هذه الكرات ، بالتخمين المزبور ، والتعيين المذكور مبلغ سبعمائة ألف درهم وأحد وخمسين ألف درهم وثلاثمائة درهم وسبعين درهما فضيا

رايحا في الوقت وتلك المواضع التي يصرف اليها هذا المقدار في خمسة عشر عاما
مرة وهي داخل الكعبة الشريفة، والروضة المطهرة المنيفة، أعنى بها التربة المنورة
لسيد الكونين، ورسول الثقلين، نبينا محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام)، الى
يوم القيام، بالمدينة المنورة والمقصورة المعمورة، في الحرم الشريف، والمنبر
المنيف، فيه ومحرابه محراب التهجّد، والأستار الأربعة لنفس الحرم الشريف
ومحراب ابن العباس وقبره وقبر عقيل بن أبي طالب وحضرة الحسن وحضرة عثمان
ابن عفان وفاطمة بنت أسد (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) وما زاد بعد هذا
وهو مبلغ خمسمائة ألف درهم واثنتين وثمانين ألف درهم وستمئة وسبعين درهما
لاحتمال أن يقع في بعض السنين النقصان، بسبب الشراقى وطوارق الحدّثان،
لأن هذا بالتخمين، وان لم يزد في بعض السنين، جبر النقصان، فليجبر من هذا
الفضل ذاك الزمان، وان وجد في انقضاء المدة وبعد الصرف شيء مما يزيد
ويفضل سواء كان هذا المقدار، أو أكثر منه أو أقل فليشتتر بالموجود المزبور الملك
المناسب للوقف من العقار. الواقع في موضع الرغبة والاشتهار، ليكثر محصول
الوقف، وتوفير مواضع الصرف، بالحق هذا المشتري والمتاع بسائر الأوقات
واستغلاله معها وصرف غلاته الى المصارف الميينة بالأوصاف وتتمية الوقف
وتقويته بهذا الكثير وتمشيطه وتوسعته بذلك التوفير، وهذا بعد رعاية شرط أنه ان
وقعت المضايقة في هذا الوقف أو في الوقف الآخر الذي وقفه السلطان أيضا على
مصالح الفقراء الذاهبين الى الحجاز وعلى حمالمهم وعلى سائر مهماتهم وكتب له وقفية
مستقلة مشتملة على هذه الشروط والقيود، تكون مرعية بالخلود والايود، يلزم
أن يعين كل واحد الآخر من الجانبين بزوائده، وبفضائل عوائده، باتمام ما يهم
ويلزم له وبتمكيه لدفع مضايقته وضرورته واسعاده واجتهاده اقرارا واعترافا
صححين شرعيين، مصدقين محققين مرعيين، وفقا صحيحا شرعيا، وحسبا ضريحا

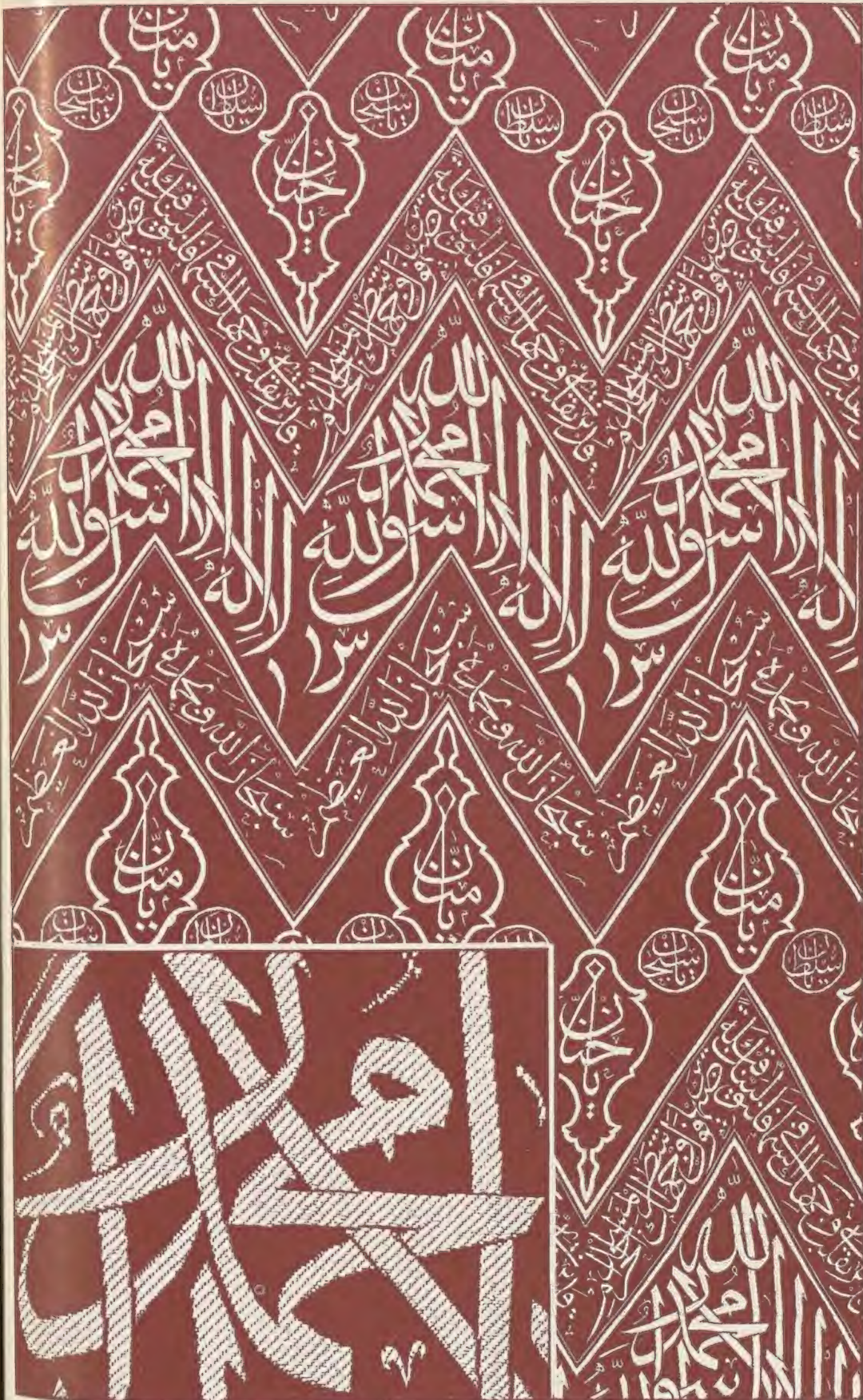
مرعيا ، حاويا على الحكم بصحته أصلا وفرعا ، على وجه يعتد به دينا وشرعا ،
 وغب رعايته شرائط الحكم والتبجيل ، وفي حصول الوقف والتسبيل ، لدى المولى
 الفضل النحرير الكامل الموقع أعلا هذا الصك الديني ، والحفظ اليقيني ، وفتح الله
 تعالى أبواب الحقوق بمفاتيح أقلامه ، وأحكم الأمور بثبوت أحكامه ، فصار وقفا
 لازما مساسلا متفق عليه على مقتضى الشرع ومقتضى أحكامه بحيث لا يرتاب
 صحته وإبترامه لوقوع حكم المولى المومى اليه على رأى من رآه من الأئمة الماضين
 المجتهدين (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) عالما بالاختلاف الجارى بينهم
 في مسألة الوقف علم خلوده بخلود السموات وأبوده بأبود الكائنات الى أن يرث الله
 الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين فلا يحل بعد ذلك لأحد يؤمن بالله ورسوله
 واليوم الآخر ينقضه أو يبطله أو يحوله أو يبدله فلا يملك بعد ذلك المؤمن أو خائفا
 من الله المهيمن بعد ما سمع قول رب العالمين ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ وأجر
 الواقف بعد ذلك على أرحم الراحمين جرى ذلك .

وحرر بالأمر العالى الخاقانى لا زال عاليا فى صفر المظفر المنخرط فى سلك
 شهور سنة سبع وأربعين وتسعمائة من هجرة من لا نبى بعده . وصلى الله عليه وعلى
 آله وصحبه الذين وفوا عهده .

قال التقي الفاسى : والكعبة تكسى فى عصرنا هذا يوم النحر من كل سنة إلا أنه
 لا يسبل عليها ثوبها فى هذا اليوم بل يسبل نصفه فقط ، والباقي فى أواخر ذى الحجة
 وقد جرت عادة بنى شيبة أن يأخذوا الكسوة القديمة عند ورود الجديدة ويتصرفوا
 فيها بالبيع وغيره .

وذكر القاضى فى جامعته أن أمراء مكة كانوا يأخذون ستر باب الكعبة مع
 جانب كبير من الكسوة أو ٦٠٠٠ درهم عوضا عن ذلك ، الى أن رفع ذلك عنهم





THE HOLY CARPET IN THE INTERIOR OF THE KAABA

الشریف عنان بن مغامس حين ولى مكة سنة ٧٨٨ هـ . وتبعه أمراء مكة الى زمن السيد حسن بن عجلان فكان يأخذ ستر الباب وكسوة المقام ويهديها الى من يشاء من الملوك وغيرهم ، وقد استمر ذلك لأمرء مكة الى الآن — العشر الثانية بعد الثمانئة — اه .

قال الثقي : ولم يكسها أحد من الملوك بعد الملك الصالح إسماعيل إلا أخوه الملك الناصر حسن لكن كسوته كانت لباطن الكعبة لا لظاهرها وهي الكسوة التي في جوفها الآن — آن الفاسي — وقد أرسل هذه الكسوة سنة ٧٦١ هـ . وكان قبلها كسوة للملك المظفر صاحب اليمن ، وهو أول من كسا الكعبة من الملوك بعد انقضاء دولة بنى العباس من بغداد وذلك في سنة ٦٥٩ هـ . واستمر يكسوها عدة سنين مع ملوك مصر ، وانفرد بكسوتها في بعض السنين . وأول من كساها من ملوك مصر بعد بنى العباس الملك الظاهر بيبرس .

وفي سنة ٨٢٥ هـ . أرسل برسباى ملك مصر كسوة حمراء لباطن البيت ، وكان كلما ولى ملك أو سلطان أرسل الى الكعبة كسوة من الحرير الأحمر لداخل البيت وبأخرى خضراء للمجرة الشريفة النبوية . فلما استولت الدولة العلية على مصر سنة ٩٢٣ هـ . اختصت بكسوة المجرة الشريفة النبوية وكسوة البيت الداخلية — في (الرسم ١١٣) جزء من كسوة الكعبة الداخلية — واختصت مصر بكسوة الكعبة الخارجية فكانت ترسلها كل سنة ولا زال دأبها للآن . ومصر ترسل سنويا كسوة الكعبة الخارجية وستارة لبابها انظر (الرسم ١١١) وأخرى لباب التوبة (الرسم ١٠٤) — باب المدرج الداخلى — وثالثة لباب المنبر أنظر (الرسم ٩٦) وكسوة لمقام ابراهيم الخليل عليه السلام وكيسا لمفتاح الكعبة وقد قدمنا لك في (ص ٧ و ٨ و ٩) قطع الكسوة ووصفها وما تصنع منه ، وذلك في الإشهاد الذى كتب بتسليم الكسوة للحمل بتاريخ ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٢١ هـ . وهاك وصفها أحسن تفصيلا من

الأول أرسله إلينا حضرة عبد الله بك فائق مأمور الكسوة بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧ وقد أجهلناه فيما يأتي :

كشف بتفصيل أجزاء كسوة الكعبة التي أرسلت من مصر

في سنة ١٣٢٥ هـ . الموافقة سنة ١٩٠٨ م . وكسوة مقام الخليل الخ

أحمال الكسوة — هي أحمال من نسيج حرير أسود « كمخ »^(١) منقوش بالكتابة تتألف من ٦٢ ثوبا طول الواحد منها ٣٦ ذراعا بلديا — ٥٧ سنتيا — وعرض الثوب ٩ . سنتيا بجملة أذرع الأثواب ١٦١٢ ذراع جميعها مغطى ومخيطة بالحرير الأسود المفتول « وبالشموط^(٢) والخرز^(٣) القطن ومبطن « بالبقعة^(٤) » البيضاء « المقصورة^(٥) » وبالجميع أحبال وعراو « نوار^(٦) » من القطن « المردون^(٧) » والكل مخرز بالجلد « السخيتاني^(٨) » الأحمر والجلد « الكوسلة^(٩) » ومركب على كل حمل منها حزام من الأخرمة الثمانية المبينة بعد ومركب على حملين منها أربع « رنوكات أو كرداشيات^(١٠) » يأتي بيانها بعد وهاك تفصيل الأحمال وما عليها من الأخرمة .

حملان مركب كل منهما من ٩ أثواب بجملة الأثواب ١٨ والأذرع ٤٦٨ وعلى هذين الحملين الحزام الأول والثالث .

حملان مركب كل منهما من ٨ أثواب بجملة الأثواب ١٦ والأذرع ٤١٦ وعلى هذين الحملين الحزام الثاني والرابع .

حملان مركب كل منهما من $٧\frac{١}{٣}$ أثواب بجملة الأثواب ١٥ والأذرع ٣٩٠ وعلى هذين الحملين الحزام الخامس والسابع .

(١) الكمخ : المكتوب . (٢) الشموط : المفتول الرفيع . (٣) الخرز : المفتول الغليظ .
(٤) البقعة : نسيج قطنى . (٥) المقصورة : العريضة . (٦) النوار : شريط قطنى يوضع على ملتقى العرضين . (٧) المردون المفتول . (٨) السخيتاني : جلد المعز المدبوغ .
(٩) الكوسلة : جلد غير مدبوغ . (١٠) الرنوكة أو الكردشية : الدائرة (انظر الرسم ٣) .

حملان مركب كل منهما من $\frac{1}{4}$ ٦ أثواب بجملة الأثواب ١٣ والأذرع ٣٣٨ وعلى هذين الحملين الحزام السادس والثامن .

وباقى أجزاء الكسوة الأخرى مصنوع من الحرير الأطلس الأسود « السادة »^(١) البالغ مقاسه ٢١١ ذراع ومن الأطلس « الساسى »^(٢) الأحمر والأخضر الموضوع عليه « مخيش »^(٣) الفضة الأبيض ومخيش الفضة الملبسة بالذهب « البندقى »^(٤) الأصفر .

أحزمة الكسوة . هي ثمانية :

الحزام الأول	طوله $\frac{7}{8}$ ١٢ ذراعا	وزنة المخيش $\frac{7}{12}$ ١٠٣٠	مثقال .
» الثانى »	$\frac{7}{8}$ ١١ » » »	$\frac{1}{4}$ ٩٤٧ »	
» الثالث »	$\frac{7}{8}$ ١٢ » » »	١٠٣٩ »	
» الرابع »	$\frac{7}{8}$ ١١ » » »	$\frac{1}{4}$ ٩٨٣ »	
» الخامس »	$\frac{7}{8}$ ١٠ أذرع » » »	$\frac{1}{2}$ ٩٠١ »	
» السادس »	$\frac{7}{8}$ ٩ » » »	$\frac{1}{4}$ ٨٦٢ »	
» السابع »	$\frac{7}{8}$ ١٠ » » »	$\frac{1}{4}$ ٨٦٧ »	
» الثامن »	$\frac{7}{8}$ ٩ » » »	$\frac{1}{4}$ ٨٨٢ »	
		$\frac{1}{3}$ ٧٥١٣	

كردشيات الكسوة — هذه الكردشيات أربع طولها ستة أذرع مشغول عليها من المخيش بنوعيه السابقين ما زنته ٤٠٥ مثقال وهى مركبة على الحملين اللذين عليهما الحزام الأول والثانى وتوضع فى واجهة الكعبة الشرقية .

برقع الكعبة — هذا البرقع أربع قطع مصنوع من الحرير الأطلس الأسود «السادة» الذى بلغ مقاسه $\frac{1}{4}$ ٤٦ ذراعا، ومن الأطلس الساسى الأحمر والأخضر وقد وصل الجميع بعضه ببعض ووضع عليه مخيش الفضة الأبيض والفضة الملبسة

(١) السادة : غير المنقوش . (٢) الأطلس الساسى : نوع من الحرير يأتى من الخارج .

(٣) المخيش : أسلاك فضية . (٤) البندقى : الذى عياره ٩٩ % .

بالذهب البندقى الأصفر والجميع أيضا مبطن « بالفتة » البيضاء المقصورة وعليه من الدائر والوسط نوار وعُراً من القطن « المردون » ومبطن أيضا بالأطلس الساسى الأخضر من فوق « الفتة » ويتكوّن البرقع من القطع الآتية :

العتبة ^(١) وذرعها $12 \frac{3}{4}$	ذراعا وزنة ما عليها من المخيش بنوعيه $1404 \frac{1}{3}$	مثقال
الطرّاز ذرعه $11 \frac{3}{4}$	» » ما عليه » » $1057 \frac{1}{3}$	»
القائم الكبير » $11 \frac{3}{4}$	» » » » $1455 \frac{2}{3}$	»
» الصغير » ٩ أذرع » » » » ٩٠١	» » » »	»
وصلة القائمين	» ما عليها » » ٤٣	مثقالا
	$4861 \frac{1}{3}$	

وعلى البرقع ما يأتى : ستة أزرار فضية عيار ٩٠ مطلية بالذهب البندقى مركب كل منها على شمسيّتين^(٢) .

اثنتى عشرة شمسية نسجت من الأطلس الأحمر وشغل عليها المخيش بنوعيه وبطنت بالجلد السخيتيانى الأحمر، وعلى كل منها شرابة من القطن الهندى^(٣) .

اثنتى عشرة شرابة صغيرة صنعت من القطن الهندى الأحمر والقصب « والكثير^(٤) الششخانة » الأصفر والأبيض والمخيش العقادى^(٥) الأصفر، وكل منها ركب على شمسية خمس شرابات كبيرة شغلت من الحرير الأسود والقصب والمخيش العقادى « والكثير الششخانة » الأصفر والأبيض ، وكل شرابة لها « قيطان » شغل من الحرير الأسود .

(١) الستارة مكوّنة من أربع قطع تسمى العليا منها العتبة والتي تحتها الطراز والتي تليها القائم الصغير والسفلى التي فيها الفتحة تسمى القائم الكبير ، والوصلة ما توصل به القطع بعضها ببعض .

(٢) الشمسية : دائرة متركّنة من النسيج تشبه أشعة الشمس توضع تحت الزرار . (٣) الشرابة :

جملة خيوط قصيرة مجمّعها تشبه الكرة . (٤) الكثير الششخانة : نوع ملفوف من المخيش .

(٥) المخيش العقادى نوع مطلى بالذهب .

كسوة مقام أبينا ابراهيم الخليل عليه السلام — هذه الكسوة مؤلفة من خمس قطع القوائم الأربعة والسقف ومقاس ما فيها من الحرير الأطلس الأسود السادة ثلاثون ذراعا وهى مصنوعة من المواد المصنوع منها البرقع الا أنها ليست مبطنة بالأطلس الساسى الأخضر كالبرقع وأجزاء الكسوة وما عليها كما يأتى :

الباقم الأول طوله	$7 \frac{1}{8}$	أذرع	وزنة ما عليه من	الخيش	٦١٤	مثقال
» الثانى »	$7 \frac{1}{8}$	»	»	»	٦١٠	»
» الثالث »	$7 \frac{1}{8}$	»	»	»	٦١٣	»
» الرابع »	$7 \frac{1}{8}$	»	»	»	٦١٢	»
السقف ... »	$1 \frac{1}{4}$	»	»	»	من الفضة البيضاء ١٣٩	»

٢٥٨٨

خمسة أزرار فضية سبق وصفها . عشر شمشيات سبق وصفها .
عشر شرابات صغيرة » » . أربع شرابات كبيرة سبق وصفها .
» سجد » شبكة بأزرار وشرابات من القطن الهندى الأحمر بنحز مركب
فى أسفل المقام .

ستارة باب مقصورة ابراهيم الخليل — هذه الستارة مركبة من قطعتين طول كل منهما ١٠ أذرع ومن وصلة للقطعتين وهى مصنوعة من المواد المصنوع منها البرقع وزنة ما على القطعة الأولى من الخيش $\frac{2}{3}$ ٩١٥ مثقال وما على الثانية $\frac{1}{3}$ ٩٠٦ مثقال وما على الوصلة ٤٨ مثقالا فالجملة ١٨٧٠ وعليها ما يأتى :
خمسة أزرار فضة كالتى سبق وصفها . عشر شمشيات كالتى سبق وصفها .
عشر شرابات صغيرة .

ستارة باب التوبة — هذه الستارة مصنوعة مما صنع منه البرقع ومقاس ما فيها من الحرير الأطلس الأسود السادة $\frac{1}{4}$ ١١ ذراعا، وزنة ما عليها من الخيش

بنوعيه $\frac{2}{3}$ ١٠٢٤

(١) السجد : شبكة من النسيج فى أطرافها كرات .

ستارة باب المنبر المكي - مصنوعة أيضا من المواد المصنوع منها البرقع ،
ومقاس ما فيها من الحرير الأطلس الأسود السادة $\frac{1}{4}$ - ٦ أذرع ، وزنة ما عليها من
المخيش بنوعيه ٣٩٧ مثقال .

كيس مفتاح الكعبة - هذا الكيس من الأطلس الساسي الأخضر الذي
مقاسه ذراع وثمان وموضوع عليه مخيش فضة ملبس بالذهب البندق الأصفر
الذي زنته ٤٥ مثقالا « وكثير ششخانة » أبيض « وترتر »^(١) فضة أبيض مثقالين
وهو مبطن بالأطلس الساسي الأخضر ومركب عليه « قيطان بشرابتين » مصنوعتين
من قصب ومخيش عقادي أصفر و « كثير ششخانة » .

أصناف لزوم الكسوة

- ثلاثة أحبال « مجاديل »^(٢) زنتها ١٨٠ رطلا .
- واحد وأربعون حبلا « عصفورة »^(٣) زنتها ٨٢ رطلا .
- ستة وثلاثون ذراعا من « البقعة الحام » السمراء للحزم بها .

والكسوة وتوابعها تسلم الى الشيبى سادن الكعبة بعد أن تصل مكة بمقتضى
إشهاد شرعى يحضره العلماء والكبراء ويحفظها فى بيته القريب من الصفا ، حتى اذا
ما كان صباح يوم النحر والحجاج بنى ألبستها الكعبة وتثبت عليها بواسطة حلقات
من النحاس الأصفر فى دائرة الكعبة العلوى وفى الشاذروان ، ويوضع عليها حزامها
فيما دون ثلثها الأعلى . أما الكسوة القديمة فيرسل المقصب منها عادة الى سيادة
الشرىف ، واذا كان الحج بالجمعة يرسل الى جلالة السلطان ، وغير المقصب يأخذه
الشيخ الشيبى فيبيعه للحجاج . ويجوار باب السلام حوانيت تباع فيها الكسوة

(١) الترت : دوائر مثقوبة من وسطها . (٢) المجاديل : أحبال غليظة تعلق منها الكسوة
فى سطح الكعبة بعد أن تخاط بأعلى الكسوة . (٣) العصافير : أحبال رفيعة تربط بها الكسوة فى حلق
النحاس المثبت فى دائرة الكعبة العلوى والشاذروان .

مخصوصة بذلك . وكان عمر يترع الكسوة القديمة كل سنة ويفرقها على الحجاج ، وتبعه في ذلك عثمان الى أن وجد شيئاً منها على حائض ، فأمر بحفر حفرة وألقى فيها الكسوة القديمة وأهال التراب عليها خوف أن يلبسها جنب أو حائض فقالت له عائشة : إن ثياب الكعبة اذا نزعتم عنها لا يضرها من لبسها من حائض ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله تعالى وابن السبيل ، ومن ثم صاروا يبيعونها ويأخذ الآن بنو شيبة ثمنها لأنفسهم ، وقد اختلف العلماء في جواز بيعها فنقل جواز ذلك عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهما ، وبه قال بعض الشافعية ، وقال بعضهم بعدم جواز بيعها وما أجمل كلمة عائشة التي ذكرناها .

والكسوة تعمل سنوياً بمصر في دار فسيحة بالخرنقش وإدارتها موكولة لمديرها عبد الله بك فائق .

ومصاريف الكسوة في هذه السنة (١٣١٨ هـ — ١٩٠١ م) ٤١٤٣ جنيه وتفصيلها كما يأتي :

جنيه	٥٠٤	مرتب مأمور الكسوة ٣٠٠ جنيه ومرتب كاتب ومخزنى ٢٠٤ جنيه .
١٢٩	مرتبات خدمة سائرة .	
٣٥١٠	نفقات في صنع الكسوة من ثمن حرير ونخيش فضة ملابس بالذهب وأجرة العمال ونفقات المهرجان الخ .	

٤١٤٣

وكانت نفقاتها في سنة ١٣٢٥ هـ — ٤٠٨٤ جنيه ، وقد ازدادت نفقاتها في إبان الحرب الكبرى وبعدها حتى كانت في سنة ١٣٤٠ هـ — ١٠٣٢٢ جنيه وذلك لارتفاع أثمان الأشياء بعد قيام الحرب الكبرى وزيادة أجرة العمال زيادة كبيرة .

والكسوة مكتوب في كل جزء منها هذه العبارة « لا إله إلا الله محمد رسول الله . الله جل جلاله » (انظر الرسم ١١٢) وكذلك ستارة الباب مكتوب فيها آيات من

القرآن وبعض كتابات أخرى (انظر الرسم ١١١) ومكتوب على طراز الكسوة أو حزامها من جهاتها الأربع بعض آى القرآن المتعلقة بالكعبة ومن صنعت الكسوة فى عهده من الملوك (انظر الرسم ١١٠) وانظر فى (الرسمين ١١٤ و ١١٥) حرفى «س» و «و» بحجمهما الأسمى من ضمن الكتابة التى فى الطراز وانظر فى (الرسم ١١٦) قطعة من ستارة الكعبة وانظر الكرداسية (الجامه) وما نقش داخلها فى (الرسمين ٣ و ١١٧) .

وهذا الخط العربى الجميل المسطور على الكسا والستائر والحزام وكيس الكعبة من كتابة الخطاط الماهر الذائع الصيت عبد الله بك زهدى كتبها فى عهد إسماعيل باشا خديوى مصر والد جلالة ملك مصر الآن فؤاد الأول .

سدانة الكعبة ومفتاحها — سدانة الكعبة خدمتها والقيام بشأنها وفتح بابها وإغلاقه ، وكانت أولا فى حى طسم قبيلة من عاد فلما آستخفوا بالكعبة وحرمتها أهلهم الله ، فوليت ذلك جرهم فسلکوا مسلك أسلافهم فأوردتهم الله مواردهم ثم وليت البيت خزاعة فساروا سيرة سابقهم ففرع الله ذلك من أيديهم الى قصى ، وذلك أن أبا غبشان آحر من ولى البيت من خزاعة آجتمع مع قصى فى شرب بالطائف فأسكره قصى واشترى مفاتيح الكعبة منه بزق خمر وأشهد عليه ودفعها لابنه عبد الدار وطير به الى مكة فأفاق أبو غبشان أندم من الكسعى ^(١) فضربت به الأمثال فى الحق والندم وخسارة الصفقة وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

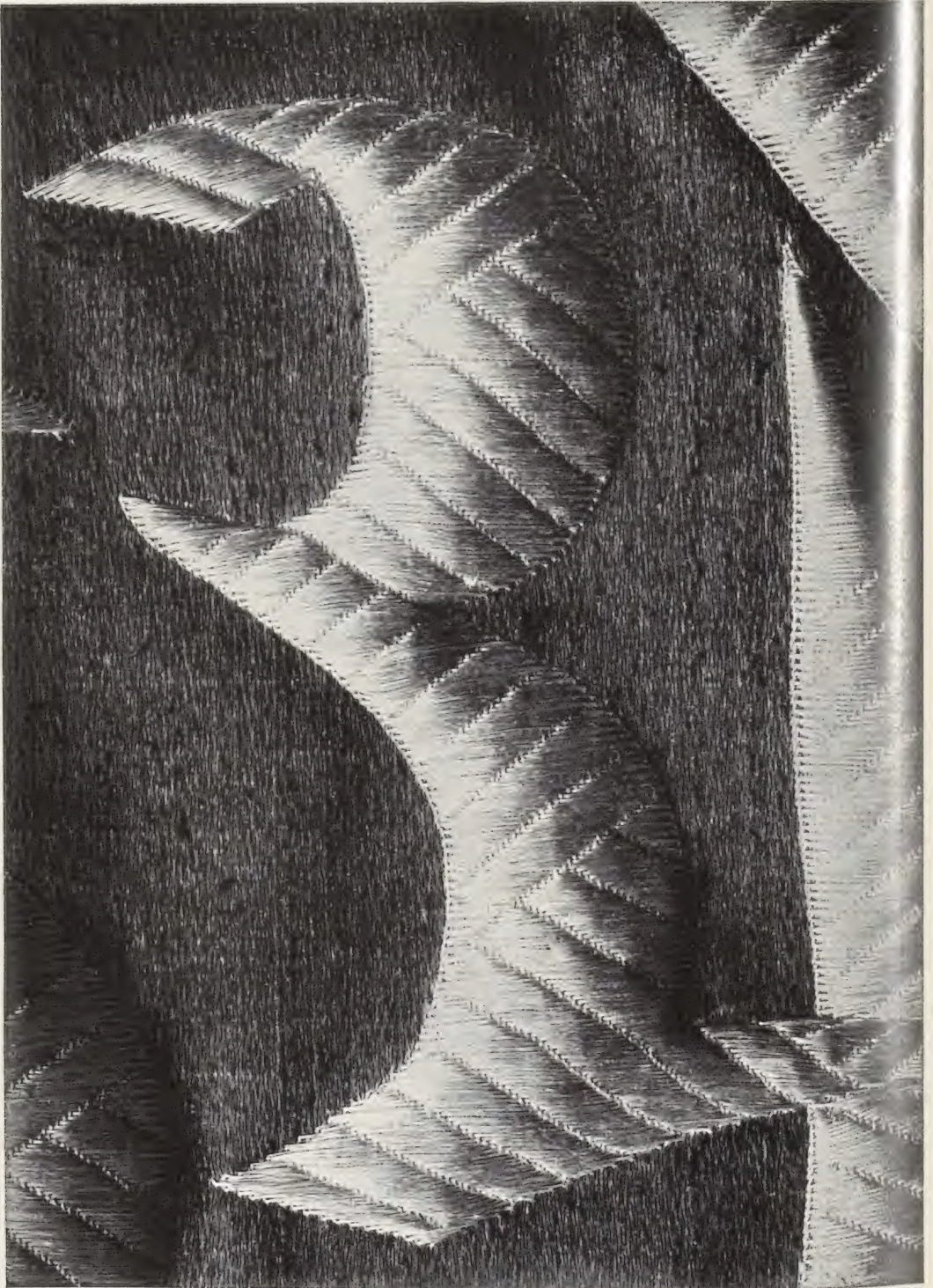
وبيعة كعبة الرحمن جمعا * بزق بأس مفتخر الفخور

(١) الكسعى الذى يضرب به المثل فى الندم هو عامد بن الحارث الكسعى الذى آتخذ قوسا وخمسة أسهم وكن فى مختبأ فر قطيع فرمى حمارا وحشيا منه فنقذ منه السهم وصدم الجبل فأورى نارا فظن أنه قد أخطأ فرمى ثانيا وثالثا الى آخرها وهو يظن خطأه فعمد الى قوسه فكسرها ثم بات فلما أصبح نظر فاذا الحجر مطرحة مصرعة وأسهمه بالدم مضرجه فندم فقطع إبهامه وأنشد

ندمت ندامة لو أنت نفسى * تطاوعنى إذا لقطعت خمسى

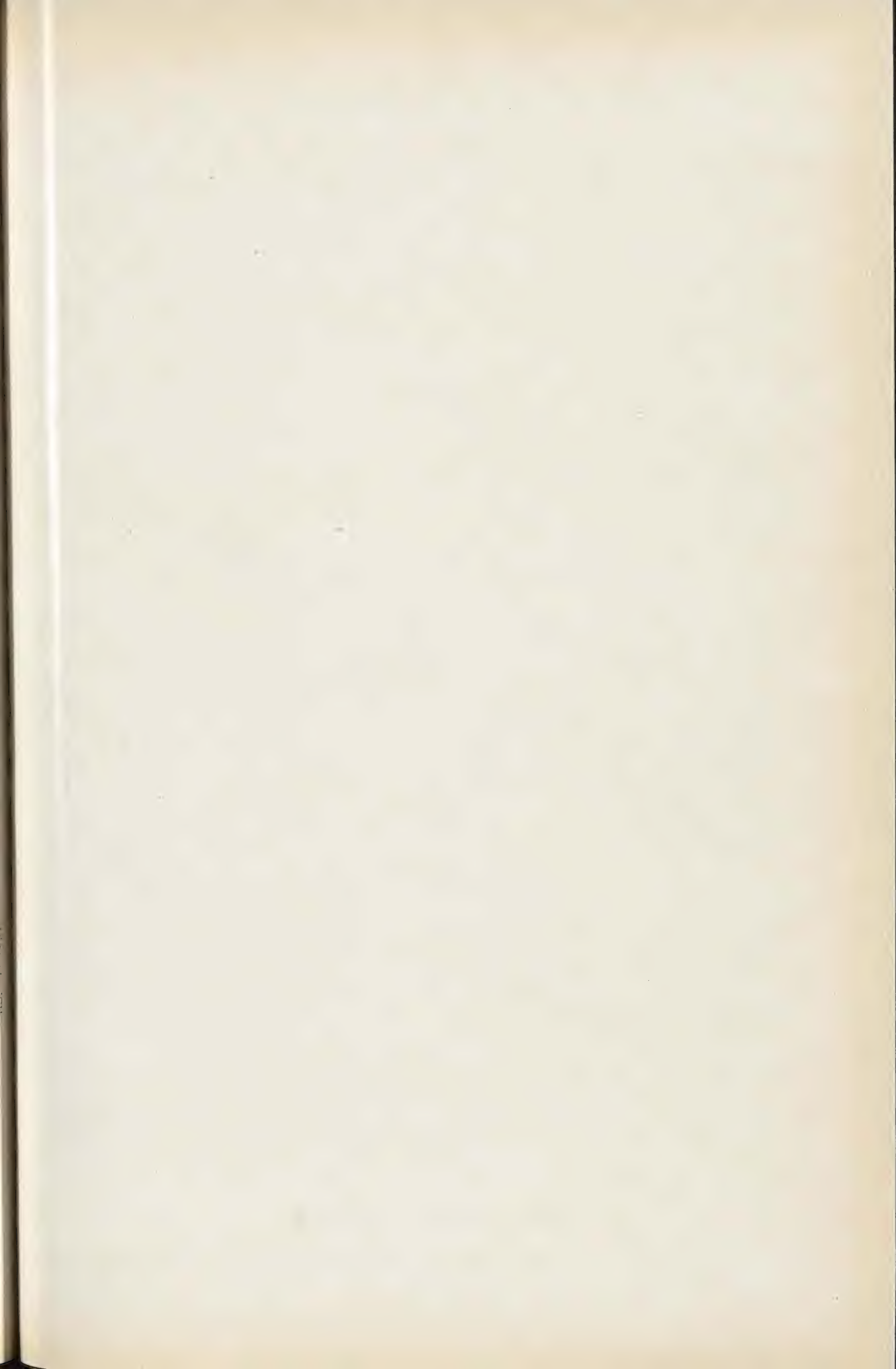
تبين لى سفاه الرأى منى * لعمر أبىك حين كسرت قوسى

س
(س)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَكَ شَاكِرِينَ

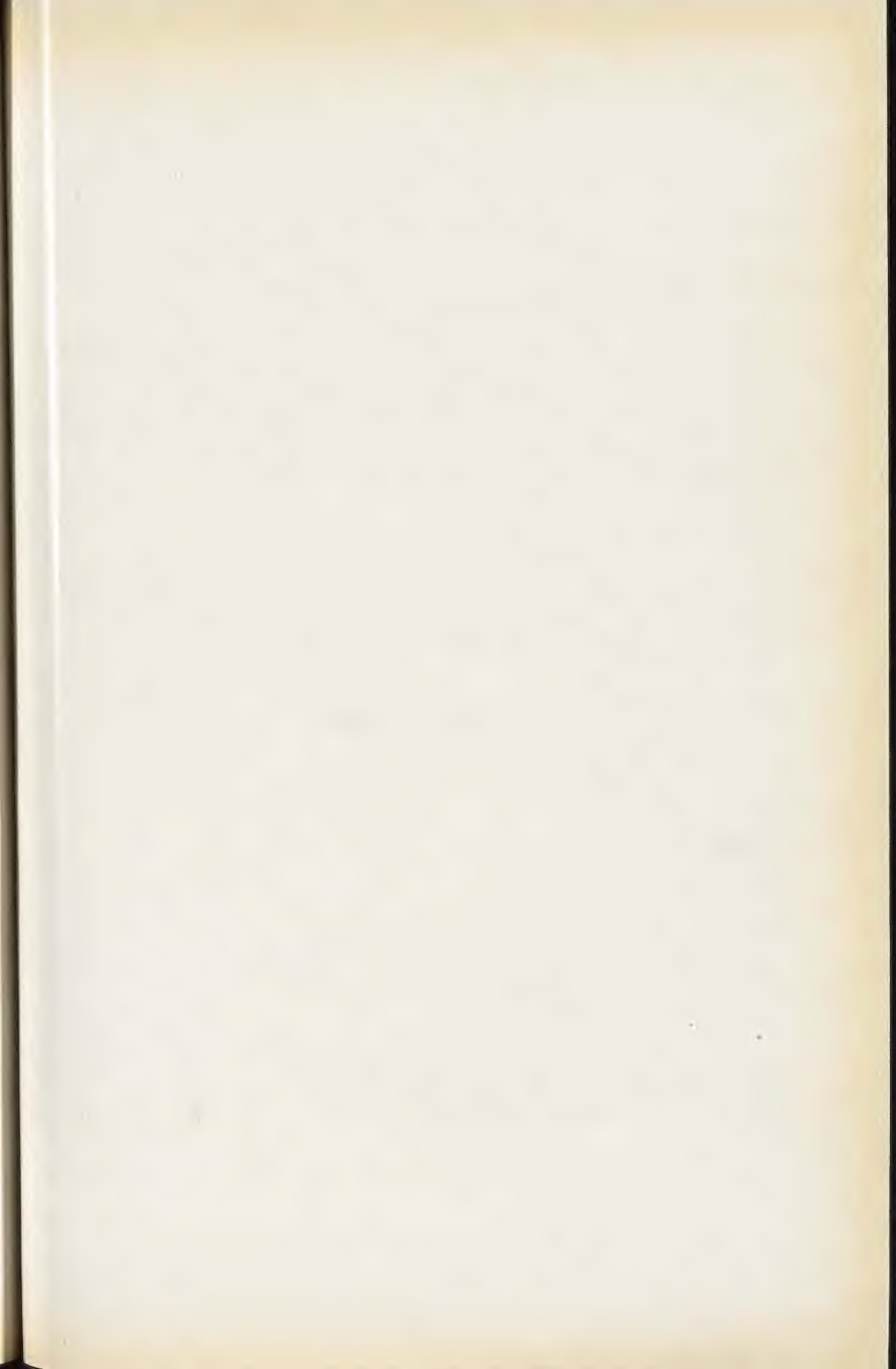
114. A copy of the letter (س) in the same size as what is written on the Belt of the Kaaba.



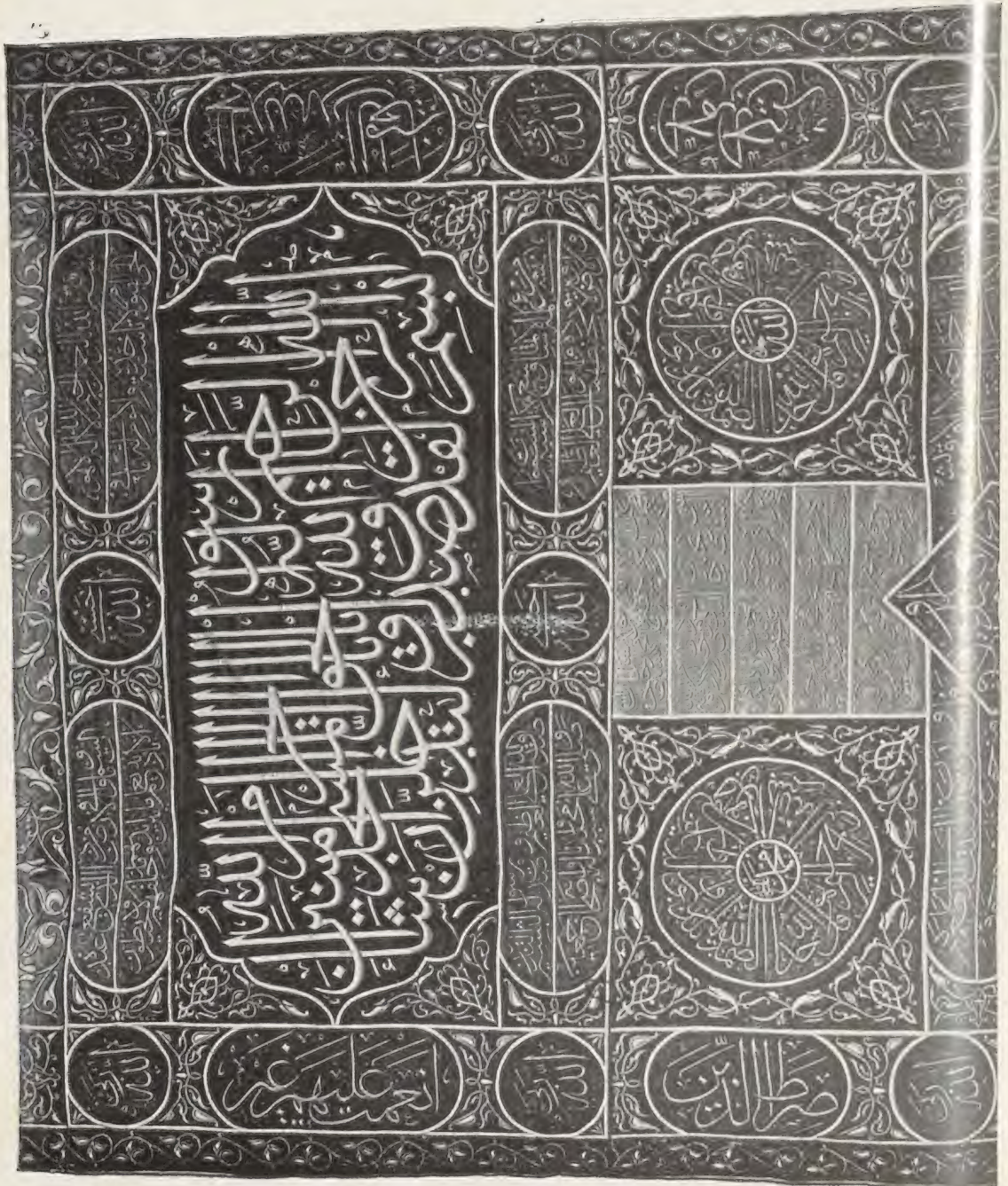
حرف (و)



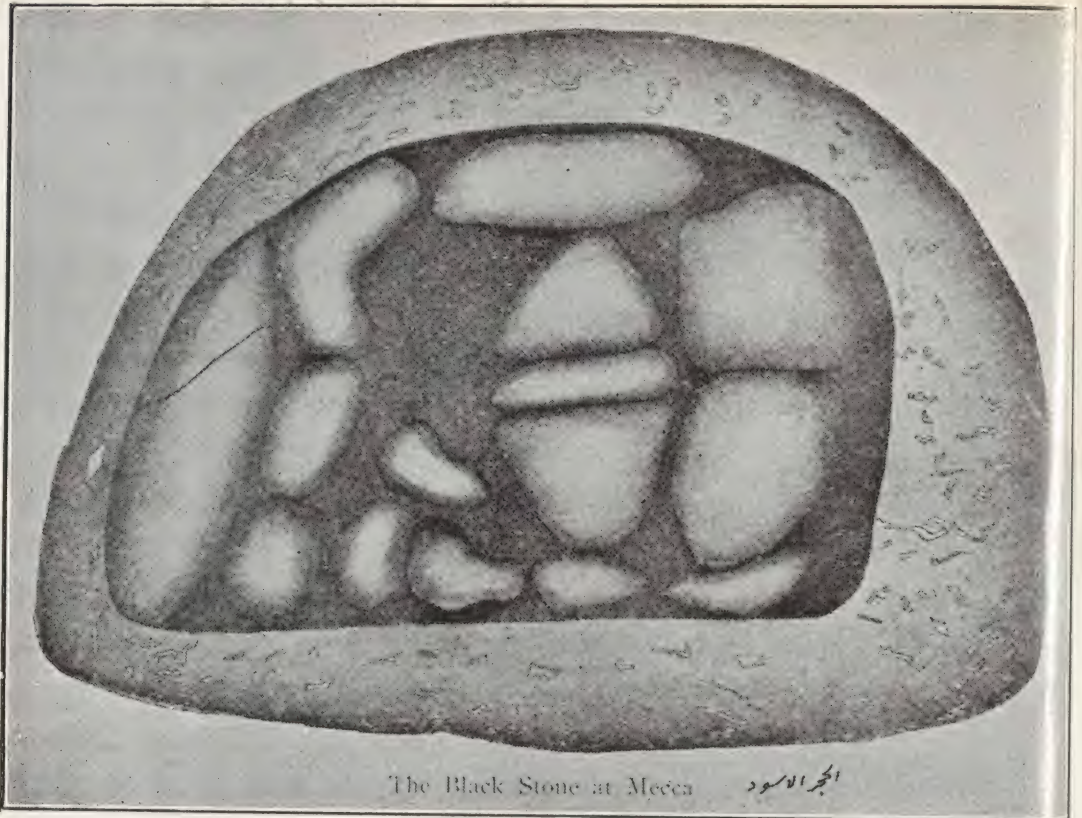
۱۱۵. A copy of the letter (و) in the same size as what is written on the Belt of the Kaaba



منظر ستارة الكعبة



116. The curtain before the door of the Kaaba.



جزء من كسوة الكعبة الشريفة





وقال آخر

أبو غبشان أظلم من قصي * وأظلم من بني بكر خزاعة
فلا تلحوا قصيا في شراها * ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وقال آخر :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت * بزق نحر فبئست صفقة البادي

وأخذ المفتاح بعد عبد الدار ولده عثمان ولم تزل السدانة في ذريته حتى انتقلت الى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، وقد مات عثمان ولم يعقب فصارت الى ابن عمه شيبه بن عثمان، ولا تزال في يد ولده الآن . وقد ردّ صلى الله عليه وسلم المفتاح الى عثمان بن طلحة بعد أن أخذه منه عمر، وقال : خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة الى يوم القيامة لا يترعها منكم إلا ظالم وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال : «هاكم المفتاح يا بني شيبه وكلاوا بالمعروف» قال العلماء هذه ولاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لأحد أن يترعها منهم . قال المحب الطبري : هذا إن حافظوا على حرمة البيت فإن استخفوا بها فلا خطر في أن يقام عليهم مشرف يمنعهم من الظلم .

وقد حدث في سنة ٩٩٦ هـ . ثلاث بقين من رمضان أن فتح الشيخ عبد الواحد الشيبى الكعبة لزيارة النساء جريا على العادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة ، وكان مصفحا بالذهب فحصلت ضجة وأغلقت أبواب المسجد وقتش الناس فلم يظفروا به ثم وجده سنان باشا باليمن مع رجل أعجمى بلغه أنه عنده فكبس داره فاذا بالمفتاح فيها مع مسروقات أخرى أعترف بها ، بغز رأسه ورد المفتاح الى الشيخ عبد الواحد .

وقد جرت العادة من زمن مديد أن يصنع مع الكسوة كيس لمفتاح الكعبة يحفظ فيه عند أكبر بنى شيبه ، أنظر في الرسم ٢ هذا الكيس ، وقد نقش في إحدى جهتيه ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ وفوق ذلك وتحتة أمر بعمل هذا الكيس المبارك مولانا السلطان محمد الخامس ، وفي الجهة الأخرى في الوسط قوله تعالى ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وفوق ذلك وتحتة جدّد هذا الكيس أفندينا عباس حلمي باشا خديو مصر سنة ١٣٢٧ هـ .

تطيب الكعبة — روى الأزرق عن عائشة رضى الله عنها قالت : طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره وقالت : لأن أطيب الكعبة أحب الىّ من أن أهدي لها ذهباً وفضة ، وقد أجرى معاوية بن أبي سفيان للكعبة وظيفة الطيب لكل صلاة وكان يبعثه في رجب كما أخدمها عبيدا ، ثم اتبع الولاة بعده سنته . وكان عبد الله ابن الزبير يجرها كل يوم برطل من المحجر — بضم ميم الأولى وكسر الثانية وبوزن عنبر وهو العود الرطب — وفي يوم الجمعة برطين . وجرت العادة بأن يرسل مع الكسوة كل سنة «غلايتان» من النحاس مملوءتان بماء الورد النقي ليغسل به الكعبة .

صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة — روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فنزل بفناء الكعبة وبعث الى عثمان بن طلحة بجاء بالمفتاح ففتح له الباب ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وعثمان بن طلحة وأسامة وبلال ، فلما خرجوا ابتدرهم الناس فقلت لبلال أصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت ؟ قال : نعم ! قلت : أين ؟ قال : بين العمودين المقدمين تلقاء وجهه ، وفي رواية للشيخين عن ابن عمر : فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعل عمودا عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ ستة

أعمدة ثم صلى ؛ وروى البخارى أيضا عن ابن عمر أنه كان اذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حتى يدخل ويجعل الباب قبل الظهر يمشى حتى يكون بينه وبين الجدار الذى قبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع فيصلى يتوحن المكان الذى أخبره بلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه وليس على أحد بأس أن يصلى فى أى نواحى البيت شاء . وكان ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دخلته هذه ركعتين كما رواه كثير من الصحابة . وروى النسائى ومسلم عن أسامة بن زيد وابن سعد فى كتاب الطبقات ، وأحمد فى مسنده ، والطبرانى فى معجمه عن الفضل بن العباس والشيخان والنسائى عن ابن عباس أن ثلاثهم قالوا : لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم فى الكعبة وإنما دعا فيها وصلى ركعتين خارجها عند بابها . وقد رجح التقي الفاسى فى كلام طويل جميل رواية الإثبات على رواية النفى وذكر كثيرا من المسالك التى سلكها العلماء فى الجمع بين هاتين الروايتين المتنافيتين وتقدها فارجع إليها إن شئت . وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد هجرته أربع مرات فى يوم الفتح وفى اليوم التالى له وفى حجة الوداع وفى عمرة القضية ، وكل هذه الدخالات فيها خلاف إلا دخلته يوم الفتح فليس فيها خلاف ، وإنما اختلفوا فيها هل صلى داخل الكعبة أو خارجها . وقد استحب جمهور العلماء الصلاة فيها لما ثبت عندهم من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، ومنع ذلك طائفة من العلماء منهم ابن عباس ومحمد بن جرير واصبغ المالكى وبعض أهل الظاهر قالوا لا تصح فيها صلاة أبدا ، لا فريضة ولا نافلة ومذهب مالك صحة النفل غير المؤكد فيها . وأما الفرض فالمشهور من مذهبه عدم صحته فيها ، وقيل : يجوز ومثل الفرض النوافل المؤكدة ، والأصح عند الحنابلة صحة النفل فيها وعدم صحة الفرض . ومذهب أبى حنيفة والشافعى صحة الفرض والنفل فيها . ويصلى المرء الى أى جهاتها شاء .

الحجر الأسود — قدّمنا لك وصفه والآن نذكر لك شيئا من أخباره وما ورد

من الأحاديث فى شأنه وتراه فى (الرسم نمرة ١١٨) .

(١) تاريخه — روى الأزرق عن ابن عباس . أن الله تعالى أنزله مع آدم عليه السلام ليستأنس به ، وروى ابن إسحاق : أن الله أودعه جبل أبي قبيس وقت طوفان نوح وأنه لما بنى الخليل البيت جاءه جبريل بالحجر الأسود فوضعه الخليل موضعه من البيت ، ولما أكره بنو بكر بن عبد مناة وغهشان بن خزاعة جرهما على الرحيل من مكة دفن عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي الحجر في زمزم وأنطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ثم أخرج من زمزم ووضع مكانه ولما احترقت الكعبة في عهد ابن الزبير تصدع الحجر فكان ثلاث فرق واشتدت منه شظية كانت عند بعض آل بني شيبه وقد شده ابن الزبير بالفضة ماعدا الشظية ثم تزلزلت الفضة حول الحجر وخيف عليه أن ينقض ، فلما أعتمر هارون الرشيد في سنة ١٨٩ هـ . أمر بالحجارة التي بينها الحجر فتقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغ فيها الفضة ، ولما وافي مكة عدو الله أبو طاهر القرمطي في سابع ذي الحجة سنة ٢١٩ هـ . بجيشه الجرار أعمل سيفه في الطائمين والمصلين وفي مكة وشعابها وقتل هو وجيشه ما يربو على ثلاثين ألفا (عن كتاب الخميس) دفن كثيرا منهم في بئر زمزم وفي المسجد الحرام بغير غسل ولا تكفين ولا صلاة ونهبوا أموال الحجيج وأهل مكة ، وركض أبو طاهر وهو سكران شاهر سيفه راكب فرسه ودخل المطاف فبات فرسه وراثت وطلع إلى باب الكعبة وهو يقول :

أنا بالله وبالله أنا * يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وقد أقام بمكة أحد عشر يوما ، وفي ١٤ ذي الحجة قلع الحجر الأسود من مكانه وذهب به إلى بلاد هجر وبقى موضعه خاليا يضع الناس فيه أيديهم للتبرك ، وفي يوم النحر من سنة ٣٣٩ هـ . وافي بالحجر سنبر بن الحسن القرمطي وقد شده بالفضة من شقوق حدث فيه بعد قلعه ، ووضع بيده في مكانه وشده الصانع بجص أحضره معه سنبر وقال : أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله ، وكان وضع الحجر قبل حضور الناس من منى فكانت مدة بقاءه بيد القرامطة اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام ، وقد بذل مدبر الخلافة ببغداد للقرامطة خمسين ألف دينار ليردوا الحجر

الى موضعه فأبوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده إلا بأمر . وكان مما فعلوا أن قلعوا
باب الكعبة وأخذوا كسوته ^(١) .

(١) في خلافة المعتمد العباسي (سنة ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) ظهر شخص بسواد الكوفة يقال له :
قرمط دعا أهل السواد والبادية ممن ليس لهم عقل ولا دين الى مذهبه فأجابوه وكان ما دعاهم اليه أنه جاء
بكتاب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) يقول الفرج بن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة إنه داعية المسيح
وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وأن المسيح تصوّر في جسم إنسان
وقال : إنك الداعية وإنك الحجة وإنك النافقة وإنك الدابة وإنك يحيى بن زكريا وإنك روح القدس ،
وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة
أن يقول المؤذن : الله أكبر ثلاث مرات أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن آدم رسول الله أشهد أن
نوحا رسول الله أشهد أن إبراهيم رسول الله أشهد أن عيسى رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن
أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله وأن القبلة الى بيت المقدس وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيها شيء
ويقرأ في كل ركعة الاستفتاح وهو المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية وهو الحمد لله بكلماته وتعالى باسمه
المنجد لأوليائه وأوليائه قل : إن الأهله مواقيت للناس ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ،
وباطنها لأوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي وآتقوني يا أولى الأبواب وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم
الحليم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي فمن صبر على محنتي وبلاني واختباري أدخلته في جنتي وأخلدته
نعمي ، ومن زل عن أمري وكذب رسلي أدخلته به مهانا في عذابي وأتممت أجلي وأظهرت أمري على السنة
رسلي وأنا الذي لم يعل جبار إلا وضعته ولا عزيز إلا أذلته وبئس الذي أجبر على أمره ودام على جهالته
وقال لن يبرح عليه عاكفين وبه موقنين أولئك هم الكافرون ثم يركع ، ومن شرائعه أن يصام يومان في السنة
وهما المهرجان والنيروز وأن النبيذ حرام والخمر حلال ولا غسل من جنابة ، لكن الوضوء كوضوء الصلاة وأن
يؤكل كل ذي ناب وكل ذي مخالب . اهـ .

ومن القرامطة علي بن الفضل القرمطي ظهر بصنعاء اليمن في سنة ٢٩٣ هـ . وأرتكب المخزورات
وأحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات . وكان عنوان كتابه من باسط الأرض وداحيا
ومزائل الجبال ومرسها علي بن الفضل الى عبده فلان وكان يؤذن في مجلسه أشهد أن علي بن الفضل
رسول الله وكان ينشد على المنبر بصنعاء

خذى الدف يا هذه وأضربي * وغنى هذا ذيك ثم اطرني
تولى نبي بنى هاشم * وهذا نبي بنى يعرب
أحل البنات مع الأمهات * ومن فضله زاد حل الصبي
وقد حط عنا فروض الصلاة * وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلوا فلا تنهض * وأن أمسكوا فكلوا وأشربوا
ولا تغلبي السعي عند الصفا * ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنع نفسك الناكين * من الأقربين أو الأجنبي
فلم ذا حلت لهذا الغريب * وصرت محرمة للأب

وفي سنة ٣٤٠ هـ . قلع الحجة الحجر ووضعوه في الكعبة خوفا عليه وجعل له طوق من فضة ويقال : إنه كان عليه من الفضة ٣٠٩٧,٥ درهم ثم رد الى مكانه .
وفي سنة ٤١٣ هـ . يوم النفر الأول ضرب رجل الحجر ثلاث ضربات بدبوس فانخدش وجهه وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار وتشقق ، فجمع بنو شيبه الشظايا وعجنوها بالمسك واللك وملأوا الشقوق وطلوها بطلاء .

وقد أخذ أمير مكة داود بن عيسى الحسنى طوق الحجر الأسود قبيل عزله عن مكة سنة ٥٨٥ هـ . وفي سنة ٧٨١ هـ . قلع الحجر من موطنه وحلى من حلية أرسلها الأمير سودون باشا .

(٢) استلام الحجر الأسود وتقبيله — روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه سئل عن استلام الحجر فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، وكذلك روى عن جابر وعمر وغيرهما ، وفي سنن الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد على الحجر ، وفي سنن البيهقي عنه أيضا قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبله وسجد عليه ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا ، وفي مسند الشافعى عن ابن عباس أنه قبل الركن — الحجر الأسود — وسجد عليه ثلاث مرات ، ولم ير الامام مالك السجود عليه وقال : أنه بدعة وخالفه الجمهور في ذلك ، وأخرج الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يزاحم على الركنين — الحجر والركن ايمانى — فقبل له في ذلك ، فقال : إن أفعل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن مسحهما كفارة للخطايا ، وأخرج أحمد بن حنبل وابن حبان في صحيحه

= أليس الفراش لمن ربه * وأسقاء في الزمن المجذب

وما الخمر إلا كماء السماء * حلال فقدست من مذهب

وهى قصيدة طويلة حلل فيها سائر المحرمات — لعنه الله — وقد هلك مفسودا مسموما في سنة ٣٠٣ هـ . ومدة محنته وكفره ١٩ سنة ، وقد قويت شوكة القرامطة وأمتد سلطانهم وعلا ظلمهم فهتكوا حرمة الله ونهبوا قوافل الحجاج وقتلوا النساء والأطفال ، وكان منهم أبو طاهر القرمطى صاحب حادثة الحجر الأسود .

عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا خطا . وروى سعيد بن منصور عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لامرأة لا تراحمي على الحجر إن رأيت خلوة فاستلمى وإن رأيت زحاما فكبهرى وهلى إذا حاذيت ولا تؤذى أحدا ، وفي البخارى عن عائشة ما يقتضى ترك استلام الحجر للنساء وهو محمول على ما إذا حضر الرجال كما دل عليه الحديث السابق .

وأخرج الستة البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى ومالك عن عابس ابن ربيعة قال : رأيت عمر رضى الله عنه يقبل الحجر ويقول : إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ، وزاد مسلم والنسائى فى رواية ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بك حفيا ولم يذكر يقبلك ، والحفى المبالغ فى الاكرام والعناية من الحفاوة .

الخطيم والحجر — الخطيم يطاق الآن على الجدار المطيف بالحجر وبذلك قال ابن عباس ، وقيل : أن الخطيم ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسماعيل أى البقعة المحصورة بين الكعبة والحجر غربا والمقام وزمزم شرقا ، وهذا ما حكاه الأزرقي عن ابن جريج ، وفى كتب الحنفية أن الخطيم المكان الذى فيه الميزاب وذلك أليق بالاشتقاق لأن ذلك المكان حطم من الكعبة وفصل منها والأكثرون على القول الثانى .

والحجر ما أطاف به الخطيم — الجدار — وقد ذكر الأزرقي : أن إبراهيم عليه السلام جعل الحجر الى جنب البيت عريشا من أراك يقتحمه العنز وكان زربا لغنم إسماعيل وقد تقدم أن قريشا أدخلت فى الحجر أذرعا من الكعبة حين بنتها لما قصرت عليهم النفقة الحلال التى أعدوها لعارة الكعبة عن إدخال ذلك فيها ، وأن ابن الزبير أدخل ذلك فى الكعبة حين عمرها ، وأن الحجاج أخرجه منها واستمر ذلك ليومنا ، وعلى ذلك فبعض الحجر من الكعبة وبعضه ليس منها ، ويدل لذلك ما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ! أولا أن قومك حديثى عهد بشرك لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض ولعلت

لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشا استقصرتها حيث بنت الكعبة ، وفي رواية فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهلمى لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع ، وفي مسلم عن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت من الحجر خمسة أذرع ، وذكر عطاء أن ابن الزبير زاد فى البيت خمسة أذرع من الحجر ، وأنه بدا له أساس نظر اليه الناس فبنى عليه ، وأما ما رواه الشيخان من حديث عائشة قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجر أمن البيت؟ قال : نعم ! قلت : فما لهم لم يدخلوه فى البيت؟ قال : إن قومك قصرتم بهم النفقة الخ ، فلا يعارض ما ذكرنا من أن بعضه من البيت لأن حديث عائشة هذا مطلق وأحاديثها السابقة مقيدة ، والمطلق يحمل على المقيد ، وقد اختلف الفقهاء هل يصح الطواف من الحجر بعد السبعة الأذرع من البيت أم لا يصح الطواف إلا من وراء الحطيم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم قال كثيرون بالأول وقال آخرون بالثانى .

ونذكر لك طرفا من عمارة الحجر فنقول : لما حج المنصور العباسى سنة ١٤٠ هـ . دعا زياد بن عبيد الله الحارثى أمير مكة وقال له : إني رأيت الحجر بادية حجارته فلا أصبحن حتى يستر جداره بالرخام فدعا زياد بالعمال فرحموه ليلا على ضوء المصابيح ، ثم جدد المهدي رخامه سنة ١٦١ هـ . ولم يزل به حتى رث فقلع وألبس رخاما جميلا فى عهد المتوكل العباسى سنة ٢٤١ هـ . وعمر الحجر المعتضد العباسى سنة ٢٨٣ هـ . والوزير جمال الدين المعروف بالجواد فى العقد الخامس بعد ٥٠٠ هـ . وعمر قبله أيضا وفى زمن الناصر العباسى سنة ٥٧٦ هـ . وعمره المستنصر العباسى والملك المظفر صاحب اليمن ، والملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٠ هـ . والأشرف شعبان سنة ٧٨١ هـ . وذلك بأمر الأميرين بركة وبرقوق مدبرى دولته ، وعمره أيضا الظاهر برقوق سنة ٨٠١ هـ . — المكتوب على الحجر من الجهة الغربية تاريخ ٧٨٠ — وثبت كثير من رخام الحجر بالجلبس فى سنة ٨٢٢ هـ . وأصلح قسم كبير

من رخام الجدار وأرض الحجر سنة ٨٢٦ هـ . وذلك بأمر الأمير زين الدين مقبل
القديري ، وعمره السلطان جقمق سنة ٨٤٣ هـ . وقايتباى سنة ٨٨٠ هـ . والسلطان
سليمان سنة ٩٤٠ هـ . والسلطان محمد خان سنة ١٠٧٣ هـ .

وقد تقدّم لك وصف الحجر الآن ومقاسه فى ص ٢٦٦ ونزيد على ذلك أن فيه
رخامة خضراء تحت الميزاب يقال إنها موضع قبر إسماعيل عليه السلام والناس
يتحرون هذه الرخامة للصلاة عندها ، مع أن الصلاة الى القبور أو عليها منهى عنها .
وفى الحديث الصحيح « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »
وأكثر المؤرّخين على أنه مدفون بالحجر ويؤيد ذلك قول ضرار بن الخطاب :

لم يحظ بالحجر فيما قد مضى أحد * من البرية لا عرب ولا عجم
بعد ابن هاجر إن الله فضله * إلا زهير له التفضيل والكرم
يعنى زهير بن الحارث بن أسد .

ومما رأيت مكتوبا على حائط الحجر من الجهة الغربية توارىخ لمحمد بن قلاوون
ولبرقوق ولجقمق ولقايتباى هى التى قدّمناها لك . ومكتوب على الحجر قبالة الميزاب
من الأعلى :

نعم المطاف ترابه * فى عين أرمدا^(١) إثمدا
ويطوفه بالليل والـ * أسبحار قوم هجد
الله بارك فرشه * مع من بناه يخلد
زان المطاف بمرمر * ملك الأنام محمد

ثم تاريخ للسلطان سليمان سنة ٩٤٠ هـ . وبعده

لا سيما من نسلهم * سلطاننا المستمجد
بزال صارم سيفه * للظى^(٢) الصلال محمد

(١) الارمد : المريض بالرمد ، والإثمدا : الكحل .

(٢) هكذا فى الحجر .

الله خلد ماله * والعدل فيه مؤيد

كالبدري شرق نوره * إذ جنّ ليل أسود

وتاريخ للسلطان محمد خان سنة ١٠٧٣ هـ . وفي أول حائط الحجر في الأعلى من

الجهة الشرقية :

الحمد لله الذي * جعل المطاف منورا

بضيا جبينه زين^(١) * كالشمس أضحى^(٢)

الحج في الجاهلية وما يتبعه

من زمن مديد والعرب في جاهليتها تخرج الى البيت الحرام وكانوا على دينين حلة وحس ، فالحمس قریش ومن والاها من كنانة وخزاعة والأوس والخزرج وقضاعة وجديلة وغطفان وعدوان وغيرهم من قبائل العرب سمو بذلك لتحمسهم في دينهم ، والحماسة : الشجاعة ، والأحمس : الشجاع أولأنهم احتموا بالحمساء وهي الكعبة ، وكانت قریش إذا زوّجت عربيا من بناتهم شرطوا عليه أن كل من ولدت منه فهو أحمسى على دينهم يرون أن ذلك أحفظ لشرفهم وأبسط لسلطانهم ، وكانت لهم في العرب ميزة لم تكن لغيرهم ومنشأ ذلك فضل فيهم وكمال في أخلاقهم ، فقد كانوا حلفاء متآلفين وبكثير من شريعة إبراهيم متمسكين ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولا يزينه أدب ، وكانوا ينجثون أولادهم ويحجون البيت و يقيمون المناسك ويكفنون موتاهم ويغتسلون من الجنابة وتبرءوا من^(٢) الهرطقة وتباعدوا في المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت غيره وبعدا من المجوسية ، ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم وكانوا يترّجون بالصدّاق والشهود ويطلقون ثلاثا ، ولذلك قال عبد الله بن عباس وقد سأله رجل عن طلاق العرب فقال : كان الرجل يطلق امرأته تطليقة ثم هو أحق بها فان طلقها ثنتين فهو أحق بها أيضا فان طلقها ثلاثا فلا سبيل له اليها ولذلك قال الأعشى :

(١) هكذا في الحجر . (٢) الهرطقة سيردون الخيب .

أيا جارتى بنى فانك طالقہ * كذلك أمور الناس غاد وطارقه
 وبنى فقد فارقت غير ذميمة * وموموقة منا كما أنت وامقه^(١)
 وبنى فان البين خير من العصا * وأن لا ترى لى فوق رأسك بارقه
 وكان من عادة الحمس اذا أحرما أن لا يأثقطوا الأقط^(٢) ولا يأكلوا السمن
 ولا يسلوه — لا يطبخوه ولا يعالجوه — ولا يخضوا اللبن ولا يأكلوا الزبد ولا يلبسوا
 البر ولا الشعر ولا يغزلوه أو ينسجوه أو يستظلوا به ما داموا حرما، وما كانوا كذلك
 يأكلون شيئا من نبات الحرم ، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ولا يخفرون فيها الذمة
 ولا يظلمون ، وكانوا يطوفون بالبيت عليهم لباسهم ، وكانوا اذا أحرم الرجل منهم
 فى الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل البيوت نقب نقبا فى ظهر بيته فنه يدخل
 ومنه يخرج ، وما زالوا كذلك حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فأحرم عام
 الحديبية ، فدخل بيته وكان معه رجل من الأنصار فوقف الأنصارى بالباب فقال له
 ألا تدخل ؟ فقال الأنصارى : إني أحسنى يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأنا أحسنى دينى ودينك سواء ، فدخل الأنصارى مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من الباب ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تأتوا البيوت من
 ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وآتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ وقال
 الحمس لأنفسهم : لا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن فعلتم ذلك
 استخفت العرب بحرمكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم
 فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها وجعلوا موقفهم بطرف الحرم من جهة نمرة
 يظنون به عشية عرفة ويفيضون منه الى المزدلفة ، فاذا عمت الشمس رعوس
 الجبال وقفوا وكانوا يقولون : نحن أهل الحرم لا نخرج من الحرم ونحن الحمس ،
 فعلوا ذلك وأقروا سائر العرب على الوقوف بعرفة والإفاضة منها وتلك شريعة إبراهيم
 يعرفونها حق المعرفة ولكن ترفعهم ومغالاتهم تنكب بهم عن سبيلها ، فشرعوا لهم من

(١) ومقه : أحبه . (٢) طعام يتخذ من الخيض الفتحى يطبخ ثم يترك حتى يوصل أى يخرج

مائه ، والاقط مثله ويحرك ككتف ورجل وإبل .

الدين ما لم يأذن به الله ، ومنشأ ذلك الغلو أن الله تعالى لما أهلك أبرهة الحبشي صاحب الفيل وسلط عليه الطير الأبايل (الجماعات) عظمت جميع العرب قريشا وأهل مكة ، وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم فازدادوا في تعظيم الحرم والمشاعر الحرام والشهر الحرام ووقروها ، ورأوا أن دينهم خير الأديان وأحبها الى الله تعالى ، وقالت قريش وأهل مكة : نحن أهل الله وبنو إبراهيم خليل الله وولاية البيت الحرام وسكان حرمه وقطانه فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف العرب لأحد مثل ما تعرف لنا ، فابتدعوا عند ذلك أحداثا في دينهم أداروها بينهم فكان منها ما تقدم . ومنها أنهم ما كانوا يميزون لأحد من الحلة — من ليسوا بحمس — أن يطوف بالبيت أول طوافه إلا اذا لبس ثوبا أحسياه يشتريه أو يستأجره أو يستعيره فاذا ما أتى الواحد منهم باب المسجد رجلا كان أو امرأة قال : من يعير مصونا من يعير ثوبا الخ فان وفق لثوب أحسياه لبسه وطاف به وإن لم يوفق ألقى ثيابه بباب المسجد من الخارج ثم دخل للطواف عريانا فيبدأ بأساف — صم — ليستلمه ثم يستلم الركن الأسود ثم يأخذ عن يمينه ويطوف جاعلا الكعبة عن يمينه فاذا ختم طوافه سبعا استلم الركن ثم استلم نائلة — صم — فيختم بها طوافه ثم يخرج فيجد ثيابه كما تركها لم تمس فيأخذها ويلبسها ولا يعود بعد ذلك الى الطواف عريانا ، وكان بعض النساء يلبسن درعا مفرج المقاديم والمآخير ومنهن من تتخذ سيورا تعلقها في حقوتها^(١) وتستتر بها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وكانت العادة أن يطوف العراة من الرجال نهارا ومن النساء ليلا وكان ، من له فضل ثياب من الحلة ولم يجد ثوبا أحسياه يطوف فيه طاف في ثيابه التي قدم بها من الحل ، فاذا ما أتم طوافه نزعها فجعلها لقا يطرح بين أساف ونائلة فلا يمسها أحد ولا يتنفع بها حتى تبلى من وطء الأقدام والشمس والرياح والمطر ، قال ورقة بن نوفل يذكر اللقا

(١) الحقوة : معقد الازار .

كفى حزنا كرسى عليه كأنه * لقا بين أيدي الطائفين حريم

وكان من خبر الطواف عريا أنه جاءت امرأة يوما وكانت ذات هيمة وجمال
فطلبت ثيابا فلم تجد وتحنم عليها الطواف عريانة فتزعت ثيابها بباب المسجد ثم دخلت
عريانة قد وضعت يديها على فرجها وجعلت تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

أختم^(١) مثل القعب بادظله^(٢) * كأن^(٣) حمى خير تملة

فجعل فتيان مكة ينظرون إليها وتزوجت في قریش، وجاءت امرأة أخرى تطوف
عريانة وكان عليها مسحة الجمال فرآها رجل فأعجبته فدخل الطواف وطاف في جنبها
لأن يمسها فأدنى عضده من عضدها فالتقيا فخرجا من المسجد من ناحية بنى سهم
عارين على وجوههما فزعين لما أصابهم من العقوبة، فلقيهما شيخ من قریش
خارجا من المسجد فسألها عن شأنهما فأخبراه بقصيتيهما فأفتاهما أن يعودا إلى المكان
الذي أصابهما فيه ما أصابهما ويدعوا الله سبحانه مخلصين عازمين على ترك العود
فرجعا ودعوا وأخلصا فآفترقت أعضاءهما وذهب كل إلى ناحية .

عادة سيئة وبدعة شنيعة أبى الاسلام إلا هدمها والقضاء عليها، فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع على بن أبي طالب إلى أبي بكر أمير الحج ليؤذن
في الناس بأربع : لا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع
مسلم ومشرک في الحرم بعد عامهم هذا، ومن كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم
عهد فعده إلى مدته ومن لم يكن له عهد فعهدته أربعة أشهر، وذلك ما جاء
في الآيات من سورة الاعراف وسورة التوبة ففي الأولى ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم
— ثيابكم — عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل
من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة
الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ وفي الثانية ﴿براءة من

(١) عريض . (٢) القدح الضخم . (٣) تعرقه، والملال والملة : عرق الحمى .

الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر وأعلموا انكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين — الى أن يقول — إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴿ وفيها ﴾ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ﴿ وقال في سورة المائدة ﴾ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار ﴿ .

وكان من عادة أهل الجاهلية أن يدخلوا الكعبة لابسى أحذيتهم حتى سنّ لهم الوليد بن المغيرة خلع الخف والنعل إذا ما دخلوا فاستن العرب بسنته إعظاما للكعبة وإجلالا . وكان من عادتهم أيضا إذا اقترب موسم الحج أن يخرج مريدوه الذين يرجون اليه تجارة من ديارهم الى عكاظ فيوافوه مستهل ذى القعدة وقيموا فيه عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم وتتفق سلعهم وتتناز كل قبيلة الى منزل أعدوه للقرى فأقاموا عليه الرايات واستدعوا اليه الأضياف يستقبلهم القادة منهم والأشراف فيترلونهم أهلا وسهلا ومرعى خصبا ، وتختلط القبائل بعضها ببعض في بطن السوق متناشدين ومتبايعين ، فاذا ما مضت العشرون انصرفوا الى مجنّة فأقاموا بها عشرة أسواقهم فيها قائمة وتجارهم رائجة ، فاذا رأوا هلال ذى الحجة انصرفوا الى ذى المجاز فأقاموا به ثمان ليل يروجون فيها البضاعة ثم يخرجون من ذى المجاز الى عرفة يوم

- (١) سوق على طريق الصنعاء وراء قرن المنازل بمحلة وهي سوق لقيس بن عيلان وثقيف وأرضها لنصر . (٢) سوق بأسفل مكة على بريد منها وهي سوق لكثانة وأرضها أرض كثانة وهي التي يقول فيها بلال :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة * بفخ وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنّة * وهل يبدون شامة وطفيل

وشامة وطفيل : جبالان مشرفان على مجنّة . (٣) سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة على

فرتخ من عرفة .

التروية ، وسموه بذلك لأنه ينادى بعضهم بعضا بذى المجاز أن ترووا من الماء لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة ، وكان يحضر هذه المواسم من يتنحى مع الحج التجارة ، أما من أراد فحسب فيخرج متى شاء . وكان أهل مكة يخرجون يوم التروية بعد أن يترووا من الماء فتنزل الحمس في طرف الحرم من نيرة يوم عرفة ، والحلة تقف بعرفة وكذلك كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بترك الحمس الى الحلة ، وكانوا لا يتبايعون يوم عرفة ولا أيام منى ، فلما أن جاءت الحنيفة أحلت ذلك قال تعالى ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ وكانت الحلة تفيض من عرفة يوم عرفة إذا طفلت الشمس للغروب والحمس يفيضون من نيرة في الوقت نفسه فيلتقون جميعا في المزدلفة ويبيتون بها حتى إذا طلع الفجر واختلط بياض النهار بظلام الليل وقف الجميع على قرح حتى تطلع الشمس على رءوس الجبال كأنها عمائم الرجال ، فيدفعوا من المزدلفة الى منى وكانوا يقولون أشرق شيركيا نغير وفي إفاضة الحمس نزل قوله تعالى ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ فجعلت الإفاضة للجميع من عرفة وخطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم عرفة فكان مما قال : وإنا لا ندفع من عرفة حتى تغرب الشمس ويحل فطر الصائم وندفع من مزدلفة غدا إن شاء الله قبل طلوع الشمس ، هدينا مخالف لهدى أهل الشرك والأوثان .

وكان أهل الجاهلية يرون أن من أجفر الفجور العمرة في أشهر الحج ويقولون إذا برأ ^(٢) الدبر وعفى ^(٣) الوبر ودخل صفر حلت العمرة لمن اعتمر ، يعنون دبر الإبل التي حجوا عليها ووبرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام : دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة ، واعتمر عمرة كلها في ذى القعدة عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة من الجعرانة .

وكانوا يعظمون الحرم والأشهر الحرم فلا يعدو بعضهم على بعض فيها ويلقى الرجل قاتل أخيه وأبيه فلا يتعرض له بسوء ، وكان الرجل إذا أحدث الحدث

(١) طفلت الشمس : تغير لونها . (٢) الدبر : جمع دبيرة وهي قرحة الدابة . (٣) عفى : كثر .

فقتل أو لطم أو ضرب اتخذ من لحا شجر الحرم قلادة لعنقه وقال : أنا ضرورة فلا يقتص منه ، وقد أبطل الاسلام ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ضرورة في الإسلام وإن من أحدث حدثا أخذ بحديثه .

والذى سنّ لهم تلك الشرائع الخرقاء عمرو بن لحيّ بن حارثة بن عمرو بن عامر الخزاعي الذى غير دين الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وكان سيدا شريفا مطاعا فى قومه يطعم الطعام ويحمل المغرم وكل ما قال فهو دين متبع لا يعصى ، وهو الذى جاء بهيل من أرض الجزيرة فجعله فى الكعبة وجعل عنده عشرة أقداح يستقسمون بها ، فى كل قدح منها كتابة يعملون بما تضمنته فكان مكتوبا فى أحدها أمرنى ربى وفى آخرهنانى وثالث غفل ، فاذا أراد الرجل أمرا أو سفرا أخرج هذه الأقداح الثلاثة فضرب بها فإن خرج الأول مضى وإن كان الثانى نكص وإن طلع الثالث أعاده الكرة حتى يخرج الأمر أو الناهى ، أما السبعة الباقية فمكتوب على أحدها الفعل وفى ثان نعم وفى ثالث لا وفى رابع منكم وفى خامس من غيركم وفى سادس ملصق وفى سابع المياه ، فاذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا أيا أو يدفنوا ميتا ذهبوا الى هبل بمائة درهم وجزور ثم قالوا لغاضرة بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي الذى اليه أمر القداح هذه مائة درهم وجزور ولقد أردنا كذا وكذا فأضرب لنا على فلان بن فلان فان كان كما قال أهله خرج «الفعل» أو «نعم» أو «منكم» فما خرج من ذلك انتهوا اليه فى أنفسهم وإن خرج «لا» ضرب على المائة فان خرج «منكم» كان منهم وسيطا وإن خرج «من غيركم» كان حليفا وإن خرج «ملصق» كان دعيا نفيا ، فكشوا زمانا وهم يخلطون حتى جاء الاسلام بتحريم ذلك ، قال تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم — الى أن يقول — وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب ^(١) والأزلام ^(٢) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ .

(١) الانصاب : الحجارة التى كانوا يذبحون عليها القرابين لآلهتهم . (٢) نجس .

وعمره هذا هو الذي غير تلبية إبراهيم ، فبينما هو يسير على راحلته في بعض مواسم الحج وهو يلبي إذ تمثل له إبليس في صورة شيخ نجدى على بعير أصهب فسايرة ساعة ثم لبي إبليس فقال : لبيك اللهم لبيك ، فقال عمرو بن لحي مثل ذلك ، فقال إبليس : لبيك لا شريك لك ، فقال عمرو مثله ، فقال إبليس : إلا شريك هو لك ، فاستنكر ذلك عمرو ، فقال إبليس : بعده ما يصلحه : إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، فقال عمرو : ما أرى بهذا بأسا فما زالت كذلك حتى ردها الإسلام الى ما كانت عليه في شريعة إبراهيم « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . أن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك » .

ومن عادة العرب في جاهليتهم — كما حكاه الفاكهي — أن الصبية اذا بلغت ألبسها أهلها من الثياب أحسن ما يجدون وجعلوا عليها من الحلى ما يقدرون ودخلوا بها المسجد الحرام سافرة الوجه فتطوف بالبيت والأبصار تنزل إليها والناس يتساءلون من هذه فإن كانت حرة قالوا : فلانة بنت فلان ، وإن كانت مودة قالوا : مودة فلان قد بلغت أن تخدر في بيتها وأراد أهلها أن تستكن في كنها فإذا قضت طوافها خرجت تشيعها الأبصار العفيفة ، فاذ ذاك يرغب الناس في نكاحها إن كانت من الحرائر وفي شرائها إن كانت من الاماء ، وبعد أن تصل الى بيتها تحتجب فيه فلا تخرج منه إلا الى بيت زوجها أو الى حظيرة سيدها فكانوا يعطون للخطيب فرصة يتعرف فيها جمال المخطوبة وجعلوا ذلك في جوار البيت ليأمنوا النظرات الخبيثة .

وكانت الإفاضة في الجاهلية الى صوفة أنحزم بن العاص ، وكان له ولد تصدق به على الكعبة يخدها فجعل اليه حبشية بن سلول الخزاعي الإفاضة بالناس من أجل نذره الذي نذر ، وكان الى حبشية حجابة الكعبة وإمرة مكة فحينما يقف الناس في الموقف يقول حبشية : أجزيا صوفة فيقول صوفة أجزوا أيها الناس فيجوزون ، وولى الإفاضة بعده ولده أنحزم الذي نذره للكعبة وقام بخدمتها مع أخواله من جرهم وأعقب أنحزم على الإفاضة ولده من بعده في زمن جرهم ونخاعة حتى انقرضوا ، ثم صارت الإفاضة في عدوان بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر في زمن قريش

في عهد قصي ، وكانت من بني عدوان في آل زيد بن عدوان يتوارثونها حتى جاء الإسلام وكان عليها أبو سيارة العدواني الذي أفاض بالمشركين في سنة ثمان ، وأفاض أمير مكة عتاب بن أسيد بالمسلمين .

وكان حضنة البيت يكرمون الحجاج في الجاهلية ، فروى عن هاشم بن عبد مناف أنه كان يقول لقريش إذا حضر الحاج : يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته خصمكم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا أضيافه وزوار بيته يأتونكم شعنا غبرا من كل بلد .

وروى مثل هذا عن قصي بن كلاب بن مرة فكان كل قرشي يخرج خرجا من ماله في كل موسم من مواسم الحج يعطيه لمن يقوم بالرفادة — إطعام الحاج — من قريش فيصنعه طعاما للحجاج أيام الموسم بمكة ومنى ، وبقي ذلك مدة في عهد الإسلام — حكاها الأزرق .

إنساء الشهور — إنساء الشهور تأخيرها عن أماكنها الفطرية ، والنسيء مصدر من قول القائل : نسأت في أيامك ونسأ الله في أجلك أى زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيا ، وكل زيادة حدثت في شيء فالشيء الحادث فيه الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ، ولذلك قيل للبن إذا كثر بالماء نسيء وقيل للمرأة الحبل : نسوء ، ونسئت المرأة لزيادة الولد فيها ، وقيل : نسأت الناقة وأنسأتها إذا زجرتها لينزداد سيرها .

كان أهل الجاهلية إذا ما رغبوا في القتال في شهر المحرم أحروه إلى صفر وأحلوا القتال في المحرم وسموا صفر المحرم وربيع الأول صفر وهكذا حتى يكون ذو الحجة في نهاية السنة الشهر المحرم ، وكانوا يفعلون هذا سنة ويتركونه سنة ، فكان ذو الحجة يعود إلى مكانه الأول بعد أربع وعشرين سنة ، وأول من أنسأ الشهور من مضر مالك بعد كنانة ثم ابنه ثعلبة ثم أخوه الحرث بن مالك المعروف بالقلمس ثم سرير بن الحرث ، ثم كانت النسأة في بني فقيم من بني ثعلبة حتى جاء الإسلام ، وكان آخر من نسأ منهم أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن عبد بن فقيم وهو الذي جاء في زمن

عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الركن الأسود فلما رأى الناس يزدحمون عليه قال : أيها الناس أنا له جار فأخروا عنه ، خففقه عمر بالدرّة ثم قال أيها الجلف الجافى قد أذهب الله عزك بالاسلام ، وكان الذى اليه أمر النساء يقوم بفناء الكعبة يوم الصدر والناس حوله متجمعون فيقول : اذا أراد أن لا يحلوا المحرم ، أيها الناس ! لا تحلوا حرماكم وعظموا شعائركم فإني أجاب ولا أعاب ولا يعاب لقول قلته فهناك يحرمون المحرم ذلك العام ، واذا ما كانت السنة التى يريدون الإنساء فيها يقول : أيها الناس قد أنسأت العام صفر الأوّل يعنى المحرم — وكانوا يسمونه صفر الأوّل وصفر صفر الثانى — فيطرحونه من الشهور ولا يعتدون به ويتبدئون العدة فيقولون لصفر وشهر ربيع الأوّل : صفرين ، ويقولون لشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى : شهرى ربيع ، ويقولون لجمادى الآخرة ولرجب : جماديين ، ويقولون لشعبان : رجب ، ولرمضان : شعبان ، وشوّال : رمضان ، ولذى القعدة : شوّال ، ولذى الحجة : ذا القعدة ، ولصفر الأوّل وهو المحرم الذى أنسأه : ذا الحجة ، فيحججون تلك السنة فى المحرم ويبطل من هذه السنة شهرا ينسأه ، وكانوا ينسئون عاما ويتركون آخره فكان يقع فى كل شهر من شهور السنة حجتان فى عامين ، وكانوا يحلون فى الأشهر الحرم دماء المحلين طيئ وخشم لأنهم كانوا يعدون على الناس فيها من بين العرب فيعزفونهم ويطلبون بئارهم ولا يقفون عن حرمتها كما كان يفعل سائر العرب من الحلة والحس فانهم ما كانوا يعتدون فى شهر حرام ولو لقي أحدهم قاتل أبيه أو أخيه ولا يستاقون مالا إعظاما لحرمه هذه الشهور .

بقى الأمر على هذا المنوال حتى كانت سنة ثمان من الهجرة بخاء الحج فى ذى القعدة وجح المسلمون والمشركون فى هذا العام فدفعوا معا فكان المسلمون فى ناحية يدفع بهم عتاب بن أسيد ويقف بهم الواقف لأنه أمير مكة من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان المشركون ممن لهم عهد ومن ليس لهم عهد فى ناحية أخرى يدفع بهم أبو سيارة العدوانى على أتان له عوراء رسنها من ليف .

فلما كانت سنة تسع وقع الحج في ذى الحجة فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه الى مكة أميرا على الحج بعد أن علمه المناسك وأمره بالوقوف على عرفة وعلى جمع - المزدلفة - ثم نزلت سورة براءة بعد سفر أبي بكر الى مكة بالجحيج فبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم مع علي رضي الله عنه وأمره اذا خطب أبو بكر وفرغ من خطبته قام فقرأ على الناس سورة براءة ونبذ الى المشركين عهدهم - حسب ما قدمنا - وقال : لا يجتمعن مسلم ومشرك على هذا الموقف بعد عامهم هذا، وكان أبو بكر رضي الله عنه يخطب الناس ويصلي بهم ويقف المواقف ويدفع منها بالجحيج .

ومما تضمنته سورة التوبة إبطال النسيء قال تعالى فيه ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظالموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ .

فلما كانت سنة عشر أذن الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في الحج فجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع التي أسلفنا لك تفصيلها وخطب خطبته المشهورة بعرفة وذكر فيها النسيء وأبطله ولما تضمنته هذه الخطبة من الشرائع الحكيمة والنصائح القيمة نوردها لك بنصها وفصلها كما رواها ابن هشام في سيرته .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير، أيها الناس أسمعوا قولي فإنني لا أدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم

مستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من
أثمنه عليها وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظالمون
قضى الله أنه لا ربا وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله وإن كل دم كان
في الجاهلية موضوع وإن أول دماءكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب
(وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل) فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية ،
أما بعد : أيها الناس فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه إن طمع
فيا سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم ، أيها الناس
إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا
عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق السموات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة
حرم ثلاث متوالية ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، أما بعد : أيها الناس
فإن لكم على نساءكم حقا ولهن عليكم حقا لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه
وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة فإن فعان فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن
في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن آتتهن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ،
واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا وإنكم إنما أخذتموهن
بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي فاني قد بلغت
وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فإن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه ،
أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وإن المسلمين إخوة
فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم
اللهم هل بلغت — فذكر لي أن الناس قالوا — اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : اللهم اشهد .

قال ابن اسحاق : حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري عن
عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب ابن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فبلغته ، ثم وقفت تحت نافذة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لغامها ليقع على رأسى فسمعتنه وهو يقول : أيها الناس إن الله قد أدى الى كل ذى حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراس وللعاشر الحجر ، ومن ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله صرفا ولا عدلا .

وفى هذا اليوم نزل قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

واذ قد انتهينا من الحج وتاريخه نذكر لك كلمات مفصلة عن مشاعره .

الصفا والمروة

قال تعالى ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو أعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوَّع خيرا فإن الله شاكر عليم ﴾ .

الصفا — الصفا الذى هو مبدأ السعى فى أصل جبل أبى قبيس جنوبى المسجد الحرام على مقربة من بابه المسمى باب الصفا وهو مكان شبيه بالمصلى طوله ستة أمتار وعرضه ثلاثة مرتفع عن الأرض بنحو مترين يصعد اليه بأربع درجات ، وفى جنوبى هذا المكان أى وراء أربع درجات أخرى صاعدة أقيم عليها ثلاثة عقود فى صف واحد من الشرق الى الغرب ، وبعد هذه الدرجات الخلفية أصل جبل أبى قبيس وحول الصفا جدا يحيط به ما عدا الجهة الشمالية التى منها المرتقى ، ويظهر أن فى الأرض درجا آخر غير الظاهر استتر لما رفع مستوى الشارع يدل على ذلك ما ذكره التقي الفاسى فى كتابه وصفا للصفا ، قال ما ملخصه : الصفا مكان مرتفع من جبل له درج وفيه ثلاثة عقود ، والدرج من أعلى العقود وأسفلها ، وبعض الدرج الذى أسفل العقود مدفون وذلك ثمان درجات ثم فرشاة — مصطبة — مثل بعض الفرشات الظاهرة التى أمام العقود ثم درجتان وما عدا ذلك ظاهر للعيون

وهو درجة أسفل العقود ثم فرشاة كبيرة ثم ثلاث درجات ثم فرشاة كبيرة هي السفلى الملاصقة للأرض ، وربما علا التراب على هذه وما ذكرناه من الدرج المدفون شاهدها بعد حفرتنا عنه في شوال سنة ٨٠٤ هـ .

والمروة في الشمال الشرق للمسجد الحرام على بعد منه وهي منتهى السعى في أصل جبل قعيقعان وهي محل مرتفع كالصفا يصعد اليه بخمس درجات فقط بعدها مصطبة طولها أربعة أمتار في عرض مترين ، بعدها مصطبة أخرى عرضها متر واحد وهي ملاصقة لجدار المروة الشمالى إذ حولها ثلاث جدر في شمالها وشرقيها وغربها ، والدور من وراء ذلك ، ومن دون الدرجات الخمس عقد شاهق من الجدار الى الجدار وهو بعيد عن مبدأ الدرج من أسفل بنحو مترين ، والشارع الذى بين الصفا والمروة هو المسعى وطوله ٤٠٥ متر، وعرضه تارة عشرة أمتار وتارة اثنا عشر مترا ، وهذا الطريق مقسم الى ثلاثة أقسام يمشى الساعى فى القسمين المتطرفين ويهرول فى القسم الوسط ، والقسم الأول من الصفا الى الميلىن الأخضرين وهما عمودان أخضران أحدهما فى الحائط المقابل للمسجد ، وثانيهما حذاءها بجوار باب المسجد الحرام المسمى باب البغلة وطول هذا القسم خمسة وسبعون مترا ، والقسم الوسط يتبدئ من هذين الميلىن وينتهى الى ميلىن آخرين أحدهما بباب المسجد المسمى بباب على والآخر فى الحائط المقابل لجدر المسجد فى الناحية الثانية ، وطول هذا القسم سبعون مترا والثالث من هذين الميلىن الى المروة وطوله ٢٦٠ متر وأول من أحدث بناء ودرجا فى الصفا والمروة عبد الصمد بن على فى خلافة أبى جعفر المنصور ثم كملت بعد ذلك بالنورة فى خلافة المأمون العباسى (انظر هذا الميل فى يمين الرسم ٢٠١) .

والصفا فى الأصل العريض من الحجارة الملس والمروة : واحد المرو وهي الحجارة البيض تقتدح بها النار ولا تكون سوداء ولا حمراء .

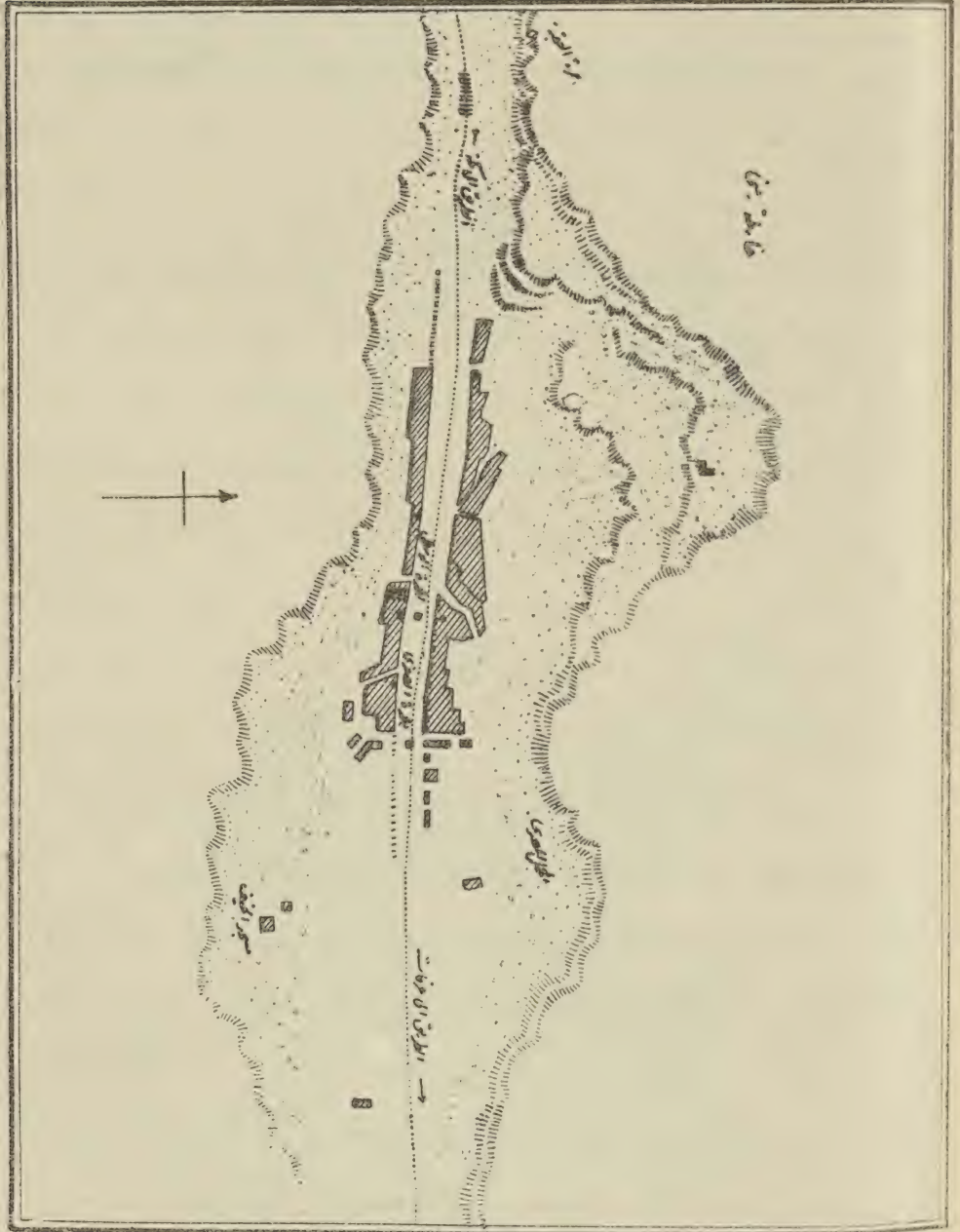
منى

هى الموضع الذى ينزله الحاج ليلة عرفة حتى تشرق الشمس على ثبير وينزله أيضا يوم النحر وأيام التشريق ولياليها حتى ىرمى الجمار، وقد قطعنا المسافة بين مكة وبينها فى ساعتين و٥٤ دقيقة وبدأنا سيرنا من معسكرنا بجرجول جنوبى مكة الغربى، والمسافة من المعلاة فى شمالى مكة الى منى ٦ كيلومترات تقريبا تقطع فى ساعتين بسير الجمل المعتاد، وحدّ هذا الموضع من جهة مكة جمرة العقبة التى بايع الأنصار عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن جهة المزدلفة وادى محسر، وظاهر كلام الشافعى والنووى أن العقبة ليست من منى وغيرهما يقول : هى منها أما عرضه فعرض الوادى المحصور بين الجبال الشاهقة وذلك ٦٣٧ مترا استخراجا من مقاس الفاسى . ومنى الآن بلدة صغيرة يقطعها المحمل طولاً فى ٢٠ دقيقة وعرضها صفان من البيوت على جانبى الطريق الذى يشقها شقين، والذى يبتدىء من مكة ويوصل الى عرفات، وعرض هذا الطريق مختلف فتارة عشرة أمتار وتارة عشرين ويقل عن ذلك ويكثر وبيوتها مبنية بالحجر الأصم وأكثرها طبقتان انظر (الخريّة ١٢٠) ولا تسكن إلا مدّة الحج وجوها حار لأنها واد بين جبال شاهقة، ويزيد حرارتها الأنفاس المتصاعدة من آلاف الجمّاج الذين تعص بهم هذه البلدة فى وقت واحد .

وبمنى الجمرات الثلاث وجامع الخيف ومسجد الكوثر وغار المرسلات والصخرة التى قام عليها ابراهيم حينما همّ بذبح ولده اسماعيل أو مسجد الكعبش ، وقد زرت هذه الأماكن فى صباح ١٢ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . وهاك وصفها عن مشاهدة .

مسجد الخيف — هذا المسجد بمنى فى الجهة الجنوبية على يسار القادم من عرفات ويمين المقبل من مكة انظر (الخريّة ١٢٠) وهو مسجد وسيع محكم البناء مستطيل الشكل طول ضلعه البحرية ١٣٠ مترا ، وضلعه الغربية طولها ١٠٠ مترا، وبابه الأكبر فى واجهته البحرية وفوق هذا الباب مثذنة بنيت بالطوب الأحمر ارتفاعها ١٤ مترا ، وعلى يسار الداخل منه مقابر تعلوها قباب أقيمت على

عقود ، وفي جهة المسجد الغربية أربعة أروقة (بواكي) كل رواق يمتد من شمالي المسجد الى جنوبيه ، وعرض الأربعة ۳۷ مترا أى من صحن المسجد الى جداره الغربى ، وفي كل رواق ۲۱ عقدا أعنى في كل جدار يمتد من الشمال الى الجنوب ، والأروقة مستوفة بقباب ظاهرة من الداخل فقط أما سطح المسجد فمستو ، وعرض



الزواق الفضاء ٥٤٤ ، أما بالجدران فضعف ذلك ، وسمك الجدر التي أقيمت عليها قباب الأروقة ١٠٥٥ ، وفي وسط الرواق الملاصق للجدار الغربي منبر ومحراب عليهما قبة خفمة ، وفي صحن المسجد قريب من جداره الشرقى قبة عظيمة أقيمت على ثمانية عقود وبها محراب وهي في موضع خيمة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكانها الأوقات الخمسة أولها الظهر وآخرها الصبح لأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من مكة في الثامن من ذى الحجة ووصل الى منى ظهرا وبات بها ليلة التاسع ، ولما صلى الصبح رحل الى عرفة ، وبالجبهة الشرقية من القبة مئذنة مبنية بالطوب الأحمر ارتفاعها ١٤٠٠ مترًا ولها باب صغير خارج القبة يصعد منه اليها ودرجها ثلاث وسبعون ، وارتفاع الدرجة ٢٠ سنتيا ، وبالمسجد أربعة صهاريج كبيرة متجاورة بين القبة والضلع الشمالية أقيمت لحفظ مياه الأمطار بها والشرب منها في مواسم الحج ولكنها كانت في سنتنا مستتة مجدبة ، والمسجد مكشوف ماعدا جهتيه الشمالية والغربية وجدره لها دعائم من الداخل والخارج وارتفاعه ٥ أمتار وعلى الجدر من الأعلى شرافات كالتي نراها بمساجد مصر وله ثلاثة أبواب شمالي وغربي وشرقي (أنظر الرسمين ١٢١ و ١٢٢) وانظر أروقة المسجد في (الرسم ١٢٣) الذي ترى فيه صديقنا محمد افندى على سعودي .

وبالجبهة الشرقية من المئذنة الشرقية على علق أربعة أمتار مكتوب (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم جدد لله الملك المعظم ملك الملوك الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن مسجد الخيف سنة ٦٧٤ هـ) . وعلى بابه الشمالى مكتوب (عمر مسجد الخيف السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى سنة ٨٩٤ هـ) .

وهذا المسجد الأثرى العظيم يتخذ حجاج المغاربة والدارنة كبيت للسكن فينصبون فيه خيامهم ويؤدّون به أعمالهم المعاشية من طبخ وغسل وينشرون به لحوم الغداء لتجفف ويأكلوا منها أياما ، وقد رأيتها وهي منشورة بالجامع في خيوط ،

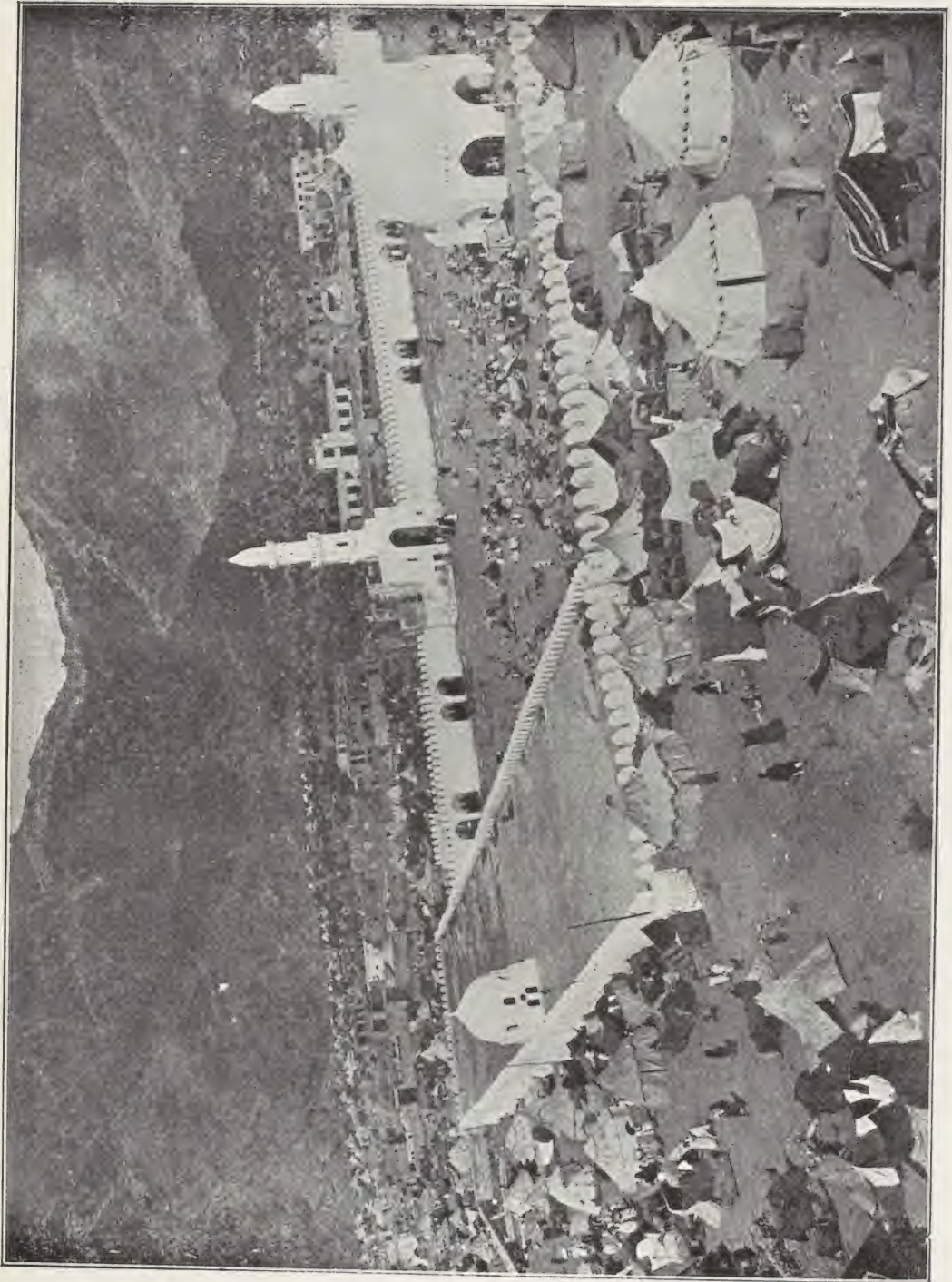


مسجد الخيف في مكة



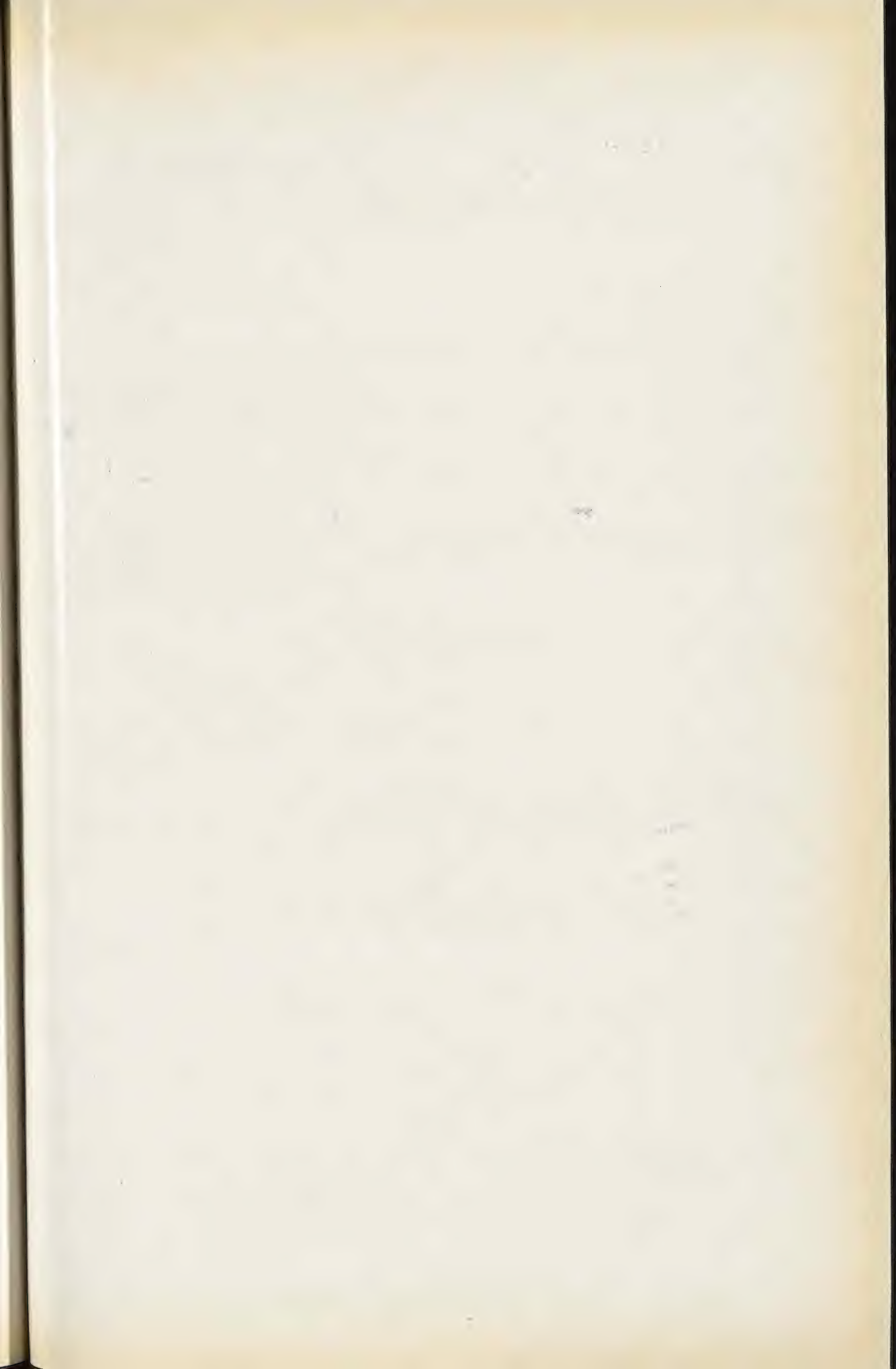
مسجد الخيف في مكة





مسجد الخيف في مكة المكرمة
الذي بنى فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
١٢٢٥

122. Mosque of El Kheif at Mina showing the dome under which the Prophet Mohamed performed the five prayers during his last pilgrimage (Al Wida'a ; "Farewell").





قبر النبي في مكة

مسجد نزل سورة الكوثر في مكة



منظر من مكة في سنة ١٣٢٥



بل يكادون يجعلون الجهة الشمالية منه محلات أدب وإن ذلك لأمر تسمئ منه الطباع ويندى له وجه الأدب ويحظره الشرع فانه أمرنا بتنظيف المساجد وتطيبها لا تلويثها ولكنه الجهل يعنى صاحبه عن الطريق السوى وكان حريا بالحكومة الحجازية أن تعنى بذلك المسجد عناية تتناسب مع مركزه وتنوط به من الخدم ما يقوم بواجب نظافته ويمنع العابثين به مما يحدثونه .

وقد عمر هذا المسجد في زمن الخليفة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي سنة ٢٥٦ هـ . وجدده الوزير محمد بن علي المعروف بالحواد الأصفهاني سنة ٥٥٩ هـ . وكذلك أم الخليفة العباسي الناصر لدين الله وأقام فيه عمارة الملك المظفر صاحب اليمن وهو الذي أقام المئذنة التي بجوار القبة وقد قدمنا لك ما عليها من الكتابة الدالة على هذه العمارة .

وفي سنة ٧٢٠ هـ . أنفق عليه أحمد بن عمر المعروف بابن المرجاني التاجر الدمشقي ما يزيد على ٢٠٠٠٠ درهم . وفي سنة ٨٢٠ هـ . عمر بمعرفة الشيخ علي البغدادي ولم يعرف من قام بنفقة هذه العمارة . وفي سنة ٨٧٤ هـ . أمر الملك الأشرف قايتباي ببناء هذا المسجد فبنى بناء محكما وأقيمت القبة التي هي الآن على مصلى النبي صلى الله عليه وسلم وبني الى جانب القبة مئذنة ذات أدوار ثلاثة وكذلك أقام المئذنة التي على باب المسجد الشمالى وجعل بجانب هذا الباب دارا يسكنها أمراء الحج وجعل للمسجد بابا في جهته الشرقية وخوخة صغيرة الى الجبل الجنوبى الذى فيه غار المرسلات . وفي سنة ١٠٧٢ هـ . عمره السلطان محمد قزلار الأغا وكان القائم بالعمارة والى جدة وشيخ الحرم سليمان بك . قال النجارى وهذه العمارة وغيرها من العمارات التي قام بها مكتوبة في حجر بجدار المقام الحنفى . وفي سنة ١٠٩٢ هـ . عمره سليمان أغا مرسلا من قبل السلطان محمد خان .

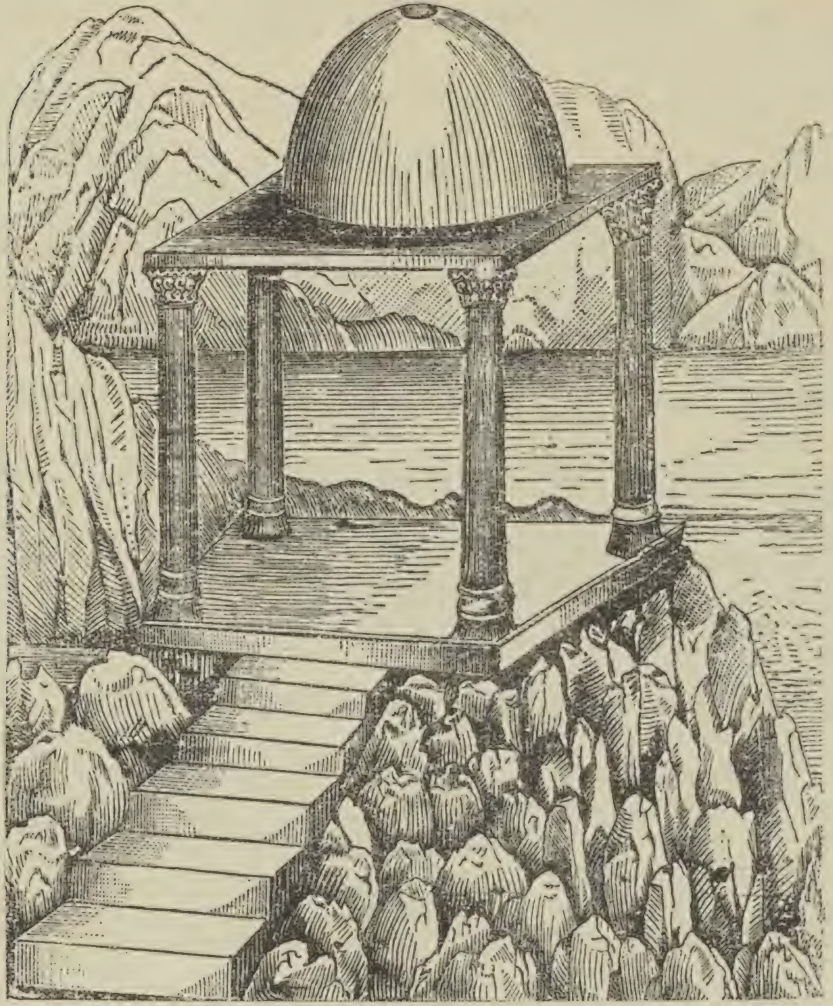
مسجد الكوثر — في وسط منى على يمين القاصد الى عرفات مسجد صغير يبعد عن الطريق نحو ٤٠ مترا يسمى مسجد الكوثر زعموا أن سورة الكوثر نزلت في مكانه على النبي صلى الله عليه وسلم (انظر شكله في يمين اللوحة ١٢٤) وتجدد

باللوحة قائمة البرق — التلغراف — وبهذا المسجد حجر نقشت فيه كتابة بالخط المغربي لم أعرف منها إلا لفظة ”وقفية لله“ ويجواره بئر صالحة للشرب ويؤوره أكثر الحجاج بقصد التبرك .

مسجد الكبش — هذا المسجد بمنى على يسار الذهاب الى عرفات وهو فى شمالى جمرة العقبة على نحو ٣٠٠ متر منها فى سفح جبل ثبير ، والكبش الذى أضيف اليه هو الذى فدى الله به نبيه اسماعيل لما شرع أبوه الخليل فى ذبحه ويجوار هذا المسجد الصخرة التى ذبح عليها الفداء . وذكر الفاكهى عن على بن أبى طالب ما يقتضى أن الذبح حدث فى غير هذا المكان وأنه بين الجمرتين الأولى والوسطى فى سفح الجبل المقابل لثبير ويؤيده ما رواه المحب الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منحر إبراهيم الذى نحر فيه الكبش فاتخذوه منحرا وكل منى منحر ، ومنحر الرسول بين الجمرتين (أنظر فى زاد المعاد لابن القيم ، بحث أن الذبيح اسماعيل لا اسحاق) وهذا المسجد وهذه الصخرة يتراحم الحجاج على زيارتها تراحما شديدا (أنظر رسم قبة الكبش ٣٢٨^(١)) والصخرة فى جوف الجبل فيها فلاح كبير يزعمون أن السكين التى أراد أن يذبح بها إبراهيم ولده فالت من يده رحمة بالذبيح فغاصت فى هذا الصخر ففلحته ، ويجوار الصخرة مغارة يزعمون أن إبراهيم عليه السلام سكن فيها مع هاجر ويبلغ طولها ٤ أمتار وعرضها مترين ونصفا وعلى يمين الداخل فيها كهف تغرف فى جوف الجبل .

غار المرسلات — هذا الغار بسفح جبل جنوبى مسجد الخيف يقال له جبل الصفائح ، وهو غار صغير يبعد عن الطريق بنحو ٣٠٠ متر ، به موضع مستدير يقال إنه محل رأس النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يستظل بالجبل وفيه نزلت عليه سورة المرسلات كما يقولون ، وزحام الحاج على هذا الغار بالغ أشده . ومن المساجد التى بمنى ولم أزرها مسجد البيعة ومسجد منى وهاك وصفهما عن القامى .

(١) نقلت عن مرآة مكة تأليف اللواء البحرى العثمانى أيوب صبرى باشا .



(قبة الكباش رسم ٣٢٨)

مسجد البيعة — هذا المسجد بقرب العقبة التي هي حد منى من جهة مكة وهو وراء العقبة يسير الى مكة في شعب على يسار الذهاب الى منى وسمى بذلك لأن عنده حصلت البيعة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الأنصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب على ما ذكر أهل الأخبار وقد ذكر التقي الفاسي أن طوله $\frac{1}{4}$ ٣٨ ذراعا بذراع الحديد، وأن به رواقين كل منهما مسقوف بثلاث قباب على أربعة عقود، وأن له بابين في الجهة الشمالية والجهة الجنوبية وذكر أنه متخرب وأن فيه حجرين مكتوب في أحدهما (أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله ببنيان

هذا المسجد مسجد البيعة التي كانت أول بيعة بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد عقده له (؟) العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ؛ وفي الآخر تعريفه بمسجد البيعة وأنه بنى في سنة ٢٤٤ هـ . وأمير المؤمنين المشار اليه هو أبو جعفر المنصور العباسي . وعمره أيضا المستنصر العباسي قال : ووجدت ذلك في حجر ملقى حول هذا المسجد لتخربه وفيه أن ذلك سنة ٦٢٩ هـ .

مسجد منى — ويقال له مسجد المنحر ذكره الفاسي وقال : إنه عند الدار المعروفة بدار المنحر بين الجمرة الأولى والوسطى على يمين الصاعد الى عرفة وفيه حجر مكتوب فيه (هذا مسجد سيد الأولين والآخرين صلى فيه الضحى ونحر هديه وفيه : ابن الملك قطب الدين أبا بكر بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن أمر بتجديد عمارته بعد زيارته في سنة ٦٤٥ هـ . وطول هذا المسجد من محرابه الى مؤخره ثمانية أذرع وعرضه سبعة أذرع بذراع الحديد (ذراع الحديد $\frac{1}{\sqrt{5}}$) ٥٦ .

الجمار — الجمار التي ترمى بالخصيات هي بمنى والأولى منها هي التي تلى مسجد الخيف ، والوسطى التي بينها وبين جمرة العقبة ، والأخيرة جمرة العقبة — انظر مواقعها من منى (في الخريطة ١٢٠) .

وهي أقرب الجمار الى مكة وهي حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار في عرض نحو مترين أقيم على قطعة من صخرة مرتفعة عن الأرض بنحو متر ونصف ومن أسفل هذا الحائط حوض من البناء تسقط اليه حجارة الرجم ورمى الجمار بهذا الترتيب مطلوب على مذهب مالك حتى لو وقع على غير هذه الصفة ولم يتدارك في وقت الأداء وهو النهار على المشهور لزمه دم والمسافة التي بين جمرة العقبة والجمرة الوسطى ١١٦,٧٧ مترا ، والتي بين الجمرة الأولى والوسطى ١٥٦,٤٠ مترا ، وقد تقدم في ص ٤٨ من الرحلة وصف الأعلام التي على الجمار وبيان حدود المرمى بما نقلناه





حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اسم الله والابراهيم وقتنا امير الحج المصري ١٣٢٥

125. Stone-throwing at Satan (El Shytan el Wossta) at Mecca.



126. A view of the throwing stones in the Largest Room (Gamret El Akaba) in Mina in 1325.





127. The third stone throwing at Shylan at Mecca.



128. A view of the market in Arafat in 1325.

هناك عن المحب الطبري ، وتزيدك الآن أن الأزرق ذكر في كتابه أن جرة العقبة أزالها جهال الناس عن مكانها الأصلي يرميهم الخصى في غير موضعه وردّها الى مكانها الذي لم تزل عليه إسحاق بن سامة الصائغ الذي أنفذه المتوكل للقيام بأمر تتعلق بالكعبة وبني من وراءها جدارا رفعه عنها وجعل بجانب الجدار مسجدا حتى لا يتمكن شخص من أن يرميها من أعلى لأن السنة لمن أراد الرمي أن يقف من تحتها في بطن الوادي فيجعل مكة عن يساره ومعنى عن يمينه ويرمي كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنظر الجمار الثلاث والحجاج يرمونها في الرسوم ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧) .

قال ابن الكلبي : إنما سميت الجمار جمارا لأن آدم كان يرمي إبليس فيجمر من بين يديه والإجمار الإسراع ؛ قال لمبيد من قصيدة له :

واذا حركت غمرزى أجمرت * أو قرأني عدو جون قد أبل

أو سميت هذه الأماكن باسم ما يرمى فيها لأن الجرة الحصاة .

المنحرج بمنى — أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن منى كلها منحروكان الناس ينحرون قريبا من مخيم الحجاج في الأعوام السالفة في حفر تحفر لذلك . أما في عامنا هذا فكانت الحفر بعيدة عن المخيم بما يقرب من ألف متر . والحجاج يذبحون الهدى والفداء في وقت واحد من يوم النحر ولا يأكلون مما يذبحون بل يرمونه بالجهة الشرقية من منى ، وكان فقراء الحجاج من الدكارنة والمغاربة يجردون اللحوم من العظام ويعملون منها أحبالا تجفف في الشمس فتكون غذاء لهم في سفرهم حتى يصلوا المدينة المنورة ، وكانت الذبائح المتروكة تنبعث منها روائح كريهة لأنها ما كانت تدفن ولكن في السنين المقبلة عمات حفر عميقة دفنت فيها الذبائح وكلف عمال الصحة بردها .

(١) الغرز ركاب من جلد توضع فيه الرجل وقراب السيف معروف والعدو السير السريع والجون من الخيل الأدهم وأبل أكل الربل وهو نوع من الشجر يتقطر منه الماء .

المفجر بمنى — مكان خلف الجبل المقابل لثبير، سمي بذلك لما بخر فيه من الدماء عند ما دارت رحى الحرب بين قصي وشيعته وبين بنى الغوث بن أد بن طابخة ويقال لهم صوفة وذلك بسبب تقدم الأولين الى رمى جمرة العقبة قبل بنى الغوث . وبهذا المكان مجرى قناة عين زبيدة وقد أقيم عليه آلة بخارية قوتها ثمان خيول لتوصيل الماء في أنابيب الى ميدان منى إذ يحول الجبل بين المجرى والميدان ، وبواسطة الأنابيب يصعد الماء الى الجبل ثم ينزل فيها الى وادى منى ويصب في أحواض أعدت له هناك ليشرب منها الحجاج ، وهذه الآلة أحضرها أحد أغنياء الهند كما سمعت ورتب لها ما يكفيها من الفحم والشحم والزيت وأجور العمال ، وإن مما يذكر مقروننا بأشد الأسى أن هذه الآلة وقف عملها لأن أيدي الطامعين تصل الى ما أعد لها ولإدارتها وترتب على ذلك غلو المياه حتى أن القرية من الماء بيعت في سنة ١٣٢١ هـ بثلاثة قروش ونصف صحيحة ، ويتغنى الأعراب الذين يبيعون الماء بالنشيد الآتى :

رأيت الماء * في سوق منى * بيعا وشرا

حتى أن اللاش^(١) * ما يرد الماء

وترى في اللوحة ٧٩ الآلة البخارية والطريق اليها والجبل المجاور لها ومجرى القناة .

منى موطن توحيد — كانت منى فيما سلف منصوبة فيها الأصنام فنصب بها عمرو بن لحي سبعة أصنام منها واحد بين مسجد منى والجمرة الأولى على بعض الطريق ، وثان على الجمرة الأولى ، وثالث على المدعى ، ورابع على الجمرة الوسطى ، وخامس على شفير الوادى ، وسادس وسابع على الجمرة الكبرى (جمرة العقبة) وقسم على هذه الأصنام حصى الجمار التى هى إحدى وعشرون حصاة ، فيرمى كل وثن منها بثلاث حصيات ، ويقال للوثن حين يرمى ، أنت أكبر من فلان — يعنى الصنم

(١) اللاش : البخيل .

الذى قبله — فلما أن جاء الاسلام قضى على عبادة الأصنام واستبدل بها عبادة الله وحده وذكره ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ .

حكم البناء بمنى — أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله ألا تبني لك بمنى بيتا أو بناء يظلك من الشمس فقال لا إنما هو مناخ من سبق . وأخرجه أبو داود عن أحمد بن حنبل والنزمى قال ابن عساكر بعد إخرجه لهذا الحديث : مفهوم هذا الخطاب يدل على أنه لا يجوز إحياء شيء من مواتها ولا تملك جهة من جهاتها بل هى للناس سواء ، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿سَاءَ أَلْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ على القول بأن الضمير يرجع للحرم .

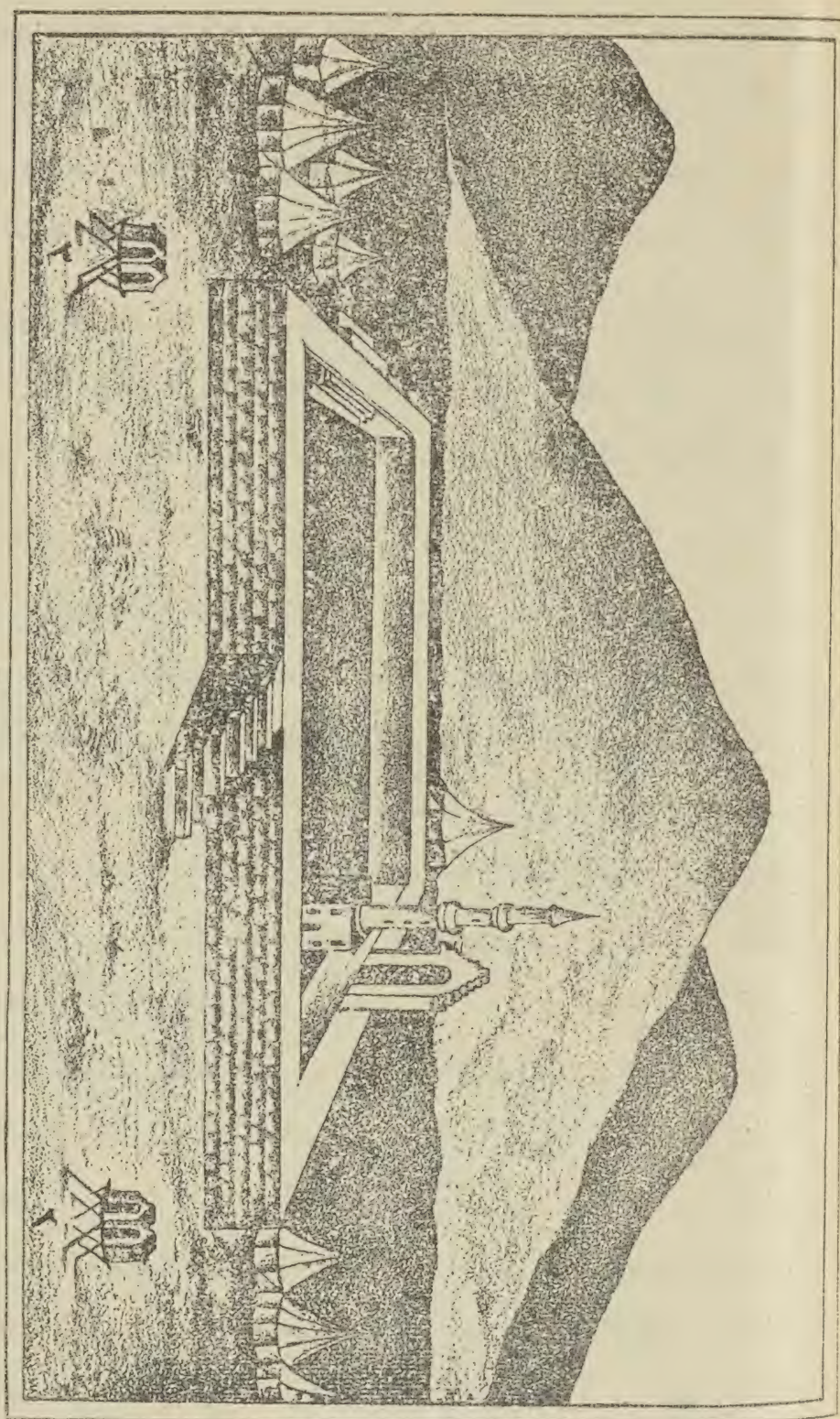
الخصيات بمنى ورفعها — روى الأزرقي فى تاريخه عن جدّه قال : حدثنى يحيى بن سليم عن ابن خيثم عن أبى الطفيل قال : قلت ياأبا الطفيل هذه الجمار ترمى فى الجاهلية والاسلام كيف لا تكون هضابا تسد الطريق ؟ قال : سألت عنها ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : إن الله تعالى وكل بها ملكا فما تقبل منه رفع وما لم يتقبل منه ترك ، وكذلك روى الأزرقي فى رفع المتقبل منه عن ابن عمر وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما . وروى المحب الطبرى عن أستاذه شيخ الحرم ومفتيه أنه شاهد ارتفاع الحجر عيانا ، ومع أن هذه الأقوال صادرة عن غير معصومين لسنا ملزمين بأن نعتقد اعتقادهم فانا راجعنا فى كتب الرجال أسانيدنا التى ذكرها الأزرقي فلم نجد لها سندا صحيحا .

المزدلفة

المزدلفة الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله والمبيت فيه بعد دفعه من عرفة ليلا وهو بين مازمى عرفة من جهتها ومحسر من جهة منى ؛ ومازما عرفة هو الذى يقال له المضيق ، وسميت بذلك لازدلاف الناس اليها : أى اقترابهم ؛ وقيل لمحىء الناس اليها

في زلف من الليل : أى ساعات ؛ ويقال للمزدلفة جمع سميت بذلك لاجتماع الناس بها ؛
 وقيل لاجتماع آدم وحواء فيها ؛ وقيل لجمع الصلاتين بها . وطول المزدلفة من حدّها
 الذى يلي منى وهو طرف وادى محسر الى حدّ مزدلفة الذى يلي عرفة ، وهو أول
 المأزمين مما يلي المزدلفة ٤٣٧٠ متر ، وبوسط المزدلفة المشعر الحرام الذى يستحب
 للحجاج الوقوف عنده للدعاء والذكر غداة يوم النحر امتثالا لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ
 مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ واقتداء بنبيينا صلى
 الله عليه وسلم فانه لما أصبح بجمع أتى قزح فوقف عليه وقال : « هذا قزح وهو
 الموقف وجمع كلها موقف » أخرجه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح . وهذا
 المشعر هو المسمى بقزح ، ويقول ابن عمر رضى الله عنهما : المشعر الحرام المزدلفة
 كلها ومثله فى كثير من كتب التفسير وهذا محمول على المجاز كما ذكره المحب الطبرى .
 وقد ذكر التقي الفاسى فى كتابه شفاء الغرام صفة البناء الذى على قزح فى سنة ٨١١ هـ .
 فقال : إنه بناء مربع يشبه المنارة عرض كل ضلع من أضلاعه اثنا عشر ذراعا
 ونصف ذراع بالذراع الحديد إلا أن الجهة الشرقية تنقص ثلث ذراع — ذراع
 الحديد $\frac{1}{4}$ سنتيا — وفى أعلاه اثنتان وعشرون شرافة ، وله درج من ظاهره
 وباطنه ، وعدد الذى من ظاهره ٢٤ والذى من باطنه ٢٠ وارتفاعه فى السماء
 ثلاثة عشر ذراعا ، قال : وهذا البناء يقف عليه من يتمكن من الوقوف عليه ومن
 لا يتمكن يقف بجوار هذا البناء ، وجرت عادة الناس أن يصعدوا من الدرج الظاهرى
 وينزلوا من الدرج الباطنى . أما الآن فعلى جانبى الطريق جداران ارتفاع كل منهما
 أربعة أمتار ، وعرضه ثلاثة أمتار والمسافة بينهما ٦٠ مترا ، والحل الذى يحده هذان
 الجداران هو المسمى فى عرف الناس المشعر الحرام (أنظر المزدلفة فى الرسم ٣٢٧^(١)) .
 وتجد فى أسفل الرسم الشقذف تحت رقم ٢ و ٣

(١) أخذناه عن مرآة مكة الى ألفها بالتركية اللواء البحرى أيوب باشا صبرى العثمانى .



وادی المزدلفة — المشعر الحرام

وفي المزدلفة بجانب قرح مسجد صغير ذكر الفاسي أنه قصير الحيطان وطوله الى جهة القبلة ستة وعشرون ذراعا إلا ثلث ذراع والمقابلة لها تنقص عنها خمسة أذرع إلا ثلثا وعرضه اثنان وعشرون ذراعا وفي قبلته محراب فيه حجر كتب عليه أن الأمير يلغا الخاصكى جدد هذا المكان بتاريخ ذى القعدة سنة ٧٦٠ هـ .

وفي سنة ٨٤٢ هـ . أمر السلطان جقمق الأمير سيدون بتعمير هذا المسجد .
وفي سنة ٨٧٤ هـ . في سلطنة قايتباي أمر أمير مكة الشريف محمد بن بركات بتبييضه . وفي سنة ١٠٧٢ هـ . عمره سليمان بك والى جدّة من قبل السلطان محمد .

وهذا المسجد الآن مهتدم بعض جدره ويقف الإمام به فوق أرض مرتفعة فيخطب الحجيح خطبة صيغت منذ مئات السنين فلا تتاسب بينها وبين عصرنا الحاضر ولا أثر لها في القلوب شأن خطبة عرفة وغيرها واذا قارنت بين هذه الخطب وخطب النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة ومزدلفة ومنى وما تضمنته من الحكم والأحكام والمواعظ والنصائح أدركت سرّ تأخرنا وأتينا لا نتميز الفرص فنبت روح الدين ونوحد بين المسلمين ونربطهم برباط لا ينقسم ، وكان الواجب على ولاية الأمر أن ينهوا الخطباء الى هذا بل يقسروهم قسرا على تعصير الخطب وأن يجعلوا مع الخطباء مترجمين حتى تسمع كل أمة بلسانها النصيح البليغ والوعظ الرقيق ، فتثوب الى ديارها وقد ملئت قلوبها بحب الدين وتمكن فيها الحرص على مصالح المسلمين ولكن لا عجب إن سمعت أمثال هذه الخطب فان خطباءنا من أجهل الناس بالدين وشؤون العمران وأحوال المسلمين إلا قليلا منهم ، فكيف يصفون دواء لا يعرفونه لداء يجهلون فأس الإصلاح رجال عرفوا الدين حق معرفته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخبروا شؤون المسلمين خبرة تامة بل شؤون غيرهم أيضا حتى يأمّنوا كيدهم ويسلموا من شرهم هداانا الله الى سواء السبيل .

عرفرة

ميدانها وجبالها — على بعد ٢١٤٧٦ متر من باب المعلاة بمكة تجدد في طريق الطائف علمين هما حدود عرفرة من جهة مكة وهما في الحل بعد العلمين المنصوبين على حدود الحرم بمسيرة ٣٥ دقيقة وعرفرة ميدان واسع أرضه مستوية يبلغ نحو ميلين طولاً في مثلها عرضاً وتحيط به سلسلة جبال على شكل قوس كبير ويمر بطرفي القوس من جهة الجنوب الطريق إلى الطائف، وفي شماليه جبل الرحمة المعروف عند الناس بجبل عرفات، وإنما جبل عرفات ما أطاف بهذا الميدان وجبل الرحمة أصغر جزء فيه ويبلغ ارتفاع هذا الجزء ثلاثين متراً وطوله نحو ٣٠٠ متراً، وفي متوسط ارتفاعه مستو طوله ١٥ متراً في عرض ١٠ أمتار به مسجد إبراهيم كما يقولون، وفي قمة الجبل مستو واسع مبلط في وسطه مصطبة في ركنها الغربي علم مبنى كأعلام الحرم يعلق به جملة مصابيح يهتدى بها الناس ليلاً إلى موطن الجبل، وقد تقدم تفصيل بعض ذلك في ص ٤٤ من الرحلة، وبهذا الميدان ينجم الحجج أيام عرفرة وبه جملة مساجد وعدة أحواض وسوق، ومجرى عين زبيدة يطيف بالميدان كما تطيف الجبال، وقد قدمنا لك ذكر الأحواض ووصفها بالتفصيل ومقاسها في الرسم (٧٧) وفي ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وكذلك تكلمنا على مجرى عين زبيدة بعرفة وذكرنا الكتابات التي وجدناها بجبل الرحمة دالة على العمارات المختلفة في ص ٢١٤ و ٢١٥ وذكرنا أيضاً ما تقدمناه هنالك من النظام والأعمال فلا داعي لذكره فارجع إليه إن شئت.

عرفرة موقف — لا يقوم الحج إلا بالوقوف في عرفرة تاسع ذى الحجة بعد الزوال، وكل عرفرة موقف إلا بطن عرنة كما قضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبطن عرنة ما بين العلمين اللذين هما على حدود الحرم والعلمين اللذين هما حد عرفرة من جهة مكة، وعرفرة تطلق تارة على ما يشمل بطن عرنة وتارة على الموضع الذي يجزئ فيه الوقوف فقط، ويدل على الإطلاق الأول استثناءها من عرفرة كما جاء في الحديث.

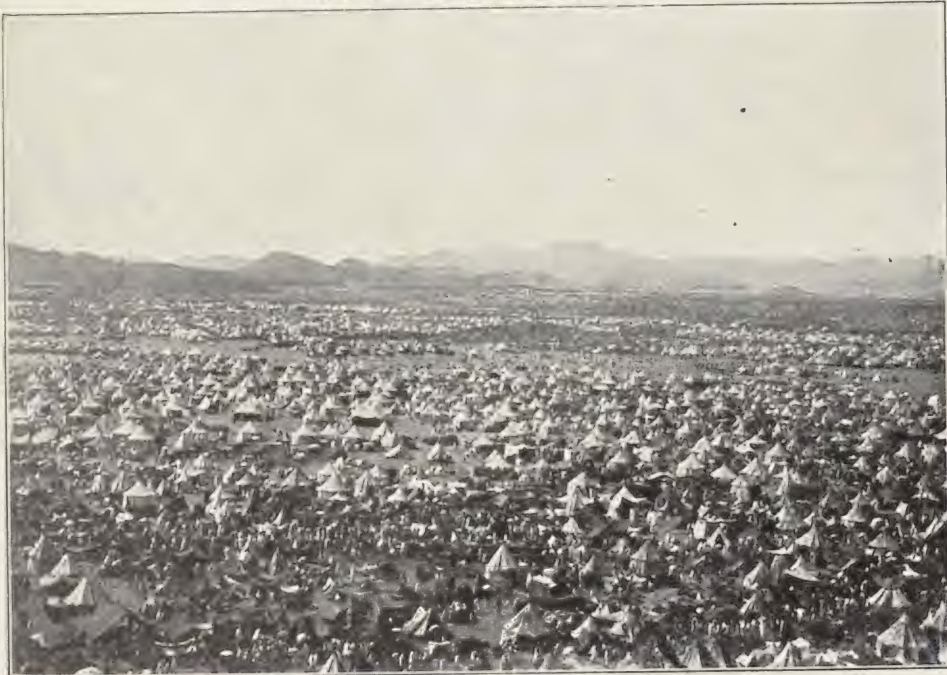
وقد حرّر القاضي عن الدين بن جماعة في مناسكه موقف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفات فقال : اجتهد والذي تغمده الله برحمته في تعيينه وجمع فيه بين الروايات فقال : إن الفجوة المستعلية المشرفة على الموقف وهي من ورائه صاعدة في الرابية وهي التي عن يمينها ، وورائها صخرتان متصلتان بصخر الجبل المسمى جبل الرحمة ، وهذه الفجوة بين الجبل المذكور والبناء المربع عن يساره وهي إلى الجبل أقرب بقليل بحيث يكون الجبل قبالة الواقف إذا استقبل القبلة ويكون طرف الجبل تلقاء وجهه ، والبناء المربع عن يساره بقليل ، قال اتقى الفاسي بعد أن حكى ذلك عن ابن جماعة : البناء المربع المشار إليه هو الذي يقال له بيت آدم بعرفة وكان سقاية للحاج أمرت بعملها العجوز والددة المقتدر العباسي على ما هو مكتوب في حجر في حائطها القبلي . اهـ .

مسجد نمرة — على مسيرة ٢٠ دقيقة من جبل الرحمة تجد علمين يمتد من بينهما الحاج وهما على حدود عرفة من جهة مكة ومبنيان بعيد أحدهما عن الآخر ، ارتفاع كل منهما خمسة أمتار في عرض ثلاثة ، وعلى مسيرة ١٥ دقيقة جنوبي هذين العلمين اللذين تراهما في الحريرة (٧٨) تجد مسجد نمرة ويسمى مسجد عرنة وجامع إبراهيم ومصلى عرفة وهو جامع كبير طوله ٩٠ مترا في عرض ٨٠ أحاطت به الأروقة من جميع جوانبه وله محراب يرتفع ثلاثة أمتار وعرضه ١,٥ متر ويدخل في الحائط نحو متر وله منبر بدرجات عشر وارتفاعه متران ونصف والمياه تصل إليه من مجرى عين زبيدة أيام عرفة ، والحجاج يجمعون في هذا المسجد بين صلاتي الظهر والعصر جمع تقديم يوم عرفة ، وقد جمع بينهما النبي صلى الله عليه وسلم في بطن عرنة كما تقدم في حجة الوداع ، وهذا المسجد يرجع إنشاؤه إلى العقد الخامس بعد المائة . وقد عمر في عصور مختلفة فن ذلك عمارة للسلطان جقمق في سنة ٨٤٣ هـ . على يد الأمير سيدون وعمارة للسلطان قايتباي سنة ٨٧٤ هـ . جعل فيه رواقين وعمر في سنة ١٠٧٢ هـ . في زمن السلطان محمد علي يد سليمان بك وإلى جدة . انظر المسجد (في الرسم ٤٣) وتجد فيه الأروقة والحجاج بلباس الإحرام رجالا ونساء .





129. Photo of the pilgrims in Arafat.



130. Camp of Pilgrims from the Eastern side & Rahma Mountain.

مسجد الصخرات — هذا المسجد أسفل جبل الرحمة وهو مسجد صغير زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مكانه وسمى بذلك لأن بأرضه صخورا كبيرة بعضها الى جانب بعض . انظر جدره المهتمة في الشرق الجنوبي (الرسم ٤٢) .

سوق عرفة — يوجد بعرفة سوق كبير جدا يباع فيه كافة أنواع المأكولات وهو قريب من جبل الرحمة المشهور بجبل عرفات (في الرسم ١٢٨) السوق وترى به القصابين قد علقوا اللحوم في حبال مدت بين أعمدة من السنط أو السلم والخط الأبيض الذي في شمالي الرسم مسجد نمرة .

مناظر الحجاج في عرفات — تجد (في الرسم ٤٤) الحجاج على جبل الرحمة وذلك في تاسع ذى الحجة سنة ١٣٢١ وهذا المنظر أخذته وأنا بالموقف تحت الجبل وترى أعلى الحمل « بيرقه » ظاهرا به ، وفي نهايته « الرمانة » ينحسر الى الناظر أنها رجل فوق الجبل وترى الخطيب بلباس أبيض وقد أمسك بيده كتابا يقرأ منه الخطبة ، والوجه الكبير البارز بالصورة وجه الشيخ محمد أبي النور نجل الشيخ طموم الكبير صهرنا وكان حاملا آلة الرسم وإنك لتشاهد الحجاج ملؤا ظهر الجبل حتى لم يدعوا به موضع قدم وهم من أجناس مختلفة ينطقون بلغات شتى يجأرون جميعا الى الله أن يغفر لهم ما أسلفوا ويوفقهم الى عمل ما فيه السعادة لهم في أولاهم وأخراهم .

وتجد في (الرسم ١٩٢) خيام الحجاج بجانب الصخرات التي يجوار جبل الرحمة وترى في الرسم رجلا راكعا نصفه العلوى بلا رداء والخيام التي في أعلى الرسم فيها عساكر الدولة الذين هم لحرس للشريف والوالى .

وفي (الرسم ١٣٠) خيم الحجاج بميدان عرفات في سنة ١٣٣٠ هـ .

وكذلك (الرسم ٧٦) وتجد به حوضا من ضمن الحياض التي بالميدان وهو الحوض الخاص بركب الحمل الشامي وقد قدمنا لك وصفه في الكلام على عين زبيدة .

الطريق من مكة الى عرفات ومشاعر الحج فيه

الطريق بين مكة وعرفات واد بين جبال تكتنفه من الجانبين تارة تتباعد وأخرى تتقارب، وللوادي في مواضع تنائها وتدانيها أسماء مختلفة تعلق بكثير منها بعض أعمال الناس فعند خروجك الى مكة من جهة المعلاة تجدد على يمينك جبلا يسمى الحجون قد أشرف على مقبرة المعلاة فيه قبر عبد الله بن عمر بن الخطاب أو الحجون الجبل الذي بحذائه قال الشاعر

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

والحجون حد المخصب من جهة مكة وحده الآخر من جهة منى مكان به سبيل يسمى سبيل الست، والمخصب جزء من الطريق الى منى وهو مسيل للماء وسمى بذلك لأن السيل يجمع فيه الحصى وهى الحصا الصغير، وبالمخصب نزل النبي صلى الله عليه وسلم بعد انصرافه من منى ولهذا يستحب للحاج النزول فيه أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم والمسافة من باب بنى شيبه الى سبيل الست الذى هو حد المخصب من جهة منى ٧٥٠٠ ذراع بذراع اليد على ما قدره الفاسى وذلك ٣٦٧٥ مترا باعتبار الذراع ٤٩ سنتيا على ما حققناه من كلام الفاسى — وبما أن المسافة من باب بنى شيبه الى باب مقبرة المعلاة ٢١٢٧ ذراعا بذراع اليد أى ١٠٤٣ مترا تقريبا فالمسافة بين باب المعلاة وسبيل الست ٢٣٨٧ مترا أى طول الوادى الواسع المسمى بالمخصب، ويطلق المخصب على الموضع الذى ترمى فيه الجمار لأن به ترمى الحصاة وهى الحصى الصغير، قال عمر بن أبى ربيعة

نظرت اليها بالمخصب من منى * ولى نظر لولا التخرج عازم
فقلت أشمس أم مصابيح بيعة * بدت لك تحت السجف أم أنت حالم^(١)
بعيدة مهوى القُرط إما لتوفل * أبوها وإما عبد شمس وهاشم
ومد عليها السجف يوم لقيتها * على عجل تباعها والخوادم

فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا * عشية رحنا وجهها والمعاصم
 اذا ما دعت أترابها فاكثفتها * تمايلن أو مالت بهن الماء^(١)كم
 طلبن الصبي حتى اذا ما أصبها * نزعن وهن المسلمات الظوالم
 وبعد سبيل الست يضيق الوادي وعلى بعد ٣١٢٠ مترا من السبيل تجد على
 يسارك جمرة العقبة وهي حد منى من جهة مكة فالمسافة بين باب المعلاة بمكة وأول
 منى ٥٤٠٧ مترا، وتجد على مقربة من جمرة العقبة في شعب على يسارك مسجد البيعة
 في المكان الذي بايع فيه الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة عمه العباس
 ومن جمرة العقبة يتسع الوادي اتساعا كبيرا فيكون ميدانا فسيحا عرضه من مؤخر
 مسجد الخيف الذي يلي الجبل الى الجبل المقابل له في الناحية الأخرى ٦٣٧ مترا
 ويضيق عن ذلك ويتسع، وطوله من جمرة العقبة حتى نهاية وادي محسر من جهة
 المزدلفة ٣٥٢٨ مترا، وهذا الميدان هو المسمى بمنى يشقه طريق من الغرب الى
 الشرق في أوله جمرة العقبة التي يرميها الحاج بالحجارة في يوم النحر وأيام التشريق،
 وتليها الجمرة الوسطى على بعد ١١٦,١٧ مترا وتليها الجمرة الأولى على بعد ١٥٦,٤٠ مترا
 من الثانية، والجمرتان الأخيرتان في وسط الطريق وترمى بالحجارة في أيام التشريق
 فقط، والحجار أعلام منصوبة لبيان موضع الرمي وهي أشبه بالاعمدة وقد تقدم لك
 وصفها ورسمها في منى، ومساكن منى بجوار هذه الحجار على جانبي الطريق، وبمنى
 ينجر الهدى ويبيت الحجاج ليالى التشريق ويتحللون بعد الحلق أو التقصير عقب
 النحر يوم الأضحية وقد قدمنا لك قريبا وصفها تفصيلا وفي آخر منى يضيق
 الوادي ويسمى في مضيقه وادي محسر الذي يستحب للحجاج الاسراع فيه،
 والمحسر — بصيغة اسم الفاعل مع تشديد السين — من الحسر وهو كشطك الشيء
 وكشفك إياه، يقال: حسر عن ذراعيه ويجوز أن يكون من الحسر بمعنى الاعياء
 يقال: حسرت الدابة والعين اذا أعيت ويتسع الوادي بعد انتهاء وادي محسر
 في مسافة طولها ٣٨١٢ مترا تنتهى الى المأزمين والوادي في هذا الاتساع يسمى

(١) جمع ماء كم أو مأكمة بفتح الكاف وتكسر وهي لمة على رأس الورك.

المزدلفة وعلى مقدار ٢٥٤٨ مترا من أقله من جهة المحسر المشعر الحرام أو قرح الذى يقف فيه الحجاج غداة يوم النحر للدعاء ، وعلامته جداران هنالك واحد عن اليمين وآخر عن الشمال ؛ وفى المزدلفة يبيت الحجاج ليلة النحر بعد أن يدفعوا من عرفة ويجمعون فيها بين المغرب والعشاء جمع تأخير (انظر ما تقدم فى المزدلفة) والوادى من نهاية المزدلفة يضيق الى ٥٠ مترا عرضا ويمتد على بعد ٣٧٢ مترا ، أى الى العلمين اللذين هما حدّ الحرم من جهة عرفة وهما بناءان أشبه ببنائى المشعر إلا أنهما أصغر منهما والمسافة بينهما مائة متر ؛ والوادى فى هذه المسافة يسمى المأزمين أو طريق المأزمين أو المضيق بين مزدلفة وعرفة وسمى بالمأزمين لأن الجبلين اللذين بينهما الوادى يسمى كل منهما مأزما ويقول أهل اللغة . المأزم الطريق الضيق بين جبلين وفى أول المأزمين على يمين الميم عرفة طريق آخر إليها أخصر من طريق المأزمين يسمى طريق ضب يستحب للحاج أن يسلكه اذا توجه الى عرفة صباح يومها كما يستحب له أن يسلك طريق المأزمين اذا أفاض من عرفة ، وبانتهاء المأزمين ينتهى الحرم من جهته الشرقية ويتبدى وادى عرنة الذى يتجنب الحاج الوقوف فيه يوم عرفة وهو ضيق فى أقله وينتهى بوسع كبير وطول هذا الوادى من العلمين المحدين للحرم الى العلمين الآخرين المحدين لعرفة من جهة المزدلفة ١٥٥٣ مترا ، وهذان العلمان بناءان بعيد أحدهما عن الآخر ارتفاع الواحد منهما خمسة أمتار وعرضه ثلاثة ، وفى جنوبى هذين العلمين على بعد ربع ساعة مسجد نمرة الذى قدمنا لك وصفه كما قدمنا لك قياس عرفات والكلام على ما فيها من الآثار فأغنانا عن الإعادة ، وعلى ذلك فبعد المواضع التى بهذا الطريق كما يأتى :

- متر
 ١٠٤٢ من باب بنى شيبة الى باب مقبرة المعلاة .
 ٢٣٨٧ » » المعلاة الى سبيل الست : أى طول المحصب .
 ٣١٢٠ » سبيل الست الى جمرة العقبة .
 ٣٥٢٨ » جمرة العقبة الى وادى محسر : أى طول منى .

متر
١٠٠٧٧ ما قبله

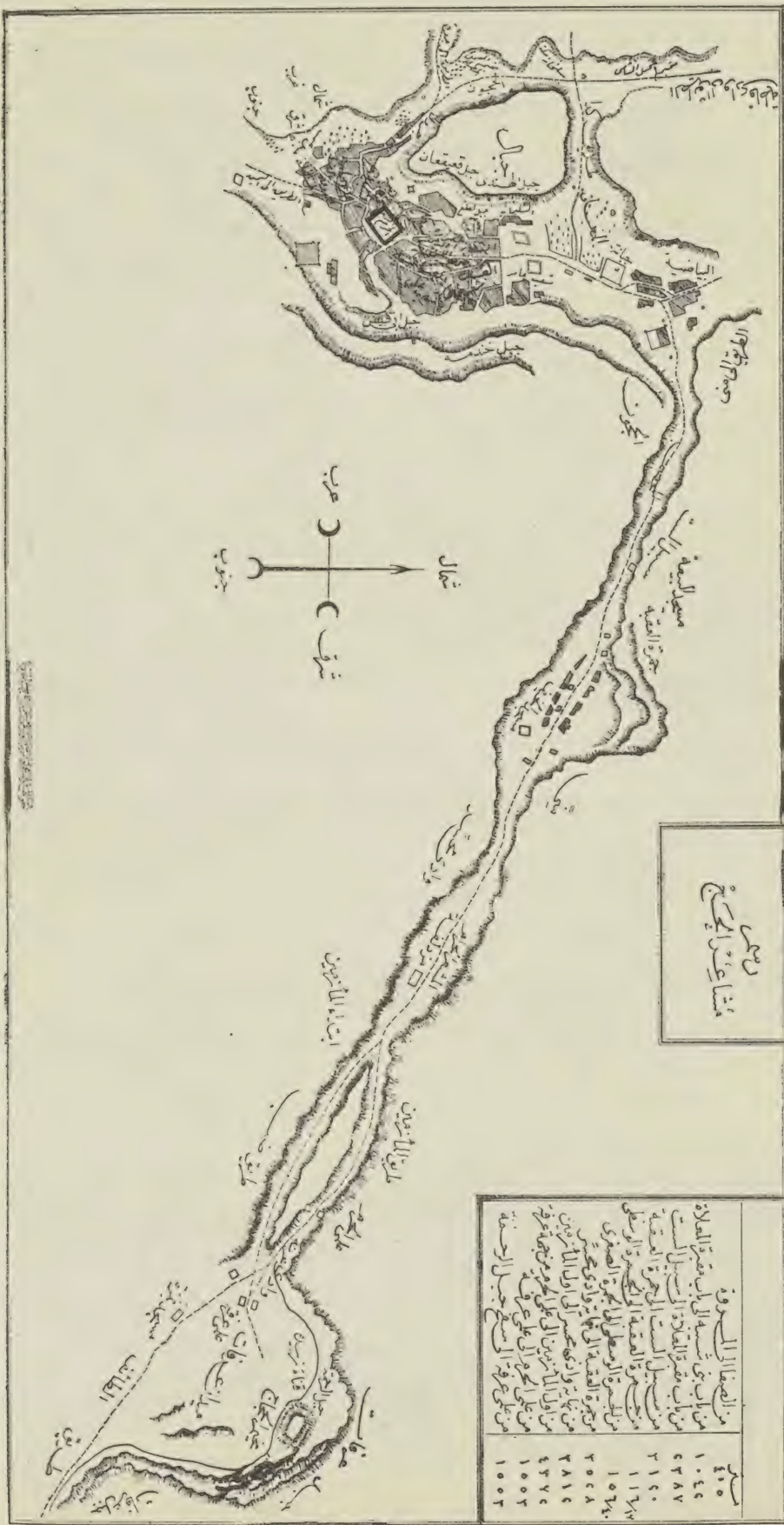
- ٣٨١٢ من نهاية وادى محسر الى أول المأزمين : أى طول المزدلفة .
 ٤٣٧٢ « أول المأزمين الى العلمين المحدين للحرم : أى طول المأزمين .
 ١٥٥٣ « أول العلمين المحدين للحرم الى العلمين المحدين لأول عرفة من جهة مكة : أى طول وادى عرنة .
 ١٥٥٣ من أول علمى عرفة الى سفح جبل الرحمة وهذه المسافة الأخيرة ذكرناها بالتقريب بخلاف ما سبقها .

٢١٣٦٧ المسافة بين باب بنى شيبه شرق المسجد الحرام وجبل الرحمة بعرفة (١)

وقد قطعنا هذه المسافة فى ٥ ساعات و ٣٥ دقيقة فيكون ما قطعناه فى الساعة تقريبا أربعة كيلو مترات (انظر رسم المشاعر فى الخريطة ١٣١) .

التنعيم ومساجد عائشة — التنعيم حدّ الحرم من جهة المدينة وهو فى شمال مكة الغربى وقد قدّمنا أن المسافة بينه وبين باب العمرة ٦١٤٨ مترا وقد قطعنا الطريق بين معسكرنا بالشيخ مجود وهذا المكان فى ٤٠ دقيقة بسير الخيل المعتاد (٤ أميال فى الساعة) ويقطعه الماشى فى ساعة ولا يحتاج الى دليل لكثرة المارين به من الحجاج من الفجر الى ما بعد الغروب ولأن به أعلاما منصوبة أشبه بالأعلام التى بحدود الحرم والطريق سهل رملى تحفه الجبال من الجانبين وبه آبار كثيرة وفيه تباع المأكولات والقهوة والشاي .

(١) اعتمدنا فى ذكر هذه المسافات على ما ذكره التقي الفاسى فى كتابه شفاء الغرام والأزرقى فى كتاب تاريخ مكة والمسافة مذكورة فيما بذراع اليد وتارة بذراع الحديد المستعمل فى قياس القماش بمصر فى عهد الفاسى بعد القرن الثامن وقد استنتجنا مقدار ذراع الحديد من قياس الفاسى لجدر الكعبة ومقارنته بقياسنا لها ولم يحصل فى جدرها تغيير من عهد الفاسى الى الآن فكان ذراع الحديد $٥٦ \frac{١}{٧}$ سنتيا ورأينا الفاسى قاس بعض الأماكن بالذراعين الحديدى واليدوى فاستنتجنا مقدار ذراع اليد فاذا هو ٤٩ سنتيا تقريبا ولا يخفى عليك أن تقدير المسافات فى هذه الأمكنة محتمل للنقص والزيادة باعتبار ما فى الأرض من نشوز وانخفاض واستقامة وانثناء فان رأيت مخالفا فلا تنكر فنشأ الخلاف ما ذكرنا .



(الخريطة ١٣١)



عَمَّا الْعَمْرَة



132. The two posts of Al-Umrah (two columns limiting the sacred Territory)

مَسْجِدُ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ وَعَمَّا الْعَمْرَة



133. Mosque El-Sayyida Eishah and the two posts of Al-Umrah.

وقد أقيم عند التنعيم علمان يفصلان الحل من الحرم ارتفاع كل منهما ستة أمتار، وعرضه ثلاثة وهما مبنيان بالحجر والملاط الجيد والذي بناهما محمد أو أحمد ابن المقتدر الراضى بالله سنة ٣١٥ هـ . (انظر رسمهما فى الشكل ١٣٢) ويجوار هذين العلمين مسجد عائشة الذى أقيم فى مكان إحرامها بالعمرة بعد أن حجت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وطول هذا المسجد ١٦ مترا فى عرض ١٥ وارتفاعه ٤ أمتار ومكتوب فى محرابه بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ هذا مسجد السيدة عائشة رضى الله عنها مجدده السلطان محمود فى أول جمادى الثانية سنة ١٠١١ هـ . ومن عمر هذا المسجد عبد الله ابن محمد بن داود العباسى أمير مكة ثم العجوز والدة المقتدر العباسى ثم زوج الملك المنصور صاحب الين سنة ٦٤٥ هـ . على ما ذكره التقي الفاسى وكذلك عمره محمود بك والى جدة بصفة تكة مرتفعة وهى باقية الى الآن وذلك سنة ١٠١٢ هـ . كما ذكره السنجارى (انظر غربى الرسم ١٣٣) وخلف مسجد عائشة حوض أعد لخزن المياه طوله ٢٤ مترا ، وعرضه ١٩ مترا ، وعمقه ثلاثة وسطحه مواز لسطح الأرض بنى بالحجر والملاط الجيد ، وفى كل من جهتيه الشمالية والجنوبية سلم يوصل الى قاعه ويتكوّن من سبع درجات وبأعلى الجهة الشرقية من الخزان حجر سطر به تاريخه غير أنه مقلوب الوضع لم أتمكن من قراءته وحول الخزان آثار بناء قديم ، وهناك أيضا صهرىح كبير كان يمتلئ من السيول ويتوضأ منه المعتمرون وهذا الصهرىح قديم ، ولما حج سنان باشا الوزير المجاهد فى سنة ٩٧٨ هـ . اعتمر من التنعيم فرأى هذا الصهرىح خاويا ورأى ما يعانى به المعتمرون فى حمل الماء من مسافات بعيدة ليشربوا منه ويتوضؤوا فحركته الشفقة الى بئر قديمة هناك تبعد عن الخزان بنحو مائتى متر قد ملأها التراب فأمر بإصلاحها وأقيمت هنالك ساقية ومجرى مرتفع مقدار قامة يجرى الماء فيه من البئر الى هذا الصهرىح الذى عمره الوزير المذكور والى الخزان السابق الذى أنشأه وجعل للقائم بترح المياه أجرا من ريع أوقاف له بمصر وذلك فى سنة ٩٨١ هـ .

ولقد انتفع الناس من حجاج وسابلة بمياه هذا الصهريج وذلك الحوض أحقابا ولكن أغفلتهما يد العناية فنضب منهما الماء وبدأت يد الدهر تضرب فيهما بمعولها .

وفي غربى الخزان مصلى صغير ارتفاع جدره ٨٠ سنتيا وبه محراب وحجران عن يمين المحراب وشماله مكتوب فى أحدهما حفرا بالخط الكوفى تاريخ سنة ٥٣١ هـ . وما وقف عليه ، وفى ثانيهما بالحفر أيضا كتابة بالخط المغربى لم أتين رسمها . ونقلت التاريخ فإذا هو سنة ٣٠١ هـ . كما تبينته من حضرة الأثرى يوسف افندى أحمد .

الطائف

كنت أود زيارة الطائف ومشاهدتها وخبرة طرقها حتى أكتب ما أكتب عن مشاهدة ولكن ما تيسر لى ذلك وتيسر للطيب الأثر محمد صادق باشا من ضباط أركان الحرب ومن المهندسين البارعين أن شاهد الطائف وذهب من أحد طريقه ورجع من الآخر وذكر ذلك بكتابه « دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج » فأذكر ذلك نقلا عنه مع تغيير تقتضيه صياغة الألفاظ وإضافة ما يستدعيه المقام مع بيان ذلك . قال طيب الله ثراه وأكرم مثواه :

فى شهر شعبان سنة ١٣٠٤ هـ . حضرت الى مكة لأمر يتعلق بغلال الصدقة فوجدت سعادة الشريف عون الرفيق باشا وسعادة الوالى صفوت باشا عازمين على التوجه الى الطائف فى آخر الشهر لشدة الحر بمكة ودعونى أن أكون برفقتهم فلبيت .

وفى يوم الثلاثاء غرة رمضان الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٨٣ م . قبل الغروب بنصف ساعة خرجنا من مكة ميممين الطائف ومقدار الحرارة ٣٩ درجة (ستجراد) وبلدة الطائف فى الجنوب الشرقى لمكة ، ولها طريقان يقطع أقصرهما فى ١٨ ساعة فسلطنا الطويلة لسهولة عن الأخرى فسرنا ٢٠ دقيقة مبشرين مشرقين الى جبل حراء المشهور بجبل النور ونزلنا بجوار ساقية ، وبعد الغروب سرنا وعطفنا يسارا

من بعد جبل النور تاركين منى يمينا سالكين طريق السيل أو « اليمانية » مبشرين مشرقين حتى وصلنا الى « بئر اليرود » فاسترحنا فيه قليلا ، ثم سرنا مشرقين ساعتين في طريق يمثل نصف دائرة ولجنا بعدهما مدخل جبال « السولة » وبعد نصف ساعة استرحنا ببقعة بين الجبال ، وفي الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ من ليلة الأربعاء شرقنا في صعود قليل وبلغنا أعلى الجبل الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ وكان الشريف يركب عربته تارة وتخته أخرى (التخت وعاء تحفظ فيه الثياب ومراده التختروان) وحصانه ثالثة فأمر برجوع العربى الى مكة من هذا المكان لتعذر سيرها فيه من كثرة الحجارة والصخور وعسر الطريق وسرنا فى هبوط مهبط كثرت الأحجار فى منحدره الى مكان فسيح بين جبال ، وفى الساعة ١٢ والدقيقة ٢٠ من يوم الأربعاء وصلنا بقعة فسيحة بها زروع وجنات تحيط بها الأسوار وفيها نخيل وليمون أزواج شتى وبعض فواكه لما تتضج وينبوع فى الجبل تتحدر منه المياه يسمونه نهرا وهذا المكان يسمى « وادى اليمانية » وقد دخل الركب أحد بساتينه وضر بنا الخيام فى ظلال أشجاره واسترحنا بياض النهار وتغدينا وأنسانا عشاء السفر ووعثاه تغريد الطيور من قمرى وشحرور وحمام وزرزور وبلغت الحرارة ٣٧° وبعد الغروب سرنا نحو ساعتين ونصف ومررنا « بالسولة » وفى الساعة ١٢ ليلا نزلنا بحمل متسع به مياه جارية واستظلنا بخيامنا ، وفى يوم الخميس ٣ رمضان الساعة ١٠ رحلنا وسرنا بين صخور مرتفعة وعقبات صعبة حتى الساعة الثالثة والنصف من ليلة الجمعة وبتنا بحمل يقال له « نبيه » أو « كوجك دره » وهناك بئر تسمى « بئر عابد » وكانت الحرارة ٣١° وفى الساعة ١٠ من يوم الجمعة تابعنا السير وبعد مضي نصف ساعة صعدنا الى عقبة حجرية أفضت بنا الى مستو فسيح به أشجار وسرنا الى الجنوب ، وفى الساعة الثانية مررنا « بالحديرة » ، وفى الساعة الرابعة « بأم حص » ، وفى الساعة السادسة بحمل يسمى الجيم ، وفى س ٧ وق ٤٠ وصلنا « الطائف » وهى فى صحراء متسعة تحيط بها جبال صغيرة غير منتظمة أرضها صالحة للزراعة لأنها تتكوّن من طين ورمل شديد النعومة ، ويقال للطائف أيضا وادى العباس

والزمن الذي استغرقناه في قطع الطريق من مكة الى الطائف ٣٦ ساعة آمتطينا فيها
 متون الإبل . « وبلدة الطائف » يحيط بها سور من اللبن بناه الشريف غالب
 سنة ١٢١٤ هـ . ليتحصن به مما عساه يجد من غدر سعود بن عبد العزيز الذي
 حج للمرة الثانية في سنة ١٢١٥ هـ . وخشيته الشريف على نفسه . وداخل هذا السور
 ٤٠٠ منزل و ٢٠٠ حانوت وستة جوامع أشهرها جامع عبد الله بن عباس — رضى
 الله عنهما — حبر الأمة وابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن والمتوفى
 في سنة ٦٨ هـ . وله إحدى وسبعون سنة و بجواره مقام الطيب والطاهر ولدى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبها أيضا سبعة مساجد ودائرة للحكومة ومنزل للدير
 ومستشفى للجند ومسلختان وحمام وقلعة لحبس المجرمين حبس بها مدحت باشا
 الشهير ورفاقه وتوفوا بها ، وعدد سكانها ٢٠٠٠ نفس وبيوتها في أكثر الأشهر خالية
 من السكان إلا القليل ولا تعمّر إلا في الصيف حيث يؤمها المكيون فرارا من حرّ
 مكة وقيظها ، ويجوار الطائف جنات مثمرة وعيون جارية وقرى أهلة ويوجد خارجها
 بعيدا عن سورها نحو ٢٥ منزلا بعيدا بعضها عن بعض ومحاطة بالأشجار داخل الأسوار
 والمنزل منها يتركب من طبقتين في كل طبقة حجرات ثلاث نفذ بعضها الى بعض ،
 وهذه المنازل لأغنياء مكة خصوصا أميرها والشيخ عمر الشيبى .

وهواء الطائف شديد الجفاف منطلق التيار قرب العصر وتارة في الصباح وتبلغ
 الحرارة نهارا ٢٩° وعند الغروب ٣٠° وفي الليل ٢٤° وإذا اشتد تيار الهواء لا تنقص
 درجة الحرارة إلا قليلا ويصعب السير خارج المنازل قبل الظهر الى العصر
 ولو بمظلة لأنه يهب على المار حرارة جافة كحرارة النار تجعله ضيق الصدر وإنها
 لشديدة الوقع على الأغراب ، أما المكيون فلشدة الحرارة ببلدهم لا يشعرون بالألم
 الكبير اذا مروا وقت الظهيرة بالطائف لأنهم مروا على هواء السموم حتى أورثهم
 ذلك نحافة في الجسم وكسلا في النفس فيجدون في هواء الطائف رحمة لهم بالنسبة
 لما تعودوه من جوهم المحرق ، ويشتكى أهل الطائف أنفسهم من شدة الحرارة
 في هجيرى النهار ، أما الذين اكتنوا بالبيوت فلا يصل اليهم ذلك الحرّ اللاخ لأن

الأبنية تمنع تياره أن يمر بها ويطيب للناس الجلوس بعد العصر تحت الأشجار وبساتين الطائف قليلة وأشهرها « الهدى » غربى البلد بثلاث ساعات . ولا انتظام درجة الجو دائما بالطائف تتضح فواكهها على الهيئة حتى تبلغ غايتها فتكون لذيدة جيدة بخلاف بقاع الحجاز الأخرى ولذا شبهوا الطائف ببلاد الروم ، أما فى الفاكهة فنعم ، وأما فى الهواء فلا ، ومن فواكهها الطيبة عندها لا سيما النوع المعروف بعنب الخاووش والخوخ والمان خصوصا الملبسى والتين العلبى والبرشومى والتوت الشامى والبرقوق والبلح والليمون وأنواع الخضراوات ، وقد دعانى مرارا الشيخ عمر الشيبى للإفطار بمنزله ورأيت منه ما سرنى من جميل خلقه وحسن لقائه وبشاشة وجهه وكرم نفسه ، ومنزله خارج السور تحيط به جنة من أشجار وأزهار وأعشاب مختلفة فيها قناة جارية تأتى من جبل هنالك وتنتهى الى حوض كبير نصطف حوله اذا جنحت الشمس للغروب فتشرح منا الصدور — وقد وافاه القدر فى سنة ١٣٠٦ هـ . فرحمه الله رحمة واسعة . والسواقي هناك عمقها من ستة أبواع الى تسعة بحسب الأرض وبالمياه مواد كبريتية تمنع رغوة الصابون كما ينبغى وهى سريعة البرودة عند مرور الهواء ، وقيل إنها فى الشتاء تجمد ولو لم ينزل ثلج ودرجة الحرارة بالطائف معادلة لدرجتها بجدة لكن هواء الأولى جاف وهواء الثانية رطب ، والطائف مرتفعة عن البحر بنحو ١٥٤٥ متر وعن مكة بنحو ١٢٦٦ متر وجميع عربان الطائف مطيعون لسعادة الشريف أمير مكة وللحكومة وأغلبهم مقيم بأرض « سفيان » و « ثقيف » .

ولبعضهم عادات وحشية يعتقدونها دينية منها : أنهم لا يختنون صبيانهم إلا بعد البلوغ أعنى بعد سنّ خمس عشرة سنة وصفة الختان عندهم أن يساخوا جلد المختون من أسفل سترته بعرض بطنه الى ثلثي فخذه مع جميع جلد ذكره وأكثرهم يموت من ذلك ويكون المختون قد خطب له زوجة من قبل فتحضر وقت ساجده وترغد تشجيعا له مع ضرب الطبول وهو واقف ثابت يهز خنجرأ بيده ويذكر بأعلى صوته بدون تضجير بل بفرح اسمه وألقابه ونسبه حتى تنتهى عملية الختان وإن تأوه كان ذلك عارا عليه ولا ترضى به خطيبته ، وقد بدؤوا فى محو هذه العادة الشنعاء ، أما

إنهم فلا يختن وصفة عقد النكاح عند هؤلاء أن أحد أقارب الزوجة يقول لها :
 زوّجتك فلانا فقط بدون أن يحضر فقيه أو يذكر مهر ونسأؤهم لا يستترن عن الرجال ،
 وقد بلغني عن سعادة أحمد فيضي باشا « قومندان » الحجاز عامة وكان قد سبق له
 الخدمة باليمن أنه يوجد بالعسير قبائل يتركون بناتهم يختلطن بالرجال حتى يجبن
 فيزوجون البنت ممن حبلى منه وإن لم تحبل فتلك المعرة عندهم . وبمسقط يزوجون
 الذكور بالذكور ويحبسونهم كالنساء في بيوتهم ويخضبون أيديهم ويكحلون عيونهم
 ويحفون وجوههم وأذقانهم ^(١) .

(١) ذكرتني هذه العادات بعادات أهل سواكن بالسودان ومربوط وسبويه غربى البلاد المصرية
 فإن العادة في سواكن إذا ما رغب الشخص في الزواج أن تحضر الزوجة ومن في سنّها والزوج وأترابه
 ويكشف نصفه الأعلى بطنه وصدره وظهره ويضرب سياطا محدودة على ظهره وبين كتفيه فإن حرك جسمه
 من الألم رغبت عنه الزوجة ولو لم يحرك لسانه بكلمة وإن لم يبدأ أماً قبلته بعلاها ودعاه أترابها « أخت البنات »
 وفي ليلة الزفاف يجتمع مع الزوجة سبع من مثيلاتها في السن يلبسن لباسها ويسترن وجوههن ويدخل
 عليهن الزوج فإن ميز زوجته من بينهن دخل بها وإن لم يميز أنفق عليهن سبعة أيام ثم يعاد التمييز فإن عرفها
 فيها وإلا أنفق على رفيقاتها سبعة أخرى إلى أن تكرر عملية التمييز سبع مرات فإن لم يعرف زوجته في الأخيرة
 قدمت إليه والنهائى من الأزواج يتفقون مع « الماشطة » لتشير إلى الزوجة فيعرفها من بين أترابها . ومن عادة
 أهل سواكن أن الزوجة إذا أسدلت على باب حجرتها سترا لا يدخلها الزوج إلا أن ترفعه وأن البكر إن
 حملت من السفاح لا يعار ذلك عليها بل يقول أهلها « رزق جانا نطرده ؟ » وإن لم تحل قيل لها « يا وحشة
 ما حدّ نظر اليك » والعادة عندهم في ختان المرأة أن يكشطن مائتا من الفرج عن باقى الجسم حتى يكون الكل
 في مستو واحد وبعد الكشط يضم الفخذان وتربط الرجلان ويوضع في الفرج عود رفيع كعود القمح تبول
 منه البنت فإذا ما تزوّجت فتق بقدر الحاجة فإذا ما أتى الوضع وسع حتى يخرج منه الحمل فتلك ثلاث عمليات
 جراحية فضيحة .

أما أهل مربوط فالعادة عندهم في الزواج أن يذهب الخطيب إلى الآبار التي ينزح منها المياه بكر النساء
 فينتقى منهن من يشاء ويسأل عن أبيها وأين يقيم ويذهب إلى خيمته ويخطب إليه ابنته فيدع له الخيمة بعد أن
 يخليها من أسرته حاشا المخطوبة فيجاس إليها الخطيب بعد أن ينصب بندقيته بالبواب ويخادشان ساعات ثم
 ينصرف وتعود الأسرة إلى بيتها ثم يعاود الخطيب ذلك حتى تثوثق بين الخطيبين روابط الألفة والمحبة
 فيتزوّجها ولو بعد حملها منه وإن رغب عنها اغترب عن أهلها سنة كاملة ثم يلتجئ إلى عظيم ليقدر عليه دية =

وكان الطائف أولاً مسكن العالقة ثم آل ثمود ثم بنى ثقيف وكان به زمن الجاهلية صنم اللات تعبد به ثقيف من دون الله وكان على صورة رجل يلبس السويقي بالسمن ويطعم الحاج، وكان من خبر ثقيف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غزاهم في سنة ثمان وحاصر ديارهم ولما لم يؤذن له بالفتح رحل عنهم وقال : اللهم اهد ثقيفا وائت بهم فاستجاب الله دعوته وأرسلوا في سنة تسع ستة منهم وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومه فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى وإنما يريدون بذلك فيما يظهر أن يسلموا بتركها من سفهاءهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها ، وقد كانوا يسألونه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا

= فإن قبل ماقدروا لا قتل ، ويكفى في عقد الزواج أن تقدم شاة للخطوبة والمهر عندهم من الجمال والغنم والمعرز ويتفاوت بحسب اليسر والعسر وهو حق لأهل الزوجة فإن أبت إلا أخذه أقصوها عنهم إن أتت غضبي اليهم من بيت زوجها . وابن العم له السيطرة على بنت عمه فلا تزوج إلا برضاه أو تقديم رشوة اليه فإن أبى تزويجها عاشت عانسا حياتها .

وفي سيوه يتزوج الرجال الغلمان ويعاشرونهم كما يعاشرون النساء بل غلام الرجل مقدم على زوجته ويلبس الغلمان قلائس (طواق) مزركشة وعلى قدر ما فيها من الزخرف يكون تقدير المهور لهم ومعرفة درجتهم في الجمال والحسن .

وكنا نود أن نربأ بقلنا عن تدوين هذه المخازي وتسطير تلك الفضائح التي يمتقها كل دين ولا يرضاها إلا الجهل والوحشية والبعد عن أسباب المدنية ولكننا ذكرناها ليتنبه الناس الى واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه ما جنى تلك الجنايات على هؤلاء الجهال إلا تقاعسنا عن التعلم والتعليم حتى أصبحنا في جهالات مظلمة وعادات منكرة .

أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه وأما الصلاة « فلا خير في دين لا صلاة فيه » .

ولما قدم الطائف أبو سفيان والمغيرة علا هذا اللات وأخذ يضربها بالمعول، وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهالك واهالك، ولما هدمها أخذ ما عليها من الذهب والفضة والجزع .

قال الامام ابن القيم استنباطا من هذه القصة في كتابه زاد المعاد : لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطلها يوما واحدا فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألينة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقييل لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى — شجرة سمرة لغطفان كانوا يعبدونها — ومناة الثالثة الأخرى — صخرة كانت تعبد بها هذيل ونزاعة — أو أعظم شركا عندها وبها والله المستعان، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتميت وتحيي وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعلها إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة — القذة ريش السهم — وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر وذراعا بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير وطمست الأعلام واشتدت غربة الاسلام وقل العلماء وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ولأهل الشرك والبسوع مجاهدين الى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ومن ثبتوا بالطائف الحجاج بن يوسف الثقفي المعروف .

قال صادق باشا : بعد اقامتي بالطائف جملة أيام رغبت في العودة الى مكة وأعددت البغال اللازمة للسفر في صباح يوم الخميس ١٧ رمضان لآتي عزمت على سلوك طريق الكرا الذي لا يصلح للسير فيه سوى البغال ، ونبه والي على ثلاثة من العسكر أن يكونوا برفقتي الى مكة ، وبعد الظهر ودعت الشريف والوالي وفي العصر أحضرت البغال ووضعت عليها الأثقال ، وفي الساعة العاشرة رحلنا من الطائف متجهين سبيل الكرا ما بين الشمال والغرب ، وبعد ربع ساعة دخلنا بين جبال واجترنا جملة محاجر فأراضى مرملة تحف بها الجبال ذات اليمين وذات الشمال ، وفي الساعة ١٠ والدقيقة ٥٥ صعدنا الى محجر بين جبال حجرية صماء ثم هبطنا الى طريق مستوي يسمى "بالجميرات" أو الجبال الحجر ، وفي الساعة ١٢ والدقيقة ٥ صعدنا الى محجر آخر ثم هبطنا ثم صعدنا فوق تلال متعددة ، وبعد عشر دقائق غرب الطريق ، وبعد ٧ دقائق هبطنا الى أرض واسعة نزلنا بها بجوار بئر تسمى "بئر العسكر" عذبة المياه صلينا عندها المغرب وتابعنا المسير الساعة ١٢ ونصفا ، وبعد ٥ دقائق مررنا بمحجر صعب وجملة أخوار ، وبعد ١٠ دقائق مررنا بجداق وبيوت في "وادي محرم" وفي الساعة ٣ والدقيقة ١٠ نفذنا من عقبة كأداء صعبة المرتقى لعلوها وكثرة أحجارها ولهذا لا يمكن أن يمر منها إلا فرد فرد ومرور التخروان من هذا الطريق متعذرا ، وبعد أن علونا صخورا واتثنى الطريق عدة انثناءات الى الساعة ٣ والدقيقة ١٠ حيث وصلنا "الهده" وهو أعلى الجبل وهناك بيوت وبساتين والفواكه في هذه الجهة أطيب وألذ من فواكه غيرها لا اعتدال هوائها وارتفاعها عن سطح البحر بنحو ١٧٥٨ متر وبتنا في مكان متسع مفروش بالأبسطة ، وفي الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ ليلا سرنا راكبين ، وبعد ٥ دقائق مررنا بدرب الجمال على اليمين وتركناه لكونه خاصا بسير الإبل ، وبعد ٣ دقائق ابتدأ النزول من الجبل من درب ضيق صناعي غير منتظم كثير الانعطاف ، وفي الساعة ٩ والدقيقة ٤٥ مررنا بعين جارية

من الجبل تصب في حوض مبنئ وتندفق منه الى الصخور ويقال ان هذا الماء سريع الهضم جدا وكان هبوط البغال من هذه البقعة اليافعة حاملة أثقالها من الغرائب لشدة انحدارها ولولا مهارة البغالة وحذقهم في تحميل الأمتعة وربطها بحيث يستقر عليها الراكب ولا تضطرب به في صعود أو هبوط — لأصاب الراكب خطر عظيم إذ يخيّل الى الراكب أن البهيم نازل به من سلم مرتفع ولولا قبضه على رباط البرذعة الخلفي لانصب على الأرض في كل منحدر ، والخيل والحمار لا تصلح للركوب في هذه الطرق لشدة الصعود والانحدار وكثرة الأحجار والانعطافات التي تمثل مسير الثعبان — وبهذا الطريق سلك الاشارات البرقية بين مكة والطائف — وفي الساعة ١١ مررنا بماء جار عذب ، وفي الساعة ١١ والدقيقة ٢٥ اجتمع الدربان وفي الساعة ١٢ والدقيقة ٤٨ وصلنا ”الكرا“ — آخر صعوبة في الجبل — وهناك ماء عذب جار وعرب راعية نساؤهم لابسات قمصا سوداء من صوف أو غيره ويغطين رؤوسهن بخمر سوداء تنثني الى الخلف وتظل الأعين تسمى ”بيرام“ ويسترن الفهم مع العنق فقط دون الوجه ، وبعد أن مكثنا قليلا لتصليح الأحمال سرنا وكانت الساعة واحدة وربعاً من يوم الجمعة وكان السير بانحدار خفيف ، وفي الساعة ١ والدقيقة ٤٨ وصلنا الى آخر الجبل المسمى ”بوادي خريف الرأس“ وفي الساعة ٢ والدقيقة ٢٥ نزلنا بقعة مرملة تحيط على الجبال فلما نحو الجنوب الغربي ، وفي الساعة ٣ والدقيقة ١٠ وصلنا قهوة ”شداد“ وهذه القهوة إحدى قهاو ثلاث بهذا الوادي ساقنا اليها البغال لينتفع من صاحبها وهي مركبة من أربعة أخصاص متفرقة قطر الواحد منها ثلاثة أمتار ونصف في ارتفاع متر ونصف بأحدها أسرة القهوي والباقيات للمسافرين والدواب ، ولما لم يمكننا الجلوس بها من شدة الحر وتعرض أبوابها للهب السوموم عرض علينا القهوي خصه بعد أن أخلاه من أسرته فوجدنا به بعض الأثاث ودجاجا بعضه قائم يلتقط الحب وبعضه مفترش بيضه فمرشنا

السجادات في الجهة الحالية ولبثنا ننتظر زوال القيلولة مع شموها والفراخ تكأ كئ
وتنبعث منها رائحة بشعة والنصب ململ الأعضاء وساعده القيظ ، وفي الساعة ٩
اتقينا ناحية الجنوب الغربي ، وفي الساعة ١٠ والدقيقة ١٥ وصلنا "وادي النعمان"
وعلى اليمين مبدأ بناء مجرى عين زبيده ثم بعد مدة غربنا في طريق واسع بين جبال
وهو صالح لسير العربات من مكة الى ابتداء وادي حريف الرأس ، وفي الساعة ١١
والدقيقة ٨ وصلنا قهوة عرفات وبجوارها عساكر ضبطية للخفر وبعد الاستراحة
قنا الساعة ١ من ليلة السبت وبعد ٥٠ دقيقة بلغنا جامع ثمرة بعرفات ، وفي الساعة ٢
والدقيقة ١٠ مررنا بين العلمين ، وفي الساعة ٤ ليلا دخلنا مكة المباركة .

فتكون المسافة من الطائف الى مكة خمس عشرة ساعة وربعا بالبغال وبعض
الناس يقطعها في ١٣ ساعة وذلك من أقرب طريق ؛ وهاك بيان ارتفاع الأماكن
المشهورة عن سطح البحر الملح بالقدم الانكليزي وكل عشرة أقدام تساوي
ثلاثة أمتار :

قدم	متر		قدم	متر
٩٣٠	٢٧٩	مكة مرتفعة عن بحرجة بمقدار	٢٧٤٠	٨٢٢
»	»	الهدا	٥٨٦٠	١٧٥٨
»	»	الطائف	٥١٥٠	١٥٤٥
»	»	الوادي أو الجبل مرتفع	١٧٦٠	٥٢٨

وقيل أن تغادر مكة الى المدينة نذكرك جدولاً بأمرائها من الفتح الاسلامي
الى يومنا هذا ونشفعه بأخرق المسافات بين مكة والمدن الاسلامية الهامة .

أمراء مكة

كانت إمارة مكة الى عمال الخلفاء حتى سنة ٣٥٨ هـ . فانترعها منهم الأشراف الحسينيون وبقيت فيهم الى سنتنا هذه - ١٣٤٣ - حيث انتزعها منهم الوهابيون كما يسميهم الناس أو الإخوان كما يسمون أنفسهم وهؤلاء الأشراف أربع طبقات الموسويون أو بنو موسى والسليانيون والهواشم وهذه الطبقات الثلاث وليت ٢٤٠ سنة من ٣٥٨ الى ٥٩٨ هـ . والطبقة الرابعة قتادة وبنوه حكموا ٧٤٥ سنة من ٥٩٨ الى ١٣٤٣ هـ . ولا يزالون في حرب وقتال مع الإخوان والله العليم بمن يستقر له الأمر وأول من ملكها من الأشراف جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثالث بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المشني بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب .

وسترى من المعلومات التي ذكرناها بالجدول أنه قلما وجد بين الأشراف مصالح وأن الحرب قلما انطفأ سعيها بينهم من أجل الإمارة حتى بلغ الأمر ببعضهم أن قتل أخاه وطبخ لحمه ودعا إخوته الباقين لوليمة قدم لهم فيها لحم أخيه وأقام على رأس كل منهم سيافين حتى لا يستفزههم الغضب الى الانتقام وكانوا يجدون من الحكام المجاورين من يساعدهم على قتل بعضهم بعضا حتى تفاقم الشر بينهم فكانوا أسوأ أسرة وجدت بين أفرادها أسوأ العلاقات وكان خليفة بحكام البلد الحرام والمتشرفين بجوار بيت الله أن يكونوا مثالا حسنا للإمارة والولاية ولكن الملك عقيم خصوصا اذا كان بيد الجهلاء الذين يحسبون مجرد نسبتهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم فخرا لهم وشرفا وإن نبذوا أخلاقه وأعماله وآداب دينه ولقد سموا أنفسهم شرفاء ويعلم الله أن أكثرهم من الشرف براء وهالك جدول الأمراء وتاريخ ولايتهم ومآلتها ما وجدنا الى معرفة ذلك سبيلا .

معلومات	تاريخ التولية	اسم الأمير
ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له حين بعثه : هل تدري الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله فاستوص بهم خيرا - بقوا ثلاثا	أوائل شوال سنة ٨ هـ	عتاب بن أسيد
	سنة ١٤ هـ	الحارث بن حارثة
	...	قنفذ بن عمير التيمي
	...	نافع بن الحارث الخزاعي
ولاية مكة في عهد عمر بن الخطاب من ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ الى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣ هـ	خالد بن العاص
	...	أحمد بن خالد
	...	طارق بن المرتفع
	...	الحارث بن نوفل
	سنة ٢٤ هـ	علي بن عدي
	...	خالد بن العاص المتقدم
	...	الحارث بن نوفل «
تولوا في خلافة عثمان رضي الله عنه الذي قتل سنة ٣٥ هـ	عبد الله بن خالد بن أسيد
	...	عبد الله بن عامر الحضرمي
	...	نافع بن الحارث الخزاعي
	...	خالد بن العاص المتقدم
تولوا مكة في خلافة علي رضي الله عنه الذي استشهد في سنة ٤٠ هـ	سنة ٣٦ هـ	أبو قتادة الأنصاري
	...	قثم بن العباس
	سنة ٣٩ هـ	عتبة بن أبي سفيان
	...	مروان بن الحكم
تولوا في خلافة معاوية الذي توفي سنة ٦٠ هـ	سعيد بن العاص
	...	عمر بن سعيد
	...	خالد بن العاص المتقدم
	...	عبد الله بن خالد بن أسيد
بعض ولاية مكة زمن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير وقد بايع الناس عبد الله بن الزبير سنة ٦٢ هـ . وتوفي يزيد سنة ٦٤ هـ . واستشهد عبد الله سنة ٧٣ هـ .	سنة ٦١ هـ	عمر بن سعيد
	...	الوليد بن عتبة بن أبي سفيان
	...	عثمان بن محمد بن أبي سفيان

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
الحارث بن خالد المخزومي ...	سنة ٦١ هـ	باقي ولاية مكة زمن يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير وتلد
عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب	...	بايع الناس عبد الله بن الزبير سنة ٦٢ هـ وتوفي يزيد
يحيى بن حكيم	سنة ٦٤ هـ واستشهد عبد الله سنة ٧٣ هـ
الحجاج بن يوسف الثقفي ...	سنة ٧٣ هـ	
مسلمة بن عبد الملك بن مروان	...	
الحارث بن خالد المخزومي المتقدم	...	ولاية مكة في زمن عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ٨٦ هـ
خالد بن عبد الله القسري	
نافع بن علقمة الكفائي	
يحيى بن الحكم بن أبي العاص	...	
عمر بن عبد العزيز ...	سنة ٨٦ هـ	توليا زمن الوليد بن عبد الملك المتوفى سنة ٩٦ هـ وبقي خالد
خالد بن عبد الله القسري المتقدم	سنة ٨٩ هـ	مدة في ملك سليمان
طلحة بن داود	توليا في زمن سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ وبقي خالد
عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد	...	الى زمن عمر
محمد بن طلحة بن عبد الله	
عروة بن عياض	تولوا في خلافة عمر بن عبد العزيز الذي توفي سنة ١٠١ هـ
عبد الله بن قيس بن مخزومة	وبقي عثمان مدة في زمن يزيد
عثمان بن عبيد الله العدوي	
عبد الرحمن بن الضحاك القرشي	سنة ١٠١ هـ	توليا في زمن يزيد بن عبد الملك الذي توفي سنة ١٠٥ هـ
عبد الواحد بن عبد الله النصري	...	واستمر عبد الواحد مدة في خلافة هشام
ابراهيم بن هشام المخزومي	
محمد بن هشام	تولى الثلاثة في زمن هشام بن عبد الملك الذي توفي سنة ١٢٥ هـ
نافع بن عبد الله الكفائي	
يوسف بن محمد الثمني ...	سنة ١٢٥ هـ	ولى في زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي قتل سنة ١٢٦ هـ
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز	سنة ١٢٦ هـ	ولى في زمن يزيد بن الوليد الذي توفي بعد خمسة أشهر من ولايته وخلفه أخوه ابراهيم وخلع بعد أربعين يوما وبقي عبد العزيز الى زمن مروان

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك	سنة ١٢٦	عينه مروان بن عبد العزيز .
أبو حمزة الخارجي	تولى على مكة قهرا .
عبد الملك بن محمد بن عطية	ولاه مروان بعد قتل أبي حمزة وإخراج جيشه منها .
الوليد بن عروة السعدى	ولاه مكة من قبل مروان بن محمد أيضا وقتل مروان سنة ١٣٢ هـ
محمد بن عبد الملك بن مروان	...	ولاهها في زمن مؤسس الدولة العباسية السفاح عبد الله بن محمد
داود بن علي بن عبد الله بن عباس	سنة ١٣٢	ابن علي بن عبد الله بن عباس وتوفي أبو العباس السفاح
عمر بن عبد الحميد	سنة ١٣٦ هـ .
العباس بن عبد الله بن معبد	سنة ١٣٦	ولاهم أبو جعفر المنصور .
إبراهيم بن عبد الله الحارثي	
أبيهم بن معاوية العنكي	
السري بن عبد الله بن الحارث	سنة ١٤٣	تولى من قبل النفس الزكية محمد بن عبد الله الذي خرج على
محمد بن الحسن بن معاوية	سنة ١٤٥	أبي جعفر بالمدينة وبايعه الأئمة من أهل عصره كالك
ابن عبد الله بن جعفر	...	وأبي حنيفة ومن في طبقتهما .
السري بن عبد الله بن الحارث	سنة ١٤٥	ولاهم أبو جعفر المنصور أيضا وتوفي أبو جعفر سنة ١٥٨ هـ
عبد الصمد بن علي بن عبد الله	...	
ابن عباس ...	سنة ١٤٦	
محمد بن إبراهيم الامام ...	سنة ١٤٩	
إبراهيم بن يحيى بن محمد ...	سنة ١٥٨	ولاهم محمد المهدي بن المنصور وتوفي المهدي سنة ١٦٨ هـ
جعفر بن سليمان بن علي ...	سنة ١٦١	وبقي عبيد الله مدة في زمن الهادي .
عبيد الله بن قثم بن العباس ...	سنة ١٦٦	
الحسين بن علي بن الحسن بن المثنى	سنة ١٦٩	خرج الحسين هذا على العباسيين واستولى على مكة حتى قتل
أحمد بن اسماعيل	مع مائة من جنده يوم التروية وكان ذلك في زمن موسى
جواد البربري	الهادي الذي توفي سنة ١٧٠ هـ
سليمان بن جعفر	
العباس بن موسى	ولى هؤلاء أخو الهادي هرون الرشيد الذي توفي سنة ١٩١ هـ

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
العباس بن محمد بن إبراهيم	...	ولى هؤلاء أخوا الهادي هرون الرشيد الذي توفى سنة ١٩١ هـ
عبد الله بن قثم	سنة ١٦٩ ...	
علي بن موسى	» ...	
الفضل بن العباس	» ...	
محمد بن عبيد الله	» ...	
موسى بن عيسى بن موسى	» ...	ولاه محمد الأمين بن الرشيد ولما قتل الأمين سنة ١٩٧ هـ وخلفه أخوه المأمون . بقى داود مدة واليا على مكة .
داود بن عيسى بن موسى	» ...	
الحسين بن الحسن المعروف بالافطس	»	تولى من قبل أبي السرايا السري بن منصور الشيباني الذي قام بالعراق يدعو لأهل البيت .
علي بن محمد بن جعفر الصادق	سنة ٢٠٠	ولاه الحسين بن الحسن لما بلغه قتل أبي السرايا سنة ٢٠٠ هـ وخاف على نفسه بطش العباسيين وكان الحسين وعلى من أقيح الناس سيرة .
محمد بن عيسى بن يزيد الحلودي	سنة ٢٠٠	
يزيد بن محمد الخزومي	...	تولوا من قبل المأمون .
إبراهيم بن موسى الكاظم	سنة ٢٠٢	جاء من اليمن واستولى على مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد
عبيد الله بن الحسن	...	تولوا مكة من قبل المأمون العباسي وتوفى المأمون سنة ٢١٨ هـ
صالح بن العباس	...	
سليمان بن عبد الله	...	
محمد بن سليمان	...	
الحسن بن سهل	...	
عبيد الله بن عبد الله بن الحسن	...	تولوا في عهد المعتصم بن الرشيد وتوفى المعتصم سنة ٢٢٨ هـ وبقى محمد بن داود في الولاية مدة الواثق بن المعتصم الذي توفى سنة ٢٣٢ هـ .
صالح بن العباس	سنة ٢١٨ ...	
أشاش التركي	...	
محمد بن داود بن عيسى	...	تولوا في زمن المتوكل بن المعتصم الذي قتل سنة ٢٤٧ هـ وتولى بعده ابنه المنتصر فأت بعد سنة أشهر .
علي بن عيسى بن جعفر	سنة ٢٣٢	
عبد الله بن محمد بن داود	سنة ٢٣٩	
عبد الصمد بن موسى	...	

[illegible]

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
جعفر بن محمد بن الحسين أول الأشراف	سنة ٣٥٨	خرجت مصر من يد العباسيين الى يد العبيديين أو الفاطميين من سنة ٣٥٨ هـ. ومن ذلك الوقت ابتدأ حكم الأشراف بمكة وأول من وليها منهم جعفر بن محمد من الأشراف الحسينيين.
عيسى بن جعفر
أبو الفتوح الحسن بن جعفر	سنة ٣٨٤	تولى مكة لما غاب عنها أبو الفتوح حينما خرج على العبيديين.
أبو الطيب داود بن عبد الرحمن
تاج المعالي محمد شكر بن أبي الفتوح	سنة ٤٣٠	...
عبد تاج المعالي	سنة ٤٥٣	...
محمد بن أبي الفاتك	...	من بنى أبي الطيب داود بن عبد الرحمن.
علي بن محمد الصليحي	سنة ٤٥٥	قدم الى مكة من اليمن وانتزعها من بنى أبي الطيب واستعمل العدل والاحسان.
محمد بن جعفر بن محمد	...	ولى مكة من قبل الصليحي وهو من الأشراف الحسينيين.
حمزة بن وهاس بن أبي الطيب	...	انتزع حمزة مكة من ابن جعفر ولكن ما لبث أن استرجعها منه.
محمد بن جعفر بن محمد
القاسم بن محمد بن جعفر	سنة ٤٨٤	انتزع مكة من يد القاسم ثم استردها القاسم منه.
الأصميد بن سارتمكين	...	كان قويا شجاعا.
القاسم بن محمد بن جعفر	سنة ٤٨٨	من الأدباء الشعراء.
فليته بن القاسم	سنة ٥١٨	نهب الحج العراقي أثناء طوافه لخلاف بينه وبين أميره.
هاشم بن فليته	سنة ٥٢٧	صادرا أموال أعيان مكة وتجارها والمجاورين بها.
القاسم بن هاشم	سنة ٥٤٩	...
عيسى بن فليته	سنة ٥٥٣	حصلت فتنة بين القاسم وعمه عيسى انتهت بطرد القاسم من مكة.
القاسم بن هاشم	سنة ٥٥٧	قتل بعد أيام لقتله قائدا من قواده فتغير عليه أصحابه.
عيسى بن فليته	...	في سنة ٥٦٧ هـ أشاء ولاية عيسى انقرضت دولة العبيديين بمصر واستولى عليها السلطان صلاح الدين الأيوبي ودعا للعباسيين.
عيسى بن فليته	سنة ٥٦٥	...
عيسى بن فليته
داود بن عيسى	سنة ٥٧٠	عزله الناصر العباسي في ١٥ رجب سنة ٥٧١ هـ.

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
مكش بن عيسى	سنة ٥٧١	نحى مكشرا عن مكة طاشتكين أمير الحج العراقي بعد أن جرى بينهما قتال شديد نهبت فيه دور كثيرة وأحرقت وسلب مكش من الحجاج أموالهم .
طاشتكين
القاسم بن مهنا الحسيني
داود بن عيسى	ولاه طاشتكين بعد أن أظهر له القاسم بحزه عن حكم مكة .
مكش بن عيسى	سنة ٥٨٧	في زمنه أبطل صلاح الدين المكوس التي كانت يتقاضاها أمير مكة من الحجاج عن طريق عيذاب وهي سبعة دنانير مصرية عن كل شخص وعوضه عنها ثمانية آلاف أردب من القمح .
الشريف قتادة بن إدريس الحسني العلوي	سنة ٥٩٧	انتزع مكة من مكش وبذلك انقضت ولاية بني فليته المعروفين بالهواشم والشريف قتادة هو جد الأشراف الذين يحكمون مكة الى الان سنة ١٣٤٣ هـ .
الحسن بن قتادة	سنة ٦١٧	قيل انه قتل أباه خنقا وكان أبوه مريضا .
علي بن رسول	سنة ٦١٩	انتزع مكة من الحسن ملك اليمن المسعود ابن الملك الكامل صاحب مصر وولى عليها المسعود علي بن رسول نائبه .
صارم الدين ياقوت عتيق المسعود	سنة ٦٢٦	ولى مكة من قبل الملك المسعود .
طغتكين التركي	»	» » »
راجح بن قتادة	سنة ٦٣٠	ولى مكة بمساعدة علي بن رسول صاحب اليمن بعد المسعود . وقد انتزعت منه واستردها ثمانى مرات حتى توفي راجح سنة ٦٥٤ هـ بعد أن نزعت منه مكة لآخر مرة سنة ٦٥٢ هـ .
الحسن بن علي بن قتادة ...	سنة ٦٣٩	ولى عليها بمساعدة الملك الناصر صاحب مصر .
جهاز بن الحسن بن قتادة ...	سنة ٦٥١	انتزع إمارة مكة من أبيه راجح الذي أخرج جهازا من مكة بلا قتال .
غانم بن راجح	سنة ٦٥٢	انتزعا مكة من غانم في شوال سنة ٦٥٤ هـ .
إدريس بن قتادة ومحمد أبو نعي الأول	سنة ٦٥٤	قتال مع إدريس حتى قتله سنة ٦٦٧ هـ وانقرض بالولاية .
محمد أبو نعي الأول	سنة ٦٦٧	لما قتل أبوه استنجد بجهاز بن شيحة فأخرج أبانمي ثم استرد أبو نعي مكة .
غانم بن إدريس	كان واليا على المدينة وأضاف اليه قلاوون صاحب مصر مكة فأخذها أياما ولكن لم يلبث أن استرجعها منه أبو نعي .
جهاز بن شيحة	سنة ٦٨٨	...

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
رميثة وحميضة ولدا أبي نجي	سنة ٧٠١	تنازل أبوهما عن الملك لهما ولما حج ببرس أمير الكرك ولى أخويهما عطيفة وأبا الغيث لما شكوا اليه وقبض على رميثة وحميضة وأخذهما معه .
رميثة وحميضة ولدا أبي نجي	سنة ٧٠٣	استعدادا مكة سنة ٧٠٣ هـ . وقعت بينهما فتن وكذا بينهما وبين عطيفة وأبي الغيث وقتل حميضة أخاه أبا الغيث سنة ٧١٤ هـ وقتل حميضة سنة ٧١٨ هـ وبقي التنازع بين رميثة وعطيفة زمانا طويلا هذا يأخذ مكة مرة وذات مرة منها أخرى حتى استقر الملك لرميثة بعد سنة ٧٣٧ هـ .
رميثة منفردا	سنة ٧٣٧	
عجلان بن رميثة	سنة ٧٤٥	اشترك معه في الولاية بعد سنة ٧٤٦ هـ أخوه ثقبه الذي توفى سنة ٧٦٢ هـ فأشرك معه ابنه أحمد حتى توفى سنة ٧٧٧ هـ .
عجلان وثقبه	سنة ٧٤٦	
سند ومغاسم ابنا رميثة ...	سنة ٧٤٧	ولاهما صاحب مصر في حين ولاية عجلان وثقبه وقتل مغاسم سنة ٧٦١ هـ .
أحمد بن عجلان منفردا ...	سنة ٧٧٧	استقل بالملك بعد وفاة أبيه وأشرك معه في الملك ابنه محمدا سنة ٧٧٨ هـ . وتوفى أحمد سنة ٧٨٨ هـ .
محمدين أحمد بن عجلان منفردا	سنة ٧٨٨	قتله أمير الحج المصري بعد أن تولى ١٠٠ يوم .
عنان بن مغاسم	»	ولاد مكة الظاهر برقوق وأشرك عنان معه أحمد بن ثقبه وعقيل بن مبارك بن رميثة ظانا أن ملكه يدوم بذلك ولكن عزله برقوق وولى على بن عجلان فأشرك على معه عنانا ثم استقل على بالملك سنة ٧٩٤ هـ .
محمد بن عجلان	سنة ٧٩٧	ولى بعد قتل أخيه على .
حسن بن عجلان	سنة ٧٩٨	ولاد سلطان مصر لما قتل على فحضر الى مكة فسلم له أخوه محمد .
بركات بن الحسن	سنة ٨٠٩	أشركه أبوه معه في هذه السنة .
أحمد بن الحسن	سنة ٨١٠	أشركه أبوه مع أخيه بركات وتولى الحسن نيابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز .
رميثة بن محمد بن عجلان ...	سنة ٨١٨	ولى رميثة سلطان مصر فأرسل الحسن ابنه بركات يستعطف السلطان فأعاد الحسن .
الحسن بن عجلان	سنة ٨١٩	
على بن عنان بن مغاسم ...	سنة ٨٢٧	ولاد برسباي ملك مصر ثم أعاد الحسن .
الحسن بن عجلان	سنة ٨٢٨	توفى بمصر سنة ٨٢٩ هـ . وكان من العلماء الفضلاء .
بركات بن الحسن	سنة ٨٢٩	تولى مرارا وكان من العلماء الأنجباء .

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
علي بن الحسن	سنة ٨٤٥	عزل أخوه بركات وتولى هو مكانه ولكن مالبث أن أعيد بركات .
بركات بن الحسن	»	عزل بعد سنة بأخيه أبي القاسم .
أبو القاسم بن الحسن	سنة ٨٤٦	أخرج بركات سنة ٨٤٩ هـ . ثم عاد الى مكة وبقى عليها الى سنة ٨٥١ هـ حيث ذهب الى مصر ومات بها سنة ٨٥٣ هـ .
بركات بن الحسن	سنة ٨٥١	أعاده الى ولاية مكة السلطان حقهق وبقى بها حتى توفي سنة ٨٥٩ هـ
محمد بن بركات	سنة ٨٥٩	كان عالما فاضلا حج في ولايته السلطان قايتباي سنة ٨٨٤ هـ .
بركات بن محمد	سنة ٩٠١	قد أشركه أبوه معه في الملك من سنة ٧٧٨ هـ . واستقل به بعد وفاته سنة ٩٠١ هـ .
نزار بن محمد	سنة ٩٠٧	تولى كل من هؤلاء بعض شهور وتغلب عليهم أخوهم بركات حتى صفا له الملك سنة ٩٠٨ هـ . واستمر فيه الى أن توفي سنة ٩٣١ هـ .
أحمد بن محمد	»	
حيضة بن محمد	سنة ٩٠٨	
أبو نعيم الزافي محمد بن بركات	سنة ٩٣١	أشركه السلطان الغوري مع أبيه في ولاية مكة من سنة ٩١٨ هـ ولم تعد سن أبي نعيم ٧ سنوات وبعد وفاة أبيه استقل بالولاية وقد أقره مع أبيه السلطان سليم لما فتح مصر سنة ٩٢٢ هـ .
أحمد بن أبي نعيم	سنة ٩٤٥	أشركه السلطان سليمان مع أبيه في ولاية مكة سنة ٩٤٥ هـ . وتوفي في حياة أبيه سنة ٩٦١ هـ .
حسن بن أبي نعيم	سنة ٩٩٢	شارك أباه في الملك من سنة ٩٦١ هـ . واستقل بعد وفاة أبيه سنة ٩٩٢ هـ .
حسين وسعود ابنا الحسن	ولى كل منهما مكة مع أبيه في حياته وتوفيا قبل وفاة والدهما .
أبو طالب بن الحسن	سنة ١٠١٠	هو أكبر أولاد الحسن ولى بعد وفاة أبيه ولم يعقب أبو طالب .
إدريس بن الحسن	سنة ١٠١٢	ولى بعد وفاة أبي طالب .
فهيدي بن الحسن	»	أشركه الأشراف مع أخيه إدريس ثم خلع سنة ١٠١٩ هـ .
محسن بن الحسين بن الحسن	سنة ١٠٣٢	أشرك مع عمه إدريس وفهيدي وبعد نزاع استقرت له الولاية سنة ١٠٣٢ هـ .
أحمد بن عبد المطلب بن الحسن	سنة ١٠٣٧	ولاه أحمد باشا والى اليمن من قبل السلطنة وقد قاتل أخاه محسنا فهزاه .
مسعود بن إدريس بن الحسن	سنة ١٠٣٩	ولاه قانصوه باشا بعد أن قتل أحمد خنقا اقتصاصا منه للشيخ عبد الرحمن المرشدي مفتي مكة الذي قتله أحمد لضغائن بينه وبينه .
عبد الله بن الحسن	سنة ١٠٤٠	

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
عبد الله بن الحسن	سنة ١٠٤٠ ...	تنازل عن الإمارة لابنه محمد واستدعى محسن بن زيد من اليمن وأشرکه مع ولده أيضا .
محمد بن عبد الله بن الحسن ...	سنة ١٠٤١ ...	قتله ناعم بن عبد المطلب بن الحسن الذي دخل مكة ونهب بيوتها .
زيد بن محسن	بعد أن قتل ناعم سنة ١٠٤٢ هـ . خلصت له الولاية الى أن توفي سنة ١٠٧٧ هـ .
ناعم بن عبد المطلب	سنة ١٠٤١ ...	قتل في الحرم سنة ١٠٤٢ هـ بعد أن تولى ١٠٠ يوم .
سعد بن زيد	سنة ١٠٧٧ ...	ولى بعد وفاة أبيه ثم ولى ثلاث مرات أخرى ومجموع مدة الولاية ٧ أشهر و ١٥ سنة .
أحمد بن زيد	سنة ١٠٨٠ ...	أشرکه معه أخوه سعد ثم هربا سنة ١٠٨٢ هـ .
بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نعي	سنة ١٠٨٢ ...	ولى بعد هروب أحمد وسعد وبقى في الولاية حتى توفي سنة ١٠٩٤ هـ . وكان حميد السيرة .
سعيد بن بركات	سنة ١٠٩٤ ...	حصات بينه وبين الأشراف فقتل انتهت بخلعه .
أحمد بن زيد	سنة ١٠٩٥ ...	ولاد السلطان بعد خلع سعد وتوفي سنة ١٠٩٩ هـ .
أحمد بن غالب	سنة ١٠٩٩ ...	تنازعا الإمارة بعد وفاة أحمد بن زيد بفناء الأمر السلطاني بتولية أحمد بن غالب فسلم له سعيد في السنة نفسها .
محسن بن حسين بن زيد ...	سنة ١١٠١ ...	ولاد والى جدة فخرج أحمد من مكة .
مسعود بن سعد	سنة ١١٠٣ ...	نازع سعيد بن سعد محسنا فتنازل عن الملك لمساعد بن سعد وهذا تنازل عنه لسعيد .
سعيد بن سعد	»	ولى بأمر سلطاني وكان في بلاد الروم فأصابه ابنه سعيدا .
سعد بن زيد	»	طلب الولاية له والى جدة ولكن قاتل سعد عبد الله وانتزع مكة منه .
عبد الله بن هاشم	سنة ١١٠٥ ...	استمر في هذه الولاية الى سنة ١١١٣ هـ حيث نزل عن الإمارة لابنه سعيد .
سعد بن زيد	سنة ١١٠٦ ...	حصلت بينه وبين الأشراف فقتل كثيرة فعزلوه وولوا عبد المحسن .
عبد المحسن بن أحمد بن زيد	سنة ١١١٦ ...	نزل عن الإمارة بعد تسعة أيام لعبد الكريم .
عبد الكريم بن يعلى	»	أخرجه من مكة سعد بن زيد .
سعد بن زيد	»	طعنه عبد الكريم عدة طعنات مات منها .

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
عبد الكريم بن يعلى	سنة ١١١٦	تقاتلا على ولاية مكة وقد تولاهما الأول ثلاث مرات مجموعها ست سنين وعشرة أشهر وتولاهما الثانى خمس مرات مجموعها عشر سنين وسبعة أشهر .
سعيد بن سعد	»	
عبد الله بن سعيد	سنة ١١٢٩	تولى بعد وفاة أبيه سعيد .
علي بن سعيد	سنة ١١٣٠	لما عزل الأشراف عبد الله أرادوا الولاية لعبد المحسن بن أحمد بن زيد فأبأها فأرادوها لأخيه مبارك فأبأها له واختار علي بن سعيد .
يحيى بن بركات	»	
مبارك بن أحمد بن زيد ...	سنة ١١٣٢	
يحيى بن بركات	سنة ١١٣٤	تنازل عن الولاية لوالده .
بركات بن يحيى	سنة ١١٣٦	
مبارك بن أحمد بن زيد ...	»	
عبد الله بن سعيد	»	
محمد بن عبد الله بن سعيد ...	سنة ١١٤٣	انتزع الامارة منه عمه مسعود مع أنه الذى ساعده عليها .
مسعود بن سعيد	سنة ١١٤٥	» » محمد بن عبد الله .
محمد بن عبد الله بن سعيد ...	»	اصطالح مع عمه سنة ١١٥١ هـ وبقي تحت طاعته الى أن توفى سنة ١١٦٩ هـ .
مسعود بن سعيد	سنة ١١٤٦	بقي في الولاية الى أن توفى .
مسعود بن سعيد	سنة ١١٦٥	تولى مرتين مدتهما ١٨ ش و ٩ س .
جعفر بن سعيد	سنة ١١٧٢	ولى جعفر أمير الحج الشامي بعد أن عزل سلفه ولكن دفع اليه مساعد مالا وتنازل له عن الولاية بعد أن مكث بها دون شهر .
مسعود بن سعيد	سنة ١١٧٣	
عبد الله بن سعيد	سنة ١١٨٤	نازعه أخوه أحمد فتنازل له عن الولاية ولم يمض عليه أيام .
أحمد بن سعيد	»	تولى مرتين مدتهما سنتان .
عبد الله بن حسين بن يحيى	»	انتزع الولاية من أحمد بمساعدة حملة مصرية برياسة عبد الله محمد بك أبى الذهب قاتله ثم قبض عليه ابن أخيه سرور ابن مساعد وأودعه السجن حتى توفى سنة ١١٩٥ هـ .
أحمد بن سعيد	سنة ١١٨٥	
سرور بن مساعد	»	

اسم الأمير	تاريخ التولية	معلومات
غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢	سنة ١٢٠٢	ولى غالب بعد وفاة أخيه وفى أيامه ظهر الوهابية وفى سنة ١٢٢٨ هـ أقصاه عن الولاية محمد على باشا وأسكن سلا نيك فانت بها سنة ١٢٣٠ هـ وتولى يحيى الى أن نزلت منه الإمارة سنة ١٢٤٢ هـ . لقتله الشريف شنبه المنعمى .
يحيى بن سرور سنة ١٢٢٨	سنة ١٢٢٨	تولى عبد المطلب بعد يحيى ولكن لم توافق الدولة العثمانية على توليه بل ولى محمد بن عون بطلب محمد على باشا وتوجه عبد المطلب الى بلاد الروم وولته الدولة على مكة سنة ١٢٦٧ هـ . وعزلت محمدا فذهب أيضا الى بلاد الروم وفى سنة ١٢٧٢ هـ ولى مكة وعزل عبد المطلب فذهب الى بلاد الروم .
عبد المطلب بن غالب بن مساعد سنة ١٢٤٢	سنة ١٢٤٢	تولى عبد المطلب بعد يحيى ولكن لم توافق الدولة العثمانية على توليه بل ولى محمد بن عون بطلب محمد على باشا وتوجه عبد المطلب الى بلاد الروم وولته الدولة على مكة سنة ١٢٦٧ هـ . وعزلت محمدا فذهب أيضا الى بلاد الروم وفى سنة ١٢٧٢ هـ ولى مكة وعزل عبد المطلب فذهب الى بلاد الروم .
محمد بن عبد المعين بن عون سنة ١٢٤٣	سنة ١٢٤٣	تولى عبد المطلب بعد يحيى ولكن لم توافق الدولة العثمانية على توليه بل ولى محمد بن عون بطلب محمد على باشا وتوجه عبد المطلب الى بلاد الروم وولته الدولة على مكة سنة ١٢٦٧ هـ . وعزلت محمدا فذهب أيضا الى بلاد الروم وفى سنة ١٢٧٢ هـ ولى مكة وعزل عبد المطلب فذهب الى بلاد الروم .
عبد المطلب بن غالب سنة ١٢٦٧	سنة ١٢٦٧	تولى عبد المطلب بعد يحيى ولكن لم توافق الدولة العثمانية على توليه بل ولى محمد بن عون بطلب محمد على باشا وتوجه عبد المطلب الى بلاد الروم وولته الدولة على مكة سنة ١٢٦٧ هـ . وعزلت محمدا فذهب أيضا الى بلاد الروم وفى سنة ١٢٧٢ هـ ولى مكة وعزل عبد المطلب فذهب الى بلاد الروم .
محمد بن عبد المعين بن عون سنة ١٢٧٢	سنة ١٢٧٢	تولى عبد المطلب بعد يحيى ولكن لم توافق الدولة العثمانية على توليه بل ولى محمد بن عون بطلب محمد على باشا وتوجه عبد المطلب الى بلاد الروم وولته الدولة على مكة سنة ١٢٦٧ هـ . وعزلت محمدا فذهب أيضا الى بلاد الروم وفى سنة ١٢٧٢ هـ ولى مكة وعزل عبد المطلب فذهب الى بلاد الروم .
عبد الله باشا بن محمد بن عبد المعين سنة ١٢٧٤	سنة ١٢٧٤	ولى بعد وفاة أبيه محمد بن عون .
حسين باشا الشهيد ابن محمد ابن عبد المعين سنة ١٢٩٤	سنة ١٢٩٤	قتله أفغانى بجده .
عبد المطلب بن غالب سنة ١٢٩٧	سنة ١٢٩٧	فصل عن الامارة سنة ١٢٩٩ هـ .
عون الرقيق باشا بن محمد بن عبد المعين سنة ١٢٩٩	سنة ١٢٩٩	تولى فى ٢٤ ذى القعدة وكان بالأسنانة فوصل الى مكة فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٢٩٩ هـ .
على باشا سنة ١٣٢٣	سنة ١٣٢٣	ولى وأعطى رتبة الوزارة فى ١٥ شعبان من السنة نفسها .
حسين بن على سنة ١٣٢٦	سنة ١٣٢٦	ولى فى ٦ شوال سنة ١٣٢٦ هـ . ثم أعان نفسه ملكا على الحجاز ثم خليفة .
خالد بن لوى سنة ١٣٤٣	سنة ١٣٤٣	ولها من قبل السلطان عبد العزيز بن السعود أمير نجد بعد أن سقطت مكة فى أيدي جنده رطرد منها الحسين بجاشيته .

جدول المسافات بين مكة وأمهات المدن الإسلامية

أمهات المدن	ميل	الموقع بالنسبة لمكة	أمهات المدن	ميل	الموقع بالنسبة لمكة
المدينة	١١٢	في شمالها	هراة	١٣٤٤	في الشمال الشرقى
القدس	٨٤٠	في شمالها الغربى	بلخ	١٥٩٠	»
القنطاط	٨٥٤	»	غزنة	١٧٣٨	»
دمشق	٧٢٨	في الشمال	مرو الشاهجان ...	١٣٠٠	»
بغداد	٦٤٢	في الشمال الشرقى	هرمز	٢٠٧٠	»
تبريز	٤٧٦	في الجنوب	كابل	١٦٤٢	»
زبيد	٤٧٦	في الجنوب الغربى	الملتان	١٦٥٢	»
الأحساء	٣٣٣	في الشرق	رلى	٣٢٢٠	»
مهرة	٥٢٨	في الجنوب الشرقى	نانه	١٤١١	»
الطائف	٤٠	في الجنوب الغربى	كنايت	١٨٠٦	»
البصرة	٦١٠	في الشمال الشرقى	الكولم	٣٧٨٠	في الجنوب الشرقى
الكوفة	٥١٠	»	سرنديب	٣٠٥٢	»
عنداب	١٢٤	في الغرب	الخنسا	٥٤٣٢	»
الطبر	٨٠٠	في الشمال الغربى	الزيتون	٢٦٣٠	»
البلقاء	٦٨٠	»	خان يالى	٣٩٣٤	في الشمال الشرقى
الموصل	٧٨٤	في الشمال	قراقرم	٤٩٩٨	في الشمال الغربى
أصفهان	٩٤٠	في الشمال الشرقى	بلاصاعون	١٩٧٤	في الشمال الشرقى
السلطانية	١٠٦٤	»	كاشغر	١٩٧٤	»
توريز	١٠٨٠	»	اسفيجاب	١٩٠٤	»
نيسابور	١١٠٠	»	فرغانة	١٧٤٠	»

(تابع) جدول المسافات بين مكة وأمّهات المدن الإسلامية

أمّهات المدن	ميل	الموقع بالنسبة لمكة	أمّهات المدن	ميل	الموقع بالنسبة لمكة
أطّار	١٣٩٠	في الشمال الشرقي	رومية	١٩٣٢	في الشمال الغربي
أسروسة	١٧٨٠	»	غرناطة	٣٢٥٠	»
بدخشان	١٧٥٦	»	أشبيلية	٣٣٦٠	»
ترمذ	١٥٩٦	»	قرنطة	٣٢٦٦	»
بخارى	١٢٨٨	»	أسنى	٣٣٨٨	»
سمرقند	١٦٣٨	»	سبته	٣٢٢٠	»
كرّكاج	١٣٢٥	»	مراكش	٢٦٣٢	»
السرائى	١٢٤٦	»	فاس	٢٤٤٨	»
البغفار	٢٠١٦	»	تلمسان	١٧٧٤	»
القرم	١٥٧٠	في الشمال الغربي	تونس	٢٠٧٢	»
طرابزون	١٣٥٠	»	غانة	٢٢٤٠	في الجنوب الغربي
كسطنطينية	١٥١٢	»	جيمى	٢٤٤٠	»
قّصون	١٤٢٨	»	جزى	١٠٢٢	»
قيسارية	١١٩٠	»	أوقات	١٣٣٠	في الشمال الغربي
قونية	١٢٣٢	»	بيدسوا	١١٤٨	في الجنوب الشرقي
القسطنطينية	١٦١٠	»	قافة	١٤١١	»

(ملحوظة) هذا الجدول نقلناه عن درر الفرائد المؤلف في القرن العاشر والذي عندنا منه نسخة خطية

و بمقارنة ما ذكر هنا عن المسافة بين مكة والمدينة بما نذكره بعدد عن المسافة بينهما يمكننا أن نعرف مقدار الميل في القرن العاشر .

وإذ قد انتهينا من مكة ووصفها وذكر آثارها ومسجدها الحرام وكعبتها التي جعلها الله قياما للناس وعرفناك أخبار ضواحيها ووصفها ورسمها وأمرائها والمسافات بينها وبين المدن الهامة نتابع سيرنا الى المدينة عاصمة الحجاز الثانية ومهد الاسلام الثاني ومثوى خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

الاحتفال بسفر المحمل من مكة

في منتصف الساعة الثانية عشرة العربية من صباح يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . سارت قوتنا من معسكرها بالشيخ محمود الى المسجد الحرام فوصلت بعد نصف ساعة وهناك وجدنا في الجهة الشرقية العساكر الشاهانية مصطفة قبالة باب علي رضي الله عنه واصطف حرسنا في الجهة المقابلة بجوار المسجد بعد أن ألبس محملنا كسوته القصصية وكذلك اصطف موظفو الحكومة الحجازية بمكة بأوسمتهم وملايسهم الرسمية وبعد فترة أقبل دولة الوالى بركنه ووقف بين هذا الجمع المحتشد فتقدم اليه أمير المحمل الشامي عبد الرحمن باشا يقود زمام جملة وسلمه الزمام فدار بالمحمل خمس دورات ثم سلمه لأميده بعد أن ثم مقوده ولحظتند صدحت الموسيقى الشاهانية بسلام جلالة السلطان وهتف العسكر والحضور بالدعاء له ثلاثا ثم تقدم اليه أمير المحمل المصرى بزمام جملة فتسلمه منه ودار به خمس دورات كما فعل بسالفه وسلمه للأمرير وصدحت الموسيقى بالسلام الملكي ثم ألقى الشيخ السنباطى خطبة دعا فيها لجلالة السلطان ودولتى الشريف والوالى وختمها بالدعاء للجناب الخديوى وعقب ذلك انصرف المحملان يتبع كلا حرسه الى مقره بمعسكره .

السفر من مكة الى المدينة

(اليوم الأول) في منتصف الساعة الثانية العربية من يوم الخميس ٢٨ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ . قام ركبنا من مكة ميما المدينة فسار نحو الشمال الغربى ٣٠ دقيقة ، ثم نحو الشمال الشرقى مثلها ، ثم أشمل ٤٥ دقيقة ، ثم سار نحو الجنوب الشرق ساعة

و ١٥ دقيقة، ثم شرق ٣٠ دقيقة، ثم تابع السير نحو الشمال الشرق ساعتين ونصفاً وإذا بنا في المحطة الأولى (بئر البرود) وكانت الساعة وقت وصولنا تسعاً وربعا سرنا منها ٦ ساعات وأضعنا ساعة وثلاثة أرباعها في إصلاح الأحمال بين لحظة وأخرى؛ وذلك أن مقوم المحمل قدّم لنا كثيراً من الجمال التي لم تتمن على الحمل ولم تتعود رؤية الطرايش والكسا العسكرية وكانت أقنابها — عددها — منقوشة غير مدسجة فلم تلبث أن هبط علوها فارتخت أحزمتها فسقط أكثر الأحمال وهروا غير المذلل من الجمال أضف إلى ذلك رجوع العربان إلى بيوتهم لقضاء لوازم السفر ونوط كل خمسين جملاً بواحد منهم فقل من سلم من العثور، ولقينا يوماً شديد النصب دأب التعب ولكن في سبيل الله ما لقينا، والطريق واد بين جبال تحفه من الجانبين محصب في أوله وحجريّ في وسطه إلى حذاء جبل النور — حراء — ومترب في آخره حتى بئر البرود اللهم إلا بعض مسافات قليلة فإنها حجرية، والجبال تارة تزداني حتى لا يكون بينها إلا واد عرضه ٦٠ متراً وتارة تتأوى فتتفرج عن واد سعته من ٣٠٠ متر إلى ألف وقد يقل أو يزيد عن ذلك؛ ولما بلغنا بئر البرود وجدنا المحمل الشامي سبقنا إليه والزحام على البئر شديد فلم نتمكن من أخذ مياه إلا بعد الساعة الخامسة العربية ليلاً ولولا ما استصحبناه معنا من مكة من المياه الكافية لأضرّ بنا الظمأ إضراراً بليغاً وكان يرافق الركب الشامي ركب الحجاج من أتباع ابن الرشيد وعدده يقارب ١٢٠٠٠ نفس معهم ألوف الحيوان وبالنظر لقلتنا وكثرتهم وسبقهم دائماً إلى الآبار رأيت أن نتأخر عنهم يوماً فوافقني الأمير والأمين على ما رأيت وذلك لتمكن من أخذ المياه بسهولة فتأخرنا يوماً بعد وادي الليمون.

وبئر البرود بئر عظيمة مطوية بالحجارة المنحوتة قطرها ٦ أمتار، وعمقها ١٢ متراً وماؤها عذب لا يزيد ارتفاعه في قاعها عن ٥٠ سنتياً، وبالبئر شجرة حمير ضخمة نبتت في أصل البئر واخترقت جدارها الشرق وأظلت فروعها البئر وفناءها، والناس يجلسون على جذوعها لأخذ المياه من البئر بالكيزان إذا ما قلت فإن كثرت أخرجوها بالدلاء ولهذا البئر سلم من خارج جدرها ينتهي بفتحة إلى قاعها ولكن بابه العلوي

مردوم، وهذا البئر أشبه ببئر البردويل بمربوط مصر. ويجوزها بئر أخرى مردومة، وأسس أبنية في جملة مواضع، عرض الجدار منها ثلاثة أمتار وهي من الحجر الصلب الضخم ذي النقط البيضاء والسوداء، وإن في هذا لآية على أنه كان بهذه الجهة بلدة كبيرة ذات مدنية في الأزمنة الغابرة، ويدل على ذلك قول كثير:

غشيت ليلي بالبرود منازل * تقادم واستنت بهن الأعاصير^(١)

وأوحش بعد الحى إلا معالم * يرين حديثات وهرن دوائر

ومن هذه البئر طريق سهل يوصل الى الطائف كما أخبرني بذلك متعهد الجمال (المقوم) والذي حفرها نراش بن أمية الخزاعي الكعبي وله يقول الشاعر:

* بين البرود وبين بلدح نلتقى *

(اليوم الثاني) وفي مبتدأ الساعة الأولى من صباح الجمعة ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣١٨ هـ. رحلنا من بئر البرود واتجهنا نحو الشمال الشرقى حتى وصلنا «وادی فاطمة» في الساعة الرابعة والربع وكان الطريق خورا ذا أشجار كبيرة على شاطئيه والجبال تكتنفه من الجانبين ومن بدء وادی فاطمة تغير اتجاهنا الى الشرق، وهذا الوادی متسع به أراض زراعية مرتفعة نحو ثلاثة أمتار بها حشيش يسمى العترى ينبته المطر وهو من أجود الأغذية للحيوان وهناك مساكن للأعراب الذين يحافظون على هذا النبات لبيعوه في مكة وللسابلة، وقد استمر سيرنا بهذا الوادی حتى الساعة الخامسة والنصف واذ ذاك دخلنا واديا آخر به نخيل وأشجار وبيوت من الجانبين ومازلنا نسير في تعاريجها حتى وصلنا «وادی الليمون» في الساعة السابعة والربع ولم نسترح في خلال ذلك إلا ١٥ دقيقة ويحتوى هذا الوادی على بيوت بنيت في أحضان الجبال وحدائق ذات بهجة بها النخيل والليمون والبطيخ والخيار والبامية والقطن الذى يرتفع نحو مترين وفتلته كالحرير، ولبعض الحدائق أسوار بنيت من

(١) الأعاصير جمع إعصار وهي ريح شير الغبار فيرتفع في السماء كأنه عمود واستناتها مرورها سريعا.

الحجارة الصماء ذات اللون الأزرق والحجم الكبير غير أنها متهدمة وتوجد بها آثار أبنية قديمة تدل على أنه كان لهذه الجهة شأن فى سالف العصور .

وبهذا الوادى قناة بنيت بالحجارة والملاط المتناسك عمقها ثلاثة أرباع المتر ، وعرضها ستة أعشاره وعمق الماء فى قاعها ٥٠ سنتيا وماؤها عذب فوات صاف كأنه مقطر يجرى ليلا ونهارا صيفا وشتاء ولكنه يمتلئ فى الآخر الى الصحارى حيث تستشفه ولا تشكر بالانبات ، فلو أنه حول حيث ينبت الزرع والأشجار لأجدى ذلك عظيم الاجداء ، وهذه القناة تسير نحو الشرق فى سفح الجبل على مدى بعيد قطعناه فى نصف ساعة وجزء كبير من أبنيتها متهدم ، وقد سألت شيخا هرا ما عن أصل هذه القناة فأخبرنى أنها تأتى من عين فى قاع بئر غؤور فى أرض صلبة بلغ عمقها ٢٠ قامة وغطيت بالأحجار فوقها الأتربة ثلاث قامات أخرى ولا تكشف هذه العين إلا اذا أريد إجراء عمارة بها وهى على يمين السالك نحو يثرب .

وبوادى الليمون « سوق » باعته من مكة فيه الخوم والأرز مطبوخة وغير مطبوخة ، وبه الخيار والقثاء والبطيخ والكراث والعيش والجن والبصل الأخضر والحباف والإبل والغنم وغير ذلك أزواج شتى .

(اليوم الثالث) وفى الساعة السابعة من نهار السبت أول المحرم سنة ١٣١٩ هـ . سار ركبنا من وادى الليمون نحو الشمال ساعتين و ٢٠ دقيقة ثم الى الشمال الشرق ساعة ثم شرق أخرى فتلك أربع ساعات وثلث ألقينا بعدها عصا التسيار للبيت وقطعنا فيها واديا سهلا تكثر به الحصباء وتحفه الجبال الشاخحة من حاشيتيه وقد وجدنا بعد مسير ثلاث ساعات ونصف بئرا حجرية على يميننا مأوها العادى به ملوحة وفى فصل المطر يكون عذبا .

(اليوم الرابع) وفى الساعة الحادية عشرة الليلية فى صباح الأحد ثانى المحرم سنة ١٣١٩ هـ . سار ركبنا نحو الشمال الشرق ٥٥ دقيقة ، وأشمل ساعة ونصفها ، وأبحر مشرقا نصفها ، ومغربا ٣٧ دقيقة ، وأشمل ساعتين ونصفها ثم سار نحو الجنوب

الشرق ساعة وربعا، والشمال الشرق ساعة واحدة فتلك ثمان ساعات و ١٧ دقيقة قطعنا في أولها عقبة عوجاء استنفدت ساعة ونصفا ولقينا بعد مسير ثلاث ساعات ونصف غابة ذات أشجار كثيرة إلا أنها متفرقة وبعد الغابة بساعتين ونصف سرنا ساعة في واد فسيح جباله اليمنى دانية واليسرى نائية متقطعة تكون تلالا عالية ثم ضاق الوادى كما بدأ، وفي مبدأ العقبة وجدنا حفائر في أراض رملية بها ماء عذب كماء النيل يخرج النكت في الأرض باليد وإنه لماء غزير يكتفى الآلاف من الناس والحيوان وهناك النخيل ذات إيمين .

وقد أتممنا نهأرنا وبتنا ليلتنا بمحطة يقال لها الحفائر أو الضريبة وصلناها في منتصف الساعة الثامنة نهأرا، والماء بها عذب غزير في حفائر عمقها ٥٠ سنتيا وماؤها يكون مرا في السنين التي يجبس فيها ماء المطر، وكان الهواء في يومنا هذا شديد الجفاف غاية في الاعتدال وكان الماء وقت الظهيرة باردا جدا كأنه مشايح أما بالليل فكان الطقس باردا .

وهذه المحطة لصوص شاهدت منهم رمى الحجيج بالحجارة الصغيرة حتى اذا كانوا يقظين وشعروا بالحجارة أجل اللصوص سطوهم لفرصة أخرى وإن كان حارسهم نامت عينه مشوا على أيديهم وأرجلهم واستلبوا مايصلون اليه وعادوا، وقد شاهدتهم في الصباح حينما سار الحمل يركبون الهجن ويتربصون من يتخلف عن الركب ليسابوه ماله ولكن بعناية الله وقوته لم يصلوا إلينا بسوء ولم يسترخوا شيئا إلا ما تركه الحجاج من جلود الأنعام ورءوسها وأرجلها وأكراشها .

وقد كان معنا ثلاثة من العربان اسنأجرناهم بجنيهاات عشرة ليرشدوا ركبنا الى مواطن المياه العذبة وليعرفونا منازل اللصوص وقد أحسنوا القيام بما كلفوا به فان أحدهم كان يرافق دائما العسس — الداورية — حينما يمرون على المعسكر ليلا .

(اليوم الخامس) وفي صباح الاثنين ثالث المحرم الساعة ١١ والدقيقة ١٥ الليلة قمنا من الضريبة وسرنا نحو الشمال الشرق في خور ذى أشجار كثيفة ترتفع أرضه تارة

وتتخفّض أخرى قطعناه في ساعة وثلاثة أرباعها الى واد آخر عظيم الاتساع سرنا فيه ساعة وربعا في أرض حجرية صعبة المسلك ثم أعقبنا أرض سهلة غابت فيها الجبال عن الأبصار، وتنام الساعة العاشرة تغير سيرنا الى الشمال وبعد نصف ساعة وصلنا « محطة البركة » فتلك احدى عشرة ساعة وربيع استرحنا منها في أثناء الطريق ساعة واحدة، وبهذه المحطة حوض يسمى بركة زبيدة متقن البناء مربع ضلعه ٥٠ مترا، وعمقه نحو الثلاثة وبجواره جملة برك بها ماء الأمطار يمثل اتصال بعضها ببعض نهرا أحاطت به الأشجار الكثيفة من أجناس شتى كالسنط والتبق والسلم، وبهذه الجهة اصوص من عربان عتية ولكن كفانا الله شرهم فلم يسلبونا شيئا وقد اشتد الحر بعد الظهر ومات من خيلنا حصان أصابه مغص ففقد عليه .

(اليوم السادس) وفي صباح الثلاثاء رابع المحرم الساعة ١١ ليلا غادرنا البركة متجهين نحو الشمال الغربي في أرض سهلة لم تصادفنا بها إلا ثلاث عقبات حجرية صلبة قطعنا كلا منها في ربع الساعة وانهينا الى محطة « الغدير أو المكر والمكير » في الساعة ١١ والدقيقة ٢٠ نهرا ولم نسترح من ذلك إلا ساعة وقت الظهر الذي كان الحر بعده شديدا، وبهذه المحطة مياه كثيرة متخلفة من الأمطار وفيها تباع الحشائش والتبن والمسل والأغنام وخشب الحريق متوفر بها وأرضها زراعية وهي قبل المحطة المعتادة محطة « حازا » بساعة ونصف .

(اليوم السابع) وفي منتصف الساعة الثانية عشرة ليلا صباح الأربعاء خامس المحرم قمنا من « الغدير أو المكر والمكير » فشرقنا ساعتين ونصفا وسرنا الى الشمال الشرق ساعة ونصفها ونحو الشمال ست ساعات ووصلنا « محطة الهضاب » في منتصف الساعة الحادية عشرة نهرا وقد استرحنا بالطريق ساعة وقت الظهر فالمسير عشر ساعات قطعنا في الخمس الأولى منها ملاحا اذا أصابها وابل المطر تعذر عبورها لرخاوة أرضها ، وفي الخمس الثانية أسهلت الأرض وانفرجت عنها الجبال الى مدى واسع « ومحطة الهضاب » جمال تباع ولا ماء بها وخشب الحريق قليل .

(اليوم الثامن) وفي ليلة الخميس سادس المحرم الساعة ٨ والدقيقة ١٥ قمنا من الهضاب وسرنا نحو الشمال خمس ساعات ونصفا ونحو الشمال الغربى سبعا ونصفا فوصلنا الى « صفينة » فى منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا بعد أن استرحنا بالطريق ساعة وربعها ، وبعد قيامنا من الهضاب بساعتين وثلاثة أرباع وجدنا على ميسرتنا ملاحه طويلة ملحها شديد البياض باد على وجه الأرض وقد اجتريتها فى أربع ساعات وقبل أن نصل الى صفينة بساعة صعدنا الى عقبة حجرية قطعناها فى الساعة الباقية وأولها وآخرها صعب المسلك مسيرة خمس دقائق فى مبدئها ومثلها فى منتهاها وما بين ذلك طرق متعددة اختطتها الأرجل المشية .

وصفينة هذه بلدة أمير مكة الآن الشريف عون الرفيق باشا وهى قرية صغيرة أبنيتها بالطين المكسد بعضه فوق بعض يسكنها نحو ٤٠٠ نسمة وبها حوالى ١٠٠ نخلة صغيرة وكبيرة وقليل من شجر الليمون وشجر الطرفاء وفيها ٣٦ بئرا مبنية بالحجر عمق الواحدة منها ثلاث قامات ومائها رائق نظيف معين لا ينضب ولكنه لا يروى ، وأراضى هذه القرية صفراء تشبه أراضى مريوط يزرع بها الشعير والقمح وبعض الخضراوات وقد بتنا بها ليلتين فى الأولى منهما سرق حصان لنا كان مريضا باحتقان فى الحنجرة وكانت تنزل من أنفه مواد مخاطية وكان مربوطا خارج المعسكر للاشتباه فى مرضه ولذلك تمكنوا من أخذه وقد بلغنى خبر السرقة فى الساعة الثامنة ليلا من الضابط المنوط بالحراسة (النوبتجى) فأحضرت فى الحال عمدة البلدة المدعو سعدا وأخبرته الخبر وأكدت عليه ضرورة رجوع الحصان فأسرع فى الحال وركب مع بعض أقربائه هجنا واقتفوا أثر اللصوص فوافونا به فى الساعة الرابعة من الليلة التالية وقد أنهكه التعب فسرنا ذلك جد السرور وفرح الركب أيما فرح وقد كافأ العمدة أمير الحج بجنينين انجليزيين — وكان له مرتب مثلهما — وجبة حمراء وشهادة بأنه « تحوى » المحمل أى من أمثاله ففرح بذلك فرحا شديدا .

وفي الليلة الأولى أيضا اقترب بعض اللصوص من المعسكر زاحفين على أيديهم وأرجلهم فبادرهم الجندي الخفير (الديده بان) بضرب الرصاص فالتفتوا راجعين بعد أن أصيب واحد منهم برصاصة في فخذه كما وردت بذلك الأخبار الأكيدة في الصباح، وبلغني أنهم سيحضرون في الليلة التالية ليأخذوا بثأرهم فأعددت لذلك العدة واتخذت الخيطة فعند الغروب أمرت «البروجي» بتزوير نوبة^(١) كبسة فني لحظة يسيرة وقف العساكر بشكل مربع محكم داخله الحجاج وجمالهم وترأس كل صف ضابط ونصب المدفعان في اتجاه البلدة وأمرهم رئيس المائة (اليوزباشي) أن يتشككوا بشكل ضرب النار ففعلوا وبعد أن مررت بهم ونهبت عليهم بما يلزم زمر «البروجي» ترمية الانقضاض (دستور) . وقد بلغني أن العربان لما شاهدوا تمرين العسكر والمدافع وجهت أفواهها نحو البلدة جبنوا عن الاقتراب من المعسكر وبتنا ليلتنا الثانية في أمان واطمئنان ولم يحدث ما يبكر الصفو فحمدنا لله رعايته لنا وردّه المسلوب إلينا ولم نسمع قبل ذلك أن العربان استلبوا شينا وردّوه ولكن رعاية الله فوق كل رعاية .

(اليوم التاسع) وأقمنا يوم الجمعة سابع المحرم بصفينة للاستراحة والاستحمام اذ المياه بها كثيرة .

(اليوم العاشر) وفي منتصف الساعة الثانية عشرة وقد أصبح صباح السبت ثامن المحرم قمنا من صفينة وسرنا الى الشمال الشرق ثلاث ساعات ونصفا والى الشمال الغربى سنا ونصفا فتلك عشر ساعات سيرا واسترحنا ساعة وقت الظهر فكنّا في منتصف الساعة الحادية عشرة نهرا قبالة «السويرجية» في ميسرتنا مسيرة ست ساعات وأقمنا حيث انتهى بنا السير ولم نخرج على محطة السويرجية لأنه كان معنا المياه الكافية والطريق من صفينة الى قبالة السويرجية سهل رملي إلا بعض بقاع فيه ، وأشجاره كثيرة وحره شديد وبه جملة برك تجمع فيها ماء المطر فسقينا منها

(١) تكون عند هجوم العدو بغتة .

الحيوان وقد وافانا حيث أقمنا الشيخ « بريكة الشويب » شيخ قبيلة مطير وله مرتب سنوى ٦٠ ريالاً (بطاقة) يأخذها من صرة المحمل عند مروره بأرضه نظير محافظته عليه ، وقد طلب من الأمير مرتب السنة الماضية أيضا لأن المحمل لم يتر فيها من الطريق الشرقى الذى نحن بصدد وصفه فلم يتقاضى مرتبها — والعادة تثبت عند العرب بمرة واحدة — فأبى عليه الأمير فأسرهما فى نفسه وتصادف أنه لما حضر الشيخ بريكة كان معه نحو ثلاثين هجانا مسلحين فاناخوا هجهم قبالة سراق الأمير فأمر بنقلهم الى جهة أخرى بلهجة شديدة فامتلاّت من ذلك نفس الشيخ وصحبه واستبنت ذلك فى وجوههم فتلافت الأمر وأخذتهم الى خيمتى وذبحت لهم كبشا وصنعت لهم ثريدا يعالوه الأرز فسرى عنهم وأكلوا وشكروا وازداد فرحهم لما قدمت لهم شايا وقهوة وأوقدوا نارا أمام خيمتنا وصنعوا لنا قهوة عربية ودعوني فشربت معهم وكان مما قاله لى الشيخ بريكة ساعة حضر الى خيمتنا هذه الجملة :

(يا بيه الباشا هذا علومه فاسدة يا راجل) وقال بلا خوف : نحن كلاب يقول لنا امشوا امشوا، ولكن اكرامنا له وحفاوتنا به أزالنا ما علق بنفسه وطلب الى أن أتكلم مع الباشا الأمير بشأن مرتب السنة الماضية فكلمته واتفق الأمير مع أمين الصرة والكتاب الأول على أن يصرف له نصف المرتب فرضى الشيخ بذلك ورجا الأمير فى أن يكلم وزير المالية فى صرف النصف الآخر اليه فوعده المساعدة وأعطاها نصف رأس من السكر ونحو رطل من البن وبعض من « البقساط » وكذلك أعطيته بعض البن والسكر فزاد فرحه وشكره وعاد الى قبيلته بعد أن رافقنا يوما بعد حدوده التى كان يرافق المحمل اليها كل سنة .

(اليوم الحادى عشر) وفى منتصف الساعة العاشرة ليلا قمنا من « السورجية » وسرنا نحو الشمال الغربى تسع ساعات ونصفا ونحو الغرب ساعتين ونصفا واسترحنا ساعة وقت الظهر فتلك ثلاث عشرة ساعة وصلنا بعدها الى « محطة الحجرية » قبل المغرب بساعة ونصف وكان طريقنا خيرانا يشبه بعضها بعضا تنخفض تارة وترتفع أخرى وبه أشجار عتيقة ضخمة والجبال متدانية وقبل أن نصل الى الحجرية

بساعتين ونصف بدأنا السير في عقبة سهلة في أولها متشعبة طرقها لا يسع الواحد منها إلا جملا واحدا وفي وسط هذه العقبة منحدر شديد يمر منه الجمال تلو الجمال يعسر ومشقة حيث إن الجمال لا ينزل من المنحدر إلا اذا صاحبه ثلاثة أشخاص يأخذ بمقوده واحد ويسند مينة الشداف ثان وميسرته ثالث ، وقد مر جميع الركاب بهذا النظام ولم يقع منه إلا رجل طاعن في السن يسمى أبا حلاوة يرافق المحمل سنويا ومعه سوط — فرقة — يفسح به الطريق للركب ، فإنه وقع وأصابته رضوض صاحبه الى مصر ، وتنتهى العقبة بمضيق بين جبال شاهقة به أشجار كثيفة ومياه مطر كثيرة .

وبالحجرية ست آبار عذبة المياه عمق الواحدة منها سبعة أمتار وبها حشائش للحيوان تباع بأثمان عالية .

وقد وجدنا بالمحطة رجلا مغربيا مصابا بالجدرى لا يستطيع النهوض تركه رفاقه على « شبرية »^(١) وسط أشجار سنط كثيفة فأشفقنا عليه واستجدينا له الحسين وأجرنا له جملا يركبه ورجلا يخدمه وجعلناه في مؤخرة الركب على بعد ١٠٠ متر منه حذر أن تنتقل الينا جراثيم مرضه وقد أخذت صحته في التقدم من ذلك الحين لشدة فرحه برؤية ركبنا ولإشفاقنا عليه وكان من خبر هذا الرجل مع رفقة أنه الذى دفع لهم أجرة الجمال وأنه كان معه ٤٠ جنميا أخذوها وتركوه وسط غابة لا يأوى اليها إلا الوحوش الضارية وقد بلغنى من أهل المدينة أنه تم شفاؤه وأنه عرف رفقه بالمدينة فأخذ منهم نقوده وتركهم وشأنهم .

(اليوم الثانى عشر) وفي صباح الاثنين عاشر المحرم الساعة ١١ ليلا قمنا من الحجرية وسرنا نحو الشمال الغربى ساعة ونصفا الى الشمال الشرقى ساعتين ثم الى الشمال الغربى ثمان ساعات ونصفا وقد استرحنا بالطريق من الساعة الخامسة نهرا

(١) الشبرية عبارة عن مستطيلين من الخشب طول كل منهما نحو ١٥٠ سنتى فى عرض ٧٥ وضع أحدهما فوق الآخر على قوائم أربع فى الزوايا الأربع ووصل بين كل ضلعين متقابلين بأحبال على شكل شبكة مما عدا الجهة العلوية ويوضع على ظهر الجمال ويركب فيه شخصان كل فى ناحية ويسميا بعض العوب سخلية .

لغاية الساعة الحادية عشرة ثم واصلنا السير حتى وصلنا تجاه محطة « غرابة » فعزسنا هنالك بعد تمام الساعة الخامسة ليلا والطريق سهل واسع جباله متناثية وأرضه مستوية تصلح للزراعة وبعد قيامنا من الحجرية بنصف ساعة هبت علينا رياح شديدة ملأت الجوّ بالأتربة حتى كان الشخص لا يبصر جاره وقد قلت سير الجمال فدعونا الله أن تقلع عنا فبعد الغروب بنصف ساعة أخذ تيارها يخف شيئا فشيئا ووصفنا الجوّ من الغبار وسارت الإبل على ضوء القمر ضعف ما كانت تسير بالنهار .
وقد بدأنا من الحجرية في غابة كثيفة ساعتين ونصفا وبها طرق متعددة (مدقات) ووجدنا بها بعض حجاج تردهم ركب الحمل الشامي كما وجدنا غيرهم بالمحطات السابقة وكنا نحمل من نجد الى المدينة ولا ماء حيث عرّسنا .

(اليوم الثالث عشر) ورحلنا عن الغرابة صباح الثلاثاء الساعة ١١ ليلا فأشملنا مغربين ثمانى ساعات وسدسا وغربنا ساعة ونصفا فوصلنا محطة « الغدير » الساعة ٨ والدقيقة ٤٠ . نهارا والطريق أكثره سهل عظيم الاتساع مستو صالح للزراعة ، وفي منتهاه عقبة ذات صعود وهبوط وتعاريج كثيرة تدانت فيها الجبال وقد قطعناها في ساعة ونصف وقد وجدنا بالطريق بئرا ملأته مياه المطر ، أما محطة الغدير فيها بركة مبنية طولها ١٠٠ متر في عرض ١٠ وعمق مترين أو يزيد وهى في حجر الجبل ويجوارها مياه أخرى وقد أطلق أحد العربان «بندقيته» على خادم من خدام سلطان المسكلة والشحر وهو يغترف الماء من البركة ولكن طاش سهمه وقد بجشنا عن هذا الشق فلم نظفر به .

ومحطة الغدير المسلى واللبن الحامض والأغنام والحشيش للحيوان وبها لصوص .
(اليوم الرابع عشر) وفي الساعة العاشرة من ليلة الأربعاء ثانى عشر المحرم سرنا من محطة الغدير نحو الشمال الغربى سبع ساعات ونصفا وغربنا ساعة ونصفا واتحينا ناحية الجنوب الغربى ثلاث ساعات واذا بنا في « المدينة المنورة » على صاحبها أزكى الصلوات والتسليمات وكان وصولنا اليها في منتصف الساعة الحادية عشرة نهارا ، وقد استرحنا بالطريق نصف ساعة والطريق من الغدير حجري صعب

المسلك سرنا فيه فرادى سبع ساعات وكان يعلو بنا تارة وينحدر أخرى وقد وجدنا قبل وصولنا الى المدينة بقريب من ثلاث ساعات غديرا يمثل جزءا من نهر النيل في اتساعه وقت الفيضان ويقال له غدير الأغوات ، وكذلك يوجد خارج المدينة جملة آبار مررنا بها وماؤها مالح لا يصلح للشرب وأكثرها مردوم غير معتنى به .



ولا يفوتنا أن نذكر لك أنه عند قيامنا من مكة قام معنا مائتا رجل وجمال محملة أسلاكاً ومغازل — ما يلف حوله السلك بالعمود — لخط الاشارات البرقية الذي شرع في إنشائه بالطريق الشرقي بين مكة والمدينة فسارت معنا آمنة مطمئنة ووزعت تلك الأحمال على المحطات التي انتخبها الشريف لذلك حتى محطة الحجرية قبل المدينة بمحطتين وقد كان بعض العربان يسألني عن السلك والغرض منه ومن توزيعه فكنت أبين له منافعه العامة والخاصة من تسهيل المخابرات وتعيين مراتب لمن يحافظ عليه فكنت أرى فيهم الغيظ والتذمر وكنت أراهم يتحدث بعضهم الى بعض في شأنه كأنما يأترون عليه وقد تحقق ذلك فانه بعد وصولنا الى المدينة بيومين بلغنا أن العربان قطعوا الأسلاك وحرقوا ١٢٠٠ عمود من الخشب كان يحملها ٣٠٠ رجل من جدة، فسطا عليها العربان ونهبوها وقتلوا بعض جمالتها ولبأ الباقي الى الجبال والفيافي وبعد أن بلغنا الخبر بأسبوع قدم الى المدينة الفريق صادق باشا العظم المنوط به إنشاء الخط البرقي ومعه ركنه — أركان حربه — وبعض خدمه فازين من العربان الذين أرادوا بهم سوء لما علموا أن صادقا هو القائم بذلك ، وكان حضورهم من طريق الساحل الى ينبع ومنها سلكوا الى المدينة طريقا غير معتاد يسمى طريق بويط ينتهي شمالي المدينة بمحطتين ولما وصل في مسيره الى محطة «الملايح» شمالي المدينة أخبر الدولة برقيا بما حصل فعزله وعينت «فريقا» بدله إرضاء للشريف عون الرفيق باشا وهكذا تعمل مع كل موظف يخلص في عمله فيتصادم حقه بباطل الشريف وهو اه فيشى به الى أولى الأمر بالاستانة فيعزلونه ويولون غيره .

وقد زارنى صاديق باشا وزرته مرات فوجدت فيه عاقلا نابها وعالم متضلعا وشهما مخلصا يقدر الأمور حق قدرها ويعمل للدولة كل ما فيه إصلاحها ورقبها ولكن ذلك لا يعجب الشريف بل يريد عاملا اذا أمره أطاع واذا أغرض ساعد وكان من أمره مع صاديق باشا أنه لما أتم الخط البرقى بين الشام والمدينة وشرع فى مده الى مكة قابل الشريف فسأله أى الطرق يسلكه الخط البرقى فقال: «الطريق السلطانى» فامتعض الشريف وقال: بل الطريق الشرقى وخاطب الباب العالى فى ذلك فأينده فى قوله وجاء الأمر لصاديق باشا بأن يذعن لقوله ، فلم يسعه إلا التسليم مع أن الطريق السلطانى طريق مأمون عامر البلاد والسكان والآبار ولكن الشريف كبر عليه أن لا يمر الخط ببلدته « صفينة » بالطريق الشرقى فضرب برأى الباشا عرض الحائط مع أنه محض الصواب والمصلحة وعرض الخط لسطو اللصوص وعشهم به وبالتأمين بمده ، على أنى أجزم بأن الشريف هو الذى حرضهم على ذلك وكتب الى السلطان بأن العربان قطعوا الأسلاك انتقاما منه لاخلاصه لسدتكم وأنه أرسل اليهم عساكره فأدبوهم وضربوا على أيديهم فأرسل له السلطان مكافأة على ذلك ١٥٠٠ ريال و ٦٠٠ جبة جوخ ليفرقها على عساكره فخرضهم على التخریب ليتوصل الى هذه المكافأة ومن جهة أخرى فإنه يكره سهولة الخابرة مع الدولة لأنه لو خالفها استطاعت فى زمن وجيز أن تجلب عليه من خيلها ورجلها ما لا قبل له به ، ويؤيد ذلك أنى لما حججت فى سنة ١٣٣٥ هـ . وسلكت الطريق السلطانى سمعت مشايخ العربان يقولون إن الشريف عرفنا أن مد الخط الحديدى الى الحجاز يمكن الألمان من بلادهم وينزل الضرر بهم وأرزاقيهم لأنه سيحرمهم نقل الحجاج وأمتعتهم وذلك مصدر من مصادر عيشهم وأن ذلك ينشر الحرية بين الناس فيقف السيد مع عبده جنبا الى جنب فى المقاضاة ويخاطبه خطاب الند للند وترى الجارية منزلتها بمنزلة سيدها والأعراب قاطبة من أبغض الناس لهذه الأمور لأن الخدمة الخارجية

على العبيد والمنزلية على الجوارى فكيف ينصاعون لأوامرهم إذ سؤوا بهم، فمن هذا وأمثاله تستنتج خلق الشريف وتصوّب ما ارتأيت في إغرائه العربان على حرق الأعمدة وتقطيع الأسلاك — نرجع الى سياق السفر، جرت العادة أن المحمل اذا اقترب من المدينة بات عند مثنوى سيدنا حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وشهيد أحد وهو يبعد عن المدينة بمسير ساعة ولما تركنا هذه العادة في حجتنا هذه ودخلنا المدينة بدون أن نبيت عنده وزرناه في يوم آخر كما سيأتى إن شاء الله . وقد شاهدنا القبة الخضراء المقامة على قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل أن نصل الى المدينة بثلاث ساعات وكان الجو صافيا واستقبلنا خارج المدينة بمسيرة ساعة كثير من أغوات المسجد النبوى وأخبرونا بأن الاشاعات ذاعت لما أن تأخر محملنا عن المحمل الشامى وحسبوا أن العرب أوقعت بنا حتى لم يفتر أحد ولكن كذب ظنهم وحضرنا جميعا بمعونة الله سالمين ومعنا نحو ٨٥ حاجا من تابعى المحمل الشامى الذين خلفهم فى الطريق وقد ساعدنا على حملهم الى المدينة سلطان المسكلة والشجر فانه — وفقه الله — أجر لنا ٢٠ جملا من ماله الخاص . وقد أرسل صاحب الدولة شيخ المسجد النبوى مندوبين من قبله لتحييتنا وتمنئة السلطان وركبه بالقدوم سالمين وقد راققونا حيث ينزل جندنا كل سنة فى غربى المدينة الجنوبي وذلك بجوار « باب الحميدية » الذى شيده سلطاننا الحالى عبد الحميد الثانى ويسمى باب العنبرية وقد نقش عليه هذان البيتان :

باب لطيفة شاده ملك الورى * خاقانا الغازى الحميد شاه

يا سعد أرّخ باب سعد ناجح * سلطاننا عبد الحميد بناه

١٣٠٥ هـ

وهما من إنشاء مفتى الشافعية السيد جعفر البرزنجى . انظر المعسكر والباب

فى (الرسم ١٣٤) .

معسكر المحمل المصري خارج باب الغنيمه بالمدينه المنوره سنة ١٣٣٠



134. The Egyptian Mahmal camping outside the Ambarieh gate at Medina

صحيفه ٣٨٣

الفريق عثمان باشا فريد شيخ الحرم النبوى



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في عثمان باشا فريد شيخ الحرم النبوى

135. A photo of El Farik Osman Pacha Farid the Sheikh of Nabawi Mosque.



دخول المدينة المنورة

في يوم الخميس ١٣ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . اغتسلنا ولبسنا ثيابا بيضاء ويممنا المسجد النبوي لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فدخلنا المسجد ووقفنا تجاه قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وسلمنا عليه ، ثم خطونا خطوة الى اليمين وسلمنا على أبي بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، ثم خطونا أخرى وسلمنا على الفاروق . عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ، ثم زرنا مكانا يقال له « مهبط الوحي » . ومكانا آخر يزعم الناس أن سيدفن فيه عيسى عليه السلام ، ومكانا ثالثا يقال أنه مقبرة فاطمة الزهراء ، وكذبوا فان الواقدي قال : قلت لعبد الرحمن بن أبي الموالي . إن الناس يقولون إن قبر فاطمة بالبقيع : فقال ما دفنت إلا في زاوية في دار عقيل . وبين قبرها وبين الطريق سبعة أذرع ، وكل هذه الأماكن شمالي حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم خرجنا بعد ذلك من المسجد من باب جبريل وزرنا مقبرة البقيع فبدأنا بزيارة الخليفة الثالث جامع القرآن عثمان بن عفان وثينا بزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وأولاده وأقربائه وثلثنا بشهداء البقيع ثم زرنا قبر مالك ابن أنس إمام دار الهجرة والفقهاء الورع ، وزرنا الامام نافعا أحد القراء المشهورين وكذلك زرنا غيرهم ممن دفن بالبقيع رضى الله عن الجميع ورحمهم رحمة واسعة .

وقد زرنا في هذا اليوم الفريق عثمان باشا فريد محافظ المدينة وشيخ المسجد النبوي فاذا به رجل كامل متواضع طلق الحيا محمود الخلق وقد أكرمنا وبالغ في الحفاوة بنا وقد أبلغته تحية الخديوى فشكر له ودعا وقال إنه من مدة لم تأتينا مكاتبات من جنابه فقلت له إنه عازم على الحج والزيارة ففرح بذلك فرحا شديدا وأشار بأنه يود أن ينعم عليه الخديوى بنقود (فخرك إصبعيه الإبهام والسبابة) فقلت له إنه اذا حج كثر إنعامه وزاد إحسانه فازداد سرورا الى سروره وقال إنى معجب بظرفك وجميل حديثك وحسن جوابك .^(١)

(١) عثمان باشا فريد أصله من الشراكسة وقد مكث في مشيخة الحرم الى أن أعلن الدستور في سنة ١٩٠٨ هـ . فعزل وكان رجل عمل وشدة ودهاء وسياسة ، ومن آثاره في المدينة باب العنبرية وقلعة في وادى العقيق على مقربة من مسجد السيد عبد المحسن أسعد وغرس أشجارا بالمناخة تظل النازلين بها انظره في (الرسم ١٣٥) .

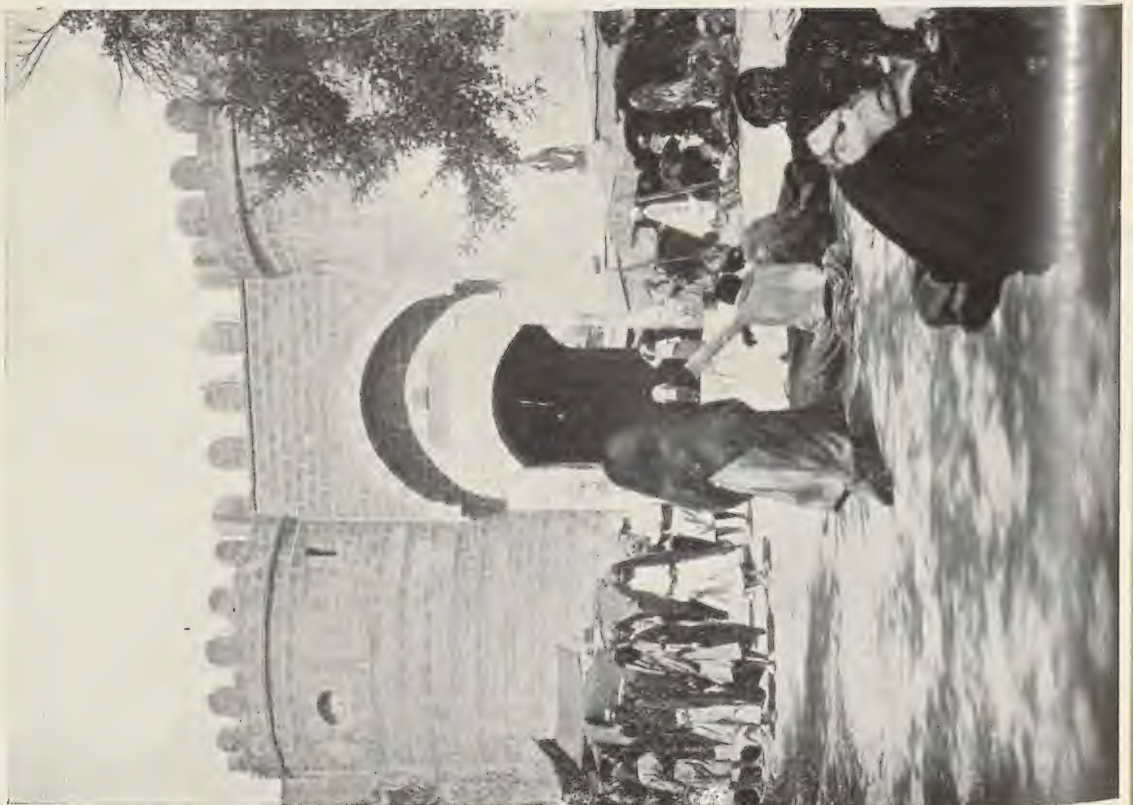
وليمة المحافظ — في يوم الجمعة ١٤ المحرم أقام لنا سعادة المحافظ وليمة فخمة دعا إليها سلطان المكلة والشحر ونجله وحقيده وأمير الحج المصري وأمين صرته ورئيس حرسه — قومندانه — والضباط والموظفين وأعيان المدينة فكلنا نحو الستين تناولنا طعام العشاء دفعة واحدة على ثلاث عشرة مائدة وضعت على النمط التركي فوق كراسي قصيرة وفُرشت حولها الفرش الوثيرة على الأبسطه القيمة الجميلة فجلسنا حولها وقدمت لنا أطعمة فاخرة أتقن صنعها وجمل شكلها فذكرتنا بموائد الملوك والأمراء وكانت الموسيقتان الشاهانية والمصرية والمزمار البلدي تطرب الحضور بالأغنام الشجية والأنوار ساطعة من المصابيح الموضوعة على الجدر والنخيل التي بفناء المنزل على شكل منظم فكانت ليلة بديعة وحفلة أنيقة تناولنا فيها الحديث في مختلف الشؤون وكان المحافظ ينتقل بين الحضور يجلس مع هذا لحظة يحيمه ويؤانسهم ومع آخر أخرى ومع ثالث ثالثة وهكذا يحيي ضيوفه بما جبل عليه من كمال الشيم .

والذي بعثه لإقامة هذه الوليمة الحفاوة بسلطان المكلة والشحر عوض بن عمر القعيطي ، وفي نهاية الحفلة صدحت الموسيقى بالسلام الملكي وهتف للسلطان ثلاثا وألقيت بعض الخطب بالعربية والتركية وبعض أشعار ارتجالية وأنصرفنا شاكرين .

الاحتفال بإدخال المحمل المسجد النبوي — في صباح السبت ١٥ المحرم ألبس المحمل كسوته المقصبة واحتمله جملة وسار من معسكرنا يتقدمه أميره وأمين الصرة ففرقة من العساكر الشاهانية بضباطها وموسيقيها ويحف به من الجانبين الحرس والفرسان ودخل المدينة من باب العنبرية وسار في شارعها وقطع المناخة ولما وصل إلى الباب المصري (الرسم ١٣٦) وهو أشبه بباب زويلة المعروف — ببوابة المتولى بالقاهرة — ترحل الراكبون أدبا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وسلكنا طريقا معوجا عرضه ٤ أمتار إلى أن وصلنا إلى باب السلام (الرسم ١٩٠) من أبواب المسجد النبوي في ركنه الجنوبي الغربي وهناك وجدنا محافظ المدينة وشيخ المسجد النبوي الفريق عثمان باشا فريد ينتظرنا فتسلم مقود الجمل الذي يقل



137. The Northern-Western view of Medina Mosque in 1325.



البيوت المصنوعة من اللبن والطين

136. The " Egyptian gate " at Medina.

هذا الطراز المعماري هو الذي كان سائدا في مصر في ذلك الوقت

البر
ور

بمور
لهم
في

الحمل من يد الأمير وأناخه وأدخلنا الحمل المسجد ووضعناه بجوار المنبر النبوى كما هو العادة كل سنة ثم جلس المحافظ والأمير والأمين ومن حولهم الموظفون وفككنا كسوة الحمل قطعة قطعة ووضعنا في وسط المحتشدين أو المحتفلين والغرض من هذا التفكيك أن يحمل كل موظف قطعة ويدخل الجميع المقصورة النحاسية لوضع الكسوة بها وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حمل كل منا قطعة واشترك المحافظ مع أمير الحج في حمل العلم الكبير « البيرق » وسار الجميع يتقدمهم المحافظ والأمين نحو الحجرة وقد ارتدوا الملابس والعائم البيضاء وتقدم كثيرون واشتركوا معنا في الحمل فكثرت العدد وتنبه « الأغوات » لذلك فأقصوا الدخيل ودخلنا المقصورة ودعونا وقد تيسر لي الدخول مرتين أخريين مع « الأغوات » لإيقاد المصابيح .

وقد أقفنا بالمدينة اثني عشر يوما كنت أؤدى فيها أكثر الصلوات بالمسجد النبوى استزادة للشواب وكثيرا ما كنت أتلو القرآن في المصاحف التى أبدع تسطيرها مهرة الخطاطين من الأتراك، وإن جمال روائها وحسن تنسيقها ليستريديك من القراءة فيها فالبصر ممتع واللسان مرتل والقلب متدبر والمقام كريم والذكرى تهيج فيا لها من ساعات لا يحيط الوصف بأثرها في النفس .

وبالمسجد مكتبة مملوءة بالمصاحف الخطية ودلائل الخيرات ذات الكتابة البديعة، وللكتبة رئيس وعمال يجمعون المصاحف والدلائل من القارئین عند الصلاة ويوزعونها بعدها على من رغب في التلاوة فيها .

زيارة شهداء أحد

قبل أن تذكر لك حديث الزيارة ووصف ما شاهدناه ورسومه نتقدم اليك بموجز عن غزوة أحد التى أبلى فيها المساهمون بلاء حسنا واستشهد كثير منهم وكان لهم فيها من العظة والاعتبار ما سلك بهم في المستقبل نهجا أمما وطريقا رشدا وعمدنا في ذلك " زاد المعاد في هدى خير العباد " للامام الهمام ابن قيم الجوزية .

لما قتل الله أشراف قرش بيدر وأصيبوا بمصيبة لم يرزؤوا بمثلها ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم أخذ يؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قرش وحلفائهم والأحباش وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا ليحاموا عنهم ثم أقبل بهم نحو المدينة فزل قريبا من جبل أجد بمكان يقال له عينين^(١) وذلك في شوال من السنة الثالثة واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أيجز إليهم أم يمكث في المدينة ؟ وكان رأيه أن لا يخرج من المدينة وأن يتحصنوا بها فان دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة والنساء من فوق البيوت ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي^(٢) ، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاتهم الخروج يوم بدر وأشاروا عليه بالخروج فنهض ودخل بيته ولبس لأمته — درعه ولباسه الحربى — وخرج في ألف من الصحابة واستخلف ابن أم مكتوم على الصلاة بمن يقى في المدينة فخرج يوم الجمعة . فلما صار بالشوط بين المدينة وأحد انعزل عبد الله بن أبي^(٣) بنحو ثلث العسكر وقال : تحالفنى وتسمع من غيرى ، فتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حزام يوبخهم ويحضرهم على الرجوع ويقول : تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع فرجع عنهم وسبهم . وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من اليهود فأبى وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد^(٤) في عدوة الوادى — شاطئه — وجعل ظهره الى أحد ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم فلبسوا أصبح يوم السبت تهيأ للقتال وهو في سبعمائة فيهم خمسون فارسا واستعمل على الرماة وكانوا خمسين عبد الله بن جبير وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم وأن لا يفارقوه ولو رأوا الطير تتخطف العسكر وكانوا خلف الجيش وأمرهم أن ينضحوا^(٥) المشركين بالنبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين يومئذ وأعطى اللواء مصعب بن عمير^(٦)

(١) الجبل المقابل لجبل أحد . (٢) بستان بقرب دباب وهو الجبل الذى عليه مسجد اليازة .

(٣) الشعب الطريق فى الجبل أو ما انفرج بين الجبلين . (٤) يرشوا . (٥) جمع وطأ .

(٦) الدرع لبوس من الحديد يتقى به المحارب بأس الحرب .

واستعرض الشبان يومئذ فرد من استصغره عن القتال وأجاز من رآه مطيقا وتعبت قريش للقتال وهم في ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه إلى أبي دجانة سماك ابن خرشة وكان شجاعا بطلا يختال عند الحرب ثم قاتل المسلمون قتالا شديدا وكان شعار المسلمين يومئذ « أمت أمت » وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار فانهمزوا وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نساءهم فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه وقالوا : يا قوم، الغنيمة الغنيمة! فذكروهم أميرهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعوا فظنوا أن ليس للمشركين رجعة فذهبوا في طلب الغنيمة وأخلوا الثغر وكر فرسان المشركين فوجدوا الثغر قد خلا من الرماة فجازوا منه وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين فأكرم الله بعضهم بالشهادة وهم سبعون وولى الصحابة وخلص المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرحوا وجهه وكسروا رباعيته — إحدى أسنانه التي بعد الثنتين الأماميتين — اليمنى وكانت السفلى وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين فأخذ على يده واحتضنه طلحة بن عبيد الله وقتل مصعب بن عمير بين يديه فدفع اللواء إلى علي بن أبي طالب ونشبت^(١) حلقتان من حلق المغفر في وجهه فانترعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما فسقطت شتيانه من شدة غوصهما في وجهه وامتنص مالك بن سنان — والد أبي سعيد الخدري — الدم من وجته وأدركه المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه فخل دونه نفر من المسلمين نحو عشرة حتى قتلوا ثم جالدهم طلحة حتى أجهدهم عنه، وترس أبو دجانة بظهره عليه والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك، وصرخ الشيطان بأعلى صوته أن محمدا قد قتل ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين وفترأ كثيرهم وكان أمر الله قدرا مقدورا، ومرو أنس بن

(١) علقت . (٢) زرد ينسج على قدر الرأس يابس تحت القلنسوة . (٣) الثنايا الأسنان

الأربع التي في مقدم الفم ثناتان فوق وثناتان تحت . (٤) نحاهم عنه .

النضر يقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل الناس ولقي سعد بن معاذ فقال يا سعد! إني لأجد ريح الجنة من دون أحد فقاتل حتى قتل ووجد به سبعون ضربة وجرح حينئذ عبد الرحمن بن عوف نحواً من عشرين جراحة، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو المسلمين وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك فصاح بأعلى صوته يا معشر المسلمين! أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار بيده أن اسكت، واجتمع إليه المسلمون ونهضوا معه إلى الشعب الذي نزل فيه فلما امتدوا إلى الجبل أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف على جواد له يقال له (العود) كان يعلفه بمكة ويقول أقتل عليه محمداً، فلما اقترب منه تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة فطعنه بها فخاءت في رقوته فمكر منهزماً وأيقن أنه مقتول بذلك الجرح فمات منه في طريق سرف مرجعه إلى مكة.

وقد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعالج صخرة هنالك فلم يستطع لما به فجلس طليحة تحته حتى صعداها وحانت الصلاة فصلى بهم جالساً، وصار ذلك اليوم تحت لواء الأنصار.

وقتل المسلمون حامل لواء المشركين فرفعته لهم عمرة بنت علقمة الحارثية فاجتمعوا إليه.

ولما انقضت الحرب أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى أفيكم أفيكم محمد أفيكم ابن أبي خافة أفيكم عمر بن الخطاب فلم يجيبوه فقال لقومه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه وقال: يا عدو الله ان الذين ذكرتهم أحياء وقد أبق الله لك ما يسوءك، وإنما سألت عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه بأن قيام الإسلام بهم ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، فأجابه عمر وقال: لا سواء، قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار وكان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص اختبر الله عز وجل به المؤمنين وأظهر به المنافقين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه وهو مستخف بالكفر



جَبَلُ سَلَاةٍ وَكَأَنَّ الْكَوْكَبَ فِي



138. A view of the Mountain of Salâ.

وَالْأَخْبَارُ وَالْأَنْبَاءُ وَالْأَسْرَارُ وَالْأَسْرَارُ وَالْأَسْرَارُ



الملك فيصل بن الحسين بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان



فيما كان في مكة المكرمة في سنة ١٣١٩ هـ

139. Ali-Liwa Ibrahim Pasha Rifaat and Ibrahim Eff. Hamdy El Kharboully on Sele'i Hills at Medina.

﴿وَلِيَمَّحَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحَقِّقَ الْكَافِرِينَ﴾ فأكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته، وكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية أولها ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الى آخر القصة . ولنعد الى حديث الزيارة .

في يوم الخميس ٢٠ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . عزمنا على زيارة الشهداء بأحد ورؤية ما هنالك من الأبنية فسلطنا طريقا في شمالي المدينة الغربي رمليا سهلا، عن يمينه وشماله حدائق ومزارع بها النخيل والليمون وكثير من الخضراوات وفيها العيون والآبار والسواقي ولكن أكثرها مهممل قد ملأته الرياح بالأتربة، ورأينا على يسارنا « قبة السبق » ويقال إنها في المكان الذي كان الصحابة يتسابقون فيه بجيولهم وتراها في (الرسم ١٣٧) وعلى الميسرة أيضا مسجد ذوقبتين يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس في مكانه الدرع يوم أحد وهذا لا يتفق مع ما أسلفنا لك من أنه لبس لأمته بيته وأنه ظاهر بين درعين في الشعب من جبل أحد صبيحة القتال ، وبالطريق مسجد آخر زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم استراح بمكانه مرجعه من أحد ويجواره علامة — إدعوا أنها على موضع ظهره صلى الله عليه وسلم :

والدعاوى اذا لم تقيموا عليها * بينات أنبأوها أديعاء

وقد مررنا بجبل سلع بعد مسير نلت الساعة، وفي المحرم سنة ١٣٢٦ هـ . زرت هذا الجبل مع الشيخ ابراهيم حمدي خربوطي أمين مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك وقد وجدنا في الجبل كتابة كوفية خطت بالنحت نصها كما أملاه علي رفيقي «أمسى وأصبح عمر وأبو بكر يشكوان الى الله من كل ما يكره» وترى في (الرسم ١٣٨) شكل الكتابة التي تحققنا صحتها من حضرة الأستاذ يوسف افندي أمد الأثرى بوزارة الأوقاف عند تقديم الرسم اليه في ١٧ مايو سنة ١٩٢٤ م .

وكذلك مكتوب في الجبل « يقبل الله عمر — الله يعامل عمر بالمغفرة » وترى في (الرسم ١٣٩) صورتى مع صورة رفيقي ونحن جالسون على جبل سلع، وكان

الجبل على يسارنا ثم تركناه وانعطفنا نحو اليمين فكان الجبل وراء ظهورنا وأحد أمام عيوننا وقد بلغناه بعد مسيرة ثلاث ساعات من المدينة أنظر (الرسم ١٤٠) وترى في وسطه مسجد سيدنا حمزة والبساتين في شماليه وجنوبيه والطرق الى المدينة ، والحفر التي تراها بالرسم موضع أخذ النورة التي يصنع منها الآجر .

مسجد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبي

صلى الله عليه وسلم وشهيد أحد

هو مسجد محكم البناء خال من الزخارف به قبة فوق مقصورة حمزة التي أسدل عليها ستر مقصب هو في الأصل من ستارة باب الكعبة التي تصنعها مصر وقد كتب في هذا الستر من إحدى نواحيه — بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ ومن ناحية أخرى — بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أنظر (الرسم ١٣٤) ، وترى شكل المقصورة في (الرسم ١٤١) الذي أخذه حضرة محمد افندى على سعودى في حجته معنا سنة ١٣٢٥ هـ . والجالسون من اليمين الى اليسار هم شيخ الضريح فسعودى افندى فأمر الحج فابراهيم افندى حمدى أمين مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بك ، وترى في (الرسم ١٤٢) المسجد على الميسرة وأمامه صهريجان متقنا البناء لهما بابان من الحديد يملآن من مياه الغدير الذى يبعد عن المدينة بنحو أربع ساعات ، ويصل الماء من الغدير اليهما في قناة مبنية تشبه مجرى عين زبيدة والذى بناهما على بك كبير حجة السلطان عبد الحميد ، وتراهما في الرسم على يمين المسجد فوقهما شبابيك ظاهرة والقسم الأول من البناء الذى بعد النخلة مسكن لخادم المصرع ، والقسم الثانى منه المرتفع المبانى أقيم فوق المكان الذى استشهد به سيدنا حمزة ودفن به الى عام نيف وثلاثمائة ثم أتى سيل جارف من جهة الطائف فكشف عن ساقبه فنقل الى الربوة التي بنى عليها مسجده الذى تراه في (الرسم ١٤٣) ولكن جاء في كثير من كتب السير أن حمزة قتل تحت جبل الرماة

مِنْ جَبَلِ سَلَا إِلَى جَبَلِ اُحُدٍ



140. A view of the road from Gebel Salà to Ohod in Medina.

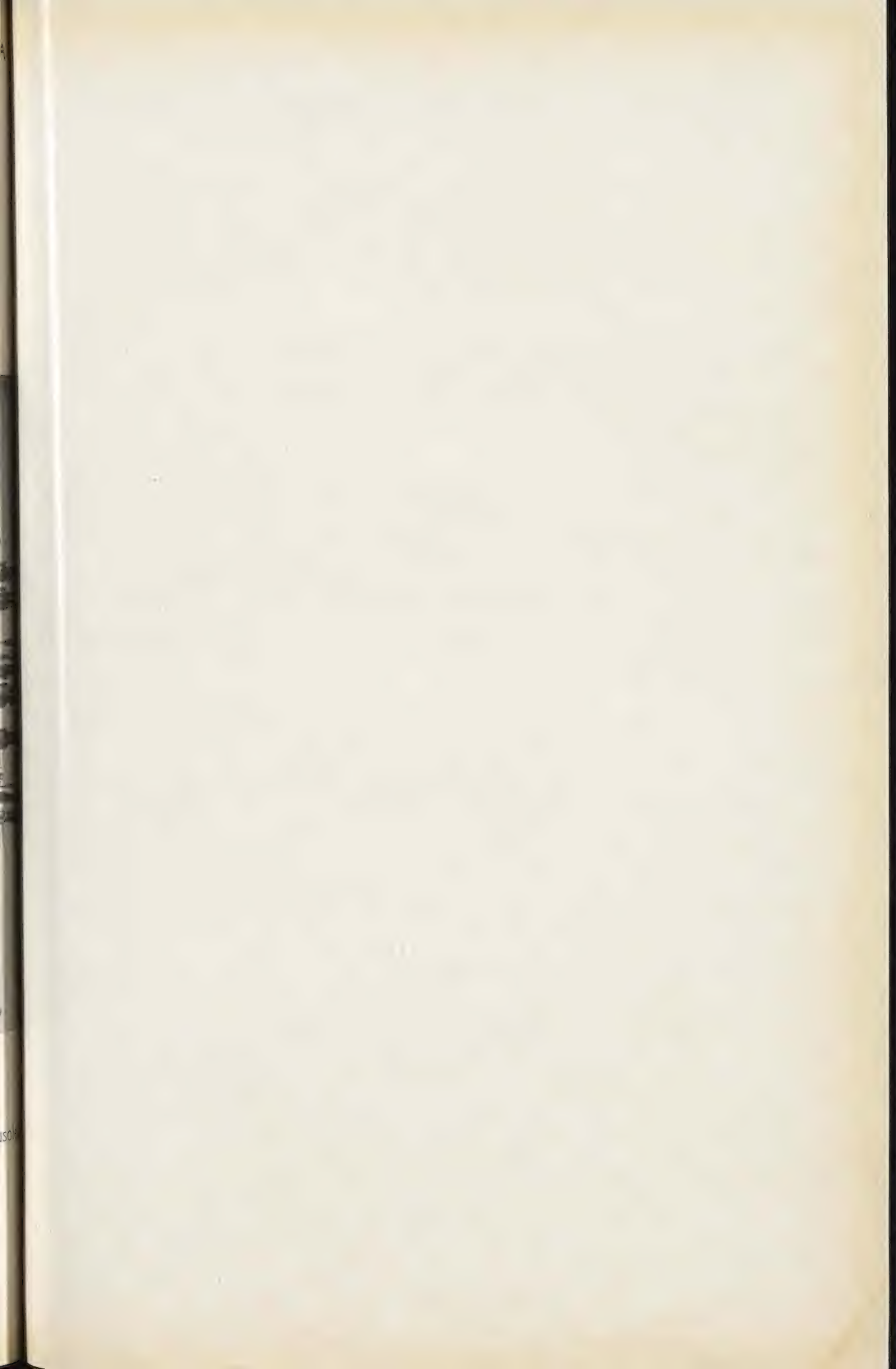
صحيفة ٣٩٠

منظر ضريح سيدنا حمزة



الضريح الشريف لسيدي حمزة

141, The Mausoleum of Sayyidna Hamza, the uncle of the Prophet Mohamed in Ohod at Medina.



منظر مسجد وشهد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عليه السلام بأحد الميادين المشهورة



142. The Mosque and place of Martyrdom of Hamza, the uncle of the Prophet Mohamed, in Ohod at Medina

منظر جبل احد وبضريح ومسجد سيدنا حمزة



جبل اُحُد والمسجد والمقبرة المشهورة لسيدينا حمزة بن عبد المطلب عليه السلام

143. View of Mount Ohod with the mausoleum and Mosque of Hamza



وهو جبل عينين وإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر به فنقل عن بطن الوادى الى ربوة هنالك فالمدفن غير المصرع ، والربوة نقل اليها وقت الغزوة وقد تكون الربوة التى نقل اليها بعد القرن الثالث ربوة أخرى هى التى عليها المسجد الآن والله بالحققة خير وتجد فى المصرع ضريحاً كتبت عليه الأبيات الآتية المتضمنة لعمارة زامر باشا .

أعظم بمشهد ليث الله حمزة من * يوم أخذ الخير الخلق قد نصرا
وفل فيه جيوش الشرك فأنهزمت * وباع لله نفسا والحنان شرى
فيا له مشهد يزهو بروثقه * حسنا ويزرى بهاه الشمس والقمر
قد فاز زامر باشا حين عمره * بأعظم الأجر والمولى له شكرا
وقال يمن له وفى يؤرخه * يحب أكرم عم قد بنى أثرا

سنة ١٢٨٧ هـ

وهناك لوحة أخرى تضمنت تاريخ عمارة سليم بك سنة ١٢٦٥ هـ . وهما نصها :

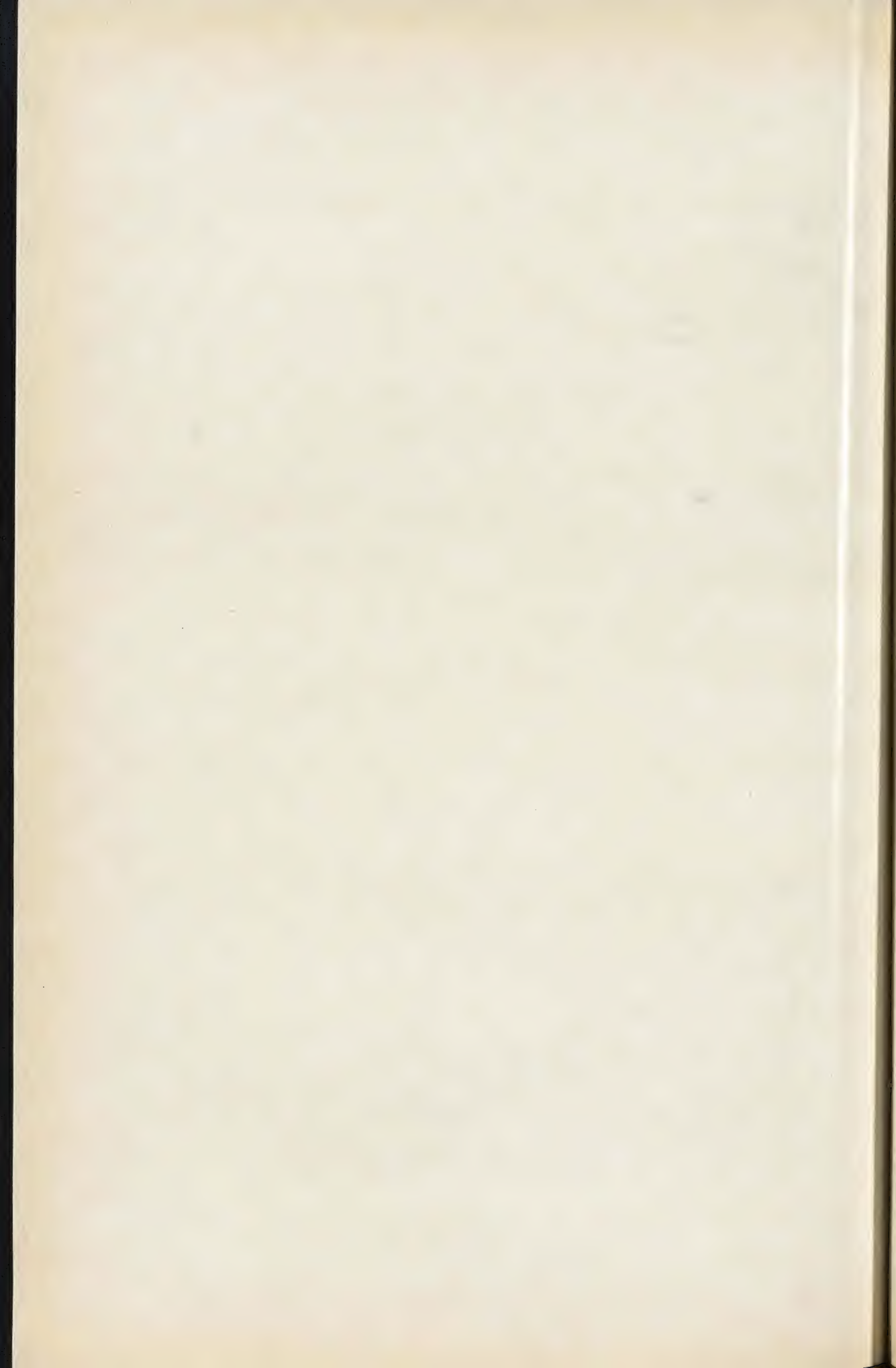
مسجد حاز كل نحر وسؤدد * وبدا نوره الى العرش يصعد
فيه صلى النبي بالصحب صبجا * وسما إذ غدا لحمزة مشهد
مسجد منه روح خير شهيد * رجعت بالرضا لفوز مؤبد
وبه بقعة حوته ونفس * اطمأنت بجنة وبمقعد
أسد الله عم طه المرجى * من أتاه لاشك بالخير يرقد
سيد الشافعين حمزة ترى * من يكشف الكروب قد صار يقصد
هو ذخري الورى لكل ملم * من به لاذ فى البرية يسعد
هو بحر يفيض برا وجودا * من رجاه أنا له خير مقصد
وهو للنجى به خير حصن * وهو درع لخائف جاء ملهد
هو منجى الفريق هادى الحيارى * فبه الله كم أغاث وأنجد
مسجد الراية الشريفة هذا * للذى شاده قصور تشيد

ويوم التمام أرخه البرى * بيت يفوق درا منضد
 ياله مشهد بهى تسامى * قد بناه سليم بك وجد
 سنة ١٢٦٥ هـ

وإني لتأخذنى رعدة ساعة أقرأ هذه الأبيات التى تضمنت الشرك الصراح وإذا كان
 حمزة ذخر الورى لكل ملم كما يقول هذا الشاعر الأحمق فما الذى بقى لله تعالى شأنه
 اللهم إن الجهل قد طبق على قلوب الناس وعموا عن دينه وتغالوا فى تقديس الأشخاص
 حتى أسندوا لهم ما هو لله وحده ، فاللهم لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من
 لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وتجد مكتوبا فى لوحة على القبر الذى بالمسجد هذين
 البيتين

قف على أبوابنا فى كل ضيق * واطلب الحاجات وابشر بالمنى
 فإنا ملجأ للطالين * وبناتجى الكروب والعنا

وكذب على حمزة من قال هذا الشعر بلسانه ونسب اليه ما لا يليق بإسلامه ولا يتفق
 مع مقامه وهل حمزة المؤمن الموحد يدعو الناس الى دعائه من دون الله فى المضايق
 ويزعم أنه يرفع عنهم الضر والكروب وقد سمع قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ
 إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾
 وهل يرضى أن يكون دون المشركين الذين اعترفوا بأن الله يجير وحده ولا يجار عليه
 قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ اللهم إن حمزة براء مما قاله بعض الجاهلين على لسانه
 ظانا أنه قرينة اليه وإن حمزة اذا كان يسره شيء منا فأنما هو أتباعنا لكتاب الله وسنة
 رسوله صلى الله عليه وسلم وأن نلجأ فى السراء والضراء الى الله وحده ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ
 الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ومن بنى مسجد حمزة أم الخليفة الناصر العباسى
 فى سنة ٥٩٠ هـ . وزاد فيه الأشرف قايتباى زيادة فى جهته الغربية وكان من ضمنها
 بئر فى غربى المسجد وأقام بيوت خلاء وحفر بئرا هناك يرتفق بها المارة واتخذ لها
 درجا وذلك كله فى سنة ٨٩٣ هـ . على يد شاهين الجمالى ، وفى شمالى المسجد مقبرة



منظر قبة الشيا بجبل احد بالمدينة المنورة



144. The dome of Ef Thanaya in the neighbourhood of Ohod at Medina.

سَمِ قَبْلَ الشَّيَا بِجَبَلِ أَحَدٍ بِالْمَدِينَةِ



فِي الصَّبْحِ وَالْبَيْتِ فِي الْمَدِينَةِ

145. A photo of the soldiers and officers near the dome of El Thanaya in Gebel Ohod.



مِنْظَرٌ مِنْ جَبَلِ أَحُدَ ١٣٢٢

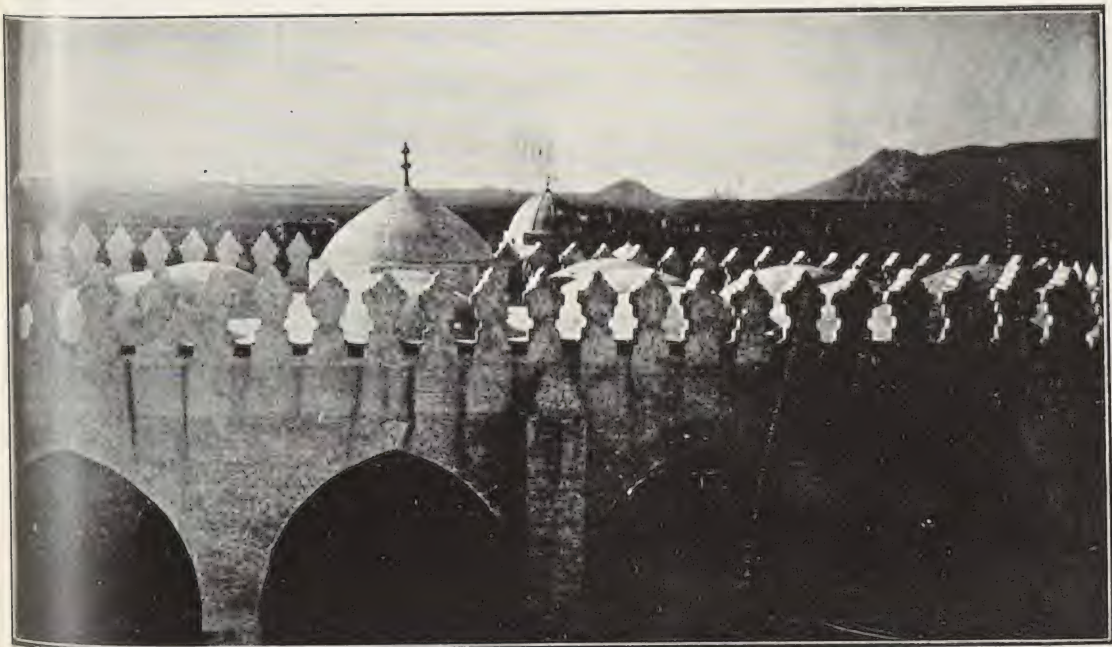


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

146. A view from Ohod Mountain in 1321.

صحة ٣٩٧

داخل مسجد قبا سنة ١٣٢٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

147. Holy Mosque of Koba at Medina.

شهد أحد وعلى بابها حجر منقوش عليه تاريخ بنائها في سنة ٢٧٥ هـ . ويجاور المقبرة عين تسمى عين الشايبا مأوها عذب وينزل إليها بسلم منتظم ، وهنا لك قبة الشايبا التي تراها في (الرسم ١٤٤) والسيدات المرافقات للحمل واقفات دونها وفي (الرسم ١٤٥) ترى جندنا مصطفىا عندها ومعه الشيخ محمد تخته — المرشد للأثار — واليوزباشى محمود رياض وضابط آخر ويقال إن هذه القبة في المكان الذى كسرت فيه ثنياه صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد ، ولا مستند لمن زعم ذلك وإنما هو إشاعة بين أهل المدينة . وهناك أيضا مصلى صغير مقاسه أربعة أمتار في ثلاثة يقولون إنه في موضع إصابة حمزة ولكن لم يثبت ذلك في أثر ، وبين هذا المصلى والمصرع قريب من ثمانين مترا ، ويجوار المصرع الذى قدما لك ذكره بئر مألحة عمقها نحو ١٥ مترا ، وعلى بعد ٤٠٠ متر من المصرع جبل أحد وهو أحمر اللون كثير الرؤوس أنظر جبل أحد في (الرسوم ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٦) ويقابل أحدا من الجهة الأخرى جبل عينين والوادي بينهما ، وقد شاهدت به محلا يقولون إنه الذى جلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة أصحابه في أحد والله أعلم حيث جلس رسوله . ويلاصق الجبل مسجد القسح يزعمون أن في مكانه نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قال السيد نور الدين على بن عبد الله في كتابه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» بعد ذكر أن الآية نزلت فيه : ولم أقف على أصل لذلك وأقول أن سبب النزول يدل على أنها لم تنزل في هذا المكان إذ جاء عن مقاتل أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر : قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذى قاموا بين يديه

من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من المجلس وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فقال المنافقون للمسلمين : أستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم أقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم فأنزل الله تعالى الآية السابقة فالرسول صلى الله عليه وسلم وقت الحادثة التي فيها نزلت الآية لم يكن بأحد وإنما كان بالصفة بجوار مسجده صلى الله عليه وسلم في المدينة ، ولكن المرتزقين من أهل مكة والمدينة يجحدون في اختلاق آثار نبوية ليستدروا بها أموال العامة والعامة أتباع كل ناعق .

زيارة مسجد قباء

قال تعالى في سورة التوبة ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ أَمَّنْ أُسِّسَ بِنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مِنْ أُسِّسَ بِنْيَانُهُ عَلَى شَفَا حَرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بِنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

قال الحافظ بن حجر في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري : اختلف في المراد بقوله تعالى : ﴿لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ فالجمهور على أن المراد مسجد قباء وهو ظاهر الآية ، وتقدم في فضل المسجد النبوي حديث أبي سعيد الخدري — عند مسلم — أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال : هو مسجدكم هذا ، وفي رواية لأحمد والترمذي عنه اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد المدينة

(١) ترقبا . (٢) شفا كل شيء - حرفه ، والجرف ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض ، والهار : الساقط . (٣) شكاً ونفاقاً .

فسألاه عن ذلك فقال : هو هذا وفي ذلك — يعنى مسجد قباء — خير كثير، وقدّمنا أيضا الجمع بأن كلا من المسجدين أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه وأنهما المراد من الآية، وإن السرفى اقتصراره صلى الله عليه وسلم على ذكر مسجد المدينة دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قباء اهـ .

وروى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ هم أناس من الأنصار ابتنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة فإنى ذاهب الى قيصر ملك الروم فأتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلى فيه وتدعو بالبركة فأنزل الله عز وجل : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ — الخ وهذا المسجد لا أثر له الآن بل دثر من زمن بعيد .

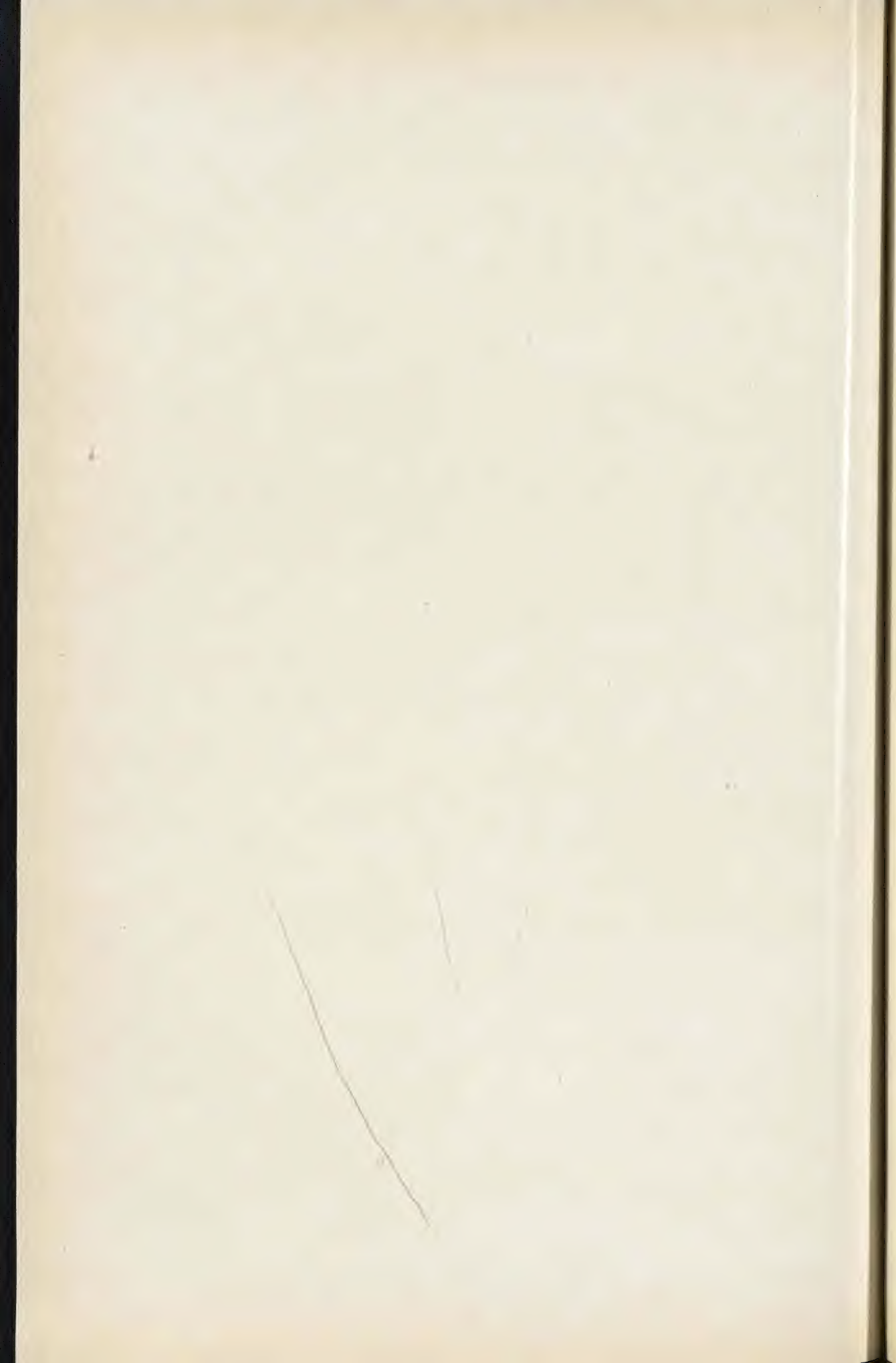
لما سمع المسلمون بالمدينة يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يخرجون كل يوم الى الحرة^(١) أول النهار فينتظرونه فما يردّهم إلا حر الشمس فبعد أن رجعوا يوما أو فى رجل من اليهود على أطم^(٢) من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبسطين فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته يا بنى قَيْلَة — يعنى الأنصار — هذا جدكم — حظكم — الذى كنتم تنتظرونه ، فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس وكان له مربد — الموضع الذى يبسط فيه التمر ليبس — فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسسه وبناء مسجدا ، وكان يعمل فيه بنفسه ولم يزل يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلى فيه أهل قباء ، وكان يؤمهم فيه معاذ بن جبل ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتعظمه ، وفى صحيح البخارى كان سالم مولى أبى حذيفة رضى الله تعالى عنهما يؤم المهاجرين الأولين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . (٢) الأطم بضمة وبضمين القصر

وكل بيت مربع مسطح وكل حصن مبنى بحجارة . (٣) لابسين ثيابا بيضا .

عليه وسلم في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر، ولما تولى عبد الملك بن مروان زاده فيه، ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسعه وبناه بالحجارة والجص وأقام فيه الأساطين من الحجارة في جوفها عمد الحديد والرصاص ونقشه بالفسيفساء وعمل له مغارة وسقفه بالساج وجعله أروقة - بواكي - وفي وسطه رحبة، وتهدم على طول الزمان حتى جدد عمارته جمال الدين الأصفهاني وزير « بنى زكي » ببلاد الموصل وذلك في سنة ٥٥٥ هـ . وجدد أيضا في سنة ٦٧١ هـ . وعمر بعضه الناصر بن قلاوون سنة ٧٣٣ هـ . وجدد غالب سقفه الأشرف برسباي سنة ٨٤٠ هـ . وسقطت منارته سنة ٨٧٧ هـ . فجددت في سنة ٨٨١ هـ . وكذلك جدد بعض جدره وسقفه وأثنى اذ ذاك سبيل وبركة قبالة المسجد، وقد عمر عدة مرات في زمن الدولة العثمانية وآخرها عمارات كانت في مدة السلطان محمود الثاني وابنه السلطان عبد الحميد وتاريخ عمارة الأول مكتوب على حجر فوق باب المسجد .

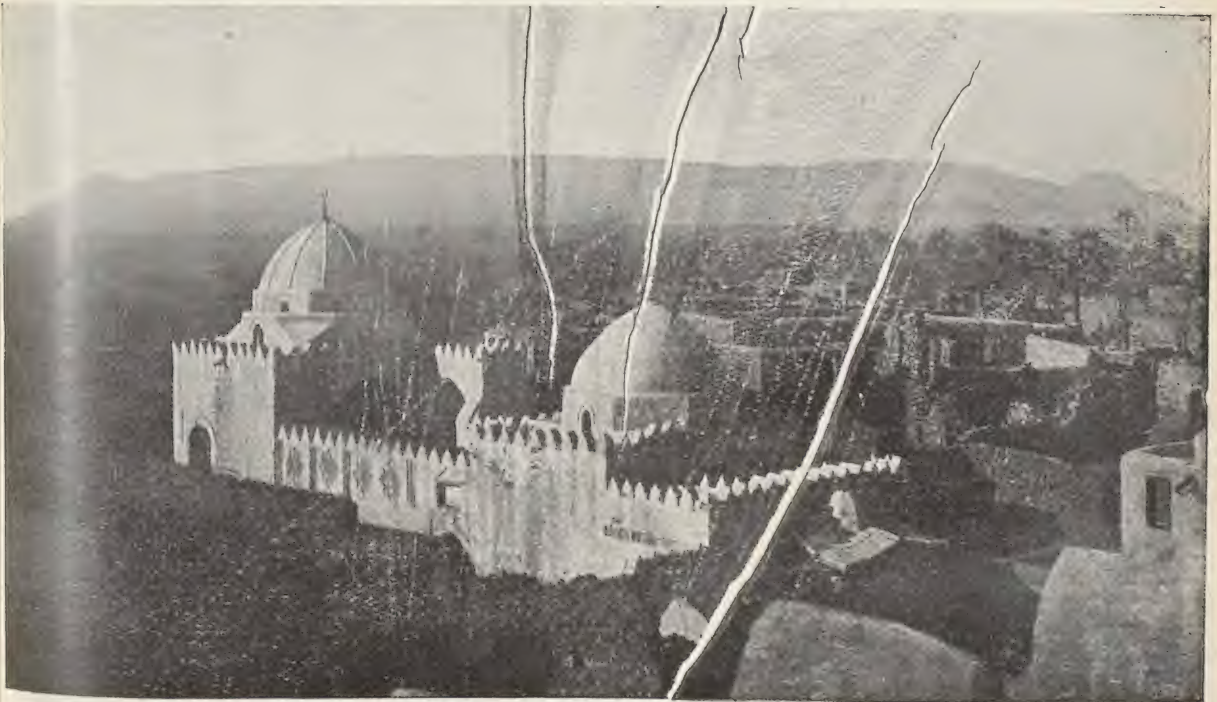
وقد وصفه السيد الشريف علي بن عبد الله صاحب كتاب « وفاء الوفا » في عصره آخر المائة التاسعة فقال : المسجد سبعة أروقة ثلاثة جهة القبلة في كل رواق سبع أساطين من الشرق الى الغرب، وفي جهة الشمال رواقان كذلك وفي الشرق رواق وفي الغرب رواق في كل منهما أسطوانتان، والرحبة بين الأروقة، وبين الأسطوانه وجارتها سبعة أذرع وجداره البحري طوله ثمانية وستون ذراعا ونصف، والجنوبي أو القبلي يزيد عن ٧٠ ذراعا، وطوله من الشمال الى الجنوب تسعة وسبعون ذراعا وأما صحنه أو رحبته فطوله من المشرق الى المغرب واحد وخمسون ذراعا، وعرضه من الشمال الى الجنوب ستة وعشرون ذراعا وربع، وطول ذرعه في السماء من أرض المسجد الى سقفه ١٩ ذراعا، وارتفاعه من الخارج من البلاط الذي في غريبه الى أعلى شرايفه أربعة وعشرون ذراعا، وارتفاع منارته خمسون ذراعا وقاعدتها مربعة تسعة في تسعة والمسافة بين عتبة باب المسجد النبوي المعروف بباب جبريل وعتبة باب مسجد قباء سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع بذراع اليد أي ٣٥٢٨ متر





148. A view of the Mosque of Koba in Medina in 1321.

وَسَمِعُوا إِلَى الْإِنشَاءِ الْمَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ قِبَا



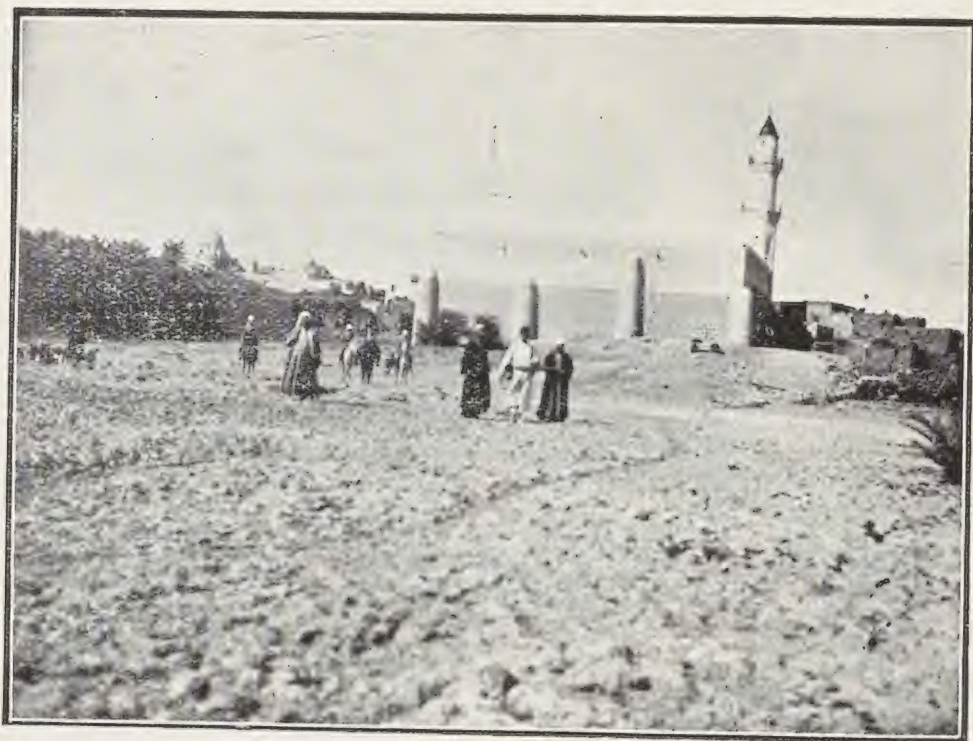
149. The higher parts of Medina as seen from
the door of Koba Mosque

[illegible]

إذ ذرع اليد كما حققناه ٤٩ سنتيا تقريبا أما المسجد الآن — سنة ١٣١٨ هـ — فقد زرناه وهو في الجنوب الغربي للمدينة وقطعنا المسافة بينه وبين معسكرنا أما باب العنبرية في ٤٠ دقيقة بسير الخيل المعتاد — الأشكين — وهو مربع الشكل ضلعه ٤٠ مترا وارتفاعه ستة أمتار (أنظر المسجد من داخله في الرسم ١٤٧) به ٢٩ عمودا وهو مبنى بالجمر بناء متقنا وله دعائم من الخارج لتقوية جدره (أنظر الرسم ١٤٨) والذين بالرسم من اليسار القائم مقام على بك السماعيل رئيس الحرس (قومندان) فالفاضل ابراهيم بك مصطفى ناظر دار العلوم فمحمد افندي أبو السعود كاتب الصرة الأول فبعض العسكر فاشان من عرب المدينة الذين يعملون في الأرض ويديرون السواق وذلك في حجة سنة ١٣٢١ هـ . وله محراب ومئذنة ومنبر رخامى وفيه بئر تنسب لأبي أيوب الأنصارى ويجوار البئر شجرة نبق ونخيل وقطن قليل ، وفيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبه موضع يقال : إنه مباركنا صلى الله عليه وسلم وأحرق يقال إنه نزل فيه على النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿لَمَسْجِدَ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى﴾ وهذا غير صحيح ، فان الطبرى روى عن الزهرى وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل من غزوة تبوك حتى نزل بذي أوان — بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار — وكان أصحاب مسجد الضرار أتوه وهو يتجهز الى تبوك ورجوه الصلاة فيه فقال إني على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ، فلما أقفل ونزل بذي أوان نزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابيين وقال لهما : اذهبا الى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه وحرقة ففعلا وحرقه بنار في سعف — جريد — فأين ذو أوان من هذا المكان بمسجد قباء الذى زعموا نزول الآيات السالفة فيه ، وفي المسجد موضع يقال : إنه طاقة الكشف يزوره الناس ولا أدري كشف أى شيء . وآخر مدة تجدد فيها هذا المسجد سنة ١٢٤٥ هـ . كما هو مسطور على حجر فوق بابه ، والمسجد مفروش بالحصير وأنظف ما يكون . وفي غربى المسجد مسجد السيدة فاطمة الزهراء عليه قبة تحتها مكان زعموا أنه الموضع الذى كانت تطحن فيه الشعير ، ويجوار مسجد

فاطمة مسجد الشمس ، أنظر شكلهما في (الرسم ١٤٩) وموقعهما من مسجد قباء في (الرسم ١٥٠) وفي الرسم الأول جبل عير، وفي الشمال الغربي للمسجد على بعد مائتي متر منه بئر أريس وتسمى بئر الخاتم وبئر التفلة وهي داخل حديقة وعمقها ١٣ مترا ، وفي أسفلها فتحتان يجري منهما الماء الى قاع البئر وفتحة الثالثة تصلها بجرى العين الزرقاء التي يشرب منها أهل المدينة كما سنبينه إن شاء الله تعالى ، وأريس الذي سميت البئر باسمه رجل من اليهود ومعناه بلغة أهل الشام الفلاح ، وتسمى بالخاتم لأن بها وقع خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس ، قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده وفي يد أبي بكر بعده وفي يد عمر بعد أبي بكر ، قال : فلما كان عثمان جالس على بئر أريس فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط قال فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزع البئر فلم نجده وكان ذلك بعد ست سنين من خلافته ، وثبت عن ابن عمر في صحيح مسلم أنه سقط من يدى معتيق وهو دوسي من أصحاب المهاجرين ، وفي صحيح البخاري حديث طويل فيه أنه صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر أريس فتوضأ منها وجلس على قفها (المرتفع منها) وكشف عن ساقيه وأدلى بهما في البئر وأن أبا هريرة تبعه اليها وثلاثهما أبو بكر وأتى بعده عمر ثم عثمان فتوضأ جميعا منها وجلسوا عليها كما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسمى هذه البئر أيضا بئر التفلة ، ويقولون : أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها فعذب مأوها بعد أن كان أجاجا ، وقد ذكر الغزالي هذا في إحيائه وقال العراقي مخرج أحاديثه أنه لم يقف على أصل حديث تفلّه صلى الله عليه وسلم في بئر أريس . وقد جدّد أبو بكر بن أحمد السلامي درجا لهذه البئر ينزل منه الى قاعها من يريد الوضوء أو الشرب وذلك في سنة ٧١٤ هـ . وماء البئر غزير يسير الى بركة داخل الحديقة وهو عذب فرات شديد النظافة ويجرّد أن يوضع في الأواني المصنوعة من طين المدينة يبرد كأنه مثلج . ويسقى منها البستان المسمى بستان بئر النبي صلى الله عليه وسلم وقف المرحوم محمد باشا العثماني الصدر الأعظم ، ويتولى إدارته الآن مدير الخزينة الجليلة النبوية ، وفي هذا البستان أنواع من الفواكه

مسجد قبا من الخارج من الشمال والشرق سنة ١٣٢٥



150. Outside view of the Mosque of Koba from the North and East.

منظر أراض الميادين من بين حوائط بكتبة قبا بالمدينة المنورة



وقد كان الخليل عليه السلام في مكة المكرمة في سنة ١٢٦٠ هـ

151. 'Receiving water from El Khatims' well in Koba at Medina.







152. Raising water by means of a Sakia at Medina.

ص. ٣٩٩

سَائِقِيَةُ السَّكِيَةِ بِالْمَدِينَةِ ١٣٢٢



153. A sakia at Bakaih in Medina

سَائِقِيَةُ السَّكِيَةِ بِالْمَدِينَةِ ١٣٢٢

والأشجار ويقصده أهل المدينة للقيولة فيه والتروض ، وترى في (الرسم ١٥١) الساقية المقامة على البئر والأبنية التي حوالها والساقية على خلاف المعروف عندنا بل هناك قائمان على البئر وضعت عليهما عارضة فيها بكرتان يمر بكل رشا آن يربطان بطرفي الغرب من جهة ، ومن جهة أخرى بحيوان يجزها ، فإذا كان الحيوان بجانب البئر كان الغرب قد امتلأ بالماء فيمشي الحيوان الى جهة واحدة طول الرشاء فيكون الغرب بظاهر البئر فيسكب في القناة ثم يرجع الحيوان الى حيث بدأ ، والرشاء أثناء ذلك يتدلى حتى يغترف الغرب من البئر ثانية ثم يستأنف الحيوان السير ثانية وهكذا والحيوان متمرن على ذلك فيعرف المبدأ والمنتهى ويتحول بإشارة خفيفة اذا ماسكب الدلو ويسمى كل بكرتين بحليهما سانية ، وقد يكون على البئر سانية وثلثان وثلث الى ثمان ، ولكل سانية حيوان يجزها قد يكون بعيرا أو ناقة وقد يكون بقرة أو حمارا ، والغرب قريبة هي جلد الشاة كاملا وقد تكون دون هذه اذا كان يجزها حمار أو عجل صغير أو ماشا كلهما ، أنظر الرسمين (١٥٢ و ١٥٣) والطريق من المدينة الى قباء مخوف لكثرة النخيل به على الجانبين ، فالواجب اتخاذ الرفيق وحمل السلاح اذا هناك أعراب أشقياء يترصدون من ينفرد عن ركه فيسلبونه ماله وربما قتلوه ، وقد حدث أن أحد ركب المحمل سار مع صاحب له يودعه فبعد عن المدينة مسيرة ساعة وعند أوبته اصطاده للصوص وضربوه على صفحة عنقه بعصا ذات رأس كبيرة كروية يسمونها «الدبسة» وسلبوه نقوده وتركوه فلما أفاق رجع الينا مشحوب اللون ومكث يعالج نفسه عشرة أيام حتى عاد الى طبيعته الأولى .

إخراج المحمل من المسجد النبوي وزيارة محافظ المدينة لنا

في يوم السبت ٢٢ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . تجعنا بالمسجد النبوي وأخرجنا الكسوة من المقصورة النحاسية كما أدخلناها ووضعناها على المحمل الذي أقله جملة ، وكانت العساكر الشاهانية والمصرية مصطفة صفين خارج باب السلام ومعهم الموسيقيان تعزفان بشجى الألحان وسرنا في موكب من الطريق الذي قدمنا

منه حتى خرجنا من باب العنبرية ، أنظره في (الرسم ٢٠٤) فوضعتنا المحمل هناك بمعسكرنا قبالة سرادق الأمير وعينا له من يقوم بحراسته وقد تفضل سعادة الفريق عثمان باشا فريد شيخ المسجد ووالى المدينة وزارنا بنحيمنا فاستقبلناه استقبالا حسنا فاصطف جنودنا صفين على اليمين وعلى الشمال من باب العنبرية الى سرادق الأمير ، ولما أن حضر حيي التحية العسكرية وأطلق له ٢١ مدفعا ، وكنت مع الأمير والأمين وضباط الحرس وموظفى المحمل فى انتظاره ولبت بحضرتنا ثلث الساعة وحيى فى وداعه بمثل تحيته فى قدومه ، وقد سره حسن اللقاء وكال النظام ، وكال الشاء للضباط والعسكر لما رأى من انتظامهم البديع وزيههم الجميل ، وكان الوالى راجبا فى قدومه ورجوعه عربية جميلة المنظر يقودها جوادان فرنجيان ويسوقها وطنى وأمامها وخلفها حوالى العشرين من الفرسان غير النظاميين وكان سعادته يرتدى جبة وقباء — قفطانا — من « الصوكيس » الأبيض وعلى رأسه عمامة ذات طربوش تركى وعلى عينيه نظارة ولحيته سوداء وعليه سيمى التقوى والوقار وأهل المدينة يحبونه لحسن عمله وعدم طمعه فانه لا يأخذ عن كل جمل يغادر المدينة سوى ريال واحد و (المدعى) يأخذ آخر .

سلطان المكلة والشحر

قبل أن نتكلم على المدينة المنورة ووصفها وآثارها وعلى مسجدتها النبوى وصفا وتاريخنا نذكر كلمة عن سلطان المكلة والشحر الذى رافقنا ركبته فى السفر والذى دلنا على علو نفسه وكريم خلقه فعاله الطيبة ، والمكلة والشحر ثغران فى جنوبى بلاد العرب على ساحل المحيط الهندى بينهما وبين عدن مسيرة ٢٤ ساعة فى الباهرة البحرية .

وباسمهما سميت الولاية التى يسيطر عليها هذا السلطان ويبلغ تعداد سكانها مائتى ألف نسمة وفيها ٦٠٠٠ جندى على ما أخبرنى نجله وللاأمير ثلاث بواخر كبيرة تجارية فى المحيط الهندى وقد رافقنا (عوض بن عمر القعيطي) سلطان المكلة والشحر

في سفرنا من مكة الى المدينة وكان بصحبته نجله الثاني (عمر بن عوض القعيطي) أما غالب نجله الأكبر فتركه والده بالسلطنة يدير شؤونها مدة غيابه في الحج ، وكان ابن غالب هذا المسمى محمدا بصحبة جدّه وكذلك كان بصحبته أسرته ووكيله السيد حسين الحضار الشريف وطبيب هندي ونحو ٩٠ جنديا ما بين سودانيين وهنود مسلحين بأسلحة قديمة ذات فتيل وفي بلادهم يحملون البنادق الحديثة من طراز (هنري مارتيني) التي لا تصرح الدولة بدخولها في بلاد العرب مع أني شاهدت مع الأعراب جميع أنواع البنادق الحديثة من سمة (ماركة) مارتيني وفورد ولينفورد الانكليزية ، وسمات أخرى فرنسية ويطليانية وغيرها ، وشاهدت بنديقة رصاص دمدم الخ ، وهذه الأسلحة تحضرها اليهم المراكب الشراعية - السنايك - من الثغور البحرية مثل جبوتي ومصوع وغيرهما وتباع لهم بأثمان عالية فلا يقل ثمن البندقية عن عشرة جنيهات إنجليزية ، وأن أحسن هدية تقدمها للعربي السلاح وذخيرته ، وكثيرا ما طلبوا مني الذخائر بواسطة المقوم فلم أجبهم الى ما طلبوا . وجند هذا السلطان يحملون البنادق مشعلة الفتيل دائما ويضعون البارود والرصاص في أوان بعضها فضي وبعضها نحاسي على شكل قرن الحيوان ، وفي وسطهم أحزمة ضخمة وضعوا بها سكاكين صغيرة وكبيرة داخل جرب فضية ذات نقش بديع ومنظر بهيج ويلبسون قميصا واسعا من القطن (بفته) عليه لباس أخضر يقيق طويل أبيض يشبه (الينظلون) وعلى رؤسهم العمام البيضاء ذات الحجم الكبير ، وفي أقدامهم النعال أو (المراكيب) وأكثر ما يأكلون الأرز بالحدل والخص واللحوم ولم أرهم قط يأكلون الخضراوات ومما يأكلون يأكل الأمير وأسرته غير أنهم يزدون على ذلك الحلو كالهريسة والشعرية الفرنجية ، ولباس السلطان لباس أمراء الهنود وقد أرسل لي نجله وحفيده رسمهما الشمسي مع كتاب يأتي ذكره بعد ، فوجدت لباس النجل لباس الضابط الانجليزي الفارس الا أنه مقصب لباس التشريفة الكبرى وعلى الرأس طربوش ، وزى الحفيد كزي أمراء الهند الفرسان وهو مقصب كسابقه وتراهم يتقلدون سيوفهم في الحفلات الرسمية أنظر النجل والحفيد

في الرسمين (١٥٤ و ١٥٥) أما نساؤهم فلباسهن الظاهري ثياب ساترة كل البدن من الفرق الى القدم لا تمثل شيئاً من الجسم وما من الثوب أزاء العينين منسوج على هيئة « التنتمة » والجوارى الخدم يلبسن فوطا تلف على الجسد من الوسط الى القدم، وفوق ذلك قيص من « الشاش » الأبيض، والرأس والوجه والذراعان مكشوفة .

وفي أثناء سفرنا من مكة الى المدينة كان ركبنا يتأخر في التحميل خصوصاً في الأيام التي كنا نرحل فيها قبل شروق الشمس وكنا نضطر لانتظارهم بما أنهم أصبحوا مناء، فرأيت من الجميل أن أعين لهم قسمين من العسكر يساعدونهم وقت الرحيل فكان ركبهم يسايرنا بلا تأخير .

مساعدة الأمير للفقراء — كنا نجد أثناء السير كثيراً من الحجاج الذين رافقوا المحمل الشامي وانقطعوا عنه في الطريق لضعفهم عن المشي وكنا نجدهم في أراض موحشة ليس معهم زاد ولا ماء فكنا نخلهم على جمالاتنا عند مانسقى الخيول وتخف الأحمال قياماً بواجب الأخوة الإسلامية، ولما بلغ عددهم نحو الأربعين استعطفنا الأمير لهم فأمر — أكرمه الله — من فوره بتأجير ٢٠ جملاً فاستأجرتها ودفع أجرها في الحال فوزعنا عليها الفقراء لكل حمل فقيران، وكان من جدهم أن المحمل رافقه مائتا حمل وجمل كانت تحمل الأسلاك البرقية وكانت توزعها تباعاً في الطريق، فلما أردنا الاستئجار وجدنا فيها العدد الكافي، ولما تكاثر عديدهم ركب الضعفاء وتناوب الأقوياء حتى وصلنا المدينة بسلام، وقد بلغ المتخلفون خمسة وثمانين غير من وجدناهم بالطريق جثة هامدة فواريناه بالثرى بعد التكفين، وقد كان هذا التخلف نتيجة الإسراع في السير، فإن المحمل الشامي جد فيه حتى عطب منه في الطريق ما ينيف على مائة حمل رأيناها بأعيننا ولو كانت عنده رحمة بالإنسان والحيوان وسار الهوينا ما تخلف من تخلف ولا عطب ماء عطب وفي العجلة الندامة وفي التأني السلامة .

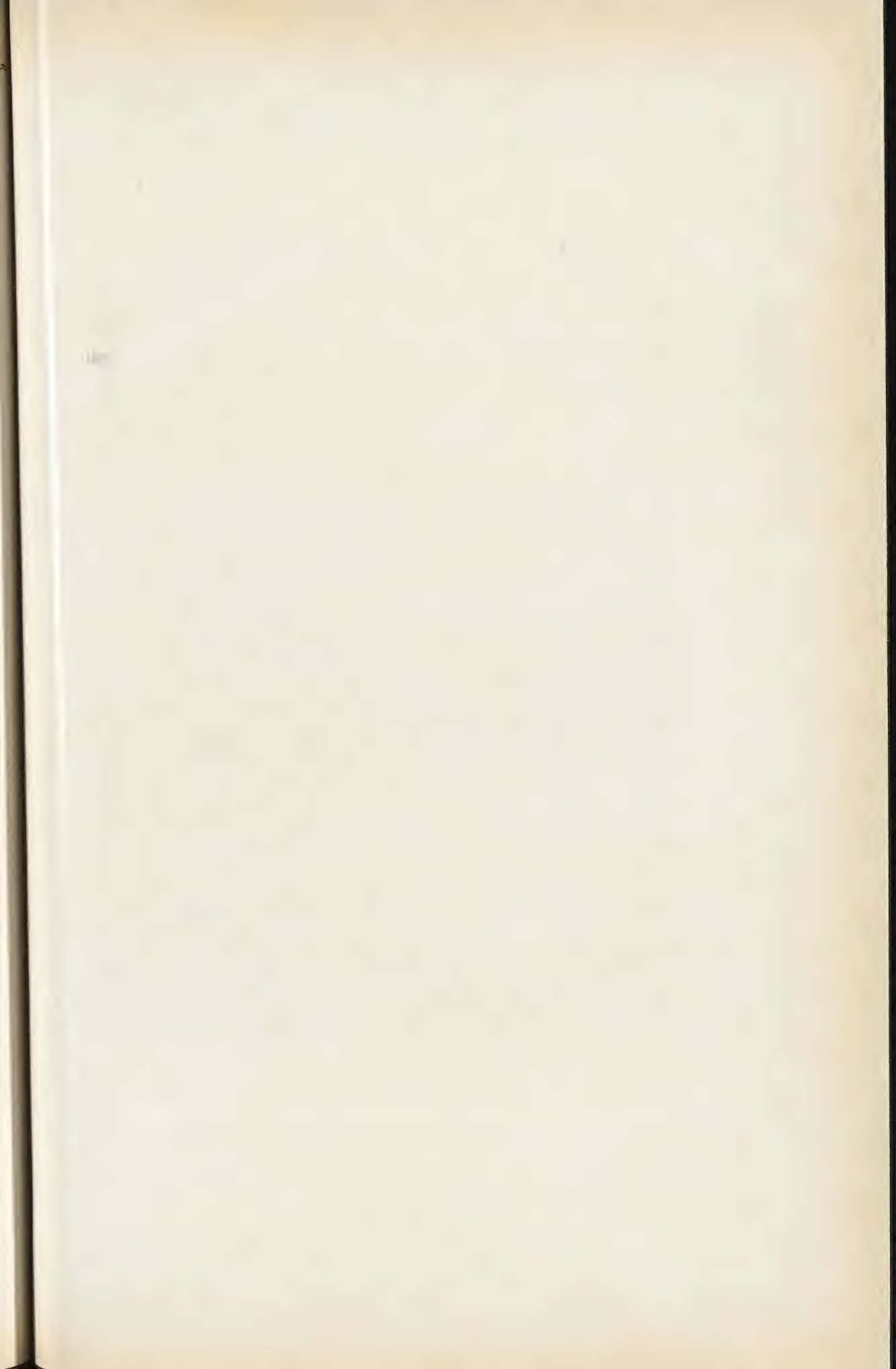
هدايا الأمير لموظفي المحمل — رأى الأمير ما قنابله نحوه من الخدمات الجليلة التي لم يدفعنا إليها الا شعور نفسه وإيمان يقيني زرع في قلوبنا شجرة المودة

عَبْدُ عَزِزٍ عَوْضُ الْفُعَيْطِ بِخَاتَمِ السُّلْطَانِ الْمَكَلِّيِّ الشَّهْرِيِّ



وَمَوْلَا السُّلْطَانِ الْفُعَيْطِ بِخَاتَمِ السُّلْطَانِ الْمَكَلِّيِّ الشَّهْرِيِّ

154. The son of the Sultan of El Mekalla & El Shehr Omar ibn Awad.



محمد بن عبد المجيد بن عبد سلطان المكيه والشجر



في الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٩ هـ

155. Mohamed ibn Ghaleb the son of the Crown Prince of the Sultan
of El Mekalla & El Shehr



والإخاء والمساعدة للغرباء فأبى — أكرمه الله — إلا أن يكافئنا على ما قدمنا بهدايا قيمة .

فأهدى سيفاً وخاتماً من الماس لأمير الحج اسماعيل باشا صبرى الطويحي .
وأهدى « « « « لرئيس الحرس إبراهيم بك رفعت — صاحب
الرحلة — أنظر السيف في يمين الرسم ٢٤٦
وأهدى ساعة فضية بديعة لرئيس مائة (يوز باشى) الحرس الرجالة عبد الوهاب
حبيب أفندى .

وأهدى علبة دخان من الفضة المسكوفى لضابط الخيالة الملازم الأول
أحمد كامل أفندى .

وأهدى علبة دخان من الفضة المسكوفى لرئيس المائة (يوز باشى) الطبيب
سليمان كامل أفندى .

وأهدى علبة دخان من الفضة المسكوفى للملازم الثانى فى المشاة محمد كامل أفندى .
« ساعة فضية صغيرة لضابط المدفعية الملازم الأول اسماعيل كامل أفندى .
« « من النيكل أسبوعية للملازم الأول فى المشاة ابراهيم أحمد أفندى .
« دبوساً ذهبياً

« سوارين صغيرين من الذهب } لكريمات رئيس الحرس إبراهيم بك رفعت
« ٢٥ جنيه «وينتيا» للحرس وزعت عليهم .

وساعة أن ناولنا تلك الهدايا الثمينة أبدى لى سروره السار من المساعدات التى
تقدمنا بها اليه والى صحبه فشكرنا له حسن الرعاية .

الأمير وعرب ينبع البحر — عزم الأمير على السفر من المدينة الى ينبع
حيث البواخر الكثيرة التى تقله هو وحاشيته الى وطنهم ولكن حال دون نفاذ العزم
ما أبجله لك .

لما علم مشايخ ينبع وعربانها وعربان غيرها بوصول الأمير الى المدينة تواردوا
عليه وفودا كل وفد يريد الاتفاق معه على القيام بمعدات السفر ورواحله ، وكلما تفق

مع وفد أتى آخر ليفسد على سابقه اتفاقه تارة بالطن فيه وتارة بنقص الأجر عنه وتارة بتعهده بتقديم رهينة وكلهم لا يبغي من وراء ذلك إلا أن يصاحبه الأمير فينتهب أمواله في الطريق ، وقد تراخمت هذه الوفود أمام بيت الأمير كأنما هو حاكم المدينة وأخيرا أشار عليه كبير من كبراء الأشراف أن يوزع على مشايخ الطريق ٢٠٠٠ جنيه ان كانت معه ليسير في أمان واطمئنان وإن لم تكن معه فالأولى به أن يرافق المحمل المصري كما حضر معه ، فلما سمع تلك الإشارة عض بنان الندم على ما بذل من الهدايا النفيسة والمال الوافر لشريف مكة ووالها أملا في أن يكون مرعى الجانب مشمولاً بحياطتهما حتى يصل الى جدة ولكن خاب فآله ، فكلم محافظ المدينة في أمر سفره ورجاه أن يبعث معه قسما من العسكر الى ينبع أو جدة ويتعهد هو بنفقات السفر ذهابا وإيابا فلم يجبه لأنه محظور عليه أن يبعث العسكر خارج المدينة الى مكان يستغرق السير اليه أكثر من ثلاث ساعات إلا بإذن من الدولة ، ونصح له المحافظ أن يصحب المحمل لأنه خير كفيل بالراحة والأمن فرجع من عنده غير مرتاح النفس مضطرب الرأي فأبرق الى الشريف والوالى أن يأذنا باستصحاب بعض الجند معه من المدينة الى جدة ومكث أسبوعا ينتظر الإجابة فلم تأتته فأبرق الى شركة البواخر الخديوية أن تأجره باخرة من الوجه الى جدة ثم عدن ، فلم تفده ويظهر أن الإشارة حجزت في مكتب البرق لأنها لا توافق مشرب الدولة أو أن العمال قصرُوا في تسليمه رد الإشارة كما هو دأبهم ، ويحسن أن نعلم أن الإشارة التي ترسل من المدينة الى مكة ترسل للشام أولا فالسويس فسوا كن فجدة فمكة وذلك بواسطة شركة « الايسترن الانكليزية » .

وقد أشرت على الأمير — وكنت أتردد عليه لأتعرّف ألعيب الأعراب واستكشف من كلامهم ما عقدوا عليه القلوب — بأن يصحب المحمل وأن لا يتخذ لذلك بديلا إذ قرأت آيات السوء في وجوه أولئك المتسابقين فاتفق رأيهم على ذلك وسار معنا بركبه إلا القليل منه .

وكان الأمير استأجر من مكة الجمال لتقله الى المدينة فجدة ونقدها الأجرة فلما تحوّل عزمه الى ينبع أو الوجه فتر الجمالة بما أخذوا وكذلك استأجر بالمدينة جمالا

ودفع أجرة بعضها ففتر أصحابها بما أخذوا ولم يقدموا له شيئا مع أن الشيخ محمدا أبا حميدى المقدم أشار عليه بأن لا يدفع الأجرة كلها للجمالة نخالف، فكان الفرار وضاع عليه ما نقد وان كان المقدم تعهد له بسداد ما أخذوا وقدم له ١٤ جملا الى ما أجره ولم يفر أربابها ولكن ذلك لم يكف ركبته، ورغب الجمالة عن المشى بطريق الوجه فاضطر لقلّة الجمال أن يرسل كثيرا من خدمه وعبيده الى ينبع براجدة بحرا في المراكب الشراعية، وقد ذكرتني معاملة الأعراب لهذا الأمير بأبيات قالها عالم مغربي في عرب المجاز لما أن حج في سنة ١٢٧٠ هـ قال :

من رام أن يلقى تباريح الكرب * فليأت أجناف العرب
يلقى الجمال والحلال والحشب * والشعر والأوتاد حيثما انقلب
هم أسرق الناس عن أم وأب * وأسمع الناس وأنزى من نهب

ولما سمعت العرب هذه الأبيات همت بقتله ولكن الله عصمه وقد قلبها الى مدح الشيخ أحمد الجمل من علماء الأزهر فقال :

من رام أن يلقى تباريح الكرب * فليأت أحلاف العرب
يلقى الجمال والحلال والحشب * والشعر والأوتار حيثما انقلب
هم أشرف الناس عن أم وأب * وأسمع الناس وأجزى من يهب

مرتب الأمير وأمنيته — بلغنى أن الأمير يتقاضى من الانكليز مرتبا سنويا قدره ١٠٥٠٠٠ روبية أى ٧٠٠٠ جنيه انجليزى وذلك نظير موالاته لهم وعدم انتهاكه لحرمتهم . ولما رأى ابن الأمير نظام جندنا وجمال موسيقانا كلمنى فى أن أرسل اليه جوقة موسيقى وضباطا يعرفون فن المدفعية ليعلموا رجاله ، ولما حضرت مصر وصلنى منه الكتاب الذى ترى صورته الشمسية فى (الرسم ١٥٦) وتعرف منه لغتهم ومبلغ اللغة العربية من ألسنتهم ، واستنجزنى فى هذا الكتاب ما طلبه ورغب فى أن

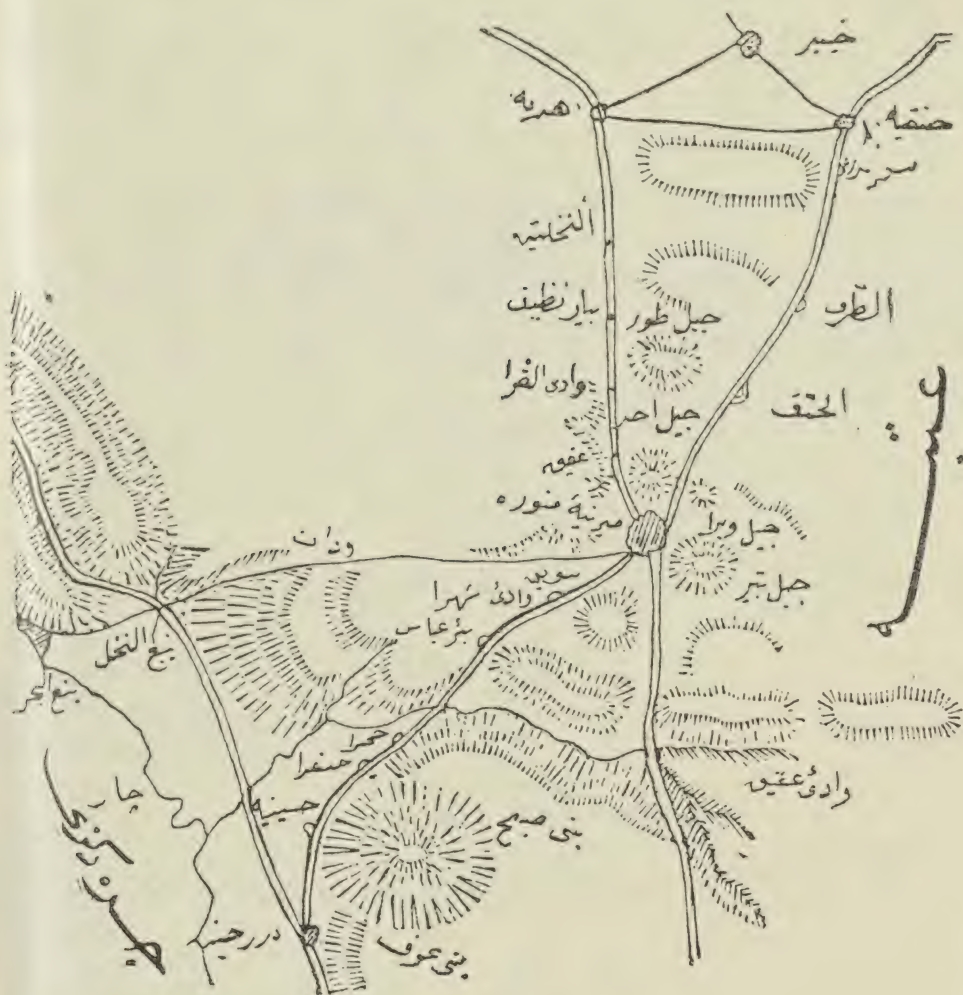
المدينة المنورة

أسماؤها وموقعها — المدينة العاصمة الثانية لولاية الحجاز وهي في شمالي مكة تبعد عنها نحو ٥٠٠ كيلو متر وقد قطعنا المسافة بينهما من الطريق الشرقي في ١٢٥ ساعة و ٥٠ دقيقة بسير الجمل في ركب المحمل وهي واقعة على الدرجة ٣٩ والدقيقة ٥٠ طولاً شرقياً، وعلى الدرجة ٢٤ والدقيقة ٣٣ عرضاً شمالياً وهي في صحراء مستوية ومتسعة مكشوفة من جهاتها الأربع، وفي شمالها جبل أحد على مسيرة ثلثي ساعة منها، وفي جنوبها الغربي جبل عير بالقرب من ذى الحليفة على مسيرة ساعة ونصفها، وهو جبل مستقيم شامخ تراه في (الرسم ١٤٩) وانظر المدينة وما حولها في (الرسم ١٥٧). ولها أسماء كثيرة أوصلها إلى نيف وتسعين صاحب كتاب وفاء الوفاء، وأشهر هذه الأسماء ما نطق به القرآن والسنة فالقرآن سماها المدينة . قال تعالى ﴿ يَقُولُونَ لئن رجعنا إلى المدينة ليمخرجننا آل عمران منّا لأذللنّ)) وقال ((وَمِنَ حَوْلِكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ)) وسماها يثرب وهو اسمها القديم قبل الهجرة . قال تعالى ((وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا)) قال الزجاجي يثرب اسم من بناها وهو يثرب بن قانية بن مهلائيل بن ارم بن عييل ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح . وسماها الدار في قوله تعالى ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)) . وسماها النبي صلى الله عليه وسلم: طيبة وطابة مأخوذ ذلك من الطيب وهو الرائحة الحسنة .

مباني المدينة — أكثر أبنيتها من الأحجار المجلوبة إليها من المحاجر القريبة وبيوتها ضيقة غير منتظمة أكثرها من غير رحاب مرتفعة البناء ذات طبقتين وثلاث وأكثر، وقل أن تجد فيها بناء ذا طبقة واحدة وأكثر الطبقات الأرضية مشحون

بالبضائع التجارية وحجراتها ضيقة تشبه في شكلها قيعاننا إلا أنها ذات «لوانين» وحوانيتها مرتفعة الأبواب عن الأرض بنحو متر، وبيوت أكابر الأشراف ضخمة متينة ذات شكل جميل ومنظر بديع ووجعها مبنية بالآجر الأسود ولها رواش «مشرقيات» مصنوعة من الخشب الخرط الجميل وأبوابها مرتفعة عن الأرض وترى في (الرسم ١٥٨) واجهة أكبر فندق في المدينة يسمى دار السرور وهو الآن — سنة ١٣٢٦ هـ —

لورثة السيد عبد الله المدنى الذى كان عضوا بمجلس إدارة المدينة وترى في (الرسم ١٥٩)



المدينة المنورة وما حولها

(الرسالة — ١٥٧)

منظر المدينة من الجهة الغربية الجنوبية سنة ١٣٢٥



159. A western and southern view of El Medina.

مجلة ٤١٣

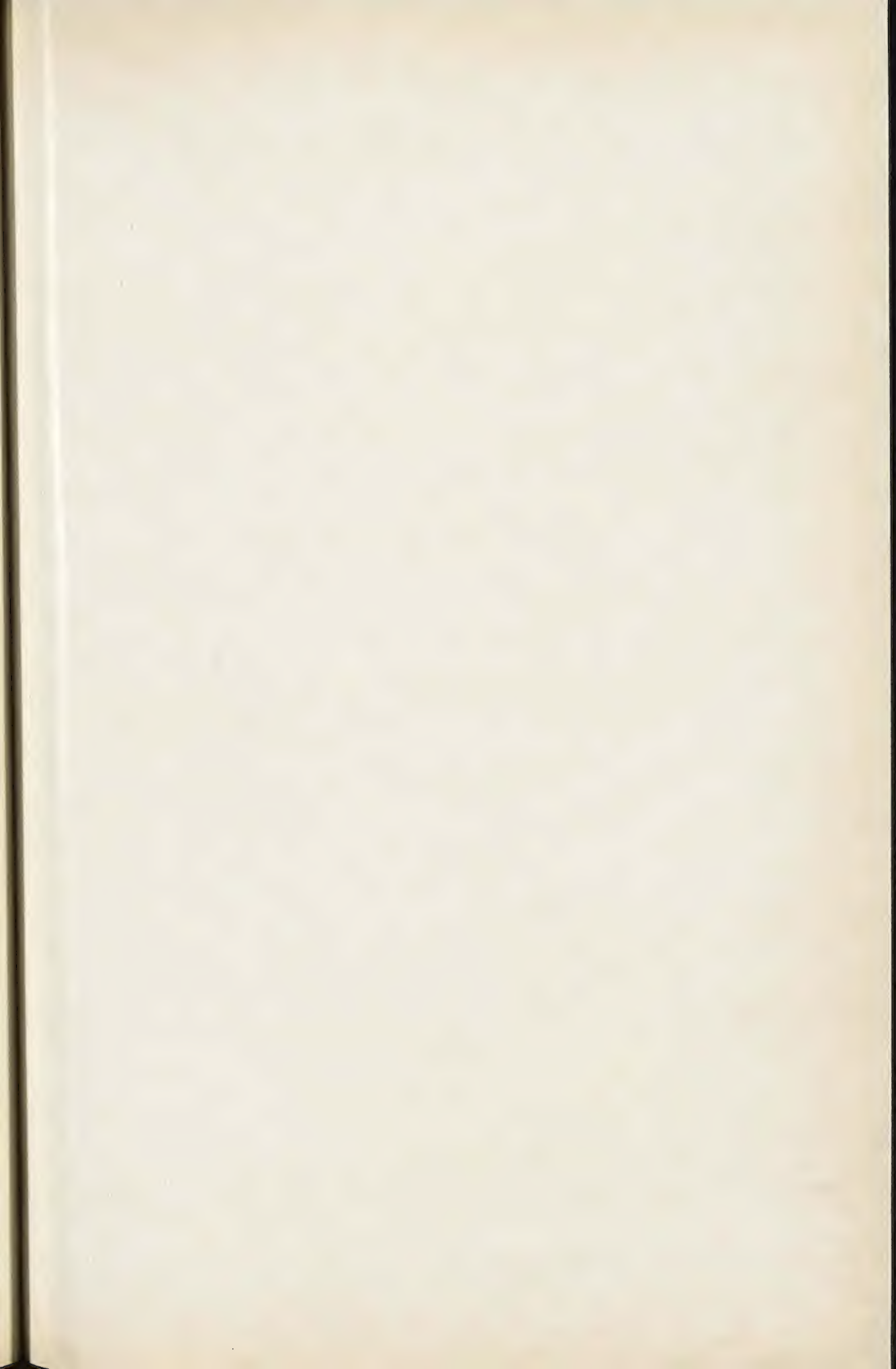
منظر المدينة المنورة من جهة الباب الشامي

هذا رسم الجهة البحرية من المدينة المنورة وبه القلعة السلطانية منشأ السلطان سليمان العثماني وبها الخمسة المنارات للحرم النبوي وبها بيوت السادة الاسعدية مع الجنينة المسماة بالسبيل عند العامة والخاصة وهي على شمال الناظر لهذا الرسم والقبه تسمى قبة السبق لمسابقة خيل الضحاية نحوها وهذا الرسم مأخوذ من فوق جبل سلع



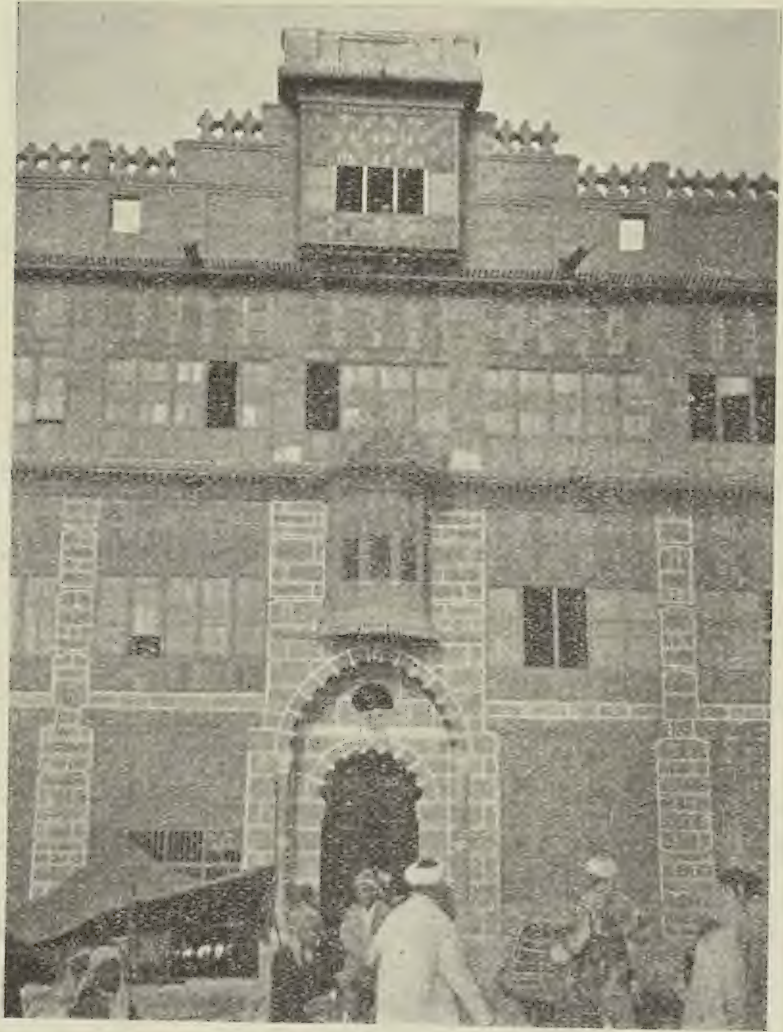
161. Medina as seen from the "Syrian gate".

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في هذه المدينة المنورة
مكة المكرمة التي فيها المسجد النبوي الشريف
والذي جعل في هذه المدينة المنورة
مكة المكرمة التي فيها المسجد النبوي الشريف



أكبر فندق بالمدينة المنورة

A view of the largest hotel in medina in the year 1321.



للرحوم السيد عبد الله مدني وعدد غرفه ٣٧١

(الرسم ١٥٨)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في هذه المدينة المنورة
أكبر فندق بالمدينة المنورة

منظر المدينة من الجهة الغربية الجنوبية ، وحارات المدينة ضيقة لا يزيد عرض الواحدة عن المترين ، وشوارعها لا تزيد على أربعة وأحسنها شارع غرب المسجد النبوي يسمونه حارة الساحة وهو أطول الشوارع وفيه أجمل المباني وبه دار المحافظة ، والشارع الموصل للمسجد من جهة باب السلام مبلط بالأحجار ولكن أرضه غير مستوية والحارات لضيقها يسمونها أزقة ، منها في شمال المسجد زقاق البقر وزقاق الخياطين وزقاق الحبس وزقاق عنقيني وزقاق السمهيدي وزقاق البدور وزقاق الأغوات وحارة البقيع ، وفي هذه الحارة رباط كتب بالنقر على حجر فيه : (وقف هذا الرباط المبارك لوجه الله تعالى العبد الفقير ياقوت المظفرى المنصورى والماردانى على الفقراء والمساكين الغرباء الرجال خاصة دون النساء تقبل الله منه وأثابه الجنة برحمته وكرمه بتاريخ ست وسبعائة) وفي جنوبى المسجد زقاق باهو وزقاق الكبريت وزقاق القماشين وزقاق حيدر وزقاق الجمامين وزقاق مالك بن أنس ، وللمدينة سور داخلى وآخر خارجى ، وأقل من أقام لها سوراً محمد بن اسحاق الجعدى بنى لها سوراً منيعاً فى سنة ٢٣٦ هـ . ليصد عنها هجمات الأعراب وغزوات البدو، وجعل له أربعة أبواب باب فى المشرق يخرج منه الى بقيع الغرقد، وباب فى المغرب يخرج منه الى العقيق وإلى قباء، وداخل هذا الباب فى حوزة المصلى الذى كان صلى الله عليه وسلم يصلى فيه العيد، وباب شمالى غربى ورابع شمالى يخرج منه الى قبور الشهداء بأحد . وفى سنة ٣٧٢ هـ . بنى عضد الدولة بن بويه وزير الطائع لله بن المطيع سوراً للمدينة وقد تهدم على طول الزمان ولم يبق إلا آثاره ورسومه ولا يدرى أن كان هذا السور موضع سور الجعدى أم لا ثم جدد للمدينة محمد بن أبى منصور المشهور بالجواد الأصهبانى وزير صاحب الموصل سوراً محكماً حول المسجد النبوى وذلك فى سنة ٥٤٠ هـ . قال ابن الأثير : رأيت بالمدينة إنساناً يصلى الجمعة فلما فرغ ترحم على جمال الدين ودعا له فسألناه عن سبب ذلك فقال :

يجب على كل مسلم بالمدينة أن يدعوله لأننا كنا في ضرو ضيق ونكد عيش مع العرب لا يتركون لأحدنا ما يواريه ويشبع جوعته فبنى علينا سورا احتمينا به ممن يريدنا بسوء فاستغينا فكيف لاندعوله ، وكان خطيبهم يقول في خطبته : اللهم صن حريم من صان حريم نيك بالسور محمد بن علي بن أبي منصور ، ولما كثر الناس خارج هذا السور ووصل الى المدينة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٥٧ هـ .

كلموه في أن يبنى لهم سورا آخر يحفظ أبنائهم وماشيتهم فأمر ببناء السور الخارجى سنة ٥٥٨ هـ . وكتب ذلك على صفحات الحديد التى صفح بها باب البقيع ، وكانت مسافته ما بين الباب الغربى عند المصلى وبين عتبة باب السلام ٦٤٥ ذراع ، وبين باب البقيع وعتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل ٤٣٣ ذراع ، وربما كان هذا السور موضع السور الذى بناه عضد الدولة وعفت آثاره لأنه كان بجوار المصلى من الغرب وهذا كذلك ، وقد جدد هذا السور الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٥٥ هـ . وجدد بعضه السلطان قايتباى سنة ٨٨١ هـ . وقد درست معالم هذا السور بعد مدة ، أما السور الداخلى فجده السلطان سليمان بن السلطان سليم سنة ٩٣٩ هـ . وجعله على أساس السور القديم وقد أتم بناءه سنة ٩٤٦ هـ .

وتعطل البناء مدة فى خلال ذلك وبلغ ما أنفق عليه مائة ألف دينار وأذرع محيطه ٣٠٧٢ ذراع معمارى (٧٥ سنتيا) وله اليوم خمسة أبواب (الرسم ١٦٠) الباب الذى يخرج منه الى البقيع ويعرف بباب البقيع وباب الجمعة ، وعلى هذا الباب الكتابة الآتية : جده السلطان سليمان سنة ٩٤٥ هـ . والسلطان محمد خان بن ابراهيم خان سنة ١٠٧٨ هـ . وهذا مكتوب بالنحاس ، وعمره السلطان محمود سنة ١١٦٢ هـ . ويلى هذا الباب من الشمال باب محدث يسمى الباب المجيدى عند دار الضيافة ، وفى الشمال الغربى الباب المقابل لجبل سلع بين منتهى السور من هذه الجهة وبين القلعة ويعرف بالباب الشامى ، ويليه من الغرب الباب الصغير وهو

خريطة المدينة المنورة



في جنوب القلعة الغربى (فى الرسم ١٦١ ترى القلعة والجهة الشمالية من المدينة وترى قبة السبق فى وسط الرسم من أسفل) ثم الباب المصرى فى منتصف الجهة الغربية وقد فتح هذا الباب محمد على باشا بعد حربه للوهابية وتعميره للسور الداخلى (انظر الرسم ١٣٦) وقد عمر هذا السور أيضا السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٥ هـ . وجعل ارتفاعه نحو ٢٥ مترا وبني فيه ٤٠ برجاً تشرف على ضواحي المدينة للدفاع عنها، وفى هذا السور كثير من المزاغل وأبراجه مشحونة بالمدافع والذخائر الحربية . وفى غربى هذا السور سور آخر أوسع منه يحيط بالبيوت التى خارج السور الأول فى غربه وجنوبه ويتسدى من البقيع فى الجنوب الغربى وينتهى بالقلعة التى أنشأها السلطان سليمان بن السلطان سليم فى سنة ٩٣٩ هـ . وذلك فى الجهة الشمالية، وله خمسة أبواب بابان عند البقيع يعرف أحدهما بباب العوالى لأنه يخرج منه إليها ولعل الثانى باب الكوفة ؟ ويل هذين البابين من الجنوب باب السد أو باب قباء لأنه يخرج إليها منه، وفى الغرب باب العنبرية يخرج منه الى الحرة والى وادى العقيق ويسمى أيضا بالباب الحميدى ، لأن السلطان عبد الحميد جدّه وزاد فى السور من ذلك فى سنة ١٣٠٥ هـ . وقد رأيت هذا مكتوباً على الباب (انظر الرسم ١٣٤) وهذا الباب من السور الخارجى والباب المصرى من السور الداخلى عليهما العمل فى دخول القوافل وخروجها ، وفى نهاية السور الخارجى عند القاعة تجد باباً يسمونه اليوم باب الكومه وهو يقابل سلعا، وهذا السور مبنى باللبن والطين ومجصص ويظهر أنه فى موضع السور الذى بناه اسحاق بن محمد الجعدى والمشهور بين أهل المدينة أنهم الذين بنوه زمن سعود الوهابى الذى يأتى ذكر هجومه على المدينة ، وقد تهدم كثير من هذا السور ، وبين السور الداخلى من الغرب والبيوت التى فى غربيه براح متسع يبلغ متوسط عرضه ٤٠٠ متراً اشتراه بعض ملوك آل عثمان ووقفه ومنع البناء فيه وجعله محطاً للحجاج والقوافل ومناخاً لمطيمهم فسمى

لذلك بالمناخة ، ثم أطلقت المناخة على ما بين السورين من فضاء وبناء وأصبحت
 بكيدة مستقلة تقام فيها الجمعة ولا تعاد ، وفي المدينة ١٧ مسجدا و ١٨ مكتبة
 « كتبخانة » و ١٧ مدرسة تدرس فيها العلوم الأولية ومكتبا راقيا و ١٢ مكتبا
 للصبيان لكل مكتب فقيه وعريف ، وكان عدد التلامذة بالمكاتب ٣٢٠ وتلامذة
 المكتب الراقى ٥٥ وذلك في سنة ١٣٠٩ هـ . وفيها ٨ تكايا و ٢١ مشربا — سبيلا —
 ومستشفى و ١٠٨ رباط . للفقراء وقلة وثكنة للعسكر ودار كبيرة للحكومة وقد زرت
 محل (البوليس) فوجدت رئيسه (القومندان) والكتبة جالسين على مساطب مرتفعة
 عن الأرض بنحو ٤٠ سنتيا ومفروشة بالسجادات والحصير ، وفيها ١٠ مخافر (قره قول)
 وحمامان : أحدهما داخل المدينة بناه السلطان سليمان القانوني ، والثاني بالمناخة
 وهما أشبه بحمامات مصر وفيها مزولة لمعرفة الأوقات ، و ٤٠٠ منزل و ٩٣٢ حانوت
 ومخزن و ٤ متاجر كبيرة (وكالات) و ١٨ مخبرا و ٣٦ قهوة و ٤ محلات للأصباغ
 (البويات) و ٨٥ بستان فيها النخيل والأعناب ومن كل الثمرات .

وإذ سمعت الوصف الإجمالي لمباني المدينة وما فيها من الآثار فاستمع لما وقفنا
 عليه من تفصيل لبعض تلك الآثار .

مساجد المدينة — أما مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فسيأتى الكلام
 عليه في باب مسهب ذى فصول جملة وقدّمنا لك وصف مسجد حمزة ومسجد قباء
 بما فيه الغناء فلنذكر وصف المهم من باقيها .

(١) مسجد القبلتين — قد زرت هذا المسجد في ٢٤ المحرم سنة ١٣١٨ هـ .
 وهو في الشمال الغربي للمدينة في رابية على شفير وادى العقيق الصغير ، والمسافة بينه
 وبين بئر رومة — بئر عثمان رضي الله عنه — التي في شمالي المسجد مسيرة ١٥ دقيقة وقد
 وجدته متخربا لم يبق منه الا بعض حيطانه (انظر الرسم ١٦٢) ومن عمره وجدّد سقفه
 الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الخدم بالمسجد النبوى وذلك في سنة ١٨٩٣ هـ . وجدّده
 السلطان سليمان سنة ٩٥٠ هـ . كما رأيت ذلك مكتوبا عليه وسمى بمسجد القبلتين

آستان قدس
بقایا مسجد اقصی

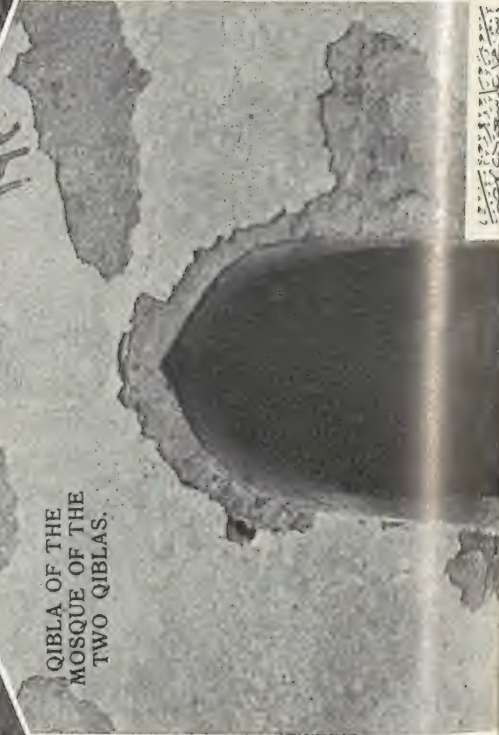
REMAINS OF THE MOSQUE OF THE TWO QIBLAS ۱۶۷



بقایا مسجد اقصی

۱۶۷

QIBLA OF THE MOSQUE OF THE TWO QIBLAS.



بقایا مسجد اقصی

آستان قدس
بقایا مسجد اقصی

REMAINS OF THE MOSQUE OF THE TWO QIBLAS. ۱۶۸



بقایا مسجد اقصی



لم يرواه يحيى عن عثمان بن محمد بن الأخنس ، قال : زار رسول الله صلى الله عليه وسلم
أم بشر بن البراء في بني سلمة فصنعت له طعاما فأكل هو وصحبه ثم جاءت الظهر
فصلاها بأصحابه في مسجد القبلتين ولما أن صلى ركعتين منها أمر أن يتوجه إلى الكعبة
فاستدار هو وصحبه إليها — قال الزمخشري : وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان
الرجال — واستقبل الميزاب فهي القبلة التي قال الله تعالى ﴿ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾
فسمى من أجل ذلك بمسجد القبلتين ، وروى عن محمد بن جابر ما يخالف ذلك فانه
قال : صرفت القبلة ونفر من بني سلمة يصلون الظهر في المسجد الذي يقال له : مسجد
القبلتين فاتاهم أت فأخبرهم وقد صلوا ركعتين فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى
الكعبة ، وفي رواية البراء بن عازب عند البخاري في ذكر قصة التحويل : فصلى
مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل ثم خرج بعد ما صلى فمر على قوم من الأنصار يصلون
في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة فتحترّف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة . وروى
يحيى عن رافع بن خديج أن التحويل كان بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو
يصلى الظهر ، وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : بينما نحن في صلاة الصبح ببقاء
جاءنا رجل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر
أن يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها وكانت قبلة الناس إلى الشام ، فاستداروا وتوجهوا
إلى الكعبة ، قال سعيد بن المسيب : وكانت الصلاة إلى بيت المقدس سبعة عشر
شهرا ، وهذه الروايات مع تضاربها في تعيين المسجد الذي كان يصلّى فيه الرسول
حينما حوّلت القبلة وتضاربها في الصلاة التي كان التحويل أثناءها تفيد في مجموعها
تعمّد المساجد التي حوّلت القبلة فيها أثناء الصلاة بل كل مسجد صلى فيه نحو البيتين
فهو ذو قبلتين فلا معنى لتخصيص مسجد بني سلمة بهذه التسمية ، اللهم إلا أن نقول
ما قاله الحافظ ابن حجر من أن التحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سلمة الظهر ،

«وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر فحينئذ يكون مسجد بني سلمة أولى بالتسمية لأنه أول مسجد صليت فيه صلاة واحدة الى القبلتين وحصل ذلك بعده في عدة مساجد .

(٢) مسجد الفتح — في شمالى المدينة الغربى جبل يقال له « سلع » على قطعة منه ويسمى أيضا مسجد الأحزاب والمسجد الأعلى ، وهذا المسجد في المكان الذى قام فيه الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على الأحزاب في غزوة الخندق فاستجاب الله دعاءه وأرسل عليهم ريحا كفأت قدورهم وقامت خيامهم وجنودا لم يروها فأنخذلوا ورحلوا .

روى أحمد في مسنده بسند رجاله ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين وكان الدعاء الذى دعا به — كما رواه ابن زبالة من طريق عمر بن الحكم : اللهم لك الحمد هديتى من الضلالة فلا مكرم لمن أهنت ، ولا مهين لمن أكرمت ، ولا معز لمن أذللت ، ولا مذلل لمن أعززت ، ولا ناصر لمن خذلت ، ولا خاذل لمن نصرت ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا رازق لمن حرمت ، ولا حارم لمن رزقت ، ولا رافع لمن خفضت ، ولا خافض لمن رفعت ، ولا خارق لمن سترت ، ولا ساتر لمن خرقت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت ؛ ورويت أدعية أخرى أحسنها ما فى الصحيح من حديث ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرضين رب العرش الكريم . وهذا المسجد عمره عمر بن عبد العزيز وكان رواقا واحدا ذا أعمدة ثلاث ولكنه تحرب فجدده فى سنة ٥٧٥ هـ . الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء أحد وزراء العبيديين ملوك مصر وجعله رواقا واحدا ذا عقود ثلاثة وقباه قبوا محكما ، وطوله من الشمال الى الجنوب عشرون ذراعا تنقص يسيرا ، ومن الشرق الى الغرب سبعة عشر ذراعا وأسفل مسجد الفتح من جهة الجنوب

مسجدان آخران يقال للأول منهما : مسجد سلمان وللذى فى جنوبيه مسجد على رضى الله عنهما ، وقد جدد المسجدين الأمير سيف الدين السالف ذكره فى سنة ٥٧٧ هـ . وجدد الثانى أمير المدينة زين الدين ضعيم بن حشرم سنة ٨٧٦ هـ . والأول طوله من الشرق الى الغرب ١٧ ذراعا فى عرض ١٤ ، وذرع الثانى من الشمال الى الجنوب ١٣ ذراعا فى طول ١٦

(٣) مسجد الاجابة — هذا المسجد فى شمالى البقيع على يسار السالك الى « العريض » فوق تلال هى آثار قرية بنى معاوية بن مالك بن عوف من الأوس وهو مسجدهم ، وسبب هذه التسمية ما رواه مسلم فى صحيحه من حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال : سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة — بالجدب — فأعطاني وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها .

وروى مالك فى موطئه هذه القصة عن عبد الله بن جابر عن عبد الله بن عمر ، وقد ذرع صاحب وفاء الوفاء هذا المسجد فى القرن التاسع فاذا هو من الشمال الى الجنوب عشرون ذراعا تنقص قليلا ، ومن الشرق الى الغرب ٢٥ ذراعا تنقص يسيرا .

(٤) مسجد الراية — هذا المسجد على يسار الداخل الى المدينة من طريق الشام فوق جبل ذباب ولهذا يسمى مسجد ذباب أيضا ، وقد روى ابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ذباب ، وروى أيضا عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدرى أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب قبته عليه فى غزوة الخندق ، وسبب تسميته بمسجد الراية ما رواه الواقدي أن يزيد بن هرمز كان يقاتل بالموالى على ظهر ذباب وكان رئيسهم يحمل الراية لهم . (أنظر المسجد فى نهاية الرسم ١٤٠ من جهة اليسار فوق القمة) .

(٥) مسجد السقيا — السقيا بئر بحجرة المدينة الغربية ، وهذا المسجد عندها ومكانه الآن قبة شهيرة تسمى بقبة الروس عند باب العنبرية . روى الترمذی وقال حسن صحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر حتى اذا كنا بحجرة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتوني بوضوء فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال : اللهم إن ابراهيم كان عبدك وخيلك ودعاك لأهل مكة بالبركة وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدتهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين . وفي بعض الروايات عند أحمد والطبرانی أنه صلى هنالك فأقيم المسجد حيث صلى وقد ذرع هذا المسجد صاحب وفاء الوفاء فاذا هو سبعة أذرع في مثلها .

(٦) مسجد الفضیخ — هذا المسجد شرق مسجد قباء على شفير الوادی في نشز من الأرض وهو مسجد صغير قال صاحب الوفاء : إنه أحد عشر ذراعا في مثلها وسبب تسميته بذلك ما روى ابن شبة عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاصر بني النضير ضرب قبة قريبا من مسجد الفضیخ وصلى في موضع هذا المسجد ست ليال فلما حرمت الخمر خرج الخبر الى أبي أيوب في نفر من الأنصار وهم يشربون فيه فضيخا فحلوا وكاء السقاء فهارقوه فيه ، فبذلك سمي مسجد الفضیخ ، والفضیخ عصير العنب وشراب يتخذ من بسر مفضوخ ، ويقال لهذا المسجد : مسجد الشمس وقيل في تعليل ذلك إنه في مكان عال شرق مسجد قباء فأقول ماتطلع الشمس تطلع عليه .

ولقد ذكرتني كلمة بسر بيتين ظريفين رأيتهما في رحلة العياشي قالها الشيخ محمد فتح الدين القليوبي وقد أهدي اليه بسر كثير النوى :

أرسلت لي بسر حقيقته نوى * عار فليس لجسمه جلاباب
ولئن تباعدت الجسوم فودنا * باق ونحن على النوى أحباب

(٧) مسجد بنى قريظة — هذا المسجد شرق مسجد الفضيل بعيد عنه بالقرب من الحرة الشرقية والظاهر أنه الذى ورد ذكره فى حديث الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد فأتى على حمار فلما دنا قريبا من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار: «قوموا إلى سيدكم أو خيركم ثم قال: إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك فقال: نقتل مقاتلتهم وتبني ذريتهم» الحديث. وقد قاس هذا المسجد صاحب وفاء الوفاء — فى القرن التاسع فاذا هو ٤١/٤ ذراعا من الشمال الى الجنوب فى عرض ٤٣ وقال إنه يحيط به جدار ارتفاعه نصف القامة وان هذا الجدار جدده الشجاعى شاهين الجمالى شيخ المسجد النبوى سنة ١٨٩٣ هـ.

(٨) مسجد بنى ظفر — هذا المسجد يعرف أيضا بمسجد البغلة وهو شرقى البقيع بطرف الحرة الغربية. روى الطبرانى بسند رجاله ثقات عن محمد بن فضالة الظفرى وكان ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فى مسجد بنى ظفر فجلس على الصخرة التى فى مسجدهم ومعه عبد الله ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأناس من أصحابه، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً نقرأ حتى أتى على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضطرب لحياه فقال: أى رب شهيد على من أنا بين ظهرانيه فكيف بمن لم أره، وعند هذا المسجد آثار فى الحرة من جهة القبلة يزعمون أن أحدها أثر حافر بغلة النبي صلى الله عليه وسلم، وفى غربى هذا الأثر مرفق غائص فى الحجر زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم أتكا عليه ووضع مرفقه الشريف عليه فلان له الحجر، وعلى حجر آخر أثر أصابع نسبوها كذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت شىء من ذلك وإنما هو محض افتراء زوره المرشدون للآثار ليستدروا بذلك أموال الدهماء. وقد قاس هذا المسجد صاحب الوفاء فى القرن التاسع فوجده ٢١ ذراعا فى مثلها، ومن عمر هذا المسجد المستنصر بالله أبو جعفر المنصور سنة ٦٣٠ هـ.

(٩) مسجد أبي بن كعب — ويعرف أيضا بمسجد بني جديلة ، هذا المسجد غربى مشهد عقيل وأمّهات المؤمنين على يمين الخارج من درب البقيع ، روى عمر بن شبة عن يحيى بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختلف الى مسجد أبيّ وأنه صلى فيه كثيرا ، وقد كان هذا المسجد متخربا ، وكانت توضع فيه آلات الحفارين بحدّته الدولة العلية مع محرابه وأحمت بناءه .

(١٠) مسجد المائدة — هذا المسجد شرق المدينة وقد زرته مع جمع فوصلنا اليه من المدينة في ثلث ساعة ، ورأيت هنالك دائرة فيها نقر تمثل أوانى الأكل — أطباقا — يقولون أنها أثر المائدة التي نزلت على عيسى عليه السلام والتي ورد ذكرها في القرآن في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُتْرَكُهَا عَلَيْكُمْ وَإِنْ مَا قَالُوا زُورٌ وَبُهْتَانٌ فَإِنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ فِي أَثَرٍ وَلَا عَرَفَ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى يَثْرِبَ وَلَمْ يَكُنْ قَوْمُهُ الَّذِينَ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْزَالَ الْمَائِدَةِ يَسْكُنُونَهَا إِنَّمَا كَانُوا فِي بِلَادِ الشَّامِ ، وَهَكَذَا يَضْحَكُ الْمَغْرُضُونَ عَلَى ضَعْفِ الْعُقُولِ فَيَخْتَرِعُونَ وَيَنْسُبُونَ وَأُولَئِكَ يَصْدُقُونَ ، وَفِي الْمَدِينَةِ مَسَاجِدُ أُخْرَى غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا مِنْهَا مَسْجِدُ عُرْوَةَ الَّذِي تَرَاهُ فِي (الرسم ١٦٣) وَقَدْ أَخَذَ صُورَتَهُ خَلِيلُ افندي القازاني ، وَمَسْجِدُ الْجُمُعَةِ الَّذِي صَلَّى فِي مَكَانِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ جُمُعَةٍ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ أَدْرَكَتْهُ فِي بَنِي سَالِمِ ابْنِ عَوْفٍ أَثْنَاءَ تَحْوِيلِهِ مِنْ قِبَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ فِي وَادِي ذِي صُلْبٍ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ الْغُبَيْبُ ، وَتَرَى هَذَا الْمَسْجِدَ فِي مِيمَنَةِ (الرسم ١٦٤) .

مصلى العيد — هو المعروف الآن بمسجد الغمامة — وحقيقة مسجد الغمامة يسدر — أَوَّلَ عِيدِ صَلَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةً ثَلَاثِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَ يَصَلِّي فِي الْفَضَاءِ وَكَانَتْ تَحْمِلُ إِلَيْهِ الْعِزَّةُ فَيَصَلِّي إِلَيْهَا ، وَالْعِزَّةُ رَمِيحٌ بَيْنَ الْعَصَا وَالرَّحْ فِيهِ زُجٌّ — الْحَدِيدَةُ فِي أَسْفَلِ الرَّحْ — وَكَانَتْ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ أَعْطَاهُ إِيَّاهَا النُّجَاشِيُّ فَوَهَبَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ يُخْرِجُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَوْمَ الْعِيدِ ، وَقَدْ صَلَّى الْعِيدَ



163. The Mosque of Orwa at Medina.

مِنْظَرُ خَارِجِ بَابِ قُبَا بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ١٣٢٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

164. A view in the out of Bab Koba in Medina in 1326.



في أماكن مختلفة ولكنه في سنيه الأخيرة داوم على صلاة العيّد بمصلاه المعروف الآن بالمناحة غربى المدينة ، وهو في موضع الرقم ١٤ من خريطة المدينة ، وقد جاء في الجزء الأول من زاد المعاد في صفحة ١٢٠ أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين في المصلى الذى على باب المدينة الشرقى وهو المصلى الذى يوضع فيه محمل الحاج ، وأظن أن كلمة الشرقى سهو لأن ما بعدها يدل على أنه الغربى لأن المناحة في الجهة الغربية ، وهذا المصلى بينه وبين مسجد الرسول ١٠٠٠ ذراع أى قريب من نصف كيلومتر ، ولم يكن به بناء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما كان فضاء وقد ثبت النهى عن تضييقه والبناء فيه ، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المصلى يستسقى فبدأ بالخطبة ثم صلى وكبر واحدة آفتتح بها الصلاة وقال : « هذا مجعنا ومستمطرنا ومدءانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة » وفي بعض الروايات : هذا مستمطرنا ومصلانا لأضحانا وفطرنا لا يضيق ولا ينتقص منه شيء ، وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ينصرف من صلاته يقوم مستقبل الناس فيخطبهم ولم يكن له منبر يقوم عليه كما دل على ذلك حديث أبى سعيد الخدرى في البخارى ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى الى المصلى فأقول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فان كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف ، فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت واذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى فحبذته بثوبى فحبذنى فأرتفع نخطب قبل الصلاة فقلت له : غيرتم والله فقال : أبأ سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : والله ما أعلم خيراً مما لا أعلم فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة . ذكر ذلك البخارى في باب الخروج الى المصلى بغير منبر ، وكان صلى الله عليه وسلم يذهب الى المصلى من الطريق العظمى ويرجع من طريق آخر ليسلم على أهل الطريقين ويقضى حاجة من له

حاجة منها ويشهد البقاع ويظهر شعائر الاسلام ، والطريق العظمى هي المعروفة بدرب السويقة والطريق الأخرى غربى طريق بنى زريق وهي ضعف تلك فى المسافة وسور المدينة الآن يمنع سلوكها .

وقد أقيم فى بعض المصلى ببناء بمسجد المصلى أو مسجد الغمامة ، وفى شماله مسجد يعرف بمسجد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (الرسم ١٦٥) وفى شمالى المسجد الأخير مسجد يعرف بمسجد على رضى الله عنه (الرسم ١٦٦) عمره أمير المدينة زين الدين ضغيم المنصورى سنة ٨٨١ هـ . ومكتوب على هذا المسجد :

لله مسجد للإمام على * أضفى بأحكامه زاهى البناء على
تود أن لو غدت هبا ساحتة * زهر النجوم وفرق الفضل فيه جلى
دامت صلاة فيه وافية * تنمو لموقف جرى فى سابق الأزل
خيرات سلطاننا عبد الحميد نمت * طول الزمان بوصل غير منفصل
جلت دعائمه اذ كان راسمه * مدير حكم لطيف الاسم والعمل
فياله مسجد دار البهاء به * يفوق شمس الضحى فى دارة الحمل
أزخته سار طول الدهر ناشيه * مليكنا الماجد السامى على الدول

ومسجد المصلى عمره بعد خرابه السلطان حسن بن السلطان محمد بن قلاوون ولاندرى تاريخ العمارة وانما تولى السلطان حسن من سنة ٧٤٨ هـ الى سنة ٧٦٢ هـ . ورمه الأمير برديك المعمار سنة ٨٦١ هـ . فى دولة الأشرف إينال وأحدث سقفا خارج المسجد يجلس عليه المبلغون ومدرجا خارجه على مئنة الداخل من بابه يقوم عليه الخطيب أما المسجد الآن فانه ذو قباب ثمانية ومبنى بناء متقنا بالآجر الأسود . أنظر (الرسم ١٦٧) والذى بجواره مسجد عثمان والمنزل ذو الرواشن الذى باليمن لأمين افندى برى شيخ الفراشين بالحجرة النبوية ولأخيه الشيخ حسين .

مكتبات المدينة (كتبخاناتها) — فى المدينة كثير من الكتب القيمة النادرة المثال وهى مبعثرة فى مدارس متعددة ومكتب مختلفة ، وبين هذه الكتب

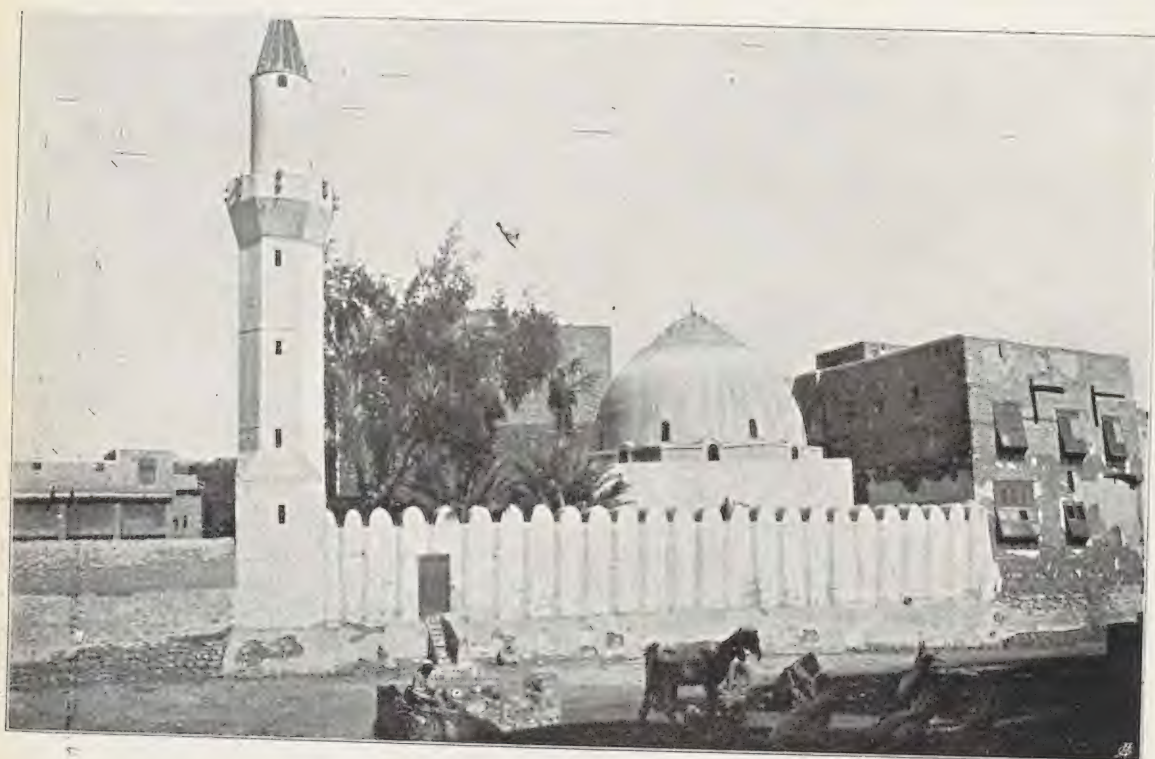


رسم محمد علي سعودي افندي

بسم الله الرحمن الرحيم

165. A view of Abo Bakr Mosque at Medina in Moharam 1326.

مسجد سيدنا علي في محرم سنة ١٣٢٦



رسم محمد علي سعودي افندي

بسم الله الرحمن الرحيم

166. The Mosque of Aly at Medina, 1326 A.H.



والأشجار والنباتات والحدائق
والسور والقبائل والقبائل
والسور والقبائل والقبائل



167. El Ghemama Mosque at Medina

منظر المدينة من فوق تكية محمد علي باشا

والأشجار والنباتات والحدائق
والسور والقبائل والقبائل
والسور والقبائل والقبائل



168. Medina as seen from the roof of the Charity house of Mohamed Ali Pasha.



مصحف مكتوبة بالخط البديع الذى يسحر الطرف جماله ويأخذ بالنفس حسن روائه ، وها نحن أولاء نذكر لك تلك الأماكن وتعداد ما فيها من الكتب والمصاحف .

عدد

١٠٨١	مصحف بالروضة التى بين منبر الرسول وقبره صلى الله عليه وسلم .
٤٥٩٦	» وكتاب بمكتبة مدرسة السلطان محمود بباب السلام بالمسجد النبوى
١٦٦٩	الكتب التى بمكتبة مدرسة السلطان عبد الحميد الأول .
٢٠٦٣	» » » » بشير أغا بجوار باب السلام .
١٢٤٦	» » » » الشفاء التى أنشأها شيخ الاسلام فيض الله .
٥٤٠٤	» » » » عارف حكمت شيخ الاسلام وهى قريبة من
	باب جبريل بالمسجد النبوى وهى أحسن المكاتب وأنظفها وأجملها ترتيبا .
١٢٦٩	الكتب التى بمكتبة مدرسة عمر افندى .
٥٩٣	» » » » مصطفى افندى الساقرى .
١٥٨	» » » » أمين باشا شيخ المسجد النبوى سابقا .
٤٦١	» » » » مصطفى افندى التى تسمى مدرسته بالاحسانية
١٢٩	» » » » الشيخ عبد الغفور البخارى أحد المجاورين .
١١٠٠	» » » » "تكية" الشيخ مظهر افندى .
١٠٠	» » » » مدرسة حسين أغا ناظر "التكية" المصرية سابقا .
١٠٠	» » » » أمين افندى الفنايرجى .
٢٠٦	» » » » محمد افندى ثروت .
١٠٥٠	» » » » أحمد افندى البساطى أحد أئمة وخطباء المسجد النبوى .
١٥٧	» » » » مدرسة الكجلى الناظر أحد المجاورين .
٥٠٠	» » » » سليم بك رئيس التشريفة للحضرة السلطانية .

٢١٨٥٥ جملة ما بهذه المكاتب

تكايا المدينة — بالمدينة ثمان تكايا أشهرها التكية المصرية بالمناخة على يسار الداخل من باب العنبرية ، وطولها ٨٩ مترا في عرض ٥٠ وهى مبنية بناء متقنا وشكلها بديع كما ترى ذلك فى (الرسم ١٦٩) والذى بناها إبراهيم باشا فى عهد أبيه محمد على باشا جد الأسرة العلوية وجعل سقفها قبابا حتى لا يعيث بها الحريق أنظر (الرسم ١٦٨) الذى أخذته للمدينة من فوق سطح التكية والذى ترى فيه أربع مآذن من مآذن المسجد النبوى . وفى التكية مخازن وأفران ومطبخ ويأتى لها القمح والأرز وما يلزم لها من ديوان الأوقاف بمصر ، وكذلك ما لناظرها وموظفيها من المرتبات وهم معينون من قبل الحكومة المصرية ، ويرد إليها الفقراء يوميا ليأخذوا الخبز والشربة ، وهاك ما ينفق يوميا لثمانمائة فقير فى أيام الزيادة وفى أيام العادة سنة ١٣٣١ هـ .

وأيام الزيادة هى أيام رمضان وأيام الخميس من النصف الثانى من شوال ومن النصف الأول من ذى القعدة وكذلك أيام الخميس من شهر المحرم وشهر رجب .

أيام العادة			أيام الزيادة		
ما يخص الفرد	الصف	مقدار المنفق	ما يخص الفرد	الصف	مقدار المنفق
درهم	أقفة	٣	درهم	أقفة	٨
١٥	سمن	٣	٤	سمن	٨
٢٠	أرز مصرى	٤٠	٥٠	أرز مصرى	١٠٠
٤٨	دقيق	٩٦	٤٨	دقيق	٩٦
—	—	—	٢٠	لحم	٤٠
—	حطب	٩٢	٤٦	حطب	٩٢
—	—	٢٣١	١٦٦	—	٣٣٦

واجهة
مكتبة محمد علي باشا بالمدينة المنورة



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في داره داراً للفقراء والمحتاجين
والذين هم في حوائجهم كثر والذين هم في حاجتهم
أشد والذين هم في حاجتهم أشد

169. A view of the front part of the Alms-House of Mohamed Ali Pasha in Medina



وناظر التكية رجل تركى يسمى نجيب بك يقوم بواجب عمله خير قيام بل شاهدت جملة إصلاحات بالتكية أقامها من مرتبه الخاص ولا عجب فانه تقي كريم يحبه أهل المدينة وحكامها حبا جما، وكذلك موظفو التكية أخلاقهم حسنة يعاملون الفقراء باللين والرفق .

مقابر المدينة — تكلمنا على أحد ومقابر الشهداء به وبقى الكلام على مقبرة البقيع التي هي مدفن أهل المدينة الى يومنا هذا .

البقيع محل مستطيل شرق المدينة خارج عن سورها طوله ١٥٠ مترا في عرض ١٠٠ ويقال له بقيع الغرقد لأن هذا النوع من الشجر كان كثيرا فيه ولكنه قطع ، والبقيع في أصل اللغة : الموضع الذي به أروم الشجر من ضروب شتى ، والغرقد كبار العوسج ، وبقيع الغرقد هذا هو الذي ورد ذكره في مرثية عمرو ابن النعمان البياض لقومه ، وقد دخلوا في بعض حروبهم حديقة من حدائقهم وأغلقتوا بابها عليهم ثم آقتلوا فلم يفتح الباب إلا بعد أن قتل بعضهم بعضا فقال في ذلك :

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن العناء تفردى بالسودد
أين الذين عهدتهم في غبطة * بين العقيق الى بقيع الغرقد
كانت لهم أنهاب كل قبيلة * وسلاح كل مدرب مستنجد
نفسى الفداء لفتية من عامر * شربوا المنيّة في مقام أنكد
قوم هموا سفكوا دماء سراتهم * بعض ببعض فعل من لم يرشد
يا للرجال لفتية من دهرهم * تركت منازلهم كأن لم تعهد

وهذا المكان به مقابر كثير من الصحابة والتابعين وكبار المسلمين وقد دفن به من الصحابة نحو عشرة آلاف وتفرّق باقيهم في البلدان ، ونظرا الى أن السلف الصالح كان يحتنب البناء على القبور وتخصيصها وقد أفضى ذلك الى أنطاس معالم كثير

من قبورهم ، فلذلك لا تعرف قبور كثير منهم الا أفرادا معدودة أقيمت على قبور بعضهم قباب ، ومن أولئك الأفراد ابراهيم ورقية وفاطمة أولاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضى الله عنهما وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وأسعد بن زرارة وخنيس ابن حذافة السهمي والحسن بن علي ، ومعه في قبره ابن أخيه زين العابدين علي بن الحسين وأبو جعفر الباقر محمد بن زين العابدين وجعفر الصادق بن الباقر ، ومن علم قبره بالبقيع العباس بن عبد المطلب وأخته صفية وابن أخيهما أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وسعد بن معاذ الأشملي وأبو سعيد الخدري ، وكل زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم دفن بالمدينة إلا خديجة فبمكة وإلا ميمونة فبفسر رضى الله عن الجميع ، والعباس والحسن بن علي ومن ذكرناه معه تجمعهم قبة واحدة هي أعلى القباب التي هنالك كقبة ابراهيم وقبة عثمان التي بناها السلطان محمود سنة ١٢٣٣ هـ . وقبة الزوجات وقبة اسماعيل بن جعفر الصادق وقبة الامام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة ، وقبة نافع شيخ القراء وهناك قبة تسمى قبة الحزن يقال إنها في البيت الذي آوت اليه فاطمة بنت النبي والتمت الحزن فيه بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بالبقيع قباب كثيرة هدمها الوهابيون ، وترى في (الرسم ١٧٠) جملة قباب فالتى على يمين الناظر قبة ابراهيم ، والثانية لعقيل ، والثالثة لزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، والرابعة لبناته رقية وزينب وأم كلثوم ، والخامسة الكبيرة لآل البيت ، والتى على يمين اليمين لعاتكة وصفية عمتي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية في (الرسم ١٧١) .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يزور بقيع الغرقد ويدعو لأهله بل أمره ربه بذلك كما يدل عليه حديث عائشة عند مسلم والنسائي فان فيه أن جبريل قال للنبي

منظر البقيع وقبة آل البيت وقبة عثمان بن عفان وسيدنا مالك



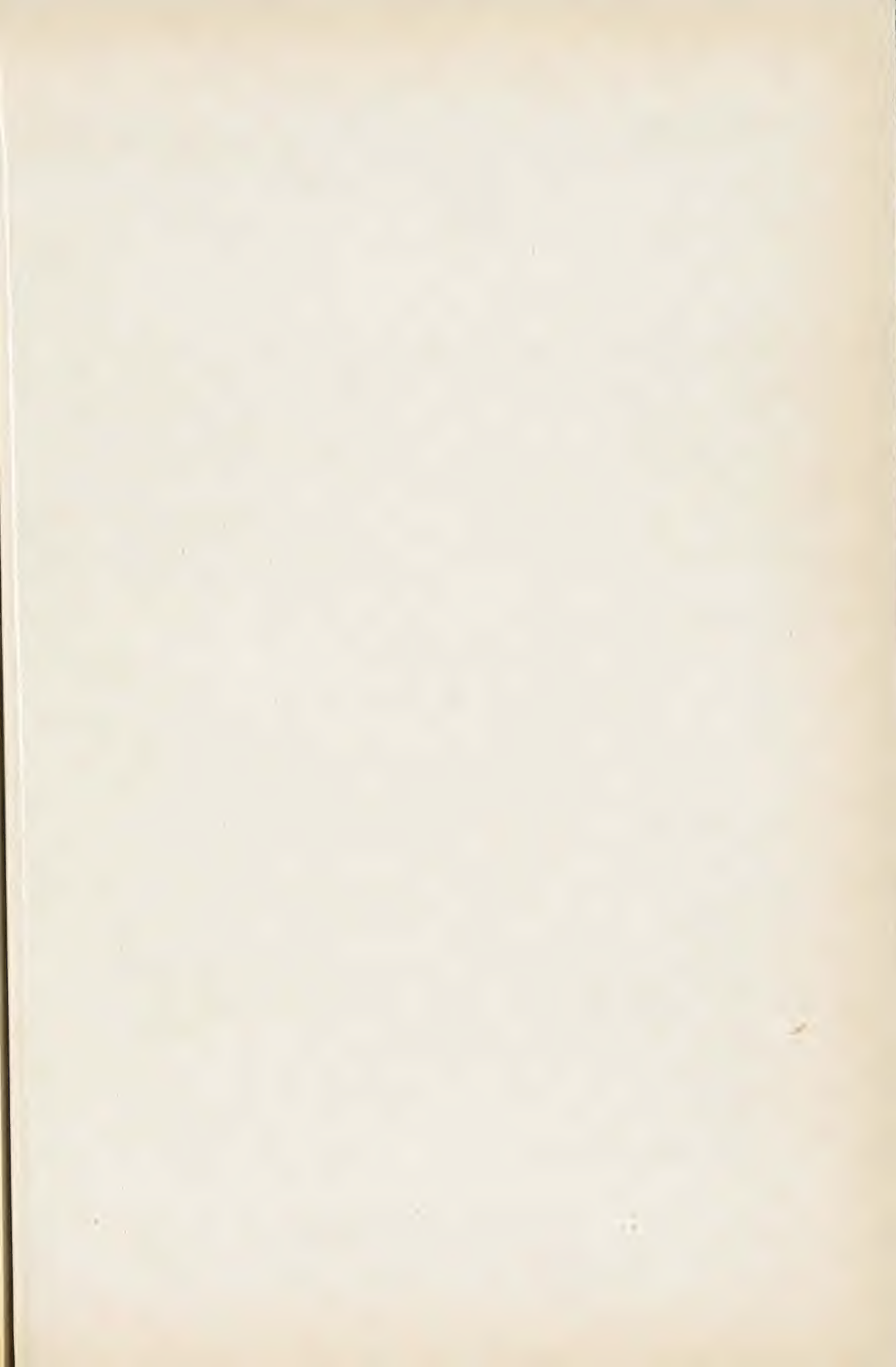
170. Baqi'a showing the dome of the Prophet's Family and the two domes of Othman and Malik.

منظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية سنة ١٣٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
وَمَا كنا لنجده لولا هدايته
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
وَمَا كنا لنجده لولا هدايته

171. A south-eastern view of Bakeea El Gharkad at Medina.



صلى الله عليه وسلم : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم . ويزور أهل المدينة البقيع في كل يوم خميس ويضعون على القبور الريحان ويجانبه بعض الأزهار ولا يدخل شيعى قبة أهل البيت بالبقيع إلا إذا دفع خمسة قروش كما أنه لا يدخل الكعبة إلا من دفع ريالاً ما لم يكن ذا يسار فيؤخذ منه مبلغ كبير وكذا خصى المسجد النبوى — الأغوات — المنوطون بخدمة الحجرة لا يجيزون لأحد دخولها إلا إذا دفع ريالاً فيدخلها قبل الغروب بساعة عند إيقاد الشموع ، ومن الأضرحة التى فى خارج البقيع ضريح لعبد الله بن عبد المطلب والد النبى صلى الله عليه وسلم وهو بداخل المدينة ، وضريح للشيخ على العريضى وهو واقع شرقى المدينة على مسير ساعة منها وضريح للسيدة مملكة بنت السيد أحمد الرفاعى وهو بديار العشرة وبنائه من آثار السلطان محمود خان وضريح السيد زكى الدين خارج الباب الشامى وضريح أبى شجاع أحد فتهاء الشافعية وضريح نور الدين الشهيد الأصفهانى وهما فى شرق المسجد مما يلي الأحجار المفروشة .

أراضى المدينة وأوديتها وآبارها وزروعها — أرض المدينة قسمان الأول وهو الأكثر مادته رملية بيضاء خالية من الأملاح ملائته أشجار النخيل والكروم وأكثر ذلك شرقى المدينة ، والثانى طينته سوداء يزرع به القمح — بقلة — والشعير والمان والبرتقال والخوخ والعنب والموز والليم والبطيخ والقاوون والليمون الحلوى والملح والأضالى — نسبة الى أضاليا ببلاد الأناضول — والورد والياسمين والنعناع والفل والكرب والطاظم والباذنجان الأسود والملوخية والبامية واللوبيا والقرع الكوسى والآستانى — الكبير الحلوى — والفجل والخس وجميع أصناف الخضراوات ، وأكثر هذا القسم بقاء والعوالى وقربان جنوبى المدينة وبالعقيق غريبها ، والأرض مقسمة الى بساتين لكل شخص بستان أو أكثر ، ومن أشهر هذه البساتين نزهة للنفس وشرحا للصدر وجلاء للبصر الداودية لمعتوق داود باشا والسبيل ، وبضيعة للسادة الأسعدية

وسواله للشريف شحات وأخيه ناصر، والشدقة معظمها لآل حماد، والجرة للشريف منصور، والقائم للشريف عون أمير مكة، والقويم لزين العابدين المدني وبستان بئر النبي صلى الله عليه وسلم وقف الشهيد محمد باشا وكل هذه قبل المدينة، وبستان أبي السعود المفتي وبستان الأسعدية وبستان محروس وبستان معتق قاشقجي وبستان الأسعدية. وكل هذه حول مشهد حمزة في شمال المدينة على العيون التي هنالك وتسقى أراضي المدينة من مياه الآبار التي بعضها حلو وبعضها فيه يسير الملوحة وانخراج الماء من الآبار التي يختلف عمقها بين قامتين واثنتي عشرة قامة بواسطة السواني (جمع السانية) وتطلق في اللغة على الدلو وعلى أدواته وعلى الناقاة التي يستقى عليها، ولكن يطلقها الآن أهل المدينة على الأدوات التي تخرج بها المياه من الآبار وهي بكرتان يمر عليهما حبلان ربط كل واحد منهما بطرف من طرفي الغرب أو القربة ويشد الحبلين بهيم واحد إلى جهة واحدة وقد يكون على البئر بكرتان وأربع وست إلى ١٦ حيث يكون بالبئر ثمان قرب ، وقد شرحنا لك فيما سبق طريقة إخراج المياه من الآبار بواسطة السواني وصورتين لذلك، وأشهر آبار المدينة : (١) بئر أريس ، وقد فصلنا الكلام فيها حين وصفنا قباء ؛ (٢) بئر الأعواف وهي إحدى صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ؛ (٣) بئرانا وهي التي ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته عندها حينما حاصر بني قريظة وشرب منها، وهذه البئر غير معروفة الآن وربما كانت في المدينة باسم آخر غير هذا الاسم ؛ (٤) بئر أنس بن مالك بن النضر وتضاف أيضا لأبيه وهي التي ورد ذكرها في حديث أنس الصحيح قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في دارنا هذه فاستسقى فحلبنا شاة لنا ثم شبعته من بئرنا هذه فأعطيته فشرب وعمر بين يديه وأبو بكر عن يساره وأعرابي عن يمينه فأعطى الأعرابي فضله وقال : الأيمن فالأيمن ، وهذه البئر تعرف الآن ببئر الحضارم وهي في رباط شمالي الحديقة المعروفة بالعينية ، وبقرب البئر قبة على قبر يزعمونه قبر عبد الله أبي النبي صلى الله

عليه وسلم ؛ (٥) بئر بضاعة في منتهى عمار المدينة من جهة الشمال وهي التي كان يلقي فيها لحوم الكلاب والمحائض وعذر الناس وسئل صلى الله عليه وسلم عن التوضؤ منها فقال : الماء طهور لا ينجسه شيء — روى ذلك أحمد والنسائي وصححه والترمذي وحسنه والدارقطني وأبو داود وابن ماجه — وزاد إلا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه ، وفي رواية للبيهقي الماء طهور إلا إن تغير ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه ، وفي رواية للنسائي عن أبي سعيد قال : مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ من بئر بضاعة فقلت أنتوضأ منها وهي يطرح فيها ما يكره من التين ؟ فقال : الماء لا ينجسه شيء ؛ (٦) بئر بيرحاء . هذه البئر شمالى المدينة يعد سورها شرقى بئر بضاعة ولكن يفصل بينهما بئر بضبيعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعذب ماءها ، وكانت في بستان لأبى طلحة وقفه على أقاربه وبني عمه كما دل على ذلك حديث البخارى في كتاب الأشربة في (باب استعذاب الماء) روى عن أنس بن مالك أنه قال — كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل وكان أحب ماله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد — المسجد قبلها — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس : فلما نزلت ﴿لَنْ تَأْكُلُوا الْبَرَحَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة فقال — يا رسول الله ؟ إن الله يقول — ﴿لَنْ تَأْكُلُوا الْبَرَحَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ : وأنا أحب مالى إلى بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ ذلك مال راج أو رايح — شك من الراوى — وقد سمعت ما قلت وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بني عمه ؛ (٧) بئر رومة — هذه البئر شمالى المدينة على مسيرة ساعة منها وهي حد العقيق من جهة الشمال ، وقطرها أربعة أمتار وعمقها اثنا عشر مترا أو تزيد ويجوارها حوض وحجرة

للأستراحة ومزارع كثيرة ، وفي شمالي البئر البركة والعيون التي يحف بها النخيل ، وهذه البئر كانت لليهودى فاشتراها منه عثمان بن عفان بماله وتصدق بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية (بئرا) لليهودى يبيع ماءها للمسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها شرب في الجنة ، فأقى عثمان اليهودى فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى عثمان نصفها بإثنى عشر ألف درهم فجعله للمسلمين فقال له عثمان : إن شئت جعلت لنصيبى قريبين وإن شئت فلي يوم ولك يوم فقال : بل لك يوم ولى يوم ، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين ، فلما رأى اليهودى ذلك قال أفسدت على ركتى فاشترى النصف الآخر فاشتراه بثمانية آلاف درهم ، وهذه البئر في أسفل وادى العقيق قريبة من مجتمع الأسيال في براح واسع من الأرض ؛ (٨) بئر غرس وهى بئر بقاء في شرقى مسجدتها على نصف ميل من جهة الشمال ، روى ابن حبان في كتاب الثقات عن أنس رضى الله عنه أنه قال : اتنوني بماء من بئر غرس فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ، وفي المدينة آبار أخرى مثل بئر القويم وهى من أكبر آبار المدينة وبئر العباسية وبئر الصفية وبئر البويرة وبئر فاطمة ، وكل هذه الآبار جنوبي المدينة وبئر عروة بوادى العقيق ، وكان أهل المدينة فيما سلف يهدون من مياه البئر الأخيرة للأمراء الشام .

هذه هى الآبار التي عليها معول أهل المدينة في سقى أراضيهم ومواشيهم أما مياه الشرب لأنفسهم فيأخذونها من عين الأزرق أو العين الزرقاء على ما هو المشهور في عرفهم ، وهذه العين منشؤها بئر بقاء غربى مسجدتها وتعرف بالجعفرية ، أجزاها الى المدينة مروان بن الحكم عامل معاوية على المدينة بأمر منه فسار بها حتى مصلى الأعياد ، وقد أقيم عليها بعد قبة هنالك مفتوحة من جانبيها الشمالى والجنوبى حيث في كل جانب منهما مدرج في الأرض ينزل منه الناس لأخذ المياه

من العين أما العين نفسها فتخرج من شرق القبة ثم تتجه نحو الشمال ، وقد جدد هذه القبة إبراهيم باشا الذى أرسله أبوه لتجديد ما خرّبه الوهابيون وفى حدود الستين وخمس المائة أخذ منها الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء شعبة من عند مخرجها من القبة فساقها الى باب المدينة المعروف الآن بالباب المصرى ثم أوصلها الى الرحبة التى عند مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من جهة باب السلام وبني لها هنالك منهلًا بدرج تحت الدور يستقى منه أهل المدينة ، وأخذ أمير من أمراء الشام يسمى أبا شامة من هذا المنهل شعبة صغيرة أدخلها الى صحن المسجد النبوى وجعل لها به منهلًا بدرج عليه عقد ، وفى هذا المنهل فوارة ماء يتوضأ منها من يريد الوضوء ولكنها بليت الأرض ، وكان يستنجد بها بعض الجهلة وبكشف عورته فسدت ولكنها أعيدت الآن (١٣١٨هـ) كما كانت ، وقد جعل ابن أبى الهيجاء مصرفًا للعين الزرقاء يتدفق من المنهل الذى دون باب السلام ويسير فى مكان يعرف الآن بسوق الخرازين ثم فى مكان آخر يعرف بالساحة ثم يخرج الى ظاهر المدينة الشمالى من شرق القلعة التى بالباب الشامى ، وقد أنشئ لها فى المدينة مناهل أخرى منها منهلان بالساحة عند القاعة يواجهان بابها ، ومنهلان داخلها ، ومنهل بحارة « الأغوات » شرق المسجد النبوى فى مكان يقال له : الحرة وكل المساقى (السبل) الموقوفة بالمدينة تستمد مياهها من هذه العين وكذلك حمام الصدر الأعظم محمد باشا الشهيد بحارة دروان ، وحمام أحمد أفندى الترجمان مدير الحرم — بالمناخة — وتسقى منها بساتين عدة فى داخل المدينة ، منها بستان العينية وقف الامام العيني شارح صحيح البخارى وهو فى شارع باب السلام ، وبستان آل برى زاده بالمناخة تجاه مصلى الاعياد أو مسجد الغمامة وبستان عبد العال فى التاجورية بالمناخة وبستان السادة الأسعدية داخل الباب الشامى وبستان داود باشا ، ولكنه خارج الباب الشامى ، وداود هذا هو الذى كان واليا على بغداد ونحرج على الدولة وضرب

سكة كتب عليها «ياداوُدُ إنا جعلناك خليفة في الأرض» ثم عفت عنه الدولة وعينته شيخاً للمسجد النبوي أو الحرم في عرف أهل المدينة، وفي بستانه لوح رخام سطرت فيه أبيات شعرية آخرها (تاريخه غرسه ١٢٦٥ هـ) . أنظر البستان وسوره بجوار معسكر المحمل سنة ١٣٣٦ هـ . في (الرسم ١٧٢) الذي ترى في وسط أعلاه مسجد العريضي وقبته .

ومن هذه العين تملأ الدوارق التي بالمسجد والتي لا تحصى كثرة ويشرب منها الناس ويطوف ببعضها طائفون . أنظر الدورق في (الرسم ٣٣٠) .

وبعد أن تخرج العين الى ظاهر المدينة الشمالى تسير مبحرة فاذا ما كانت بين مسجد السبق وقبر ذى النفس الزكية ابن جعفر الصادق كان لها منهل هنالك (١)



ومنهل آخر شرق المسجد المذكور على يمين السائر نحو ثنية الوداع التي تسير العين اليها ثم تجاوزها مارة شمالى جبل سلع على مقربة من مسجد الراية ، ولها هنالك منهل قريب من ظهر الأرض له باب ودرج ثلاث ثم تمر غربى الجبلين اللذين في شرقهما مساجد الفتح (مسجد الفتح ومسجد على ومسجد سلمان) ثم تسير حتى تصل الى مجمع مائها المسمى « بالبركة » حيث الغابة ذات الأشجار الكثيفة والبساتين النضرة والمزارع الطيبة ، وهذه العين تبدأ بعيدة المجرى عن ظهر الأرض وكلما سارت نحو الشمال اقتربت من ظاهرها حتى تكون على سطح الأرض (الرسم ٣٣٠ دورق نفار) عند اقترابها من الغابة التي شرق مسجد رومة ، والمناهل

التي قدمنا ذكرها تسمى بالعيون ، وعين الأزرق أو العين الزرقاء كما يسميها أهل المدينة كانت ولا تزال موضع عناية الملوك والأمراء والجبار ، وقد وصل يجراها في أزمنة مختلفة ثلاث آبار بئر تنسب للنبي صلى الله عليه وسلم بقاء وبئر الرباط وبئر

(١) عن مرآة مكة لأيوب صبرى باشا . أمير اللواء البحرى العثمانى .

معسكر الحجاز المدينة المنورة ١٣٢٦ بالداودية



172. A view of the camp of El Mahmal in El Dawadieh in Medina in 1326.

اجتماع قريظة المدينة المنورة



اجتماع قريظة المدينة المنورة ١٣٢٦

173. A photo of the people of Medina gathering.



عَدَّقَ ، ولما تخربت في أوائل حكم العثمانيين بقيت مدة مهمة حتى لحق المدنيين من قلة الماء جهد شديد ، وقد عمرها السلطان سليمان سنة ٩٢٣ هـ . ثم خربها السيل فعمرها السلطان مراد الثالث سنة ٩٩٩ هـ . وضم الى منابعها بئر الغربال التي اشتراها سنة ٩٩٠ هـ . فزادت مياهها أضعاف ما كانت عليه ، وفي سنة ١١١١ هـ . اشترى السلطان مصطفى بئر العقدة وأضافها الى منابعها أيضا ، وفي سنة ١٢١٢ هـ . بنى مجراها السلطان سليم الثالث ولكن ماعثم أن خربه الوهابيون لما حاصروا المدينة سنة ١٢٢٤ هـ . فأصلحه محمد علي باشا ثم جدد البناء السلطان عبد الحميد بعد سنة ١٣٠٠ هـ . واشترى بئر بويرة وأضافها الى منابعها فصارت لها منابع متعددة تتصل بجراها الأصلية بواسطة قنوات في جوف الأرض وأصبح المجرى كنهر تتدفق فيه المياه فيشرب الناس والأنعام وتسقى الرياض والمزارع .

والمياه يوزعها السقاءون على مساكن المدينة في قرب يملؤونها من الخنفيات المتينة بجدر الخزانات أو المناهل التي ينزل اليها على درج واسع من الحجر يبلغ نحو الثلاثين لكل منهل .

ولعين الأزرق أوقاف ينفق منها على عمارتها والقائمين بخدمتها ولها أمير يرأس خدمها ويلاحظ شؤونها فيخرج كل سنة ما قد يتجمع في المجرى من طين وحشائش وغيرها .

وسميت هذه العين بالزرقاء أو بعين الأزرق لأن مروان الذي أجراها بأمر معاوية كان يلقب بالأزرق لزرقه في عينه .

لئن قيل في زرق العيون شامة * فعندى أن اليمن في عينها الزرقا وفي ضواحي المدينة عدا العين الزرقاء عيون وادى حمزة التي تبلغ أربعين عينا أو تزيد ، وحقيقة هذه العيون آبار فتح بعضها الى بعض فتكونت منها مجارى ضيقة تارة تكون نصف متر في مثله وتارة تكون أقل من ذلك أو أكثر ، فسموا تلك المجارى عيونا ، ومنشؤها شرق المدينة حيث الأرض عالية وتسير مغربة نحو حمزة ثم الى غربى المدينة حيث الأرض هنالك واطئة ، وكذلك من عيون المدينة

عين السلطان وتجري بجذاء عين الأزرق في مجرى دون مجراها وماءها ملح، والغرض منها تطهير مجارى المدينة وسحب القاذورات الى خارج البلد .

وحول المدينة أودية كثيرة كوادى العقيق ووادى بطحان غربى المدينة ، وفى جزء منه بعض مبانيها ، ووادى رانون يأتى من جبل عير قبلى المدينة ويمتد بقاء ويختلط بوادى بطحان غربى المدينة ، ووادى مذنيب وهو شعبة من بطحان ، ووادى قناة فى شرق المدينة الشمالى ، وقد فاض هذا الوادى فى سنة ٧٣٤ هـ . فأغرق الجهة الشمالية من المدينة وصعب على الناس أن يصلوا الى مشهد حمزة أربعة أشهر، ومن وديانها وادى مهزور ويأتى من الحرة الشرقية وقد سال هذا الوادى فى عهد عثمان سيلانا عظيما خيف على المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد النبوى والمدينة وتحول الى وادى بطحان ، وكذلك سال فى خلافة المنصور سنة بضعة وخمسين ومائة حتى بلغ أنصاف النخيل فى بعض الجهات وهدم بيوت بطحان وبني جشم ، وقد وفق أهل المدينة الى ثقب كبير كشفوا عنه فغاضت فيه المياه وقد دلم على ذلك رجل عجوز من أهل العالية ، وأشهر هذه الأودية ، أولها فإن به المزارع الفسيحة والرياض الأنيقة والحدائق الشهيرة ، التى من أشهرها حديقة عبد القادر الرشيدى وحديقة السيد عبد المحسن أسعد وحديقة السيد عبد الله أسعد ، وفى هذا الوادى مسجد عروة (الرسم ١٦٣) وبئر عروة التى هى من أطيب آبار المدينة ماء وكان يهدى مأوها فيما سلف لأمرأء الشام والعراق وهى داخل حديقة الرشيدى ، وفيه مسجد للسيد عبد المحسن أسعد طوله ٣٠ مترا فى عرض نصفها وقد بناه فى سنة ١٣١٠ هـ . ويجواره قلعة سلطانية وإن شئت فقل هذا الوادى أطيب جهات المدينة ماء وهواء ، وحسبك فى ذلك حديث البخارى الذى رواه عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق أتانى الليلة آت من ربى فقال : صل فى هذا الوادى المبارك وقل عمرة فى حجة ، وعن عامر بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب الى العقيق ثم رجع فقال يا عائشة جئنا من

العقيق فما ألين موطنه وأعذب ماءه قالت فقلت يا رسول الله أفلا ننقل إليه؟ قال : وكيف وقد ابتنى الناس ؟ ولطيب هذا الوادى أستقطعه بلال بن الحارث من النبی صلی الله علیه وسلم فأقطعه له كله ، ولما كان زمن عمر أخذ منه العقيق الأدنى من المدينة وترك له الأقصى الذى به ذو الحليفة ، قال عبد الله بن أبى بكر لما ولى عمر قال يا بلال : إنك استقطعت رسول الله صلی الله علیه وسلم أرضاً طويلاً عريضةً فأقطعها لك وإن رسول الله صلی الله علیه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سئله وإنك لا تطيق ما فى يدك فقال : أجل قال : فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه ، فأبى فقال عمر : والله لتفعلن فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين ، وهذا الوادى يطوف بالمدينة من جهة الجنوب والغرب والشمال ولكنه بعيد عنها فهو من جهة الجنوب بعد قباء شمالى وادى النقيع الذى حماه رسول الله صلی الله علیه وسلم لحيل الجهاد ، وكانت فيه الدوحات العظيمة والغابات الكثيفة التى يستتر فيها الراكب ، ومبدؤه من جهة الغرب على ميلين من المدينة عند المدرج الحجرى القريب من بئر عروة ويصل إليه الآتى من المدينة فى ٤٥ دقيقة ويمتد غرباً إلى ما بعد ذى الحليفة عند آبار على ، على مسير ساعتين وثلاث ساعة ، أما من الشمال فينتهى عند بئر رومة على مسير ساعة من المدينة ، والقسم المقارب للمدينة من العقيق الغربى يسمى العقيق الكبير أو الأكبر وفيه بئر عروة ، والأقصى الذى فيه ذو الحليفة يطاق عليه العقيق فحسب وهو الذى أبقاه عمر بيد بلال بن الحارث ، والقسم الشمالى يسمى العقيق الصغير أو الأصغر ولديه بئر رومة ، وكل مسيل ماء شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه عقيق ، وبالعقيق عرضتان وجماعات ثلاث ، والعروة فى الأصل الفضاء المتسع ليس فيه بناء ، والجماء الهضبة سميت بذلك لأنها دون الجبل فهى أشبه بالشاة الجماء التى لا قرن لها : وإحدى العرصتين تلى بئر رومة وهى الكبرى منهما وتسمى عروسة البقل ، والأخرى بينها وبين العقيق الكبير وتسمى عروسة الماء ، والعرصتان من أفضل بقاع المدينة وأكرم أصقاعها ، وكان بنو أمية يمنعون البناء فيما ضناهما ، ولم يكن لأمير المدينة أن يقطع بهما

قطيعة إلا بأمر الخليفة . كتب سعيد بن العاص الى عبد الأعلى بن عبد الله ومحمد بن صفوان الجمحي وهما ببغداد يذكركهما طيب العقيق والعرصتين في أيام الربيع فقال :

إلا قل لعبد الله اما لقيته * وقل لابن صفوان على القرب والبعد
ألم تعلم أن المصلى مكانه * وأن العقيق ذو الأراك وذو المرد^(١)
وان رياض العرصتين تزينت * بنوارها المصفر والأشكال^(٢) الفرد
وان بها لو تعلمان أصانلا * وليلا رقيقا مثل حاشية البرد
فهل منكما مستأنس فسلم * عل وطن أو زائر لذي الود
فأجابه عبد الأعلى :

أتاني كتاب من سعيد فشاقي * وزاد غرام القلب جهدا على جهد
وأذرى دموع العين حتى كأنها * بها رمد عنه المراود لا تُجدى
فان رياض العرصتين تزينت * وأن المصلى والبلاط على العهد
وأن غدير اللابتين ونبتة * له أرج كالملك أو عنبر الهند
فكدت بما أضمرت من لاجع الهوى * ووجد بما قد قال أقضى من الوجد
لعل الذي كان التفرق أمره * يمن علينا بالدنو من البعد
فما العيش إلا قربكم وحديثكم * اذا كان تقوى الله منا على عمد
ولله ما قاله بعض المدنيين :

وبالعروة البيضاء ذرت أهلها * مهابا مهملات ما عليهن سأس
نرجن لحب اللهو من غير رية * عفائف باغى اللهو منهن آيس
يردن اذا ما الشمس لم يخش حرها * خلال بساتين خلاهن يابس
اذا الحر آذاهن لذن بحجرة * كما لاذ بالظل الظباء الكوانس

فأما الجماعات الثلاث فالأولى منها جاء تضارع وتنتهى الى برعروة وما والاه
وفيه يقول أحيحة بن الجلاح :

(١) المرد : الغض من ثمر الأراك أو نصيجه . (٢) الأشكال : ذو الألوان المختلفة والفرد الذى لا نظيره .

إني والمشعر الحرام وما * بجحت قریش له وما نحروا
لا آخذ الخطة الدنية ما * دام يرى من تضارع حجر
والثانية منها جماء أم خالد وهي في شمال الأولى، والثالثة جماء العاقر في شمال
الثانية، وفي إحدى هذه الجماعات يقول أبو قطفيفة :

القصر فالنخل فالجماء بينهما * أشهى إلى القلب من أبواب جيرون^(١)
إلى البلاط فما حازت قرائنه * دور نرحن عن الفحشاء والمون
قد يكتم الناس أسراراً وأعلمها * وليس يدرون طول الدهر مكنوني
وقد كان بالعقيق في صدر الإسلام القصور الفاخرة والجنات الناضرة والثمار
اليانعة التي تحدثك عنها الأشعار السائرة، ومن تلك القصور قصر عروة بن الزبير
وبجانبه بئر ويقول فيهما عامر بن صالح :

حبذا القصر ذو الظلال وذو البئر * ببطن العقيق ذات السقا
ماء مزن لم يبع عروة فيها * غير تقوى الإله في المفضعات
بمكان من العقيق أنيس * بارد الظل طيب الغدوات
ويقول في البئر السري بن عبد الرحمن الأنصاري :

كفنونى إن مت في درع أروى^(٢) * واستقوا لى من بئر عروة مائى
سحنة في الشتاء باردة في الصيف سراج في الليلة الظلماء

ومنها قصر عاصم بن عمرو، وقصر المغيرة بن أبي العاصي وقصر عنبسة بن عمرو.
وقد نزل به جعفر بن سليمان لما كان والياً على المدينة وابتنى إليه أرباضاً أسكنها
حشمه ثم تحول منه إلى العرصة فابتنى بها وسكنها حتى عزل وفي ذلك يقول
ابن المزكى :

أوحشت الجماء من جعفر * وطالما كانت به تعمير
كم صارخ يدعو وذى كربة * يا جعفر الخيرات يا جعفر
أنت الذى أحيت بذل الندى * وكان قد مات فلا يذكر

(١) دمشق . (٢) أروى بنت أويس .

ومنها قصر المستقر لأبى بكر بن عبد الله بن مصعب وقصر عبد الله بن أبى بكر
ابن عمرو وقصر إبراهيم بن هشام وقصر آل طاحنة وقصر خازنة وقصر عبد الله بن
عامر وقصر مروان بن الحكم وقصر سعيد بن العاص الجواد الشهير .

وبالجملة فقد كان العقيق صروحاً شماء ورياضاً فيحاء ومروجاً خضراء ولا تزال
معالم تلك القصور قائمة تنبئك عن مدينة واسعة ومجد تليد وعز منيع ، والله عبد السلام
ابن يوسف إذ يقول شوقاً الى العقيق وساكنيه :

على ساكنى بطن العقيق سلام * وإن أسهرنى بالفراق وناموا
حظرتى على النوم وهو محرم * وحلّتم التعذيب وهو حرام
إذا بنتموا عن حاجر^(١)ى وحجرتى * على السمع أن يدنو إليه كلام
فلا ميلت ريح الصبا فرع بانه * ولا سجمت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود ولا بكى * على حافتيه بالعشى غمام
فملى وما للربيع قد بان أهله * وقد قوّضت من ساكنيه خيام
ألا ليت شعرى هل الى الرمل عودة * وهل لى بتلك الباتين ليلام^(٢)
وهل نهلة من بئر عروة عذبة * أداوى بها قلباً براه أوام^(٣)
ألا يا حمامات الأراك اليكوا * فملى فى تغريد كن مرام
فوجدى وشوقى مسعد ومؤانس * ونوحى ودمعى مطرب ومدام

أهالى المدينة — قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يَجِبُ عَنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخِّ نَفْسِهِ نَأْوَثَكَ هُمْ الْمَفَاحُونَ﴾ يسكن المدينة

(١) الحاجر : منبت الرمث ومجمعه .

(٢) البان : ضرب من الشجر واحدة بانه واللام : الاجتماع فى بعض الأحيان .

(٣) الأوام : حر العطش .

(٤) شدة الفقر .

٢٢٥ آثار قصر سعيد ابن العاص



٢٢٥ آثار قصر سعيد ابن العاص



حوالى ٥٦ ألفا بينهم من ذرية الأنصار الذين نزلت فيهم هذه الآية مالا يعدو أصابع اليد وأكثرهم من الشاميين والأتراك والهنود والمصريين والمغاربة الذين رحلوا الى المدينة ليجاوروا رسول الله صلى عليه وسلم وليسكنوا البلد الذى عز فيه الاسلام وانتشر منه نوره فى قارات الدنيا القديمة، وأشهر الأسر العريقة بالمدينة السادة الأسعدية والسادة المدنية وآل حماد وآل براءة وآل البرى وآل الياس وآل الكردى وآل الرفاعى وآل سقر وآل الطيار وآل الأنصارى، وبيت البساطى وبيت الداغستانى، وأشهر البيوت المصرية بيت الدمياطى وبيت الأسكندرانى وبيت حجاج الصعيدى وبيت طقوس الصعيدى، وأشهر البيوت الشامية بيت الخطيب، وأشهر الأسر المغربية أسرة الكتانى وأسرة الجزائرى، وأشهر البيوت الهندية بيت لمبو وبيت الفتنى وبيت عبد الرسول وبيت السندى، ولا تزال الأخلاق الفاضلة التى أشادت بذكرها الآية راسخة فى نفوس المدنيين، فالأخلاق مهذبة والنفوس مكلمة والأكاف موطأة يألفون ويؤلفون أنجاب كرماء أقاموا لنا الولائم الفاخرة ودعونا إليها بصدور منسرحة وبشاشة باشة، وما كان ذلك مكافأة لنا على خدمة قدمنا ولا انتظارا لشيء منا، غاية ما فى الأمر أنهم كانوا يأتون الى معسكرنا لسماع الموسيقى — وأنهم لشديدو الولع بها — كل يوم بعد العصر فكنا نفرش لهم السجادات ونجلسهم على الكراسى ونقدم لهم الشاي والقهوة، ومن دعونا فليتنا دعوتهم سعادة شيخ الحرم والسيد على زين العابدين الحبشى وأخوه وهما من أكابر الأشراف — كانت دعوتهما فى سنة ١٣٢٢ هـ وترى الذين كانوا معنا فى الوليمة فى (الرم ١٧٣) — ومحى الدين الدرابزونى وله مرتب من وقف عباس باشا الأول يزيد إيراده سنويا على أربعة آلاف ريال، وبكبيربك ناظر التكية

(١) قد قل عددهم الآن وربما كانوا اثنى عشر ألفا وسبب ذلك هجرة أهل المدينة الى الشام والأناضول والهند لما أن غادر الأتراك بلاد الحجاز وأصبحت السيطرة للكل حسين فقطعت المراتب التى كانت ترد من تركيا وكذلك قطعت مراتب مصر أخيرا وتبرعات كانت تأتى من الهند وبخارى وسبب كل هذا توتر العلاقات بين الحجاز وكثير من الممالك الإسلامية .

المصرية ومحمد افندى التركى، وكانت هذه الولايم فى بيوت جميلة وحدائق ذات بهجة تجرى من تحتها الأنهار، وقد بلغ من كرم أخلاقهم أنهم يستقبلون خارج المدينة الوافدين عليها من كل فج عرفوهم أو جهلوهم فيتلقونهم ببشاشة وسعة صدر ويدعونهم الى منازلهم فيجدون بها أهلا وسهلا وعيشا رغدا، وما فعلوا ذلك طمعا فى مال أو رغبة فى أجر ولكنه خلق تمكن فيهم فدفعهم الى إكرام الضيف إرضاء لوازع النفس وإجابة لنداء الضمير. وأكثر أهل المدينة لونهم السمرة الضاربة الى السواد وفيهم ذو السمرة الخالصة أو البياض الناصع وأجسامهم نحيفة وحواشيهم رقيقة وهم يتعيشون من التجارة والزراعة القليلة والمربطات التى يتقاضونها من أوقاف أرصدت لهم أو يأخذونها فى نظير عمل يقومون به فى المسجد النبوى، وكثير منهم يرتزق من الإرشاد الى المساجد الماثورة والأماكن والبقع المباركة. والبساتين والحقول يقوم بحراستها والخدمة فيها ورعى مواشيها، بل بالخدمة فى البيوت أيضا جماعة من ذرية الأعجام يسمون النخولة وهؤلاء بالمدينة أشبه بالفلاحين فى مصرنا ولولاهم ماقامت الزراعة وهم رافضة يبغضون أبا بكر وعمر واحتقارا لهم وعقابا على نزعهم الباطلة كلفهم رئيس البلدية بأن يقوموا بطرد الكلاب من حول المسجد النبوى ويجمع بهم الأعجام فى مواسم الحج ويؤجرون منهم الدور بما فيها !!!

والتجارة بالمدينة فى أصناف كثيرة فيتجر أهلها وأرباب البادية فى التمر والسمن والجن — وهو رخيص — وعسل النحل والحبوب من قمح وشعير وفول وحمص وذرة وترمس وعدس وأرز، وأكثر الحبوب يرد من مصر والشام والهند، والسمن والجن أكثره يأتى به الأعراب من البوادي فيشترون به الحبوب والياب والنحاس ويتجرون فى الإبل والغنم والخليل الجيدة التى تأتى من نجد والحمير الحساوى، وفى الحرير بأنواعه والياب القطنية والصوفية وتأتى إليها من تركيا ومصر والهند ويتجرون فى السجادات وتأتى من فارس وبغداد والبصرة، ويأتى من الأخيرتين العباءات التى يختلف ثمن الواحدة من نصف جنيه الى عشرين، وتأتى الأبسط «الأكلمة» من فارس وتركيا وبغداد، والنحاس يرد من مصر. وأهم صنف يتجرون فيه التمر الذى خصت

المدينة من أصنافه بما لم يخص به غيرها ، وقد بلغت أنواعه ١٧٢ نوعا منها الأنواع الحُرّة وتبلغ نحو ٧٢ صنفا ، وهذه يأكل منها أهل المدينة ويهدون ، ومنها الأنواع التي تسمى «لونا» وتقارب المائة ، وهذه يأكل منها عرب الجبال لرخص ثمنها ، ومن اللون ماله نوى وما ليس له ، والأبيض والأصفر والأحمر والغليظ والرفيع وذو الحجم الكبير والصغير ، أما الأنواع الحُرّة فأهمها «العنبرة» وطول التمرة منها يقارب ١٠ سنتيمترات في عرض نصفها ، وثمنها أربعة أمثال ثمن غيرها وهذا الصنف قليل ثم «الشاي» ويهدى لكثير من الأمراء والكبراء ثم «الحلوة» وهو أحب الأنواع إلى أهل المدينة بلحه ورطبه وتمره ثم «البيض» — طوله كعرضه — ثم «الشُقري» ثم «السُكّرة» ويتفتت في الفم بسهولة بلحه ورطبه وتمره كأنما هو سكر ثم «الطَبْرَجَلِي» ويكون أصفر بلحا ورطبا ثم «البرني» و«العجوة» و«الخَضِرِيَّة» ولونه أخضر بلحا ورطبا وتمر «الرُباعي» و«المكتومي» ويشبه فنجال القهوة ثم «سكرة الشرق» ثم «الجاوى» وهو أسود اللون بطنا وظهرا رطبا وتمر «اللبانة» ولونها أبيض ولا تؤكل إلا تمرا وهي أنواع سبعة «والفند» وهو أحمر اللون ذو أنواع ، والحُرّ كله بارد إلا الشاي والجاوى فانهما حاران إذا أكل كل منهما المرء شرب من الماء كثيرا ولذلك لا يأكله أهل المدينة إنما يهدونه حيث الأجواء المناسبة لأكله .

وأكثر تجار الحبوب والتمر من المصريين ويليهم الترك والشوام والهنود ثم أهل المدينة ، والاردب عند أهل المدينة ينقسم إلى ٢٤ مدّا والمد خمس أقات — من القمح — والأقّة ٤٠٠ درهم كأقّتنا والكيكة عندهم ربع المدّ والشرط نصف الكيكة ، والرطل المصرى يستعمل عند العطارين فقط والأقّة تستعمل في كل شيء .

والعملة الأصلية في المدينة الجنيه العثمانى (٨٧,٧٥ قرشا مصرى) والريال العثمانى (١٦,٢٥) وكل النقود الذهبية والفضية في الدول المختلفة مستعملة بالمدينة .

وأشهر الأسواق بالمدينة سوق باب السلام ويمتدّ من هذا الباب بالمسجد النبوى إلى الباب المصرى على مسافة تقارب ٤٠٠ متر في شارع ضيق لا يعدو عرضه .

أربعة أمتار ، وبهذا السوق الأشياء الثمينة ويليه سوق البلاط على يسار المتجه الى باب السلام ثم سوق الساحة بعده ثم سوق المناخة ، وفيه الحبوب واللحوم والخضراوات والفواكه والأشياء القديمة فى مكان يقال له « سوق الحراج » .

عادات أهل المدينة — من عاداتهم فى الزواج أنه اذا رغب فتى فى الاقتران بفتاة اتفق أهله مع أهلها ثم تذهب أسرة الزوج الى منزل آل العروس فيقوم خطيب من قبل الأولين يخطب خطبا ثرية وشعرية يعدد فيها مفاخر الزوجة ويلمح فيها باسم العروس ثم يقوم خطيب من قبل أهل المخطوبة فيعدد مآثر الزوج ومفاخر أسرته ثم يقبض المهر بأكمله — وقد يؤخر بعضه فى الأسر الفقيرة — ويستحضر المهر فى صندوق من فضة به ورقة كتب فيها مقدار المهر وقيمة الجارية التى يشتريها والد الزوج لتخدمها ، والمهر لا يزيد على مائة جنيهه وقيمة الجارية من ٣٠ الى ٥٠ جنيها مجيديا ، ويقدم مع المهر ملابس حريرية للزوجة مشغولة بالفضة « والثل » الكثيرين قيمتها من ٥٠ الى ١٠٠ جنيه ، ويبلغ ثمن « التكة » وحدها حوالى عشرة جنيهات فى المهور الكبيرة ، والزفاف يكون بعد سنة من هذه الحفلة ولا يكون قبل ذلك حتى يتمكن والد الزوجة من إعداد الأثاث لمنزل زوجها وفرشه ، وهم يسرفون فى الجهاز كما يسرف سكان القاهرة والمدن المصرية ، وتقام وليمة فى منزل الزوج يوم نقل الجهاز يدعى اليها أقارب العروسين والأصحاب ويستكثرون من الأشخاص الذين يحملون الجهاز حتى أن لكل قطعة صغيرة حاملا خاصا ، ويدفع الزوج أجرا للحمالين ، وفى حفلة الجهاز يعين يوم الدخول ليلة اثنين أو جمعة ويكون ذلك بعد نقل الجهاز بأسبوع كما هو عادتنا بمصر ، وتزف العروس وقت السحر الى منزل زوجها فى عربة وحين تصل تزف مع زوجها داخل المنزل بحضور جمع من النساء سافرات يجمن الشموع ثم يدخل بها المخدع فاذا ما أشرقت الشمس خرج الزوج الى منزل العروس ليتغدى فيه ثم يرجع الى زوجته ، ولا يباح للزوجة أن تخرج من المنزل إلا بعد سنة وربما تساهلوا الى ستة أشهر ، وتقام ولائم للرجال والنساء ليلة الزفاف وليلتين قبلها وليلة بعدها يبذر فيها المال تبذيرا كما أسرفوا فى الجهاز والهدية

— والشبكة — وكان خليقا بجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتجنبوا الإسراف والمخيلة وأن يقفوا عند ما رسمه من الحدود فيقتصدوا في المهور والأجهزة والولائم، ولكن الناس أولعوا بالزخارف والمظاهر عن رعاية المصالح والشرائع الحقة ﴿وَزَيَّنْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّتْهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ .

وإن تكن هذه سيئة منهم فحسنه كبيرة فيهم أن الميت إذا فاضت روحه لا يرفع صوت ولا يشق جيب ولا تنوح نائحة ولكن تبكى العين ويحزن القلب ولا يقولون ما يغضب، الرب ولا تتبع امرأة جنازة، فهم في ذلك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جرت عادتهم أن الميت بعد أن يوارى التراب يقف أهل الميت فيعزيهم الناس ثم يعيدون الكرة إذا رجعوا إلى منزله ويحضرون إليه ليلتي ثلاثا ليقرأوا القرآن ويهدوه إلى روح الميت ويستغفروا له، ويقدم أهل الميت لكل قادم إليهم جزءا يتلوفيه القرآن إن كان يحسن التلاوة، ويسرفون في المآتم كما يسرفون في الأفراح، فكل معزية طاعمة، ويزورون المقابر رجالا ونساء ليلة الاثنين وليلة الخميس ويأخذون معهم الریحان يضعونه على القبور كما شق رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة شقين ووضعها على قبرين، ويقرأ لهم القراء هنالك القرآن ويأخذون نظير ذلك ما تيسر من النقود، ولا يفرقون أطعمة هنالك كما نفعل ولكن يأخذون الماء ويبيحونه للراغبين .

ويقيمون مولدا لسيدينا حمزة عند مشهده كل سنة من أول رجب إلى منتصفه بحضرة أهل المدينة رجالا ونساء، وأهل مكة والطائف وجدة وراغب وسكان البوادي الذين يزورون المدينة كل عام في رجب، ويحضر أرباب الطرق وتذبح هنالك الذبائح ويطعم الطعام، ولولا ما في ذلك من اتخاذ القبور أعيادا ودعاء الموتى من دون الله والجلوس على المقابر وسن شرائع لم يأذن بها الله لدخل هذا في حظيرة الجائر . وكذلك يعملون مولدا لسيدينا علي العريض عند قبره، ومسجده شرق المدينة على مسيرة ساعة ونصف منها، والمولد في الأكثر يكون في صفر، وهذا المولد يستمر أربعة أيام، والعريض هذا شقيق ذى النفس الزكية ابن جعفر الصادق .

ومن عاداتهم في رمضان أنهم يتناولون فطورا خفيفا في المسجد النبوي بعد أذان المغرب لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، وهذا الفطور من الأشياء الحلوة ونحو الزيتون والفطير وما شابه ذلك ثم يصلون المغرب ويذهبون الى بيوتهم ليتناولوا الفطور الكامل ، ويأخذون كل من يجدون في الطريق ، وبعد الأكل يحضرون الى المسجد لصلاة العشاء وصلاة التراويح ، وهذه تقام بأئمة كثيرين ينفون على الخمسين ، فكل كبير له ولأتباعه إمام ، والنساء هن إمام واحد ، والأئمة إما من الشبان الذين حفظوا القرآن أو من علمائهم ، وأمام كل إمام شمعدانان بكل شمعتان تصرف من خزينة الدولة ، ويتقاضى هؤلاء الأئمة مرتبا من الدولة آخر رمضان أجرا لهم على إمامتهم ، وسراة البلدة يوزعون الثياب البيض على الفقراء والمساكين غب الصيام ، وعيد الفطر عندهم أربعة أيام يتراوون فيها جميعا لكل جهة يوم مخصوص يزورون فيه أهالي الجهات الباقية ، ويقدم للزائرين الحلوى فيما كلون وماء الورد فيستطيون والعود الهندي فيتبخرون . ويقاد في الحجرة النبوية ليالى رمضان من العشاء الى إكمال صلاة التراويح أربعة عشر شمعدانا ذهبيا زنة الواحد سبع أقات كما حدثنا بذلك السيد عبد المحسن أسعد من كبار المدنيين .

وفي ٢٧ ذى القعدة من كل سنة تقدم كل أسرة هدايا الى حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي أيكاس من « الشاش » بعدد أفراد الأسرة ، في كل كيس من ٢٠ الى ٥٠ درهما من القمح الطيب النظيف ، ويضعون هذه الأيكاس في الحجرة من الشباك فيأخذها الخصيان — الأغوات — خدم المسجد ويهادون بها الملوك والأمراء والأكابر ، ويتنقى أهل المدينة من وراء ذلك بركة أو يصدقون الصدقة ولكن لا أدرى على من ؟ وليست تعطى لصنف من الأصناف الثمانية الذين تقسم فيهم الصدقات كما نطق بذلك القرآن .

ومواعيد سداد الديون عندهم حضور المحمل الشامي أو المصري ، والأول أحب الى الدائنين لحضوره أولا والثاني أحب الى المدنيين لحضوره آخر .

ويعملون عقيقة الطفل يوم الولادة وربما كررها الأغنياء في اليوم السابع الذي يسمون فيه المولود ويضعون عليه من الحلى ما ينوء به الرجل الكبير وبعد التسمية تحرك يد « الهون » داخله حركات متوالية إيذاناً بالتسمية فيزغرد النساء اذ ذاك، وإذا ما تم للطفل أربعون يوماً على الأقل أثقله أهله بالزينة وذهبت به أده وقربائه ومعهن القابلة تحمله الى المسجد النبوي قبيل المغرب، فبعد أن ينتهي النساء من صلاة المغرب بمكانهن الحاضر (التقفيصة) يأتي أحد الحصية — الأغوات — فيأخذه ويدخله الحجره ويضعه تحت الستر الذي هنا لك عند رأس النبي صلى الله عليه وسلم ويكون بصحبته عيش لت بالسمن يدخل معه الحجره ثم يوزع بعد ذلك على الأهل والأقارب فيأكلون منه ويتبركون، ويعطى للخصى نظير ذلك بن وسكر ودرهم معدودة .

وأكثر البيوت يقوم بالخدمة فيها الجوارى وعلى ربة المنزل أن تنظم وتشير . ومن عاداتهم أنه اذا ضرب شخص آخر ضرباً يكاد يقضى عليه والتجأ الى أحد الأعيان وقال له : أنا في وجهك — يعني حماك وكنفك — فيأخذ هذا من فوره جمعا من أصحابه وأقربائه ويذهبون الى أسرة المضرور فأى شخص صادفوا منها ألحوا عليه حتى يتكفل لهم بتأجيل الأخذ بالثأر سنة، ومتى تكفل أجازه قومه وبعد السنة إما صلح على مال يدفعه أهل البلد وقد يتسامح فيه المدنيون حاشا الأعراب وإما قصاص، وذلك قليل لأن الحفيظة يخفف أثرها مضي الزمن وأجتهاد آل الجاني في استرضاء أولياء المجنى عليه .

جو المدينة — المدينة شديدة الحر في الصيف ولا سيما قبيل الظهر الى ما بعد العصر حيث يشتد هبوب ريح السموم التي تؤدى بحياة كثير من الغرباء الذين لا يحتاطون، وتخف وطأتها من بعد العصر الى منتصف الليل، ومن ذلك الى الضحوة هواء لطيف يشرح الصدر وينعش النفس، وأعلى درجة تصل اليها الحرارة ٢٨° ستنجراد . والناس في الصيف ينامون على ظهور البيوت يلتحفون السماء

لا فرق في ذلك بين غنى وفقير، وإذا ما هبت ريح السموم أثلجت الماء الساخن في مدة لا تعدو ١٠ دقائق، أما في زمن الشتاء فالبرد شديد وتنزل درجة الحرارة الى ١٠° فوق الصفر نهارا والى ٥° تحت الصفر ليلا، وجو المدينة في الجملة أشد من جو مصر صيفا وشتاء.

قرى المدينة أو توابعها — يتبع المدينة قُباء وقُرْبان والعوالى وكلها جنوبي المدينة، وتعتبر من ضواحيها، وفي شمالها العيون والبركة عند مسجد حمزة وهما من الضواحي والحناكيه ثم خيبر وهما بعيدان عن المدينة في شمالها الشرق، وكانت خيبر في صدر الاسلام دارا لابي قُرَيْظَةَ والنَّضِير وبها كان السموعل بن عاديّ الشاعر المشهور وهي بلدة عامرة آهلة ذات نخيل وحدائق ومياه تجري، وعلى مقربة من خيبر فدك التي صالح أهلها النبي صلى الله عليه وسلم على النصف من ثمارها سنة أربع من الهجرة ولم يوجف المسلمون عليها بنخل ولا ركاب، فكانت له صلى الله عليه وسلم خالصة ينفق منها في المصالح العامة، وكان معاوية بن أبي سفيان قد وهبها لمروان ابن الحكم ثم ارتجعها منه لموجدة وجدها عليه، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ردها الى ما كانت عليه زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تُغل في أيام إمرته ١٠٠٠٠ دينار أي ما يقرب من خمسة آلاف من الجنيهات المصرية وكان يتجافى عنها. وتتبع المدينة الفقرة وهي قرية على جبل عال منيع يسكنه الأحامدة أقوى القبائل وأعتاها، وبينه وبين المدينة مسيرة ٢٤ ساعة ومياههم ومزارعهم بالجبل، ولا يعرف مسالكه أحد سواهم، فالجرعاء فالصفراء فينبع النخل، فينبع البحر وكلها، غربي المدينة على الطريق منها الى ينبع بساحل البحر الأحمر، والجرعاء على مسيرة ٣٣ ساعة و ٣٥ دقيقة من المدينة ومسيرة ٣٥ ساعة و ٣٥ دقيقة من ينبع البحر وبها كثير من النخل وشجر الليمون، وسوق حوانيته مبنية بالجرديد ويباع فيه التمر والحناء والموز والطماطم والملوخيا الخ والأجربة الجلد والمرائح المصنوعة من الخوص، والصفراء على مقربة منها وهي في واد كثير المزارع والحدائق والمياه، وينبع النخل على مسيرة ١٢ ساعة من ينبع البحر وكانت قديما محطا للحمل لما كان يسلك.

طريق البر وفيها ستون خيفا — الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء — وسنفصل القول فيها عند الكلام على الطريق من ينبع البحر الى المدينة من جهة طريق الطريف أو درب الزجاج .

حرم المدينة — وردت أحاديث كثيرة تدل على أن للمدينة حرما يحرم صيده . وقطع شجره واختلاء خلاه ، نذكر من ذلك ما رواه الشيخان عن عبد الله بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وروى البخاري من حديث أبي هريرة : حرم ما بين لا بتي المدينة على لسانی ، ولابتا المدينة : حرّتاها الشرقية والغربية ، وروى مسلم من حديث أبي سعيد الخدري : اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراما وإني حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها — جبلها ، غير في جنوبيها وثور خلف جبل أحد وهو صغير — أن لا يهراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ولا تحبّط فيها شجرة إلا لعلف ، وعند أبي داود : لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يلتقط لقطتها إلا من أشاد بها ، قال النووي : اللابتان حدّ حرمة من المشرق والمغرب ، وغير وثور حدّها من الجنوب والشمال وإن تكن للمدينة حرّة جنوبية وأخرى شمالية فإنهما راجعتان الى الشرقية والغربية ومتصلتان بهما .

وبما دلت عليه هذه الأحاديث الصحيحة قال مالك والشافعي وأحمد . ولكن اختلفوا في التفصيل وقال أبو حنيفة : لا حرم للمدينة وأستدل بحوادث جريئة فيها صيد وقطع للشجر والخلا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فراجعها إن شئت في وفاء الوفاء أول الكتاب ، قال الماوردي : إن محل الخلاف فيما كان من النبات والشجر في موات الحرم فإن أنبتته شخص في ملكه جاز قطعه بلا خلاف ، كما أنه لا خلاف في جواز قطع ما يستنبت من غير الشجر كالحنطة والخضر اوات مطلقا .

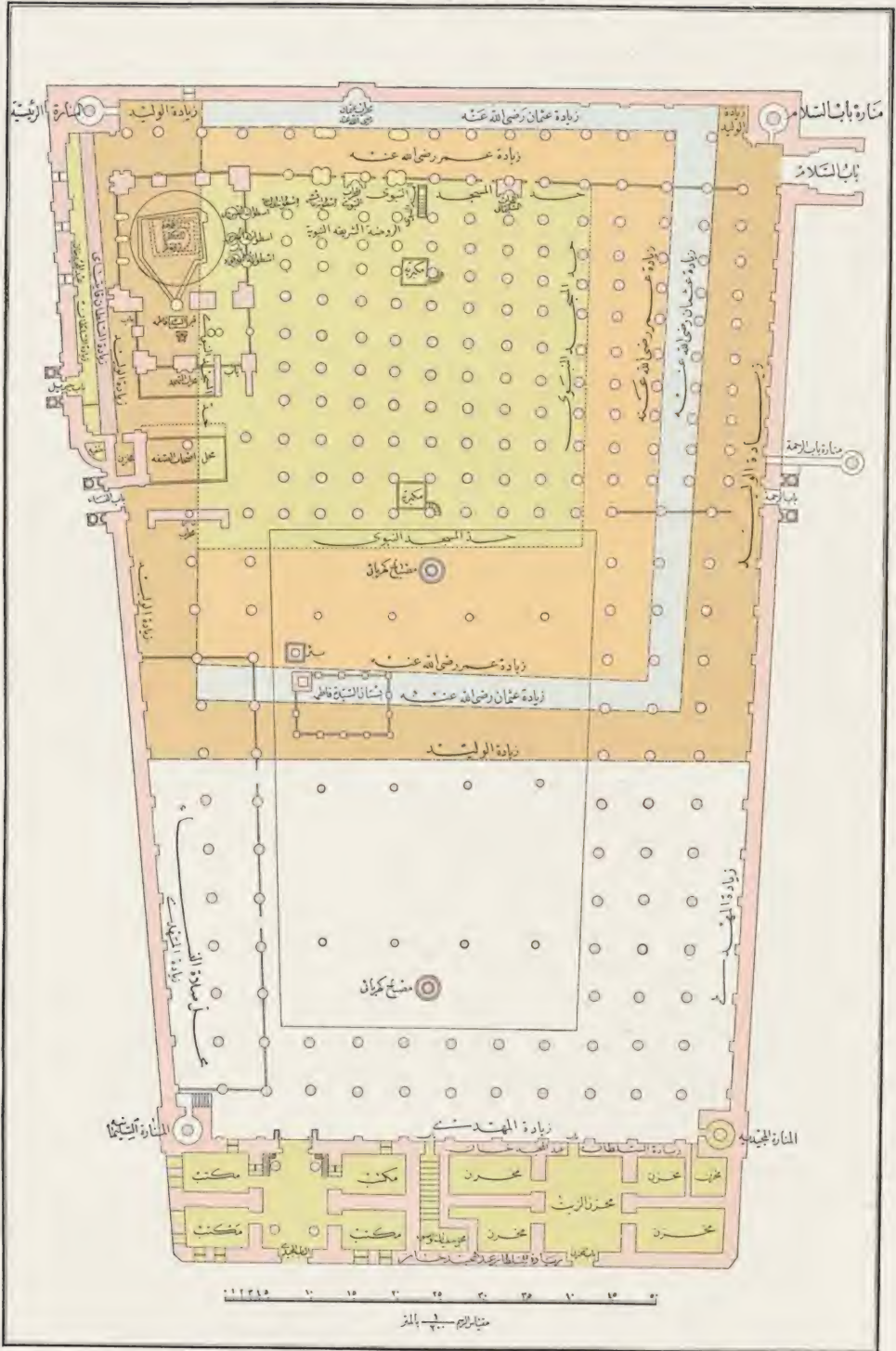
وأختلف القائلون بالتحريم فعن أحمد في الجزاء روايتان ، وعن الشافعي قولان . الجديّد عدم الجزاء وهو قول مالك ، والقائلون بالجزاء اختلفوا فقيّل : إنه كالجزاء

فى حرم مكة وقيل : إنه أخذ السلب فيسلب من الصائد والقاطع فرسه وسلاحه وثيابه وقيل : الثياب فقط ، ويكون ذلك للسالب على الأصح وقيل لفقراء المدينة ويترك للسلوب ما يستربه عورته ، وقد أكثر الفقهاء القول فى هذه المسألة وتضاربوا وفرعوا وتعمقوا فى البحث مما نجد المصلحة فى تركه ، وفيما قدمنا الكفاية فى هذا الموضوع والله يهذى من يشاء الى صراط مستقيم .

المسجد النبوى

وصف المسجد الآن — (الرسم ١٧٤) المسجد النبوى فى الجهة الشرقية من المدينة شكله شبه مستطيل متوسط طوله من الشمال الى الجنوب ١١٦,٢٥ متر، وعرضه من الجهة القبلىة أو الجنوبىة ٨٦,٢٥ مترا، وعرضه من الجهة الشمالىة أو الشامىة ٦٦ مترا وهو شاخ البناء سقفه قباب أقيمت على عقود تحملها أعمدة متينة بلغ عددها ٣٢٧ عمود بما فى ذلك الملصق منها بالجدر ووسط المسجد الى الشمال صحن غير مستقوف يسمونه الحصوة فى غربه ثلاثة أروقة وفى شرقه رواقان وفى شماله ثلاثة وفى جنوبه اثنا عشر رواقا (باكية) (الرسم ١٧٥) وفى (الرسم ١٧٦) بعض العقود والصحن الذى ترى به الحمام يلتقط الحب الذى يرمى به الناس فى الصحن صدقة عليه ، والأعمدة التى بالجهة الغربىة من الجدار الجنوبى الى الشمالى ١١٢ والتى بالجهة الشرقىة كذلك ٨٦ عدا أربعة أعمدة فى أركان الحجر الشرىفة ، والتى فى الجهة القبلىة موازىة للصحن ١٠٧ والتى فى الجهة الشمالىة كذلك ١٨ فالجملة ٣٢٧ عمود من الحجر الصوانى المتين ، كثير منها مغطى بطبقة من المرمر الموشى بماء الذهب وغير الموشى ، وبين كل عمودين زجاجات (فناير) ثلاثة توضع فيها المصابيح ، وقد علقت فى عوارض بين الأعمدة بسلاسل فضىة ، وللمسجد خمسة أبواب اثنان فى الجهة الغربىة وهما باب السلام فى أول الجدار الغربى من جهة الجنوب أنظر (الرسم ١٩٠) وباب الرحمة فى ثلث هذا الجدار من هذه الجهة أنظر (الرسم ١٨٩) وواحد فى الجهة الشمالىة يقال له باب التوسل أو الباب المجيدى وهو

رَبِّهِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ



هذا المخطط هو تمثيل تقريبي للمسجد النبوي في المدينة المنورة، وقد تم إنشاؤه بناءً على الأبحاث الأثرية والخرائط التاريخية.



منظر داخل الحرم النبوي الشريف من الجهة البحرية (البوaki)



175. Arcades of the Mosque at Medina.

وَاللَّيْسَ بِشَيْءٍ مُّشْكِلٍ لِّلرَّسُولِ اَلَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ

三三三

بسم الله الرحمن الرحيم



176. The pigeons at the Prophet Mosque.

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم
موسى بن جعفر عليه السلام



قريب من الزاوية الشمالية الشرقية، وبابان في الجهة الشرقية أحدهما باب النساء في مقابلة باب الرحمة، والداخل منه يرى على يمينه محرابا وعلى يساره الصفة أو دكة الأغوات وهي مستطيلة طولها ١٢ مترا في عرض ٨ وأرتفاعها ٤٠ سنتيا وفي جنوبه قريبا منه باب جبريل، وبالمسجد خمس ماذن في كل ركن من أركانه مئذنة وخامسة أمام باب الرحمة تسمى مئذنة باب الرحمة، والتي في الزاوية الغربية الجنوبية تسمى مئذنة باب السلام والتي في الزاوية الشرقية الجنوبية تسمى المئذنة الرئيسية التي يؤذن عليها رئيس المؤذنين والتي في الركن الشمالى الشرقى تسمى المئذنة السلمانية والتي في الشمال الغربى تسمى المئذنة الحميدية، وفي الرواق الثالث من الجهة القبليّة تجدد المنبر وعن يساره المحراب النبوي وعن يمينه المحراب السلمايى أنظر (الرسم ١٨٤ و ١٨٥) وأما المحراب العثماني لثالث الخلفاء فهو في الجدار القبلى وهو في نهاية الزيادة التي زادها عثمان رضى الله عنه في المسجد أنظر (الرسم ١٨٥) وفي شمال المسجد ردهتان (ضالتان) داخل كل منهما أربع حجرات، ثنتان عن اليمين وثنتان عن الشمال ويفصل البنائين مكان مستطيل به صنادير (حنفيات) للوضوء ومرحاض وحمام وهو في الطبقة الثانية يصعد اليه بسلم في مدخل بابه الذى بالمسجد، وتحت هذا المكان ميضاة لها باب خارج المسجد، وتجاه هذا الباب الأخير باب آخر في الجانب الثانى للشارع يدخل منه إلى ميضاة ثالثة، والمكان الأول خاص بأغوات المسجد وخدمته ومن يرغبون من الأكابر والأعيان .

والردهة الغربية مكشوفة وحجراتها مخازن للزيت والقناديل والحصر وطها بابان واحد داخل المسجد والآخر خارجه، وبين المئذنة الحميدية وهذه المخازن مخزن آخر له باب مستقل داخل المسجد وكان قبل ميضاة للأغوات والخدم، أما الردهة الثانية وحجراتها ففي الجهة الشرقية وهي مكتب أو مدرسة يعلم فيها الصبيان القرآن ومبادئ العلوم الأولية وهذه الردهة (الصالة) هي طرقة الباب الحميدى، والمكتب ذو طبقتين أرضية وعلوية، وفي شرق الصحن أو الرحبة حديقة صغيرة سورت بسور حديدى بها نبق وتخليل يحيط بنخلة كبيرة يقال إنها : مكان نخلة للسيدة فاطمة

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديقة تنسب إليها ، وفي جنوبي الحديقة بئر حلوة الماء تنسب للنبي صلى الله عليه وسلم ويقال : لها زمزم المدينة ، والأروقة التي شرق الصحن أقيم حول معظمها شبكة من الخشب الرفيع (الشيش) وجعل ما أطافت به مصلى للنساء خاصة فهن في عزلة عن الرجال ، ويدخلن من باب النساء جنوبي هذه الحظيرة وفي وسط الرحبة عدة أعمدة أقيمت عليها مصابيح أو ثريات (كهربائية^(١)) وترى في (الرسم ١٧٧) بستان السيدة فاطمة وبعض عقود المسجد وبعض أعمدة الإضاءة عليها المصابيح وتفقيصة مصلى النساء وترى كوما من التراب الذي أخرج في سنة ١٣٢٦ هـ . من المقصورة أثناء تعميرها وكذلك ترى القبة الخضراء و«الطرة» العثمانية فوق العقود وترى الأعمدة التي كسيت قواعدها بالنحاس الأصفر ونحن هنالك ، وترى اثنين من الهنود قد احتبي أحدهما ولبس الآخر عمامة ذات عذبة . وفي زاوية المسجد الجنوبية الشرقية جزء فصل من المسجد بسور من النحاس الأصفر طول كل من ضلعيه الجنوبية والشمالية ١٦ مترا ، وكل من الشرقية والغربية ١٥ مترا ويقال له المقصورة الشريفة وداخلها بناء ذو خمسة أضلاع تمثل الشماليتان منها ساقى مثلث ، والثلاث الباقية أضلاع في مربع ، وارتفاعه نحو ستة أمتار وفيه قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الجهة القبليّة ثم في شماليه قبر أبي بكر إلى الشرق قليلا ثم قبر عمر شرقى قبر سلقه قليلا ، والبناء الخارجى أقامه نور الدين زنكى لما باغى اعتزام الصليبيين الذين كان يحاربهم على إخراج الجثة الشريفة فبنى ذلك البناء ونزل بأساسه إلى منابع الماء ثم أفرغ عليه الرصاص حتى لا يستطيعوا له تقبا ، وفي شمال السور النحاسى متصلة به مقصورة أخرى ضلعها الجنوبية ١٤ مترا ، والشمالية كذلك تزيد نصفها والشرقية والغربية ٧ أمتار ونصف وداخلها ضريح زعموا أنه على قبر فاطمة الزهراء بنت

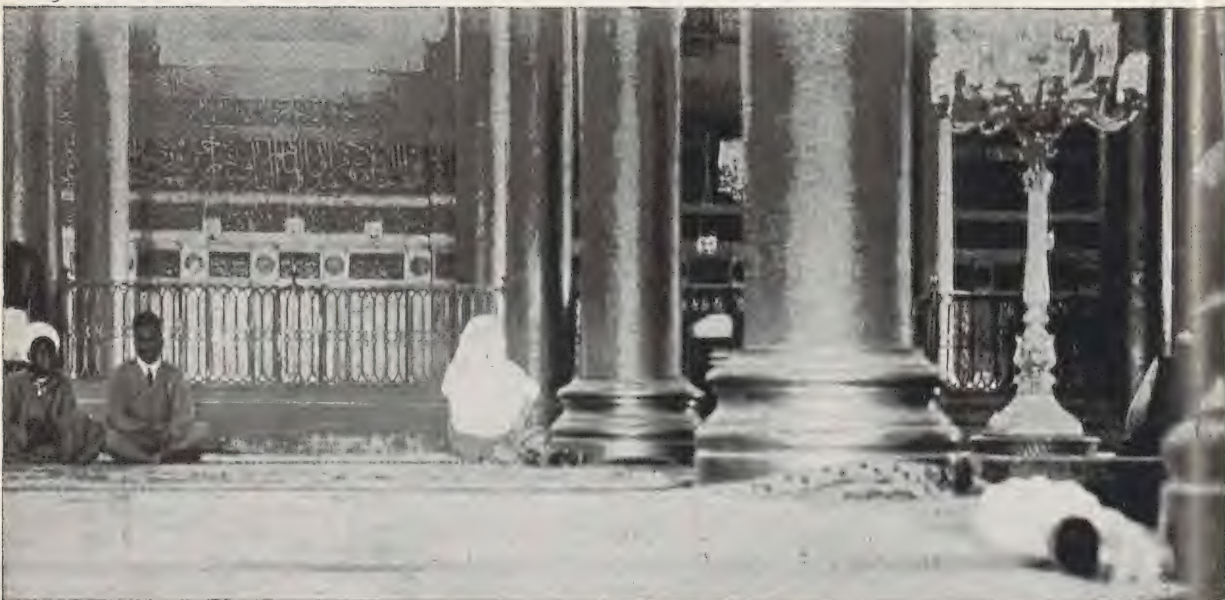
(١) قال السهوى وبصحن المسجد أربعة مشاعيل أثنان في جهة القبلة وأثنان في جهة الشام وكل واحد كالأسطوانة وبأعلاه مسرجة عظيمة تشعل ليالى الزيارات المشهورة ولا أدرى ابتداء حدوث ذلك اه قال صاحب الزدة وقد أعيد ذلك كما كان في أربعة أركان الصحن على أعمدة من رخام أبيض على كل واحد (فانوس) كبير من جام (فضة) حوله أربعة قناديل كقناديل المسجد معلقة بسلاسل على أربعة من حديد ، وفي سنة ١٢٩٦ هـ . نقلها شيخ الحرم النبوى إلى داخل الصحن اه .

قسم من داخل المسجد النبوي رسم من الجهة الشمالية



177. Interior of the Mosque at Medina as seen from the North.

منظر داخل الحرم النبوي من الجهة القبليّة



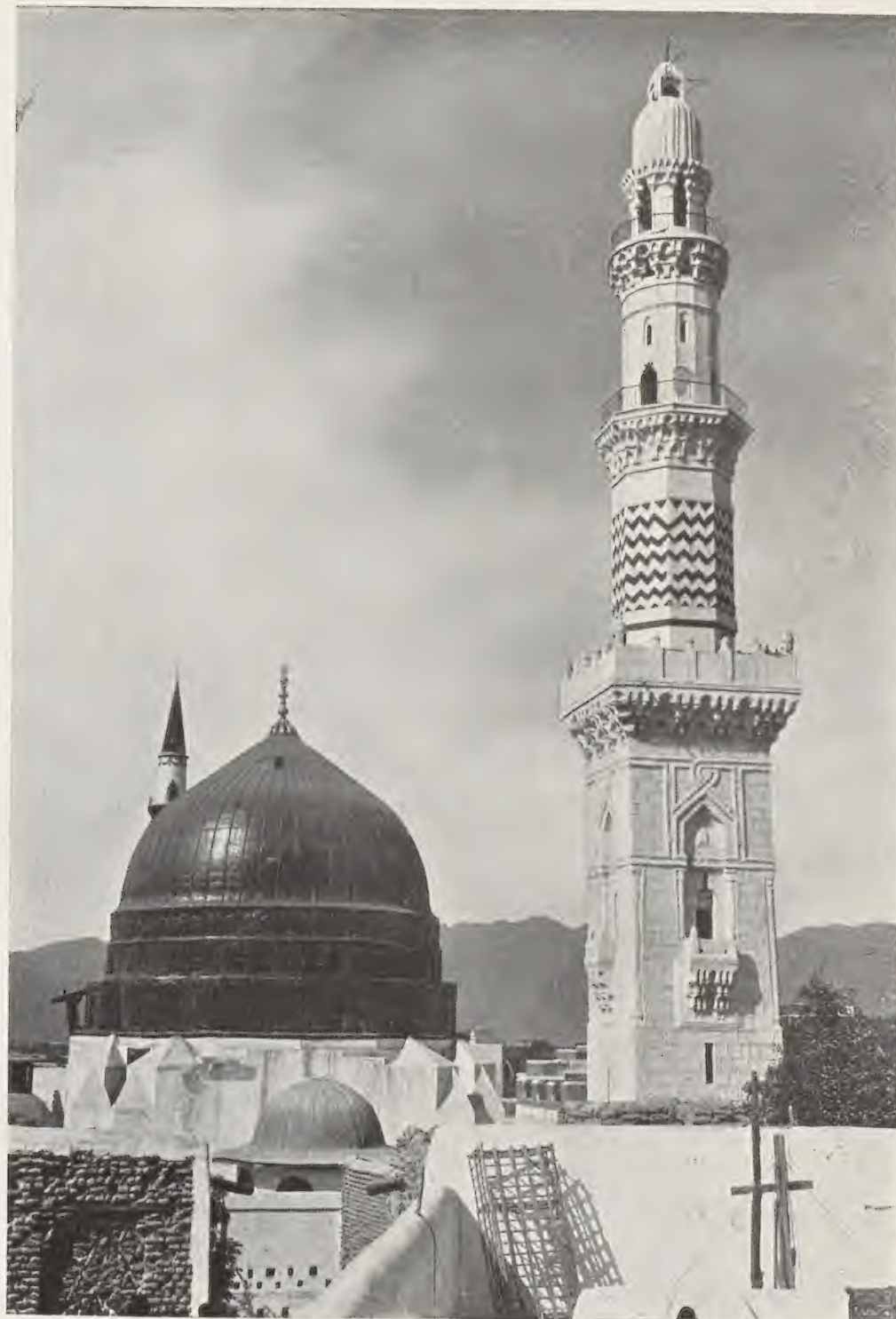
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

179. The interior of the Mosque of Medina as seen from the South.





وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالْمَسْجِدُ الْمُبَارَكُ الْمَشْرِقِيُّ



حَقَّقَ الْبَيْتَ الطَّيِّبَ وَالْمَسْجِدَ الْمُبَارَكَ الْمَشْرِقِيُّ وَاللَّوْلِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَالْمَسْجِدُ الْمُبَارَكُ الْمَشْرِقِيُّ

فِي مَحَرَّمِ سَنَةِ ١٣١٢ هـ

فمن الزعماء النبوية والحكمة الشريفة من جهة الغرب بالحسب النبوي بالمدينة المنورة



180. The northern view of the Sherifa Room.
الاعمدة المفرغة هي اشارة لحدود المسجد النبوي

في الرابع من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٦ هـ

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يثبت، ويرجحون أن قبرها بالبقيع ويوصل هذه المقصورة بالمقصورة الأولى بابان يجدارها الجنوبي، وللمقصورة الكبيرة باب غربى في الروضة يسمى باب الوفود أو باب الرحمة، وفي جنوبه شبك التوبة، ولها باب آخر في الجهة الجنوبية ويدخل اليها من باب في الجهة الشرقية، ومن باب آخر فيها في الجهة الشمالية وهو الذى يدخل منه الأغوات لإيقاد الحجرة الشريفة، وبزوايا المقصورة النبوية أربعة أعمدة كبيرة مزوية أقيمت عليها القبة الخضراء التى تراها مع المئذنة الرئيسية فى (الرسم ١٧٨) وفى شمالى مقصورة فاطمة دكة كدكة الأغوات قالوا : انها فى متجد النبي صلى الله عليه وسلم . وبين المنبر والقبر الروضة وطولها ٢٢ مترا فى عرض ١٥ ويفصلها عن الرواقين القبليين سور نحاسى ارتفاعه حوالى متر، به بابان عن يمين ويسار المحراب النبوى أنظر السور النحاسى فى (الرسم ١٧٩) وترى فيه عبد اللطيف عبد القادر أحد الأغوات والذى بجانبه « البكاشى » مصطفى افندى رفقى وانظر فى (الرسم ١٨٠) قسما من الروضة فيه الأعمدة الجميلة المنفرغة و« نجفة » كبيرة وشباكا من شبابيك المقصورة، ذاك وصف إجمالى للمسجد النبوى، أما ما فيه من النقوش البديعة والكتابات الجميلة التى بسقف المسجد وجدره وأعمدته ومحاريبه فقل فى وصفها ما شئت، فانه ليس فى الدنيا مسجد عنى به الملوك — خصوصا ملوك العثمانيين — والأمراء والأفراد كالمسجد النبوى الذى به تعاللق نفيسة وهدايا ثمينة أهديت للمسجد والحجرة لا تجد لها مثيلا فى مكان آخر، وحسبك أنها قومت بسبعة ملايين من الجنيهات ولا بأس من أن نجعلها لك، يوجد بالمسجد النبوى عدا المقصورة ٦٢٠ قنديل معلقة فى العوارض الحديدية التى بين الأعمدة بسلاسل من فضة فى المسقف القبلى وبسلاسل من صفر فى باقى المسجد وفيه نجفات كثيرة من البلور، ومن ذلك نجفتان كبيرتان على أطرافهما تنانير يوقد فيها الشمع أهداهما إلى المسجد النبوى عباس باشا الأول، والكبيرة منهما معلقة فى المسقف القبلى مما يلى الروضة من جهة الشمال أنظرها فى (الرسم ١٨٠) وكذلك أهدى أربع شجرات على أعمدة من البلور مفرعات بأغصان مائلة عليها تنانير صافية.

وضعت بالروضة المطهرة وما يليها من المغرب في صف واحد بين الأساطين . آنظر
(الرسم ١٧٩) وبالمقصورة ١٠٦ قنديل حول الحجرة الشريفة منها ٣١ غير البراقات
في الرواق الذي تجاه الوجه الشريف وكلها من الذهب المرصع بالألماس والياقوت
والباقي قناديل كقناديل المسجد معلقة بسلاسل الذهب ، ومن ضمنها الثريتان
المعلقتان على يمين قبر فاطمة ويساره ، وبأعلى الدائرة التي حول الحجرة معاليق
من الجواهر الثمينة ومكانس من اللؤلؤ الفاخر ، وقد أرسل السلطان عبد المجيد
سنة ١٢٧٤ هـ . شمعدانين عظيمين من الذهب الخالص المرصع بالألماس الفاخر
طول كل منهما نحو قامة ، ويقال إن ثمنها ٣٠٠٠٠٠ جنية مجيدي (الجنيه المجيدي
يساوي ٨٧,٧٥ قرشا صحيحا مصريا) وقد وضعوا بالمقصورة أحدهما تجاه رأسه
الشريف والآخر في محاذة رجله الكريمة ، وقبل ذلك أهدي شمعدانين كبيرين من
الذهب الخالص وأهدى بعد ذلك عدة مباحر وقماقم من الذهب والفضة .

وقد كان الملوك والأمراء في الأعصار المختلفة يتسابقون في الهدايا إلى المسجد
وكثيرا ما سلبها قوم لينتفعوا بها في مصالحهم الشخصية ، ومن أولئك السالين جواز
ابن هبة الحسيني أمير المدينة لما ورد الأمر سنة ٨١١ هـ . بعزله وتولية ثابت بن نفير
والأمير غرير بن هيازع الحسيني سنة ٨٢٤ هـ . وبرغوث بن بتير بن جريس ودبوس
ابن سعد الحسينيان سلبا كثيرا من قناديل المسجد سنة ٨٦٠ هـ . وحسن بن زبير
المنصوري سلب في سنة ٩٠١ هـ . ما في القبة التي كانت بصحن المسجد من النقود
والقناديل والسبائك ، وكذلك فعل الوهابيون لما استولوا على القطر الحجازي وتملكوا
المدينة سنة ١٢٢١ هـ . وهدموا القباب التي بالبقيع وغيره وقد فرق ما أخذوه على
المجاهدين وهودي منه بعض الملوك ورد كثير منه إلى المسجد النبوي .

ويحسن بنا أن نورد لك في هذا المقام نبذة ذكرها الجبرتي المؤرخ الناقد عن
الوهابيين في هذا الموضوع لما تضمنته من الفوائد القيمة وحكم تلك الكنوز
المحبوسة ولتبيين لك حقيقة الوهابيين الذين وصمهم العامة بما هم منه براء قال :

(١) المتغالبين في الدين (ولن يشاد الدين أحد الأغلبة) .

إنه في عام ١٢٢١ هـ . وصلت الأخبار الى مصر من الديار الحجازية بمسألة الشريف غالب للوهابيين وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة وقطع الجالب عنهم من كل ناحية حتى وصل ثمن الأردب المصرى من الأرز ٥٠٠ ريال والقمح ٣٠٠ وغير ذلك ، فلم يسع الشريف إلا مسالمتهم والدخول في طاعتهم وسلوك طريقتهم وأخذ العهد على دعائهم وكبيرهم بداخل الكعبة وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب التنبك في المسعى وبين الصفا والمروة ، وبالملازمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة وترك لبس الحرير والمقصبات وإبطال المكوس والمظالم ومصادرات الناس في أموالهم فيكون الشخص من سائر الناس جالسا في داره فما يشعر إلا وأعوان الشريف يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون إن سيد الجميع محتاج اليها فما يجد حيلة إلا الطاعة وتصيير من أملاك الشريف ، فعاهده الشريف على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والأئمة الى آخر القرن الثالث وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والزخارف وتجميل الأعتاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والندور والقربان وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية التي بعثت الرسل لمقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله ، فعاهده الشريف على منع ذلك كله وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة فعند ذلك أمنت السبل وسلمت الطرق بين مكة والمدينة وجدة والطائف ورخصت الأسعار حتى بيع الأردب من الحنطة بأربعة ريالات ، واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار بقوله : إن هؤلاء مشركون وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين ، وفي سنة ١٢٢٤ هـ . وصل مسعود الوهابي الى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس في حالة أمن ورخاء سعر ، وأحضر أمير الحج المصرى وقال له : ما هذه

العويديات والطبول التي معكم ويقصد بالعويديات الحمل فقال : إشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عاداتهم فقال : لا تأت بذلك بعد هذا العام وإن أتيت به أحرقتة وهدم القباب التي بينبع والمدينة وأبطل شرب التنباك في الأسواق وكذلك البدع . وفي سنة ١٢٢٣ هـ . انقطع الحج الشامي والمصرى معتلين بمنع الوهابي للناس عن الحج ، وليس الأمر كذلك فإنه لم يمنع أحدا يأتي الى الحج على الطريقة المشروعة وإنما منع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يحيزها الشرع مثل الحمل والطبل والزمر ، وقد حج طائفة من المغاربة ولم يتعرض لهم أحد بشيء ، ولما امتنعت قوافل الحج المصرى والشامى وامتنع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم بأسرهم ولم يمكث إلا الذى ليس له إيراد من ذلك وأتوا الى مصر والشام ، ومنهم من ذهب الى استامبول يتشكون من الوهابى ويستغيثون بالدولة فى خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق واتصال الصلات والنيابات والخدم فى الوظائف التي بأسماء رجال الدولة كالقراشة والكاسة ونحو ذلك .

ويذكرون أن الوهابى لما استولى على المدينة أخذ ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر وعبأ أربع « سخاير » منها ، ومن ذلك أربع شمعانات من الزمرد وبذل الشمعة قطعة ألماس مستطيلة ونحو مائة سيف أقربتها ملبسة بالذهب عليه الماس والياقوت ونصاها من الزمرد واليشم كل سيف منها عظيم القيمة عليه دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين وغير ذلك فيرون أن أخذه لذلك من الجائر العظام ، وهذه الأشياء أرسلها ووضعها من وضعها من الأغنياء والملوك والساطين الأعاجم وغيرهم إما حرصا على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم أو لنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء ، فلما تقادمت عليها الأزمنة وتوالت عليها السنون والأعوام وهى فى الزيادة ارتصدت معنى لا حقيقة وارتسم فى الأذهان حرمة تناولها وأنها صارت مالا للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد

أخذها ولا إنفاقها، والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ذلك لم يدخر شيئاً من عرض الدنيا في حياته، وثبت في الصحيحين أنه قال « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » وكثر المال بحجراته وحرمان مستحقه من الفقراء والمساكين مخالف لشريعته، وإن قال المدخر أكرهها لنواب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة إليها قلنا : قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم في مصالحة المتغلبين عليهم من قرانات الافرنج وخلو خزائهم من الأموال التي أفنوها بسوء تدبيرهم وتفاجرهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة بكفالة إحدى الفرق من الافرنج المسلمين لهم واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والاستيلاء على الأموال بغير حق حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم، ولم يأخذوا من هذه المدخرات شيئاً ولم ينتفع بها أحد إلا ما يختلسه أغوات الحرم تبعاً، وأما الفقراء من أولاد الرسول وأهل العلم والاحتاجين وأبناء السبيل فيموتون جوعاً .

ولما كثرت شكاوى أهل المدينة إلى الباب العالي أمر مولانا السلطان محمد علي باشا إلى مصر بحاربة الوهابية فثار بهم وانتصر عليهم، وفي ١٨ رجب سنة ١٢٣٣ هـ . حضر باقي الوهابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو أربعائة نسمة وأسكنوهم في محلات تليق بهم وكان عبد الله بن سعود الوهابي وخواصه من جملتهم وسكنوا بدار عند جامع مسكة من غير حرج عليهم، وصاروا يذهبون ويحيثون ويترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الأسواق، ولما وصل عبد الله بن سعود إلى مصر عمل له موكب عظيم وضربت له المدافع^(١) وسكن في بيت إسماعيل باشا ابن محمد علي باشا ببولاق، وفي ثاني يوم تقابل مع محمد علي باشا بسرأى شبراً فأنسه وأجلسه بجانبه وقال له ما هذه المطاولة؟ فقال : الحرب سجال وكان ما قدره الله فقال : إن شاء الله أرجو فيك عند مولانا السلطان فقال : المقدر يكون، وكان بصحبته صندوق صغير من صفيح فقال له الباشا ما هذا؟ فقال : هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي إلى السلطان، وفتحه فوجد به ثلاثة مصاحف مكلفة ونحو

(١) لم يقبل الاحتفال وضرب المدافع مع أنه على السنة كما يقولون .

ثلثائة^(١) حبة لؤلؤ كبيرة وحبة زمرد كبيرة فقال له الباشا : الذى أخذه من الحجرة أشياء كثيرة فقال : هذا هو الذى وجدته عند أبى فانه لم يستأصل كل ما كان فى الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا : صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك ثم ألبسه خلعة^(٢) وانصرف عنه الى بيت اسماعيل باشا المعدله ، وفى ١٩ المحرم سنة ١٢٣٤ هـ . سافر عبد الله بن سعود الى الاسكندرية ومنها الى الأستانة ومعه خدم لزومه ، وفى جمادى الاولى وصلت الأخبار عن عبد الله المذكور أنه لما وصل الى دار السعادة طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضا فى نواح متفرقة اه .

هذا ما يتعلق بالهدايا الثمينة والتعاليقات النفيسة وسيأتى وصف الرسوم والنقوش البديعة التى بالمسجد عند الكلام على عمارة السلطان عبد الحميد له ، وأكثر جهات المسجد به سور وآيات وقصائد فى أغراض شتى ، نذكر لك منها ما ينفسح له المجال إذا دخلت من باب السلام تجد مكتوبا على الحائط الذى عن يمينك بالخط الثلث الجميل قول الله جل شأنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ — الى قوله — لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ وبعد ذلك قوله تعالى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ثم قوله عز شأنه ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ ثم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ — الى قوله — إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ثم قوله بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ — الى قوله — وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله تعالى عن أصحاب سيدنا رسول الله أجمعين . ثم قوله بعد البسملة ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الدِّينِ خُلُوعًا

(١) لم يبع الجواهر ليستعين بها على الحرب الشرعى وكيف يهديها للسلطان وهو فى غنى عنها وربما كانت

هو الذى أهداها أولا . (٢) لم يستجيز لنفسه لبس هذه الخلعة ويستنكر المحمل .

مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا — الى قوله — وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ
 وَكِيلًا ﴿ اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ﴾ ثم قوله بعد البسملة
 ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ — الى قوله — وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾
 صدق الله العظيم . ثم قوله بعد البسملة ﴿ هو الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
 الْحَقِّ — الى قوله — سَيِّئَاتِهِمْ فِي وجوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ صدق الله العظيم .
 وفوق ذلك مكتوب في لوحة : قال الله تعالى ﴿ وما آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
 عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ وهذه الكتابات كلها في سطر واحد يبتدئ من باب السلام ماراً
 بالحائط القبلي ، وفي سطر تحت هذا مكتوب بالخط العريض قال الله تعالى ﴿ وما
 تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾
 صدق الله العظيم . وبعد ذلك قوله ﴿ أولئك يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾
 ثم قوله بعد البسملة ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ
 وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ — الى قوله — وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾
 صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم ورضى الله تعالى عنهم أجمعين وبعد ذلك البسملة فقوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ
 يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ
 — الى قوله — وَاللَّهُ غَفِيرٌ حَلِيمٌ ﴾ صدق الله العظيم . بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾
 صدق الله العظيم . وفي سطر ثالث تحت هذين قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ — الى قوله — لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
 مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ثم قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم . ﴿ فإذا
 قرأتَ القرآنَ فاستعذْ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا
 وعلى ربِّهم يتوكلون ﴾ ثم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ — الى

آخر السورة — صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين
أجمعين وهذا الختام تجاه الوجه الشريف ثم

بنور رسول الله شرفت الدنيا * ففي نوره كل يحيى ويذهب
براه جلال الحق للخلق رحمة * فكل الورى فى بره يتقلب
بدا مجده قبل أنشاء رمزه * وأسماءه من قبل فى اللوح تكتب

أنظر نظام السطور وشكلها فى (الرسم ١٨٥) ومكتوب على عضادتي باب
السلام من الخارج أربعة أسطر بالخط الثالث الجميل ، فى الأول منها قال الله تعالى :
﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ . ﴿وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج
صدق — إلى قوله — وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ وفى السطر الثانى بعد
البسملة قوله تعالى ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر — إلى قوله — وكان الله قويا عزيزا﴾ .

وفى السطر الثالث :

رسول الله إني مستجير * بجاهك والزمان له اعتداء
وجاهك يا رسول الله جاه * رفيع ما لرفعتيه انتهاء
وظنى فيك يا طه جميل * ومنك الجود يعهد والسخاء
وحاشا أن أرى ضيما وذلا * ولى نسب بمدحك وانتماء
رجوتك يا ابن آمنة لأنى * محب والمحب له رجاء
عسى بك تتجلى عنى كروبي * وكم كرب له منك انجلاء
وكم لك يا رسول الله فضل * تضيق الأرض عنه والسماء
وكم لك معجزات ظاهرات * كضوء الشمس ليس له خفاء
وأنت لنا على خلق عظيم * ونحن على العموم لك الفداء

ومكتوب على الباب الذى على يمين المحراب النبوى فى الفاصل النحاسى قال

صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها »

وفى الباب الذى على يساره « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » .

ومكتوب فى المسجد قصيدة البوصيرى المشهورة بالبردة التى مطلعها :

أمن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وكذلك أسماء الله الحسنى وأسماء أهل بدر الى غير ذلك وكل هذا مكتوب

بالخط الجميل المحلى بماء الذهب .

والمسجد مفروشة أروقة بالسجادات التركية الجميلة المقسم كل منها بالرسم الى سجادات صغيرة الواحدة منها تكفى المصلى وترشده الى القبلة ، أما صحنه فمفروشة بالحصاء كما أسلفنا ، وبالمسجد ٥٧ أغا وأكثرهم يقوم بخدمة الحجرة النبوية (المقصورة) وله ٤٦ خطيباً يتناوبون الخطبة و٣٨ إماماً و٣١ وكيل إمام و ١٨ مدرّساً يدرّسون المذاهب الثلاثة الحنفى والمالكي والشافعى و٥٠ مؤذناً و٢٦ وكيل مؤذن و ١٢ محافظاً على النظام — مشداً — و ٥١ كناساً و ١١ بواباً و ١٠ سقائين و ٤ يحمّدون المياه و ٧٥٠ يقومون بتنظيف القناديل وملئها وإسراجها ، و ٢٦ ما بين صائغ وخائط وسراج وغيرهم ... وأول من رتب الأغوات لخدمة المسجد والحجرة نور الدين الشهيد فى أول دولة الأكراد رتب اثنى عشر وشرط حفظهم لكتاب الله تعالى وربع العبادات وأن يكونوا حبوشاً فإن لم يوجدوا فأرواما فإن لم يوجدوا فتكارنة فإن لم يوجدوا فهنوداء ، وقيل : أول من رتبهم السلطان صلاح الدين الأيوبنى رتب أربعة وعشرين وجعل عليهم شيخاً يقال له بدر الدين الأسدى .

ووقف عليهم قريتي نقادة وقبالة على شاطئ النيل بالصعيد وكذلك وقف ثلث قرية سندبليس ووقف ثلثها الباقيين الملك الصالح عماد الدين وذلك فى سنة بضع وأربعين وسبعائة . ثم صار سلاطين الغرب والسودان يرسلون أغوات من قبلهم للخدمة ، بل كل من رغب فى ذلك يرسل حتى زادوا على المائتين فى بعض الأحيان ، وكثيراً ما كانت تتور بينهم العداوة والبغضاء وكثيراً ما كان فيهم أهل خير وصلاح ، ولهم الآن مراتب من قبل سلاطين آل عثمان وأوقاف بالمدينة وغيرها وترسل اليهم من أهل البرهدايا كثيرة يتسلمها رئيسهم المعروف بالمستسلم ويقسمها

بينهم بالسوية (انظر في الرسمين ١٨١ و ١٨٢) شكل الأغوات ، والذي في الأول منهما يسمى حسين آغا أهداه الى المسجد أحد أمراء بخارى ، والثاني عبد اللطيف عبد القادر من أغوات سراى السلطان عبد الحميد وكلاهما بواب للحجرة النبوية ، وقد رتب السلطان محمود بالمسجد ٣٩ قارئاً يتلون القرآن وصحيح البخارى وشفاء القاضى عياض ودلائل الخيرات والأحزاب والصلوات ولوقصر الأمر على تلاوة القرآن وعين للصحيح والشفاء من يقوم بدراستهما لكان ذلك أجدى ، ورتب السلطان عبد الحميد لمثل هذا ١٥٧ قارئاً ورتبت والدته ثمانية فأولئك ٢٠٤ قارئاً لو كانوا منفسرين وقائمين بتعليم العامة لحولوا أهل المدينة فاطبة عن الأمية وأوردوهم من العلوم مناهلها العذبة .

وعلى البناء الخامس حول قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ستائر من الحرير وكذلك على كل أبواب المقصورة وعلى المحاريب الثلاثة النبوى والسليمانى والعثمانى ، وللمنبر ستارة ، وللمئذنة الرئيسية ستارة ، وللشبكة التى على الحجرة النبوية ١٨ ستارة ، وعلى شبابيك مقدم الحجرة ٤ ستائر ، وللمنبر ستارة وللمنبر عالمان ، وهناك إحدى عشرة ستارة من الأطلس الأخضر مسبلة من رأس قبعة الحجرة إلى سطح أرضها ، انظر الستائر ضمن (الرسم ١٨٨) .

تاريخ المسجد النبوى

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هجرته نزل بقاء وأقام فيها بضعة عشرة ليلة أسس فيها مسجد بقاء ثم تحول منها الى المدينة فتلقيها أهلها فرحين وخرجت ذوات الخدود تنشد :

أشرق البدر علينا * واختفت منه البدور

مثل حسنك ما رأينا * قط ياوجه السرور

وسم نمـوذج اثنين من الاغوات بالمسجد النبوي

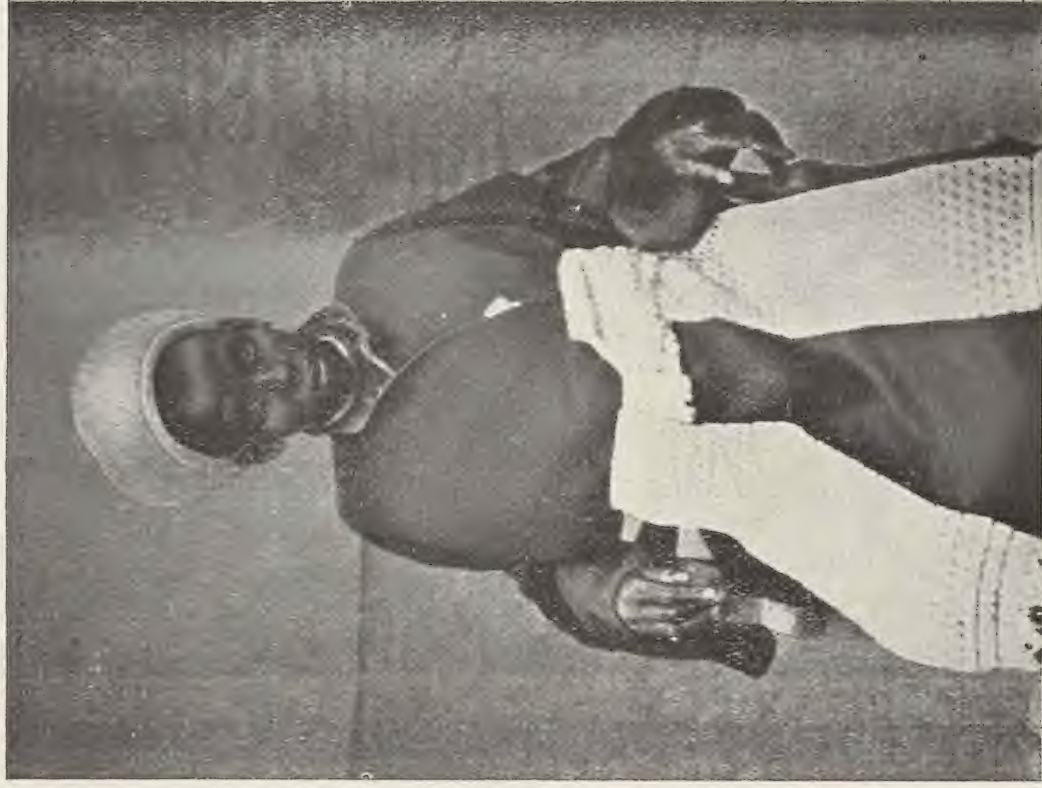
صـحـفـة ٤٦٠



حسن اغا بخاري قدمه هدية لخدمة المسجد النبوي

احد امراء بخاري

181. A photo of one of the unichs of the Mohammedan Mosque.



عبد اللطيف اغا عبد القادر هواب الحجر النبوية الشريفة

181. A photo of one of the unichs of the Mohammedan Mosque.



وخرجت جوار من بني النجار أخواله صلى الله عليه وسلم يضربن بالدفوف ويقلن :

نحن جَوَار من بني النجار * يا حَبِذاً محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتجيبني ؟ قلن : نعم يا رسول الله ! فقال : الله يعلم أن قلبي يحبكن ، وكان كل جماعة يعرضون عليه النزول بدارهم وهو يقول خلوا سبيل ناقتي فإنها مأمورة فحيث بركت نزلت ، فلما أتت موضع المسجد بركت وهو عليها وفي رواية عند بيته المشهور الآن بالحجرة الشريفة ثم قامت من غير أن تزجر وسارت غير بعيد وبركت تجاه دار أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه فنزل هناك وهي شرقي المسجد فأقام عنده بهذه الدار حوالى سبعة أشهر ولا تزال هذه الدار قائمة للآن ، وفي جدارها القبلى محراب يتبرك الناس به ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجده الشريف عند الموضع الذى بركت فيه ناقتة أولا وكان مربداً — موضعاً يجفف فيه النمر — لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار وكانا فى حجر أسعد بن زُرارة فساوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله فأبى حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير ، وكان جدارا ليس له سقف وقبلته إلى بيت المقدس وكان يصلى فيه ويجمع أسعد بن زُرارة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيه شجر غرقد ونخل وقبور للمشركين ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالنخل والشجر فقطعت وصفت فى قبلة المسجد ، وكانت مساحة المسجد ٧٠ ذراعاً فى ستين أى نحو ٣٥ متراً من جنوبه لشماليه فى ٣٠ من شرقه لغربه ، وكان أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بنى بالحجارة ، وبنيت الجدر باللبن وكان صلى الله عليه وسلم يبنى معهم وينقل اللبن والحجارة وهو يقول : اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة ، وجعل عمده الجذوع وسقفه الجريد وكانت به ثلاثة أروقة فى الجهة القبلى وله رحبة وثلاثة أبواب ، باب فى جهته الجنوبية وكانت قبلته إلى بيت المقدس أى فى الجهة الشمالية ، وصلى إلى هذه القبلة سبعة عشر شهراً ثم تحول إلى المسجد الحرام

والباب الثاني باب عاتكة أو باب الرحمة الذي به الآن، والثالث باب آل عثمان وهو باب جبريل الآن وقد سدّ الباب الأول لما حوّلت القبلة وجعل بدلّه باب يقابله في الجهة الشمالية، ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من بناء المسجد بنى بعائشة في البيت الذي بناه لها شرق المسجد وهو مكان حجرته اليوم كما بنى بجانبه بيتا آخر اسودة، وبنى في أوقات مختلفة بيوتا لأزواجه الأخريات كانت جنوب المسجد يفصلها عنه طريق عرضه خمسة أذرع، وكل هذه البيوت دخلت في المسجد في إمرة عمر بن عبد العزيز على المدينة، ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر مفتح سنة سبع من الهجرة زاد في المسجد من جهة الشرق والغرب والشمال حتى صار مربعا طول ضلعه ١٠٠ ذراع أو ٥٠ مترا وهو الذي تراه ملونا باللون الأخضر الفاتح في (الرسم ١٧٤) الذي أخذناه من رسم كبير عمله مهندسو الأتراك وطبعه بنفقه في ألمانيا خليل افندي القازاني، واستأذناه في تصغيره فأذن لنا كتابة. ولما كان زمن عمر بن الخطاب زاد في المسجد من جهته الجنوبية نحو خمسة أمتار ومن جهته الغربية عشرة ومن الشمالية خمسة عشر مترا، ولم يزد شيئا من الجهة الشرقية، ودخلت في الزيادة الجنوبية دار العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل له ستة أبواب، بابان في الجهة الغربية حذاء باب الرحمة وباب السلام، وبابان في الجهة الشرقية الثاني منهما حذاء باب النساء، والأول باب آل عثمان الذي لم يتغير، وبابان في الجهة الشمالية، وكان تجديد عمر للمسجد سنة ١٧ هـ. وكان بناؤه باللين والجريد وعمده من الخشب، وفي سنة ٢٩ هـ. أعاد عثمان بن عفان بناء المسجد وزاد فيه رواقا من جهة الشرق والشمال والغرب والقبلة، واستقرّ الأمر على زيادته القبلية الى يومنا هذا، وبنى جدران المسجد بالحجارة المنقوشة والقَصَّة — الحصص — وجعل عمده من حجارة منقورة أدخل فيها عمد الحديد وصب فيها الرصاص وسقفه بالساج، وجعل أبوابه ستة كما كانت في عهد عمر، وقد سدّ بعدُ البابان الشماليان وما أحدث من الأبواب في أطراف المسجد، وبقي بأبوابه الأربعة المعروفة حتى زيد الباب الخامس الشمالي في عمارة السلطان عبد المجيد

وقد آخذ عثمان مقصورة على مصلاه في المسجد وكانت صغيرة من لبن وفيها كوة ينظر الناس منها الى الإمام ثم جعلها عمر بن عبد العزيز من ساج ثم جددتها المهدي من ساج أيضا ونزل بأرضها الى أرض المسجد وكانت مرتفعة عن سطحه نحو ذراعين ، ثم جدد الوليد بن عبد الملك المسجد على يد عامله على المدينة الإمام العادل عمر بن عبد العزيز وابتدأ ذلك التجديد في سنة ٨٨ هـ . و انتهى منه في سنة ٩١ هـ . وقد زاد في المسجد من جهة الغرب — ولم يزد بعد في هذه الجهة شيء كبير — والشمال والشرق فأدخل في المسجد حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت جنوبي المسجد وشماله بعد أن هدم بناءها وكانت أبوابها شارعة في المسجد ، واقتطع أيضا جزءا من حجرة عائشة أدخله في المسجد وذلك من جهة الروضة وأقام على الحجرة ذلك البناء الخماسي الذي تسدل عليه الكسوة اليوم ، ولم يجعله مربعا عدولا به سنن الكعبة حتى لا يتخذ الناس قبلة ، وقد بنى المسجد بالحجارة المطابقة والقصة وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب ونقش رءوس الأساطين والأعتاب بالذهب ، ولما حج الوليد وقدم الى المدينة بعد فراغ عمر من عمارة المسجد أخذ ينظر في جدره وسقفه ونقوشه وجميل شكله حتى اذا تم النظر التفت الى أبان بن عثمان وقال أين بناؤنا من بناءكم ؟ قال أبان : بنيناه بناء المساجد وبنيتموه بناء الكنائس . ثم زاد المهدي العباسي في المسجد من جهة الشمال وعلى زيادته استقر المسجد من هذه الجهة وكان بدء البناء سنة ١٦١ هـ . والفراغ منه سنة ١٦٥ هـ . وفي ليلة الجمعة أول رمضان سنة ٦٥٤ هـ . أحترق المسجد من شعلة تركها موقد المصابيح فالتهمت ما حولها ثم امتدت الى المسجد جميعه ولم يبق منه إلا قبة كانت بصحن المسجد أقامها الناصر لدين الله سنة ٥٧٦ هـ . لتحفظ بها ذخائر المسجد وكان فيها وقت الحريق المصحف العثماني وأشياء أخرى ، وقد حاول أهل المدينة إطفاء هذا الحريق فغلبهم وكان أمر الله قدرا مقدورا ، وقد كتب الى الخليفة المستعصم بالله عبد الله ابن المنتصر بالله بذلك الحريق فأرسل الصناع والآلات في موسم الحج وبدأ تجديد

المسجد سنة ٦٥٥ هـ . وأرسل أخشابا ومواد للعمارة الملك المظفر صاحب اليمن وكذلك فعل نور الدين علي بن المعز صاحب مصر والظاهر بيبرس البندقداري . وفي أيامه تمت العمارة ، وفي سنة ٧٠٥ هـ . وتاليها جدد الملك الناصر محمد بن قلاوون سقف المسجد شرقي رحبته وغربيها ، وفي سنة ٧٢٩ هـ . زاد رواقين في المسقف القبلي مما يلي صحن المسجد ثم حصل فيها خلل فجددهما الأشرف برسبای سنة ٨٣١ هـ . وجدد الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ هـ سقف الروضة وبعض سقف أخرى حصل فيها خلل ، وفي سنة ٨٧٩ هـ . أجرى الملك الأشرف قايتباي عمارة هامة بالمسجد شملت بعض سقفيه وعمده وجدره ومآذنه . وفي ليلة الثالث عشر من رمضان سنة ٨٨٦ هـ . أبرقت السماء وأرعدت إرصادا شديدا أيقظ النائمين وأتقضت صاعقة على هلال المئذنة الرئيسية قضت على رئيس المؤذنين الذي كان يهلل بالمئذنة وانتقلت الى سقف المسجد فالتهمته وانتشرت بالمسجد جمیعة وصارت ترمي بشرر كالقصر كان يتساقط على المنازل المجاورة ولا يؤثر فيها ، وقد تهدمت جدر المسجد وتداعى أكثر أساطينه واحترقت المقصورة والمنبر والكتب والمصاحف ولم يسلم من طغيان النار إلا الحجرة الشريفة والقبة التي بالصحن وسلمت في الحريق الأول ، وقد مات بهذا الحادث بضعة عشر شخصا رحمهم الله برحمته الواسعة ، ولما بلغ الخبر الأشرف قايتباي وجه الأمير سنقر الجمالی الى المدينة لعمارة المسجد ومعه مايزيد على مائة صانع والآلات اللازمة وشرعوا في العمارة فبدأوا بالمئذنة الرئيسية فبنوها ثم بنوا الجدار القبلي والشرقي الى باب جبريل وزادوا في عرضه يسيرا ووسعوا المحراب العثماني وأقاموا عليه قبة على رءوس الأساطين التي حوله بعد أن دعموا كل أسطوانة بأخرى ور بما دعموا الواحدة بأربع ، وأقاموا على جدر الحجرة النبوية قبة فوق السقف الذي كان عليها وجعلوا فوق القبة قبة أخرى أقيمت على الأساطين والدعائم التي أحدثوها فضيقت الجهة الشرقية فخرجوا بجدار المسجد ذراعين ورعا ، وأحدثوا أسطوانة في رأس مثلث الحجرة وأقاموا قبة كبيرة تحيط بها ثلاث صغيرة بين الحجرة النبوية والجدار القبلي وقبتين أخريين أمام باب السلام من الداخل ، وبنوا هذا الباب

بالرخام الأسود والأبيض وزخرفوه كما زخرفوا المحراب العثماني وأعادوا ترخيم الحجر الشريفة وما حولها والحدار القبلي وصنعوا منبرا واتخذوا "دكة" للمؤذنين من الرخام وخفضوا أرض مقدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى النبوي واتخذوا محرابا مجوفا للرسول صلى الله عليه وسلم في دعامة أقاموها بين المنبر والقبر على حدّ مسجده الأصلي وزخرفوا هذا المحراب بالرخام الملون وجعلوا المقصورة في محلها الأول، وبنوا الحدار الغربي من باب الرحمة الى باب السلام، وبنوا مئذنة باب الرحمة وجعلوا الأعمدة قصيرة فوقها عقود من الآجر عليها السقف من الخشب، وبنوا مدرسة بجوار المسجد بين باب السلام وباب الرحمة ولا تزال باقية للآن تعرف بالمحموية، وقد أنفق قايتباي على هذه العمارة ما قيمته ١٢٠٠٠٠ دينار أو ما يقرب من ٦٠٠٠٠ جنيه ولما انتقلت الخلافة الى آل عثمان وأصبحت لهم السيطرة على الحرمين خلفوا ملوك مصر في القيام بما يحتاج اليه المسجد النبوي ففي سنة ٩٨٠ هـ . عمره السلطان سليم الثاني وبني به قبة جميلة تراها غربي المنبر النبوي على حد المسجد الأصلي من الجهة القبليّة وقد وشاها بالقسيفساء المنقوشة بماء الذهب وكتب اسمه على ظهرها بالخط الثالث الجميل، وفي سنة ١٢٣٣ هـ . بنى السلطان محمود القبة الشريفة ثم أمر بترميمها ودهانها باللون الأخضر سنة ١٢٥٥ هـ . ثم كانت العمارة الكبيرة التي قام بها السلطان عبد الحميد وقد بدأت في سنة ١٢٦٥ هـ . وانتهت في سنة ١٢٧٧ هـ . وسببها أن شيخ الحرم — المسجد النبوي — داود باشا كتب الى السلطان عبد الحميد بأن المسجد النبوي مضى عليه ما يقارب أربعة قرون دون أن تقوم به عمارة هامة حتى آل كثير منه الى التخرّب، فأرسل السلطان من قبله من استبان الحقيقة وتعرف حال المسجد ونبأه به فأمر بعمارته ووكّل أمر ذلك إلى رجال انتخبهم فاختاروا أن يقتطعوا الأحجار والأعمدة من هضاب بوادي العقيق عند آبار على، ومهدوا الطريق للعربات وفتحوا بابا بالسور مما يلي باب الرحمة لتقرّ منه العربات ولا تزلزل أبنية المدينة وشرعوا في هدم المسجد جزء جزء وجهه جهة حتى لا يعطل الناس عن الصلاة بهذا المسجد المبارك وكلما نقصوا جزء قديما أقاموا مكانه جديدا حتى أتموا العمارة

فى ثلثى عشرة سنة ، وقد تناولت المسجد كله خلا المقصورة وما فيها وبعض جدر لم ينقضوها لإحكام أساسها وإتقان بنائها فلم ينقضوا الجدار الشمالى ولا الغربى إلا الجزء الذى يلى المئذنة المجيدية ولم ينقضوا المحراب العثمانى لإتقانه وحسن صنعه وغيروا الأعمدة القديمة بأعمدة أخرى أكثرها قطعة واحدة يرتكز كل منها على مربع حجرى وفى عاقبه مثله ، وأقاموا عليها عقودا من الحجر الأحمر المنحوت وعلى تلك العقود قبابا فى كثير منها طاقات وشبابيك بها الشبكات النحاسية التى تشبه الزرد والزجاج الملون ينفذ منه الضوء إلى جوف المسجد ، وترى فى (الرسم ١٨٣) قباب المسجد ، والقبعة الخضراء من خلفها قبة العشرة والمآذن هى من الشرق إلى الغرب الرئيسية ، فمئذنة باب السلام فمئذنة باب الرحمة ، وترى فى الرسم أسرة جريد فوق السطوح ينام عليها المدينون فى الصيف ولم يعيدوا من الأعمدة القديمة إلا أعمدة كانت بالروضة مرنحة بالرخام الأبيض والأحمر ومذهبة فأعادوها ، واستحدثوا أعمدة ملصقة بالجدر لتقوم عليها القباب ووسعوا الأروقة الشمالية والشرقية والغربية ، فجعلوا فى الجهة الشمالية رواقين بدل ثلاثة وكذلك الجهة الشرقية وجعلوا فى الغربية ثلاثة بدل أربعة من المئذنة المجيدية إلى باب الرحمة ، ولم يوسعوا الأروقة القبلىة التى تحاذى الصحن وإنما أضافوا إليها رواقين مما يلى صحن المسجد حتى غطت الأروقة القبلىة التى تسامت الصحن أرض المسجد الأصيل الذى كان به أروقة ثلاثة فى جهته القبلىة ، وباقيه رحبة فى الجهة الشمالية وخرجوا بالجدار الشرقى من المئذنة الرئيسية إلى باب جبريل خمسة أذرع وربعا فوسع ما بين المقصورة والجدار وكان قبل ضيقا ، وحدث من ذلك فجوة بين المئذنة الرئيسية والجدار الشرقى الجديد جعلوا بها خلوة فوقها أخرى يصعد إليها بسلم من الداخل ويوضع فيها بعض لوازم الحجرة ، وجددوا باب هذه المنارة بالحجر الأحمر المنحوت وهو باب غربى يجلس أمامه الخطيب ، وبنوا بين باب جبريل وباب النساء فى الخارج مكانا به صنادير — حنفيات — للوضوء ، وبنوا باب جبريل بمخاء الباب الأصيل كما أعادوا بناء باب السلام بشكل فخم ، وجعلوا أمامه من الداخل قبة عظيمة ، وكان بشمالى

المسجد مخزن ومخبز ودور، فاشترت الدور وهدم الكل، وبنى مكانه ساحتان بكل منهما أربع حجرات جعلت الشرقية منهما مكتبا والغربية مخزنا ولكل منهما باب داخل في المسجد وآخر خارجي، والساحة الشرقية هي طرقة الباب المجيدى الذى أحدث فى شمالى المسجد أثناء هذه العمارة، وبين هذين البنائين مكان للوضوء، وقد تقدم وصف ذلك فلا داعى لتكراره، وبنوا المئذنة المجيدية على أبداع شكل وأجمل منظر بعد أن حفروا لها أساسا عظيما وهدموا القبة التى كانت بصحن المسجد مخزنا للزيت لأنها كانت تلوثه واستعاضوا عنها بالمخزن الشمالى الغربى، وبنوا أطراف دكة الأغوات وجعلوا بأركانها قوائم ثبت بها "درازين" من الصفر وجددوا دكة أخرى جنوبى هذه وأخفص منها وجعلوا عليها "درازين" من الصفر أيضا، وبها محراب التهجيد الذى حلوه بماء الذهب، ويفصل هذه الدكة عن دكة الأغوات الطريق الى باب النساء، وبنوا المحراب الذى على يمين الداخل من باب النساء وكذلك بنوا المخزن الذى فى شرقى دكة الأغوات وهو طبقتان وبجانبه ميضأة، وكان أحدث فى شرقى المسجد تجاه الصحن حظيرة صغيرة لحليلة السلطان محمود لما قدمت المدينة بعد سنة ١٢٥٠ هـ. وكانت أرضها مرتفعة عن سطح المسجد فسويت به ووسعت بطول ثلاثة أعمدة فى عرض الرواقين ثم وسعها شيخ الحرم محمد حافظ باشا سنة ١٢٨٠ هـ. الى الشكل الذى تراها به الآن فى (الرسم ١٧٧)، وصارت المكان الخاص بصلاة النساء، وكان على حد المسجد النبوى من جهته القبلىة "درازين" من الخشب رفيعه وبنوا مكانه حاجزا مسنما من الحجر الأحمر المنحوت عليه "درازين" من الصفر المشتبك بعضه ببعض وجعلوا به أربع فتحات أشبه بالأبواب واحدة يمين المحراب السليمانى أو الحنفى وثانية عن يساره وكذلك الأمر بجوار المحراب النبوى الذى لم يغيره ولا المنبر فى هذه العمارة، وكانت الجهة الغربية والشمالية والشرقية مرتفعة أرضها عن مقدم المسجد فسويت به حتى أصبح الجميع مستويا، وكان صحن المسجد مسامتا لأرضه نخفص عنها، وفى أثناء التخفيض ظهرت بركة كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب لها درج فى جوانبها والماء ينبع من فوارة

في وسطها تأتي من العين الزرقاء ، وقد تقدم الكلام على هذه البركة أثناء حديث العين الزرقاء — ولا يكون الماء بهذه البركة إلا أيام الموسم — وبعد أن أتموا البناء رنحوا أرض المسجد كلها والنصف الأسفل من الجدار القبلي ونقشوا في القباب كلها رسوما تمثل أشجارا مختلفة وأزهارا شتى وجداول جارية وإن شئت فقل في كل قبة حديقة زانت سماء المسجد، والنقش في القباب القبليّة أجمل منه في القباب الأخرى ، وصنقوا الأساطين ودهنوها بلون يشابه لون الحجر ونقشوا في رءوسها أكفا ذهبية وأعادوا تذهيب المحراب النبوي والمنبر وصبغوهما باللأزورد وذهبوا المحراب السليمانى أو الحنفى وزخرفوه ، ووصل بعد ذلك من الأستانة عبد الله بك زهدى الخطاط الشهير فكتب في ثلاث سنين ما تراه بقبب المسجد وجدره وأساطينه من الآيات والقصائد وأسماء النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد بلغت نفقات هذه العمارة ثلاثة أرباع مليون من الجنيهاً المحمدية جزى الله مسديها جزاء وفاقا .

محاريب المسجد النبوي — به الآن ستة محاريب : (١) المحراب النبوي
بالروضة على يسار المنبر ولم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم محراب مخوف وإنما كان يصلى بهذا المكان أو قريبا منه ، وأول من أحدث المحراب المخوف عمر ابن عبد العزيز وإلى المدينة في خلافة الوليد ، وإنا لنشك في صحة تلك النسبة إليه فان عمر أرمى الناس لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن تجويف المحراب سنة نصرانية فكيف يستن عمر بسنة النصارى (١) ، وكان موضع هذا المحراب صندوق به

(١) قد عثرنا على رسالة في دار الكتب السلطانية ألفها السيوطي بين فيها بدعة المحاريب المخوفة وأقام الدليل على ذلك من السنة متكلماً على أسانيد الأحاديث سنداً سنداً ، وقد نقلنا هذه الرسالة في عصر الأحد ٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هـ (١٦ ديسمبر سنة ١٩١٧ م) وأولها الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى « وبعد » فهذا جزء سميته إعلام الأديب بحدوث بدعة المحاريب لأن قوما خفي عليهم كون المحراب في المساجد بدعة ، وظنوا أنه كان في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه ولم يكن في زمنه قط محراب ولا في زمن الخلفاء الأربعة فابعدهم إلى آخر المائة الأولى وإنما حدث في أول المائة الثانية مع ورود الحديث =



الروضتين الشريفتين ولما استبحر في حوض المطهر والكرام الهدي بالسلامة



الروضتين الشريفتين ولما استبحر في حوض المطهر والكرام الهدي بالسلامة

184. The Holy Niche in the Prophet's Mosque at Medina.



الْحِجْرَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ الْمَسْنُونَةُ

(عثمان بن عفان)



185. A view of the Kibla of Osman Ibn Affan in the Mosque of Medina.

ص ٤٧٠ حيفة

الْحِجْرَةُ السُّلَيْمَانِيَّةُ الْمَسْنُونَةُ



حُجْرَةُ السُّلَيْمَانِيَّةُ الْمَسْنُونَةُ

186. A view of the Soliman Place of Prayer in the Mohammedan Mosque.

مصحف كبير أرسله الحاج بن يوسف الى المدينة المنورة حين أرسل الى أمهات القرى بمصاحف ، أنظر في (الرسم ١٨٤) شكل المحراب النبوى وبالرسم الطيب ابراهيم سليمان والشيخ محمد سالم طموم نجل صهرنا وعبد اللطيف أغا خادم الحجرة والشيخ يوسف المرجاوى إمام المحمل ؛ (٢) المحراب العثمانى فى حائط المسجد القبلى وهو محدث فى مصلى عثمان بالناس وكان حول المصلى مقصورة من لبن اتخذها عثمان لما طعن عمر يتيق بها الأشرار — وقد ذكرنا ذلك قبلا وترى هذا المحراب فى (الرسم ١٨٥) ؛ (٣) المحراب الحنفى ويعرف اليوم بالمحراب السليمانى وهو غربى المنبر على حد المسجد القديم من جهة القبلة وقد بناه « طوغان شيخ » بعد سنة ٨٦٠ هـ . وكان الناس من عهد الرسول يصلون الى إمام واحد يقف بالمحراب النبوى وفى أيام الموسم يقف بالمحراب العثمانى من الزحام فأراد طوغان أن يصلى بالحنفية إمام لهم بالمحراب الذى أحدثه ، فقام المصلحون الواقفون عند السنة فى وجهه فما كان منه

= بالنهى عن اتخاذه وأنه من شأن الكنايس وأن اتخاذه فى المساجد من أشرط الساعة ، ثم ذكر المؤلف ما أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى من أن أول من أحدث المحراب الجوف عمر بن عبد العزيز وما أخرجه أيضا عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا هذه المذابج يعنى المحاريب ، وتكلم على رجال هذا الحديث وبين أنه حديث ثابت ثم ذكر ما رواه البزار فى مسنده عن عبد الله بن مسعود أنه كره الصلاة فى المحراب وقال : إنما كانت للكنايس فلا تشبهوا بأهل الكنايس يعنى أنه كره الصلاة فى الطاق وذكر حديثا مرسلًا رواه ابن أبى شيبه فى مصنفه عن موسى الجهنى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال هذه الأمة أوقال أمتى بخير ما لم يتخذوا فى مساجدهم مذابج كذابج النصارى ثم ذكر ما رواه ابن أبى شيبه أيضا عن أبى ذر أنه قال : إن من أشرط الساعة أن تتخذ المذابج فى المساجد ، وروى أيضا عن عبيد ابن أبى الجعد قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون : إن من أشرط الساعة أن تتخذ المذابج فى المساجد يعنى الطافات ، وذكر أيضا ما رواه عبد الرزاق فى مصنفه عن كعب قال : يكون فى آخر الزمان قوم يزيئون مساجدهم ويتخذون بها مذابج كذابج النصارى فإذا فعلوا ذلك صب عليهم البلاء ، وذكر بعد ذلك حديث الطبرانى فى الأوسط عن جابر بن أسامة الجهنى قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه بالسوق فقلت : أين تريد يا رسول الله ؟ قال : نريد أن نخط لقومك مسجدا فأنتيت وقد خط لهم مسجدا وغرزنى قبلته خشبة فأقامها قبلة ، وفى آخر الرسالة أنها تمت على يد مصطفى جربجى بن أيوب جربجى الشافعى وأن ذلك فى يوم السبت ٣ ذى الحجة سنة ١٢٨١ هـ فى الساعة ١١ والدقيقة ٤٥

إلا أن سعى فى الدولة المصرية حتى أجازت له ما رغب فيه ، فكان يصلى بالحنفية
 إمام لهم بالمحراب البدعى بعد صلاة الناس وراء إمام شافعى يقف بالمحراب النبوى
 وكانا يصليان التراويح معا ، واستمر الأمر على ذلك الى سنة ١٢٢٩ هـ . أيام السلطان
 محمود فسعى محمد على باشا الذى قدم الى المدينة زائرا بعد فتنة الوهابية — لدى الدولة
 فى تقديم إمام الحنفية على إمام الشافعية فقسم الأمر بينهما وصار كل منهما يصلى
 يوما وليلة فى المحراب النبوى ويوما وليلة فى محراب الحنفية ولا يتقدم إمام الشافعية
 إلا فى صلاة الصبح ويصلى إمامهم بالمحراب النبوى فى أيام المواسم بعد انصراف
 إمام الحنفية من المحراب العثمانى — شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وفرقوا
 جماعات المسلمين فى عبادة توحيد بين القلوب فاللهم اهدنا صراطك المستقيم . وقد
 رخم هذا المحراب بالرخام الأبيض والأسود السلطان سليمان سنة ٩٣٨ هـ . ولهذا
 سعى بالمحراب السليمانى ومكتوب على هذا المحراب بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ نَرَى
 تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ . ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
 وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الخ صدق الله العظيم وصدق نبيه الكريم ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ
 الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ صدق الله العظيم اللهم صل على سيدنا محمد
 وآله ، أنظر المحراب فى (الرسم ١٨٦) وتجد به « الملك الحق المبين » وامرأة ساجدة
 أمامه ؛ (٤) محراب التهجد وهو خلف حجرة فاطمة خارج المقصورة الدائرة عليها ،
 وعلى الحجرة الشريفة من جهة الشمال ويقال إنه فى متهجد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، والمعروف أن تهجده فى غير قيام رمضان كان ببيته ، وقد جدّد هذا المحراب
 فى عمارة السلطان عبد المجيد وكتب فيه ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَنَى
 أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّجِيدًا ﴾ ؛ (٥) محراب فاطمة جنوبى محراب التهجد داخل
 المقصورة مبنى على الأسطوانة الملاصقة للصندوق المقام على قبر فاطمة المزعوم ؛

(٦) المحراب الذي شمالي دكة الأغوات أو مسطبتهم وهو محدث في العمارة الأخيرة وكان في موضعه مصلى مشايخ الحرم في الأعصر الحالية ويصلى به الآن شيخ الحرم صلاة التراويح .

المنبر النبوي — كان صلى الله عليه وسلم يخطب غير مستند الى شيء ثم خطب الى جذع يعتمد عليه اذا طال قيامه ثم بدا له أن يتخذ منبرا فاتخذ من الطرءاء (الأثل) ذا درجات ثلاث وكان يقف على الثالثة، فلما خطب أبو بكر نزل درجة ثم عمر درجة ثم على درجة يكبر كل سلفه، وقام عثمان على الدرجة السفلى ست سنين ثم رقي حيث كان يرقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتقده الصحابة وهو أول من كسا المنبر ثيابا قبطية، ولما قدم معاوية الى المدينة عام حج حرك المنبر وأراد أن يخرج به الى الشام فكسفت الشمس يومئذ حتى رؤيت النجوم، فأعتذر معاوية الى الناس وقال: أردت أنظر الى ماتحته وخشيت عليه من الأرضة، وزاد فيه مروان عامله على المدينة ست درجات من أسفله وقال: إنما زدت فيه لما كثرت الناس فصار المنبر تسع درجات بالمجلس، وكان الخلفاء يقفون على السابعة وهي الأولى من المنبر النبوي، واستمر المنبر على هذا حتى احترق المسجد سنة ٦٥٤ هـ . فاحترق ثم جدد المظفر صاحب اليمن منبرا له رمانتان من الصندل وضع موضع الأول سنة ٦٥٦ هـ . ثم غير بمنبر أرسله الظاهر بيبرس، ثم غير هذا بمنبر للظاهر برقوق أرسله سنة ٧٩٧ هـ . ثم استبدل الأخير بمنبر أرسله المؤيد سنة ٨٢٠ هـ . وقد احترق سنة ٨٨٦ هـ . فأقام أهل المدينة منبرا من الآجر المطلي بالنورة غير بمنبر من الرخام بعث به الأشرف قايتباي سنة ٨٨٨ هـ . ثم نقل هذا الى مسجد قباء ووضع مكانه منبر من الرخام أرسله السلطان مراد سنة ٩٩٨ هـ . ولا يزال الى يومنا هذا، ولهذا المنبر اثنتا عشرة درجة ثلاث منها خارج بابه وتسع منها داخله وهو من عجائب الدنيا لا يوجد له مثيل، هذا وقد روى بضعة عشر رجلا من الصحابة أن الجذع الذي كان يخطب اليه صلى الله عليه وسلم حن إليه لما فارقه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده عليه فسكن، والراجح أن ذلك الجذع مدفون بين المنبر ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومكتوب على المنبر بأعلى بابه الآيات الآتية :

أرسل السلطان مراد بن سليم * مستريدا خير زاد للعباد
دام في أوج^(١) العلا سلطانه * آمنا في ظله خير البلاد
نحو روض المصطفى صلى عليه * ربنا الهادي به كل العباد
منبرا قد أسست أركانه * بالهدى واليمن من صدق الفؤاد
منبرا يعلى الهدى إعلاؤه * دام منصوبا لأصحاب الرشاد
قال سعد ملهما تاريخه * عمر منبرا سلطان مراد

سنة ٩٩٨ هـ

انظر شكل الخطيب يوم الجمعة في (الرسم ٣٢٦) لابساً عمامة تسمى الكودبان^(٢)
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصورة — كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بيت في الجنوب الشرقى للمسجد يعرف ببيت عائشة وكان جنوبيه
بيت حفصة يفصله عنه طريق ضيق وكانت بقية البيوت التى يسكنها أزواجه التسع
جنوبى المسجد الى محاذة محرابه الآن وشرقيه الى ما بعد باب النساء وفى شماليه
الى ما يحاذى منبره صلى الله عليه وسلم بين باب الرحمة وباب النساء ولم يكن ملاصقا
للمسجد منها إلا بيت عائشة رضى الله عنها، وكان له بابان : أحدهما غربى داخل
المسجد ، والآخر شمالى وقيل غير ذلك، وكان فى كل بيت من بيوت أزواجه حجرة
مبنية بالجريد عليه أكسية الشعر أما البيوت فكانت من اللبن والجريد ولم تكن
السقوف مرتفعة بل كانت قصيرة تنال باليد ، ولما توفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ . دفن بحجرة السيدة عائشة رأسه الى الغرب
ووجهه الشريف نحو القبلة ، ولما توفى أبو بكر فى ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ .
دفن الى جانبه من جهة الشمال رأسه خلف منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ولما طعن عمر استأذن عائشة أن يدفن مع صاحبيه فأذنت له ، فلما توفى فى ٢٧
ذى الحجة سنة ٣٢ هـ . دفن فى جوارهما شمالي أبى بكر رأسه عند منكبه وبذلك

(١) الأوج : ضد الهبوط . (٢) كهينة عمامة الخلفاء العباسيين وملوك آل عثمان .

كان بيت عائشة قسمين قسم به القبور وقسم كانت تسكنه وبينهما حائط ، وكانت تدخل أحيانا حيث القبر سافرة فلما دفن عمر لم تدخله إلا مقنعة محافظة على الحجاب في الحياة وفي انمات لله هذه الآداب وتلك الأخلاق .

وقد أعيد بناء الحجرة باللبن في عهد عمر رضى الله عنه ولما كانت خلافة الوليد ابن عبد الملك أدخل عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز بيوت الأزواج في المسجد وأقام بناء حول الحجرة التي بها القبور جعله خمسا ولم يجعله مربعا خشية أن يستقبله الناس كما يستقبلون الكعبة ، وقد ذرع السهمودى الحجرة الداخلية فاذا بصلعها الجنوبية من الداخل عشرة أذرع وثلاث ذراع ، وصلعها الشمالية أحد عشر ذراعا و $\frac{5}{12}$ من الذراع ، وطول كل من الصلعتين الشرقية والغربية $\frac{5}{8}$ أذرع — الذراع ٤٩ سنتيا — وارتفاع الحجرة ١٥ ذراعا ، وطول الصلعتين الجنوبية من الدائر الخمس ١٥ ذراعا إلا قليلا ، وطول الشرقية منه $\frac{1}{2}$ ١٢ ذراعا وطول الغربية $\frac{1}{2}$ ١٦ ، وطول الصلعتين الشرقية والشمالية $\frac{1}{2}$ ١٢ ، وطول الغربية الشمالية ١٤ ذراعا ، وارتفاع الدائر الخمس من أرض المسجد ثلاثة عشر ذراعا وثلث ، وبين جدر الحجرة والدائر الخمس فضاء واسع من جهة الشمال ونحو ذراع من جهة الشرق والجنوب ولكنه يضيق الى شبر تجاه وجهه صلى الله عليه وسلم ، أما الجداران الغربيان فليس بينهما فضاء ولم يتغير هذا الوضع الى يومنا هذا .

وكانت الحجرة مستقوفة بالخشب سمر بعضه فوق بعض وجعل عليه ثوب مشمع ثم أقام عليها أحمد بن البرهان عبد القوى ناظر قوص وقيل الملك المنصور قلاوون سنة ٦٧٨ هـ . قبة مربعة من أسفلها مئذنة من أعلاها صنعت من خشب أقيم على رؤوس الأساطين المحيطة بالحجرة وسقفت بألواح منه فوقها ألواح الرصاص منعاً للطر أن ينزل داخل الحجرة ، وهذه القبة مبدؤها من سقف المسجد وهو مواز لسقف حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذى وصفناه والذى احترق فى حريق المسجد الأول سنة ٦٥٤ هـ . وقد جدد القبة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . وجدد ألواح الرصاص الأشرف شعبان سنة ٧٦٥ هـ . وكذلك

الظاهر جقمق ولما احترق المسجد للمرة الثانية جدد الأشرف قايتباي سنة ٨٨٦ هـ .
 القبة وجعلها على حائط الحجر وبنّاها بالحجر الأسود المنحوت وكلّها بالحجر الأبيض
 وكانت قبل من الخشب ، وبلغ ارتفاعها من أرض الحجر إلى مركز دلالها
 ثمانية عشر ذراعاً وربعا ، وهذه القبة لا يراها الآن من بأرض المسجد لأن الدائر
 الخمس الذي تسدل عليه الكسوة يمنع من رؤيتها ، وقد بنى قايتباي فوق هذه القبة
 قبة أخرى عظيمة اتخذها دتائم وأساطين حول الدائر الخمس ، ولم يكد يتم بناؤها
 حتى تشققت أعاليها فأعيد بناؤها محكما بعد أن أخذ لها الجبس الأبيض من مصر
 وكان ذلك سنة ٨٩٢ هـ . وهذه القبة مزينة بالنقوش الجميلة وفيها طراز كتب
 في جهته الغربية : أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجي
 عفور به القدير قايتباي ، وفيها من الشبايك والطاقات ست وسبعون ، وقد حدث
 بها شقوق في زمن السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد فأمر بتجديدها فهدم أعاليها
 وأعيد بناؤها متقنا وذلك سنة ١٢٣٣ هـ . ثم أمر بصبغها فصبغت باللون الأخضر
 وكان لونها قبل أزرق لون الرصاص الذي عليها ثم صارت تصبغ باللون نفسه كلما
 خف سابقه من تأثير الشمس .

وقد حفر حول الحجر خندق عميق صب فيه الرصاص حتى لا يستطيع أحد
 أن يصل إلى جثة النبي صلى الله عليه وسلم كما حاول ذلك بعض النصاري
 سنة ٥٥٧ هـ . في زمن الملك العادل نور الدين الشهيد ولما فطن لذلك أمر بهذا
 الحاجز الرصاصي .

وكان في الجدار القبلي من الخارج تجاه رأسه صلى الله عليه وسلم مسمار من فضة
 وضع علامة على الرأس فعوض ذلك بقطعة من الألماس أقل من بيضة الحمام وتحتها
 قطعة أخرى أكبر منها وكتاتهما مشدود بالذهب والفضة ويطلق عليهما الكوكب
 الدرّي وقد أهداه إلى الحجر السلطان أحمد خان بن السلطان محمد خان ، والقطعة الكبيرة
 تساوى ٨٠٠٠٠ دينار ، وتحت هاتين القطعتين حجر من الألماس مرصع بالجواهر
 الكريمة المشدودة عليه بالذهب والفضة أهداه السلطان مراد بن السلطان أحمد خان



قسم من الروضة النبوية والحجرة الشريفة من جهة الغرب بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة



الروضة النبوية والحجرة الشريفة من جهة الغرب بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة

188. Section of the Prophet's Rawdah (Sacred burial place) and the Holy Sepulchre as seen from the West in the Prophet's Mosque at Medina.

سنة ١٠٤٧ هـ . وفي سنة ١١٥٤ هـ . أرسلت جواهر أخرى مما غنمها المسلمون من فتح بلغراد فوضعت تحت الأحجار السابقة ، وفي سنة ١٢٩١ هـ . أهدت الملكة العادلة أخت السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود صفيحة من الذهب طولها ثلاثة أرباع الذراع في عرض أربعة أصابع كتب فيها بخط جميل : لا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك بأحرف ذهبية مثبتة في الصفيحة مرصعة بالألماس البرلتي ولها سلسلة ذهبية علقت بها فوق الكوكب الدرّي ومكتوب على الحجرة في جهاتها المختلفة شعر ريك أبي قلهمي أن يخط منه إلا هذين البيتين

إني توسلت بالمختار أشرف من * رقى السماوات به الواحد الأحد

رب الجلال تعالى الله خالقه * فشله في جميع الخلق لم أجد

(أنظر الرسم ١٨٠) ففيه الجهة الغربية الشمالية من الحجرة وبه النجفة الكبيرة

وشباك حديدى بالحجرة من جهة الغرب وهو مسبوك بالرصاص ، وفي (الرسم ١٨٨)

الحجرة من الجهة الغربية القبالية وظاهر بوسط الرسم باب الوفود ويسمى باب التوبة

وستائر الحرير الأخضر، وترى بجوار الباب شباكاً في الحظيرة النحاسية بجواره شخص

يقرأ في كتاب فشخص آخر، وكذلك ترى في وسطه «كلوبا» للإضاءة كالذى نراه

بمصر ولكن بدل بذلك مصابيح كهربائية، وهذه الأعمدة التى تراها فى الروضة بينها

عوارض خشبية دقت فيها مسامير لمنع العصافير أن تقف عليها حتى لا يلوث

المسجد .

وحول الدائر الخمس وقبر فاطمة المزعوم سور نحاسى مستطيل يطلق على

ما بداخله المقصورة، وأول من أحدث هذا السور الظاهر ببيرس سنة ٦٦٨ هـ .

وكان من خشب وكان ارتفاعه نحو القامتين فزاد فى طوله الملك العادل «كتبغا» حتى

وصله بسقف المسجد ثم جعل فى سنة ٨٨٠ هـ . من الشباك النحاسية وجعل متصلاً

بالعقود التى حول الحجرة وجعل سور نحاسى مشبك يفصل حجرة فاطمة أو قبرها المزعوم

عن الدائر الخمس وما يليه — وكل هذا في زمن قايتهبى^(١) — فصار لفاطمة مقصورة مستقلة ولكنها تتصل بالمقصورة الكبيرة ببايين، والحجرة تطلق في عرف أهل المدينة على المقصورة وأبوابها تسمى أبواب الحجر الخ، وللمقصورة ستة أبواب: باب قبلى يسمى باب التوبة، وباب شرقى يسمى باب فاطمة، وباب غربى يطلق عليه باب الوفود، وباب شامى يسمى باب التجدد، وبابان على يمين المثلث ويساره داخل المقصورة، وأول من كسا الدائر الخمس الخيزران أم هارون الرشيد كسوته من الزناير وشبائك الحرير ثم ابن أبى الهيجاء وزير ملك مصر كساها الديباج الأبيض عليه الطرز والجمامات المرقومة، وجعل عليه زنارا من الحرير الأحمر كتبت فيه سورة يس ثم أرسل المستضىء بعد ذلك بستين كسوة من الديباج البنفسجى المطرز عليها اسمه وضعت مكان الأولى، ثم كساه الديباج الأسود الخليفة الناصر ثم صارت ترسل الكسوة من مصر كل ٦ سنين من الديباج الأسود المرقوم بالحرير الأبيض وعليها طراز منسوج بالذهب والفضة ثم ملوك آل عثمان من بعد ذلك، وكلما وردت كسوة جديدة قسمت القديمة، وقد تقدم ذكر الستائر التى للأبواب والمحاريب وغيرها ويقال أن أول من جعل الستائر على الأبواب زياد بن عبيد الله الحارثى سنة ١٣٨ هـ .
أنظر قطعة من كسوة الدائر الخمس فى (الرسم ١٨٧) .

أبواب المسجد — ذكرنا فيما سلف أثناء الكلام على عمارة المسجد نبذاً تتعلق بالأبواب ونقول هنا إن الأبواب التى كانت بالمسجد بعد زيادة المهدي أربعة وعشرون باباً بخوخة أبى بكر رضى الله عنه أربعة فى القبلة خاصة غير عامة وعشرون عامة، ثمانية فى المشرق وثمانية فى المغرب، منها خوخة الصديق وكانت شارعة فى الرحبة وأربعة فى الجهة الشامية، وقد سدت هذه الأبواب أثناء العمارات.

(١) وقد جاء فى الجزء الثانى من تاريخ ابن أياس (ص ٢٢٠ و ٢٣٢) أن قايتهبى أرسل هذه الشباك النحاسية مع المحمل فى شوال سنة ٨٨٨ هـ وأن زنتها ٤٠٠ فنطار حملها إلى المدينة ٧٠ جملاً وأرسل معها مصحف كبيراً نادر المنال حمل على حمل بمفرده، وهذا المصحف بخط شاهين التورى الذى مات ولم يمه فآتمه الشيخ خطاب بأمر السلطان .

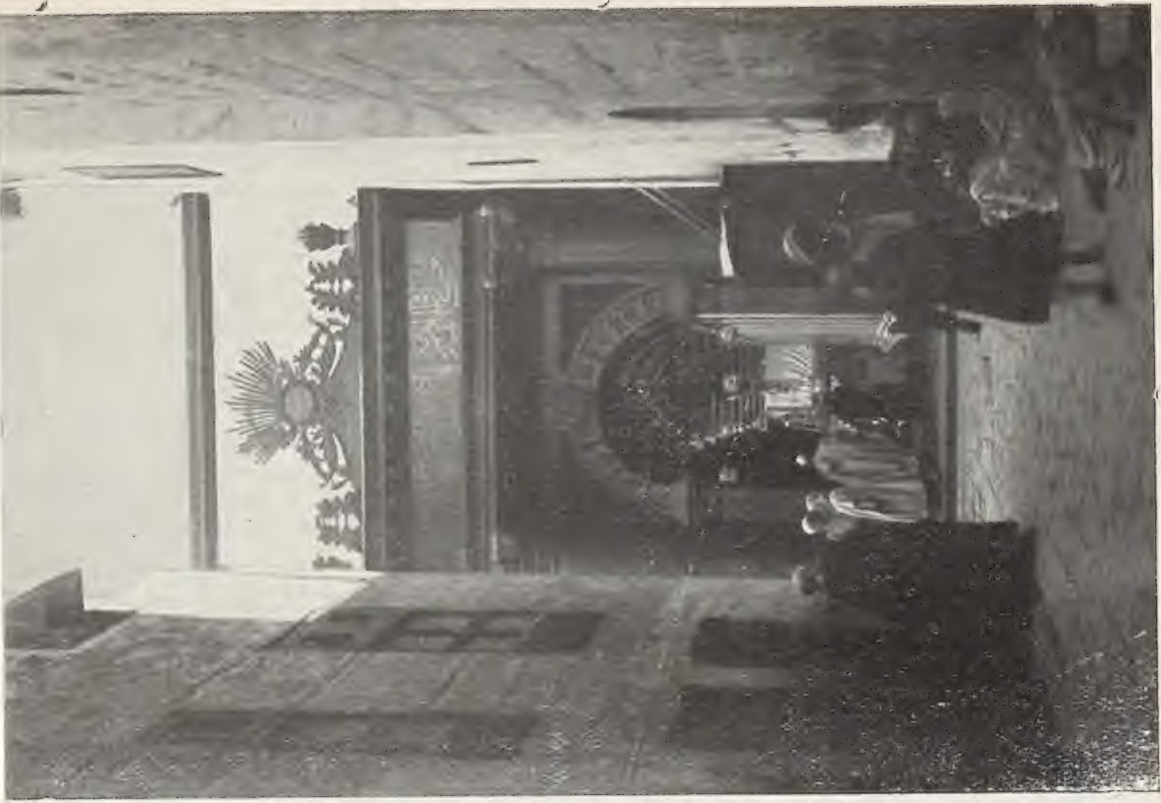
مَنْظَرُ كِسْوَةِ الْحِجَةِ النَّبَوِيِّ الشَّيْفَةِ مِنْ الدَّخْلِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ لَهُ شُكْرًا

187. Cover of the Prophet's Sepulchre as seen from inside.





189. The door of Mercy in the Prophet's Mosque at Medina.

باب السلام في المسجد النبوي بالمدينة المنورة

صفحة ٤٧٧



190. The door of El Salam in the Prophet's Mosque at Medina.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ لَهُ شَاكِرِينَ

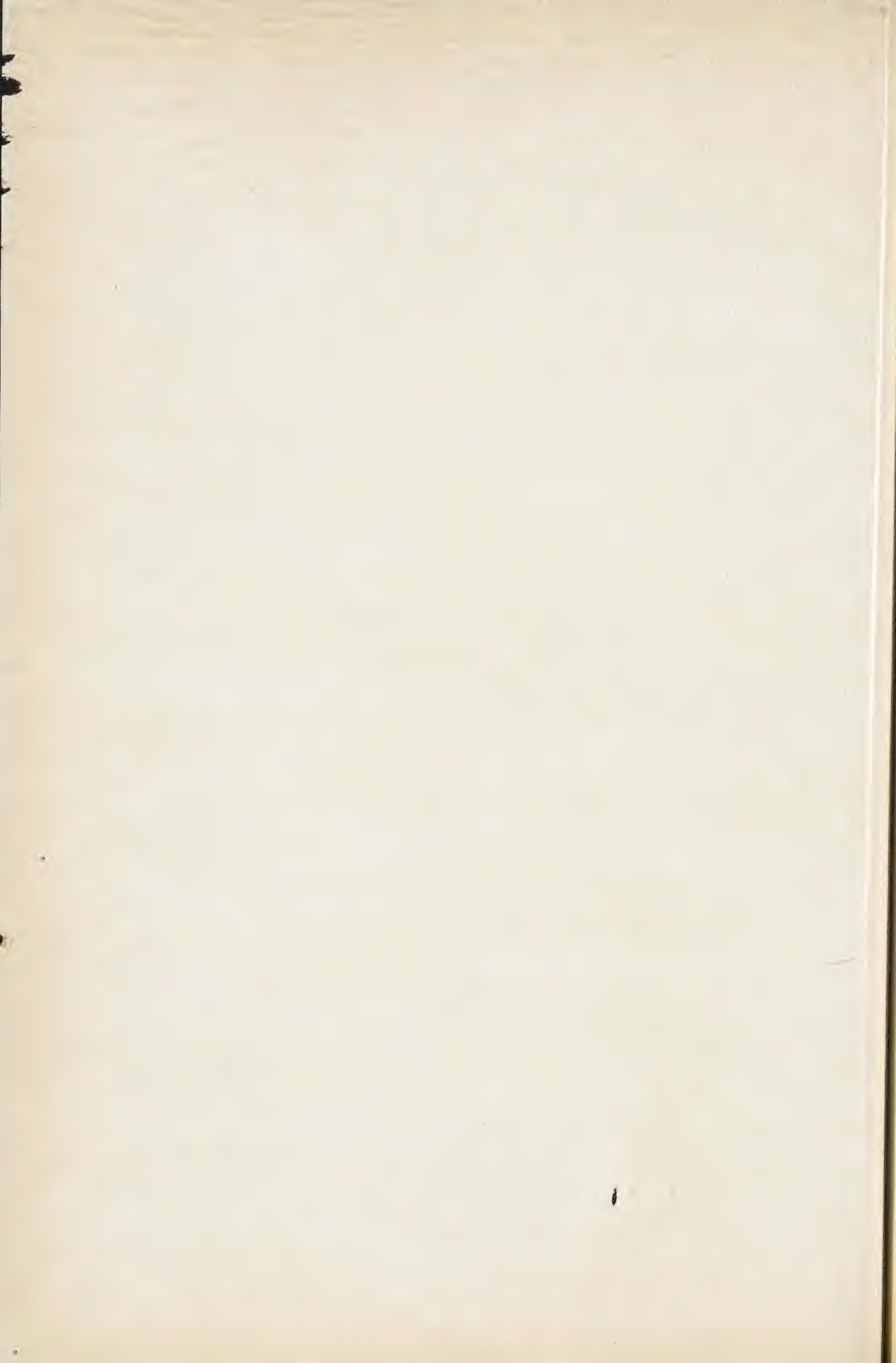
المختلفة ولم يبق منها إلا الأربعة التي في شرق المسجد وغربه ، أما الذي في الشمال فأحدث في عمارة السلطان عبد المجيد كما قدمنا بجملة الأبواب خمسة . (١) باب السلام في المغرب وكان يعرف بباب مروان لملاصقته لداره التي كانت في قبلة المسجد مما يلي الباب المذكور ، وفي موضع تلك الدار ميضأة أنشأها المنصور قلاوون سنة ٦٨٦هـ . ثم أبدل بها أخيرا مدرسة السلطان بشير آغا ، ونقلت الميضأة الى غربى المسجد مقابل رأس الزقاق المعروف بزقاق الزرندي على يمينك وأنت ذاهب الى الباب المصرى ، والزقار يدخلون في الأكثر من هذا الباب لكون طريقه أخصر الطرق من باب المدينة ، ومكتوب على هذا الباب ﴿ إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ أُدْخِلُوها بِسَلَامٍ آمِينَ ﴾ وذلك بالنحاس الأصفر ، وعليه من الخارج الكتابة الآتية : فداك أبى وأمى يارسول الله اللهم أيد بالنصر والعز السلطان عبد العزيز خان بن السلطان عبد المجيد خان — الى أن يصل بالنسب الى رأس الأسرة العثمانية السلطان عثمان خان — أيد الله ملكه الى آخر الزمان ونهاية الدوران أنظر (الرسم ١٩٠) ؛

(٢) باب الرحمة في الغرب أيضا وكان يعرف ببית عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية لمقابله لدارها وباب السوق لأن السوق أولا كان في هذه الجهة أما الآن بجهة باب السلام ويقال أن سبب تسميته بباب الرحمة أن أعرابيا دخل منه يوم الجمعة فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستمطر فدعا فطروا سبعا حتى روى الناس والزرع ، ثم دخل منه في الجمعة التالية فطلب من الرسول أن يدعو برفع المطر خوفا على الأبنية وخشية الغرق فانتشعت السحب عن المدينة ، وهذه القصة في صحيح البخارى ومكتوب على هذا الباب من الخارج قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ومن الداخل قوله ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ أنظر (الرسم ١٨٩) وقد جرت سنة أهل المدينة بإدخال جنائزهم من هذا الباب تفاؤلا بأن الله يرحم موتاهم ، وخارج هذا الباب صناير — حنفيات — للوضوء كتب على بنائها ما يأتي :

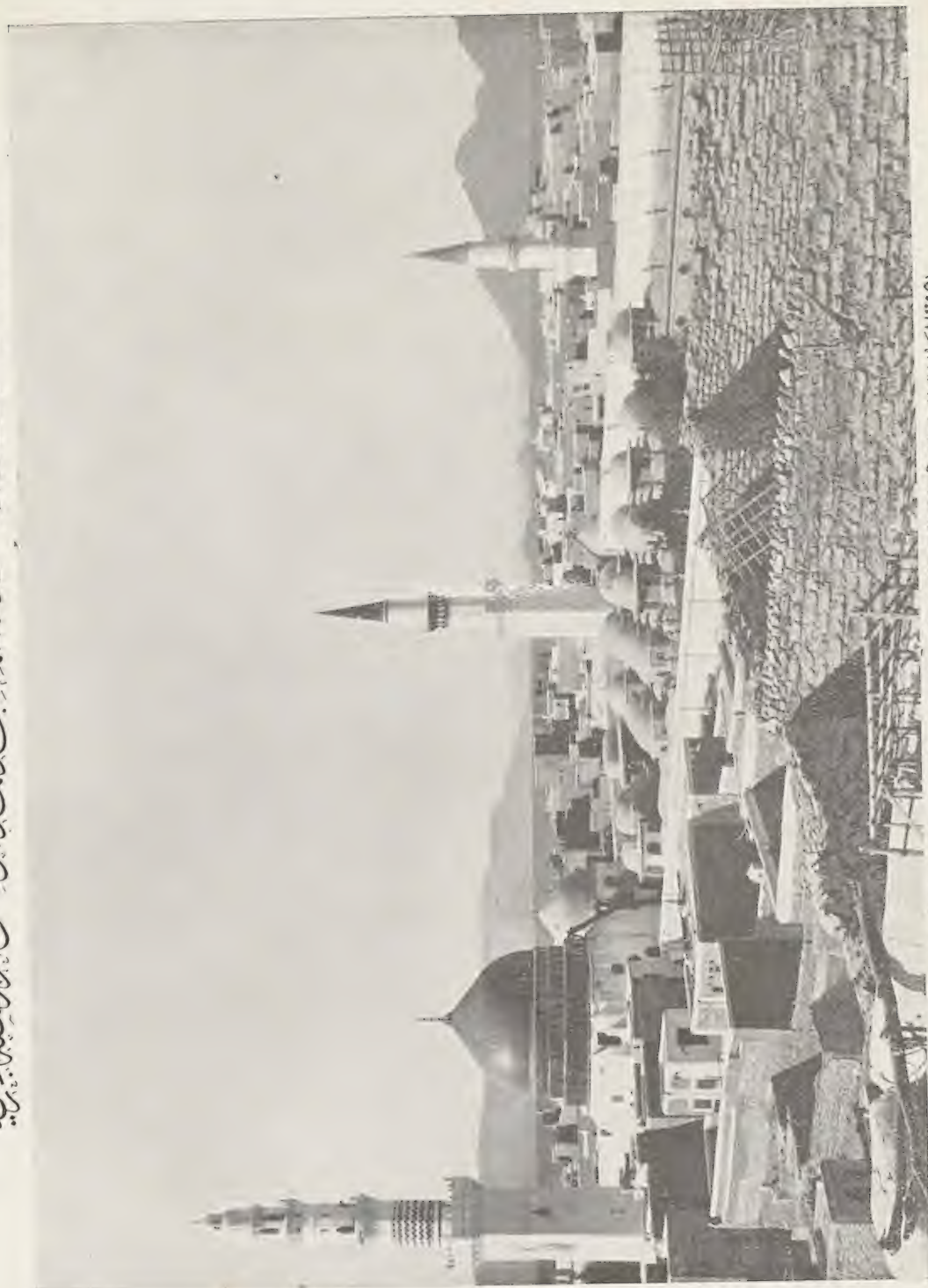
أعظم بخير خليفة سلطاننا * عبد المجيد المجد ذى الأمر الرشد
المغلق الحرمين جارى فضله * من فيض عين خزائن دوما يمد
من هذه بعض أوقاف له * تجرى معينا بالظهور لمن ورد
تاريخها بحريم أرفع مسجد * حنفية يبق بها النفع الأبد

سنة ١٢٦١

وبين باب الرحمة وباب السلام حجرة يعرف بابها بنحوخة أبى بكر رضى الله عنه،
وهى فى محاذة خوخة أبى بكر التى كانت بالحدار الغربى بالمسجد الأصيل، وكان
بينهما أيضا دار القضاء التى كانت لعمر بن الخطاب وأوصى أن تباع فى دينه فبيعت
من معاوية فسميت دار قضاء الدين، وقد هدمها زياد بن عبيد الله الحارثى فى ولايته
سنة ١٨٨ هـ . وجعلها رحبة للمسجد ثم بنى فى مكانها الحصن الذى كان ينزله
أمرء المدينة ثم صارت رباطا لغياث الدين سلطان بنجاله سنة ٨١٤ هـ . ثم دخلت
فى رباط ومدرسة الأشرف قايتباى اللذين بناهما سنة ٨٨٨ هـ . ثم صارت المدرسة
محكمة ينزل بها قضاة المدينة، ولما انتقلوا إلى المحكمة التى بالساحة تخربت المدرسة
فأقام السلطان عبد المجيد على أنقاضها مدرسته التى بها المكتبة العظيمة وبنى بجوارها
دارا لناظر المدرسة سنة ١٢٣٧ هـ . ثم جددهما السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٧ هـ،
(٣) الباب المجيدى أو باب التوسل فى شمالى المسجد وهو من إنشاء السلطان
عبد المجيد سنة ١٢٦٧ هـ . وعلى يسار هذا الباب وتجاهه مكانان للوضوء بالثانى منهما
بيوت أدب؛ (٤) باب النساء فى الجهة الشرقية وهو من محدثات عمر رضى الله عنه
سمى بذلك لأن عمر قال حين بناه : لو تركناه للنساء، وكان فى مقابلة هذا الباب دار
رِيطَة ابنة السفاح العباسى، وفى شرقها دار أبى بكر رضى الله عنه التى فى موضعها
الآن زاوية الشيخ عبد القادر الجيلانى أو زاوية السمان ومكتوب على هذا الباب
(الله ولى التوفيق) قال الله تبارك وتعالى جل وتقدس ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ وَآتِ
الزَّكَاةَ — الآية — ﴾ صدق الله ربنا العظيم وصدق نبيه الكريم ﴿ وَادْكُرْ مَا يُتْلَى
فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾ ومكتوب على المصراع
الأيمن (يا مفتح الأبواب) وعلى الأيسر (أفتح لنا خير باب) ثم عكس ذلك بالكتابة،



في شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٦ هـ



وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ

183. The view of the domes of Mohamed the Prophet, Abu Bakr and Omar at Nabi Mosque

of the

...

منابر المسجد النبوى وصور المدينة من الجهة الشرقية بالبقيع سنة ١٣٢١



191. The interior of the Mosque of Medina as seen from the North.

قصر عبله فى طريق الوجه سنة ١٣٢٦



قصر عبله على طريق الوجه سنة ١٣٢٦

192. The Palace of Abla on the route from Al Wagh.

ومكتوب على هذا الباب من الداخل فوق العقد ﴿لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وتحت العقد فوق العتبة ، قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَاعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ؛ (٥) باب جبريل في الشرق جنوبي باب النساء ويعرف قديما باب عثمان لمقابله دار آل عثمان وسمى باب جبريل لأنه أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم عند هذا الباب وأمره أن يغزو بني قريظة بعد انصرافه من غزوة الخندق .

ومكتوب على هذا الباب البديع الصنع بالخط الثالث الجميل ، قال الله العليم الخبير في كتابه العزيز ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ صدق الله خالقنا رب العالمين ومكتوب على مصراعيه ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَفْتُحَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ .

مآذن المسجد — لم يكن بالمسجد مآذن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده وإنما كان يؤذن على أسطوانة بدار عبد الله بن عمر التي تعرف الآن بدار العشرة وهي في قبلة المسجد ، وكان بلال يرقى إليها على سبعة أقتاب — القتب الإكاف على قدر سنّام البعير — فلما كانت زيادة الوليد أحدث عمر بن عبد العزيز عامه على المدينة أربع مآذن في كل زاوية مئذنة ، وكانت المئذنة التي عند باب السلام مطلة على دار مروان فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن فأطل عليه فأمر بتلك المئذنة فهدمت إلى أن أعادها في سنة ٧٠٦ هـ . السلطان محمد بن قلاوون وقيل أعادها شيخ الخدم شبل الدولة كافور المظفرى ، والمئذنة التي بباب الرحمة أنشأها قايتباي ، وكل المآذن حصل فيها تجديد وترميم إلا المئذنة المذكورة ، أنظر المآذن في (الرسم ١٧١) الذي ترى فيه سور المدينة من الجهة الشرقية ، وأنظر الرسمين (١٨٣ و ١٧٨) وقد سبق عد المآذن والكلام على عمارتها وترميمها فلا داعي للتكرار .

تجدير المسجد — أول من جمره عمر بن الخطاب ثم تبعه الخلفاء إلى يومنا هذا فيؤتى كل عام بمقدار من العود والعنبر وغيرهما من أنواع الطيب ويحمر به

المسجد ليلة الجمعة ويومها والحجرة كل ليلة ، وكانت الحجرة في زمن عمر من فضة . وقد أهدى الى المسجد كثير من المجامر الذهبية والفضية المرصعة بالجوهر الثمينة ، وأكثر المهديين من ملوك آل عثمان . وقد جعلوا لمن يقوم بالتجمير كل شهر خمسمائة قرش رزقا معلوما كل شهر .

آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم — يحسن بنا في هذا المقام أن نورد لك نبذة مما كتبه في مناسك الحج شيخ الاسلام ابن تيمية عن الزيارة الشرعية والزيارة البدعية قال : وإذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فإنه يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه ، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، ولا تشد الرحال إلا إليه وإلى المسجد الحرام وإلى المسجد الأقصى هكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو مروي من طرق أخر ، ومسجده كان أصغر مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيدي في جميع الأحكام ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فإنه قال : ما من رجل يسلم على إلا رد الله على روحه حتى أرد عليه السلام — رواه أبو داود وغيره — وكان عبد الله بن عمر يقول إذا دخل المسجد : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف ، وهكذا كان الصحابة يسلمون عليه ويسلمون عليه مستقبل الحجرة مستدبري القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد . وأبو حنيفة قال : يستقبل القبلة فمن أصحابه من قال يستدبر الحجرة ومنهم من قال يجعلها عن يساره ، واتفقوا على أنه لا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا يصلي إليها وإذا قال في سلامه : السلام عليك يا رسول الله يا نبي الله يا خيرة الله من خلقه يا أكرم الخلق على ربه يا إمام المتقين فهذا كله من صفاته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك إذا صلى عليه مع السلام فهذا مما أمر الله به ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة فإن هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك ، ولا يقف عند القبر

للدعاء لنفسه فإن هذا بدعة لم يكن يفعلها الصحابة إنما كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده فإنه صلى الله عليه وسلم قال : اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقال : لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا علىّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني وقال : أكثروا علىّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علىّ فقالوا : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي بليت قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فأخبر أنه يسمع الصلاة والسلام من القريب وأنه يبلغ ذلك من البعيد وقال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد — يحذرنا فعلوا — قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً — أخرجاه في الصحيحين — فدفتته الصحابة من موضعه الذي مات فيه من حجرة عائشة ، وكانت هي وسائر الحجر خارج المسجد من قبله وشرقيه حتى أدخلها عمر بن عبد العزيز في المسجد ومن ضمنها حجرة عائشة التي بناها منحرفة عن القبلة مسنمة لثلاث يصلي أحد إليها فإنه قال صلى الله عليه وسلم : لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها . رواه مسلم عن أبي هريرة الغنوي .

وزيارة القبور على وجهين زيارة شرعية وزيارة بدعية ، فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له كما يقصد ذلك بالصلاة على جنازته ، فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه ، فالسنة أن يسلم على الميت ويدعوه سواء كان نبياً أو غير نبى كما كان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم ، وهكذا يقول إذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة أو غيرهم أو زار شهداء أحد وغيرهم ، وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم مستحبة عند أحد من أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي ليس فيها قبر أحد من الأنبياء والصالحين وغيرهم أفضل من الصلاة في المساجد التي فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي على القبور إما محرمة وإما مكروهة .

والزيارة البدعية أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت أو بقصد الدعاء عند قبره أو بقصد الدعاء به فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا أستحبه أحد من سلف الأمة وأئمتها، وقد كره مالك وغيره أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اللفظ لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بل الأحاديث المذكورة في هذا الباب مثل قوله : من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمننت له على الله الجنة، وقوله : من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زارني بعد مماتي حلت عليه شفاعتي ونحو ذلك كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة ليست في شيء من دواوين الاسلام التي يعتمد عليها ولا نقلها إمام من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا نحوهم ولكن روى بعضها البزار والدارقطني ونحوهما بأسانيد ضعيفة، ومن عادة الدارقطني وأمثاله أن يذكرها هذا في السنن ليعرف وهو وغيره يبينون ضعف الضعيف من ذلك، فإذا كانت هذه الأمور البدعية منها عنها عند قبره وهو أفضل الخلق فالنهي عن ذلك عند قبر غيره أولى وأحرى .

وإلى هنا تم الكلام على المدينة وحرمتها ومسجدها وآثارها وأن أوان الرحيل إلى ديارنا فلنسر على بركة الله تعالى .

السفر من المدينة

الاحتفال بالسفر من المدينة — بجزت العادة أن يقيم ركب الحمل زينة قبل سفره ليلة وقد أقننا هذه الزينة مساء يوم الأحد ٢٣ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . وقد هرع الأهالي والضباط والعساكر العثمانية لمشاهدتها، وقد أحيينا هذه الليلة بتلاوة المولد النبوي، والقائم بتلاوته جندي من الحرس يحسن الإلقاء ويحيد قراءة القرآن بصوت جميل ويعرف القراءات، وقد اشتد الزحام حتى اضطرت لاستحضار جميع كراسي الأمير والأمير وفرشت جميع ما عندنا من السجادات و"الأكلية"، وشرفنا جمع من الأكابر من بينهم السيد علي زين العابدين الحبشي الغفيف القانع والتقى الزاهد وقد هاديته من ملابس كنت أحضرته معي من مصر وبزجاجتين

صغيرتين بهما روح النعناع والبرتقال ، وقدمنا لكل من حضر الشربات والشاي ووزعنا عليهم قراطيس صغيرة فيها الملبس كعادة أهل المدينة والحجاز وأستمرت الحفلة إلى الساعة السادسة بعد الغروب .

ويحسن بنا في هذا المقام أن نذكر كلمة عن الزينة التى يقيمها ركب المحمل فى الجهات المختلفة فنقول : الزينة تصرف من نظارة الحربية بعد أن تكتب لها نظارة الداخلية وهذه تكتب أمير الحج بتسلمها ، وهاك نص الكتاب الذى ورد للأمر فى حج سنة ١٣٢٥ هـ . رقم ٢٥٠٥

أمير الحج المصرى « سعادتلوافندم » الأمل أن تأمروا حضرة « قومندان » الحرس بأن يتوجه لنظارة الحربية لمقابلة مدير المهمات لاستلام « الفشيك » (الأسهم النارية) اللازمة للعمل وقد أخطرنا نظارتى المالية والحربية بذلك .

١٩ ديسمبر سنة ١٩٠٧ م و ١٤ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ هـ

عن وكيل الداخلية موريس بونيتو

ختم

وهاك ما صرف من كل نوع لكل بلدة من البلاد الآتية :

رقم	البلدة	البلدة	البلدة	البلدة	البلدة	البلدة	البلدة	البلدة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
١	١٧	١	١	١	—	—	—	١
٢	٢٠	١	٢	١	١	١	—	٢
٢	٣٥	٢	٢	١	١	١	١	٢
١	١٣	١	١	١	١	١	١	١
—	—	—	—	—	—	—	—	—
٢	٤٥	٢	٣	١	١	١	٢	٢
١	٢٠	١	١	—	—	—	—	١
٩	١٥٠	٨	١٠	٥	٤	٤	٤	٩

المرحلة الأولى من المدينة إلى بئر سيدنا عثمان — في الساعة العاشرة العربية من يوم الاثنين ٢٤ المحرم سنة ١٣١٩ هـ . تحرّك ركنا من المدينة ببغى الأوبة بعد الجولة وقد وصلنا بئر رومة المعروف ببئر عثمان بعد ساعة ونصف من بدء السير وهي في شمال المدينة الغربي مبنية بالآجر والملاط (المونة) بناء متقنا وقطرها أربعة أمتار وعمقها اثنا عشر مترا وماؤها شديد العذوبة .

وبجوارها حجرة وحوض ليلياه ومصلى وفي جنوبها بمسيرة ١٥ دقيقة مسجد القبلتين الذي قدّمنا وصفه وقد وجدت في حجر بأعلاه (جدده السلطان سليمان سنة ٩٥٠ هـ) وهو مسجد صغير حوله مزارع فيها القثاء والخيار والبطيخ وغيرها وقد بتنا عند هذه البئر والطريق من المدينة إليها سهل به من النبات أزواج شتى وفيه بعض الجبال . وقد حضر إلى بئر عثمان مودعا رئيس خدم الحجرة والمودعين والشيخ محمد الأديب ويكل فراشة الجنباب العالي ومدرس بالمسجد النبوي .

المرحلة الثانية من بئر رومة إلى بئر الظعيني — كنا عزمنا على السفر عند تمام الساعة الحادية عشرة من ليلة الثلاثاء ٢٥ المحرم ولكنّا انتظرنا سلطان المسكلة والشحر ليرافق المحمل إلى الوجه وأرسلنا قسما من الفرسان ليساعده في التحميل ويضجبه في الطريق ، وقد بدأنا السير في منتصف الساعة الثالثة نهرا سالكين طريقا سهلا مدة ساعة ثم أرضا حجرية مدة ٤ ساعات ونصف ثم أرضا سهلة مدة ٣ ساعات فوصلنا إلى بئر الظعيني وكانت الجبال في مبدأ السير متقاربة على بعد ٤٠٠ ياردة ثم أخذت تتناهى شيئا فشيئا حتى كنا في ميدان فسيح عند محطتنا ببئر الظعيني ، وكان سيرنا نحو الشمال الغربي ٥ ساعات ونصفا ونحو الغرب ساعة ونصفا ثم نحو الشمال الغربي ساعة ونصفا وبالمحطة بئران مالحتان في جاجر الجبل الغربي تحيط بهما الأشجار عمق الواحدة منهما ٦ أمتار، ويسمى كل منهما المندسة — وخشب الحريق بهذه الجهة كثير جدا .

المرحلة الثالثة من بئر الظعيني إلى الملايح — سرنا في منتصف الساعة الحادية عشرة من ليلة الأربعاء ٢٦ المحرم نحو الشمال الغربي خمس ساعات وربعا

ثم إلى الشمال ساعتين ، والطريق كله ميدان فسيح سهل تتباعد فيه الجبال وتكثر فيه الأشجار والحشائش وخشب الحريق وقد بلغنا آبار الملايح في الساعة السادسة نهرا بعد أن استرحنا بالطريق ربع ساعة ، وهناك آبار خمس مأوها من المطر فإذا لم يكن مطر فالماء به بعض الملوحة وعمق الواحدة ٣ أمتار وكان الحرّ شديدا في هذا اليوم سموما قتالا ولكن الله سلم .

المرحلة الرابعة من الملايح إلى قصر عبلة أو الشجوة — سرنا في الساعة ٩ والدقيقة ٤٠ من ليلة الخميس ٢٧ المحرم وبلغنا قصر عبلة (الرسم ١٩٢) بعد المغرب بساعة بعد أن استرحنا بالطريق خمس ساعات فمدة السير ١٠ ساعات و ٢٠ دقيقة وكان سيرنا إلى الشمال الغربي ساعتين و ٣٠ دقيقة وإلى الغرب ساعة واحدة و ٥٠ دقيقة فالشمال الغربي ٦ ساعات والطريق واد متسع يسمى « وادي الحمض » به حنظل كثير وخشب للحريق وأكثر الأرض صالح للزراعة ، وفي منتهى الطريق أرض حجرية سهلة ذات مسالك — مديات — قطعناها في ساعتين وكان الحرّ سموما .

المرحلة الخامسة من قصر عبلة إلى آبار الحلو — قمنا من القصر بعد المغرب بساعة من ليلة الجمعة ٢٨ المحرم وسرنا إلى الساعة الخامسة ليلا واسترحنا إلى تمام الساعة الحادية عشرة وتابعنا السير إلى الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ نهرا حيث كنا بآبار الحلو ومأوها مالخ ذوتن زائد لعدم استعماله ولم يشرب منه حاج واستصحبنا بعضه في القرب خشية أن نضطر إلى الشرب منه وسقينا منه الحيوانات فأدرّ بولها إدرازا شديدا حتى أن الفرس الذي كنت أعلاه كان يبول كل ١٠ دقائق بالتقريب ، وبهذه المحطة أثل كثير ورمال وقد رحلنا منها بعد الاستراحة لفقدان الماء الصالح بها وقد ضل عنا حمل عليه خيام لأمير المسكلة أثناء سُرّانا فأرسلنا من الأعراب من أحضره فكافأه الأمير على ذلك بجنهين وبنيتين ، وكان اتجاهنا إلى الشمال الغربي ٤ ساعات وإلى الشمال الشرقي ٤ ساعات و ٥٥ دقيقة وإلى الشمال الغربي ساعة والطريق رملي سهل تكتنفه الجبال ويكثر به خشب الحريق .

المرحلة السادسة من آبار الحلو إلى آبار الحفائر أو النقارات — بدأنا السير وقت الغروب إلى الشمال الغربي وحططنا الرحال بعد الساعة السادسة بربع ساعة ثم تابعنا السير في الساعة الحادية عشرة ليلاً ووصلنا "آبار الحفائر" تمام الساعة الرابعة من يوم السبت ٢٩ المحرم فمدة السير ١١ ساعة و ١٥ دقيقة ، والطريق سهل يتباعد عنه الجبال من الجانبين وفي آخره مسيرة ساعة نشوز — تبات — كثيرة والأرض حجرية غير مستوية تسع القطارين والثلاثة والآبار في ميدان رحب أرضه سبخة وعلتها اثنا عشر بئراً مبنية أفواهاها بالأحجار ومن تحت محفورة وعمقها ثلاثة أمتار وماؤها به بعض الملوحة والخطب كثير والحرا لاغ والأرض لا تستقر عليها قدم إذا هطلت عليها الأمطار .

وقد تجمع بهذه المحطة الأعراب على أمير المسكلة يزينون له السفر إلى ينبع ويعدون له الراحة والأمن ولما كنت أعلم من مكرهم ما لا يعلم كلمت نجله بأن لا أرضي بانفصال الأمير عن ركبنا إلا إذا حرّر كتاباً بأنه تركنا رغبة واختياراً وأنا غير مسئولين إذا جد له حادث ففكر الأمير وارتأى رأينا ومتابعة السير صحبتنا .

المرحلة السابعة من الحفائر إلى الفقير — في منتصف الساعة الحادية عشرة من ليلة الأحد مستهل صفر سنة ١٣١٩ هـ . قمنا من الحفائر سائرين نحو الجنوب الغربي في أرض سبخة متماسكة وبعد مسيرة ساعة و ٥٥ دقيقة لقينا أشجاراً كثيفة سرنا في خلالها أربع ساعات إلا ربعاً وقبل انتهاءها بمسيرة ساعة وربع وجدنا كثيراً من شجر «الدوم» به ثمر ناضج أخذ منه كثير من الحجاج ، وقد وصلنا الفقير في الساعة الخامسة نهراً بعد أن سرنا ٦ ساعات ونصفاً ، وبالفقير آبار أربع تشبه آبار الحفائر بناء وعمقا وطعماً .

المرحلة الثامنة من الفقير إلى العقلة — تمام الساعة العاشرة من ليلة الاثنين تاني صفر سرنا من الفقير إلى الشمال الغربي سبع ساعات واسترحنا سباً وتابعنا السير إلى الشمال الغربي ثلاث ساعات وربعاً وإلى الجنوب الغربي أربعاً إلا ربعاً فوصلنا العقلة في نهاية الساعة السادسة ليلاً فمدة السير ١٤ ساعة والجبال كانت متجافية عن

الطريق في بدء السير وبعد مسيرة ٣ ساعات و ٥٠ دقيقة تدانت فمررنا بمضيق ذى ارتفاع وانخفاض وبعده بربع ساعة مررنا ببناء قديم على اليسار طوله ٥٠ مترا وارتفاعه متران ويقال له قصر عنترة أو إصطبل عنترة وقد سرنا من الفقير ٦ ساعات في أرض رملية سهلة بها أشجار قليلة ثم تكاثرت الشجر بعد ذلك وهو متفرق فارح ، وعلى مسيرة ثمان ساعات ونصف من الفقير وجدنا أرضا حجرية غير مستوية من تأثير السيول بها فسرنا فيها بين الجبال الشاخنة والأشجار العتيقة التي طوحت السيول بكثير منها ، وقد أوقدنا منها لإضاءة الطريق الذى صعب مسلكه وتكاثر به الحصى ، الكبير والطريق من قبل العقلة بساعة رملى سهل قد استوت أرضه وكثرت فيه حجارة الأرناب الجبلية وكانت أقدام الإبل والخيول والبغال تغوص فيه إلى ٢٠ سنتيا ، وبالعقلة شوك كثير يسمى لزيق وهو مستدير يشبه ترس الساعة له أسنان حادة كأطراف الإبر إذا دخل في الجسم أو الملابس لا يخرج منه إلا بصعوبة ، والماء بها مالج لا يشرب وقد دلنا على ماء مطر يبعد عن الطريق مسيرة نصف ساعة أحد الأعراب نظير مكافأة قدّمناها له .

المرحلة التاسعة من العقلة إلى المطر — عند تمام الساعة التاسعة من يوم الثلاثاء ثالث صفر قمنا من العقلة وسرنا إلى الشمال الغربى ست ساعات بتنا بعدها في الطريق ثم واصلنا السير عند الساعة العاشرة ليلا فوصلنا محطة المطر أو العجلة تمام الساعة الخامسة من يوم الأربعاء رابع صفر وهناك استرحنا ، وقد سرنا من العقلة ٧ س و ٣٠ ق في أرض سهلة رملية متماسكة بها حشائش جيدة وسرنا بعد ذلك ساعة ونصفا في أرض حجرية صعبة غير منتظمة ملأتها السيول بالأحجار وبعدها بنصف ساعة وجدنا على ميمتنا خورا كثير الأشجار قطعناه في ١٧ دقيقة وهو ينتهى إلى جبل ينحدر منه من ارتفاع ١٢ مترا سلسل (سلسول) ماء قسار ما تخرجه الساقية صاف لونه عذب طعمه يشرب منه الأعراب القاطنون هناك وكذلك دوابهم ولا يسقى منه زرع بل تشتهه الأرض بلا جدوى مع أن نزوله مستمر ليلا ونهارا ، وهذا السلسل يأتى من الأمطار التي تهطل على رءوس الجبال وهو يبعد عن محطة الطريق مسيرة ١٧ دقيقة بسير الخيل المعتاد وقد شاهدت سمكة صغيرة

في الماء المتكثف منه في سفح الجبل ولو بحث الإنسان في أرض الخور قليلاً لنبع ماء عذب أصله من ماء السلسل الذي سلك في الأرض ينابيع ، وعربان هذه الجهة يسكنون قنن الجبال ولهم ولأغنامهم سرعة عجيبة في النزول منها والصعود عليها مع علوها ووعورة مرتقاها ولكنها العادة تيسر العسير وتذل الصعب ، والأغنام عندهم رفيعة الثمن وقد ساومت واحدا منهم في كبش حتى أبلغت ثمنه ٣ ريالات مصرية فلم يقبل مع أنه يباع في الجهات الأخرى بريال أو يزيد نصفاً ، ويظهر أنهم يجهلون قيمة النقود فالشراء منهم شاق ، وقد وجدنا مع امرأة قريبة لبن حامض فأبت إلا أن تبيعها بثمن فاحش فباعتنا الكوز الذي يسع نصف رطل بنصف قرش ومن العجب أنها كانت تأخذ الثمن ونفسها راغبة عن إعطاء اللبن ، والطريق بعد الخور رهلى سهل ثناءى عنه الجبال وتكثر فيه الأشجار وكان الجو حاراً ، وللبن الحامض تأثير في دفع الظمأ .

وقد سرق الأعراب خمسة جمال من مرافقي الركب الذين يسبقونه عادة في السير فيتركون إبلهم ترعى الحشائش وكانوا على مسيرة ٣٠ دقيقة من ركب الحمل وهذه الجهة وإن لم تكن تابعة لسلیمان باشا بن رفادة فإن له عليها سيطرة فلما نبأناه بالسرقة بعث من قبله من أحضر خمسة الجمال قبل مغادرتنا لمدينة الوجه .

المرحلة العاشرة من المطر إلى الخوتلة — قبل غروب شمس الأربعاء رابع صفر بساعة رحلنا من المطر أو العجلة أو المتر أو الناضوح كما يقولون سالكين نحو الشمال الغربي فوصلنا الخوتلة عند تمام الساعة السادسة ليلاً وقد سرنا قبل الخوتلة في أرض حجرية ساعتين ونصفاً منها ساعة ونصفها في عقبة ذات تعاريج وارتفاع وانخفاض بها مضيق لا يمر منه إلا الجمل تلو الجمل وقد وقفت عنده حتى مر جميع الركب بسلام . وبالخوتلة ثلاث آبار مأوها حلو وعمق الواحدة منها ثلاث قامات ليست مبنية وبها سوق كبيره أصناف المطعومات أقامه سليمان باشا بن رفادة كبير مشايخ قبيلة "بلي" لركب الحمل المصري وقد قابلنا سعادته بهذه المحطة وبرفقة نحو خمسين من الأعراب يركبون الهجن ومسلحين ببنادق من نوع «مرتيني هنري» وقد زار الأمير

والأمين ورئيس الحرس وضباطه في خيامهم وزاروه وذبح لركب المحمل وموظفيه غنما كثيرة قدم لهم طعامها ودعاه الأمير ورئيس الحرس للغداء فلبى وأعد له الأول سرادقا يبيت فيه ويجلس وأرسل له الموسيقى والمزمار البلدي يشنفان سمعه ، وبالخوتلة خشب الحريق كثير وقد أخذنا منه ما يكفينا مدة الإقامة بمدينة الوجه والسير إليها لأن الخشب بها نادر يجعل كحزم الفجل وتباع الواحدة بقرش صحيح وقد أقننا بالخوتلة يوم الخميس والجمعة خامس وسادس صفر سنة ١٣١٩ هـ .

المرحلة الحادية عشرة الختامية من الخوتلة إلى الوجه — في منتصف الساعة العاشرة من ليلة السبت سابع صفر غادرنا الخوتلة وجدنا بنا السير حتى الساعة الخامسة نهرا حيث استرحنا أربع ساعات ونصفا ثم تابعتنا السير بقية اليوم وليل التالي كله ووصلنا إلى مدينة الوجه بعد الساعة الأولى بخمس دقائق من صباح الأحد ثامن صفر فمدة السير ٢٣ ساعة منها ساعة ونصف سرتها إلى الشمال الغربي وساعتان وثلث إلى الغرب وربع ساعة نحو الجنوب الغربي وثمانى عشرة ساعة ونصف نحو الشمال الغربي ونصف ساعة نحو الجنوب الغربي وقد سرتنا أربع ساعات وه دقائق فى أرض رملية سهلة تكتنفها الجبال المتقاربة وبها شجر ”الدوم“ ثم سرتنا فى سهل اتسعت أرجاؤه وقلت أشجاره واستوت أرضه الرملية المتناسكة ، وبعد مسيرنا ١١ ساعة وه دقائق من الخوتلة مررنا بنشوز كثيرة تمثل جسرا يقطع الطريق من الغرب إلى الشرق وبعد ساعتين دخلنا مضيقا قطعناه فى ٣٥ دقيقة به أشجار على جانبيه ثم أخذ الطريق بنفسح شيئا فشيئا مع كثرة التعاريج به وقلة الأشجار ، وقد رأينا على ميمتنا قبل أن نصل إلى الوجه بنصف ساعة كثيرا من شجر النخيل وعلى ثلث ساعة من الوجه نزل معسكرنا فى مكان به سوق يباع فيه ما يلزم الانسان والحيوان وما أحسن ما قاله العياشى فى رحلته عند رؤية مدينة الوجه :

وشربنا من مياه عذبة * شربها يجلو عن القلب الحزن
نحمد الله الذى أسعفنا * ورأينا ذلك الوجه الحسن

وقد قدم الينا محافظ الوجه وقاضيه الشرعى وكبير تجاره وأكابره وضباط
حاميته التى تتألف من نحو ٥٠ جنديا وهنتوا الأمير بوضوله سالما وانصرفوا بعد
شرب القهوة ، وقد قابل المحافظ سلطان المسكة وعين له بضعة جنود تقوم بحراسته
مدة إقامة بالوجه ولا أعلم أن الأمير أهدى شيئا للمحافظ أو غيره .

الوجه — الوجه قرية صغيرة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر إلى الشمال .
بها ما يقرب من ١٥٠ بيتا منها ذو الطبقة وذو الطبقتين بنيت بالحجر الخام والملاط
ويسكنها حوالى ٥٠٠ نسمة أصلهم من الصعيد والقصير ، وبها قلعة ذات مدفعين
وثلاثة مساجد وزاويتان وحوانيت على الشاطئ وثمانية صهاريج يحفظ بها ماء
المطر ويباع للأهالى ولركب الحمل عند قدومه وتساوى القرية ثلاثة أرباع القرش
والسمك فى هذه الجهة كثير جدا ورخيص حتى تباع السمكة التى طولها متر
بقرشين صحيحين مع أنها من النوع الجيد والحبوب بها عالية الثمن وعيشها شمسى
كالذى يصنعه أهل الصعيد ويتجر أهلها فى المسلى والأرز والشعير والفل والحبوب
الأخرى وترد اليها هذه الأشياء من القصير والسويس على مراكب شراعية .

ولبلدة محافظ ملكى وأمين جمرك وأمين حساب وقاض شرعى وكاتب وقسم
عسكرى من المشاة والمدفعية . وملازمهم ثمانية من الجوخ الأسود الجسد الذى لم نر
مثله لخدم مكة والمدينة وجدة ، ولا تمر بالبلدة بواخر البريد أو غيرها إلا مرة
فى السنة أو مرتين وليس بها طبيب ويقولون إن مركزه بالعقبة ومركز الصيدلى
بالوجه ، شتان بين مشرق ومغرب . وقد رأيت طفلا صغيرا لأمين الجمرك بعينه
رمد فأعطيته زجاجة قطرة ، وبالبلدة مكتب صغير لم أجد به شيئا من كتب
التعليم فأرسلت له مصحفا مجزأ وكثيرا من جزئى عم وتبارك يعلم فيها أولاد
الفقراء .

وصول باخرة النجيلة — عند وصولنا إلى الوجه وصلت باخرة النجيلة لتقلنا إلى السويس ولذلك لم نلبث بالوجه إلا يوما وبعض يوم فبعد ظهر الثاني أخذنا نزل الأمتعة إلى المركب وأتممنا إنزالها في صباح اليوم الثالث ونزل الركب والحيوان والمحمل في احتفال ، ولما كانت الباخرة معدة لركبنا فقط لم تكن بها أماكن خالية لسلطان المكلة وحاشيته والضرورة قاضية بسفوره معنا لندرة البواخر بهذا الثغر أو عدمها فأعدنا له مكانا بظهر الباخرة نصبنا فيه الخيام ليستتر بها الأمير وحشمه .

وقد حضر معنا من المدينة ٤٩ شخصا من فقراء الحجاج الذين أكثرهم من المغاربة الذين تدربوا على تحمل المشاق مهما صعبت ، اختاروا مرافقة المحمل بعد التنبيه عليهم بأن المحمل لا يستطيع حملهم ولا يكلف بماء أو زاد لهم والباخرة ترفض إقلاهم . ولما حضروا إلى الوجه كلمت ربان الباخرة في ترحيلهم فأبى فلما علم المحافظ كرر عليه الرجاء في قبولهم لأن البلد فقير لا يستطيع مساعدتهم بشيء فإن تخلفوا عن الباخرة تعرضوا للهلاك فقبلهم الربان فضلا منه ومنة وسافروا معنا إلى الطور فالسويس .

من الوجه إلى الطور — أقلعت بنا باخرة النجيلة من ثغر الوجه في الساعة السابعة العربية من يوم الثلاثاء عاشر صفر سنة ١٣١٩ هـ . ووصلت مرسى الطور في منتصف الساعة السادسة من يوم الأربعاء الحادى عشر، فدة السير اثنتان وعشرون ساعة ونصف كان البحر في خلالها هادئا غير أن الهواء اشتد بعض الاشتداد في منتصف الليل . وعند رسو الباخرة أقبل طيبب الحجر الصبحى وكشف على الحجاج وأمر بتزولهم إلى الحجر ونزول أمتعتهم لتبخيرها ولم يخرج من أمتعة الموظفين إلا ما كان منها للخدم ، وقد توجهنا إلى الحجر بقطار السكة الحديدية ومكثنا به ثلاثة أيام واحتفل بنا في الليلة الأخيرة ناظر الحجر فأقام زينة حضر اليها موظفو المحمل جميعا ونجل سلطان المكلة نيابة عن والده والقسس والرهبان وتلامذتهم وجميع

الموظفين من وطنيين وأجانب، وقد أطرّب الحضور موسيقى المحمل ومن ماره وبعد تناول المرطبات ألقى خطبة تلميد من تلامذة الرهبان الفرنسيين وتلاه الشيخ السنباطي بدعوة من الأمير فألقى كلمة ثم صرخت الموسيقى بالنشيد الخديوي وهتف الحاضرون وانتهت الحفلة في الساعة الخامسة ليلاً .

من الطور إلى السويس — بعد أن مكثنا بالمحجر الصحي ثلاثة أيام من ظهر يوم ١١ إلى ظهر يوم ١٤ أذن لنا بالسفر فأبحرت بنا الباخرة في منتصف الساعة العاشرة من يوم السبت ١٤ صفر ووصلنا السويس في منتصف الساعة الأولى من صباح الأحد ١٥ صفر فمدة السير ١٥ ساعة، وقد حضر طبيب المحجر الصحي بعد قدومنا بساعة وكشف على الركاب فلم يجد شيئاً فصرح للباخرة بالدخول إلى الرصيف وقبل نزولنا من الباخرة حضر المحافظ وهما الأمير بالقدوم سالماً واتفق معه على أن يكون الاحتفال بالمحمل في الساعة الحادية عشرة العربية من اليوم نفسه وكان الاحتفال شبيه الاحتفال الذي وصفناه عند إبحارنا من السويس وعند نزولنا من الباخرة إلى البر كشف علينا طبيب انجليزى فوجدنا مطهرين من الأمراض وقد دعانى مع الأمير والأمين محافظ السويس مصطفى بك ماهر لتناول العشاء على مائدته فلبينا الدعوة وحضرنا إلى منزله الجميل فبالغ في الحفاوة بنا فشكرنا له صنيعه وكان المحافظ في الذهاب مصطفى بك عبادى خلفه مصطفى بك ماهر .

أمير المسكلة والشحر — لما كنا بالمحجر الصحي بالطور كتب رئيسه إلى مجلس الصحة البحرى يستأذنه في سفر الأمير إلى السويس بجدة فعدن فكانت الإجابة أن يقيم مع حاشيته في عيون موسى حتى تأتى له باخرة تنقله فأبرق إلى اللورد كرومر ليساعده في مرافقة المحمل إلى السويس فخابر اللورد مجلس الصحة فأذن له ولنقله فقط بالإقامة في السويس أما باقى الحشم فيبقى بعيون موسى ولكن ساعده الأطباء حتى تمكن هو وجميع صحبه من الإقامة في السويس بالباخرة حتى أقلته إلى مصوع باخرة تليانية استأجرها بستائة جنيه ومن مصوع نقله باخرة أخرى إلى عدن التى تبعد

عن المكلة مسيرة أربع وعشرين ساعة في البحر بسير الباخرة وكل موظفى المحجر من كبير وصغير خدم الأمير طمعا في مكافأته وهداياه ولكن لم ينالوا شيئا ويظهر أن الأمير قل ماله ونفدت هداياه لأنه طلب من مصلحة المحجر الصحى أن يكتب لها شيكا - عشرة آلاف روبية وتسلمه بدلها نقدا فاستأذنت من المالية فأذنت على شرط أن تكون الروبية بخسة قروش ونصف فأبى الأمير شرطها لأنه يخسر فى ذلك مائة جنيه إذ الروبية تساوى ستة ونصف لخمسة ونصف لأن الجنيه الانجليزى ١٥ روبية ٦ ولما نزل بالسويس أبرق إلى عدن أن حوّلوا الى السويس مبلغ عشرة آلاف روبية وكذلك أبرق الى التجار الحضرميين بمصر فحضروا اليه وله عاينهم نفوذ وله بهم علاقات تجارية .

من السويس إلى القاهرة - أقلنا القطار فى منتصف الساعة الأولى من صباح الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣١٩ هـ . وبلغنا محطة القاهرة فى الساعة الثامنة إلا ربعا من نهار اليوم نفسه وبعد أن نزل الجمّاج من القطار سير بالمحمل إلى العباسية فوصلها فى الساعة ٨ والدقيقة ٢٥ وهناك أنزلت الأمتعة وحملتها العربات إلى المعسكر ، وفى الساعة الحادية عشرة العربية أركب المحمل وسار يحف به اليرس والموسيقىون من خمس السرايات إلى شارع العباسية فالمعسكر وكان تراحم الناس على النظر إليه شديدا ، وفى يوم الخميس ١٩ صفر أقيم له الاحتفال المعتاد بميدان محمد على بالقلعة وفى ختامه سار المحمل بحرسه ومعه قسم من الجيش إلى شارع الصليبية فالسيدة زينب فالناصرية فالمالية وهناك وضع المحمل فى مكانه المعتاد ورجع الحرس إلى العباسية وبقى بها حتى سلم مهماته وأنفض المعسكر وصرح لجميع القوة بالأجازة الحرة حتى الذين لا يستحقونها ليكون الفرح عاما والسرور شاملا فله الشكر على ما وفق والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وهاك جدولا بخط السير من بدء السفر الى منتهاه :

الإجمالا واحداً يمر وخشبته متفرقة ومعاد مفتوحة ولصعوده كثير من

في أول الطريق تخور أرضه غير مستوية بعده أرض حجرية تحصى صعبة السلوك
والجبال متباعدة وباركة مياه مطر كثيرة وغاية كثيئة ولصوص وخشب
حريق .

بالطريق ثلاث عقبات قطعت الواحدة في ربع ساعة وهو بين جبيل عينية
أرضه صالحة للزراعة ولا مرعى به .

الطريق أرضه خصبة يقل به خشب الطريق به ملاحه مسيرة خمس ساعات
يصعب سلوكها إذا نزل المطر ولا ماء بالطريق إلا ما يختلف من الأمطار .

بالطريق ملاحه سهلة مسيرة أربع ساعات ثم عقبة ساعة أولها وآخرها صعب
المسالك والممرى قليل وصفية بلدة الشريف وهي صغيرة بها النعم والبن
والسمن والحشاش والخشب وفيها لصوص سرقوا حصانا مريضاً واسترد
منهم وأصيب أحدهم برصاصة في فخذه .

الطريق سهل جداً كثير الأشجار ليس به مرعى .
أكثر الطريق خيران متشابهة ذات أشجار كثيرة عالية في الجانبين به عقبة
مسيرة ساعتين ونصف أولها سهل ووسطها منحدر وآخرها مضيق بين جبال
شائخة ولا مرعى بالطريق وبالجريه تباع الحشاش .

بعد ٥٠ سنة عذب أيام

المطر في غيرها .

باركة حوض مر ببع

٥٠ متراً في ٥٠ يوماً

خز كبير والماء في أيام

المطر فقط .

الماء من المطر .

لا ماء بالهضاب .

بصفية ٦ ٣ برا في مائها

بعض اللوحة عمق كل

منها ١٣ قامة .

بالطريق مياه المطر كثيرة

بالجريه ٦ آبار عذبة

المياه وماء المطر كثير

يجمع في بركة .

٣٣ أبريل سنة ١٩٠١

أول الحفائر

٣ الحرم سنة ١٣١٩

البركة

٤ حاذ

٥ حاذ

٦ و٧ صفية

٨ السورجية

٩ الجريه

٨ السورجية

٩ السورجية

٨ السورجية

٩ السورجية

٨ السورجية

٩ السورجية

٨ السورجية

(تابع) جداول خط السير من مصر الى الجباز ثم الى مصر سنة ١٣١٨ و ١٣١٩ هـ

من	الى	التاريخ	مدة السير	المياه	معلومات عامة
الجبزية	غزابة	١٠ الحرم سنة ١٣١٩ ١٦ مايو سنة ١٩٠١	— دقيقة	—	الطريق سهل عظيم الاتساع تناءت عنه الجبال صالح للزراعة خال من المرمى وفي أوله غابة كثيفة مسيرة ساعتين ونصف .
غزابة	الغدير	١١ الحرم سنة ١٣١٩	٩ —	بالغدير بركة عرضها ١٠ أمتار في طول ١٠٠ مأواها غلب وفي سفح الجبل مياه من المطر .	الطريق سهل متسع صالح للزراعة وفي آخره عقبة حجرية ذات ارتفاع وانخفاض واثناء تقاربت فيها الجبال قطعت في ساعة ونصف والماء بالطريق كثير ولا مرعى ويباح بالندير الغنم والسمن والبن « الخضر » وحشيش البهايم .
الغدير	المدينة	١٢ »	١٢ —	بالطريق مياه المطر .	أرض الطريق حجرية صعبة ذات مدقات متعددة مرتفعة ومنخفضة لا يسع الملق إلا جمالا يسير به والمدقات مسيرة ٧ ساعات وخشب الطريق قليل والمرعى معدوم .
المدينة	بر عثمان	٢٤ »	١ ٣٠	بر عثمان غذيب الماء .	الطريق سهل ليس به خشيش للحيوان وبه نشور حجرية .
بر عثمان	الطنعني	٢٥ »	٨ ٣٠	بالطنعني بران ما لجنان .	الطريق سهل بين جبال به مرعى للجبال وكثير من خشب الطريق وميدان الطعني فسيح جدا .
الطنعني	الاملايح	٢٦ »	٧ ١٥	بالاملايح خمس حفائر غذية الماء ومن المطر .	يكثر بالطريق خشب الطريق والحواء سموم لا يطلق .
الاملايح	قصر عبلة	٢٧ »	١٠ ٢٠	لا ماء .	الطريق واد متسع به أرض حجرية ذات مدقات سهلة مسيرة ساعتين وبه حشيش للحيوان والريح سموم .
قصر عبلة	آبار الحلو	٢٨ »	٩ ٤٥	آبار الحلو خمس وماؤها مشتمل ذو ملوحة أكثرها مر دودم ولو تفتت حلت	الطريق بين جبال دولى سهل لا مرعى به ويكثر فيه خشب الطريق والآبار قليل كثير مسيرة ربع ساعة .

الطريق سهل سينج كندير الأتجار به شجر الدوم الممر .	بالفقير خمس آبار بمائها	٦	٣	أول صفر سنة ١٣١٩	الفقير	الحفار
نصف الطريق الأول سهل قابل الشجر ثم يخرج بين الجبال الشالحة و يكثر فيه الشجر ثم تكثر به حفر الأراب ويصعب سلوكه و بالعقاة شوك ومرعى جميل يسمى العترى .	بعض الملوحة .	١٤	—	»	العقاة	الفقير
الطريق سهل وبعد منتصفه أرض جيرية صعبة مسيرة ساعة ونصف .	بيل المطر ثلاث ساعات ونصف على المية: ساسل ماء عذب .	١٣	—	»	النافوخ أو المطر	العقاة
قبل آخر الطريق بساعة عقبة حجرية مسيرة ساعة ونصف لا يمر فيها إلا قطار واحد و بالخرابة الحشاش والخشب الكثير وسوق به الأكولات وقائنا فيها سمانا باشا ابن زفاده شيخ مشايخ قبيلة بلى يركب من الحجابة ورافقنا الى الوجه بعد أن أقفنا بالخرابة يومين .	بالخرابة ثلاث آبار عذبة غير مبنية .	٧	—	»	الخرابة	المطر أو العجالة
الطريق مسيرة أربع ساعات وعلى سهل بين جبال به أشجار بينها شجر الدوم الصغير ثم يتسع ويستوى وتكثر الشوش المنفرقة غريبه و يقل الشجر فيه وكثيرا ما تقطعه جسر مر تقعه .	بالوجه صهاريج ماء من المطر .	١٤	٣٠	»	أم حرز	الخرابة
وقبل أم حرز اقتربت الجبال ومررنا بمضيق ذى مصاعد ومهايط ووجدنا قبال الشجر ثم أخذنا الطريق يتسع مع اعوجاج ودوران وقلة شجر الى الوجه ونهى نهر بحورى .	—	٨	٣٠	»	الوجه	أم حرز
السفر بالباخرة بحرا .	—	٢٢	٣٠	» ١٠ و ١١	الطور	الوجه
»	—	١٥	—	»	السويس	الطور
»	—	٧	١٥	» ١٦	القاهرة	السويس

كشف بالمقذوفات « الخرطوشات »

التي أطلقت من مدفع كروب قطر ٦ في حجة سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م

العدد	التاريخ	المكان	السبب
٢١	١٦ القعدة - ٧ مارس	السويس	الاحتفال بسير موكب المحمل .
٢١	١٧ » - ٨ »	»	قيام باخرة المحمل من ميناء السويس .
٧	١٩ » - ١٠ »	جدة	الوصول الى جدة .
٢١	١٩ » - ١٠ »	»	» » » لعدم الاجابة في الأول .
٢١	٢٠ » - ١١ »	»	الاحتفال بسير موكب المحمل .
٧	٢٣ » - ١٤ »	»	سفر ركب المحمل من جدة .
٢١	٢٥ » - ١٦ »	مكة	وصول ركب المحمل الى مكة .
٢٢	ليالى الإقامة بمكة	»	منع الدخول بالمعسكر .
٦٣	٢٨ القعدة - ١٩ مارس	»	الاحتفال بزيارة الشريف والوالى .
٥٩	٨ الحجة - ٢٨ »	الطريق من مكة لعرفة	الذهاب الى عرفات والوصول اليها .
٧٥	٩ » - ٢٩ »	عرفة ومزدلفة	الافاضة من عرفة والوصول الى مزدلفة .
١٠٥	١٠ » - ٣٠ »	منى	الاعلان بدخول الأوقات الخمسة .
١٠٥	١١ » - ٣١ »	»	» » »
٢١	١١ » - ٣١ »	»	تسريف والى .
١١	١١ » - ٣١ »	»	زيارة أمير الحج الشامي .
١٠٥	١٢ » - ١ أبريل	»	الاعلان بدخول الأوقات الخمسة .
٦٣	١٣ » - ٢ »	»	» بدخول الفجر والظهر والعصر .
٤٣	٣٠ » - ١٩ » ١٣ المحرم - ٢ مايو	بين مكة والمدينة	الإعلام بالراحة أو القيام .
٢١	١٣ » - ٢ »	المدينة	الوصول الى المدينة .
٤٢	١٤ » - ٣ »	»	زيارة محافظ المدينة .
٢١	١٥ » - ٤ »	»	إدخال المحمل فى المسجد النبوى .
٢١	٢٧ » - ١٦ »	»	إخراج المحمل من المسجد النبوى .
٦٧	٦ صفر - ٢٥ »	بين المدينة والوجه	الاعلام بالحل والترحال .
٢١	٦ » - ٢٥ »	الوجه	الوصول الى الوجه .
٢١	٩ » - ٢٨ »	»	القيام من الوجه .
٢١	١٠ » - ٢٩ »	الطور	الوصول الى الطور .
٢١	١٣ » - ١ يونيه	»	القيام من الطور .
٢١	١٤ » - ٢ »	السويس	الوصول الى السويس .
٢١	١٤ » - ٢ »	»	الاحتفال بالمحمل فى السويس .
٢١	١٥ » - ٣ »	القاهرة	وصول المحمل الى الحصوة بالعباسية .
١١٠٠	جملة الطلقات والمقذوفات وأما « الكبسون » الذى استعمل فى ١٣٢٠ لأن بعضه كان غير جيد .		

ختم الرحلة الأولى

الى هنا بتوفيق الله ومعونته أتممتنا رحلة سنة ١٣١٨ هـ . وكان تمام نقلها من المذكرات الصغيرة الى الأصل الذى نقل عنه الآن فى يوم الأحد ١١ رمضان سنة ١٣١٩ هـ . ثم كتبناها للترّة الأخيرة تهيئة لطبعها وأضفنا اليها ما وقفنا عليه من المعلومات القيمة عن المسجد الحرام والمسجد النبوى وبلدتي مكة والمدينة وما بالأولى من مشاعر ومناسك ، فوصفنا كل ذلك وصفا دقيقا محيطا وذكرنا عن كل نبذة تاريخية حسب ما وصل اليه علمنا وحققنا كل مسألة حامت حولها الريب والشكوك وفرغنا من تدوين ذلك على الشكل الذى تراه فى صباح الأحد ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٢ هـ و ٢٢ يونيه سنة ١٩٢٤ م . بعد أن مكثنا فى تسطيرها وتأليفها ستة أشهر إلا أياما وبقى علينا أن ندون فى المجلد الثانى رحلات سنى ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٥ هـ . وسترى فيها ما لم ترفى الرحلة الأولى لاختلاف الطرق التى سلكناها فى كل حجة وستتبعها بخاتمة فيها مباحث قيمة لن تظفر بها فى أى كتاب . وإنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمدنا بروح من عنده تسهل لنا اتمامها وطبعها وإخراجها للتقارئ فى أكل حلة وأحسن جلاباب والله يهدى الى سواء السبيل ما
السواء

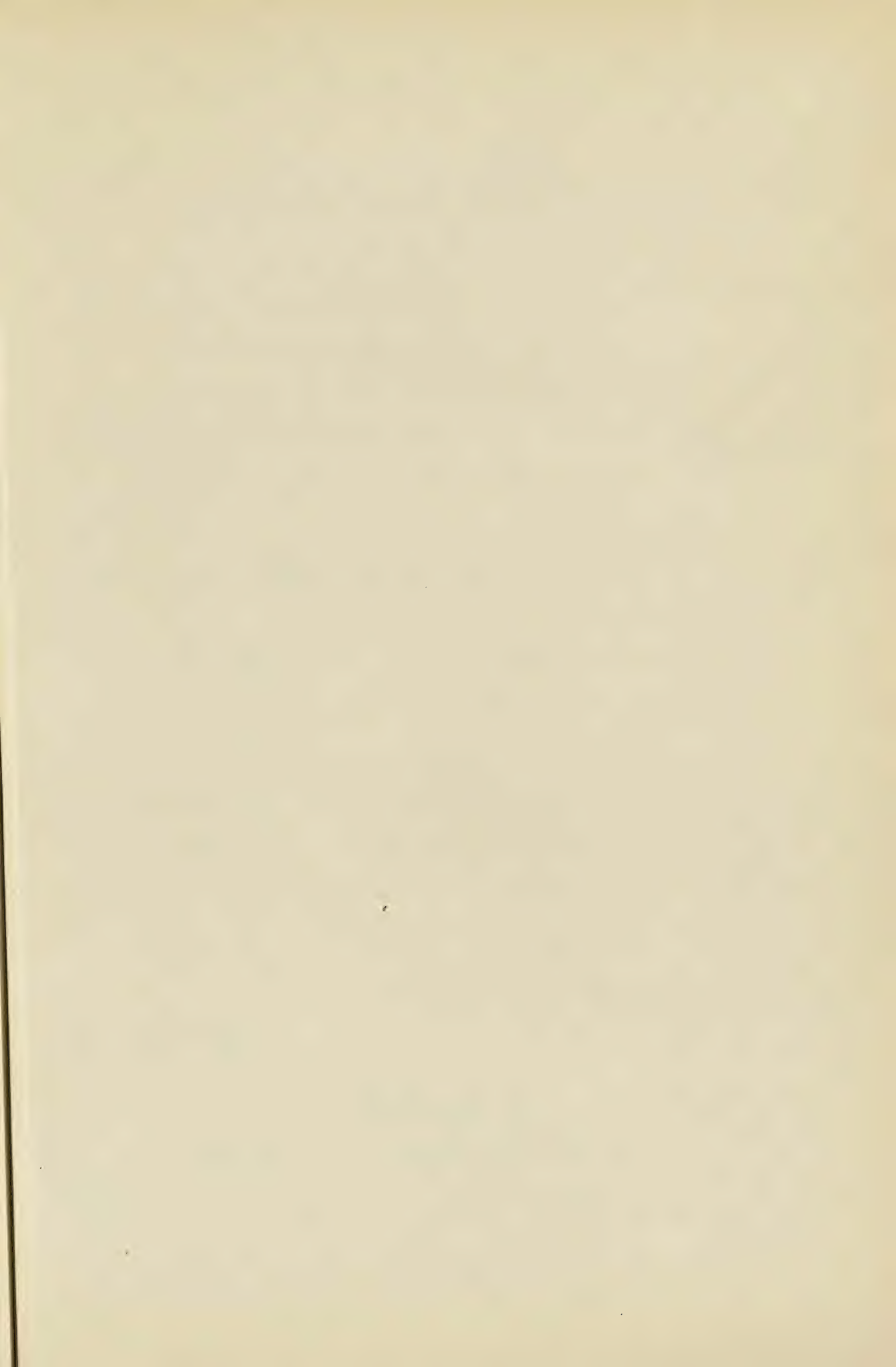
إبراهيم رفعت باشا

ابن سوينى بن عبد الجواد بن مصطفى

تمت الرحلة الأولى و بتمامها تم المجلد الأول وذلك بمطبعة دار الكتب المصرية-

فى عهد حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر

فى شعبان سنة ١٣٤٣ هـ — مارس سنة ١٩٢٥ م



الفهرس الهجائى للجزء الأول

صحيفة

- الأزلام والاستقسام بها ... ٣١٤
 الاسكندرية وفتحها ... ١٦٤
 الاسلام . أقطاره وانتشاره بالسياسة ١٦١ و١٧٤
 اسماعيل عليه السلام وقبره ... ٣٠٧
 أسواق العرب الهامة فى الجاهلية ... ٣١٢
 الأشراف . عبد الله بك ومحسن بك
 ولدا الشريف محمد باشا ... ٧٨
 الأشراف . مرتباتهم ... ٣٧
 الأشهر الحرم . تعظيمها فى الجاهلية ٣١٣
 الافاضة فى الجاهلية ومن كان يلها ... ٣١٥
 الأفراد ... ١٠٥
 أفريقية . انتشار الاسلام فيها ... ١٧٤
 اكرام المكين للحجاج فى الجاهلية ... ٣١٦
 أمراء مكة منذ فتحها للآن ... ٣٥٥
 إمرة الحج . شرعيتها والعناية باختيار
 من يتولاها وتولى الأمراء والملوك
 لها وواجباتها واختصاص أمير الحج
 القضاى والوظائف التابعة للأمرة
 فيها سلف ... ٢٩٥ - ٣٠٠
 أمير المكة والشجر ... ٤٩٢
 الأندلس وفتحها ... ١٦٥
 إهلاك المكين ... ١٠٦
 أودية المدينة ... ٤٣٤

صحيفة

(١)

- آبى الحلو ... ٤٨٥
 آسيا . فتح أواسطها ... ١٦٩
 أبواب المسجد الحرام . وصفها ومواقعها ٢٢٩
 أحد وشهداؤه وغزواته ومشهده ١٥٧ و١٨٥ و٣٨٥
 الاحرام . إتيان محظوراته ... ١١٩
 الاحرام والتطيب له ... ٧٦
 إحرام المرأة ... ١٠٢
 الاحرام وأنواعه ومحظوراته ... ١٠٣ و١٠١
 إحرام النساء ... ٧٨
 الاحرام واستفلال المحرم بالحمل ... ٩٠
 الاحرام . حيض المحرمة ... ٧٩
 الاحرام . الغسل له ونيته ... ١٠٦ و١٠٥ و٧٦
 الاحرام . ما يصنع بالمحرم اذا مات ... ٨٧
 الاحرام . هل يجب على من مر بالمواقيت
 لا يريد حجاً ولا عمرة ... ١٠٠
 أغوات المسجد النبوى . القبرى
 الموقوفة عليهم ... ٤٥٩
 الاحساء ... ١٤٧
 الاحسان وأثره فى النفوس الشريرة ... ٣٧٨
 الإحصار ... ١١٥
 الأرقم . داره بمكة ... ١٩٢

صحيفة

البواخر وتحياتها ... ١٦
بدر وغزوتها ... ١٥٦

(ت)

تبوك . غزوتها ... ١٦٠
الترك . نمو دولتهم ... ١٧٢
التفت . إزالته ... ١٠٢
تكية السيدة فاطمة ... ١٨٦
التلبية . أثرها في النفس . نظمها
لأبي نواس ... ٤٦
التلبية . متى تقطع وأحكامها ... ١٠٥ و ٩٠
التلبية في الجاهلية ... ٣١٥
التمتع . شروطه وكفارته عند مالك ... ١٢١ و ١٠٣
التنعيم . حوض به وصهر يج ومصلى ... ٣٤١
تكتنا مكة والمدينة وما ينفق فيها
ومرتبات أهلها ... ١٨٥

(ث)

الثنايا . عينها وقبتها بأحد ... ٣٩٣
ثنية كداء ... ٣٠

(ج)

جبل الرحمة . بدعة الوقوف عليه ... ٤٦
جبل سلع ... ٣٨٩
جدة . رسوم مرقفها وصفها ومياها
وسكانها وتجارها وإقامتها بها
في سنة ١٣١٨ هـ . ومن زرتها بها ١٦ - ٢٣
جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب
الأربعة ... ١٢٩
جزائر البحر الأبيض . فتح الاسلام لها ... ١٦٦

صحيفة

أهل مكة والمدينة ومرتباتهم ... ٢٠١
أوربا . دخول الاسلام في جنوبها الشرقي ١٧١

(ب)

باب بني شيبه ... ٣٢
باب الكعبة وتاريخه وسنارته ... ٢٧٦
بابليون . أخذ هذا الحصن ... ١٦٤
بادية بلاد العرب ... ١٤٧
بئر أريس ... ٣٩٨ و ٤٢٨
بئر الأعواف ... ٤٢٨
بئر أنا ... ٤٢٨
بئر أنس ... ٤٢٨
بئر البرود وما هنالك من الأبنية الأثرية ... ٣٧٠
بئر رومة ... ٤٨٤ و ٤٢٩
بئر الطعني ... ٤٨٤
بئر غرس ... ٤٣٠
بحرة ومسجدها ... ٢٧
بداية المجتهد كتاب في الفقه ... ٩٧
البركة ... ٣٧٣
بريكة الشويب ... ٣٧٧
بستان داود باشا ... ٤٣١
البقيع . مقبرته وقبابه وزيارة الرسول
صلى الله عليه وسلم له ... ٤٢٥ و ٣٣٣
بلاد العرب . جغرافيتها . الحدود
والشواطئ وأهمية موقعها وجوها
ونباتها وحيوانها وداخليتها ووصفها
وأقسامها وفتحها ... ١٥٦ - ١٤٣
بلاد المغرب . فتحها ... ١٦٥
بلاد الملايو وانتشار الاسلام فيها ... ١٧٦

صفحة	صفحة
الحج . شروط وجوبه وصحته ... ٩٧	الجمار . رميها وحصى الرمي وحكمته ٩٣ و ٨٩ و ٤٨
حج المرأة ... ٩٩	ووقته والدعاء بعده والمسافات ١٣٦ و ١١٣
الحج عن الأب الكبير والأم الكبيرة ٨٩	بين الجمار وفكاهات الحجاج عندها ٣٢٨
الحج عن الميت ... ٩٨	الجماع من المحرم وهدية ... ١٢٢ و ١٠٢
الحج . فسخه الى العمرة ... ١٠٤ و ٨٤	الجاويون وشكوى حجاجهم من العربان
الحج . فقه المذاهب فيه ... ٩٧	وظلمهم فى المعاملة والضرائب ... ٦٦
الحج فى الجاهلية . إحصاءه ومحرماته فيها ٣٠٨	الجمال وأجرها فى طرق الحجاز وكيفية
الحج . قران الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ٧٥	توزيعها والضرائب عليها ... ٦٧ و ٦٥
الحج . متى فرض ... ٧٥	جداول بخطوط السير من مصر الى
الحج . المشى فيه ... ٣٥	الحجاز ثم الى مصر فى الحججات الأربع ٤٩٤
الحج . مفسداته ومفواته وقضاؤه	
والمضى فيه اذا فسد ... ١٢٣ و ١٢١	الحجاز ... ١٤٥
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .	حججات المؤلف . توارىخها ... ٣
القباب التى أقيمت عليها ... ٤٧٣ و ٤٦٤	حجة الوداع . مواقف النبي صلى الله
الحج والعمرة . التحلل منهما ... ١٢٣	عليه وسلم للدعاء فيها ... ١٦٠ و ٦٣ و ٧٥
الحج . من يقوم بأمره ... ١١١	حج الرسول صلى الله عليه وسلم ستة عشر ٣١٨
الحج . موقف الحلة والخمس فيه ... ٣٣٣	الحجاج . فقراء المغاربة منهم ... ٤٩١
الحجر وعمارة ... ٣٠٥ و ٢٦٦	حج أبى بكر بالناس سنة ثمان وإبطال النسيء ٣١٧
الحجر الأسود . استلامه وتقبيله وحكمته	الحج . إجارة النفس له ... ٩٩
هذين ... ٣٠٤ و ٢٦٤ و ١٣٢ و ٨٢	الحج . أحكامه فى المذاهب الأربعة
الحجر الأسود . تاريخه والسجود عليه	وجداول بذلك ... ١٢٩ و ٧٥
ومزيتة ومن وضعه ... ٣٠٢ و ١٣٣	الحج . ادخاله على العمرة ... ١٠٧
حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٦٢	الحج واستطاعته المباشرة أو بالنيابة ... ٩٨
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . بناء	الحج . أنواعه والاحرام به ... ٩٩
الدائر الخمس عليها فى عهد الوليد ٤٧٣ و ٤٦٣	الحج . الاهلال والتقاييد والاشعار فيه ٧٦
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .	الحج . تذكيره بنشأة الاسلام وتغذيته
الحاجز الرصاصى حولها ... ٤٧٤	للايمان ... ١٤١
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .	الحج . حكم مناسكه ... ١٢٩
حظيرة فاطمة التى يجانها ... ٤٧٦	حج الصبي ... ٩٨ و ٩٥

(ح)

صفحة

(خ)

- خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ... ٣٩٩
خديجة بنت خويلد . دارها وعمارها
ونبذة من تاريخها ... ١٨٩ و ٣١
خطبة الكتاب ... ١
خطب الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع ... ٣١٨ و ٩٠ و ٨٥
خطبة النساء . صفتها في الجاهلية ... ٣١٥
خطبنا العتيقة من أسباب تأخرنا ... ٣٣٤
الخطر . الاحتياط له ... ٣٧٦
الخلدق . غزوته ... ١٥٧
الخوتلة . آبارها ... ٤٨٨
خير . فتحها ... ١٥٩
الخيزران . دارها ... ١٩٢

(د)

- دار الندوة ... ٢٣٩
الدماء . ما تجب فيه من أفعال الحج
وما لا تجب فيه ... ١٢٤
الدهناء ... ١٤٨
الديون . موعد سدادها عند المسلمين ... ٤٤٤

(ذ)

- ذراع الحديد وذراع اليد . التحقيق
في بيان طولها ... ٣٤١
ذوطوى . المبيت بها ... ٨١

(ر)

- الرحلات . الباعث على تأليفها وترتيبها ٤
الرحلة الأولى سنة ١٣١٨ هـ وختامها ٤٩٩ و ٥

صفحة

- حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .
صفقتها في عهد عمر رضى الله عنه ٤٧٣
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . قبر
النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه فيها ٤٧٢
حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .
المقصورة النحاسية التي حولها ... ٤٧٥
الحجرية بالطريق الشرقى ... ٣٧٧
الحجوت ... ٣٣٨ و ٣٠
حدة ... ٢٧
الحديثة وصلحها ... ١٥٧
الحديث الحسن والحديث الصحيح ... ٨٩
الحرم المكي . أعلامه وأبعاده عن
المسجد الحرام وأول من وضعها
وخريطة الأعلام ... ٢٢٤
الحرم المكي . تعظيمه في الجاهلية ... ٣١٣
حرم المدينة ... ٤٧٧
حضر موت ... ١٤٦
الحطيم ... ٣٠٥ و ٢٦٦
الحلة والخمس ... ٣٠٨
الحفائر ولصوصها ... ٤٨٦ و ٣٧٧
حكم مناسك الحج وأسرارها ... ١٣١
الحلق . أفضليته عن التقصير في التحلل ٨٤
الحلق . حكم الترتيب بينه وبين الرمي والنحر ١١٤
حمام موسى ... ٢٣٧
حمزة . مصرعه وضريحه وبعض الأشعار
التركية المكتوبة تليه وبعض
المعمرين لمسجده ... ٣٩٠
حنين . غزوتها ... ١٦٠
حواء . قبرها المزعوم ... ٢٢

صحيفة

- الرسائل البرقية . الشروع فى إنشاء
خط لها بين مكة والمدينة ... ٣٨٠
الركن الثمانى . استلامه وتقبيله ... ٨٢
الرمل فى الطواف ... ٣٣
الرمى والحلق والنحر والترتيب بينها ... ١١٤
رمى الجمار الثلاث بعد الزوال ... ٩٣
الروسيا . انتشار الاسلام فيها ... ١٧٥
رابغ . الاحرام حذاءها ووصفها ... ١٥

(ز)

- زبيدة وعينها ومبدأ مجراها ... ٣٥٣
الزواج والطلاق عند قریش فى الجاهلية ... ٣٠٨
زواج المحرم ... ١٠٣
زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم
حجراتهن ... ٤٨١ و ٧٢
زيادة صدقة الحبوب ... ٣١١
زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم ... ٤٨٠
زيارة القبور ... ٤٨١

(س)

- السعى بين الصفا والمروة . تركه
أو تقديمه . حكمه . صفته .
شروطه . وقته . المشى فيه والركوب ٨٣ و ١٠٩ و ١٢٥
السفر من السويس الى القاهرة
فى سنة ١٣١٩ هـ ... ٤٩٣
سقاية العباس بن عبد المطلب ... ٢٥٩
سلطان المملكة والشجر . مرتبه وأمانيه
ومساعدته للفقراء وهداياهم لموظفى
الحمل وحاله مع عربان ينبع ... ٤٠٠
سواقى المدينة وطريقته لإخراج المياه منها ٣٩٩

صحيفة

- سواكن . عادات أهلها فى الزواج والختان ٣٤٨
سور المدينة ... ٤١٠
السورجية ... ٣٧٦
السيول بمكة . تأثيرها وتاريخها ... ١٩٧
السفر من المدينة الى الوجه ... ٤٨٢
السكة الحديدية الحجازية . انشاؤها
وقهر الحجاج على مساعدتها ... ٧١
سليمان باشا ابن رفاعة ومكره ... ٤٨٨
سيوة . عادات أهلها وتجارهم . رحلة
اليها والى السلوم ... ٣٤٨
السويس . اقامتنا بها فى سنة ١٣١٩ هـ
ونقد النظام فى مرصادها سنة ١٣٢١ هـ
والمسافة بينها وبين جدة ... ١٥ و ٤٩٢

(ش)

- الشام . فتحها ... ١٦٢
الشرك . لا يقر عليه مسلم وتهدم مواضعه ٣٤٩
الشرىف على باشا ... ٦٥
الشورى فى الاسلام ... ٣٨٦
الشرىف عون الرفيق باشا . بستانه
وضرائبه الفائلة ... ٧١ و ٦٤ و ٥٣
الشرىف . مرتبه واخلع المهداد اليه ٥٠

(ص)

- صادق باشا العظم ... ٣٨١
الاصطياد فى الحرم وأكل الصيد ... ١٠٣
الصفا والمروة والدعاء عليهما والسعى بينهما ٣٢٠ و ٨٣ و ٣٤
صفينة ... ٣٧٥
صلاة التراويح فى المسجد النبوى ... ٤٤٤
صلاة الجمعة بعرفة ومنى وعدم وجوبها
على المسافرين ... ٥١٢

صحيفة

- طواف الأفاضة وترك الرَّمْل فيه ... ٩٢
 الطواف . تقسيم الجهات بين المطفئين ٦٣
 طواف الجاهلية وطواف النساء فيها
 عرايا ... ٣١٠
 الطواف . استلام الأركان فيه وأنواعه ١٠٨
 الطواف وركبته والركوب فيه والرَّمْل
 وحكمته والاضطباع فى الرَّمْل
 وشروطه وصفته ... ٨٣ و ١٠٧ و ١٢٥ و ١٣٩
 طواف العربان وما يقولون فيه ... ٣٥
 طواف القدوم ... ٣٣
 الطواف . نكسه ونسيان بعض أشواطه ١٢٤
 طواف الوداع والواجب فى تركه
 وسقوطه عن الحائض ... ٩٢ و ٩٤ و ١٢٥
 الطور . اقامتنا فيه سنة ١٣١٩ هـ
 وسفرنا منه الى السويس ... ٤٩١
 الطور . مدينته ومبانيها ومجمره ومرفأه
 وضواحي المدينة والحجاج النازلون
 به وآباره وسكانه والبريد والبرقية
 وقلعته وجبله ... ٢٣٣ - ٢٣٩
 الطريق من مكة الى عرفات ومشاعر
 الحج فيه ... ٤٢ و ٣٣٨

(ع)

- عادات المدينين فى الزواج والمهر
 والجهاز والمآتم والأعياد وإفطار
 الصائمين والولادة والجنائيات
 وهداياهم الى حجرة الرسول صلى الله
 عليه وسلم ... ٤٤٢
 عثمان نورى باشا العادل ... ١٩٧
 العراق وفتحه ... ١٦٧
 العربان . قسوتهم ... ٥٩ و ٦٨

صحيفة

- صلاة العيد . هديه صلى الله عليه وسلم فيها ٤٢١
 الصلاة . قصرها فى مكة وعدم تحديد
 القصر بمسافة ... ٨٤ و ٨٦
 الصلاة لادين بدونها ... ٣٥٠
 الصيد . الحلال منه للحرم والحرام
 وقتله وأكله وجزائه ... ١١٨ و ١١٦ و ٧٨
 الصين . انتشار الاسلام فيه ... ١٧٦
 الصرة . إشهاد تسامحها ... ٦

(ض)

- ضب . طريق ... ٣٤٠
 ضجيج الكون من فضاء عون ... ٢٧٦
 ضرائب الغنم ... ٦٥
 الضرائب فى الاسلام ... ٦٦
 ضواحي المدينة ... ٤٤٦

(ط)

- الطائف . طريق اليمانية اليه . وصفه
 وهواؤه وفواكهه ... ٣٤٤
 الطائف عادات أهله وغزوته وطريق
 « الكرا » بينه وبين مكة والمسافة
 بينهما ... ٣٤٧
 الطريق بين جدة ومكة ... ٢٤
 الطريق الشرقى بين مكة والمدينة .
 محطاته ومراحله ... ٣٦٩
 الطريق من عرفة الى مزدلفة ... ٤٧
 الطريق من المدينة الى قُباء ... ٣٩٩
 الطريق من المدينة الى الوجه . محطاته
 ومراحله ... ٤٨٤
 الطريق من مزدلفة الى منى ... ٤٨

صحيفة

عين عرفة وعمارها وخطبة قايتباي	
في العمارة	٢١٥
عين مكة وعمارها	٢١٤
عيون وادي حنزة	٤٣٣
عسقان . مرور هود وصالح بهذا	
الوادي	٧٩
العقلة	٤٨٦

(غ)

غار ثور وزيارتنا له واختفاء الرسول	
صلى الله عليه وسلم فيه وصعوبة	
المرتقى اليه ووصفه وزيارة العياشي له	٦٠
غار المرسلات	٣٢٦
الغدير	٣٧٩ و ٣٧٤
غرابية	٣٧٩
غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم	
بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر	
ومكة وحنين	١٥٦
غار حراء . زيارته ووصفه وخزانه وجبله	٥٦

(ف)

فارس . فتحها	١٦٩
فاطمة الزهراء . قبرها المزعوم	٣٨٣
فاطمة هانم الأميرة التركية . مأثرتها العظيمة	٢١٩
الفدية . فدية الأذى . فدية قص الأظفار	
فدية الحلق . موضع الفدية	١١٩
الفرمان السلطاني (وصية) الاحتفال	
بتلاوته في منى	٤٩
القبيل . واقعته	١٥٤
الفقيس	٤٨٦

صحيفة

عربان القلاع الجازية	٣٣٨
العرب البائدة والقحطانية والاسماعيلية	١٥٠
العرب . بلادهم وتاريخهم قبل الاسلام	
وبعده	١٤٣
العرب . حربهم مع الفرس	١٦١
العرب . دينهم قبل الاسلام . الاسلام	
فيهم	١٥٤
عرفة . إفاضة النبي صلى الله عليه وسلم	
منها . الإفاضة قبل الغروب	١٢٥ و ٨٧
عرفة . تنظيم ميدانها	٢٠٩
عرفة . الخروج اليها والوقوف بها وصفته	
وحكمه وشرطه وأذان الظهر بها	
وقصر الصلاة فيها وفي منى ومن دلفة	١١٠
عرفة . موقف الرسول صلى الله عليه	
وسلم بها ودعاؤه وميدانها وجبالها	
وسوقها ومناظر الحاج بها	٣٣٥ و ٨٦ و ٤٤
نعنة . الوقوف بها وخطبة النبي صلى	
الله عليه وسلم بواديها	١٢٥ و ٨٥
عساكر البيشة وحراسة الطريق	٧٤
عسير	١٤٦
وادي العتيق	٤٣٤
عليها الحرم الغربيان	٢٨
عمان	١٤٧
عمرو بن لحي . شرائعه في الجاهلية	٣١٤
العمرة . حكمها . عملها في أشهر الحج	
تكرارها في السنة الواحدة	٣١٣ و ٩٩
عمر . قصة إسلامه	١٩٤
عين الأزرق أو العين الزرقاء ومصرها	٤٣٠
عين زبيدة . ايصالها لمكة . خريتها لها	
أهميتها . وصف مجراها	٢١٩ و ٢٠٩
عين السلطان	٤٣٣
عين شمس . واقعتها	١٦٤

صحيفة

صحيفة

(ق)

- القادسية وواقعها ... ١٦٧
- القباب على القبور . تحريمها في الشريعة
الاسلامية ... ٣١ و ٣٥٠
- قبة حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٧٣
- قبة السبق ... ٣٨٩
- قبر عبد الله بن عمر ... ٢٩
- القبور . زيارتها الشرعية والبدعية .
أدعية الزيارة وضرائها المحدثه ٤٢٧ و ٤٨١
- القدس . فتحها ... ١٦٣
- القرامطة . تاريخهم وشرائعهم ... ٣٠٣
- القران ... ١٠٥
- قريش . إمارتها بمكة وفضائلها ... ١٥٢ و ٣٠٨
- قصر عنزة ... ٤٨٧
- قلاع الطريق بين جدّة ومكة ... ٢٦
- قهاوى الطريق بين جدّة ومكة ... ٢٨

(ك)

- الكسوة . تاريخها ... ٢٨١
- الكسوة . وصفها ... ٦
- الكعبة . اخدام الأغاوات لها ... ٣٠٠
- الكعبة . أسماؤها وأضلاعها ... ٢٦٢ و ٢٦٣
- الكعبة . برقعها ... ٢٩٣
- الكعبة . بابها وستارته وحبته ... ٢٧٦
- الكعبة . بناؤها وعمارتها ... ٢٦٨
- الكعبة . تحيتها الطواف بها ... ٨٢
- الكعبة . تفسير كونها أول بيت وضع
للناس ... ٢٦٨

الكعبة . الجهات المسامته لكل ركن

من أركانها ... ٢٦٤

الكعبة . حجرها الأسود ... ٢٦٤

الكعبة . دخولها . الدخول بالأحذية ٩٥ و ٣١٢

الكعبة . داخلها ... ٢٦٤

الكعبة . الدعاء عندها ... ٣٢ و ٨١

الكعبة . ساداتها وتاريخها ... ٢٩٨

الكعبة . شاذروانها ... ٢٦٣

الكعبة . صلاة النبي صلى الله عليه وسلم

ودخوله فيها ... ٣٠٠

الكعبة . طيبها ... ٣٠٠

الكعبة . عمل نطاقين لها من النحاس

المغلف بالذهب ... ٢٧٤

الكعبة . غسلها ومواعيد فتحها وإحرامها ٤٠

الكعبة . كسوتها . تاريخها . الأطنان

الموقوفة عليها . إثماد وقف هذه

الأطنان . الكسا القديمة . أجزاء

الكسوة بالتفصيل . مصنع الكسوة

نققاتها . حكم بيعها . خطاطها .

ستارة باب التوبة . كيس مفتاح

الكعبة ... ٢٨١ - ٣٠٠

الكعبة . معاليقها ... ٢٧٨

الكعبة . مقاسها ... ٢٦٣

الكعبة . ملتزمها ... ٢٦٧

الكعبة . ميزابها ... ٢٦٦ و ٣٧٥

الكسوة . اشهاد تسليمها والاحتفال

بنقلها من مصنعها بالخرنقش ... ٦

(ل)

اللات . ضم ... ٣٤٩

لباس المحرم ... ١٠١

صحيفة

- المحمل . اخراجه من المسجد النبوى ... ٣٩٩
المحمل . استقباله خارج المدينة في محرم
سنة ١٣١٩ هـ ... ٣٨٢
المحمل . بانخرته الى أقالته ونقد نظامها ١٤
المحمل . التبرك به ... ١٣
موظفوه ... ٥
المدينة المنورة . أسمائها وأبوابها ... ٤١١ و ٤٠٧
المدينة المنورة . أرضها وزروعها
وبساتينها ومياه الرى بها ... ٤٢٧
المدينة المنورة . أهلها . خلقهم .
كرمهم . جنسهم . لونهم .
تجارهم . مكابيلهم وموازينهم .
عملتهم . أسواقهم . عاداتهم ... ٤٣٨
المدينة . أوديتها ... ٤٣٤
المدينة . جوها ... ٤٤٥
المدينة . حاراتها ... ٤١٠
المدينة . حرما ... ٤٢٧
المدينة . دخولها في محرم سنة ١٣١٩ هـ ٣٨٣
المدينة . سواقها ... ٣٩٩
المدينة . سورها ... ٤١٠
المدينة . قراها أو ضواحيها ... ٤٤٦
المدينة . مبانيها ... ٤١٤ و ٤٠٧
المدينة . مساجدها ... ٤١٤
المدينة . مقابرها ... ٤٢٥ و ٤٢٧
المدينة . مناخها ... ٤١٣
المدينة . مناهلها وساقها ... ٤٣١
مرتبات الأهالى والأشراف وطريقة
صرفها ... ٧٣
المرتبات . بيعها ... ٧٠

صحيفة

(م)

- الماء . ما ينحسه ... ٤٢٩
مآذن المسجد الحرام ... ٢٣٤
المأزمين . طريق ... ٣٤٠
محاريب المسجد النبوى ... ٤٦٨
محافظة المدينة . زيارته ووليته ... ٣٨٤
المحرم . تطييبه ... ١٠٢
محسر . إسرار السير في هذا الوادى ... ٣٩٩ و ٩٠
المحصب . نزول النبي صلى الله عليه وسلم
به ومبيته فيه ... ٣٣٨ و ٩٤
محمد صلى الله عليه وسلم . آداب زيارته
وفضل الصلاة في مسجده والسلام
عليه في قبره وما نهى عنه عند
زيارته وعرض الصلاة عليه ... ٣٨٣ و ٤٨٠
محمد صلى الله عليه وسلم . دعاؤه في غزوة
الخيندق ... ٤١٦
محمد صلى الله عليه وسلم . مقدمه الى المدينة ٤٦٠
محمد صلى الله عليه وسلم . مولده بمكة
وعماره البناء الذى عليه ... ١٨٦
محمد صلى الله عليه وسلم . نشأته وكتابه
للقوقس ووفاته ... ١٥٥
محمد حسين الطيب الهندى ... ٢١
المحمل . الاحتفال بسفره من مكة
الى المدينة سنة ١٣١٨ هـ ... ٣٦٩
المحمل . الاحتفال بإدخاله المسجد
النبوى ... ٣٨٤
المحمل . الاحتفال به في السويس
سنة ١٣١٨ هـ ... ١٤
المحمل . الاحتفال به قديما ... ٣٠٨
المحمل . الاحتفال بسفره من المدينة
سنة ١٣١٩ هـ ... ٤٨٢

صحيفة

- المسجد الحرام . صحته ... ٢٢٨
- المسجد الحرام . صلاة الجماعة فيه وبدعة
- تعدد الأئمة ... ٢٥١
- المسجد الحرام . قتال أ امامه بين حرب
- وهذيل . قتاديله ... ٢٦٠
- المسجد الحرام . الكعبة وسطه ... ٢٦١
- المسجد الحرام . مآذنه ... ٢٣٤
- المسجد الحرام . مدارسه ومساكنه ... ٢٤٢
- المسجد الحرام . مساحته ومصلى النساء به ٢٦١ و ٢٢٧
- المسجد الحرام . مقللة المؤذنين فيه ... ٢٣٧
- المسجد الحرام . مقام ابراهيم فيه ومقاس
- المقام وتحليته وكسوته وقبائه ... ٢٣٧
- المسجد الحرام . مماشيه ... ٢٢٩
- المسجد الحرام . منبره وتاريخه وعادات
- الخطباء فيه ... ٢٥٢
- المسجد الحرام . موظفوه ... ٢٦٠
- المسجد الحرام . مواقف الأئمة فيه
- في الصلوات المفروضة وبدعة اتخاذ
- هذه المواقف ... ٢٤٨
- مسجد حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد ... ٣٩٠
- مسجد الخيف . وتاريخه وما يفعله
- الذكارة والمغارية فيه ... ٣٢٢
- مسجد الراية ... ٤١٧
- مسجد سلمان ... ٤١٧
- مسجد السقيا ... ٤١٨
- مسجد الصخرات ... ٣٣٧ و ٤٥٠
- مسجد علي بن أبي طالب ... ٤٢٢ و ٤١٧
- مسجد فاطمة والشمس ... ٤١٦
- مسجد الفتح ... ٤١٦
- مسجد الفسح وما قيل فيه ... ٣٩٣

صحيفة

- المروة . الدعاء عليها ... ٨٤
- مربوط . عادات أهلها ... ٣٤٨
- المزدلفة . أفعالها . اجمع فيها بين ٨٨ و ٤٧
- المغرب والعشاء والرحيل منها ٣٣١ و ١١٣
- قبل الفجر للضعفة ٣٣٩ و
- مساجد عائشة ... ٣٤١
- مساجد المدينة ... ٤١٤
- المسافات بين أماكن الطريق بين مكة
- وعصيفات ... ٣٤٠
- المسافة بين عدن والمكلا ... ٤٩٢
- المسافة بين مكة وأمهات المدن الاسلامية ٣٦٧
- مستشفى الغرباء ... ١٨٤
- مسجد أبي بكر ... ٤٢٢
- مسجد أبي بن كعب ... ٤٢٠
- مسجد الاجابة ... ٤١٧
- مسجد بني قريظة ... ٤١٩
- مسجد البيعة وشجرة الرضوان ... ٣٢٧ و ٣٢٨
- المسجد الحرام . أبوابه وأروقته وأول ٢٢٩ و ٢٢٧
- من اتخذها أول من جدره واحتراته ٢٣٩ و ٢٣٦
- سنة ٨٠٢ هـ وتعمره سنة ٨٠٤ هـ ٢٦٠ و
- وأعمدته وأغواته
- المسجد الحرام . بناء السلطان سليم له
- سنة ٩٧٩ هـ ... ٢٤١
- المسجد الحرام . توسعته وعمارتة وحاله
- في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
- والخلفاء ووضفه الآن ... ٢٣٥ و ٢٢٧
- المسجد الحرام . زيادات الملوك فيه ... ٢٣٦
- المسجد الحرام . زمزم وتاريخها ومآقها
- وفوائده ... ٢٥٥
- المسجد الحرام . سقاية العباس فيه ... ٢٥٩

صحيفة	صحيفة
المسجد النبوى . سلب نقاشه وحكمها	مسجد الفضيل ... ٤١٨
وضعا وأخذ ... ٤٥٢	مسجد قباء . زيارته . تأسيسه ووصفه
المسجد النبوى . قبر فاطمة المزعوم فيه ... ٤٥٠	الآن وفي القرن التاسع ... ٣٩٤
المسجد النبوى . القبة الخضراء به ... ٤٥١	مسجد القبلتين ... ٤١٤
المسجد النبوى . قناديله وتعليقاته ... ٤٥١	مسجد قزح ... ٣٣٤
المسجد النبوى . الكتابات التى فى جدره	مسجد المائدة ... ٤٢٠
وأبوابه ... ٤٥٦	المسجد المؤسس على التقوى ومسجد
المسجد النبوى . مآذنه ... ٤٦٧ و ٤٧٩	الضرار ... ٣٩٤
المسجد النبوى . محاربه ... ٤٦٧ و ٤٤٩	مسجد منى ... ٣٢٨
المسجد النبوى . مخازنه ... ٤٤٩	المسجد النبوى . أبوابه وأعمدته ... ٤٤٨ و ٣٧٦
المسجد النبوى . مصابحه ... ٤٥٠	المسجد النبوى . احتراقه سنة ٨٨٦ هـ ... ٤٦٤
المسجد النبوى . المصاحف التى به ... ٣٨٥	المسجد النبوى . أغواته ... ٤٥٩
المسجد النبوى . مقاسه ... ٤٤٨	المسجد النبوى . البركة التى فى صحته ... ٤٣١ و ٤٦٧
المسجد النبوى . مقصورته النحاسية ... ٤٥٠	المسجد النبوى . تاريخه ... ٤٦٠
المسجد النبوى . مكتبه العلمى ... ٤٤٩	المسجد النبوى . تجميره ... ٤٧٩
المسجد النبوى . منبره وتاريخه ... ٤٧١	المسجد النبوى . حاله فى عهد الرسول
المسجد النبوى . موظفيه ... ٤٥٩	صلى الله عليه وسلم ... ٤٦١
المسجد النبوى . ميضآته ... ٤٤٩	المسجد النبوى . حجرات زوجات الرسول
المسجد النبوى . نفقات عمارته المجيدية ... ٤٦٨	صلى الله عليه وسلم حوله ... ٤٦٢
المسجد النبوى . وصفه الآن ... ٤٤٨	المسجد النبوى . الحجرات التى فى شماله ... ٤٦٦
مسجد نمره ... ٣٣٦ و ٤٥٠	المسجد النبوى . حديثه ... ٤٤٩
المسعى بين الصفا والمروة وطوله ... ٣٢١	المسجد النبوى . حظيرة النساء فيه ... ٤٥٠ و ٤٦٧
المسقى الخيرى ونفقاته فى سنى	المسجد النبوى . الخطاط الذى كتب
١٣٢١ و ١٣٢٥ هـ ... ٣٢٤ و ٣٢٧	ما فيه ... ٤٦٨
مسيط ... ٢٣٧	المسجد النبوى . دواقه ... ٤٣١
المشعر الحرام . الوقوف به والمبيت ... ٤٧ و ٨٨ و ٣٢٢	المسجد النبوى . روضته ... ٤٥١
المصاحف بالمسجد النبوى ... ٣٨٥	المسجد النبوى . زخرفته وحكمها ... ٤٦٣ و ٤٦٨
مصادر الرحلات . الكتب الدينية	المسجد النبوى . زيادات الملوك فيه
والتاريخية والرحلات ... ٣٦٢	وعماراته ... ٤٦٢

صحيفة	صحيفة
مكة . مساجدها ... ١٨٢	مصر والنوبة . فتحهما ... ١٦٣
مكة . مستشفياتها ... ١٨٣	مصرى العيد ... ٤٢٠
مكة . مصانعها ... ١٨٣	المضيقة السلطانية « المسافر خانة »
مكة . من استقبلونا سنة ١٣١٨ هـ	والا - تنال بفتحها ... ٥٤
حين دخولها ... ٢٩	الحظاف ... ٢٦٧
مكة . ولوع أهلها بالطرب ... ٣٨	المعجن ... ٢٦٧
مكتبات المدينة وتعداد ما فيها من الكتب ٤٢٢	الطير ... ٤٨٧
المككة والشجر . ساطاتها ولباس أهلها	العملة والقبور التي بها ... ٣٠
وطعامهم وجندهم وزيتهم	مقام ابراهيم وكوته وستارة بابه ... ٢٩٥ و ٢٤٢
وسلاحهم ونساقها ... ٤٠٠	مكة . أسمائها ... ١٧٧
المكوس . تاريخها ... ٦٨	مكة . إمارة قريش بها ... ١٥٢
الملاليج ... ٤٨٣	مكة . أماكنها الشهيرة ... ١٨٤
الملتزم ... ٢٦٧ و ٩٥ و ٣٤	مكة . ارتفاع مواضعها الشهيرة عن
مناخة المدينة ... ٤١٣	سطح البحر ... ٣٥٣
منبر المسجد الحرام ... ٢٩٦ و ٢٥٢	مكة . أمراؤها منذ فتح مكة لآن ... ٣٥٥
المنبر النبوى ... ٤٧١	مكة . ميوتها وحوادثها ... ١٨٤
منى . أرضها سواء بين الناس ... ٩١	مكة . تكاياها ... ١٨٣
منى . انشاء خزان للياه بها في عهد صاحب	مكة . جوقها ... ٢٠٦
الجلالة ملك مصر ... ٣٧	مكة . حماماتها ... ١٨٣
منى . التزاور فيها سنة ١٣١٨ هـ	مكة . سكانها . جنسهم . أخلاقهم .
والزينات ... ٥٢	لباسهم . لغتهم . دينهم . عادتهم .
منى . جمراتها ... ٣٣٩	تجارهم . عملتهم ... ٢٠٧ - ١٩٧
منى . خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بها	مكة . سيولها ... ١٩٧
سنة ١٠ هـ ... ٩٣ و ٩٠	مكة . صهاريجها ... ١٨٣
منى . ذبائحها وسوقها ... ٥٣	مكة . عادة أهلها بعد موسم الحج ... ٦٣
منى . سقوط المبيت بها عن المغذورين	مكة . فتحها ... ١٥٩
دون الرعى ... ٩٤	مكة . قلاعها ... ١٨٣
منى . المبيت بها أيام التشريق ... ٩٣ و ٨٥	مكة . قها وريها ... ١٨٤
منى . منحرجها ومنفجرها والبناء بها ورفع	مكة . مدارسها ... ١٨٢
الحصيات منها وتطهيرها من الوثنية ٣٢٩	

صحيفة

- الهدى . منحه ومكان سوقه ووقت
النحو وصفته والانتفاع به وباجمه
وحكم عطيه ... ١٢٦ و ٩١ - ١٢٨
- الهدى . نحر النبي صلى الله عليه وسلم له بيده ٩١
هديه صلى الله عليه وسلم في صلاة العيد ٤٢١
الهدى . هديه صلى الله عليه وسلم فيه ٩٥
الهضاب ... ٣٧٤
الهند وفتحها ... ١٧٠

(و)

- وادي العقيق ... ٤٣٤
إقطاعه لبلال بن الحارث . وصفه .
عرصاته ... ٤٣٥
جماواته ... ٤٣٦
قصوره وجناته ولحجه من تاريخه ... ٤٣٧
وادي الليمون وقناته وسوقه ... ٣٧١
وادي فاطمة وقبر ميمونة ومسجدها ... ٣٧١
الوجه . رخص السمك فيه وغلق الجبوب ... ٤٨٩
الوجه . موظفوه ... ٤٨٩
الوجه . السفر منه الى الطور والمسافة بينهما ... ٤٩١
الوهابيون ... ٤٥٢
رفعهم للظالم . عقيدتهم . رأيهم
في المحامل ... ٤٥٣
سبب محاربتهم للدولة العثمانية ... ٤٥٤
محاربة محمد على باشا لهم ... ٤٥٥

(ي)

- اليروك . واقعه ... ١٦٢
اليمن ... ١٤٦

صحيفة

- منى . ميدانها وبعدها عن عرفة
ومشتملاتها ... ٣٢٢
مهرة ... ١٤٧
مواقف الأئمة من المسجد الحرام
في الصلوات المفروضة ... ٢٤٨
المواقيت . خريقتها ... ٢٢٤ و ١٠٠
الموالد في المدينة ... ٤٤٣
الميت . الاستغاثه به وحكمها ... ٣٩٢
ميزاب الكعبة وتاريخه ... ٢٦٧ - ٢٧٥
المحمل . قطاره ومن أين يقوم
والاحتفال بسفره ... ١٢
مكة . الزيارات فيها ... ٣٦ و ٣٨
موظفو المحمل ومرتباتهم وملاحظات
بشأنهم ... ٥

(ب)

- النبات جزاؤه . الصيام أو الاطعام ... ١١٦ و ١١٩
نجد ... ١٤٨
النجيلة باخرة ... ٤٩١
النحر والخلق والرمى والترتيب بينها ... ١١٤
النخولية ... ٤٤٠
النسيء وإحلال الأشهر الحرم ... ٣١٦
نمرة . نزول النبي صلى الله عليه وسلم بها ٨٥

(هـ)

- الهاشميون والأمويون والخلاف بينهم ١٥٣
الهدى . حكمه وجنسه وسنه وكيفية سوقه ١٢٥
الهدى . حكمته ... ١٤٠

الخطأ	الصواب	الخطأ	الصواب	الخطأ	الصواب	الخطأ	الصواب
وارزفهم	وارزفهم	٩	١	وارزفهم	وارزفهم	٩	١
متعبدا	متعبدا	١٩	٢	متعبدا	متعبدا	١٩	٢
غارفور	غارفور	١	٦٢	غارفور	غارفور	١	٦٢
النقل	النقل	٢٤	٩٤	النقل	النقل	٢٤	٩٤
دنا	دنا	٢٤	٩٦	دنا	دنا	٢٤	٩٦
بدنة	بدنة	٦	١١٤	بدنة	بدنة	٦	١١٤
وكذلك	وكذلك	٣	١٢٤	وكذلك	وكذلك	٣	١٢٤
الحج	الحج	٩	١٥٩	الحج	الحج	٩	١٥٩
الحجة	الحجة	٩	١٥٩	الحجة	الحجة	٩	١٥٩
وابنى	وابنى	١١	١٦٣	وابنى	وابنى	١١	١٦٣
المحكمة	المحكمة رسم ٦٠ مكر	٩	١٧٨	المحكمة	المحكمة	٩	١٧٨
حليقا	حليقا	٢٢	١٨٠	حليقا	حليقا	٢٢	١٨٠
المجسد	المجسد	٧	١٨١	المجسد	المجسد	٧	١٨١
أى	أى	٤	١٨٢	أى	أى	٤	١٨٢
انسر	انسر	٤	٢٠١	انسر	انسر	٤	٢٠١
فقط	فقط	١٣	٢٠٨	فقط	فقط	١٣	٢٠٨
فقط وبميدان عرفات	فقط وبميدان عرفات	٩	٤٣٦	فقط وبميدان عرفات	فقط وبميدان عرفات	٩	٤٣٦
سبعة أحواض تراها	سبعة أحواض تراها	٩	٤٣٦	سبعة أحواض تراها	سبعة أحواض تراها	٩	٤٣٦
في الرسم ٧٧	في الرسم ٧٧	٢٣	٤٣٦	في الرسم ٧٧	في الرسم ٧٧	٢٣	٤٣٦
بالقنوات	بالقنوات	٢٢	٢٢١	بالقنوات	بالقنوات	٢٢	٢٢١
أواني	أواني	٣	٢٥٩	أواني	أواني	٣	٢٥٩
أمة تدين	أمة تدين	٣	٢٦٢	أمة تدين	أمة تدين	٣	٢٦٢
اسودا	اسودا	٨	٢٧٢	اسودا	اسودا	٨	٢٧٢
وجدرها	وجدرها	١٥	٢٧٣	وجدرها	وجدرها	١٥	٢٧٣
ايمانية	ايمانية	٣	٢٨٢	ايمانية	ايمانية	٣	٢٨٢

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٦٣/١٩٢٤/٣٠٠)





BP
187.3
.R5
v. 1

DUE DATE

OFFIC. SEP 17 1987

GL JUN 03 1988

OFFIC. AUG 16 1988

OFFIC. FEB 15 1989

OFFIC. JUL 5 1989

OFFIC. SEP 16 1989

OFFIC. JUN 28 1990

FEB 15 1991

JAN 27 1991

JUL 09 1991 SEP 30 1991

SEP 30 2009

201-6503

Printed
in USA

TEBEEET

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0113339931

BUTLER STACKS

BP
187.3
.R5

1

NOV 6 1975

